بيتر فرونسكي

القتلة المتسلسلين الأمريكيين

سنوات البلاء
١٩٥٠ - ٢٠٠٠

ترجمة محمد عصمت

القتلة
المتسلسلين الأمريكيين

فرونسكي ، بيتر
القتلة المتسلسلين الأمريكيين : فرونسكي بيتر.
ترجمة : محمد عصمت.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.
614 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-258-8
-ا القصص التاريخية.
أ- محمد عصمت (مترجم)
ب- العنوان : 381،808
رقم الإيداع : 31279 / 2024
الطبعة الأولى : يناير 2025.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
-
كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2021 by Peter Vronsky
Published in agreement with the Knight Agency
through Bears Factor Literary Agency FZC
Arabic Language Translation copyright ©2025
published by Kayan Publishing.

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.
©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

القتلة

المتسلسلين الأمريكيين

فرونسكي بيتر
ترجمة: محمد عصمت

إلى زوجتي الجميلة، آنا زيناتو،

لكُل سنوات حُبّها، وكُل أكواب القهوة.

استهلال

اعتقال في ميلووكي

يُمكِن لرجال الشُّرطة قضاء أيام، وأسابيع، وأحيانًا حتى سنوات وهُم يعمَلون في ورديَّات عمل روتينيَّة لا يحدُث فيها أي شيء استثنائي. يُجرون سلسلةً من مُكالمات خلافات العُنف المنزلي، والكوارِث الطبيَّة، والعُملاء الصِّعاب المراس، وشكاوى مواقِف السيَّارات، وعمليَّات السطو الصغيرة. ويقضي قلَّة منهُم مسيرتهم المهنيَّة بالكامِل دون أن يُطارِدوا أبدًا مُشتبهًا به هارِبًا، أو يركلوا بابًا، أو حتى يُخرِجوا أسلِحتهم من جراباتها. لكِن يُمكِن لكُل ذلِك أن يتغيَّر تمامًا في لحظةٍ واحِدة.

في مساء يوم 22 يوليو 1991، كان ضابطا شرطة ميلووكي، «روبِرت روث» و«رولف مولر»، على وشك الانتهاء من إحدى تلك الورديَّات الروتينيَّة. بعد أن كُلِّفا بالمنطِقة 3 في «أفينوز وِست»، وهو الحي الذي شَهِد أيامًا أفضَل. حيث وَقَف قصر «بابِست» عائِلة البيرة شامِخًا هُناك، كما هو الحال مع حرَم جامِعة «ماركِيت»، ومدرسة «ميلووكي» الثانويَّة للفنون. لكِن القسوة والاضطراب طغَيا على بعض أجزاء الحي، خصوصًا حول المباني الواقِعة في شارِع «نورث الخامِس والعشرين» حيث حُوِّلَت المنازِل الفيكتوريَّة القديمة الأنيقة إلى مساكِنَ مُشتركة، أو هُدِمَت حتى لإفساح المجال أمام مبانٍ سكنيَّة مجهولة مكوَّنة من طابقَين أو ثلاثة. وسَكَنت الأقلِّيات الفقيرة أرجاء المنطِقة في الغالِب، وخاصَّة الأمريكيين من أصولٍ أفريقيَّة، والوافِدين حديثًا من جنوب شرق آسيا.

الساعة الحادية عشرة والنِّصف مساءً، والأمسِيَة هادِئة حتى الآن. تمنى كُلٌّ من روث ورولف ألا يحدُث أي شيءٍ خلال الثلاثين دقيقة القادِمة ليحُول بينهما وبين إنهاء ورديَّة عملهما في مُنتصف الليل، والعودة إلى منزليهما. لكِن عندما انعطفا إلى الشارِع «الخامِس والعشرين» من جادة «كِلبورن»، كشفَت الأضواء الأماميَّة لسيارة الدوريَّة الخاصَّة بهما عن رجلٍ أسود عاري الصدر يركُض نحوَهما. تدلَّى زوجٌ من الأصفاد من مِعصمه الأيسَر، وتلوَّت قسمات وجهه بالخوف والفزع.

لم يكُن لدى روث أو مولر أي فكرة عمَّا تورَّطا فيه لتوِّهما عندما نزلا من سيَّارتهما لتهدِئة الرجُل المُصاب بحالة هستيريا. أخبرَهما تريسي إدواردز، البالِغ من العُمر اثنَين وثلاثين عامًا، أن شخصًا غريب الأطوار قيَّد يدَيه، وتوسَّل إليهما ليفُكَّا الأصفاد عن معصمه. حاول روث استخدام مِفتاح الأصفاد الخاص به، لكِنه لم يُجدِ نفعًا مع الأصفاد حول مِعصم إدواردز. ورُبما لو تمكَّنا من فكِّها في الشارِع، لانتهى الأمر برمّته، ولم نكُن لنسمَع أي شيءٍ آخر عن تلك القصَّة، على الأقل ليس في شهر يوليو من ذلِك العام.

أخبرهما أنه قد قُيِّد بالقوَّة لعدَّة ساعات في شُقق «أوكسفورد» في نهاية الشارِع. رافقه الضابِطان إلى مبنًى سكني مُتهالِك مكوَّن من ثلاثة طوابِق يقع في 924 بشارع «نورث الخامِس والعشرين». واقتضَت خطَّتهما

الحصول على المفتاح، وفكّ الأصفاد، على أمل «تسوية الأمور» بسُرعةٍ دون الاضطرار لاعتقال أيِّ شخص، ونقله، والقيام بمجموعةٍ كاملةٍ من الأعمال الورقيَّة حتى يشاء الله أن ينتَهيا من الأمر.

قادهما إدواردز إلى باب الشقة رقم 213. وكان أول ما لاحظاه؛ هو أن الشقَّة تتمتَّع بنظام إنذارٍ إليكتروني خاصٍّ بها، وأقفال مُصفَّحة عالية الجودة، وهو أمر غيرُ مُعتاد بالنسبة لمبنًى سكني لمُنخفِضي الدخل في ذلِك الحي. طرَقا على الباب، قبل أن يُلاحِظا شيئًا ثانيًا؛ الرائِحة المُميَّزة للموت والتحلُّل تفوح من الجانِب الآخر، وهي رائِحة يعرِفها رِجال الشُّرطة، ولا ينسونها قطُّ بمُجرَّد تجرِبتها لمرَّة.

فَتَح الباب رجُل أبيَض طويل القامَة، أشعث قليلًا، وفي أوائِل الثلاثينيات من عُمره. عرَّف نفسَه بأنه «جيفري دامر»، وأظهَر لهما بطاقة هويته كموظَّفٍ في مصنع «أمبروسيا» للشوكولاتة، حيث قال إنه يعمَل هُناك كخلَّاط. كما تحلَّى بالهدوء والأدب الكافِيَين ليدعو الضابِطين وإدواردز إلى دخول شقَّته.

وعند دخولهما إلى الشقَّة الصغيرة المكوَّنة من غُرفة نوم واحِدة، كاد روث ومولر أن يتقيَّآ على الفور تحت وطأة رائِحة تحلُّل اللحم البشري الممزوجة بالرائِحةِ المُعطَّرة لمُزيل العرق والمُطهِّر، المُنتشِرة في أرجاء الغُرفة.

وللوهلة الأولى، بَدَت الشقَّة طبيعيَّةً تمامًا. حيث أُثِّثَت بشكلٍ جيِّدٍ نسبيًّا؛ بأريكةٍ، وكُرسيٍّ ذي مرفَقَين، وسجادة، وأباجورات، ومصابيح طاوِلة، ونباتات مُعتنًى بها جيِّدًا، وحوض أسماك كبير يعلو طاوِلةً سوداء، يطِنُّ فلتره الكهربائي ويُقرقِر بهدوءٍ بينما تدور الأسماك بتكاسُلٍ خلف زُجاجه. عُلِّقَت ستائِر زرقاء سميكة على النوافِذ، بينما زُيِّنَت الجدران البيضاء بمُلصقاتٍ مؤطَّرة للوحاتٍ تجريديَّةٍ وإباحيَّةٍ مثليَّة، وهو ما لم يكُن كافيًا حتى لدفع ضابِط شرطة إلى رفع حاجبَيه بدهشةٍ بحلول التسعينيَّات.

ومُباشرةً على يسار باب الشقَّة كانَت منطِقة المطبخ؛ بها مغسلة، ومنضدة، وموقِد، وثلاجة. ووقَف مُجمِّدٌ أرضي صغير مُنتصِبًا بجوار طاوِلة مطبَخ مليئة بالأدوات وعبوات البيرة. امتلأت جنبات الشقَّة إلى حدٍّ ما – مثلما يحدُث عادةً بعد حفلة صغيرة – بعبوات البيرة الفارِغة، وعلب المناديل، وزُجاجات مُعطِّر الجو. بينما تناثرَت عدَّة حاويات كيميائيَّة بلاستيكيَّة صغيرة، ومجموعة من الصناديق الحمراء الزاهية لـ «سويلاكس»، وهو مُنظِّف للأرضيَّات والجِدران يُباع في متاجِر المُعدَّات. الشيء الوحيد غير المُعتاد في الشقَّة – بخلاف الرائِحة – كان كاميرا المُراقَبة الكبيرة المُثبَّتة في رُكنٍ عالٍ من أركان الشقَّة.

اعترف دامر بسهولةٍ أنه قيَّد يدَي إدواردز، لكِنه لم يُقدِّم أيَّ تفسيرٍ أو يُظهِر أي قلق. وبَدَت تصرُّفاته وكأنه يقول: «أنا أفعل هذا طوال الوقت، ما المُشكِلة؟»

شَعَر إدواردز بأن ضابطَي الشُّرطة لم ينتبِها أو يهتمَّا بشكلٍ خاصٍّ بشكواه. فقرَّر البَوح بأن دامر قد هدَّده بسكينٍ وأخبرَه أنه: «سيأكُل قلبه». أدار روث ومولر أعيُنَهما في سخط، فقد اعتقدا أنهُما يعرِفان إلى أين تتَّجِه دفَّة الحديث؛ إنه «أمر درامي خاص بالمِثليين» – شِجار منزلي خَرَج عن السيطرة – والآن، بدأت الاتهامات الجامِحة تتطايَر يمنةً ويسرة. أجرَيا اتصالًا لاسلكيًّا للتحرّي عن دامر، وأتاهُما الرد بأنه تحت المُراقبة لارتكابه جنايَةَ اعتداء جنسي على قاصِر. والآن.. أصبَح روث ومولر في حالة تأهُّب.

طَلَب مولر منه مفتاح الأصفاد، فأخبره دامر بأنه على طاولةٍ بجوار الفراش. وعندما اتّجه مولر نحو غُرفة النوم، اضطرَب دامر فجأةً وحاول تجاوُزه. لكِن روث اعترض طريقه وأجبرَه على التوقُّف.

دَخَل مولر إلى غُرفة نوم دامر بمُفرده، ووَقَف هُناك في الضوء الخافِت. أول ما لَفَت انتباهه كان برميلًا بلاستيكيًّا أزرقَ ضخمًا في رُكن غُرفة النوم. كما رأى تلفازًا، وجهاز فيديو، على خزانة الملابِس المواجِهة للفِراش، وخزانة ملفَّات معدنيَّة سوداء ذات دُرجَين. لكِن ما جذب انتباهه هو ما بدا وكأنه بُقع دِماءٍ جافَّة على ملاءات الفراش، وبُقع دماء باهِتة على الجدار المُجاوِر له، وكأن شخصًا ما قد مَسَح الجدران؛ إلا أنه لم يستطِع إزالة البُقَع تمامًا. زُيِّنَت غُرفة النوم، مثل غُرفة المعيشة، بمُلصقاتٍ مُثيرة، بينما غُطِّيَت النافِذة بنفس الستائِر الزرقاء السميكة.

وعندما اقترَب مولر من الطاوِلة المُجاوِرة للفِراش لجلب مفتاح الأصفاد، انجذبَت عيناه إلى كومةٍ من الصوَر في دُرجٍ مفتوحٍ جُزئيًّا. استغرق الأمر من مولر بضع ثوانٍ لاستيعاب ما يراه؛ رءوسًا وأعضاءً ذكرية مقطوعة، وأجسادًا مبتورة الأوصال. وفي إحدى الصور، رأى رأسًا مقطوعًا مَطليًّا بالذهب، مُحاطًا بيدَين مقطوعتَين، جاثِمًا على كومةٍ من الثلج في حوض مطبَخ، وبجواره زُجاجة من «داون» مُنظِّف الأطباق وإسفنجة. بالإضافة إلى سلسلةٍ من الصور لرجالٍ سُود البشرة فاقدي الوعي، أو موتى، وأيديهم مُكبَّلة خلف ظهورهم. وصورة لجُثَّة في حوض استحمام، مقطوعة الأحشاء ومسلوخة حتى ظَهَر القفص الصدري. وسلسلة أخرى من الصور لجُثَّةٍ مقوَّسةٍ للخلف فوق ملاءة. وتَعرَّف مولر على الفور في العديد من الصور على ديكور الشقَّة التي يقِف بين جنباتها – لكِنه لم يُصدِّق ذلِك أبدًا.

وعندما رأى دامر مولر يخرُج من غُرفة النوم، بوجهٍ شاحب، مُمسِكًا بالصوَر بين يدَيه، بدأ يُقاوِم حتى اضطرَّ الضابطان إلى تثبيته أرضًا وتقييد يدَيه. وعَلِمَ مولر الآن أنه لن يُنهي دوريَّته في الوقت المُحدَّد هذا المساء.

وبينما ثبَّت روث دامر أرضًا، بدأ مولر، المُصاب بحالة ذهولٍ تقريبًا، يُحاوِل العثور على مصدَر الرائِحة الفظيعة. دَخَل إلى المطبخ، مارًّا بكومةٍ من المقالي التي تجمَّعَت فيها مادَّة لزِجة ذات لونٍ بُنّي داكِن. حتى وَصَل بشكلٍ غريزيٍّ إلى باب الثلاجة وفتَحه. وبينما وَمَض الضوء أمامه، حدَّق مولر خلف زجاجة عسلٍ بلاستيكيَّة، وعبوات الخردل والبُهارات، في وجه رجلٍ أسود يُطالِعه من داخِل صندوقٍ من الورق المُقوى على الرفِّ السُّفلي. وبجانِبه، قبعَت عبوةٌ مفتوحة من بيكربونات الصودا «أرم آند هامَر» لامتصاص الرائِحة الكريهة.

وداخِل المُجمِّد، عَثَر مولر على أكياسٍ بلاستيكيَّة تحتوي على نوعٍ من اللحوم، ورأسٍ مُتحلِّلٍ بلا وجه، تبرُز تجاويف جُمجُمته الفارِغة من خلال الكيس البلاستيكي المُتجمِّد غير الشفَّاف. وبينما تراجَع مولر مُبتعِدًا عن الثلاجة في حالةٍ من الرُّعب، سَمِع دامر يتذمَّر قائِلًا: «توجَّب عليَّ الموت، جزاءً لي على ما فعلت».

وخلال الأيام القليلة التالية، عندما تولَّى مُحقِّقو جرائِم القتل، وفنِّيُّو الطب الشرعي زمام الأمور، عثرَت شرطة ميلووكي على مجموعةٍ من الرفات البشريَّة المذبوحة، بما في ذلك قلبٌ بشري عُثِر عليه في الفريزر،

وثلاث جذوع بشرية تطفو في محلولٍ ملحي من المواد الكيميائيَّة في برميلٍ سعة سبعةٍ وخمسين جالونًا. وعثروا في الفريزر القابع أرضًا، على ثلاثة رءوس مقطوعة، وجذع، وقِطَع أخرى متنوّعة من اللحم البشري. كما علقَت «فطائِر» من اللحم البشري مُغلَّفة بالبلاستيك في بركةٍ مُجمَّدةٍ من سوائِل الجسد المُتراكِمة في الجُزء الخلفي من الثلاجة، والتي كان لا بُد من إزالة الجليد عنها. وفي صندوقٍ من الورق المقوى، الذي احتوى على حاسوب دامر يومًا، عثروا على جُمجُمتَين وألبوم يحتوي على مزيدٍ من صور البولارُويد للضحايا بين ضِفَّتَيه. في حين كَشَف الدُّرج العلوي لخزانة الملفَّات السوداء بالقُرب من فِراش دامر عن ثلاثِ جماجِم أخرى، بينما امتلأ الدُّرج السُّفلي بخليطٍ من العظام البشرية من هيكلٍ عظميٍّ كامِل. ناهيك عن قِدْرَين من الأواني على الرفِّ العلوي لخزانة غُرفة النوم؛ احتوى أحدُهما على رأسَين، بينما احتوى الآخر على أعضاء تناسُليَّة ذكريَّة مقطوعة، وزوج من الأيدي. وفي النهاية، فهرَسَت شرطة ميلووكي رفات إحدى عشرة ضحيَّة في شقَّة دامر الصغيرة المكوَّنة من غُرفة نومٍ واحدة.

وبحلول يوليو 1991، عندما اعتُقِلَ دامر، كانَت الولايات المُتَّحِدة الأمريكيَّة تشهَد ارتفاعًا في عدد حالات القتل المُتسلسِل بنحو 1500 حالة في الثلاثين عامًا الماضِيَة. واعتاد الأمريكيون تقريبًا على ذلِك. حتى إن البعض تابَع أرقام ضحايا القتلة المُتسلسِلين تمامًا مثل النتائِج الرياضيَّة. وهكذا لاحَت بطاقاتُ القتَلَة المُتسلسِلين في الأفق. فقد كان هذا عصر «تِد بندي»؛ و«جون واين جاسي»؛ و«ديفيد بيركويتز» الشهير بـ «ابن سام»؛ و«ريتشارد راميريز» الشهير بـ «المُطارِد الليلي»، وجميعُهم من القتلَة المُتسلسِلين ذوي الأسماء الشهيرة. وبحلول بداية التسعينيات، تواجَد عدد كبير للغاية من القتلة المُتسلسِلين، حتى إن أعداد الضحايا الكبيرة لم تعُد تُثير إعجاب وسائِل الإعلام في كثيرٍ من الأحيان؛ وتوجَّب وجود تطوُّر. ومن الواضِح أن قضية دامر حملت على عاتِقها هذا التطوُّر.

اعترَف دامر في نهاية الأمر بارتكاب سبع عشرةَ جريمة قتلٍ بين عامي 1978 و1991، وأقرَّ بذنبه في عام 1992. وبُثَّت جلسة استماعه المليئة بالجنون على شاشات التِّلفاز، ليحتلَّ مكانه بين مشاهير القتلة المُتسلسِلين مثل تِد بندي، وجون واين جاسي.

وبدأ عصره، الذي أصبحنا نَصِفُه بسنوات «بلاء القاتِل المُتسلسِل»، بالصُّدفة على بُعد ساعتَين فقط بالسيَّارة من ميلووكي، في بلدة «بلينفيلد» بـ «ويسكونسن». وهذا هو المكان الذي شَهِد فيه «إد جين»، مصدَر إلهام شخصيَّة القاتِل في فيلم «سايكو»، عصرًا جديدًا من جرائِم القتل المُتسلسِلة في عام 1957. وتمامًا مثل قضية دامر، تميَّزَت جرائِم قتل جين بتشويه الجُثَث بشكلٍ بشِعٍ وحصد أجزاء الجسد، مما سلَّط الضوء على القضية على المستوى الوطني. وإنها لأحد تطوُّرات القدَر الغريبة ذلك الذي كشفَ عن بداية ونهاية سنوات بلاء القتل المُتسلسِل الأمريكي في ولاية «ويسكونسن».

ما لم يعرِفه أحد، عندما اتجهَت كُل الأنظار نحو جيفري دامر، هو أنه سيكون الأخير في هذه الموجة من القتلة المُتسلسِلين «المشاهير». سيتواجَد العديد من القتلة المُتسلسِلين في المُستقبل، لكِن لن يحظى أحدُهم بأي

نوعٍ من التركيز والاهتمام الذي تلقّاه جيل دامر من القتلة المُتسلسِلين، وما زال يتلقّاه حتى يومِنا هذا. السؤال هو؛ لماذا يستكشِف أحد موضوعات هذا الكِتاب عصر بلاء القتلة المُتسلسِلين هذا؟

مُقدِّمة

العصر الذهبي للقتلة المُتسلسِلين

يُعد «العصر الذهبي للقتلة المُتسلسلين» مُصطلحًا ساخِرًا صاغَه هارولد شيشتَر، المؤلِّف والمؤرِّخ الأمريكي المُتخصِّص في كتابات القتلة المُتسلسِلين في القرن «التاسِع عشر»، وأوائِل القرن «العشرين». لأن الأساطير اليونانيَّة استخدمَت تعبير العصر الذهبي لوصف حقبةٍ بدائيَّة من السلام، والاستقرار، والوِئام، والازدهار أقرَب إلى الجنَّة الإنجيليَّة؛ لوصف أفضَل الأزمان. واليوم يُطبَّق المُصطلح على جميع أنواع الأشياء؛ فيُقال العصر الذهبي لموسيقى الجاز، والعصر الذهبي للإبحار، والعصر الذهبي للراديو، والعصر الذهبي لمجلَّات القصص المُصوَّرة، والعصر الذهبي للتِّلفاز، والعصر الذهبي لهوليوود، وحتى العصر الذهبي للقرصنة، والعصر الذهبي للجريمة المُنظَّمة، والعصر الذهبي للإباحيَّة. ويُطلَق هذا المُصطلَح بأثرٍ رجعي بعد مرور العصر، وغالبًا ما يُستخدَم بدافِع الحنين لوصف حقبةٍ تُمثِّل الأفضَل في شيءٍ ما، والأكثر ابتكارًا، وإثارةً، وريادةً.

كما اقتبَس كريستوفر بيم من شيشتر، في مقالٍ نُشِر عام 2011 في مجلة سليت، بعنوان «فُقدان الدم: شَح القاتِل المُتسلسِل»، قوله: «يبدو أن العصر الذهبي للقتلة المُتسلسِلين قد ولّى على الأرجَح»[(I)]. وما قصده شيشتَر ساخِرًا هو أنه لم يعُد هُناك اليوم افتتان بـ «الأخبار العاجِلة» الواسِعة النِطاق لـ «مشاهير» القتلة المُتسلسِلين، كما كان الحال من قبلُ في عقود الخمسينيات وحتى التسعينيات. ومع ذلِك، ففي وقتِها، عندما حَدَث ذلِك، أُشير إلى هذه الزيادة في عدد القتلة المُتسلسِلين في الولايات المُتحِدة باسم «بلاء القاتِل المُتسلسِل».

إن مرور هذه الحقبة – عصر «تِد بندي»، و«إدموند كِمبَر»، و«جون واين جاسي»، و«ابن سام»، و«جيفري دامر» – أعقبه انخفاضٌ إحصائي كبير في عدد القتلة المُتسلسِلين الذين قُبِضَ عليهم في فترة العقدَين الأول والثاني من «القرن الحادي والعشرين»، مُقارنةً بالثلاثة عقود السابِقة من (سبعينيَّات، وثمانينيَّات، وتسعينيَّات القرن العشرين). حيث لم يحدُث انخفاض في عدد القتلة المُتسلسِلين فحسب؛ بل كان هُناك أيضًا انخفاض كبير في عدد ضحايا كُل قاتِلٍ مُتسلسِل منهم. فمن عام 1970 وحتى عام 1980، تراوَح المتوسِّط بين عشر إلى ثلاث عشرة ضحيَّة لكُلِّ قاتِل مُتسلسِل. وبحلول العقد الأول من القرن «الحادي والعشرين»، انخفض العدد بشكلٍ ملحوظٍ إلى ما بين ثلاثة إلى أربعة ضحايا، ولم تكُن هُناك أي حالاتٍ حديثة في الولايات المُتّحِدة لقتلة مُتسلسِلين بـ «أعدادٍ كبيرة» كما في «العصور الذهبيَّة» مثل خوان كورونا 25، ودين كورل 28، وتِد بندي 35، وجون واين جاسي 33، وجاري رِدجواي 49، أو صامويل ليتل، الذي رُبِط مؤخّرًا بما يصل إلى ما بين 50 إلى 93 جريمة قتل مُتسلسِلة في الفترة بين 1970 إلى 2005[(II)].

وكما خَلُصَ خبير جرائِم القتل المُتسلسِلة «إريك هيكي» في عام 2016: «فما بين عامي 2000 إلى 2014، ظَهَر القتلة المُتسلسِلون ببطءٍ وهدوءٍ أكبر. في الواقِع، وعلى مدار الخمسة عشر عامًا الماضيَة، نَدُرَ عدد القتلة المُتصدِّرين للعناوين الرئيسيَّة، مثل «دامر»، و«جاسي»، و«كِمبر»، و«رادِر». وقد ظَهَر العديد من القتلة المُتسلسِلين في السنوات الأخيرة، دون أن يتلقَّوا سوى القليل من اهتمام وسائِل الإعلام. وجُزء من السبب هو أن مُعظم الحالات الجديدة لا تحمِل قصصهم أي دراما اجتماعيَّة، أو طبقة اجتماعيَّة، أو أعدادًا كبيرةً من الجُثَث بحيث تكون ذات مصلحة عامَّة جديَّة»[(III)].

ورغم حدوث العديد من الزيادات الصغيرة في جرائِم القتل المُتسلسِلة في الماضي، إلا أن نِطاقها وعددها لم يكُن قابلًا للمُقارنة بالزيادة التي حدثت في الخمسينيات وحتى التسعينيات. فمن بين 2604 قتَلة مُتسلسِلين تمَّ التعرُّف عليهم في الولايات المُتحِدة خلال القرن «العشرين»، ظهرَت نِسبة 89.5٪ أي ما يُعادِل 2331 من القتلة بين عامي 1950 و1999، كما ظهرت نِسبة 88٪ منهم في العقود الثلاثة ما بين 1970 حتى 1999 – وهي ذروة «البلاء». ولنترُك الأرقام تتحدَّث عن نفسها.

القتلة المُتسلسِلين في الولايات المُتحِدة حسب العقد 1900 – 2016[(IV)]

1900	49
1910	52
1920	62
1930	55
1940	55
1950	72
1960	217
1970	605
1980	768
1990	669
2000	371
2010	117

وفي مُنتصف «العصر الذهبي» صيغ مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل»، مما خَلَق ظاهِرة جديدة تمامًا يُمكِن التعرُّف عليها في خطابنا السياسي، والاجتماعي، والنفسي، والطب شرعي، والثقافي، رغم أنه تواجَد بلا تسمِيَةٍ منذ بداية التاريخ البشري. وقبل تسميَتها بهذا الاسم، نُظِر إلى عمليات القتل المُتسلسِل على أنها أعمال انحرافٍ شخصي فرديَّة، غير مُتَّصِلة، وغير قابِلة للتفسير. لكِن بمُجرَّد تصنيفها، أصبَحَت جُزءًا من شيءٍ أكبر من مُجرَّد مُرتكِب جريمة فرديَّة مُنحرِفة. وظَهَر القتلة المُتسلسِلون كنوعٍ مُحدَّدٍ من الجُناة، لهم سُلالات فرديَّة مُصنَّفة، أو «ملفَّات تعريف» لكُلٍّ منها خصائِص، ودوافِع دقيقة، ونِظام نفسي مَرَضي من نِطاقات السلوكِيَّات، و«البصمات» المُعتَرَف بها، والموصوفة، والمُفهرَسة، التي يُمكِن للمُحلِّلين التعرُّف عليها.

ومع بدء تضاعُف عدد القتلة المُتسلسِلين بشكلٍ كبير، تزايَدَت حسابات وسائِل الإعلام عن أعداد جُثثهم، في سباقٍ مروّعٍ من نوعٍ ما للوصول إلى القمَّة لمعرِفة أي قاتِلٍ مُتسلسِل سيتصدَّر العناوين الرئيسيَّة بأيِّ طريقةٍ جديدةٍ غريبة، وبأعداد الضحايا الصادِمة. واحتلَّت أخبار القتلة المُتسلسِلين الصفحات الأولى.

منذ أواخِر الستِّينيات، وحتى التسعينيات، ومع تزايُد عدد القتلة المُتسلسِلين، أصبحوا أكثر شُهرة؛ وأصبح قتلة مثل «جيري برودوس»، و«إدموند كِمبَر»، و«تشارلز مانسون»، و«تِد بندي»، و«جون واين جاسي»، و«ديفيد بيركويتز»، و«راندي كِرافت»، و«ليونارد ليك»، و«تشارلز نِج»، و«كينيث بيانكي»، و«أنجيلو بونو»، و«آرثر شاوكروس»، و«ريتشارد راميريز»، و«هنري لي لوكاس» يُمثِّلون مجموعةً كبيرة من القتلة المُتسلسِلين «النجوم» الذين خلبوا ألبابنا وكأنهم نجوم سينما أو رياضيون. وبذلِك ظهرَت بطاقات القتلة المُتسلسِلين، والتقويمات، وعُلَب الطعام، ولعب الشخصيات، وكُتب التلوين، والصناعات المُساعِدة مثل الاتِّجار بمُقتنيات القتلة المُتسلسِلين مثل التُّحَف، والأعمال الفنيَّة، والتوقيعات.

وفي الثمانينيات، حدَّد مكتب التحقيقات الفيدرالي القتلة المُتسلسلين باعتبارهم تهديدًا «بلائيًّا» مُتميِّزًا عن القتلة الآخرين، وقدَّم استجابة في شكل «أ»: «ملفَّات تعريفيَّة جنائيَّة» مُتخصِّصَة في وحدة العلوم السلوكيَّة التابِعة لمكتَب التحقيقات الفيدرالي، و«ب»: قاعدة بيانات مركزيَّة تهدف إلى ربط جرائِم القتل الفرديَّة في جميع أنحاء الولايات المُتحِدة بجُناةٍ مُحدَّدين، «برنامج القبض على المُجرمين العنيفين». وهكذا رُتِّبَ وصُنِّفَ القتلة المُتسلسِلون حسب النوع والسلوك، مثل أنواع الحشرات.

وبمُجرَّد ظهور مُصطلحي «القاتِل المُتسلسِل» و«المُحلِّل»، غذَّت مجموعة من الأفلام، والكُتب، والبرامِج التليفزيونيَّة بصناعةٍ ترفيهيَّةٍ ضخمةٍ تُركِّز على الحكايات «الخياليَّة والحقيقيَّة» للقتلة المُتسلسِلين ومخاوِفهم، وقد تكون «صمت الحِملان» هي الرواية والفيلم الرائِدَين على حدٍّ سواء في هذا النوع.

القاتِل المُتسلسِل: التعريف الحالي

في حين يُركِّز هذا الكِتاب في المقام الأوَّل على جرائِم القتل المُتسلسل الجنسيَّة، إلا أنه يستخدِم، لأغراضٍ إحصائيَّة وتاريخيَّة، التعريفَ الحالي للقتل المُتسلسل الذي رُوجِع واعتُمِدَ في ندوة «سان أنطونيو لجرائِم القتل المُتسلسل» في عام 2005، برعاية المركَز الوطني لتحليل الجرائِم العنيفة، ووحدة التحليل السلوكي، التابِعَين لمكتب التحقيقات الفيدرالي، والتي عرَّفَت القتل المُتسلسل بأنه: «القتل غير القانوني لضحيَّتَين أو أكثر على

يدِ نفس الجاني «أو الجُناة» في حوادِثَ مُنفصِلة، لأي سببٍ من الأسباب، بما في ذلِك «الغضب، والإثارة، والمكاسِب الماليَّة، والبحث عن الاهتمام»»[(V)]. «وأتفِق مع هذا بشكلٍ شخصي».

في الماضي، عرَف القاتِل المُتسلسِل بشكلٍ تقليديٍّ على أنه الشخص الذي يقتُل ثلاث ضحايا أو أكثر، في جرائِم قتلٍ مُنفصِلة مدفوعة بالخيال الجنسي، مع فترة «هدوء» تفصِل بينها. وأدرَك مكتب التحقيقات الفيدرالي أن تعريف الـ «ثلاث ضحايا» يُمثِّل جميع أنواع المُشكِلات الإحصائيَّة والمفاهيميَّة. لأنه استبعَد القتلة الذين يُعانون من مرَض القتل المُتسلسِل النفسي، الذي يُمكِن التعرُّف عليه، والذين قُبِضَ عليهم بعد جريمة القتل الأولى أو الثانيَة، قبل أن يرتكِبوا الجريمة الثالِثة المطلوبة. دون أن يؤخَذ في الاعتبار المُجرمون المُتسلسلون الذين أُدينوا مرَّتَين فقط، رغم أنهم قتلوا أكثر من ذلِك، وبالتالي.. استبعَدوا من الناحية الفنيَّة بعض القتلة المُتسلسلين التاريخيِّين السيئي السُّمعة، مثل «ألبِرت فِش»، و«إد جين»، و«ألبِرت ديسالفو» الشهير باسم «خانِق بوسطن»، و«واين ويليامز»، الذين أُدِينوا جميعًا بجريمة قتلٍ واحِدة أو جريمتَين فقط، رغم الشكوك المُقنِعة بوجود العديد من الضحايا.

ويُضمَّن القاتِلات المُتسلسِلات الشرسات، والقتلة المدفوعون بالربح، وقتلة الإبادة الجماعيَّة، والقتلة المأجورون، ورجال العصابات، والقتلة المُتسلسِلون من النوع التبشيري مثل الإرهابيين، أو أولئِك الذين قد يستهدِفون أطِباء الإجهاض، أو الأزواج من أعراقٍ مُختلِفةٍ، تحت المظلَّة الواسِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي التي تُحدِّد ما يُشكِّل قاتِلًا مُتسلسِلًا اليوم؛ وهو أي شخصٍ يقتُل شخصَين أو أكثر في حوادِث مُنفصِلة بشكلٍ واضِح.

ومع ذلِك، ولأغراض هذا الكِتاب، أركِّز على القتلة المُتسلسِلين الجنسيين من الذكور، على شاكِلة «تِد بندي»، والذين غالبًا ما نَربطهم بمُصطلح «القاتِل المُتسلسِل»، والذين يُشكِّلون غالبيَّة القتلة المُتسلسِلين[(1)].

يُركِّز هذا الكِتاب على يُسمَّى بسنوات البلاء «العصر الذهبي»، ويصِف بعض الحالات الأكثر أهميَّة، واستجابة سُلطات تطبيق القانون، ومُجتمعات الطب النفسي الشرعي، والسياق التاريخي، والاجتماعي، والثقافي. وبهذه الطريقة، أحاوِل تفسير هذه الزيادة غير المسبوقة في جرائِم القتل المُتسلسِل، ورُبما أيضًا تفسير تراجُعها الأخير «والذي نأمُل أن يدوم».

1 غالبًا ما تُضمَّن القاتِلات المُتسلسِلات، والقتلة المُتسلسِلين الذين يقتلون بدافِع الربح في الإحصاءات الإجماليَّة المُجمَّعة عن القتلة المُتسلسِلين، كما هو الحال، على سبيل المثال، في قاعدة بيانات القتلة المُتسلسِلين في جامِعة رادفورد «جامعة ساحِل خليج فلوريدا»، والتي كثيرًا ما أستشهِد بها. «المؤلِف»

الفصل الأول

أبناء قابيل

تاريخ جرائِم القتل المُتسلسِلة

من العصر الحجري وحتى 1930

«أنا آسِفٌ لأنني عجزتُ عن قتل الجنس البشري اللعين بأكمله».

كارل بانزرام، قاتِل مُتسلسِل

القتلة المُتسلسِلون موجودون منذ بداية الخليقة، إلا أننا لم نُطلِق عليهم هذا الاسم. قبل الحضارة، كان البشر كائِناتٍ حيوانيَّة، قاتِلة، وآكِلة للحوم البشر، مدفوعةً بمجموعةٍ من السلوكيات الغريزيَّة الضروريَّة للبقاء على قيد الحياة لمئات الآلاف من السنين؛ رُبما لأكثر من مليون سنة، اعتمادًا على كيفيَّة تعريف «الإنسان»[(VI)].

وكان هُناك على الأقل نوعان مُتميِّزان من البشر يتعايشان في القارَّة الأوروبيَّة منذ ما يقرُب من أربعين ألف عام؛ الإنسان العاقِل، والإنسان البدائي «إنسان نياندرتال». ثُم، وفي غضون خمسة آلاف عام، اختفى الإنسان البدائي فجأة، على الأرجَح في حرب إبادةٍ وغزو جماعيَّة شنَّها الإنسان العاقِل، حيث ذبحْنا بشكلٍ تعسُّفيٍّ ذكور النياندرتال واغتصبنا نساءهم[(VII)]. وأحد تفسيرات نجاحِنا في تلك المذبحة هو أن الإنسان العاقِل طوَّر موانِع ضد العدوان تجاه أفرادٍ من جنسنا البشري، بينما لم يفعل النياندرتال ذلِك[(VIII)]. وهُناك أدِلّة أثريّة تُشير إلى أن النياندرتال قتل بعضُهم بعضًا، وأكلوا لحوم بعضهم البعض، بمُعدَّلٍ أعلى من الإنسان العاقِل، وفي خضمِّ رحى الحرب بين النوعَين، أعطانا ذلِك الأفضليَّة، رغم حقيقة أن النياندرتال كانوا أشدّ قوَّة جسديَّة، وأكثر قُدرة منّا على صِناعة الأدوات الحجريَّة والأسلِحة[(IX)].

قال أحد الباحثين، وهو المؤرِّخ الكِتابي «روبرت إيسلر»، إن البشر كانوا في وقتٍ من الأوقات جنسًا نباتيًّا مُنصاعًا، لكِن بداية العصر الجليدي الأخير قلَّلَت من توافُر النباتات الصالِحة للأكل في المناطِق الشماليَّة، وإن البشر أصبحوا أكلة لحوم بدافِع الضرورة. وفي مرحلةٍ ما، حتى الفرائِس الحيوانيَّة أصبحَت نادِرة، وهاجَر البشر الشماليون الذين يرتدون فراء الحيوانات جنوبًا، ليُهاجِموا، ويقتلوا، ويغتصِبوا، ويأكلوا لحوم البشر النباتيِّين الأكثر لُطفًا الذين عاشوا في المناخات المُعتدِلة[(X)]. وفي كِتابه الصادِر عام 1951 بعنوان: «مِن الرجُل إلى الذئب: تفسير أنثروبولوجي للسادية والمازوشية والليكانثروبي»، جادَل إيسلر بأن هذا ما كان

أصل أساطير المُستذئبين، والجذور السلوكيَّة للقتلَة المُتسلسِلين المُعاصِرين. وفي الواقِع، ظهر مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» في كِتاب إيسلر في إحدى أوائِل مرَّات ظهوره في اللُّغة الإنجليزيَّة[XI].

ولأكثرَ من مليون عام، قُيِّدنا بمجموعةٍ من غرائِز الزواحِف الضروريَّة لبقاء أي نوع: المجموعة التطوُّريَّة الرُباعية الدوافِع – وهي قُدرَة غير مُثقلَة على القِتال، أو الفرار، أو الإطعام ومُمارسة الجِنس. لقد كُنَّا جميعًا مرضى نفسيًّا، لأنه توجَّب علينا ذلِك. ولكِن هُناك أدِلَّة على أنه في ذروة مذبحتنا للنياندرتال منذ حوالي أربعين ألف عام، وقبل أن نتمكَّن من تحويل كُل هذا العدوان إلى أنفُسنا، طوَّرنا خوفًا غريزيًّا من موتانا – ألا وهو «رُهابُ الموتى». هذا الخوف، الذي وُجِّه بشكلٍ خاصٍّ نحو الأقرَبين إلينا، كان خوفًا من أننا إن لم نُعاملهم بشكلٍ جيِّد في حياتهم، فسينهضون من قبورهم بعد الموت لينتقِموا منَّا. والدليل موجود فيما يُسمى «المدافِن المُنحرِفة» أو «مقابِر مصَّاصي الدِّماء» التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، والتي اكتشفها عُلماء الآثار، والتي بُتِرَ فيها الجسد، أو أُمِّن، أو ثُبِّت، أو شُوِّه بطريقةٍ ما، لمنعه من النهوض من بين صفوف الموتى. والحجَّة هي أن «رُهاب الموتى» يتطلَّب منَّا رعاية كِبار السن، والمرضى، والضُّعفاء عوضًا عن التخلي عنهم كما تفعل مُعظم الأجناس، وهو الأمر الذي يتطلَّب درجةً من التنظيم الاجتماعي والنِّظام، وهو مفتاح الحضارات المُستقبليَّة[XII].

ثُم، ومع ظهور الزراعة منذ حوالي خمسة عشر ألف عام، بدأت «الحضارة» تُحيط بنا، وأدانَت مبادئ الأديان الحديثة المنشأ، والقوانين العلمانيَّة لفرض الامتياز الغريزي لـ «رُهاب الموتى»، القتل الجامِح، والاغتصاب، وأكل لحوم البشر. ولضمان وجود مُجتمعٍ مُنظَّم، بدأ البشر يُطوِّرون موانِع اجتماعيَّة ضِد تلك السلوكيات. لكِن تلك الموانِع كانَت اصطناعيَّة. لأن خمسة عشر ألف عام من الحضارة لم تكُن كافيةً لإخماد نيران خمسمائة ألف عام من غريزة القتل المُتأصِّلة في حيوانٍ يتمتَّع بحُريَّة التفكير والتطوُّر مثل الإنسان.

في الواقِع، لا يوجَد نوع من البشر أقل رُهابًا من الموتى من القتلة المُتسلسِلين. لأنهم لا يتعاملون مع الجُثَث أو يتلاعبون بها بشكلٍ روتينيٍّ فحسْب دون خوفٍ أو اشمئزاز، بل يُمكِن لهم حتى أن يَصِلوا بجموحهم إلى نقيض «رُهاب الموتى» تمامًا؛ وهو «مُجامعة الموتى»، وهو الانجذاب الجنسي للجُثَث. ويُعتبَر هذا الموضوع من المُحرَّمات حتى إنه غالبًا ما يُقلَّل من أهميَّته في التقارير الإخباريَّة، وتقارير الجرائِم الحقيقيَّة. وهذا ما يدفعنا لننسى أن القتلة المُتسلسِلين السيئي السُّمعة مثل «جاك السفَّاح»، و«تِد بندي»، و«جاري رِدجواي» كانوا من مُجامِعي الموتى في المقام الأول. وهو الأمر الذي لا يزال تكراره الدقيق في قضايا القتل المُتسلسِل مُثيرًا للجدل إلى حدٍّ ما حتى يومِنا هذا. وعلى أعلى المستويات، خلصَت جرائِم القتل الجنسي التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي في الثمانينيَّات، إلى أن «الفعل الجنسي» قد ارتُكِبَ بعد وفاة الضحية فيما يُعادِل نسبة 42٪ من الضحايا الـ 92 الذين شملتهم الدراسة. في إحدى الحالات، على سبيل المثال، استمنى مُرتكِب الجريمة داخِل الجرح الذي قطعه بسكينِه في جسد ضحيته[XIII]. وعلى الحد الأدنى، خلصَت وحدة التحليل السلوكي التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 2014 إلى أن «النشاط الجنسي بعد الوفاة» مثَّل بنسبةٍ تُعادِل 11.2٪ من أصل 329 حالة قتل جنسي مُتسلسِل ارتكبتها عيِّنة متنها 64

مُجرمًا[XIV]. وحتى في حالات القتل غير المُتسلسِل، أُبلِغَ في كثيرٍ من الأحيان، عن أعمال «انتهازيَّة» لمُجامعة الموتى مع جُثَث لا تزال دافِئة[XV]. وهذا من المُحرَّمات حتى إن العديد من القتلة المُتسلسِلين الذين يعتَرِفون، ويَصِفون بحُريَّةٍ أعمال التعذيب، والاغتصاب، والتشويه، وأكل لحوم الجُثَث سيتردَّدون في الاعتراف بمُجامعة الموتى. وهكذا.. انتشرَت الإحصائيات الواسِعة النِطاق. أما اليوم، فلدَينا جميع أنواع المُصطلحات العلميَّة، والاجتماعية، والنفسيَّة لوصف الأشخاص الذين يُعانون من موانِع خاطِئة للغرائِز البدائيَّة؛ من الإجرام البسيط، إلى المفاهيم الأكثر تعقيدًا للاعتلال النفسي، والاعتلال الاجتماعي، واضطراب الشخصيَّة المُعادية للمُجتمع. لكِن، وحتى وقتٍ قريب للغاية، اعتدْنا أن نصِف البشر دون التطرُّق لموانِع هذه الغرائِز.

مسخ: مصَّاصو دِماء مُنظَّمون، ومُستذئِبون غير مُنظَّمِين.

اشتُقَّت كلِمة «مونستر» التي تعني مسخ، من الكلمة اللاتينيَّة «مونسترام»، والتي تعني «نذير أو تحذير من إرادة الآلِهة»[XVI]. في الماضي ما قبل الحديث، ساد تصوُّر بأن القتلة المُتسلسِلين هُم وحوش خارِقة للطبيعة مثل مصَّاصي الدِّماء، والمُستذئِبون، والزومبي، والغيلان. وحتى الوَحشان الأساسيان في الخيال الغربي، مصَّاص الدِّماء الميِّت الحي، والمُستذئِب المُتحوِّل بشكلٍ شيطانيٍّ، فقد توافقا تقريبًا مع التصنيف المُنظَّم/ غير المُنظَّم للقتلة المُتسلسِلين الذي استخدمه عُلماء السلوك والمُحلِّلون في مكتب التحقيقات الفيدرالي لعقودٍ من الزمان حتى أهملوه في عام 2004.

وتمامًا مثل مصَّاص الدِّماء، يختار القاتِل المُتسلسِل ويُطارِد ضحاياه بعناية، يَسْحَرهم ويُغويهم، ويخدعهم ويُقنِعهم بدعوته لدخول منازلهم «حسب تقاليد مصَّاصي الدِّماء». وأحيانًا يتحلَّى بالجاذبيَّة، ويتَّخِذ شكلًا إنسانيًّا مُغريًا. فيُسيطِر على أجساد ضحاياه، ويستنزِف دماءهم في شكلٍ من أشكال مُجامعة الموتى المُميتة والشهوة البارِدة. ويُحافِظ على ضحاياه، دون أن يُشوِّههم؛ وعادةً ما يُقاس العُنف والسيطرة عليه ببرود.

بينما يشنُّ القاتِل المُتسلسِل غير المُنظَّم هجومَه الخاطِف بقوَّةٍ غاشمةٍ مُدمِّرة، تمامًا مثل المُستذئب. وعادةً ما يختار ضحاياه بشكلٍ عشوائيٍّ، وبدافِع. دون مُطاردةٍ أو تخطيط. وهؤلاء القتلة حيوانيُّون بشكلٍ مُثير للاشمئزاز. إذ إنهم يَقتُلون، ويُبالِغون في القتل، ويغتصِبون، ويُشوِّهون، وأحيانًا يأكلون ويُدمِّرون ضحيَّتهم في حالةٍ من الغضب الشديد والشهوة الجنسيَّة. دون مُحاولةٍ لحفظ أو مُراقبة جسد الضحية، بل فقط التدمير والاستهلاك الجسدي.

قبل خمسمائة عام في أوروبا، اتُّهِمَ القتلة المُتسلسِلون الذين اغتصبوا ضحاياهم، وقتلوا، وشوَّهوا، وأحيانًا أكلوا لحوم البشر، رسميًّا في كثيرٍ من الأحيان بأنهم مُستذئبون «المُصابون بالليكانثروبي» في كُلٍّ من إجراءات المحكمة الجِنائيَّة والكنسيَّة، ولا تزال سجلَّاتهم قائِمة حتى يومِنا هذا. وبين عامي 1450 و1650، أُعدِمَ حوالي ثلاثمائة قاتِلٍ مُتسلسِل في أوروبا، وهو مُعدَّل مُماثِل لما حدث في القرن «التاسِع عشر» والنصف الأول من «القرن العشرين»[XVII].

ويرى بعض مؤرِّخي الجريمة أنه قبل بداية تحوُّل المُجتمع لصناعيٍّ حوالي عام 1750، لم يكُن القتل المُتسلسِل الجنسي من أي نوعٍ معروفًا تمامًا على أساس النظرية القائِلة بأن الجريمة الجنسيَّة هي «نشاط ترفيهي» يتطلَّب وقتَ فراغ لتطوير الخيالات الجنسيَّة، والتفكير فيها، وحُرية الحركة للتصرُّف بناءً عليها. لأنه قبل العصر الصناعي، انشغل أي شخصٍ آخر، بخلاف الأرستقراطيين الأثرياء للغاية، بمُحاولة البقاء على قيدِ الحياة حتى إنهم لم يمتلِكوا رفاهية تخيُّل الجنس والقتل، كما تقول وجهة النظر. وحاوَل مُعظم الناس يائسينَ إطعام أنفُسهم، والبقاء على قيد الحياة في مواجهة الجيوش الغازية، وقُطَّاع الطُّرق، والثورات، والأوبئة.

لكِنَّ التحوُّل الصناعي دَفَع الجماهير المحرومة والفقيرة إلى المُدن السريعة النمو، حيث أصبحوا جُزءًا من مجموعةٍ كبيرةٍ من الضحايا المجهولين الذين سيُصطادون ويُقتَلون، مثل بائعات الهوى اللاتي استهدفهُنّ «جاك السفَّاح» في منطِقة «وايت تشابِل» بلندن عام 1888. وكانَت الحُجَّة أنه قبل وجود المُدن الكُبري، تماسكَت المُجتمعات بإحكام حيث عَرف الجميع، وراقب بعضهم البعض. وهكذا أمكَن التعرُّف بسهولةٍ على القاتِل المُتسلسِل في مثل هذه المُجتمعات، في حين يبرُز الغريب المُهاجِر ويلفِت الشكوك والاهتمام بسُرعة، بطريقةٍ لا يُمكِن أن تحدُث في المُدن الحديثة المُكتظَّة بالسُّكَّان.

لكِننا نعلَم الآن أن القتلة المُتسلسِلين تواجَدوا قبل التحوُّل الصناعي، وأنهم ظهروا في التجمُّعات الريفيَّة بقدْر ما ظهروا في البيئات الحضرية المُزدحِمة.

وكثيرًا ما حقَّقَت السُّلطات الكنسيَّة، والمُحقِّقون صائدو السحرة، بشكلٍ مُتكرِّرٍ حتى مُنتصف القرن التاسِع عشر، عندما حلَّ رجال الشُّرطة، وعُلماء الجريمة، والأطِبَّاء النفسيون الشرعيون محلَّ الكهنة، وعُلماء الشياطين، ومُحقِّقي الكنيسة في تقييم طبيعة السلوك الإجرامي والجنون. وبدأنا نعتبِر القتلَة المُتسلسِلين بشرًا، لا كائناتٍ خارِقة للطبيعة، لكِننا ما زلنا لم نستخدِم مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» بعدُ. حيث كانت الصحافة الشعبيَّة لا تزال تُطلِق على الأفراد المُتَّهمين بارتكاب جرائِم مثل القتل المُتكرِّر، والاغتصاب، وأكل لحوم البشر، ومُجامعة الموتى ألقابًا مثل المسوخ، والمُستذئبين، ومصَّاصي الدِّماء، لكِن «الأطبَّاء العقليين»، كما أُطلِق على الأطبَّاء النفسيين آنذاك فحصوهم، وقالوا إنهم يُعانون من الهوس الأُحادي، والذي عرَف بأنه استحواذ أو هوس مَرَضي فردي في عقلٍ سليم.

ظهرَت مدرستان لعلم الجريمة. فزعمَت المدرسة الإيطاليَّة، بقيادة «سيزار لومبروسو» (1835 – 1909)، أن المُجرِمين، بما في ذلِك القتلة المُتسلسِلين، قد وُلِدوا مُجرِمين، أي أنهم «ارتداد» للبشر البدائيين الذين يُمكِن التعرُّف عليهم من خلال سِماتهم الجسديَّة الوحشيَّة الشبيهة بالقردة «وفقًا لعِلم الفراسة». بينما ذهبَت المدرسة الفرنسيَّة المُنافِسة تحت قيادة «ألكسندر لاكاساني» (1843 – 1924) إلى أن المُجرِمين لا يُولَدون هكذا، بل هُم نِتاج بيئاتهم وتربيتهم. وكان «لاكاساني» هو صاحِب التصريح الشهير بأن: «المُجتمع يحظى بالمُجرمين الذين يستحِقُّهم». «الذي أعاد روبرت إف. كينيدي صياغته الشهيرة عندما كان وزيرًا للعدل في الولايات المُتحِدة». وتغلَّبَت مدرسة «لاكاساني» لعلم الجريمة «البيئيَّة» على مدرسة «لومبروسو»

عندما تبيَّن أن بعض المُجرمين السيئي السُّمعة يتمتَّعون بسماتٍ مُهذّبة. لكِن لسوء الحظ، وفي نوعٍ من «عدم خلط الصالِح بالطالِح»، تمَّ التخلُّص من نظرية «لومبروسو» حول العودة الرجعيَّة جنبًا إلى جنبٍ مع نظريته في عِلم الفراسة. وفي كتابي السابِق، بعنوان «أبناء قابيل»، دعوتُ إلى إعادة النظر في النظرية التي تقول إن سلوك القاتِل المُتسلسِل يرتبِط جُزئيًّا بغرائِز البقاء البشرية «القصيرة الدائِرة» التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ الرُباعية الدوافِع.

الطب النفسي الشرعي

في عام 1886، نَشَر الطبيب النفسي النمساوي «ريتشارد فون كرافت إيبنج» 1840 – 1902 كِتابه «الاعتلال النفسي الجنسي: دراسة الطب الشرعي السريري». حيث فهرَس ورتَّب في هذا الكِتاب مجموعةً واسِعة من الجرائِم والاضطرابات الجنسيَّة التي أبلَغ عنها الأطِبَّاء النفسيون. وحدَّد «كرافت إيبنج» سلسلة من الشذوذ الجنسي «حرفيًّا: الحُب غير العادي»، والمعروفة أكثر باسم «الانحرافات الجنسيَّة» أو «الفساد الأخلاقي»، والتي غالبًا ما حفَّزَت وميَّزَت جرائِم القتل الجنسي المُتسلسِلة. وإحدى أكثر هذه المُمارسات شُهرةً هي المُتعة الجنسيَّة المُسبِّبة للألم، والتي صاغ لها «كرافت» مُصطلح «الساديَّة»، مستوحيًا إياه من الفرنسي الخليع «ماركيز دو ساد» (1740 – 1814)، مؤلِّف رواية العُنف الجنسي «مائة وعشرين يومًا من الرذيلة» أو «مدرسة الخلاعة».

وعُثِرَ على «شذوذ الولَع الجنسي» بشكلٍ حصريٍّ تقريبًا عند الذكور، وهو ولع مهووس بنوعٍ خاصٍّ للغاية وغير عادي من الناحية الإحصائيَّة من الجِنس، والذي بدونه تستحيل إثارة الشخص. ويشمل «شذوذ الولَع الجنسي» سيناريوهات خياليَّة مُحدِّدة، وتعلُّقًا جنسيًّا بجُزءٍ غير تناسُلي مُعيَّن من الجسد البشري «الولَع الجُزئي»، وإضفاء الطابع الجنسي على الجمادات «الميل الجنسي»، واستبدال الفعل الجنسي بفعلٍ آخر. وهُناك العشرات من أنواع «شذوذ الولَع الجنسي» المُختلِفة، وبعضها يُصبِح حميدًا إذا تعامَل معه الشريك بالتراضي، مثل:

-ألتُكالسيفيليا، وهو «الميل الجنسي للأحذية ذات الكعب العالي».

-كوبروفيليا، وهو «الميل الجنسي للبُراز، أو مِن تبرُّز أيٍّ منهما هو أو الشريك الراغِب على بعضهما البعض».

-هيفيفيليا، وهو «الميل الجنسي للمس أشياء مُعيَّنةٍ مثل الريش، أو نسيجٍ مُعيَّنٍ مثل الجلد».

-المازوخيَّة، وهو «الميل الجنسي للخضوع أو التقييد أو التعرُّض للأذى».

-رابتوفيليا، وهو «الميل الجنسي لمُحاكاة الاغتصاب مع شريكٍ موافِق».

-ترايكوفيليا، وهو «الميل الجنسي للشعر».

أو أنواع أخرى من «شذوذ الولَع الجنسي» تُعتبَر أكثر عدوانيَّة، وخطورة، وإجراميَّة في كثيرٍ من الأحيان لأن فرضيَّتها ذاتها إجباريَّة أو مُدمِّرة:

-أموكوسيسيا «الرغبة في قطع أو تشويه الإناث».

-أنثروبوفاجي «أكل لحوم البشر».
-إيروتوفونوفيليا «القتل الشهواني المصحوب بتشويه الضحيَّة قبل الموت أو بعده».
-فلاجِليشنِزم «الإشباع الجنسي من خلال جَلْد أو ضرب شخصٍ ما».
-اشتهاء المُجرمين «رغبة الأنثى في الارتباط بقاتلٍ مُتسلسلٍ ذكَر، وهي واحِدة من حالات شذوذ الولَع الجنسي القليلة لدى الإناث».
-نيكروفيليا «مُجامعة الجُثث».
-السادية «الإثارة الجنسيَّة الناجِمة عن السيطرة، أو إهانة، أو التسبُّب في الألم لشخصٍ غير راغِب في ذلِك».

القتلة المُتسلسِلون الأمريكيون في القرن التاسِع عشر

زُعِمَ مؤخَّرًا في الولايات المُتحِدة الأمريكية أن «هيرمان ويبستر مَدجِت» المعروف أيضًا باسم «هنري هوارد هولمز»، القاتِل الذي طاف المعرض العالمي في شيكاغو عام 1893، هو «أول قاتِل مُتسلسِل أمريكي»[(XVIII)]. لكِنه لم يكُن كذلِك أبدًا. أولًا: لأنه كان هُناك العديد من النساء اللاتي يُسمِّمن بشكلٍ مُتسلسِل، مثل «ليديا شِرمان» الشهيرة بـ «بورجيا الأمريكيَّة»، التي سمَّمَت عشرَ ضحايا في الفترة بين 1864 و1871؛ و«سارة جين روبنسون» الشهيرة بـ «الشيطانة السامَّة»، التي سمَّمَت ثماني ضحايا في الفترة بين 1881 و1886؛ و«جين توبان» الشهيرة بـ «جولي جين»، والتي سمَّمَت واحدًا وثلاثين ضحيَّةً في الفترة بين 1885 و1901. كما كان هُناك قتلة مُتسلسِلون خارِجون عن القانون يستغِلُّون المستوطنين والمُسافرين على الحدود، مثل جماعة «هاربي براذرز» السيئة السُّمعة في ولاية «تينيسي» في تسعينيات القرن «الثامِن عشر»، أو عائِلة «بلودي بِندرز» ونزل القتل الخاص بهم في «كِنساس»، في الفترة من 1869 وحتى 1872.

كما كان هُناك أيضًا العديد من القتلة المُتسلسِلين الجنسيِّين «القُدامى»، قبل «هنري هوارد هولمز»:

-يُمكِن القول بأن «جيسي بوميروي» هو أول قاتِل جنسي مُتسلسِل معروف في أمريكا في 1874، ومن المُحتمَل للغاية كذلِك أنه الأصغر سنًّا، حيث كان في الرابعة عشرة من عُمره[(XIX)]. وقد احتُجِزَ «بوميروي» بالفعل في مُنشأةٍ للأحداث بسبب شنِّه لسلسلةٍ من الاعتداءات غير القاتِلة ضد أولادٍ صِغار، لكِن بعد إطلاق سراحه المُبكِّر، عذَّب وقَتَل طفلَين في حادثتَين مُنفصلتَين. لذا حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة، قبل أن يتوفَّى عام 1932 عن عُمرٍ يُناهِز الثانية والسبعين، في السنة السادِسة والخمسين من عقوبته.

-«جوزيف لاباج»، وهو قاتِل مُتسلسِل نصب كمينًا، وشوَّه امرأتَين في «فيرمونت»، و«نيو هامبشاير» عام 1874.

-قتل «توماس دبليو. بايبر» امرأتَين وفتاةً صغيرة في عام 1873، بعدما ضربهما حتى الموت، ثُم جامَع جُثتَيهما. استدرج «بايبر» وهو عامِل في إحدى كنائِس بوسطن، فتاةً تبلُغ من العُمر خمس سنوات إلى برج الجرس، حيث ضربها بمضرب كريكت حتى فقدَت وعيَها، بينما بَحَث عنها أفراد عائِلتها بضراوةٍ في

الكنيسة أدناه. وخطّط للاحتفاظ بجُثتها هُناك للإساءة إليها لاحقًا، لكِنهم وجدوا الفتاة، وأعادوها إلى المنزِل، حيث تُوفِّيَت مُتأثِّرة بجروح رأسها. أُدين «بايبر» في جريمتي قتل، وأُعدِم.

-كان «مُدمِّر الخادِمات» في «أوستين» بـ «تكساس»، قاتِلًا مُتسلسِلًا مجهول الهوية، قَتَل وشوَّه جُثث ضحاياه ومثَّل بها عن طريق غرس أدواتٍ حادة في آذانها. قتل المُدمِّر ما لا يقلُّ عن سبع نساء (خمسًا أمريكيات من أصول أفريقيَّة، واثنتَين بيضاوَين)، في الفترة بين 1884 إلى 1885.

حدثت كُل هذه الحالات قبل ظهور كُلٍّ من «جاك السفَّاح» في «إنجلترا»، و«هنري هوارد هولمز» في «شيكاغو». وعلاوة على ذلِك، ورغم أن «هولمز» كان قاتِلًا مُتسلسِلًا، إلا أنه لم يُدَن سوى بقتل شريكه في الاحتيال في مجال التأمين وأطفاله الثلاثة. وقد دفعَت إحدى الصُّحف لـ «هولمز» مُقابِل تقديم «اعتراف» على صفحاتها بارتكاب العديد من جرائِم القتل الأخرى، التي لم يؤكِّد أيٌّ منها. وفي حين أنه امتلك، وأدار فندقًا ونزلًا في شيكاغو، إلا أنه لم يكُن هُناك دليل على أنه قد صُمِّم خصيصى ليكون منزلًا للقتل مُزوَّدًا بغُرف غاز، ومزالِق للجُثث، أو حتى أنه قد قتل أيَّ شخصٍ فيه[(XX)].

وفي هذه الأثناء، انتهَت جرائِم قتل «جاك السفَّاح» فجأة في نوفمبر عام 1888. لكِن القتلة المُتسلسِلين استمرُّوا في الظهور بنفس الانتظام بعدَه، تمامًا كما فعلوا قبلَه، فيما تبقَّى من القرن «التاسِع عشر». على سبيل المثال:

-سمَّم الدكتور «توماس نيل كريم» ما لا يقلُّ عن خمس نساءٍ في لندن بين عامي 1881 و1892، قبل أن يُقبَض عليه، ويُحاكَم، ويُعدَم شنقًا.

-قُبِضَ على «جوزيف فاشير» في «فرنسا» عام 1897 لارتكابه إحدى عشرة جريمة مُجامعة جُثَث أطفال صِغار، وفتيات، ونِساء، عَمِل بعضهم كرُعاةٍ في المناطِق الريفيَّة النائيَّة. وبصفته قاتِلًا مُتسلسِلًا متجوِّلًا، نَصَب «فاشير» كمينًا لضحاياه أثناء مروره عبر مناطِق الشُّرطة المُتعدِّدة.

-قُبِضَ على «ثيودور «ثيو» دورانت» في «سان فرانسيسكو» عام 1885 بتُهمة قتل امرأتَين ومُجامعة جُثتَيهما، حيث خبَّأهُما في الكنيسة التي يعمَل بها.

جرائِم القتل المُتسلسِلة حول العالَم، ما بين 1900 - 1950

تُعد قاعِدة بيانات القتلة المُتسلسِلين التابِعة لجامعة «رادفورد»/ جامِعة ساحِل خليج فلوريدا، واحِدة من أكثر الدراسات الاستقصائيَّة شمولًا لحالات القتل المُتسلسِل التي أُبلِغ عنها حول العالَم.

ووفقًا لقاعِدة البيانات، فبين عامي 1900 و1950 أُبلِغ عن 5 إلى 6 قتلة مُتسلسِلين جُدد في الولايات المُتحِدة الأمريكيَّة كُل عام، بمُعدَّل 55 لكُل عقد، وبإجمالي 273[(XXI)].

وكان عدد القتلة المُتسلسِلين خارِج الولايات المُتحِدة خلال نفس الفترة، وخاصَّة في أوروبا، ما يقرُب من النصف، أي ما يُعادِل 25 قاتِلًا مُتسلسِلًا جديدًا كُلَّ عِقد. لكِن قاعِدة بيانات «رادفورد»/ جامعة ساحِل خليج فلوريدا، منقوصة، إذ إنها غالبًا ما اعتمدَت على تقاريرٍ إخباريَّةٍ عن جرائِم القتل المُتسلسِلة السابِقة،

وبالتالي فإن المناطِق غير الأوروبيَّة، حيث قد تكون التقارير الإخباريَّة المؤرشَفة أكثر غموضًا ولا يُمكِن للباحثين الوصول إليها، نقصًا حتميًا. لكِن قاعدة بيانات «رادفورد»/ جامعة ساحِل خليج فلوريدا، هي أفضَل ما لدينا حاليًّا، وتُمثِّل على الأقل تاريخ القتل المُتسلسِل كما ظَهَر بشكلٍ أساسي على صفحات الصُّحف المُعاصِرة.

استمرَّ القتلة المُتسلسِلون الأوروبيون في الظهور بشكلٍ مُتقطِّع في النصف الأول من القرن «العشرين»، في ظلِّ وجود «بؤرة ساخِنة» في خِضم الفوضى والتدهوُر في ألمانيا ما بعد الحرب العالميَّة الأولى.

-يُعد «فريتز هارمان» أحد أوائِل القتلة المُتسلسِلين المِثليين المُسجَّلين في القرن «العشرين»، حيث اغتصب وقتل سبعةً وعشرين شابًّا في «هانوفر» في الفترة بين 1918 و1924. أغرى «هارمان» الذي كان عميلًا للشرطة ومُحقِّقًا خاصًّا تلاميذ المدارِس أو المُتجوِّلين من محطَّة سكَّة حديد «هانوفر» بالعودة معه إلى شقَّته. وهُناك هاجَم ضحاياه، وقتلَهم بمَضْغ حناجرهم. وقالَت بعض الشائِعات إنه باع لحومَهم إلى محلَّات الجِزارة والمطاعِم المحليَّة بدعوى أنه لحم خنزير «كان بيع لحم الضحايا شائِعةً مُتكرِّرة، وغير مُثبَتة في قضايا القتل المُتسلسِل الأوروبيَّة».

-طَعَن «بيتر كورتِن»، الشهير بـ «مصَّاص دِماء دوسلدورف»، وخَنَق، وضَرَب ما لا يقِل عن «تسعِ» ضحايا، ورُبما ما يصِل إلى ثلاثين ضحية في الفترة بين 1913 و1930. وفي بعض الأحيان، ذهب معه ضحاياه عن طِيب خاطِر لمُمارسة الجِنس، قبل أن يُهاجِمهم فجأةً بسكينٍ في مُنتصفه. وفي أحيانٍ أخرى، نَصَب «كورتِن» كمينًا لضحاياه، الذين غالبًا ما كانوا أطفالًا، في الشوارِع والحدائِق العامَّة. وفي النهاية، أُعدِمَ عام 1931.

-يُعتقَد أن «جورج كارل جروسمان» قَتَل ما يصِل إلى خمسين شخصًا في الفترة بين 1913 و1920، وباع لحومهم في كُشكٍ لبيع النقانِق في محطَّة السكَّة الحديد في «برلين». ومن الواضِح أنه وَجَد ضحاياه في نفس المحطَّة التي باع فيها رفاتهم للرُّكَّاب الجائِعين. لكِنه انتحرَ عندما قُبِضَ عليه، وبالتالي ظلَّت جرائِمه غامِضة تحت ظلال الأساطير والشائِعات.

-أُلقِيَ القبض على «كارل دينكي»، صاحِب الفُندق في «سيليزيا»، عام 1924 بعد مُحاولته لقتل مُتشرِّد، وانتحرَ في زنزانته. وعندما فتَّش رجال الشُّرطة فُندقه، عثروا على بقايا مبتورة لِما لا يقِلُّ عن ثلاثين رجلًا وامرأة.

إن جرائِم القتل المُتسلسِلة في ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا موثَّقة جيِّدًا كما هو الحال في بريطانيا وأمريكا؛ لكِن لا يسع المرء إلا أن يتخيَّل كمَّ الصُّحف التي لم تُرقمَن بعد في أوروبا الشرقية، والدول الإسكندنافيَّة، والتي تحتوي بين جنباتها على تقارير لم تُكتشَف بعدُ. ناهيك عن جرائِم القتل المُتسلسِل في أفريقيا، وآسيا، وأمريكا الجنوبيَّة، والوُسطى، حيث لا يوجَد أي سببٍ للاعتقاد بأن مُعدَّلات القتل المُتسلسِل كانَت أقلَّ من مثيلاتها الأوروبيَّة. ولنأخُذ، على سبيل المثال، هذه الحالة اللافِتة للنظر في المغرِب.

في أبريل 1906، اتُّهِمَ الحاج محمد المسفيوي بقتل ستٍّ وثلاثين شابَّةً وفتاة. كان المسفيوي إسكافيًّا وكاتِب رسائِل للعُملاء الأُميين[XXII]. وبعد أن قدَّم والدا فتاة مفقودة شكوى إلى السُّلطات، عثرَت فِرق البحث على ستٍّ وعشرين فتاة مدفونة تحت أرضيَّة ورْشته، مقطوعات الرأس ومشوَّهات بسكين، بينما دُفِنَت «عشر» أُخريات في ساحةٍ مُجاوِرة. جاءت الفتيات لتُمليه الرسائِل، فعرض عليهِنّ شايًا مُخدِّرًا، قبل أن يقطع رءوسهنَّ ويبتُر أوصالهن، مدفوعًا على ما يبدو بسرقة مُمتلكاتهن القليلة. واعترفَت آنا، زوجته البالِغة من العُمر سبعين عامًا، تحت التعذيب «الذي ماتَت بسببِه» بأنها شريكته في الجرائِم.

وحُكِم على المسفيوي بالجلد يوميًّا في ساحة سوق «مراكِش».

وبعد حوالي ثلاثة أسابيع، عندما بدا أنه على وشك الموت، عولِج واستعدَّ لعقوبته الأخيرة، قبل أن يُعدَم يوم الإثنين الموافِق 11 يونيو، وهو يوم السوق.

وكان عُمَّال البِناء قد حفروا في وقتٍ سابقٍ فجوةً عُمقها ستَّة أقدام في قدمَين في قلب سور مدينة «مراكِش» الضخم المُحيط بالسوق. وبعد أن تجمَّعَت الحشود للمُشاهدة، اقتِيدَ المسفيوي إلى الفجوة. حيث ثُبِّتَت السلاسِل في تجاويف الجدران حتى يظلَّ مُعلَّقًا، ولا ينزلِق بعيدًا عن أعيُن الحشد. زمجَر المسفيوي وصَرَخ وهو مُقيَّد بالسلاسِل في مكانه. ولساعاتٍ عديدة، سُمِح للحشد برؤيته، وتوجيه الشتائِم واللعنات إليه، ورجمِه بالبُراز ومُخلَّفات الحيوانات. وبعد ذلِك، وضع عُمَّال البناء، في احتفالٍ كبير، صفوفًا من الحجارة حتى لم يعُد يظهَر سوى رأسه، وبعد أن أطعمه السجَّان حصَّته الأخيرة من الخُبز والماء، وُضِعَت الحِجارة الأخيرة في مكانها، ودُفِن خلفها بالكامِل باستثناء شقٍّ صغير للهواء؛ لأنه لم يرغَب أي أحدٍ في منح المسفيوي رحمة الموت السريع.

وسَمِع الحشد صوته يصرُخ من داخِل قبره، فبادلوه الصراخ بصراخ. ويوم الثلاثاء، تجمَّعَت الحشود مرَّة أخرى للاستماع إلى صراخ المسفيوي وتوسُّلاته ليحظى بإعدامٍ سريع. وفي صباح يوم الأربعاء، لم يعُد من المُمكِن سماع أي صوتٍ سوى الأنين، وبحلول نهاية اليوم، وافته المنية، ولعنته الحشود على موته السريع.

وتصدَّرَت قصَّة الحاج محمد المسفيوي أخبار العالَم في الفترة من «مايو» إلى «يوليو 1906، قبل أن تُنسى إلى الأبد تقريبًا. ورُبما تكون هُناك المئات من قصص القتل المُتسلسِل المُماثلة في دول البلطيق، وروسيا، وآسيا الوُسطى، والصين، وجُزر المُحيط الهادئ، والقارَّة الأفريقيَّة، وأمريكا الجنوبيَّة الأمازونيَّة، وأمريكا الوُسطى، وفي الانجرافات العكسيَّة للحدود الأمريكيَّة، ومُدنها المُكتظَّة بالسُّكَّان، وشمال كندا الأبيَض العظيم. رُبما المئات، وكُلها في طي النسيان اليوم، ولم تُصوَّر على ميكروفيلم إطلاقًا، ورُبما نُشِرَت فقط على صفحات بعض الصُّحف المحليَّة الصغيرة، التي تحوَّلَت الآن إلى قصاصاتٍ صفراء تتفتَّت إلى غُبارٍ تحت سقف عُلية قديمة، أو في أرشيفٍ غامض، في انتظار التطهير والطحن.

القتل المُتسلسِل في الولايات المُتحِدة، ما بين 1900 - 1950

انخفضَت مُعدَّلات جرائِم القتل المُتسلسِل في الولايات المُتحِدة، في النصف الأول من القرن «العشرين». وإذا أدرجنا القاتِلات المُتسلسِلات، والقتلة المدفوعين بالربح، فسنجِد أن إجمالي 237 قاتِلًا مُتسلسِلًا قد ظهروا على مدار تلك الخمسين عامًا، أي بمُعدَّل 5.4 قتلة مُتسلسِلين جُدُد كُلَّ عام[(XXIII)].

ووفقًا للمؤرِّخ «فيليب جنكينز»، فإن «بلاء» القتلة المُتسلسِلين في السبعينيات، قد سبقه «بلاءان» قتلة مُتسلسِلين أصغر حجمًا، حيث ارتفعَت مُعدّلات جرائِم القتل المُتسلسِل في الولايات المُتحِدة بشكلٍ غير عادي في الفترة بين 1911 – 1915، و1935 – 1941[(XXIV)].

أول «بلاء» قتلة مُتسلسِلين:

من خلال تصفُّح صحيفة «نيويورك تايمز»، تمكَّن «جنكينز» من العثور على تقارير عن «سبعة عشر» قاتِلًا مُتسلسِلًا على الأقل في السنوات الخمس بين عامي 1911 – 1915.

على سبيل المثال، رُبِط «هنري لي مور» في النهاية بقتلِ أكثر من خمسةٍ وعشرين شخصًا في عامي 1911 و1912 – وأحيانًا عائِلات بأكملها. لكِنَّنا لا نعرِف عنه سوى أقل القليل؛ فهو مُجرَّد حاشية على صفحات التاريخ.

في سبتمبر 1911، قيل إن «مور» البالِغ من العُمر سبعةً وثلاثين عامًا قد قتل ستَّ ضحايا في «كولورادو سبرينجز» – رجلًا، وامرأتَين، وأربعة أطفال – وفي أكتوبر، قتل ثلاثة أشخاصٍ في «مونماوِث» بـ «إلينوي»؛ ثُم عائِلة مكوَّنة من خمسة أفراد في «إلسورث» بـ «كانساس»، في نفس الشهر. وفي يونيو 1912، اشتُبِه في قتلِه لزوجَين في «باولا» بـ «كانساس»، وبعد عدَّة أيام، قتل عائِلةً بأكملها؛ مكوَّنة من ثمانيَةِ أفراد، بينهم أربعة أطفال، في «فيليسكا» بـ «آيوا». عاد «مور» بعد ذلِك إلى منزله في «كولومبيا» بـ «ميسوري»، حيث قَتَل والِدته وجدَّته بغرَض الاستيلاء على منزلهما، ليتزوَّج به مُراهِقةً تبلُغ من العُمر خمسة عشر عامًا كان يُراسِلها. وفي هذه المرحلة، قُبِضَ عليه، وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة. ولم يُربَط «مور» على الفور بتلك الجرائِم السابِقة، حتى أبلَغ والِد أحد العُملاء الفيدراليين، وهو حارِس سجن «ليفنوورث» يتمتَّع بعلاقاتٍ في جميع أنحاء نِظام السجون، ابنه المسئول عن التحقيق في جرائِم قتل «فيليسكا»، بجرائِم «هنري لي مور» في «ميسوري». وقد غطَّت الصُّحف بكثافةٍ في ذلِك الوقت الشكوك حول جرائِم القتل الخمس والعشرين الإضافيَّة التي ارتكبها «مور»، لكِن لم يكُن هُناك أدِلَّة كافية لاتهامه.

أُطلِق سراحُه يوم 30 يوليو 1956، عن عُمرٍ يُناهِز «الثانية والثمانين»، ووَرَد أنه على قيد الحياة للمرَّة الأخيرة في «مركز جيش الخلاص» في «سانت لويس»، قبل أن يختفي تمامًا من السجلات التاريخيَّة.

كما يُشتبه في قيام قاتِلٍ مُتسلسِل مجهول الهوية في «أتلانتا» في الفترة بين مايو 1911، ومايو 1912 بقتل وتشويه عشرين امرأةً أمريكيَّة من أصولٍ أفريقيَّة ثنائيَّة العرق، أو ذات بشرة فاتِحة، على طريقة «جاك السفاح». وفي الفترة بين 20 مايو، و1 يوليو 1911، قتل القاتِل المجهول ضحاياه السبع الأوائِل، بمُعدَّل ضحيةٍ كُل ليلة سبت دون تأخير.

في حين ضَرَب قاتِل مُتسلسِل في «دِنفر»، و«كولورادو سبرينجز» سبع نِساءٍ حتى الموت بين عامي 1911 – 1912، قبل أن يُقبَض عليه.

بينما قَتَل قاتِل مُتسلسِل في «تكساس»، و«لويزيانا»، في الفترة بين يناير 1911 وأبريل 1912، تسعًا وأربعين ضحيَّةً في سلسلةِ جرائِم قتل وحشيَّة بالفأس، وللأسف، ظلَّت هويته في كنف الغموض حتى يومِنا هذا. وعلى غرار جرائِم قتل «مور»، قُتِلَت عائِلات بأكملها؛ حيث قُطِّعَت أم وثلاثة أطفال في أَسرَّتهم في «راين» بـ «لويزيانا»، في يناير 1911؛ وعلى بُعد عشرة أميال، في «كراولي» بـ «لويزيانا»، ثلاثة أفراد من عائِلة «بايرز» في فبراير 1911؛ وبعد أسبوعين، عائِلة مكوَّنة من أربعة أفراد في «لافاييت». وفي «أبريل»، ضَرَب القاتِل ضربته في «سان أنطونيو» بـ «تكساس»، حيث قتل عائِلةً مكوَّنة من خمسة أفراد. وفي «نوفمبر 1911، وعاد إلى «لافاييت» وقَتَل أسرةً مكوَّنة من ستة أفراد؛ وفي «يناير 1912، قُتِلَت امرأة وأطفالها الثلاثة في «كراولي». وبعد يومَين، في «بُحيرة تشارلز»، قُتِلَت عائِلة مكوَّنة من خمسة أفراد، وتَرك القاتِل مُلاحظة خلفه: «لأَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالدِّمَاءِ. ذَكَرَهُمْ. لَمْ يَنْسَ صُرَاخَ الْمَسَاكِينِ – من البشر الخمسة». وفي «فبراير 1912، قَتَل امرأة وأطفالها الثلاثة في «بومونت» بـ «تكساس». وفي «مارس»، قُطِّع رجل، وامرأة، وأطفالهما الأربعة في «جليدن» بـ «تكساس». وفي «أبريل»، قُتِلَت عائِلة مكوَّنة من خمسة أفراد في «سان أنطونيو»، وبعد ليلتَين، قُتِل ثلاثة أشخاص في «هيمبستيد» بـ «تكساس». لم تُحلّ جرائِم القتل تلك مُطلقًا، ولم تُستكشَف جوانِب القضية بشكلٍ مُفصَّل إلا مؤخَّرًا بين صفحات كِتاب «فئوس الشر: القصَّة الحقيقيَّة لجرائِم قاتِل الفأس»، بقلم «تود سي. إليوت».

في مدينة «نيويورك»، وتحديدًا في يوم 19 مارس 1915، قتل سفَّاح الجانِب الشرقي وعذَّب «لينورا كوهِن»، وهي فتاة في الخامسة من عُمرها، أرسلتها والِدتها في مُهِمة بين جنبات المبنى الذي يضُم شقتهما في حي «لوير إيست سايد». وفي يوم 3 مايو، قتل وشوَّه «تشارلز موراي»، البالِغ من العُمر أربع سنوات، والذي كان يلعب في ردهة مسكنه في «الجادة الأولى»، وحَشَر جُثته تحت السلم. قبل أن يُرسِل رسائِل ساخِرة إلى والِدته، وإلى رِجال الشُّرطة، ووقَّعها باسم «إتش. بي. ريتشموند، جاك السفَّاح»، وهدَّدهم بالقتل مُجدّدًا. لم يُتعرَّف على الجاني مُطلقًا، لكِن رُبما كان القاتِل السيئ السُّمعة «ألبرت فيش». «انظُر أدناه».

ومرَّة أخرى، في مدينة «نيويورك»، عام 1915، عُثِرَ على جُثث خمسة عشر طفلًا رضيعًا حديث الولادة، واشتُبِه في ارتباطهم بعملية «مزرعة أطفال[2]» من نوعٍ ما. وفي نفس العام، عُثِرَ على ست جُثث مُحطَّمة الجماجِم مُخبَّأة في مزرعةٍ قيد الهدم في «نياجرا» بـ «داكوتا الشماليَّة». واتضح أن الضحايا، الذين أُلقِي بهم في القبو عن طريق باب سري ذكي، جميعهم من المُزارعين الذين وظَّفهم مالِك المزرعة. ناهيك عن العديد من جرائِم القتل المُتسلسِلة بين أروقة المُستشفيات، ودور رعاية المُسنِّين، والنساء المُسمِّمات، وهو ما أدى إلى تقريب عدد القتلة المُتسلسِلين في هذه الفترة.

وكانَت جرائِم القتل تلك كُلها جرائِم مُذهِلة، انتشرَ بعضها على نطاقٍ واسعٍ في وقتها، بينما لم ينتشِر البعض الآخر، لكِن مُعظمها بات طيَّ النسيان اليوم. خُلِّد «جاك السفَّاح» بضحاياه الخمسة أو الستة، لكِن

«قاتِل الفأس» في «لويزيانا – تكساس»، الذي قَتَل تسعة وأربعين ضحية، نُسِي تمامًا. والفارِق الأساسي هو أن «لندن» عام 1888، كانَت مركزًا لصِناعة صُحف عالميَّة ضخمة باللُّغة الإنجليزيَّة، بينما لم تكُن «داكوتا الشماليَّة»، و«لويزيانا»، و«تكساس» كذلِك. وهكذا أُعيد سرد قصَّة «جاك السفَّاح» بشكلٍ لا نهائي، حتى حظِيَت بمكانتها بين الأساطير والأدب الشعبي – بينما تلاشى «قاتِل الفأس» في «لويزيانا – تكساس» من الوعي العام. ومثل العقارات، ترتبِط «بلاءات» القتل المُتسلسِل بالموقِع، ثُم بالموقِع، ثُم بالموقِع، أكثر من ارتباطها بعدد الضحايا.

استراحة من القتل المُتسلسِل، ما بين 1916 - 1934

بمُجرَّد أن ذهبَت الولايات المُتحِدة إلى الحرب في أوروبا عام 1917، ساد الهدوء في التقارير المُتعلِّقة بالقتل الجنسي المُتسلسِل على أراضي الوطن. وبعد الحرب العالميَّة الأولى، شكَّلَت «العشرينيَّات الهادِرة» الغنيَّة «عصر الازدهار» لرجال العصابات المشاهير، وموجات من عمليَّات الاختطاف، وأعمال الشغب الغوغائيَّة، وجرائِم القتل الوحشي المُثير، مثل جريمة قتل «ليوبولد ولوب» الوحشيَّة في «شيكاغو» عام 1924.

بينما ارتفع إجمالي جرائِم القتل في الولايات المُتحِدة بمُعدَّل 77٪»، في الفترة بين 1920 – 1933[(XXV)]. ومن الغريب، أن جرائِم القتل المُتسلسِل استمرَّت بنفس المُعدَّل السابِق، باستثناء أنها انتقلَت عندها لتحتل الصفحة السادِسة في الصُّحف، حتى رغم أنها أصبَحَت أكثر غرابةً من الناحية المَرضيَّة، خصوصًا مع تزايُد التقارير عن مُجامعة الموتى، والميول الجنسيَّة الغريبة التي تُسيطِر على جرائِم القتل. ومن المُفارقة، أنه خلال «فترة الاستراحة» بين الموجتَين، حدثَت بعض جرائِم القتل المُتسلسِل الأكثر شُهرةً في التاريخ.

إيرل ليونارد نيلسون، الشهير بـ «الخانِق الخفي» أو «القاتِل الغوريلا»، في الولايات المُتحِدة وكندا، في الفترة بين 1926 - 1927

وُلِد «إيرل نيلسون» لأبوين تُوفِّيا تأثُّرًا بإصابتهما بمرض الزُّهري عندما كان في الثانية من عُمره، ونشأ على يد جدَّةٍ خمسينيَّة شديدة القسوة. وكما هو الحال مع بعض القتلة المُتسلسِلين الآخرين، تعرَّض «نيلسون» لإصابةٍ خطيرةٍ في الرأس، عندما صدمته عربة تِرام وهو في العاشِرة من عُمره. وقيل إن سلوكه قد تغيَّر بعد ذلِك. وما قد يَعنيه ذلِك في علم الأمراض النفسيَّة للقتلة المُتسلسلين، يبدو أننا بدأنا الآن فقط في فهمِه.

تتكرَّر التقارير عن تعرُّض قتلة مُتسلسلين لإصاباتٍ في الرأس في مرحلة الطفولة، يعقُبها تغيُّر سلوكي جذري. لكِننا بدأنا نفهم، فقط في العقد الأول من القرن «الحادي والعشرين»، العلاقة بين إصابة العُقد شِبه الحوفيَّة في الفص الجبهي من الدِّماغ، والاضطرابات السلوكيَّة، مثل الاعتلال النفسي. وتوصَّل عالِم النفس الشرعي «كينت إيه. كيهل»، بعد تطوير برنامج مسحٍ عميق بالرنين المغناطيسي، وبعد مسح أدمِغة أكثر من عشرة آلاف مريض نفسي سجينٍ على مدى خمسة عشر عامًا، إلى التالي:

«إن أَتلِفَ جُزء من النِّظام البارليمبي، يُمكِن للمرء اكتساب شخصيَّة سيكوباتيَّة. وكمجموعة، يتميَّز مرضى تلَف الدِّماغ البارليمبي بمشاكِلَ في العدوان، والتحفيز، والتعاطُف، والتخطيط، والتنظيم، والاندفاع، وعدم المسئوليَّة، وضعف البصيرة، ونقص الضوابِط السلوكيَّة. وفي بعض الحالات، قد يُصبِح المرضى المُصابون بتلَف الدِّماغ البارليمبي عُرضةً لهوس العظمة، والهذيان.

وهذه كُلها أعراض نراها عند المرضى النفسيين. إذ إن الأضرار التي تلحق ببعض مناطِق النِّظام البارليمبي ليسَت شائِعة. على سبيل المثال، عندما يصطدِم المُخ بالجُزء الأمامي من الجُمجمة، فيُمكِن له أن يحتكَّ بالحافَة العظميَّة الموجودة فوق العينَين مُباشرة. ويُمكِن لهذا الاحتكاك أن يؤدي إلى إتلاف القشرة الجبهية الحجاجيّة للمُخ. وهذا هو نوع الإصابة التي يُمكِن أن تحدُث للاعبي الكُرة الذين يُعانون من ارتجاجاتٍ مُتكرِّرة. وسواء كان ذلِك بسبب اصطدامٍ واحد، أو بسبب التأثير التراكُمي لصدمات الرأس المُتعدِّدة، فإن الأمر يُمكِن أن ينتهي بالأفراد الذين يُلحِقون الضرر بالقشرة الجبهية الحجاجيَّة بافتعال المشاكِل.. وهذا هو الواقِع الذي بدأ يعترِف به للتوِّ اللاعبون السابقون في الدوري الوطني لكُرة القدم باعتباره خطرًا مِهنيًّا مُحتملًا تنطوي عليه رياضتهم»[(XXVI)].

يدعي «كيهل» أن بإمكانه التعرُّف على المرضى النفسيين بمُجرَّد النظر إلى صور فحوص أمخاخهم. ولا يكتفي بهذا، بل يستفيض مُدَّعيًا أن الاعتلال النفسي هو حالة فسيولوجيَّة تمامًا، لكِنه يخلُص إلى أنه يُمكِن للسِّمات السلوكيَّة السيكوباتيَّة، أو «الاعتلال النفسي الزائِف»، أو «الشخصيَّة السيكوباتيَّة المُكتسبة»، أن تُحاكي الاعتلال النفسي الناتِج عن تضرُّر النِّظام البارليمبي، وقد يُفسِّر ذلِك إبلاغ العديد من القتلة المُتسلسِلين عن إصاباتٍ في الرأس أثناء طفولتهم، أو عدم وجود خلفيَّة تاريخيَّة «كلاسيكيَّة» للخلل الوظيفي الأسري، أو التعرُّض لصدمةٍ مُسيئةٍ في طفولتهم[(XXVII)].

دعونا نعود إلى «إيرل نيلسون» الشاب، الذي أصبح مهوُّوسًا بالجنس وبالكِتاب المُقدَّس بشكلٍ مُتزايِد، حتى إنه بدأ يُثير خوف عائِلته. وأُودِعَ «نيلسون» في مصحَّات نفسيَّة عدَّة مرَّات بسبب سلوكه غير المُنتظِم، بما في ذلِك مُحاولته التحرُّش بفتاةٍ تبلُغ من العُمر اثني عشر عامًا، عندما كان في الرابِعة والعشرين من عُمره[(XXVIII)].

ونصَّت إحصائيَّة نموذجيَّة أخرى عن القتلة المُتسلسِلين، أن «نيلسون» ارتكب جريمة قتلِه الأولى، وهو في الثامِنة والعشرين من عُمره؛ في يوم 20 فبراير 1926، عندما قَتَل «كلارا نيومان»، البالِغة من العُمر اثنَين وستِّين عامًا، ومالِكة منزل في «سان فرانسيسكو». وعلى ما يبدو، أنه رأى لافِتة «غُرف للإيجار» مُعلَّقة على نافِذتها، فطرق بابها، وطلب رؤية غُرفة منها. ورغم امتلاء المنزِل بالناس، إلا أن هذا لم يردَعه. وعُثِرَ على جُثَّة «نيومان» جالِسة على المرحاض، وفُستانها مرفوع فوق خصرها. واتضح أنه خنقَها، ثُم اغتصبها. وبعد أسبوعَين، قَتَل «نيلسون» ضحيته الثانية، ومن هناك انطلق في موجة قتلٍ استهدفَت مالكات المنازِل من «سان فرانسيسكو»، إلى «بورتلاند». واعتاد الظهور أمام الأبواب، مُستفسِرًا عن الغُرف التي أعلنوا عنها، مُمسِكًا في يده بالكِتاب المُقدَّس، مُقتبِسًا آياته في حديثه، مؤكِّدًا لمالِكات المنازِل المُسِنَّات حُسن خُلقه. قبل أن

يخنِقهن، ويغتصِب جُثثهن، ويحشُر أجسادهن تحت الأسرَّة. وفي نهاية المطاف، شقَّ طريقه إلى كندا، حيث اعتقله رجال الشُّرطة أخيرًا بتُهمة قتل مالِكةِ منزِل في «وينيبيج»، بـ «مانيتوبا»، في «يونيو 1927. وبحلول ذلِك الوقت، كان «نيلسون» قد قَتَل اثنتَين وعشرين امرأة، وهو عدد ضحايا لم يسبِق له مَثيل في تاريخ الولايات المُتحِدة حتى ظهور القتلة المُتسلسِلين في السبعينيات.

كان «نيلسون» مُفترِسًا مُهاجرًا يتصفَّح صفحات الإعلانات المبوَّبة بحثًا عن غُرف للإيجار. وكان من السهل أن يكون اليوم من أعضاء مَوقِعَي «كريجزليست»، و«كيجيجي» يتصيَّد ضحاياه على الإنترنِت. وقد أُعدِم في النهاية.. رغم ادِّعائه الجنون.

كارل بانزرام، الولايات المُتحِدة، في الفترة بين 1920 - 1930

كان «كارل بانزرام» آلة قتل شَرِسة مُحكَمة، إذ اعترف بارتكاب ألف جريمة اغتصاب رجُل، وإحدى وعشرين جريمة قتل، ارتكب آخرها في السجن، حيث حذَّرهم عند وصوله قائِلًا: «سأقتُل أول رجُل يُزعِجني». وبعد ذلِك بوقتٍ قصير، ضرب مُراقِب العُمَّال في مغسلة السجن حتى الموت بقضيبٍ حديدي. وحُكِمَ عليه بالإعدام بسبب هذه الجريمة، وأُعدِم بالفعل عام 1930، وهو في التاسِعة والثلاثين من عُمره.

وُلِدَ «بانزرام» في «إيست جراند فوركس»، بولاية «مينيسوتا»، عام 1892. وكَتَب في سيرته الذاتيَّة: «إن جميع أفراد عائِلتي من البشر العاديين. إنهم أناس صادِقون، وكادِحون. كُلهم باستثنائي، فقد كُنت حيوانًا بشريًّا منذ ولادتي»[(XXIX)].

قُبِضَ على «بانزرام» وهو في الحادية عشرة من عُمره بتُهمة السرقة، وأُرسِل إلى إصلاحيَّة، ضُرِبَ فيها على أيدي الإداريين، واغتصبه زُملاؤه النُّزلاء. وكَتَب يقول عن ذلِك: «تعلَّمتُ حينها أنَّ قضيبَ الفتى «فُلان» يُمكِن استخدامه لشيءٍ آخرَ بخلاف التبوُّل. وأن المُستقيم يُمكِن استخدامه لأغراضٍ أخرى بخلاف إطلاق الريح. وأجل.. لقد تعلَّمتُ الكثير من الأشياء اللعينة من المُدرِّبين الخُبراء الذين قدَّمهم لي المُجتمع بشكلٍ عام، وولاية «مينيسوتا» بشكلٍ خاصٍّ مجانًا».

وكان «بانزرام» قاتِلًا مُتسلسِلًا كثير الترحال، حيث اعتاد التنقُّل في جميع أنحاء الولايات المُتحِدة، قبل أن يُبحِر مُنتقلًا إلى أوروبا، وأمريكا الجنوبيَّة، وأفريقيا. كما اغتصب، وقتل العديد من الضحايا، مُعظمهم من الذكور، إلى جانِب ارتكابه لعمليات السطو، والحرق العمد، وغيرها من الأعمال الإجراميَّة. حتى إنه في مرحلةٍ ما، حَصَل على يخت، وقَتَل ضحاياه على متنِه. واعترف بارتكاب إحدى وعشرين جريمة قتل، من بينهم سبعة صِبية في سِن العاشِرة أو الحادية عشرة، بعضهم في دولة «أنجولا»، والبعض الآخر في الولايات المُتحِدة. وقُرب نهاية حياته، كَتَب «بانزرام»: «لقد قتلتُ في حياتي واحِدًا وعشرين إنسانًا.. ولم أشعُر بالأسف سوى على شيئين.. أنني أسأتُ مُعاملة بعض الحيوانات القليلة في حياتي.. وأنني عجزتُ عن قتل الجنس البشري اللَّعين بأكمله».

وأثناء إعدامه في «ليفنوورث»، بولاية «تكساس»، قيل إنه بَصَق على مُنفِّذ الحُكم، وعندما سُئِل عمَّا إذا كان لدَيه أي كلِمات أخيرة، قيل إنه قال: «نعم، أسرِع أيها الهوسير[3] اللعين! كان بإمكاني قتل عشرات الرِّجال أثناء تلكُّؤك!».

جوردون نورثكوت، مُرتكِب جرائِم قتل حظيرة دجاج «واينفيل»، بـ «كاليفورنيا»، عام 1928

اختطف مُربي الدجاج «جوردون نورثكوت»، البالِغ من العُمر تسعة عشر عامًا، كندي الأصل، واغتصَب، وقتل بالفأس، وقطَّع أوصال ثلاثة صبيَةٍ صِغار على الأقل؛ شقيقين في العاشِرة، والثانية عشرة من عُمرهما، ومُهاجِرًا مكسيكيًّا لم يُتعرَّف عليه قط. وكان «نورثكوت» قد أحضَر ابن أخيه «سانفورد كلارك» البالِغ من العُمر خمسة عشر عامًا للعمل في المزرعة، قبل أن ينتهي به الأمر باستخدامه كعبدٍ جنسي، وأجبره على المُساعدة في التخلُّص من الجُثث. وعندما زارتها «جيسي»، شقيقة «سانفورد» الكُبري، قادِمةً من «كندا»، انتظر حتى ابتعدا عن أنظار «نورثكوت»، وأخبرَها بكُل ما يحدُث. فرَّت «جيسي» عائِدةً إلى «كندا»، وأبلغت القُنصليَّة الأمريكيَّة بالأمر، واتصل مسئولو القُنصليَّة بقِسم شرطة «لوس أنجِلوس».

وعندما وصل رِجال الشُّرطة إلى مزرعته للدِجاج، فرَّ «نورثكوت» إلى «كندا» مع والِدته «سارة لويز نورثكوت»، لكِنهما رُحِّلا إلى «كاليفورنيا». اعترفَت والِدته بجرائِم القتل، وحُكِمَ عليها بالسِّجن مدى الحياة، رغم تراجُعها عن اعترافِها. في حين اعترف «جوردون» بخمس جرائِم قتل، وحوكِم، وأُعدِمَ في عام 1930. وأُطلِق سراح «سارة» بشكلٍ مشروطٍ في عام 1940، قبل أن تُوافيها المنيَّة عام 1944.

ألبرت فيش، «مُستذئب ويستيريا»، أو «الرجُل الرمادي»، نيويورك، في الفترة بين 1928 - 1935

القضية الأكثر إثارةً للصدمة في هذه الحقبة، هي قضية القاتِل المُتسلسِل «ألبرت فيش». وحتى بمعايير اليوم، كانَت قصَّته قصَّة رُعب حقيقيَّة(XXX).

ينحدِر «ألبرت فيش» من عائِلةٍ لها تاريخ من المرَض العقلي، ونشأ في دور رعاية، تعرَّض فيها على ما يبدو لسوء المُعاملة بشكلٍ مروّع. إذ اعتاد على جلدِ نفسه، والْتهام بوله وبُرازه، وتعذيب نفسه بغرس الإبر والدبابيس والمسامير في فخذَيه، وقد ظهرَت العشرات منها في صور الأشِعَّة السينيَّة التي التُقِطَت له بعد اعتقاله. كما استمتع بوضع الأعواد القُطنيَّة المُبلَّلة بالكيروسين في فتحة شرجه وإشعال النار فيها. وامتلك مجموعةً من أدوات تعذيب النفس، بما في ذلِك المضارِب المُرصَّعة بالمسامير، التي ضَرَب بها نفسه حتى نزف أثناء الاستمناء. كان بمثابة حيوان «شيطان تسمانيا» مُصاب بشذوذٍ جنسي، وزوبعة من الانحرافات، و«مُنحرِف مُتعدِّد الأشكال» وفقًا لأحد الأطِبَّاء النفسيين الذي يعتقِد أن فيش رُبما اغتصَب ما يصِل إلى مائة طفل.

لم يكُن «فيش» أحد القتلة المُتسلسِلين الذين يستلهِمون أفكارهم من الإباحية، أو الأفلام الجنسيَّة، بل من الكِتاب المُقدَّس مُباشرة. من المُرجَّح أنه كان مجنونًا سريريًّا، ويُعاني من الذُّهان البصري، يرى في تلك

الهلوسات أن الله يأمُره بتشويه الأطفال وقتلِهم، كما في سفر التكوين 22، عندما أمر الله إبراهيم بقتل ابنه للتضحية به.

في «يونيو 1928، كان فيش في الثامِنة والخمسين من عُمره، لكِنه يبدو أكبر من ذلِك، رأى آنذاك إعلانًا مبوَّبًا وضعته عائِلة «إدوارد بود»، وهو مُراهِق في مدينة «نيويورك» يبحَث عن عملٍ صيفي. اتصل بالعائِلة، وقدَّم نفسه باسم «فرانك هوارد»، مُزارِع يمتلِك مزرعة كبيرة في نيوجيرسي. واقتضَت خطَّته، كما اعترف فيما بعد، استدراج الصبي، وقتله بقطع عضوِه الذكري، وتركه ينزِف ببطءٍ حتى الموت، ثُم أكله.

وأثناء زيارته منزِل العائِلة، أثار إعجابهم بسلوكه الأنيق، واللطيف، وتصرُّفاته الحانية، ناهيك عن إتاحة الفُرصة لابنهم لقضاء الصيف في العمل بأجرٍ في الهواء الطلق، بعيدًا عن مسكنهم المُزدحِم في مدينة «نيويورك». ووافَق على العودة يوم الأحد لتناوُل الغداء معهُم، ثُم اصطحاب «إدوارد» معه إلى «المزرعة».

وبعد ظُهر يوم الأحد الموافِق 3 يونيو، وَصَل «فيش» إلى مسكَن العائِلة، حامِلًا هديةً من الجُبن، والفراولة الطازجة. وتعرَّف على ابنتِهم «جريس» البالِغة من العُمر عشر سنوات، واعترف «فيش» فيما بعد أنه قرَّر على الفور قتلَها وأكْلَها بدلًا من شقيقها. أخبر الوالِدَين عندها أنه بحاجةٍ إلى تأجيل الرحلة لمزرعته إلى وقتٍ لاحقٍ من ذلِك المساء، لأن شقيقته تُقيم حفل عيد ميلاد لابنتها. سيكون هُناك الكثير من الأطفال، والألعاب، والكعك في الحفلة، فهل تودُّ «جريس» الصغيرة الذهاب معه بعد ظُهر اليوم؟ وكان ناتِج الجمع بين سذاجة العصر، وسلوك «فيش» الجاني، وتردُّد العائِلة في رفض عرض المُزارِع الطيِّب الذي عَرَض على ابنهم وظيفةً صيفيَّة، بأن يسمحا لطفلتهما بالمُغادرة مع شخصٍ غريب تمامًا. «بالطبع سألوا أين تقطن شقيقته؟ فأخبرهم «فيش» بالعنوان؛ تقاطُع جادة «كولومبوس» وشارع 137. ويعلم الله كم عدد سُكَّان «نيويورك» حتى يومِنا هذا، الذين يعرِفون أن جادة «كولومبوس» تنتهي عند الشارِع 110».

لم تعُد «جريس» قط، وظلَّ اختفاؤها لُغزًا ذاع صيتُه على نِطاقٍ واسعٍ لمُدَّة أربع سنوات، إلى أن أرسَل «فيش» رسالةً إلى والِدتها، يصِف فيها بتفاصيلَ مؤلمةٍ كيف قتل الفتاة وأكَلَها. وبين سطورها، تخيَّل «فيش» بشكلٍ وحشيٍّ حالات أكل لحوم البشر في أوقات المجاعة في الصين، ثُم كَتب:

«في يوم الأحد الموافِق 3 يونيو 1928، زُرتُ منزلكِ بـ 406 دبليو» شارِع 15، وأحضرتُ معي عُلبة من الجبن، وبعض الفراولة. تناولنا الغداء. ثُم جلسَت جريس على حِجري، وقبَّلتني. قرَّرتُ أكلَها، وسألتكِ إن كان بإمكاني أخذُها إلى حفلة. ووافقتِ على ذهابها. أخذتُها إلى منزلٍ فارغ في «ويستشستر»، كُنتُ قد انتقيتُه بعناية. وعندما وصلنا إلى هُناك، طلبتُ منها أن تنتظِر بالخارِج. قطفَت بعض الزهور البريَّة. صعدتُ إلى الطابِق العلوي، وخلعتُ كُل ملابسي. عَرَفتُ أنني إن لم أفعل ذلِك، فستتلطَّخ ملابسي بدمائها. وعندما أصبح كُل شيءٍ جاهِزًا، ذهبتُ إلى النافِذة ونادَيتُها. ثُم اختبأتُ في الخزانة حتى دخلَت الغُرفة. وعندما رأتني عاريًا كما ولدتني أمي، بدأت بالبُكاء، وحاولَت الفرار إلى الطابِق السُّفلي. أمسكتُها، فقالَت إنها ستُخبر والِدتها. في البداية، جرَّدتها من ملابسها. وكم ركلتني، وعضَّتني، وخدشتني. خنقتُها حتى الموت، ثُم قطَّعتها إلى قطعٍ صغيرةٍ حتى أتمكَّن من أخذ اللحم إلى غُرفتي لطبخه وأكله. كم كانَت

مؤخرتها الصغيرة حُلوةً وطريَّة وهي مشويَّة في الفُرن. استغرقني الأمر تسعة أيام لالتهام جسدها بالكامِل. لم أُضاجِعها، رغم أن ذلِك كان باستطاعتي لو راودتني الفكرة، لكِنها ماتت عذراء».

تمكَّنَت الشُّرطة من تتبُّع الرسالة وصولًا إلى «فيش» من شعار القرطاسيَّة الذي زيَّن الظرف. وبعد اعتقاله، اعترف بأنه خطَّط لأخذ «إدوارد بود» إلى «إيرفينجتون»، وهي بلدة تقع في مُقاطعة «ويستشستر»، شمال «نيويورك» حيث عاش لفترةٍ وجيزة. إذ عَرَفَ «فيش» بوجود منزل مهجور هُناك يُعرَف باسم «منزِل ويستيريا» على طريق الجبل. وقبل أن يصعَد إلى مسكَن عائِلة «بود»، كان قد ترك مجموعةً من السكاكين ملفوفة في ورقٍ داخِل كُشك لبيع الصُّحف المحليَّة على سبيل الوقاية. وعندها، بعد أن أصبَحَت «جريس» في قبضته، أخذ السكاكين من الكُشك، واستقلَّ قطار الأنفاق إلى محطَّة سكة حديد، ورَكِب إلى «إيرفينجتون» معها. اشترى تذكرة ذهاب وعودة لنفسه، وتذكرة ذهاب فقط للفتاة الصغيرة. وأخبر الشُّرطة أنهما عندما نزلا من القطار، نبَّهته «جريس» لأنه قد نسي لفَّته، وركضَت عائِدةً إلى عربة القِطار لاسترداد لفَّة السكاكين.

ثُم اصطحبها إلى المنزِل المهجور، وخنقها كما وَصَف في الرسالة، وقطَّع أوصالها، وأعاد أشلاءها إلى «نيويورك» ليطهوَها، ويشويها، ويأكُلها كـ «بقايا طعام» على مدار تسعة أيام. وأصرَّ «فيش» على أنه لم يغتصِب الطفلة الصغيرة، لكِنه اعترف بأنه قد قذف منيَّه مرَّتَين أثناء خنقها. استرجَعَت الشُّرطة بعضًا من بقايا الهيكل العظمي لـ «جريس» من جانِب أحد التِلال خلف منزِل «ويستيريا». «لا يزال المنزِل قائِمًا حتى يومِنا هذا، ويبدو إلى حدٍّ كبيرٍ كما كان عليه في عشرينيات القرن الماضي، ولكِن بشكلٍ راقٍ ومُرمَّم، وقد عُرِضَ للبيع مؤخَّرًا»[(XXXI)].

اختلف الأطبَّاء النفسيون حول سلامة عقل «فيش». ففي حين أنه رُبما كان مُتوهِّمًا، إلا أنه خطَّط لجريمة القتل ونفَّذها بعناية. لم تكُن المسألة بالنسبة لهيئة المُحلَّفين هي ما إن كان مجنونًا أم لا، بل ما إن كان يجِب إعدامُه حتى لو كان كذلِك. ومن المؤكَّد أنه قد تبادَر إلى أذهان أعضاء هيئة المُحلَّفين جريمة قتل «مُثيرة» لصبيٍّ في الرابعة عشرة من عُمره في «شيكاغو»، ارتكبها شابَّان ثريَّان هُما «ناثان ليوبولد»، و«ريتشارد لوب». اعترف مُحاميهما، «كلارنس دارو»، بذنبهما، وجادل بنجاحٍ أمام قاضٍ بدون هيئة مُحلَّفين بأنه رغم أن الشابَّين كانا «عاقِلَين من الناحية القانونيَّة»، إلا أنهما كانا غير ناضِجَين، ومُضطرِبَين، ويجِب أن يُعفى عنهما. حَكَم القاضي على «ليوبولد» و«لوب» بالسِّجن مدى الحياة. قُتِلَ «لوب» في السِّجن، لكِن «ليوبولد» أُطلِق سراحه في عام 1958، وتقاعَد ليعيش حياة مُريحة في «بورتوريكو» حتى وافته المنيَّة عام 1971.

أما في قضية «ألبِرت فيش»، من ناحيةٍ أخرى، فقد قُدِّم للمُحاكمة مُدَّعيًا الجنون، لكِن هيئة المُحلَّفين لم تهتَم بجنونه من عدمه؛ فحُكِمَ عليه بالإعدام، وأُعدِم في إصلاحيَّة «سينج سينج» عام 1936.

اعترف «فيش» قبل إعدامه بارتكاب عشرات جرائِم القتل، ولكِن هُناك جريمتان فقط رُبِطتا به بشكلٍ مُقنع؛ جريمة القتل والتشويه التي راح ضحيَّتها «فرانسيس ماكدونيل» البالِغ من العُمر ثماني سنواتٍ في عام 1924، بينما كان يلعب بجوار بركةٍ في منطقةٍ مُشجَّرةٍ في جزيرة «ستاتِن»، وجريمة قتل «بيلي جافني»، البالِغ

من العُمر أربع سنوات، والذي اختُطِفَ من رواق شقّته في «بروكلين»، في عام 1927. وهُناك ستَّ ضحايا آخرون يُنسَبون إليه، لكِن دون دليلٍ قاطِع، بما في ذلِك جريمة قتل طفلَين في عام 1915، والتي أُطلِق عليها جريمة «سفَّاح الجانِب الشرقي».

وقد ظَهَر ما يقرُب من مائتي قاتِل مُتسلسِل في الولايات المُتحِدة في العقود الأربعة الأولى من القرن «العشرين»؛ وباستثناء قلَّة قليلة منهم مثل «إيرل نيلسون»، و«ألبرت فيش»، و«كارل بانزرام»، فقد نُسُوا تمامًا، وضلُّوا طريقهم إلى تقارير الصُّحف المحليَّة الغامِضة، فلم تُسرَد قصصهم، أو تُستكشَف بشكلٍ كامِل. وكانَت الصُّحف الأمريكيَّة قد نشرَت تقارير موسَّعة عن جرائِم القتل المُتسلسِلة في الخارِج أكثر من الداخِل، مُفضِّلةً أحيانًا تصوير جرائِم القتل المُتسلسِلة على أنها شيء غريب يختلِف عن التجرِبة الأمريكيَّة.

2 مُصطلح يعني قبول إيواء طفل يتيم، أو تخلَّى عنه والداه، لِقاء قدْر من المال. [المُترجِم]

3 الهوسير: كلِمة تُطلق على مواطِني ولاية «إنديانا». [المُترجِم]

الفصل الثاني

المسخ الأمريكي

نهضة القتلة ذوي التوقيعات الجنسيَّة

في الفترة بين 1930 - 1945

«بحق السماء! أمسِكوا بي قبل أن أقتُل المزيد».

ويليام هيرينز، قاتِل مُتسلسِل

بحلول مُنتصف ثلاثينيات القرن «العشرين»، ورغم الندرة النسبيَّة لجرائِم القتل المُتسلسِل، إلا أن الشعب الأمريكي كان على درايةٍ بالظاهرة، دون استخدام مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» نفسه. وكان «القاتِل المُتعدِّد» أو «القاتِل الجماعي»، كما أُطلِقَ عليه آنذاك، قد ظَهَر كشخصيةٍ نمطيّةٍ في نسيج الثقافة الشعبيّة.

تُعَد مسرحيّة «أرسينِك أند أولد ليس» التي كتبها «جوزيف كيسلرينج» عام 1939، إحدى مسرحيات الكوميديا السوداء التي تدور أحداثها عن عائِلةٍ غريبة الأطوار من القتلَة المُتسلسِلين. كما ظهرَت واحِدة من أقدم روايات الجريمة التي تناوَلت موضوع القتل المُتسلسِل كذلِك في عام 1939، وهي رواية «أجاثا كريستي» الشهيرة «ثُم لم يبقَ أحد».

استمرَّ القتلة المُتسلسِلون الحقيقيون، أو مَن يُشتبه في أنهم قتلة مُتسلسِلون بالظهور في الولايات المُتحِدة بمُعدَّل خمسة قتلة مُتسلسِلين جُدد كُل عامَين تقريبًا. وعندما تعرَّضَت الصُّحف لجرائِم القتل المُتعدِّد غير المحلولة، بدأت تُلاحِظ أوجُه التشابُه بين القضايا، واصِفةً إيَّاها أحيانًا بـ «جرائِم القتل المثالِيّة» أو «جرائِم القتل ذات التوقيعات»، مما يُشير إلى أن بعض مُرتكبي جرائِم القتل المُتعدِّدة إما عمدًا أو دون وعي قد تركوا بصماتهم أو «توقيعاتهم» في مسرَح الجريمة. وقد استُخدِمَت هذه المُصطلحات حتى أوائِل الثمانينيَّات، عندما اعتُمِدَ مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» عالميًّا.

شهدَت ثلاثينيّات وأربعينيّات القرن «العشرين» ظهور قتلةٍ مُتسلسِلين سيئي السُّمعة، مثل:

-«سفَّاح كينجسبري رن» أو «قاتِل جذوع كليفلاند»، الذي ارتكب اثنتَي عشرة جريمة قتلٍ وتشويه بين عامي 1934 و1938، حيث أُلقِيَت جذوع الضحايا، ورءوسهم، وأطرافهم في «كينجسبري رن»، وهو قاع جدولٍ في المدينة يمتدّ من شرق شارِع الـ 90، وطريق «كينسمان»، وحتى نهر «كوياهوجا». وكان الضحايا من التائهين في عصر الكساد الكبير، والعُمَّال المُهاجرين، والمُشرَّدين، وبائعات الهوى، وهُم الضحايا المُعتادون الذين يستهدِفهم القتلة المُتسلسِلون في كثيرٍ من الأحيان. وكان الـ «مُحصَّن» السابِق، العميل الخاص إليوت نيس، مُدير السلامة المُعيَّن مؤخَّرًا في كليفلاند، لكِن حتى هو لم يستطِع حلَّ هذه السلسِلة من جرائِم القتل.

-«جيك بيرد»، أو «رجل الفأس في تاكوما»، وهو قاتِل مُتسلسِل أمريكي مُهاجِر من أصل أفريقي، ادَّعى أنه قتل ما يصِل إلى ستةٍ وأربعين ضحيَّة من الإناث البيض بين عامي 1930، و1947 في «فلوريدا»، و«إلينوي»، و«آيوا»، و«كانساس»، و«كنتاكي»، و«ميشيجان»، و«نبراسكا»، و«أوهايو»، و«أوكلاهوما»، و«داكوتا الجنوبيّة»، و«ويسكونسن». اعتُقِل، وحُوكِم سريعًا، وحُكِم عليه بالإعدام عام 1947 بتُهمة قتل أمٍّ وابنتها المُراهِقة بالفأس في منزلهما في «تاكوما» بـ «واشنطن». لكِن تأجَّل تنفيذ الحُكم بإعدامه عندما اعترف بارتكاب أربعٍ وأربعين جريمة قتل إضافيّة، رغم أن الشُّرطة لم تتمكَّن من إثبات سوى إحدى عشرة جريمة قتلٍ منها فقط.

-«جو بول»، أو «الرجُل التمساح»، أو «سفَّاح إلميندورف»، والذي اشتُبِه به في قتل من ستٍّ إلى عشرين امرأة، ويُزعَم أنه أطعَم جُثثهنّ للتماسيح الأسيرة خلف منزِله في «تكساس» من عام 1936 إلى 1938، رغم أن عدد الضحايا قد ضُخِّم بشكلٍ كبير[(XXXII)].

-«قاتِل فتاة سان دييجو»، وهو قاتِل مُتسلسِل تشتبه الصحافة بأنه المسئول عن سلسِلةٍ من ستٍّ جرائِم قتل نساء لم تُحَل بين عامي 1929 – 1936 «انظُر أدناه».

-«قاتِل دوبونت سيركل»، وهو قاتِل مُتسلسِل يُشتبَه في ارتكابه إحدى عشرة جريمة قتل في واشنطن العاصِمة في الفترة بين 1929 – 1941. «انظُر أدناه».

سيناريو القتل المُتسلسِل:

انتشرَت عمليات الاغتصاب، والخنق، وتشويه الأطفال والنساء على حدٍّ سواء في كُل مكانٍ عبر التاريخ، ولكِن بحلول ثلاثينيّات القرن «العشرين»، كشفَت العديد من جرائِم القتل الجنسي – الفردية، والمُتسلسِلة على حدٍّ سواء – عناصِر شهوانيَّة أكثر تعقيدًا وتطرُّفًا. حيث كانَت جرائِم التشويه التشريحيَّة التي ارتكبها «جاك السفَّاح» أو «جوزيف فاشر» «عضويّة» بطبيعتها، وارتُكِبَت في المقام الأول في الهواء الطلق، وكانَت بدائيّةً ووحشيّة وشبيهة بتصرُّفات الذِّئاب، ونادِرًا ما انطوَت على نزوات، وخيالات مُصطنعة، أو اجتماعيّة. ولكِن في القرن «العشرين»، بدأنا نشهَد وبشكلٍ مُتزايدٍ حوادِث من جرائِم القتل المُتسلسِل المَرَضيّة والمُتطرِّفة «المكتوبة» جيِّدًا، والتي من شأنها أن تُميِّز موجة القتل المُتسلسِل القادِمة. وبدا أن سيناريو «ما الذي يجِب فعله، وبأي طريقة»، الخاص بجرائِم القتل تلك، قد نبع بدرجةٍ أقل من التجاويف الغريزيّة العميقة للزوايا البدائيّة في أدمِغة مُرتكبي تلك الجرائِم، بقدرِ ما نبع من الإشارات الاجتماعيّة، والثقافيّة، والتاريخيّة للمُجتمَع الذي عاشوا فيه، مما احتَفَت به الثقافة الشعبيّة والعدوانيّة في الأدب، والصحف، والوسائِط السينمائيّة التي ظهرَت حديثًا. لم «تخلُق» هذه الظواهِر الاجتماعيّة الثقافيّة في تلك الحقبة القتلة المُتسلسِلين، أكثر مما تفعل اليوم، لكِنها ألهَمَت وسهَّلَت كِتابة دوافعهم البدائيّة لتتجاوَز الغريزة وصولًا إلى عالَم الخيال والفانتازيا. وغالبًا ما أُضيء الدرب الذي سلكوه في كثيرٍ من الأحيان بالأدوات الثقافيّة العدوانيّة مثل المواد

الإباحيّة، أو الأعمال على شاكِلة «مائة وعشرون يومًا من الرذيلة» للكاتِب «ماركيز دو ساد»، المدعومة بالأعراف والقِيَم الاجتماعيّة المُعاصِرة.

فقد وَصَف الكاتِب الراحِل «كولِن ويلسون»، على سبيل المثال، كيف غيَّر التزمُّت الناشئ في العصر الفيكتوري الخيال الجنسي، وطبيعة الإباحيَّة في بريطانيا. وفي وقتٍ سابق، كانَت المواد الإباحيّة، مثل رواية «جون كليلاند» السيئة السُّمعة «فاني هِل» أو «مُذكِّرات امرأة مُتعة»، التي صدرَت عام 1748، قد صوَّرَت النساء على أنهُنّ مُنغمِسات في المُتعة الجنسيّة بشهوةٍ مثلهنّ مثل الذكور، بل ويُغوين الذكور في كثيرٍ من الأحيان، بنفس الطريقة التي يغويهنّ بها الذكور. لكِن في العصر الفيكتوري، أصبَحَ تبتُّل المرأة وعُذريتها ركيزةً أساسيّة للنظام الاجتماعي والقيَم الطبقيّة. وفي عام 1857، أصدَرَت بريطانيا قانون المطبوعات البذيئة، الذي يحظُر نشر وتوزيع المطبوعات الإباحيّة التي تُصوّر النساء المُنغمِسات عمدًا في الجنس، وصنَّفها على أنها بذيئة وتخضع لعقوبات جنائيّة وللمُصادرة. ومع انتشار المواد الإباحيّة سرًّا في العصر المُتزمِّت الحديث، لم تعُد النساء يُصوَّرن على أنهُن يسعَين لمُمارسة الجنس عمدًا بشهوةٍ جامحة، بل كضحايا مُجبَرات على انتهاك عفَّتهن الفيكتوريّة.

وبعبارةٍ أخرى، أصبحن «أدوات» جنسيّة. وعلى نحوٍ مُتزايِد، صوَّرَت المواد الإباحيّة والأدب الشعبي النساء غير المُتزوِّجات على أنهُنَّ لا يُمارِسنَ الجنس سوى إن أُجبِرنَ عليه، أو قُيّدن، أو ضُرِبن، أو اغتُصِبن. «بينما لا تُمارِسه المُتزوِّجات إلا بدافِع الواجِب، ورغمًا عنهُنّ». وفي هذه الإباحيّة الجديدة الناشِئة، أصبَح الجِنس شيئًا لا تُمارِسه النساء إلا رغمًا عنهُن، وغالبًا ما يكون ذلِك في مرحلة الطفولة. وأصبح الجنس، والإغواء، والعبوديّة، والقوّة، والألم أمورًا مُترابِطة. وقُدِّمَت سرديَّات الاختطاف، والعبوديّة، والاسترقاق، والجَلد، وكُلما كانت الفتاة أو المرأة التي تُمارِس الجنس القسري أكثر عفَّة، وكُلما كانَت غير راغِبة فيه، كُلما أصبَحَت أكثر جاذبيَّةً كـ «أداة» جنسيّة في الخيال الإباحي[(XXXIII)]. وكان الإلغاء الثقافي للرغبة الجنسيّة الأنثويّة هو الخطوة الأولى في تحويل النساء إلى أدواتٍ «خالِصة» لرغبة الذكور، بما في ذلِك القتلة المُتسلسِلين.

وغالبًا ما قُبِضَ على مُرتكبي جرائِم القتل الجنسي المَرَضيّة الأوائِل الذين ظهروا في وقتٍ مُبكِّرٍ بعد ارتكابهم لأول أو ثاني جريمة قتل، قبل أن تُتاح لهم الفُرصة لتكرار جرائمهم بشكلٍ مُتسلسِلٍ على مدى فترة أطول. «مثل جريمة قتل وتقطيع أوصال «فاني آدامز» البالِغة من العُمر ثماني سنواتٍ في بريطانيا، عام 1867، على يد «فريدريك بيكر»، الذي قُبِضَ عليه في نفس اليوم بعد أن كَتَب في دفتر يوميَّاته: «لقد قتلتُ طفلةً صغيرة. كان الأمر مُثيرًا ولا بأس به». أو جريمتَي القتل والتشويه اللَّتَين ارتكبهما «جوزيف لاباج» عام 1875». ولم يستمِر سوى عدد قليل منهُم ليصبحوا سفَّاحين مُتسلسِلين لفتراتٍ طويلة. وتشابهَت الحالة النفسيّة المرضيّة لهؤلاء الجُناة وطبيعة أفعالهم إلى حدٍّ كبيرٍ مع تلك التي سيرتكِبها القتلة المُتسلسِلون في المُستقبل، باستثناء أنه قد قُبِضَ عليهم بسُرعةٍ أكبر نسبيًّا. كانوا مثل صِغار الطيور القاتِلة التي تتعلَّم الطيران، قادرون على التحليق خارِج عش أوهامهم، لكِنهم عاجزون عن البقاء في السماء لمسافةٍ بعيدة. إما لافتقارهم للخيال والحِنكة اللازمَين للإفلات من جرائِمهم باستمرار، أو لأن «السيناريو» الذهني لديهم لم يتضمَّن

بطريقةٍ ما إمكانيّة عيش حياةٍ مزدوجة كقاتِل مُتسلسِل، أو رُبما لم يكُن لديهم ما يكفي من القدوة. كما أن المُجتمع كان أقل سريّة، وانكشف سِر القتلة بسُرعة من خلال جذب الانتباه إلى أنفُسهم في عصر ما قبل التِّلفاز، عندما اعتاد الناس على التجمُّع في الأماكِن العامَّة، والذهاب إلى المسرَح ثُم إلى السينما، والجلوس في الشُّرفات الأماميّة أو على عتبات الأبواب، وارتياد الحدائِق والصالونات والمطاعِم، وكانوا مرئيِّين ويسهُل لجيرانهم التعرُّف عليهم في عالمٍ أبسط به عددٌ أقل من الناس. لكِنَّ الحوادِث الفرديّة لجرائِم القتل الجنسي المُتطرِّفة ستضع حجر الأساس لجرائِم القتل المُتسلسِلة في المُستقبل؛ دون أن ينقُصها سوى تكرار جريمة القتل المَرضيّة بشكلٍ مُتسلسِل. وبدءًا من تعذيب «جيسي بوميروي» للضحايا الأطفال في بوسطن، الذي قيل إنه مُستوحًى من الروايات السطحيّة عن «التعذيب الهندي»، إلى جرائِم قتل أكل لحوم البشر والتشويه التي ارتكبها «ألبرت فيش» في «نيويورك» التي «سهَّلتها» «كما يصِفها مكتب التحقيقات الفيدرالي» الحكايات الشعبيّة عن آكِلي لحوم البشر في جنوب المُحيط الهادي وبعض مقاطِع الكِتاب المُقدَّس، ظهرَت سُلالة جديدة من القتلة الجنسيِّين؛ بعضهم مُتسلسِل، والبعض الآخر غير مُتسلسِل، يتغذَّون جميعًا على أفكارٍ وموضوعاتٍ وأوثانٍ جديدة، ويتمتَّعون بطُرقٍ جديدةٍ في التفكير، وطُرقٍ جديدةٍ في الحركة من خلال عاداتٍ وأعراف اجتماعيّة جديدة.

في الولايات المُتحِدة، وخلال ثلاثينيّات القرن العشرين، احتضنَت ولاية «كاليفورنيا» سلسلة من قضايا القتل الجنسي المُتطرِّفة السيِّئة السُّمعة التي من شأنها أن تُحدِّد في نهاية المطاف الإطار و«السيناريو» للعديد من القتلة المُتسلسِلين القادِمين. ولا توجَد إجابة دقيقة عن سبب حدوث موجة جرائِم القتل تلك في ولاية «كاليفورنيا» على وجه الخصوص. حيث تتجمَّع جرائِم القتل المُتسلسِلة في نقاطٍ زمنيّةٍ مُختلفةٍ في بعض الأحيان في مناطِق مُختلفة؛ فعلى سبيل المثال، شهدَت مناطِق مثل «شمال غرب المُحيط الهادي»، «فلوريدا»، و«نيفادا»، و«لويزيانا»، و«ألاسكا»، زياداتٍ غير مُتناسِبة في عدد القتلة المُتسلسِلين مُقارنةً بالمناطِق الأخرى. ورُبما شهدَت ولاية «كاليفورنيا» في ثلاثينيات القرن «العشرين» طفرةً في عدد القتلة المُتسلسِلين؛ لأنها كانَت في ذلِك الوقت مُتزمِّتةً مثل «بريطانيا» الفيكتوريّة، على الأقل مُقارنةً بـ «نيويورك» الأكثر عالميّة. لكِن هذا وحده لا يُفسِّر لماذا أصبحَت «كاليفورنيا» بؤرةً ساخِنة مرَّة أخرى في السبعينيّات والثمانينيّات عندما أصبحَت قِبلة العصر الجديد للتفكير الحُر التقدُّمي. وبشكلٍ عام، في ظلِّ وجود أكثر من سبعين قاتلًا مُتسلسِلًا صنَّفهم «إريك هيكي» بين عامي 1800 – 2011، فإن «كاليفورنيا» احتلَّت المرتبة الأولى من حيث عدد القتلة المُتسلسِلين[(XXXIV)].

«جرائِم قتل فتيات سان دييجو» أو «جرائِم قتل الفتيات المُعاصِرات»، بـ «سان دييجو»، في الفترة بين 1929 – 1938

تكهَّنَت بعض الصُّحف بأن هذه الجرائِم الجنسيّة السِّتَّ التي لم تُحَلّ ارتكبها نفس القاتِل، رغم أن ذلك، لم يُحدَّد في النهاية بشكلٍ قاطع. أطلقَت الصحافة لقب «الفتيات المُعاصِرات» على الفتيات المُستقِلَّات المُعتادات

على المواعدة بحُريّة، في محاولةٍ لربط «فجورهن» بقتلهن، «رغم أن أصغرهُنّ كانَت في العاشِرة من عُمرها، وأكبرهن كانَت في الثالِثة والأربعين». وبالنظر إلى تلك القضايا اليوم، أجِد أنه من غير المُحتمَل أن يكون نفس الجاني قد ارتكبها جميعًا. ومع ذلِك، كانَت جريمة القتل الثالِثة جديرةً بالمُلاحظة بسبب مسرَح الجريمة الشهواني الغريب.

كانَت «لويز تيوبر» البالِغة من العُمر سبعة عشر عامًا والتي عملَت كبائِعةٍ في متجر في منزلها. والتي وصفتها الصحافة بـ «الفراشة»، فتاة تواعِد مجموعةً متنوّعة من الرجال. وفي يوم السبت الموافِق 18 أبريل 1931، استقالَت «لويز» من وظيفتها، وأخبرَت مُديرها أنها «ستُسافِر» دون أن تُحدِّد إلى أين، أو مع مَن. قبل أن تصِل رسالة إلى والِدها بتسليمٍ خاص يوم الإثنين، كتبَت فيها الفتاة: «أبي العزيز، حاولتُ لفترةٍ طويلةٍ أن أكون راضيةً عن الطريقة التي تُدير بها المنزِل، ولم أعُد أستطيع تحمُّلها. سأغادِر المنزِل الليلة، ولن أعود». وخُتِمَت الرسالة بختم البريد في تمام الساعة السابِعة من مساء يوم السبت. وعندما وصلته الرسالة.. كانَت لويز قد ماتَت بالفعل.

عثر المُتنزِّهون في حديقة الجبل الأسود على جُثتها. كانَت عارية باستثناء زوج من الجوارِب الحريرية الرماديّة، وحذاء أسود. شُنِقَت بحبل مُلقًى على فرع شجرة بلوط، ومُثبَّت إلى شُجيرةٍ كبيرة، في وضعٍ يُشبِه وضع الجلوس، وعُلِّقَت أردافها على ارتفاع قدم فوق الأرض، بينما مُدَّت ساقاها إلى الأمام، وارتكز كعباها على الأرض. ثُبِّتَ الحبل حول عُنقها بعُقدة نصف وصلة مزدوجة خاصَّة بالبحَّارة. وعُثِرَ على ملابسها مطويَّة بعنايةٍ في مكانٍ قريبٍ على بطانيّة تابِعة للجيش، إلى جانِب لفَّة تحتوي على حمالة صدر، وزوج من الجوارِب تم شراؤهم مساء يوم السبت. وعندما عُثِرَ عليها يوم الأحد، قُدِّر أن «لويز» ماتت منذ حوالي ثماني ساعات.

لم يكُن هُناك أي دليل على اغتصابها، لكِن عُثِرَ على جلدٍ تحت أظافرها، مما يُشير إلى تشاجُرها مع قاتِلها. كما أنها تعرَّضَت لضربةٍ قويَّةٍ على رأسها.

وقد وصفَت «لويز» في مُذكِّراتها مواعدتها لنحو خمسة عشر رجلًا، من بينهم مصوِّر تجاري متزوِّج الْتقط لها صورًا إباحيّة. لكِن لا يُمكِن ربط أي منهم بقتلِها بشكلٍ قاطِع، ولا تزال القضيّة غير محلولة.

«جرائِم قتل فتيات سان دييجو» الأخرى كانت:

-«فيرجينيا بروكس»، البالِغة من العُمر عشر سنوات، والتي اختفَت في طريقها إلى المدرسة يوم 11 فبراير 1931، قبل أن يُعثَر على جُثتها مُقطَّعة الأوصال يوم 10 مارِس في كيسٍ من الخيش تحت دغل عُشبي، وهي تُمسِك بيدها عدَّة خصلات من شعرها الأشقر. لم تستطِع الشُّرطة تحديد السبب الدقيق للوفاة بسبب التشوُّه الذي أصابها، لكِنها تعتقِد أن السبب كان ضربةً في الرأس.

-عُثِرَ على «دوللي بيبنز»، البالِغة من العُمر ثلاثة وأربعين عامًا، بعد أربعة أيام من العثور على «لويز تيوبر»، وتحديدًا يوم 23 أبريل 1931 في شقَّتها، مُختنِقة بمنشفة، وقد ضُرِبَت، وذُبِحَت. ورغم أن خاتمًا من

الألماس قد انتُزِع من إصبعها بوحشيّة، إلا أن بقية مجوهراتها لم تُؤخَذ، مما يستبعِد أن تكون السرِقة هي الدافِع.

-عثر فتيان الكشَّافة في القرية الهنديّة في مُتنزَّه «بالبوا بارك» على جُثة «هيزل برادشو»، البالِغة من العُمر اثنين وعشرين عامًا، يوم 3 مايو 1931، وقد طُعِنَت وجُرِحَت سبع عشرة مرَّة، «منها سبعة جروح دفاعية بالسكين في يديها». اتُّهِم صديقها بقتلها، ولكِنه بُرِّئ في مُحاكمةٍ أمام هيئة المُحلَّفين.

-أُبلِغ والِد «سيليا كوتا»، البالِغة من العُمر ستة عشر عامًا، عن اختفائها بعد خروجها في نزهةٍ قصيرة مساء يوم 17 أغسطس 1934. قبل أن يُعثر على جُثتها في صباح اليوم التالي في الفِناء الخلفي لمنزلها، وهي تُمسِك خصلات من الشعر الرمادي في يدَيها، بعد أن خُنِقَت واغتُصِبَت.

-عُثِرَ على «روث موير»، البالِغة من العُمر خمسة وثلاثين عامًا، والعامِلة في جمعيّة الشُبَّان المسيحيين، من «ريفرسايد» بـ «كاليفورنيا»، بالقُرب من مقعدٍ على شاطئ البحر، وقد اغتُصِبَت، وضُرِبَت حتى الموت، يوم 1 سبتمبر 1936.

«ألبرت داير»، «جرائِم قتل أطفال إنجليوود»، بـ «لوس أنجلوس»، عام 1937

حتى الآن، تولَّى مُراسِلو الصُّحف مُعظَم عمليات تحليل جرائِم القتل المُتسلسِلة، إذ حاولوا ربط جرائِم القتل التي لم تُحَل وذات الخصائِص المُتشابِهة. جرت أول مُحاوَلة واضِحة لوضع صورة نفسيَّة لهدفٍ مجهولٍ في قضية قتل جنسي في عام 1937 على يد رجال الشُّرطة الأمريكيّة، حيث عُثِر على ثلاث فتيات صغيرات في السادِسة، والثامِنة، والتاسِعة من أعمارهن، مخنوقات في وادي «بالدوين هيلز»، في «إنجليوود»، بـ «لوس أنجلوس». ووُضِعَت أحذيتهن بعنايةٍ بجوار جُثَثهن، وأصبَحَت صورة أيقونيَّة لصحافة العالم الذي قد بدأ يجنُّ جنونه.

اعتُبِرَت «إنجليوود» في مُنتصف ثلاثينيَّات القرن «العشرين» بمثابة «جنَّة مثاليَّة» للطبقة العامِلة، حيث كان مُتنزَّه «سنتينيلا»، وحمَّام سباحته، وملاعِبه ملاذًا آمِنًا ليلعب به الأطفال المحليون. وغرقت تلك الحقبة في براءةٍ تامّة، عندما لم يواجِه الآباء والأُمهات أي مشاكِل في السماح لأطفالهم بالابتعاد عن ناظرَيهم، رغم التقارير التي وردَت بين الحين والآخر عن حالات اختطاف الأطفال، وجرائِم القتل.

وقد شوهِدَت الفتيات الثلاث صباح يوم السبت في حديقةٍ قريبةٍ وهُنّ يلعبن هُناك كما يفعلن عادة. وقبل فترة وجيزة من اختفائهن، أخبرن عامِل حمَّام السباحة أنهن ذاهِبات للبحث عن «صِغار أرانِب» مع شخصٍ ما. قبل أن تعثر فرق البحث على جُثثهن في وادٍ يبعُد ميلين عن الحديقة.

عمل الطبيب النفسي، المولود في «نيو أورليانز»، الدكتور «جي بول دي ريفر»، ضمن إدارة مُراقبة السلوك في «لوس أنجلوس»، لتقييم المُفرَج عنهم بشروطٍ عندما طَلَبَت منه الشُّرطة فحص مسرَح الجريمة، وتقديم أي فكرة عن شخصيّة قاتِل الأطفال المُغتصِب المجهول، وهويته المُحتمَلة. وقد غامَر «دي ريفر» بتقديم الملف الشخصي التالي:

«ابحثوا عن رجلٍ واحِد، قد يكون في العشرينيات من عُمره، مُتحرِّش بالأطفال، ورُبما يكون قد سبق اعتقاله من قبل بسبب إزعاج الأطفال. يمتاز بالساديّة، ومع وفرةٍ فائِقة من الفضول. إنه دقيق للغاية، ورُبما يشعُر بالندم الآن، لأن مُعظَم الساديِّين يَميلون إلى المازوخيّة بعد التعبير عن ساديَّتهم. وقد يتمتَّع السادي بنزعةٍ دينيّةٍ، وقد يلتزِم في صلواته. وعلاوةً على ذلِك، إنه من النوع الاستعراضي، وقد فعل هذا الشيء، لا باندفاعٍ مُفاجئ، بل كفعلٍ مُخطَّط له عمدًا. أرى أنه قد اكتسَب ثقة تلك الفتيات الصغيرات، وأعتقِد أنهن عرفنه ووثقن به»[xxxv].

وقد أُحضِر عدد من «المُشتبه بهم المُعتادين»، أي حفنة من الرجال العُزَّاب، والمُهاجرين المكسيكيين، لاستجوابهم، ولكِنهم بُرِّئوا جميعًا. ثُم بعد أسبوع من جرائِم القتل، جاء «ألبرت داير»، البالِغ من العُمر اثنَين وثلاثين عامًا، وهو حارِس معبر، مُرتديًا زيّه الرسمي، إلى قِسم شرطة «إنجليوود»، وهو يصرُخ ويهذي بشأن تعرُّضه لمُضايقاتٍ من رِجال الشُّرطة بسبب جرائِم القتل.

وكانَت الشُّرطة قد استجوَبته بالفعل، عندما أبلَغ أحد الشهود عن رؤيته يتجوَّل في مُتنزَّه «سنتينيلا»، ولكِنه بُرِّئ بعد أن ادَّعى أنه كان يعمل في بستنةِ منزِله يوم اختفاء الفتيات. وعندما عُثِرَ على جُثث الفتيات، ظهر «داير» في مسرح الجريمة في الوادي، مُرتديًا زيّه الرسمي كحارس معبر، وحامِلًا شارته، مُحاوِلًا إعطاء تعليماتٍ حول كيفيّة نقل جُثث الفتيات، ومُضايقًا المارَّة الذين دنَّحنوا بالقُرب من مكان الحادِث لعدم احترامهم للضحايا. وشكَّل مصدر إزعاج لا بأس به طوال الأسبوع، حيث جلب معلوماتٍ عن المُشتبه بهم المُحتَمَلين، واستفسَر بشكلٍ مُتكرِّرٍ عن مجرى سير التحقيق.

عندها، ألقَت الشُّرطة نظرةً ثانيةً على «داير»، وتقرَّر إخضاعه للاستجواب مرَّة أخرى. وسُرعان ما اعترف، وأخبَر رجال الشُّرطة أنه كان يحلم لسنواتٍ بمُمارسة الجنس مع فتاة صغيرة، وأنه لطالما أراد «جسدًا ضيِّقًا وصغيرًا»، لكِنه «فضَّل أن يُفارقن الحياة كيلا يؤذيهنّ». وهكذا راقَب الحديقة، حيث رأى الفتيات يلعبنَ بشكلٍ مُتكرِّر، وأعدَّ حبله. ثُم اقترب حارِس المعبر المألوف والودود من الفتيات الثلاثة، ودعاهُنَّ لمُقابلته في وقتٍ لاحقٍ بعد الظُّهر، للذهاب معه للبحث عن «صِغار أرانِب» في تِلال «بالدوين». وبعد أن خنقهنّ واحدةً تلوَ الأخرى، اغتصب ثلاثتهنّ عن طريق المهبل، ثُم اغتصب اثنتَين منهنّ شرجيًّا، ورتَّب أحذيتهنّ بعنايةٍ بجوار جُثثهن، حتى يظن من يعثر عليهن، وفقًا لاعترافاته: «أن الفتيات كُن منظَّمات حتى النهاية». وبعد ذلِك، كما قدَّر «دي ريفر» في ملفَّه الشخصي، ركع بجوار كُل فتاةٍ منهنّ، وتلا صلاةً تقول: «اللهم أنقِذ روح هذه الطفلة، وأنقِذ روحي، واغفر لي ما فعلت»[xxxvi].

أدين «ألبرت داير»، وأُعدِمَ في سبتمبر 1938.

وفي عام 2018، كتبَت المُحامية والصحفيّة السابِقة «باميلا إيفريت»، ابنة أخت اثنين من الضحايا، روايةً جديدة للقضيّة بعنوان: «أحذية صغيرة: جرائِم القتل المُثيرة في عصر الكساد التي أصبَحَت سرَّ عائِلتي». والتي قدَّمَت فيها حُججًا مُقنِعةً للغاية – ولكِن غير حاسِمة – بأن داير رُبما كان بريئًا. على سبيل المثال، لم

يمتلِك «داير» سيّارة، وشكّكَت «إيفريت» في أن الفتيات الصغيرات كُن لِيَسرْن لمسافةِ ميلَين ذهابًا إلى مكانٍ لم يسبِق لهنّ الذهاب إليه من قبل، حتى ولو بحثًا عن «صِغار أرانِب».

«أوتو ويلسون» «جرائِم الموتى الأحياء» بـ «لوس أنجلوس» عام 1944

في يوم الثُلاثاء الموافِق 15 نوفمبر 1944، استجابَت الشُّرطة لبلاغٍ عن جُثة أنثى مشوَّهة عَثَر عليها الموظَّفون في فُندق «باركلي» القذِر الكائِن في زاوية الشارِع «الرابع الغربي»، والشارِع «الرئيسي الجنوبي» في وسط مدينة «لوس أنجلوس». ويقع الفُندق على حافة شارع المُفلسين المُزدهرين الذي نشأ للمرَّة الأولى في عصر الكساد، شرق «الشارِع الرئيسي»، والذي لا يزال قائِمًا حتى اليوم، شامخًا في مواجهة مباني المكاتِب الرومانيّة الأنيقة التي تعود إلى العصر الفيكتوري، وواجِهات المتاجِر، وقصور السينما، في بدايات وسط مدينة «لوس أنجلوس». وعندما افتُتِحَ عام 1897، تحت اسم «فُندق فان نويس»، كان فُندقًا من الدرجة الأولى، وكان أول فُندقٍ في المدينة يوفِّر الكهرباء والهواتِف في جميع غُرفه. لكنه لم يتحمَّل الأوقات العصيبة في ثلاثينيّات القرن «العشرين»، وتحوَّل إلى فندقٍ رخيصٍ يتقاضى دولارًا واحدًا في الليلة بحلول الأربعينيّات.

وكانَت الضحيّة، فيرجينيا «فيرجي» لي جريفين، البالِغة من العُمر ستةً وعشرين عامًا، والتي تُقدِّم خدماتها الجنسيّة مُقابل خمس دولاراتٍ فقط، يائِسةً حتى إنها عملَت في حانةٍ في الشارع «الرئيسي» في الساعة الثامِنة صباحًا، عندما.. وبحسب شهود العيان، اصطحبها شابٌّ وسيم حَسَن الملبَس، له شارب مُشذَّب، ويُشبِه النجم السينمائي «روبرت تايلور». دَخَل الاثنان إلى فُندق «باركلي» في تمام الساعة التاسِعة صباحًا، على أنهما السيّد والسيّدة «أوه. إي. ويلسون»، من «ستوبينفيل»، بـ «إنديانا». وعند الظهيرة تقريبًا، غادَر الرجُل الفُندق بمُفرده، وفي طريق خروجه.. أعطى الخادِمة دولارًا واحِدًا كيلا «تُزعِج زوجته». لكِن خادمةً أخرى ذهبَت لتنظيف الغُرفة، ولن تنسى ما رأته هُناك أبدًا؛ حتى إن بعض رجال الشُّرطة ذوي البأس الذين وصلوا إلى مكان الحادِث في وقتٍ لاحقٍ لم يتخطَّوا الأمر قط.

استلقَت الضحية عاريةً على أرضيّة الحمام، التوَت أطرافها وتهشَّمَت كدُميةٍ تحرَّرَت من خيوطها. في حين شُقَّ جذعها عموديًّا حتى انقسم إلى قسمَين، بدءًا من كتفها الأيسَر حتى ما بين ساقَيها، الذي استؤصِل تمامًا، جنبًا إلى جنبٍ مع أعضائها التناسُليّة. أجريَت عملية التشويه تلك بسكين جزَّار تُرِكَت بجانبها. بعد أن استؤصِلَت أمعاؤها وأعضاؤها الداخليّة في كُتلةٍ لزجةٍ تُشبِه «لُب» اليقطين، وأُلقِيَت بين ساقَيها، أو حيث كان من المُفترَض أن يكون «ما بين ساقيها» في وقتٍ ما، هذا لأن إحدى ساقَيها قد قُطِعَت بالكامِل، وأُلقِيَت جانبًا، بينما قُطِعَت الأخرى بعُمقٍ من فوق الرُكبة مُباشرةً، وطُوِيَت تحتها تقريبًا. بينما وُضِع أحد ثديَيها المبتورَين بجوار ساقها المثنيّة. في حين فُصِلَت كِلتا ذراعَيها تمامًا عن كتفَيها، ولكِنهما بقيَتا في مكانهما مُتّصِلتَين بشريطٍ رخوٍ من اللحم والأنسِجة الدُّهنيّة المربوطة حول ظهرها. ذُبِحَ حلقها بعُمق، بينما تعرَّض وجهها ورأسها للضرب، وطُعِن جذعها وجُرِح عدَّة مرَّات، وشُوِّه ثدياها وبُتِرا. كانت هذه واحِدة من أسوأ

حالات التشويه التي شهدتها شرطة «لوس أنجلوس»، ولا تزال هذه الحالة مُتطرِّفة بشكلٍ مُشين.. حتى بمعايير اليوم.

كان قاتِل «جريفين» هو «أوتو ستيفن ويلسون»، البالِغ من العُمر أربعةً وثلاثين عامًا، وهو صيدلي عسكري، سُرِّح من البحريّة. نشأ «ويلسون» في دارٍ للأيتام بعد أن هجرته والِدته، وامتلأت طفولته بالاغتصاب وسوء المُعاملة. ورغم أنه مُتزوِّج، إلا أنه تمتَّع بميولٍ جنسيّة مزدوجة. واعترف بمُمارسة الجنس العنيف مع زوجته، فعضّها وآذاها. وخوفًا من عُنفه المُتصاعِد، ومن ولعه بشفرات الحِلاقة والسكاكين، أبلغَت زوجته، التي عانَت من الكدمات والعضّ عن ميوله الجنسيّة المزدوجة إلى البحريّة، ونتيجة لهذا سُرِّح طبيًّا في عام 1941. وهكذا انفصلا. وانتهى الأمر بـ «ويلسون» وهو يعمل في وظائِف بلا مُستقبل، كغاسِل صحون، بينما تنقَّل بين المنازِل الرخيصة في شارِع «الخامِس الشرقي» في وسط مدينة «لوس أنجلوس». واعترف فيما بعدُ أن غضبًا شديدًا تجاه النساء بدأ يتطوَّر لديه، إلى جانِب خيالاتٍ جنسيّة مليئة بأكل لحوم البشر. وفي عام 1943، هاجَم امرأةً أثناء دخولها منزِلها، وحاوَل خنقَها تحت الدرج، لكِنها تمكَّنَت من الفرار. خُفِّفَت جريمته إلى تُهمة الضرب، وقضى عقوبةً بالسِّجن لمُدة ستة أشهُر. وبمُجرَّد إطلاق سراحه، سيطرَت عليه تلك الرغبة مُجدَّدًا.

في صباح ذلك اليوم من شهر «نوفمبر عام 1944، وبعد نوبةٍ من الإفراط في الشراب لمُدَّة يومَين، تسلَّح «ويلسون» بشفرة حلاقته المُفضَّلة، وذَهَب إلى متجرٍ محليٍّ للأدوات، واشترى سكين جزَّار، قبل أن يذهب للتجوُّل في حانات وسط المدينة بحثًا عن ضحية. وفي تمام الثامِنة صباحًا، صادَف «فيرجي» جريفين البائِسة التي عاشَت في الحي المُفلِس، والتي كانَت تتوق بشدَّة لتناوُل شراب، حتى إنها ذهبَت معه طواعيةً إلى غُرفة الفُندق مُقابل خمس دولارات، وبضع جرعاتٍ من الويسكي.

وبمُجرَّد دخوله إلى الغُرفة، وَضَع «ويلسون» السكين فوق خزانة الملابِس، بعيدًا عن أنظارها، وشَرِب كُلٌّ منهما كأسَين من الويسكي. ثُم تجرَّد من ملابِسه، وطواها بعنايةٍ فوق المقعد. وأخبَر الشُّرطة لاحقًا أنها رفعَت سعرها فجأةً من خمس دولارات إلى عشرين دولارًا، وأنه لكمَها وخنقها في ثورة غضبه حتى فقدَت وعيَها أو ماتَت. ثُم ذبحها، وطعنها في صدرها وجذعها. وعضَّها حول رقبتِها، وكتفَيها، ولحَس وعضَّ ما بين ساقيها. وبعد ذلِك، سَحَب جُثتها من السرير إلى الحمَّام، وقطَّعها إلى قِطَع، تاركًا السكِّين، وورق تغليفه، والمناشِف المُلطَّخة بالدِّماء مكوَّمةً بين قطع اللحم الدُّهني والأمعاء الزلِقة المُتناثِرة على الأرض. وبعد ساعةٍ من «اللعب» باللُّبِّ البشري، اغتسل «ويلسون» في حوض الحمَّام، وارتدى سُترته وغادَر.

ثُم ذهب بعد ذلِك إلى إحدى دور السينما القريبة، حيث شاهَد فيلم «الموتى الأحياء»، الذي يلعب فيه «بوريس كارلوف» دور زومبي، وهو رجُل أُعدِم خطأً بتُهمة القتل، وأُعيدَت إليه الحياة علميًّا ليأخُذ بثأره من المسئولين عن موته. وعند خروجه في نهاية الفيلم، إلى ضوء الظهيرة الساطِع، شَعَر ويلسون بالتوهُّج، وبانفصالٍ ذهنيٍّ يفصِل بين الموت الخيالي الذي شاهده لتوِّه، وبين الموت الذي ارتكبه منذ ساعاتٍ قليلة في الواقِع، وهو أكثر بشاعةً بكثيرٍ من ذلِك الذي صوَّره فيلم الزومبي الذي مثَّله «كارلوف».

وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهيرة، وهو نفس الوقت الذي اكتُشِفَت جُثة «فيرجينيا جريفين»، ذهب «ويلسون» إلى حانةٍ قريبة، واستهدف بائعةَ هوى أخرى، «ليليان جونسون»، البالِغة من العُمر ثمانيةً وثلاثين عامًا، والتي رافقته إلى غُرفةٍ على بُعد عدَّة بِنايات، في فُندق «جويس» المُتهالِك، الكائِن في 310 شارِع «ساوث هيل»، بالقُرب من نهاية سكَّة حديد «أنجلز فلايت» المُعلَّقة. طَلَب «الزوجان» مُكالمةً للاستيقاظ في تمام الساعة الثالِثة والنِصف مساءً، ورُبما كانَت هذه هي طريقة «جونسون» لضبط مواعيد عملها. وبمُجرَّد أن تجرَّدَت من ملابسها تمامًا، باستثناء حذائها وجوارِب كاحلَيها، لكمَها وخنقها على السرير. ثُم ضربها وعضَّها بجنونٍ حتى إنه قَضَم وابتلع إحدى حلمتَيها. كان قد ترك سكينه في «باركلي»، لكِنه لا يزال يحتفِظ بشفرة الحِلاقة. جَرَح جسدها بشفرة الحلاقة، مُحاولًا استئصال أعضائها التناسُليّة بقطْعٍ دائري، وجَرَح يده عن طريق الخطأ أثناء ذلِك. وبعد أن استنفد قواه تقريبًا، غرس شفرة الحِلاقة في مُنتصف صدرها، ثُم قطعه بالموس، وفتح جرحًا عموديًّا عميقًا في جذعها، وبطنها، وأسفل ساقها اليُسرى، مما قطع الثلث الأيسَر من جسدها تقريبًا. ذَهَب «ويلسون» بعد ذلِك إلى الحمَّام في الردهة ليغتسِل، لكِنه اكتشف أنه أغلق على نفسه خارِج الغُرفة. وهكذا طَلَب من عامِلة خدمة تنظيف الغُرف أن تفتح له الباب بهدوء، وتسلَّل إلى الداخِل، وأخذ سُترته، وغادَر الفُندق. لكِنه لم يذهب بعيدًا، وإنما توجَّه إلى حانةٍ على بُعد بضعة مبانٍ في شارِع «ساوث هيل»، وبدأ يتصيَّد ضحية ثالِثة.

في هذه الأثناء، وبالعودة إلى فُندق «جويس»، عندما لم يستجِب أحدٌ لمُكالمة الاستيقاظ في تمام الساعة الثالِثة والنصف، دَخَل الموظَّفون إلى الغُرفة، ووجدوا جُثة «ليليان جونسون» في انتظارهم على السرير. وبالعثور على امرأتَين مشوَّهتَين في غُرف فُنادِق وسط المدينة في غضون ساعاتٍ قليلة، ومُطابَقة أوصاف المُشتبه بهم بشخصٍ ذو شارِب يُشبِه «روبرت تايلور»، انتشر رِجال الشُّرطة في حانات وسط المدينة. وفي تمام الساعة الخامِسة والنصف، دَخَل ضابِط الشُّرطة «هاري إيه. دونلان» إلى حانةٍ تقع على بُعد عدَّة مبانٍ من فُندق «جويس»، وشاهد رجلًا مُطابِقًا للأوصاف جالسًا يتحدَّث مع امرأةٍ وفي يده كأس نبيذ. وعندما اقترب منهما، لاحَظ الضابِط أن لدى الرجُل آثار دِماء جافَّة على شارِبه، وجروح في يدَيه. وبتفتيشٍ سريعٍ للرجُل، تبيَّن وجود علبة كبريتٍ فارِغة من فُندق «باركلي» في جيبه. وجُلِبَ «أوتو ويلسون» للاستجواب، قبل أن يعترِف في النهاية بارتكاب جريمتَي القتل.

لم يتمتَّع «ويلسون» سوى بالقليل من المعرِفة بجرائِمه، ووَصَف نفسه بأنه قَتَل ضحاياه وشوَّههم بلا تفكيرٍ مثل الزومبي. ورغم اعترافه بإحضار سكين جزَّار إلى مسرَح الجريمة، إلا أنه ادَّعى أن جريمة القتل الأولى كانَت بسبب مُطالبة «جريفين» بمزيدٍ من المال، لكِنه سُرعان ما أضاف: «بالطبع، أُدرِك أن هذا ليس عُذرًا جيِّدًا للغاية، لكِنني لا أعرِف». قبل أن يُضيف: «لقد كُنتُ فاقِدًا لعقلي، وأحاوِل تذكُّر أكبر قدرٍ مُمكِن من التفاصيل».

أجرى الطبيب النفسي الشرعي في شرطة «لوس أنجلوس»، الدكتور «جي. بول دي ريفر»، مُقابلة مع «ويلسون»، وخلص إلى أنه كان عاقِلًا، ومُدرِكًا لأفعاله، ولكِنه لم يشعُر بأي شيءٍ يُمكِّنه من تفسيرها. لقد

كان مريضًا نفسيًّا، ووفقًا لما ذكره «دي ريفر»، فإن النساء كُن ضحايا تشريح سادي لعوب، ومحل نزوات سفَّاح. لكِنه لم يكُن مُغتصِبًا. بل هو مُنحرفٌ للغاية، تدفعه شهوة القتل، هذا العرض من القسوة الذي يرتبِط ارتباطًا وثيقًا بعمليات الهضم، والذي يدُل تمامًا على الساديّة. ويُمكِننا أن نتتبَّع هذا الترتيب من الارتباطات في الحيوانات الدُّنيا، حيث يُضطرُّ أحدها إلى القتل إن جاع، وهنا نرى نفس هذه الرغبة، هذه الرغبة الشهوانيّة بالإحساس بالذبح، وإن تتبَّعنا هذا.. نرى كيف يُمكِن للقتل والذبح أن يتشابكا مع الغريزة الغذائيّة، وفي المُركَّب السادي المازوخي، كما في هذه الحالة، كثيرًا ما نجِد ميولًا لأكل لحوم البشر، التي يُمكِن تشبيهها بمرحلة الشبق الساديّة في مرحلة الطفولة. وخلال هذه المرحلة يجِد الطفل المُتعة، والإشباع، في العضِّ والمص. وقد يصِل مفهوم الجوع هذا إلى أقصى حدوده في الرغبة بالاندماج، والابتلاع، والاستحواذ كملكيّةٍ خاصَّةٍ بالفرد. لقد كان مُحبًّا لمُجامعة الموتى وأكل لحوم البشر[(XXXVII)].

وعزا «دي ريفر» اضطراب «ويلسون»، وكراهيته للإناث، إلى تخلِّي والِدته عنه في طفولته، وتربيته المؤسَّسيّة التعسُّفيّة في دور الرعاية التي تركته مُصابًا بصدمةٍ نفسيّة، وآكلًا للحوم البشر، ومُحبًّا لمُجامعة الموتى؛ قاتِل زومبي «مُستذئِب» أبلَه.

جريمة قتل «الداليا السوداء» بـ «لوس أنجلوس» عام 1947

ستتلاشى جرائِم «الموتى الأحياء» بشكلٍ دراماتيكيٍّ من ذاكِرة الجمهور بعد ثلاث سنوات، لتحِل محلَّها جريمة القتل المُثيرة، غير المحلولة، التي راحَت ضحيتها «إليزابيث شورت»، الفتاة البالِغة من العُمر اثنين وعشرين عامًا، والتي عُثِرَ عليها في قطعة فارغة من الأرض في جنوب جادة «نورتون» بين شارع 39 و«الكلسيوم»، عاريةً ومقطوعة إلى نصفَين من عند خصرها، وقد جُفِّفَ جسدها من الدِّماء في مكانٍ آخر، وغُسِل وأُعِدَّ بعناية، وقد قُطِّع جذعها، وثدياها، وساقاها، ونُقِشَت ابتسامة «الجوكَر» على وجنتَيها من أطراف فمها وحتى أذنَيها. بينما كَشَف وجهها ورأسها عن آثار ضرب. وعُثِرَ على أمعائها تحت أردافها. وعُثِرَ كذلِك على آثارٍ لعلامات تقييد على معصمَيها وكاحلَيها؛ وكان من الواضِح أنها احتُجِزَت وعُذِّبَت. «شوهِدَت «شورت» لآخِر مرَّةٍ قبل ستَّة أيام من العثور على جُثتها». ومثل قضية «جاك السفَّاح»، لا تزال قضيّة «الداليا السوداء» «ما زال أصل اللَّقب محل نِزاعٍ حتى يومنا هذا»، وتجتذِب حشدًا كبيرًا من الباحثين والمُحقِّقين الهواة الذين يسعون إلى إيجاد إجابةٍ لسؤال: من الذي قتل «إليزابيث شورت» بهذه الطريقة المروّعة؟

القتلة المُتسلسِلون الجُدد في الفترة بين 1930 - 1949

اعتاد القتلة المُتسلسِلون الأمريكيون في عشرينيّات القرن «العشرين» مثل «إيرل نيلسون»، و«ألبرت فيش»، الوصول في الغالِب إلى أبواب ضحاياهُم سيرًا على الأقدام، أو نصب الكمائِن لهم في الطُّرقات، أو الشوارِع الموحِشة، ويجرُّونهم كالعناكِب إلى زقاقٍ مُظلمٍ قريب، أو إلى مستودَع فحم، أو غابة كثيفة، حيث يغتصبونهم، ويقتلونهم، ويشوِّهونهم. ودُفِع الكثير منهم بالجنون العائِلي الصريح، أو بمقاطع من الكِتاب

المُقدَّس، أو أدب المُغامرات السطحي، أو إدمان الأفيون، أو اغتصاب أطفال المحارِم، أو الأسرار القوطيّة للغُرف الخارجيّة أو العُلِّيات. وغالبًا ما كانوا غريبي الأطوار ومُضطربين، ويقتبِسون من الكِتاب المُقدَّس، مُهاجرين، بلا جذور، رِثاث الملامح؛ لاجئين يُلوِّثهم المرض، وتُلطِّخ أقدام سراويلهم الرثَّة المُتَّسِخة بُقَع دماء جافَّة لا يُمكِن تمييزها. لا يندمجون في مُجتمعات الجيران، ويبدون مثل الوحوش المريضة. يركبون السكَّة الحديد، أو يتنقَّلون مُتطفِّلين، أو يتنقَّلون قهرًا على أقدامهم من جريمة قتلٍ إلى أخرى.

لكِن في عام 1941، عندما تعرَّفنا على القاتِل المُتسلسِل «جارفيس روزفِلت كاتوي»، وقُبِض عليه، أُثبِتَ أنه كان مسخًا بالمعنى الكلاسيكي للكلِمة: نذير شؤم لكُل ما سيحدُث على مدار الثلاثة عقود التالية.

«جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي» أو «قاتِل دوبونت سيركل» بـ «واشنطن العاصِمة» و«نيويورك» في الفترة بين عامي 1929 – 1941

قُتِلَت النساء في «واشنطن العاصِمة» بمُعدَّلٍ يُنذِر بالخطر بدءًا من عام 1929. وكانَت الضحية الأولى في سلسِلة الجرائِم الطويلة القادِمة هي المُمرِّضة «فيرجينيا ماكفيرسون»، البالِغة من العُمر اثنَين وعشرين عامًا. والتي كانَت قد انفصلَت مؤخرًا عن زوجها، «روبرت»، الذي عمل موظَّفًا في أحد البنوك. وفي يوم 14 سبتمبر 1929، عندما لم ترُد على مُكالماته الهاتفيّة، زار زوجها، السابِق، شقَّتها في الطابِق الثاني بالقُرب من ناصيَة شارِع «آي ستريت»، وشارِع «بنسلفانيا»، في شمال غرب «واشنطن». ليجِد «فيرجينيا» مُلقاةً على أرضيَّة غُرفة النوم مُرتديةً منامة حريريَّة فقط. بينما لُفَّ حبل المنامة بإحكامٍ حول عُنقها، وثُبِّتَ في مكانه بعُقدة جرَّاح.

وسُرعان ما أعلَنَت هيئة المُحلَّفين أن وفاتها كانَت انتحارًا، لكِن ضابِطَ شرطة مُبتدِئًا له صِلات بمجلِس الشيوخ تمكَّن من إعادة فتح القضية، مُدَّعيًا وجود تستُّر، وأن هُناك شهودًا قد رأوا مُشتبهًا به يهرُب من النافِذة الخلفيَّة للشقَّة إلى سطحٍ مُنخفض. وأوقِف العديد من كِبار مسئولي الشُّرطة عن العمل آنذاك، لكِن القضية ظلَّت دون حل.

كانت «ماري بيكر» هي الضحيَّة الثانية، بلغت من العُمر ثمانيةً وعشرين عامًا، وكانت كاتِبة في وزارة البحريَّة، في 11 أبريل 1930. ورآها أحد الشهود بالقُرب من «نصب واشنطن التذكاري» في سيَّارةٍ يقودها رجُل، ويبدو أنه ضربها عدَّة مرَّات بقبضته، قبل أن يقودا السيَّارة مُبتعِدَين. دوَّن الشاهِد رقم لوحة السيَّارة، وأبلَغ الشُّرطة في نفس المساء. ليتَّضِح أن اللوحة تعود إلى سيَّارة «ماري»، التي عُثِر عليها في طريقٍ ناءٍ على حافة مقبرة «أرلينجتون الوطنيّة» في صباح اليوم التالي. وعثرَت الشُّرطة على جُثَّة «ماري» في مكانٍ قريب، ووجهها للأعلى في المياه الضحلة لمجرَى مائي. وقد مُزِّقَت ملابسها الداخليَّة، وتعرَّضَت للخدش، والخنق، والضرب المُبرِّح بما يكفي لخلع عدَّة أسنان، كما أُطلِقَت النار عليها ثلاث مرَّات، بمُسدَّس عيار 25. في حلقها، وظهرها، وجانِبها الأيسَر. وظلَّت القضية دون حل كذلِك.

وفي يوم 24 مايو 1934، عُثِرَ على المُعلِّمة المُتقاعِدة «ماري إيه. شيدز»، البالِغة من العُمر خمسةً وستين عامًا، في شقَّتها الواقِعة في «شمال غرب واشنطن»، شارع 2000 السادِس عشر، وهي الضحيَة الثالِثة. وقد لُكِمَت في عينها، واغتُصِبَت، وخُنِقَت. ويبدو أن قاتِلها قد دَخَل شقتها من سُلم الحريق المُتاخِم لنافِذتها. واستخرجَت الشُّرطة من تحت أظافِرها عيِّنات من الجلد، زُعِمَ أنها تعود لأمريكي من أصل أفريقي «ذو بشرة فاتِحة». لكِن لم يُكشَف عن أي أدِلَّةٍ أخرى بخلاف ذلِك.

وفي 9 نوفمبر 1935، عُثِرَ على «كورينا لورِنج»، البالِغة من العُمر ستّةً وعشرين عامًا، في «جادة العُشَّاق»، على بُعد بضعة مبانٍ من منزلها في «ماونت رينييه»، خارِج «واشنطن العاصِمة»، في ولاية «ماريلاند». كانَت «لورِنج» مُعلِّمة في مدرسة الأحد ذات سُمعةٍ لا تشوبها شائِبة، ومن المُقرَّر أن تتزوَّج خلال يومَين. وكان هُناك جرحان غائِران فوق عينها اليُمنى، وحرق لا يُمكِن تفسيره، يُشبِه العلامة مشوِّهًا جبهتها. وقد خُنِقَت بخيطٍ طوله خمسة أقدام ملفوف بإحكامٍ حول عُنقها، ومغروس في حلقها. كما عُثِرَ بالقُرب منها على زُجاجة ويسكي، وحُشِرَ في عنقها نُسخة بحجم الجيب من الكِتاب المُقدَّس. اشتبهَت الشُّرطة في العديد من خُطَّابِها السابِقين، وحتى في صديقةٍ خطيبها السابِقة. ودُفِنَت «كورينا» في ثوب زفافها، وبقيَت القضية دون حل.

وظلَّت الصحافة الوطنيَّة تُحصي جرائِم القتل التي لم تُحل. ونشرَت صحيفة «دايتون ديلي نيوز»، في عام 1936، مقالًا بعنوان: «جريمة أخرى في سلسِلة ألغاز جرائِم القتل المُحيِّرة في واشنطن». ورغم أن مفهوم القاتِل المُتسلسِل لم يُوضَّح بدقَّةٍ بعدُ، إلا أن الصحيفة لَمَّحَت إلى ترابُط جرائِم القتل، قائِلة: «اهتزَّت عاصِمة الأُمَّة بسبب مقتَل الجميلة «كورينا لورِنج» خنقًا، وهي المَرَّة الرابِعة خلال سِتِّ سنواتٍ التي تلقى فيها فتاة جميلة موتًا غامِضًا وعنيفًا في ظروفٍ مُتشابِهةٍ بشكلٍ غريب»[(XXXVIII)].

كما نشرَت صحيفة «هيرالد بريس» في «ميشيجان» تقريرًا بعنوان: «في واشنطن، موطِن «أفضَل» العقول البوليسيَّة، عُجِزَ عن حلِّ جرائِم قتل أربع شابات.. أربع جرائِم قتل جميعها تحمِل نفس أوجُه التشابُه.. لكِنها كُلها مُختلِفة. حيث قُتِلَت شابة جميلة بيدٍ لم تترُك أي أثرٍ أو دليلٍ في كُل حالةٍ من الحالات»[(XXXIX)]. ووصفَت صحيفة «مينيابوليس تريبيون» بعض جرائِم القتل بأنها «بلا دافِع»[(XL)].

لم تستطِع شرطة «واشنطن العاصِمة» أن تتخيَّل أو تستوعِب فكرة وجود قاتِل مُتعدِّد واحِد، رغم السوابِق. لم يكُن ذلِك شيئًا ضمن نِطاق خبرتهم أو لُغتهم بعد، ولن يُصبِح كذلِك حتى السبعينيّات.

وفي 31 ديسمبر 1935، عُثِرَ على «بيولا ليمريك»، البالِغة من العُمر تسعة عشر عامًا ميِّتةً في سريرها، في شقَّتها الواقِعة في الشارِع «التاسِع عشر» «جنوب شرق واشنطن». وأكَّد طبيبٌ عديم الخبرة في مكان الحادِث بأن وفاتها طبيعيّة بسبب «نزيف داخلي»، وقد سُلِّمَت جُثتها إلى دار الجنازات. وعندما بدأ مُتعهِّد دفن الموتى في تجهيز الجُثَّة، اكتشف وجود جرحٍ صغير من عيار 25. في مؤخِّرة عُنقِها، وقد حشاه القاتِل بذكاءٍ بشعرها ومشَّطه، كما أنه أيضًا غسل الدِّماء، ووَضَع أحمر الشِّفاه على وجه الفتاة الميِّتة.

وعلى الفور، جذبَت القضية اهتمام الصحافة على الفور. فقد كانَت «بيولا» سكرتيرة نادٍ سابقٍ للشَّرب في حقبة حظر الكحوليَّات، وهو نادي «سكاي هاي ووبي»، ومنذ سن الخامِسة عشرة حظِيَت بسلسِلةٍ من العُشَّاق والمُعجَبين، الذين وصفتهم في مُذكراتها التي عُثِرَ عليها في شقَّتها. وفي نهاية المطاف، اتُّهِمَ ضابِط شرطة من شرطة «واشنطن العاصِمة» في مقتلِها، ولكِنه بُرِّئ في المُحاكمة. وأصبحَت جريمة قتل «ليمريك» موضوعًا للقيل والقال، والتكهُّنات لسنواتٍ قادِمة.

بعد وفاة «بيولا ليمريك»، بدا أن جرائِم القتل قد توقَّفَت فجأة، ولكِن هذا فقط لأن الصُّحف لم تعُد تنشُر تقارير عنها. لكِن جرائِم القتل استمرَّت؛ حيث قُتِلَت ست نساء أخريات على الأقل، خاصَّة في القِسم الشمالي الغربي من «واشنطن العاصِمة»، وتعرَّض مُعظمهنّ للاغتصاب، والخنق، والضرب. ولكِنهن كُنّ جميعًا أمريكيات من أصلٍ أفريقي. ولم تهتَم الصحافة بالإبلاغ عن هذه الجرائِم. وحتى اليوم، ليس لدَينا سوى معلوماتٍ مُتفرِّقة وسطحيَّة عن جرائِم قتل النساء السود هذه:

-«فلورنس دانسي»، 65 عامًا، 12 أبريل 1935، قُتِلَت في منزِلها في 2139 إل ستريت، في القِسم الشمالي الغربي.

-«جوزفين روبنسون»، 34 عامًا، 1 ديسمبر 1939، «بلاجدين كورت»، في القِسم الشمالي الغربي، دون مزيد من التفاصيل.

-«لوسي كيدوِل»، 62 عامًا، 28 سبتمبر 1940، صاحِبة منزِل ماتَت مخنوقة في منزلها في 307 شارِع فيرجينيا، في القِسم الجنوبي الشرقي.

-«ماتي ستيوارد»، 48 عامًا، 28 نوفمبر 1940، صاحِبة منزِل ماتَت مخنوقة في منزلها في 1432 شارِع سوان، في القِسم الشمالي الغربي.

-«آدا بولِر»، 22 عامًا، 22 يناير 1941، خُنِقَت في شقتها في الطابِق السُّفلي في 1442 شارِع كوركوران، في القِسم الشمالي الغربي.

-«مابِل إيفريت»، 16 عامًا، 30 يونيو 1941، عُثِرَ عليها مضروبة حتى الموت في خزانة في الطابِق السُّفلي لمبنًى سكني في 3032 الشارِع الرابِع العشر، في القِسم الشمالي الغربي.

جرائِم «دوبونت سيركل»

ثُم في عام 1941، تعرَّضَت امرأة بيضاء للاغتصاب والخنق في شقَّتها، وعندها.. أفاقَت الصحافة فجأة، واهتمَّت بجريمة القتل الجديدة هذه، ضمن سلسِلة من الجرائِم التي أُطلِق عليها في النهاية اسم «جرائِم قتل دوبونت سيركل». وكان قد مضى على زواج «روز أبراموفيتز»، البالِغة من العُمر خمسةً وعشرين عامًا، من زوجها «بارني» شهر بالضبط في 8 مارس 1941. حيث عاشا في مبنًى سكني صغير وراقٍ في 1901 شارِع 16، في القِسم الشمالي الغربي، على امتداد «دوبونت سيركل». وفي حين عمِلت كسكرتيرة، عمل «بارني» كمُحامٍ مُختصٍّ في وكالة الضمان الاجتماعي. وللاحتفال بالذكرى الشهريَّة لزواجهما، استضافا بعض أصدِقاء

«بارني» في العمل مساءً. وفي صباح يوم السبت ذلِك، بقيَت «روز» في المنزِل للإشراف على عامل النظافة الذي سيُشمِّع الأرضيَّات قبل وصول الضيوف، بينما ذهب «بارني» للعمل في المكتَب لنِصف يوم.

عاد «بارني» إلى المنزِل في حوالي الساعة «الواحِدة والنصف» بعد الظهيرة، ليجِدها مُستلقيةً على جانِبها، وإحدى يدَيها على صدرها، والأخرى بجانِبها. لم تكُن ترتدي شيئًا سوى معطفها المنزلي فقط، بينما وُضِع خُفُّها بعنايةٍ عند نهاية السرير[XLI]. وقرَّر الطبيب الشرعي أنها قد تعرَّضَت للاغتصاب والخنق. ومرَّةً أخرى، ظلَّت القضية دون حل.

وفي يوم الأحد 15 يونيو، كانَت «جيسي إليزابيث «بيتي» ستريف»، البالِغة من العُمر اثنَين وعشرين عامًا، تنتظِر خطيبَها على العَشاء. حيث عاشَت مع زميلتها في العمل في شقَّةٍ صغيرةٍ في «الشارِع التاسِع عشر»، القِسم الشمالي الغربي، بالقُرب من «دوبونت سيركل»، على بُعد حوالي أربع بناياتٍ من المكان الذي قُتِلَت فيه «روز أبراموفيتز» قبل ثلاثة أشهُر فقط.

كانَت «بيتي» فتاةً مُفعَمة بالحيويَّة ومُستقِلَّة من ولاية «أيوا» ولديها كُل شيء. فقد كانَت خريجة جامِعة «دريك»، حاصِلة على رُخصةٍ خاصَّة لقيادة طائِرة، فتاة صارِخة الجمال. وعملت كموظَّفة في قِسم الذخائِر في وزارة الحربيَّة، وامتلكَت تصريحًا سريًّا للغاية، ورُقِّيَت مؤخَّرًا إلى رُتبةِ كبيرةِ موظَّفين.

كانَت الساعة حوالي «الثانية والنصف»، في مُنتصف بعد ظهيرة يوم الأحد، وقد بدأت السماء تُمطِر بغزارة، عندما أدرَكَت أنها لا تمتلِك ما يكفي من الزبدة لفطيرة الليمون التي خطَّطَت لخبزها. وسُرعان ما ارتدت رداءً شفَّافًا واقيًا من المطر بغطاء رأس، فوق «فستان قصير» مُخطَّط باللونَين الأزرق والأبيض، مع تنُّورة ملفوفة ارتدتها مع جوارب بيضاء، وحذاء رياضي، وأخذَت مِظلة رفيقتِها في السكن، المصنوعة من الحرير الشفَّاف المطبوع بنقاطٍ بيضاء وأرباع أقمار، وهرعت إلى متجرٍ على بُعد ثلاث بناياتٍ لشراء قطعةٍ من الزُّبد. ولا بُد أنها بدت وكأنها خرجَت لتوِّها من صفحات مجلَّة «فانيتي فير»، أو «هاربر بازار»، بملابسها الأنيقة التي يجِب أن ترتديها أي فتاة عزباء بعد ظهيرة يوم الأحد، مُمسِكةً بمظلةٍ حريريَّةٍ مرحة.

وأخبرت زميلتها في السكن أنها ستعود خلال خمس دقائِق.. لكِنها لم تعُد أبدًا.

أخبر عامِل المتجَر رِجال الشُّرطة في وقتٍ لاحق، إنها وصلَت في سيَّارةٍ سوداء، ظلَّت واقِفة في الخارِج بينما انتهَت هي من عمليَّة الشِّراء. لم يستطِع البائِع تبيُّن وجه السائِق وسط المطر المُنهمِر، ومسَّاحات الزُّجاج الأمامي، التي تحرَّكَت ذهابًا وإيابًا دون توقُّف.

عُثِرَ على جُثَّة «بيتي»، عاريةً باستثناء حذائها وجوارِبها المُبلَّلة، في صباح اليوم التالي، على بُعد ثماني بناياتٍ من شقَّتها، في نهاية أثرٍ من الدِّماء يؤدي عبر زقاقٍ إلى مرآبٍ يتَّسِع لسيارتَين خلف منزِل أستاذ مُتقاعِد في «1717 كيو ستريت»، في القِسم الشمالي الغربي. وكانَت قد ضُرِبَت، وجُرِّدَت من ملابسها، واغتُصِبَت بوحشيّة، وخُنِقَت بحبلٍ أو بحزام. بينما فُقِدَت ملابسها الزرقاء، وملابسها الداخليَّة، ومعطفها الواقي من المطر، ومظلَّتها. ومُجدَّدًا، عجزَت شرطة «واشنطن» عن حلِّ القضية. وتصدَّرَت العناوين الرئيسيّة للصُّحف: «جريمة القتل السابِعة لفتاةٍ في العاصِمة خلال ثماني سنوات»[XLII]. وقد وقعَت العديد من

جرائِم القتل في شوارِع القِسم الشمالي الغربي من «واشنطن»، المُتفرِّعة من «دوبونت سيركل»، وأُطلِق عليها الآن اسم.. جرائِم قتل «دوبونت سيركل».

وخضعَت مُقاطعة «كولومبيا»، وهي منطِقة فيدراليّة، لإدارة لجنةٍ تابِعة للكونجرس. استغلَّ النائِب «فيليكس إدوارد هيبرت»، عضو الكونجرس الديمقراطي من «لويزيانا»، والذي عمل في اللجنة، مقتل «ستريف» كفُرصةٍ لإجراء تحقيقٍ فيدرالي في قِسم شرطة «واشنطن العاصِمة». وكما قال «هيبرت»: «لا يوجَد أي عُذر لفشل الإدارة في التحقُّق من الجرائِم، وحل جريمة قتلٍ بين الحين والآخر».

القتل المُتسلسِل، وسياسة العِرق:

ركَّزَت جلسات الاستماع التي عقدتها اللجنة بالكامِل على فشَل شرطة «واشنطن» في حلِّ جرائِم قتل النساء البيض، وتجاهلت تمامًا سلسلةَ جرائِم قتل النساء السُّود التي لم يُعلَن عنها.

وكما رَوَت المؤرِّخة «ماري إليزابيث بي. مورفي»:

«بدأ جانٍ مجهول بمُهاجَمة النساء السُّود في عاصِمة البلاد. واغتُصِبَت وقُتِلَت أربع ضحايا، هُن: «جوزفين روبنسون»، و«لوسي كيدوِل»، و«ماتي سيتوارد»، و«آدا بولِر». دون أن تُكلِّف الصحافة البيضاء نفسها عناءَ تغطيَة هذه الوفيات عند حدوثها، أو يُجري ضُبَّاط الشُّرطة سوى الحدِّ الأدنى من التحقيقات لتحديد الجاني. ورغم أن جرائِم القتل هذه لم تحدُث على أيدي رِجال الشُّرطة، إلا أن استجابة قِسم الشُّرطة التي اتَّسَمَت باللامُبالاة، أشارَت إلى وجود ثقافة مؤسَّسيّة من الإهمال العُنصري فيما يتعلَّق بسلامة النساء السود في المدينة، والذي يُعَد في حدِّ ذاته شكلًا من أشكال الوحشيّة. وقد برزَت هذه اللامُبالاة العميقة تِجاه النساء السُّود بشكلٍ واضح في يونيو 1941، عندما تعرَّضَت «جيسي إليزابيث «بيتي» ستريف»، وهي موظَّفة بيضاء في الثانية والعشرين من عُمرها، من ولاية «أيوا»، للاغتصاب والقتل. وتصدَّرَت أخبار مَقتلِها عناوين الصُّحف المحليّة، والوطنيّة»[(XLIII)].

وتساءَلَت صحيفة «بالتيمور أفرو أمريكان»: «ما مدى دقَّة التحقيق الذي أجرته الشُّرطة عندما وجدَت السيِّدة «كيدوِل» مقتولة؟ أو السيِّدة «فلورنس دانسي» مُغتصَبة؟ أو السيِّدة «آدا بولِر» مشوَّهة؟» وأشارَت «مورفي» إلى أنه: «في عدَّة نقاط خلال جلسات الاستماع، برَّر النائِب «هيبرت» استخدام وحشيَّة الشُّرطة ضِد السُّود في «واشنطن» استنادًا إلى مُعدَّلات الجريمة المزعومة بحجَّة أن «القوَّة تولِّد القوَّة»». وادَّعى أن المواطنين السُّود كانوا خارِجين عن القانون، وأشار إلى أن ضُبَّاط شرطة «واشنطن» بحاجةٍ إلى إيجاد «طريقة للتعامُل مع هؤلاء الرِّفاق»[(XLIV)].

ولم يكُن ما كتبَتْه «مورفي» مُجرَّد ثغاءِ مؤرِّخة أكاديميَّة من ذوي البشرة البيضاء ترزح تحت وطأة الشعور بالذنب. وتدعَم روايات الصُّحف في تلك الحقبة تقييم «مورفي» للديناميكيَّات العِرقيَّة التي ابتُلِيَت بها جرائِم القتل في «واشنطن». فبعد اختفاء «ستريف»، أشارَت كُل من الشُّرطة والصُّحف بأصابع الاتهام إلى البوَّاب الأسود البشرة في المبنى السكني الذي سكنته، لكِن الشُّرطة «لم تتمكَّن من كشف حجَّة غيابه في ذلِك

اليوم»[(XLV)]. وذكرَت صحيفة «تايمز»، في «شريفبورت» بـ «لويزيانا»، التي ينتمي إليها النائِب «هيبرت»، أن جرائِم القتل الأخيرة التي لم تُحَل لنساءٍ بيض كانَت في نفس القِسم العام من «واشنطن».. على حافة منطقة مُكتظَّة بالسُّكَّان الزنوج»[(XLVI)].

ومن ناحيةٍ أخرى، بدا أن الصُّحف السوداء مثل «أفرو أمريكان» لم تُغطِّ جرائِم قتل «جوزفين روبنسون»، و«لوسي كيدوِل»، و«ماتي سيتوارد»، و«آدا بولِر»، أكثر مما فعلَت «الصحافة البيضاء»[(XLVII)].

القبض على قاتلٍ مُتسلسِل

في النهاية، ستحل شرطة «نيويورك» جرائِم القتل المُتسلسِلة في «واشنطن». في يوم 4 أغسطُس 1941، عُثِرَ على جُثَّة امرأةٍ شابَّة بيضاء، ذات شعر بُنّي، بالقُرب من رصيفٍ في قطعة أرض تُرابية شاغِرة في شارع «جيروم»، بين جادة «بيرنسايد»، وشارِع 181، بـ «برونكس». خُنِقَت الضحية، لكِنها لم تُغتَصَب على ما يبدو «وهذا أمرٌ غير مألوف في جرائِم القتل المُتسلسِل؛ فالاعتداء الجنسي يُمكِن أن يتَّخِذ أشكالًا فرعيَّة مُتعدِّدة بخلاف الاغتصاب الإيلاجي». تم التعرُّف على الضحية في النهاية، على أنها «إيفلين أندرسون»، البالِغة من العُمر ستّةً وعشرين عامًا. والتي عملت كنادلةٍ في مطعم «وايت توب» في شارِع 167، وشارِع «بوليفارد الجنوبي»، لكِنها لم تَحضُر إلى العمل في الصباح الباكِر. وعندما لم تعُد من العمل في ذلِك المساء، افترض زوجُها «إيرهارد» أنها بقِيَت مع صديقاتها في «برونكس»، كما تفعل أحيانًا بدلًا من العودة في وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل إلى شقَّتهما في غرب شارِع 92 بـ «مانهاتِن».

أخبَر «إيرهارد» الشُّرطة أن بعض المجوهرات التي كانَت زوجته ترتديها، بما في ذلِك ساعة يد مفقودة. وكان قد رَهن الساعة مؤخَّرًا، قبل أن يسترِدَّها بعد فترة وجيزة.. وتمكَّنَت الشُّرطة من الحصول على وصفٍ ورقمٍ تسلسُلي من مكتب الرهن. ووُزِّعَ ألفا تعميم من الشُّرطة بتفاصيل الساعة على مكاتِب الرهن في جميع أنحاء المدينة.

ويوم 27 أغسطُس، أفاد أحد مكاتِب الرهن في الجادة «الثامِنة» أن أمريكيًّا من أصل أفريقي يُدعى «تشارلز وولفولك»، يقطن في «6 شارع 133 الشرقي»، قد رهن الساعة مُقابِل أربعة دولارات. وعندما استجوبته الشُّرطة ذَكَر أن ابنة أخته «هيزل جونسون» أعطتها له. وأخبرَت «هيزل» الشُّرطة أنها قد حصلَت على الساعة من أحدِ مُعجبِيها، وهو «جارفيس روزفِلت كاتوي» من «واشنطن العاصِمة». وكان قد أعطاها الساعة في «الثالِث من أغسطُس» – يوم وقوع الجريمة – وحذَّرها من رهنِها لأن ذلِك قد يوقِعه «في مُشكِلة». كما قالَت أيضًا إن «كاتوي» أهدى فتاةً أخرى محفظة جيب قائِلًا: «لقد وعدتكِ بمحفظةِ جيب، وأنا آسِف لأنني لم أستطِع أن أُحضِر لكِ واحِدة جديدة، ولكِن إليكِ واحدة مُستعملة لطيفة».

ووُصِفَ بأنه أمريكي من أصل أفريقي نحيف، ولكِنه قوي البِنية، وذو بشرة فاتِحة اللون، يبلغ طوله خمسة أقدام وتِسع بوصات، ويزن حوالي 75 كيلوجرامًا، وله يدان كبيرتان وقويَّتان للغاية. ووَصَل في «يوليو» من

«واشنطن العاصِمة»، يقود سيارة «بونتياك» سوداء اللون، موديل عام 1937، بإطاراتٍ بيضاء. وقد عمل كنادلٍ في كافتيريا، قبل أن يُطرَد من العمل لأنه غازَل نادِلةً بيضاء.

اشتكَت مالِكة شقَّته قائِلة: «لقد عاد إلى «واشنطن»، يوم 5 أغسطس، دون أن يدفع لي 12 دولارًا إيجارًا مُستحقًّا عن الشهر الذي أقام فيه هُنا. لقد كان كسولًا، وعديم النفع، يُحِب النساء، وكان دائمًا ما يُلمِّع سيَّارته. لم يكُن بإمكان المرء أن يفهم منه أي شيءٍ منطقي أبدًا، ولطالما اضطُررنا لشراء الوقود لسيَّارته، كُلَّما أخذَنا في جولة».

وبشكلٍ مُفيد، كان لدَيها عنوانه في «واشنطن»؛ 1730 يو ستريت، القِسم الشمالي الغربي. بالضبط في مركز جرائِم القتل في «دوبونت سيركل». ولم يتوجَّب على المرء أن يكون مُحلِّلًا جُغرافيًّا جنائيًّا ليُدرِك أهميّة ذلِك، لكِن شرطة «نيويورك» صبَّت جام تركيزها على جريمة قتلٍ واحِدة، تلك التي حدثَت في «برونكس».

طار مُحقِّقو شرطة «نيويورك» إلى «واشنطن»، ورافقَهم ضُبَّاطٌ من شرطة العاصِمة، وعندما وصلوا إلى العنوان.. اكتشفوا أن «كاتوي» وصديقته قد انتقلا مؤخرًا. ومع ذلِك، في عصرٍ لا تزال السيَّارات فيه نادِرة نسبيًّا، حُدِّدَ موقِع سيارته الـ «بونتياك» بسُرعة، وهي متوقِّفة على بُعد بضعة مبانٍ، في منزلٍ آخر، في 1704 شارِع سوان. عطَّل المُحقِّقون مُحرِّك السيَّارة، وانتظروا حتى ظَهَر «كاتوي»، قبل أن يقتادوا المُشبه به، البالِغ من العُمر ستَّة وثلاثين عامًا إلى الحجز.

كان «كاتوي» مُهذَّبًا ومُتعاوِنًا. وعند استجوابه، اعترف في النهاية بإعطائه الساعة لـ «هيزل»، ولكِنه نسج قصَّة مُضحِكة عن مُشاهدته لمَقتل وسرقة «إيفلين» على يد اثنَين من البلطجيّة، الذين أعطوه ساعتها ومحفظتها كيلا يَشي بهما. وادَّعى أنهما أجبراه على التخلُّص من جُثتها، إلا أنه لم يرَ وجهها لأنهما لفَّاه بقطعة قُماشٍ من نوعٍ ما.

وعُرِضَ على «كاتوي» صورة لـ «إيفلين أندرسون»، وسألوه: «هل هذه هي المرأة».

«إنها هي بالتأكيد».

«هل أنت مُتأكِّد؟»

«مُتأكِّد تمامًا».

«كيف يُمكِنك التأكُّد من هويتها بهذه الثِّقة إن لم تكُن قد رأيتَ وجهها؟»

وبمُجرَّد أن بدأت قصَّة «كاتوي» تتداعى، استغرق الأمر من الشُّرطة حوالي خمس ساعات لحملِه على الإدلاء باعترافه كاملًا:

«في ذلِك الصباح، رأيتُ هذه المرأة في شارِع 92، بالقُرب من «برودواي». وكانَت في الواقِع عند ناصية «أمستردام»، وشارِع 90، تنتظِر الحافِلة. قُدتُ السيَّارة بجانبها، وسألتها عن الطريق إلى عنوانٍ ما في «هارلِم». أشارَت لي إلى المكان الذي يجِب أن أذهَب إليه، فعرضتُ عليها توصيلة. لكِنها رفضَت، لذا سألتها: «لِمَ لا تركبين؟» ورَكِبَت في النهاية.

أخبرتني بمكان عملها، فأخبرتها أنني سأوصِّلها إلى هُناك. كانَت الساعة حينها «السادِسة والنصف». ذهبتُ بها إلى مكانٍ مُنعزل، «زقاق بالقُرب من المطعَم»، وحاولتُ الحصول على موعِدٍ معها. لكِنها أخبرتني أنها سعيدة مع زوجها، ورفضَت. لذا خنقتُها، واعتديتُ عليها.

رأيتُ أنها قد ماتت. وضعتُ جُثَّتها في المقعد الخلفي، ووضعتُ غطاءً فوقها، ثُم قُدتُ سيَّارتي إلى شارِع 113 والجادة «السابِعة»، بالقُرب من المكان الذي كُنتُ أعيش فيه. ركنتُ سيَّارتي، وتركتها هُناك طوال اليوم. وفي تلك الليلة، بعد أن حظيتُ بنومٍ عميق، توجَّهتُ بالسيَّارة إلى شارِع «جيروم»، وألقيتُ الجُثَّة في المكان الذي وجدتموها فيه»[(XLVIII)].

شكَّك زوج «إيفلين» في القصَّة، وأصرَّ على أنها كانَت تخاف بشدَّةٍ من الغُرباء الذين يعرِضون عليها التوصيل، ولم تكُن لتركب السيَّارة أبدًا بإرادتها. كما أصرَّ على أنها لا بُد أُجبِرَت على ذلِك، لكِن في النهاية.. لم يُحدِث ذلِك أي فرق.

وبمُجرَّد أن انتهى «كاتوي» من الاعتراف بقتل «إيفلين أندرسون» في «برونكس»، شرع في الاعتراف بعشر جرائِم قتلٍ أخرى لنِساء بيض وسُود على حدٍّ سواء، بما في ذلِك ما يُسمى بجرائِم قتل «دوبونت سيركل»، والتي وَقَع مُعظمها على بُعد عدَّة بناياتٍ من شقَّته. كما اعترف أيضًا بأكثر من عشر جرائم اغتصاب نَجت فيها الضحايا. وكما جرت العادة، لم تُبلَّغ الشُّرطة حتى بالعديد من حالات الاغتصاب.

وذَكَر «كاتوي» أنه عانى من «نوبات» يغتصِب فيها ويقتل بعد شُرب الخمر، و«قراءة قصص بوليسيّة عن حالات الاغتصاب، والنظر إلى صور النساء العاريات».

كما ادَّعي قائلًا: «لم أقصِد قتلهن، لكِن بعضهن قاومنَ، حتى اضطُررتُ إلى خنقهنَّ بشدّة، إنهن من بدأ الأمر».

وذكرَت مجلّة «تايم» أنه عندما سُئِل عن عدد النساء اللاتي قتلهنّ، رفع «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي»، ذو البشرة البُنيّة اللون كالشوكولاتة، أصابِعه الطويلة القويّة، وبدأ بالعدِّ، قبل أن يقول في النهاية: «حوالي عشر»[(XLIX)]. والتقط مصوِّر صحفي صورته وهو يرفَع يدَيه الضخمتَين، وأصبَحَت صورة «كاتوي» الأيقونيّة تلك.. باجانيني[(4)] القتلة المُتسلسِلين الخانقين.

وشَرَح «كاتوي» قائِلًا: «لم أكُن أعتصِر حناجِرهن بأصابعي، بل كُنت أضع يُسراي على مؤخِّرة رقابهنّ، ثُم أدفع حناجِرهن إلى الأمام بيُمناي. أضع راحة يُمناي على حناجرهن، وأُمسِكها بين إبهامي وأصابعي. وبهذه الطريقة.. لا أترُك أي علامات».

وأخذ «كاتوي» بعدَها الشُّرطة في رحلةٍ خلال جرائِم القتل التي ارتكبها. لم يكُن من الواضِح في كثيرٍ من الأحيان ما إن كان قد اغتصبَ النساء قبل خنقهنّ، أو بعد موتهنّ، أو في كليهما.

وَصَف «كاتوي» كيف أنه في 15 يونيو، كان يقود سيَّارته في الشارِع «التاسِع عشر» أثناء عاصفةٍ مطريّة غزيرة، عندما أخطأت فتاة ترتدي معطفًا شفَّافًا واقيًا من المطر، وفُستانًا أزرق اللون، في سيَّارته، بعد أن ظنَّت أنها سيَّارة أجرة، وأوقفته. عَرَض عليها «كاتوي» أن يوصِلها في طريقه، ووافقت المرأة الشابَّة على

الفور. انتظرها حتى اشترت قطعةً من الزَّبد. وعندما عادَت إلى السيَّارة ليوصِّلها إلى شقّتها، هدَّدها «كاتوي»، أو ضربها حتى استسلمت. ثُم قادها تحت وابلٍ من المطر إلى مرآبٍ كان يعرِفه في 1509 إس ستريت، في القِسم الشمالي الغربي، والذي تملكه الدكتورة «لورا كيلينجسورث»، وهُناك.. اغتصبها وقتلها، وخنقها بحزام فُستانها القُماشي. قالَت «كيلينجسورث» للشرطة فيما بعد: «لقد اعتاد القدوم إلى منزلي للقيام بأعمالٍ غريبة. كان يُنظِّف سيَّارتي، وبالطبع كان المرآب مألوفًا له. لم أكُن أغلِقه أثناء النهار، وكان «كاتوي» على درايةٍ بذلِك»[(L)].

ثُم حمل جُثتها العارية في سيَّارته، وألقى بملابسها في سلّة قمامة قريبة، وقادها إلى زقاقٍ خلف «كيو ستريت». ثُم جرَّ جُثتها عبر الزقاق، تاركًا أثرًا دمويًّا، حتى وَجَد مرآبًا مفتوحًا خلف شارِع 1717 كيو ستريت، حيث عُثِر على جُثتها في صباح اليوم التالي. وقال إن كُل ذلِك حدث في غضون نصف ساعة فقط.

احتفظ «كاتوي» بالمظلَّة الجميلة ذات النِّقاط وأرباع الأقمار التي تركتها «ستريف» في سيَّارته، وقدَّمها كهديةٍ لصديقته. واستعادَت الشُّرطة فيما بعدُ المظلَّة من منزِل صديقته، وتعرَّفَت شريكة «ستريف» في السكن عليها وقالَت إنها ملكها. كما عثروا في شقَّة صديقته على عدَّة أزواج من الأحذيَة النِّسائيّة، والملابِس النِّسائيّة، التي قدَّمها لها كهدايا.

كانت ظاهرة الاعترافات الكاذِبة غريبةً على الشُّرطة، وقد اصطُحِبَ «كاتوي» إلى مُحيط مسارِح الجريمة المُختلِفة، وطُلِب منه قيادة المُحقِّقين خلال تفاصيل جرائِم القتل. وقد لاحظ بشكلٍ صحيح أن المرآب الذي ترك فيه جُثّة «ستريف» قد طُلِيَ بلونٍ جديد، وتغيَّرَت أبوابه منذ أن تركها هُناك. وعندما أُحضِرَ إلى المبنى السكني الذي قَتَل فيه «روز أبراموفيتز» في شهر مارِس، قاد الشُّرطة إلى الشقّة الصحيحة، وإلى المكان الذي ترك فيه جُثّتها بالداخِل.

ووَصَف «كاتوي» كيف كان يسير في شارِع 16، يوم 8 مارِس، عندما ظهرَت «أبراموفيتز» أمام شقتها وهي ترتدي معطفًا منزليًّا وخُفًّا، وهي تبحث بقلقٍ عن عامل النظافة الذي لم يصِل في الوقت المُحدَّد لتشميع أرضيَّة شقَّتها. والتفتَت إلى أول رجلٍ أسود رأته في الشارِع، وسألته عمّا إذا كان يعرِف مكان العامِل. وعندما أجابها «كاتوي» بأدبٍ أنه ليس لدَيه أي فكرة عن هويته، أو مكانه، عرضَت عليه أن يُشمِّع أرضية شقَّتها. وباندفاع، قبِل الوظيفة، وتبِعَها إلى أعلى الدرج لداخِل الشقَّة، وهُناك.. خنقها حتى فقدَت الوعي، وحملها إلى السرير، واغتصبها. وعندما بدأت تسترِد وعيَها، خنقها حتى الموت، وجهَّز معطفها، وترك خُفّها مُرتبًا بعنايةٍ في نهاية السرير. وقال إنه أخذ عشرين دولارًا من محفظتها قبل مُغادرته، وهي حقيقة حجبتها الشُّرطة عن الصحافة.

وأرضى هذا الشُّرطة فيما يتعلَّق بمقتل النساء البيضاوات. بينما ستوصَف جريمة قتل النساء السود بطريقةٍ أكثر سُرعة. حيث ذكر «كاتوي» أنه زار سلسِلة من السيّدات السُّود اللاتي يملكن عقاراتٍ بحجّة استئجار غُرف أو القيام بأعمالٍ حرفيّة. وأصرَّ على أن يسمحنَ له برؤية جميع الغُرَف، فقط ليتأكَّد مع عدم وجود أي شخصٍ آخر في المنزِل، قبل أن يخنقهنّ.

في يوم 12 أبريل 1935، خَنَق «فلورنس دانسي»، البالِغة من العُمر خمسةً وستِّين عامًا. ولم يتمكَّن «كاتوي» من تقديم الكثير من التفاصيل حول جريمة القتل، أو العنوان الدقيق – حيث قال إنه كان ثملًا للغاية آنذاك – لكِنه تذكَّر تصميم الشقَّة بدقَّة. كانَت قضية «دانسي» حسَّاسة بشكلٍ خاصٍّ بالنسبة للشرطة والمحاكِم، حيث أُدين رجُل أسْود آخر بارتكاب جريمة القتل، وحُكِم عليه بالسجن مدى الحياة؛ وهو «جيمس ماثيو سميث».

وفي يوم 28 سبتمبر 1940، قتل «كاتوي» «لوسي كيدوِل»، البالِغة من العُمر اثنين وستِّين عامًا. بعد أن استدرجها إلى القبو بإخبارها أنه ميكانيكي، وأنه يَرغب في تخزين أدواته هُناك. خنقها واغتصبها، ثُم حمل جُثتها إلى الطابِق العلوي. وقبل مُغادرته.. سرق اثنين وأربعين دولارًا. وفي يوم 28 نوفمبر 1940، خَنَق واغتصَب «ماتي ستيوارد»، البالِغة من العُمر ثمانيةً وأربعين عامًا. وقال: «لقد ماتَت بين يديَّ». وبينما رافَقه رِجال الشُّرطة إلى مسرح الجريمة في «شارِع سوان»، ألقى التحية ولوَّح للعديد من النساء اللاتي مرُّوا بهن، وقال موضِّحًا: «اعتدتُ مُمارسة الحُب معهنّ جميعًا».

وفي يوم 22 يناير 1941، اصطحَب «آدا بولِر»، البالِغة من العُمر اثنين وعشرين عامًا من الشارِع، إلى شقَّةٍ في القبو. وعندما طالبته بالمال مُقابل مُمارسة الجنس، استشاط غضبًا وخنقها. وقال: «لقد أفاقَت قبل أن أتمكَّن من مُهاجمتها، لذا خنقتُها جيِّدًا».

أصبَح العدد الدقيق لجرائِم القتل التي اعترف بها «كاتوي» غير واضِح، يترنَّح في مكانٍ ما بين السبعِ والعشر جرائِم. وطُعِنَ في جريمة قتل «فلورنس دانسي» مرارًا وتكرارًا، بينما استعرضَت المحكمة إدانة «جيمس سميث».

من هو «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي»؟

وُلِدَ «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي» يوم 6 أكتوبر 1905، في «كيرشو»، بولاية «كارولينا الجنوبيّة»، وهو الابن الأكبر بين ثمانيَة أطفالٍ من أبناء عبدَين سابِقَين. الْتحق «كاتوي» بالمدرسة حتى الصف الخامِس، ثُم ذهب للعمل كمُساعِد مُتعهِّد دفن موتى في «روك هيل». وبعد وفاة والدَيه عام 1919، عاش في مزرعة عمِّه.

في عام 1925، أُصيب بكسرٍ في الجُمجمة عندما سَقَط من سيَّارةٍ أثناء حادِث. وأصيب إصابةً شديدة حتى إنه لم يكُن من المتوقَّع أن يعيش.. لكِنه نجا. وهُنا، مرَّة أخرى، يظهَر موضوع مُتكرِّر في سِيَر القتلة المُتسلسِلين: إصابة في الرأس تتبعها تغييرات جذريَّة في السلوك. يتذكَّر شقيقه أنه بمُجرَّد أن استعاد وعيَه، تغيَّر سلوكه: «عندما كان في المُستشفى في «شارلوت»، غالبًا ما خَرَج عن السيطرة، وبدأ بخنق المُمرِّضات والأطِبَّاء. وعندما غادر المُستشفى أخيرًا، انتابته نوباتٌ من حينٍ لآخر، وأخذ يتصرَّف بطريقةٍ غريبةٍ نوعًا ما. لم نستطِع فعل أي شيءٍ معه، لذا أحضرته إلى «واشنطن» في عام 1929».

عمل «كاتوي» كمُخبرٍ لدى الشُّرطة في قضايا مُخالفات الحظر، وعَمِل نادِلًا في كافتيريا مجلِس الضمان الاجتماعي، وعاملًا في المرآب، وعاملًا منزليًّا، وعاملًا يدويًّا. وفي «فبراير 1932، حَصَل على رُخصة سيّارة

أجرة، مُسجِّلًا نفسه كموظفٍ سابقٍ في الشَّرطة. وفي عام 1937، حَصَل على سيّارة «سيدان» سوداء جديدة، موديل «بونتياك».

وفي الفترة ما بين 16 نوفمبر، و3 مايو 1941، تراكَمَت عليه سبع عشرة مُخالفة مروريّة، وعُلِّقَت رُخصته، لكِنهم سمحوا له بمواصلة القيادة في انتظار الاستئناف.

وكما هو الحال مع القتلة المُتسلسِلين، امتلك «كاتوي» أيضًا سجلًّا في الجرائِم الجنسيَّة البسيطة. فقد حُكِم عليه بالسجن لمُدَّة 135 يومًا في 7 مايو 1935 بتُهمتَي هتك عرض، قبل أن يُحكَم عليه مرَّة أخرى في «ديسمبر» بالسجن لمُدة 180 يومًا، وأُطلِق سراحه في 5 مايو 1936.

وقد جاءت «إستر هول»، صديقته التي أعطاها مظلَّة «بيتي ستريف»، لزيارته في السجن، برفقة ثلاث صديقاتٍ أُخريات له. وقد خرجنَ جميعًا بعد الزيارة مُندهِشات من اعترافاته، حتى إن إحداهن علَّقَت قائِلة: «لم أكُن لأصدِّق ذلِك من «جارفيس» قط!».

كما سيقول شقيقه فيما بعد: «لقد كانَت صدمةً كبيرة لي عندما رأيتُ صورته في الصحيفة. لم أُصدِّق أنه قاتِل تلك الفتيات المسكينات. ولكِن الآن، بعد التفكير في الأمر مليًّا، يُمكِنني فهم كيف حدث ذلِك.

أخبرني ألا أقلَق. وطلب مني أن أُخبِر جميع أهلنا أنه لا داعيَ للقلق. وأن ندعو له فحسب. كما قال إنه لا ينبغي لنا أن نُنفِق أي أموالٍ على المُحامين. لا يُمكِنني تصديق أنه قد فعل كُلَّ هذا عمدًا. لم يكُن على سجيَّته أبدًا منذ ذلِك الحادِث. ولم ترغَب زوجته في العيش معه بسبب إصابته بكُل تلك النوبات».

تزوَّج «كاتوي» من فتاةٍ في «كارولينا الشماليَّة»، لكِنهما انفصلا. جلبها شقيقُه «جون» إلى «واشنطن» على أمل أن يُصلِح بين الزوجَين، لكِن هذا لم يُجدِ نفعًا. وأحيانًا ما كان «كاتوي» يختفي أحيانًا لمُدَّة أسبوع في كُلِّ مرَّة. وأحيانًا كان ينام في سيَّارته، ولا يدخُل المنزِل. وفي النهاية.. رحلَت زوجته وتركته.

وصفته النساء اللاتي عرفنَهُ بأنه مُتحدِّث «لَبِق»، يتمتَّع بطُرقٍ مُختلِفةٍ لبدء المُحادثة والحفاظ على استمراريتها. وفي اليوم التالي لمقتل «بيتي ستريف»، كانَت «كاري جاكسون»، صاحِبة عقار غُرفته الكائِن في 1730 يو ستريت، تجلِس على الدرج الأمامي للمنزِل. وأخبرت الصحفيين لاحقًا: «هبط «كاتوي» للطابِق السُّفلي، وجلس بجواري. كُنت أقرأ عن جريمة القتل. سألني: ماذا تقرئين في الصحيفة؟ ما هو الخبر المُهِم؟

أخبرتُه أنني أقرأ خبرًا عن فتاةٍ تعرَّضَت للاغتصاب والقتل، وأنها عاشَت بالقُرب من الشارِع 19. لم يبدُ مُرتبِكًا أو يتصرَّف بطريقةٍ غير اعتياديّة. أخبرته أنها اغتُصِبَت، وأنه أمر فظيع. فقال: نعم، إنه كذلِك بكُلِّ تأكيد. لا بُد أن الرجُل كان مجنونًا ليفعل شيئًا كهذا! هل تعتقِدين أنهم سيقبضون عليه؟

وكُلما رأيتُ «كاتوي»، سألني إن كان هُناك أي جديدٍ في قضية القتل. ولطالما قال إن رجال الشُّرطة لن يحلُّوها أبدًا.»

حوكِم «جارفيس كاتوي» في «أكتوبر 1941 بتُهمة قتل «روز أبراموفيتز». وبحلول ذلِك الوقت، ادَّعى أنه أُكرِه على الاعتراف. لكِن الشُّرطة تأكَّدَت من أن اعترافاته لم تكُن الدليل الوحيد الذي قُدِّم ضدَّه، بجعله يصحبهم إلى مسارِح جرائِمه ويُطلِعهم عليها. وحُكِم عليه بالإعدام بتُهمة قتل «أبراموفيتز».

ورغم اتهامه بجرائِم القتل الأخرى، إلا أنه لم يُحاكَم على أيٍّ منها.

استمرَّت إعادة النظر في إدانة «جيمس ماثيو سميث» بتُهمة قتل «فلورنس دانسي» في عام 1935 لسنواتٍ طوال. وحارَب «سميث» إدانته قبل فترةٍ طويلة من اعتقال «كاتوي». وتمسَّك ببراءته بشدَّةٍ حتى إنه في إحدى المرَّات نُقِلَ إلى مصحةٍ نفسيّةٍ لمُدّة عامَين.

لم تؤدِّ اعترافات «كاتوي»، المُفصَّلة، إلى إطلاق سراح «سميث»، حتى عندما ذكرَتِ الشُّرطة أنها اقتنعَت بأنه ارتكب جريمة القتل[LI]. وعشيَّة تنفيذ حُكم الإعدام المُقرَّر في عام 1943، كان من المُفترَض أن يشهَد لصالِح «سميث»، وبدلًا من ذلِك، خَرَج «كاتوي» من طابور السجن، وتسلَّق سورًا بارتفاع خمسةٍ وستِّين قدمًا، وجثم هُناك لمُدَّة ثلاث ساعات، مُهدِّدًا بالقفز بينما حاوَل حُرَّاس السجن، ورِجال الإطفاء، والسُّجناء إقناعه بالنزول. وفي نهاية المطاف، نزل، وأدلى بشهادته – مُتراجِعًا عن اعترافه – وحُكِم على «سميث» بالبقاء في السجن[LII]. وسُرعان ما اختفَت جميع الأخبار الأخرى عن مصير «جيمس ماثيو سميث» من السجلِّ العام.

وفي 15 يناير 1943، أُعدِمَ «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي» بالكُرسي الكهربائي.

وكانَت الصحافة مُحِقّة بشأن وجود قاتِلٍ مُتسلسِل حُر طليق في «واشنطن العاصِمة». لكِنهم كانوا مُخطئين بشأن الضحايا الذين قتلَهم. لم تُحَل جرائِم قتل «فيرجينيا ماكفيرسون»، و«ماري بيكر»، و«ماري إيه. شيدز»، و«كورينا لورِنج»، و«بيولا ليمريك».

«كاتوي» مسخًا

كان «كاتوي» بالفعل نذير شؤم على كثيرٍ من الأصعِدة – مسخ – لهذا النوع من القتلة المُتسلسِلين الذين ظهروا في السبعينيّات:

-قاتِل مُتسلسِل يعمَل في منطِقةٍ جُغرافيةٍ مُحدَّدة.

-هُناك وعيٌ عام بوجوده في المُجتمع الذي يستهدِفه.

-يستخدِم سيّارة لاستدراج ضحاياه، ونقل جُثثهم.

-يتمتَّع بوعيٍ جِنائي «يستخدِم الجاني أسلوب خنقٍ من شأنه ألا يترُك أي علامات، وتجنَّب ترك أي بصمات».

-الادِّعاء بوجود إصابة في الرأس.. أدَّت إلى تغيير السلوك.

-التأكيد على أن مجلَّات قصص المُحقِّقين الحقيقيّة، والصور المُثيرة هي التي ألهَمَت المُغتصبين والقتلة.

-يجمع تذكارات من ضحاياه، ويُقدِّمها كهدايا لصديقاته.

-شهود يتذكَّرون وجود جارٍ غريب الأطوار إلى حدٍّ ما، ولكِنه غير مؤذٍ، وهو شخص يبدو مُجتهدًا، ولا يواجِه أي مشاكِل في جذب الصديقات والمُعجبات.

-انتشار المعايير المزدوجة، حيث تُجرى تحقيقات أقل شمولًا في جرائِم قتل النساء السود، كما تهتمُّ بها وسائِل الإعلام بشكلٍ أقل.

ولعل أكثر ما يُنبئ بجرائِم القتل المُتسلسِلة القادِمة هو التحدي الذي يواجِه المُحقِّقين في التعرُّف على جرائِم القتل المُتعدِّدة التي يرتكِبها نفس الجاني، والربط بينها، خاصَّة في القضايا المُتداخِلة بين الولايات القضائيّة، وهي ظاهِرة تُعرَف باسم «عمى الربط». وقد أصبَحَت مُشكلةً مأساوية في السبعينيّات في أعقاب جرائِم القتل التي ارتكبها «تِد بندي» في عدّة ولايات، ولم تُحَل بشكلٍ قاطعٍ حتى يومِنا هذا.

وكمثالٍ على ذلِك، وجدَت مُراجعة لجنة إدارة الكونجرس لعام 1941 للشرطة في «واشنطن العاصِمة»، على سبيل المثال، أن جريمة قتل «ماري بيكر» على الطريق المجاوِر لمقبرة «أرلينجتون» الوطنيّة، قد وقعَت في خمس ولاياتٍ قضائيّة. وكانَت «بيكر» قد شوهِدَت للمرَّة الأخيرة في «واشنطن العاصِمة»، وهذا ما أدخَل شرطة العاصِمة في التحقيق؛ بينما عملت كموظَّفةٍ في مكتب البحريّة، وهذا ما أدخل قِسم الشُّرطة «الذي يُعرَف اليوم بدائِرة التحقيقات الجنائيّة البحريّة» التابع لمكتب الاستخبارات البحريّة في القضيّة؛ وبما أن مقبرة «أرلينجتون» تُعد ملكيّة عسكرية، فقد تورَّطَت الشُّرطة العسكريّة في الأمر بدَورها؛ وبما أن الملكيّة العسكرية هي ملكيّة فيدراليّة، فقد شاركَت وزارة العدل الأمريكيّة؛ وأخيرًا، بما أنها تقع جُغرافيًّا في مُقاطعة «أرلينجتون» بولاية «فيرجينيا»، فقد انخرطَت شُرطتها أيضًا في التحقيق.

لم تكُن شرطة «واشنطن العاصِمة» نفسها هي شرطة العاصِمة فقط، بل كانَت أيضًا شرطة البيت الأبيَض التي تُغطي أراضي البيت الأبيَض، والمناطِق المُجاوِرة له، وشرطة الـ «كابيتول» التي تُغطي أراضي مجلِس الشيوخ والنوَّاب، وشرطة المُتنزَّهات التي تُغطي العدد الهائِل من الحدائِق في المدينة. بمعنى أنه كان هُناك الكثير من الطُّهاة في مطبخٍ واحد.

وأخيرًا، تمامًا كما حَدَث في السبعينيّات، تردَّد صدى دعوةٍ لجلب مكتب التحقيقات الفيدرالي لتنسيق التحقيقات في جرائِم القتل بين مُختلف السُّلطات القضائيّة في «واشنطن العاصِمة»[(LIII)]. ولم يُصبِح مكتب التحقيقات الفيدرالي، حتى ثمانينيّات القرن الماضي، «غُرفة تبادُل المعلومات» ويمتلِك «السُّلطة» في جرائِم القتل المُتسلسِلة في الولايات المُتحِدة، رغم أن التحقيق الأوَّلي في جرائِم القتل المُتسلسِلة حتى يومِنا هذا لا يزال يخضَع للسُّلطات القضائيّة المحليّة مع استثناءات قليلة.

مثَّل «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي» كُل شيءٍ تقريبًا في عالَم جرائِم القتل المُتسلسِل، رُبما باستثناء عِرقه. فعندما ضرب «البلاء» في سبعينيّات القرن العشرين، كان القتلة المُتسلسِلون في المقام الأول، إن لم يكُن بشكلٍ حصري، من الذكور البيض.

«ويليام هيرينز» «قاتِل أحمر الشفاه» بـ «شيكاغو» عام 1946

بينما كانَت مذبحة الحرب العالميّة الثانيّة على وشك الانتهاء في المُحيط الهادي، بحلول صيف 1945، واجهت شرطة «شيكاغو» سلسِلةً من ثلاث جرائِم قتل:

-عُثِرَ على «جوزفين روس»، البالِغة من العُمر ثلاثةً وأربعين عامًا، يوم 3 يونيو 1945، في غُرفة نومِها بالطابِق الخامس، في 4108 جادة نورث كِنمور. وكان الجاني قد دَخَل من بابٍ مفتوح في وقتٍ مُتأخِّرٍ من الصباح، وهي لا تزال في السرير، وطعنها في حلقها، ووجهها، وقَطَع وريدَها الوداجي، مما أدى إلى مقتلها. ثُم حملها القاتِل إلى الحَمَّام، وغسل الدماء عن جسدِها في حوض الاستحمام، الذي وجدته الشُّرطة نصف مملوءٍ بالماء المُلطَّخ بالدِّماء، بينما طفت فيه منامتها ومنشفتَين، وضمَّد جراحها. ثُم حمل جسدها المغسول إلى السرير المُلطَّخ بالدِماء، ولفَّ تنورةً حول رأسها، وجورب نايلون حول عُنقها. لكِنه لم يعتدِ على ضحيته جنسيًّا. ورغم أنه غسل جسدها، إلا أنه عُثِرَ على بضع خصلاتٍ من الشعر الداكِن الخَشِن في يدِها. مُسِحَت الشقَّة بالكامِل من بصمات الأصابع. وقرَّر الطبيب الشرعي أن الضمَّادات قد وُضِعَت على جُثتها بعد حوالي تسعين دقيقة من وفاتها؛ وقد مكث قاتِلها تلك المُدَّة الطويلة في شقَّتها، لكِنه لم يأخُذ أي أشياء ثمينة.

-عُثِرَ على «فرانسيس براون»، البالِغة من العُمر واحِدٍ وثلاثين عامًا، يوم 10 ديسمبر 1945، في فُندق «باين كريست» السكني، في 3941 جادة نورث باين جروف، على بُعد ستَّة مبانٍ عن مسرح جريمة «روس». وعُثِر على الضحية عاريةً من الخصر إلى الأسفل، وراكِعة على حافَّة حوض الاستحمام، ورأسها مُتدلٍّ في الحوض. بينما أُلقِيَت عدَّة مناشِف مُلطَّخة بالدِماء على الأرض بالقُرب من حوض الاستحمام. في حين رُفِعَ قميص المنامة، ولُفَّ حول عنقها ورأسها. وعندما أزالته الشُّرطة، وجدوا أن سكِّين خُبز قد اخترق عنقَها من جهةٍ إلى الأخرى، وأنها قد أصيبَت مرَّةً في الجانِب الأيمن من رأسها، ومرَّة في ذراعِها اليُمْنى. كما عُثِر أيضًا على جرحٍ دفاعي عميق بين إبهامها اليُمنى وسبابتها. وكان القاتِل قد غَسَل جسدها بالصابون، وحمَّمها، وضمَّد جراحها بشريطٍ لاصقٍ بعد وفاتها، لكِنه لم يعتدِ عليها جنسيًّا[(LIV)]. وقد تمكَّن الجاني من الدخول عبر النافِذة عن طريق قفزةٍ بهلوانيّة من سُلَّم النجاة إلى الحافة الضيِّقة. كما وجدوا أيضًا رسالةً مكتوبة على جدار غُرفة معيشتها بأحمر شفاه فاتِح، على بُعد حوالي ستَّة أقدام عن الأرض:

«بحق السماء!

أمسِكوا بي قبل أن أقتُل المزيد!

لا يُمكِنني السيطرة على نفسي».

ورغم أن القاتِل مَسَح الشقَّة، إلا أنه أغفل بصمةً واحِدة مُلطَّخة بالدِماء، ملفوفةً جُزئيًّا على دعامة الباب المزدوج بين غُرفة المعيشة، والحَمَّام.

خلال ليلتي 6 - 7 يناير 1946، على بُعد حوالي ميلَين ونصف من مسرحَي جريمتَي قتل «فرانسيس براون»، و«جوزفين روس»، اختُطِفَت «سوزان ديجنان»، البالِغة من العُمر ست سنوات، من سريرها في 5943 جادة نورث كِنمور. دخل الجاني من نافِذة غُرفة نومِها، بعد أن وَضَع سُلَّمًا تحت حافَة النافِذة. وعُثِرَ على رسالةٍ لطلب فِديَة، مكتوبة على قُصاصة ورق مُزيّتة مُتّسِخة، تقول: «جهِّزوا عشرين ألف دولار، وانتزروا اتصالي[(5)]. لا تُبلِّغوا مكتب التحقيقات الفيدرالي أو رِجال الشُّرطة. أوراق نقديّة فئة 5 و10

دولارات. وأحرقوا هذه القُصاصة تحسُّبًا لأي شيء». ورُفِعَت بصمة غير كامِلة عن الورقة رغم وجود الزيت.

في اليوم التالي، وأثناء قيامهم بالبحث في المنطِقة عن الفتاة المفقودة، نظرَت الشُّرطة إلى حوض تجميع مياه المجاري في الشارِع. في البداية، لم يستوعِب الضُّبَّاط ما يرَونه بأعيُنِهم. فقد بدا الأمر وكأنه رأس دُمية ورديَّة اللون، بشعرٍ ذهبيٍّ لامِع يطفو، في عتمة مياه المجاري. لقد كان رأس «سوزان» المقطوع، الذي عُثِرَ عليه على بُعد بنايةٍ واحِدة عن مكان إقامتها. كما عُثِرَ على ساقِها اليُمنى في حوض مجاري آخر قريب، وساقها اليُسرى في آخَر. قبل أن يُنتَشَل جذعها من مصرَف مياه الأمطار في موقعٍ ثالِث، وبعد شهر.. عُثِر على ذراعَيها في موقعٍ رابع. ويبدو أن جميع أجزاء الجُثَّة قد نُظِّفَت تمامًا من الدماء. وقرَّرت الشُّرطة أن عملية التقطيع قد تمَّت في حوض غسيل، في قبو المبنى المواجِه للزُّقاق الذي عُثِر فيه على رأسها. وتحت درَج الزقاق، عثرَ رجال الشُّرطة على مشنقة مصنوعة من سلك، تعلَّقَت به خصلة من شعرها الأشقر. واستنتجوا أن القاتِل ترك جُثتها هنا، أثناء البحث عن مكانٍ لتقطيعها.

كانَت الجريمتان الأولى والثانية مُتشابِهتَين بدرجةٍ كافية، وقريبتَين بما يكفي، بحيث يسهُل ربطهما، لكِن جريمة قتل وتقطيع أوصال «سوزان ديجنان» لم ترتبِط بهما بشكلٍ واضح. ومع ذلِك، فقد كانَت هُناك بعض أوجُه التشابُه اللافِتة للنظر: فقد دَخَل الجاني خلسة إلى منزِل الضحيَّة، كما نظَّف الجُثَّة وأجزاء الجسد من الدِّماء.

وفي نفس الفترة، حقَّقَت الشُّرطة أيضًا في سلسلةٍ من الهجمات التي نجت منها النساء.

في 1 أكتوبر 1945، كانَت «فيرونيكا هدزينسكي»، البالِغة من العُمر تسعة عشر عامًا تكتب رسالةً على مكتبها في شقّتها بالطابِق الأول في 5722 جادة نورث وينثروب، عندما أُصيبَت برصاصةٍ في ذراعها عبر النافِذة. كانَت الرصاصة من عيار 38. مُماثِلة لتلك التي قُتِلَت بها «فرانسيس براون»، ولكِن نظرًا لأن الرصاصة التي أصابَت «هدزينسكي» تلفَت، لم يكُن من المُمكِن إجراء مُطابقة مقذوفات حاسِمة.

وبعد أربعة أيام، في يوم 5 أكتوبر، ضُرِبَت «إيفلين بيترسون» من الخلف حتى فقدَت وعيَها، وكُسِرَت جُمجمتها على يد مُتسلِّل دخل من خلال كوَّة في شقَّتها العلويَّة في 6020 جادة دريكسيل، والتي تشاركتها مع شقيقتها. ثُم قيَّدها بسلك مصباح، وبعد نهب الشقَّة، غادر، وأغلق الباب خلفه. عادَت شقيقتها في وقت الغداء تقريبًا، لتجِد الشقَّة مُغلقة. لم تكُن مفاتيحها بحوزتها، وافترضَت أن شقيقتها خرجَت. وصادفَت مُراهِقًا مُتعاوِنًا في الردهة، والذي وعدَها بالبحث عن المُشرِف، أثناء ذهابها لترى ما إن كانَت ستعثُر على شقيقتها. وفي هذه الأثناء، استعادَت «إيفلين» وعيَها على صوت شخصٍ يطرُق باب شقّتها. وعندما ترنَّحت نحو الباب، وتمكَّنَت من فتحه، ويداها لا تزالان مُقيَّدتان، وجدَت مُراهِقًا في الردهة؛ سألها عمّا إن كانت بخير، وساعدها على العودة إلى الشقّة لتجلِس على كُرسي، لكِنه لم يفك وثاقها. ثُم نزل إلى المُشرِف، وأخبره أن إحدى المُستأجِرات في الطابِق العلوي «ليسَت على ما يُرام»، وبحاجةٍ إلى المُساعدة، وغادَر قبل أن يترُك

اسمه. عُثِر على «بيترسون» واعية، لكِنها ترزح تحت وطأة حالةٍ من الذهول، ونُقِلَت إلى المُستشفى. واكتشفَت الشُّرطة أن الدخيل قد تغوَّط خارِج نافِذة المنوَر.

وفي يوم 5 ديسمبر 1945، وأثناء جلوس «ماريون كالدوِل» في مطبخ منزِلها الكائِن في 1209 جادة شيروين، اخترقَت رُصاصة من عيار 22. نافِذتها وأصابَت ذراعها. توصَّلَت الشُّرطة إلى أن الرُّصاصة أُطلِقَت من سطحٍ على الجانِب الآخر من الطريق. علمًا بأن إطلاق النار هذا قد وقع قبل خمسة أيامٍ من «جريمة أحمر الشِفاه».

اعتقال مُشتبه به

لم تصدِم جريمة قتل وتقطيع أوصال الطِّفلة «ديجنان»، التي وقعَت في «يناير» «شيكاغو» فحسب، بل صدمَت سائِر الأُمَّة. فقد تابعتها الصحافة عن كثب، ووُضِعَ ضغطٌ هائِلٌ على الشُّرطة لحلِّ القضية. ورغم الاعترافات العديدة بارتكاب جريمة قتل «ديجنان»، إلا أن الشُّرطة وجدت أنها غير صحيحة، وهكذا استمرَّت القضية دون إحراز تقدُّم كبير.

وبعد مرور ستَّة أشهُر، في يوم 26 يونيو 1946، واجَه حارِس عقار سكني يُعاني من عمليات السطو، شابًّا مُراهقًا أثناء تجوُّله في أرجاء المبنى. هدَّد المُراهِق الحارِس بمُسدَّسه، قبل أن يفرَّ هاربًا. وشاهده ضُبَّاط الشُّرطة الذين وصلوا بالقُرب من 1320 جادة فارويل، وعندما اقتربوا منه، سحب مُسدَّسه، وحاوَل إطلاق النار على أحدِهم. وعجز المُسدَّس عن إطلاق النار مرَّتَين، قبل أن يتصدى له الضابِط «تبيَّن لاحِقًا أن المُسدَّس المسروق ظلَّ أسيرًا لدُرج مكتبٍ لسنواتٍ عديدة، وهكذا أصبَحَت الطلقات خامِلةً بمرور الوقت». ووَجَد ضابِط الشُّرطة صعوبةً في السيطرة على المُشتبه به الرياضي المرِن، والذي نَجَح في التملُّص من قبضته، ونزع سلاحه. وعندما ساءَت الأمور بشكلٍ خطير، قفز ضابِط آخر للإنقاذ، وحاول إفقاد الصبيِّ وعيَه عن طريق كسر إناء زهور ثقيل مليء بالطين فوق رأسه، لكِنَّ الصبي بدا منيعًا ضد الألم. لذا اضطُرَّ الضابِط إلى تحطيم ثلاثة أوانٍ فَخَّارية فوق رأسه قبل أن يفقِد وعيَه.

تمَّ التعرُّف على السجين على أنه «ويليام «بِل» هيرينز»، البالِغ من العُمر سبعة عشر عامًا، الطالِب بجامعة «شيكاغو»، وله سجلُّ أحداثٍ بارِز في عمليات السطو القهري المرضي، أو «عمليات السطو العصابي» كما وُصِفَت في ذلِك الوقت. وفي عام 1942، في اليوم الذي كان مِن المُقرَّر أن يتخرَّج فيه «هيرينز» بالصفِّ الثامِن، في سنِّ الثالِثة عشرة، تصدَّرت أخباره صُحف «شيكاغو» عندما قُبِضَ عليه، واتُّهم في إحدى عشرة عملية سطو، واشتُبِهَ به في ارتكاب خمسين عمليةً أخرى. وقد وصفتِ الصُّحف الأمر آنذاك بأنه موجة جرائِم فتًى واحِد. كان «بِل هيرينز» طالبًا في مدرسة «سانت ماري أوف ليك» الأبرشيّة، ومثَّلَت التُّهم الموجَّهة إليه مُفاجأة لمُعلِّميه وزُملائه الطُّلَّاب، الذين تذكَّروه كصبيٍّ ودود، وذكي، وحَسَن السلوك. يعمل في عدَّة وظائِف بعد المدرسة، للمُساعدة في إعالة أُسرته. بينما أفادَت الشُّرطة أن عمليات السطو التي ارتكبها قد حصدَت له حوالي 3500 دولار من الفِراء، والملابِس، والمجوهَرات، والمُسدَّسات، والعُملات القديمة، والأوراق النقديَّة (أي ما يُعادِل 52 ألف دولار في عام 2020). وقد وقعَت العديد من عمليات السطو

التي ارتكبها «هيرينز» في «جادة باين جروف» بالقُرب من موقِع جريمتَي قتل «روس»، و«براوِن» اللاحقتَين، وعلى بُعد عدَّة مبانٍ عن المكان الذي كان يعيش فيه وقت اعتقاله، في 714 شارِع ويست جريس.

وقد حُكِمَ على «هيرينز»، البالِغ من العُمر ثلاثة عشر عامًا، بالإيداع في المدرسة الإصلاحيّة، والتي نَجَح في نهاية المطاف في التأقلُم معها بشكلٍ جيّد، بعد محاولةٍ فاشِلة للهرب، بعد وصوله بفترةٍ وجيزة، واعتُبِرَ طالبًا نموذجيًّا في برنامجها الأكاديمي. وبعد وقتٍ قصير من إطلاق سراحه المشروط، قُبِضَ عليه وهو يسطو على مُجمَّع سكني آخر، واتُّهِمَ بالسرقة مرَّةً أخرى. وبحلول ذلِك الوقت، كانَت عائِلته قد انتقلَت إلى 1020 شارِع لويولا، على بُعد ميلٍ واحِد من منزِل «آل ديجنان».

وُضِع «هيرينز» مرَّةً أخرى تحت المُراقبة، وأُودِع في مدرسةٍ كاثوليكيّةٍ خارِج «شيكاغو»، بعيدًا عن الإغراءات، باستثناء عودته إلى المنزِل في عُطلات نهاية الأسبوع. وفي محاولةٍ لإحباط نزعاته المؤيِّدة للسطو على المنازِل السكنيَّة، انتقلَت العائِلة إلى «لينكولن وود»، وهي ضاحية سكنيّة أكثر ريفيّة، على بُعد حوالي اثني عشر ميلًا بالحافِلة والقِطار من وسط مدينة «شيكاغو».

وفي 19 يناير 1945، أُطلِقَ سراح «بِل هيرينز» من المُراقبة للمرَّة الثانية. وخلال فصول الشِتاء، والربيع، والصيف، عاش «بِل» في «لينكولن وود»، وذهب إلى المدرسة الثانويّة، وانتقل إلى وظيفته الصيفيّة كعاملٍ في السكك الحديد المركزيّة في وسط مدينة «شيكاغو». وفي صباح يوم 3 يونيو، وهو اليوم الذي قُتِلَت فيه «جوزفين روس»، كان «هيرينز» قد ذهب إلى «شيكاغو» للعمل، ولكِنه لم يحضُر إلى موقِع عملِه في ذلِك اليوم. قطنَت «روس» على بُعد 450 ياردة عن محطّةٍ على نفس خطّ القِطار السريع الذي استقله «هيرينز» للذهاب إلى موقِع عمله. كان يُبلي بلاءً حسنًا في المدرسة في تلك الأثناء، حتى إنه في سبتمبر 1945، قُبِلَ في جامِعة «شيكاغو» دون الحاجة إلى إكمال دراسته الثانوية. وانتقل للعيش في السكن الجامعي، بدلًا من الاضطرار لقطع مسافة أربعة وعشرين ميلًا، ذهابًا وإيابًا، إلى منزِل والدَيه في «لينكولن وود». وكان «هيرينز» محبوبًا، واجتماعيًّا، ومشهورًا، كما كان عضوًا في عددٍ من النوادي، بما في ذلِك نادي الرماية بالجامِعة، ومحبوبًا لدى بعض الطالِبات، رغم أن مواعيده معهنّ ظلَّت أفلاطونيّة على ما يبدو. ومع ذلِك، كانَت درجاته ضعيفة.

عندها، عندما اعتُقِل «هيرينز» للمرَّة الثالِثة بتُهمة السرقة. وبعد أن أفقده رِجال الشُّرطة وعيه، ظلَّ في حالةٍ من الجمود، على ما يبدو، وهو مُكبَّل اليدَين في سرير المُستشفى. وبدا غير قادِرٍ على الإجابة على أي أسئِلة تطرحها عليه الشُّرطة، مُحدِّقًا في الفضاء بدلًا من ذلِك. واعتقد الأطِبَّاء أنه يتظاهَر بذلِك.

وعندما فتَّش رِجال الشُّرطة غُرفته «دون أمر تفتيش»، عثروا على حقيبتَين مليئتَين بالمُسدَّسات، والمجوهرات، وساعات اليد، وغيرها من المسروقات، بما في ذلِك مجموعة من صور القادة النازيين البارزين، «والتي أصبَحَت رابطًا ظرفيًّا مُهِمًّا لإحدى جرائِم القتل»، ومبلغ 1800 دولار، (أي ما يُعادِل 24 ألف دولار في عام 2020)، في شكل سندات حرب قابِلة للتداوُل. وفي وقتٍ لاحق، وجَّه «هيرينز» رِجال

الشَّرطة إلى خزانةٍ في محطّة «هوارد ستريت إل» حيث عثروا على مبلغٍ إضافي قدره 7355 دولارًا، (أي ما يُعادِل 101500 دولار في عام 2020) في شكل سندات حرب. وعندما جمَّعَت الشُّرطة في النهاية قيمة الأموال النقديّة، والمُمتلكات التي صودِرَت من غُرفة «هيرينز» في الحرم الجامعي، ومنزِل والدَيه، وخزانة المحطَّة، وصلَت قيمتها إلى 80 ألف دولار، (أي ما يُعادِل 1.1 مليون دولار في عام 2020). لكِنه لم يُحاوِل بيع أيٍّ من المسروقات – فقد كانَت سرقاته مرضيَّة بحتة.

وقد وُصِفَ «هيرينز» بلقب «الذُّبابة البشريَّة» في بعض عمليات السطو البهلوانيّة التي ارتكبها، وأثارَت حقيقة أن قاتِل «فرانسيس براوِن» قد قفز قفزةً محفوفة بالمخاطِر من سُلَّم النجاة إلى حافة نافِذة ضيِّقة للدخول إلى شقّتها بعض الشكوك. وتساءَل رجال الشُّرطة عمّا إذا انطوى الأمر على ما هو أكثر من مُجرَّد عمليات سطو؟ لماذا قد يشعُر لصٌّ حدث «أو أي لصٍّ آخر» بالخوف لدرجة مُحاولة إطلاق النار على ضابِط شرطة؟ لم يكُن الأمر منطقيًّا. عندها.. أُرسِلَت بصماته إلى مكتَب تحديد الهوية لمعرِفة ما إن تطابقت مع أي بصماتٍ في أي مسرَح جريمة.

الاعتراف

كان الرقيب «توماس إيه. لافي» خبير بصمات الأصابع في شرطة «شيكاغو»، وعلى مدى الأشهُر الستَّة الماضيَة، قارَن أكثر من سبعمائة مجموعةٍ من بصمات المُشتبه بهم، في محاولةٍ للعثور على بصمةٍ مُطابِقة للبصمة التي وجدوها على رسالةِ فِدية «ديجنان». وحتى هذه اللحظة، حفظ «لافي» شكل بصمة رسالة الفِدية عن ظهر قلب، وكانَت كُل لفَّة وحلقة مألوفة له بشكلٍ وثيقٍ مثل بصمات يدِه. وعندما وصلَت بصمات أصابع «هيرينز» إلى مكتبه، تعرَّف «لافي» من فوره على التطابُق الذي كان يبحث عنه. حيث تطابَقت بصمة إصبع «هيرينز» الصغيرة مع البصمة الموجودة على رسالة الفدية في خمس عشرة نقطة تشابُه. كما طابَقت الشُّرطة بصمته مع البصمة الملفوفة المُلطَّخة بالدِّماء التي تُرِكَت في مسرح «جريمة قتل أحمر الشِفاه»، والبصمة التي وُجِدَت في مسرح جريمة ضرب «إيفلين بيترسون».

طوبِقَت الرصاصة عيار 22. التي أصابَت «ماريون كالدوِل» من ناحية المقذوفات، مع أحد المُسدَّسات التي عُثِر عليها في غُرفته. وتمّ تعقُّب الرقم التسلسُلي للمُسدَّس اليدوي إلى مُسدَّسٍ سُرِق في عملية سطو قبل يومَين من إطلاق النار عليها.

بينما انتمَت صور النازيين إلى ألبوم صور، سُرِقَ في الليلة السابِقة لمقتل «سوزان ديجنان»، من شقّة في 5959 جادة نورث كِنمور، المُطِلة على غُرفة نومِها.

رغم أن جريمتي قتل «روس»، و«براوِن» قد وقعتا على بُعد عدّة أميالٍ من جريمة قتل «ديجنان»، إلا أن «هيرينز» عاش في كِلا الحَيَّين، بالقُرب من مسرحَي الجريمتَين، ومسارِح إطلاق النار، وعُثِرَ على مُمتلكاتٍ من عمليات السطو التي حدثَت في مُحيط جميع مسارِح الجريمة في حوزة «هيرينز».

تعرَّف عليه العديد من الشهود، بما في ذلِك «إيفلين بيترسون»، وشقيقتها، والمُشرِف، الذي تعرَّف عليه باعتباره المُراهِق المعني في مسرح الجريمة. وقد سطا «هيرينز» على أحد المباني بشكلٍ مُتكرِّرٍ حتى إن المُشرِف

افترَضَ أنه يعيش بين جنباته، وتعرَّف عليه بسهولة. لكِن «هيرينز» أبى أن يتحدَّث. واستلقى على سريره، مُقيَّدًا، ومُحدِّقًا في الفضاء فحسب. وزُعِم أن رجال شرطة «شيكاغو»، الذين شعروا بالإحباط، قد عاملوا المُراهِق بعُنف، وضربوا رأسه المُضمَّد بالحائِط، على أمَل أن يُساعِده ذلِك في استرداد ذاكِرته، لكِنَّ شيئًا لم يحدُث[(LV)].

وعندما لم يُجْدِ الضرب نفعًا، حقنوه بـ «بنتوثال الصوديوم»، الذي اعتُقِدَ في تلك الأيام أنه «مصل الحقيقة»، هذا بالإضافة لأنهم قاموا بعملية بزلٍ شوكي في عموده الفقري دون مُخدِّر، وأبقوه مُستيقِظًا لساعاتٍ طويلة، وكُل هذا.. دون حضور مُحام. وبما أننا كُنا في عام 1946، ولم يكُن والدا «هيرينز» حاضرَين أيضًا، ولم يُقرَأ عليه «تحذير ميراندا»، (الذي لم يُقدَّم حتى عام 1966). وعلى مدار ستة أيام، استمرَّ رِجال شرطة «شيكاغو» بالتحقيق معه، وَوَخْزِه، وتخديره، وضربه.

في البداية، كان أقصى ما اعترف به «هيرينز» هو أن لدَيه شريكًا، رجُلًا يُدعى «جورج مورمان»، وهو قاتِل «سوزان ديجنان». ولفترةٍ من الوقت، اعتقدَ رِجال الشُّرطة أن «جورج» هذا موجود بالفعل، حيث عثروا في جيب «هيرينز» على رسالةٍ مطبوعةٍ موقَّعةٍ باسم «جورج»، تُشير إلى عمليات السطو التي ارتكباها معًا، وفي غُرفته في السكن الجامعي، عُثِرَ على رسالةٍ من «هيرينز» إلى «جورج». وفي نهاية المطاف، أدرَكَت الشُّرطة أن التوقيع الذي يُزيِّن رسالة «جورج» هو توقيع «هيرينز» نفسه؛ وأن «جورج مورمان»، (والذي قد يقول البعض أنه اختصار لكلِمة «موردرمان»، التي تعني «القاتِل»)، هو شخصيته الثانية، السيِّد هايد الخيالي. الذي لم يكُن له وجود إلا في خياله فقط. (علمًا بأن جورج كان أيضًا الاسم الأول لوالِده، واسمه الأوسط).

امتلك «هيرينز» وقتها مُحامي دِفاع. وطلبَ منه رِجال الشُّرطة إجراء اختبار عيِّنة من الكِتابة، وأملَوه نصَّ رِسالة الفِدية. أخطأ «هيرينز» في كِتابة كلمتي «جهزوا»، و«انتظروا» تمامًا كما كُتِبتا في رسالة الفدية: «جهذوا»، و«انتزروا». وادَّعى «هيرينز» في وقتٍ لاحق، أن رِجال الشُّرطة طلبوا منه نسخ الرسالة الأصليّة، بينما يُصِر رِجال الشُّرطة على أنهم قد أملوا عليه النص فحسب.

وعندما واجهوه بالأخطاء الإملائيّة، التزم الصمت في البداية، قبل أن يُدلي باعترافٍ عندما وُعِدَ هو ومُحامِيه بأن الادِّعاء لن يسعى لعقوبة الإعدام. ودعا المُدَّعون العامُّون إلى عقد مؤتمرٍ صحفي، وجلبوا «هيرينز» إلى غُرفةٍ مليئةٍ بالصحفيين للإدلاء باعترافاته علنًا. وبدلًا من ذلِك، ادَّعى «هيرينز» أنه لا يتذكَّر أيَّ شيء. وبعد أن شَعَر الادِّعاء بالإحراج والغضب، أعادوا طلب عقوبة الإعدام مرَّةً أخرى.

وعلى مدار الأيام القليلة التالية، أدلى «هيرينز» باعترافاته تلك مرارًا وتكرارًا، قبل أن يتراجَع عنها، إلى أن أجبره المُدَّعي العام، ومُحاميه، ووالِدته في النهاية على الإدلاء باعترافٍ مكتوبٍ مُتماسِك، وأزيحَت عقوبة الإعدام عن الطاوِلة مرَّةً أخرى. انقضَّت صحافة «شيكاغو»، وخاصَّة صحيفة «شيكاغو تريبيون»، على «هيرينز» مثل قطيعٍ من الكِلاب المسعورة. فلطالما كان قتلة الأطفال محورًا للتقارير المروِّعة، وسُرعان ما أصبح «هيرينز» موضوعًا لأشهُرٍ من التغطية القاسية، ومعلومات الاتهامات الكاذِبة، ونُسَخ مُلفَّقة من

الاعترافات التي لم يُدلِ بها قط. ولم يكُن من المُمكِن العثور على هيئة مُحلّفين مُحايدة في «شيكاغو»، أو في أي مكانٍ آخر في ولاية «إلينوي» في هذا الشأن.

وبدلًا من الذهاب إلى المحكمة، وبناءً على نصيحة مُحاميه، أقرَّ «هيرينز» بالذنب في قضايا القتل الثلاث، وفي سلسِلةٍ من تُهَم الاعتداء والسطو، وحُكِم عليه بالسجن مدى الحياة.

بريء أم «حيوان مجنون بالقتل»؟

بعد سجنه، تراجَع «هيرينز» عن اعترافاته مرَّةً أخرى، وعلى مدى العقود الستّة التالية، قدَّم سلسِلة من الطعون التي رفضتها المحاكِم. وفي عام 1972، أصبَح أول سجين في «إلينوي» يحصُل على درجة البكالوريوس في الآداب. ثُم حَصَل بعد ذلِك على دورات دراسات عُليا في مُختلف اللُّغات، والهندسة التحليليّة، ومُعالجة البيانات. أدار مصنعًا للملابِس في السجن لمُدّة خمس سنوات، وأشرَف على 350 سجينًا، وعندما نُقِلَ إلى مُنشأةٍ أخرى، أعدَّ برنامجهم التعليمي بالكامِل. ولطالما كان «هيرينز» محبوبًا بين الجميع، وقد نَجَح في تكوين حشدٍ كبير من المؤيِّدين المؤمِنين ببراءته. وكُلما أصبَح أكبر سنًّا، وأكثر تعليمًا.. أصبَحَت شخصيّته أكثر لُطفًا وضعفًا. وعلى مدار عقود، جادَل هو وأنصاره بأنه كان ضحية «مؤامرة» من الشُّرطة لتلفيق تُهَم القتل له. وقد أدانَت محاكِم الاستئناف سوء سلوك الشُّرطة، والنيابة العامَّة، ولكِنها أيَّدَت الإدانة على أساس الأدِلَّة الفعليَّة «حتى لو حُصِلَ عليها بشكلٍ غير دستوري»، وحقيقة اعترافه بجرائِمه.

وعندما أصبَح «هيرينز» مؤهَّلًا للحصول على الإفراج المشروط في عام 1983، أعلَن المُدَّعي العام في «إلينوي»، السيِّد «نيل هارتيجان»: «لا يعلَم إلا الله، و«هيرينز» وحدهما عدد النساء الأخريات اللاتي قتلهن، والآن.. يُقرِّر أحد الخيِّرين من ذوي القلوب الرحيمة أنه قد أُعيد تأهيله، ويجِب إطلاق سراحه؟ سأتأكَّد من بقاء هذا الحيوان المجنون بالقتل في مكانه». ورُفِضَ الإفراج المشروط عن «هيرينز»[(LVI)].

تأثَّر طُلَّاب المدارِس الثانويّة، وطُلّاب الجامِعات، في «شيكاغو» بشكلٍ خاصٍّ بصِغَر سِنِّ «هيرينز» وقت إدانته، وشكَّلوا نوادي «حرِّروا بِل هيرينز» المُنادية بإطلاق سراحه. وبعد صدور كِتابي «القتلة المُتسلسِلون» في عام 2004، تلقيتُ بين الحين والآخر، بعض رسائِل البريد الإليكتروني من طُلَّاب في «شيكاغو»، يطلبون مني تأييد حملتهم لإطلاق سراحه. وقد زاره أحد فصول «العدالة الاجتماعيّة» في المُنشأة ذات الحِراسة المُشدَّدة التي نُقِل إليها، ورأوا فيه رجلًا عجوزًا لطيفًا، وجدًّا مسجونًا ظُلمًا لجيلٍ من الأطفال، ولم يكُن بعض آبائهم قد وُلِدوا حتى عندما اختُطِفَت «سوزان ديجنان»، البالِغة من العُمر ستَّ سنوات، من سريرها الدافئ في مُنتصف الليل، وخُنِقَت، وقُطِعَ رأسها، وأوصالها في حوض غسيل بالقبو، وأُلقِيَت أشلاؤها المقطوعة في المجاري.

وفي التسعينيّات، بذل المُحامون جهودًا مُتضافِرة لتشويه الأدِلّة التي استُشهِدَ بها في إدانة «هيرينز». وانتشرَت المواقِع الإليكترونيّة المؤيِّدة والمُناهِضة له، واتَّسَمَت بالحقد الشديد، واتهامات «التآمُر» من كِلا الجانبَين. ومرَّة أخرى، فَشَل المُدافِعون عن «هيرينز» في إقناع ولاية «إلينوي» بمنحه فُرصةً في مُحاكمةٍ جديدة.

وفي أبريل 2002، تولى «لورانس سي. مارشال»، أستاذ القانون في كُلِيَّة الحقوق بجامِعة «نورث ويسترن»، وأحد مؤسِّسي مركز الإدانات غير المشروعة، و«ستيفن إيه. دريزن» من مركز عدالة الأطفال والأسرة، قضيته بشكلٍ رسمي، وقدَّما الْتماسًا رسميًّا إلى حاكِم ولاية «إلينوي»، ومجلِس مُراجعة السُّجناء في «إلينوي» لمنحه الرأفة دون مُحاكمةٍ جديدة. ورَفَضَ أعضاء المجلِس الالتماس بأغلبية 14 صوتًا مُقابِل «لا شيء». وقال «توماس جونسون»، عضو مجلِس الإفراج المشروط، لـ «هيرينز»: «سيغفِر الله لك، لكِن الولاية لن تفعل». وكان من المُقرَّر أن يظلَّ «هيرينز» محبوسًا حتى تنتهي حياته نهايةً مريرة.

ما غاب عن العديد من مؤيِّدي «هيرينز» هو أن وقع عِبارة «مُدان ظُلمًا» يختلِف تمامًا عن «مُدان خطأً». في الواقِع، بدأ استئناف «مارشال»، و«دريزن» بالإعلان: «إن هذا الالتماس – المُقدَّم من مركز الإدانات الخاطِئة التابِع لكُلِيّة الحقوق بجامِعة «نورث ويسترن»، ومركز عدالة الأطفال والأُسرة – لن يُناقِش مسألة البراءة»[(LVII)]. وجاء في الالتماس:

«نعتقِد أنه، بغضِّ النظر عن إدانة «هيرينز» أو براءته، فإن قضيَّته تبرُز كواحدةٍ من أفظع حالات إساءة تطبيق العدالة القضائيّة في تاريخ الولايات المُتحِدة. فقد تلوَّثَت إدانته بمصادِر خطأ أكثر من أي قضية أخرى درسناها بسبب سوء سلوك النيابة العامَّة، وسوء سلوك الشُّرطة، وعدم كفاءة مُحامي الدِّفاع، والدعاية الضارَّة غير المسبوقة قبل المُحاكمة (التي نظَّمتها الشُّرطة والمُدَّعون العامّون)، والعلوم غير الموثوق بها، والاعترافات الكاذِبة المُحتملة. ويكفي أي عامِلٍ منها وحده لإدانة رجُلٍ بريءٍ ظُلمًا، لكِن اجتماعها في قضيةٍ واحدةٍ يتركنا، كما ينبغي أن يترُك الحاكِم ومجلِس مُراجعة السُّجناء، بلا ثقةٍ في النتيجة»[(LVIII)].

وعندما بدأ «هيرينز» استئنافه في خمسينيَّات القرن الماضي، حكمَت المحاكِم ضدّه في نفس القضيّة بالضبط، وقرَّرَت أن ما أدى إلى إدانته، ليس الانتهاكات والمُخالفات الإجرائيّة، وهي الانتهاكات الأساسيّة للعدالة، بل اعترافاته، والأدِلّة التي جُمِعَت بطريقةٍ غير قانونيّة. وظلَّ الوضع كما هو عليه حتى العقد الأول من القرن «الحادي والعشرين».

الغلبة لدليل الإدانة

كان الدليل الأكثر إقناعًا على إدانة «هيرينز»، في رأيي، هو كشفه عن شيءٍ لم تكُن الشُّرطة تعرِفه. ففي اعترافاته المكتوبة، التي صاغها بمُساعدة مُحاميه ووالِدته، ذَكَر «هيرينز» أنه قطَّع جُثَّة «سوزان ديجنان» بسكين صيدٍ سرقها أثناء عملية سطو، وأنه تخلَّص من السكين بإلقائها على مسار القطار المُعلَّق، بزُقاقٍ خلف «جادة وينثروب»، أثناء سيره إلى محطّة القطار المُعلَّق في «جرانفيل»، على بُعد ثلاث بناياتٍ من منزِلها. لم تكُن الشُّرطة قد عثرَت على السكين أثناء تفتيشها المُكثَّف في الحي، لأنها لم تكُن قد فتَّشَت المسارات المُرتفِعة. وبعد التحقيق، اكتشفوا أن أحد عُمَّال الصيانة قد عثر بالفعل على سكينٍ في تلك المنطِقة، بعد وقتٍ قصير من وقوع الجريمة، واحتفظ بها في خزانته في غُرفة التخزين في محطّة «جرانفيل». وكان هذا السكين هو نفس السكين الذي أبلغ «جاي رودريك»، القاطِن في 5000 جادة ساوث كورنيل، عن سرقته، وهو نفس الرجُل الذي

كان يمتلِك المُسدَّس عيار 22، الذي عُثِرَ عليه في غُرفة نوم «هيرينز». وتعرَّف «رودريك» على السكين على أنه سكينه. «في السنوات اللاحِقة، غيّر «هيرينز» قصَّته، مُدَّعيًا أنه كان عائِدًا إلى منزِله في «لينكولن وود»، على متن القطار المُعلَّق في أحد الأيام، ولم يرغَب أن ترى والِدته السكين بحوزته، لذلِك ألقى بها من نافِذة القِطار، وتصادَف أنه سقط بالقُرب من منزِل «ديجنان»[(LIX)].

لكِن الأدِلَّة المتوفِّرة، وتأكيداته العديدة لقُربه الجُغرافي، والتُّراثي، من جميع مسارِح الجريمة، والاعتداء، تبدو خارِج نِطاق الشذوذ الرياضي: أي أنها أبعد من أن تكون مُجرَّد مُصادَفة.

نعم، يُمكِن أن تكون التناقُضات بين اعترافاته حول الأوقات، والأماكِن، والتواريخ، ووقائِع الجريمة، مُجرَّد «عناصِر موقَّعة لاعترافٍ كاذِب»، كما ورد في الالتماس. ويُمكِن أن تكون أيضًا مُجرَّد أخطاء في الذاكِرة. فالقتلة لا يتذكَّرون دائمًا تفاصيل جرائِمهم بدقّةٍ مُتناهية؛ وغالبًا ما يُخطِئون في التواريخ، والأوقات، والأماكِن. وفي حين أن بعض القتلة المُتسلسِلين يتذكَّرون، ويُسجِّلون باستمتاعٍ كُل التفاصيل الدقيقة لجرائِمهم، يرتكِبها آخرون في حالة شرود، أو ذهول، بسبب تعاطي الكحول أو المُخدِّرات، أو في حالة غضبٍ أعمى، أو اندفاع ضبابي. لكِنهم لا يتذكَّرون التفاصيل لأنهم يكونون في حالةٍ من الفوضى، أو الإكراه الآلي. وكما وضَّح لي أحد القتلة المُتسلسِلين المُندفعين: «كان الأمر وكأنني أُسرِّع المشهد باستخدام جهازي للتحكُّم عن بُعد. وكان الأمر سريعًا وفوضويًّا بعد ذلِك، ولم أتطرَّق إليه لفترةٍ طويلة. ولم تراوِدني أي تخيُّلات؛ لأنني كُنتُ أعيش في خيالاتي، أفعل ما أردتُ فعله، كُلما شعرتُ أنني أستطيع الإفلات من العِقاب. ولم يكُن عليَّ أن أُفكِّر في الأمر أو أن أتخيَّله، قبل أو بعد ذلِك. لقد استمتعتُ بفعله فحسب. وبعد ذلِك، لم أكُن أفكِّر في الأمر، أو أتدبَّره، أو أبحث عنه في الصُّحف، أو أجمع القصاصات».

بل ويُمكِن للمرء أن يُجادِل قائِلًا بأن التذكُّر الكامِل لمسرح الجريمة هو «عُنصر مُميَّز للاعتراف الكاذِب»، مما يُشير إلى أن الشُّرطة قد لقَّنَت المُشتبه به تفاصيل الجريمة من أجل «مُساعدة» ذاكرته. لذلك تُعتبر التناقُضات الطفيفة بين الحقائِق المؤكَّدة، واعترافات «هيرينز» ليسَت دليلًا على أي شيءٍ سوى ذاكرته المَعيبة.

ويُعد «ويليام هيرينز» مُثيرًا للاهتمام لأنه كان أحد أوائِل القتلة المُتسلسِلين الذين قُيِّموا نفسيًّا بعد فترةٍ قصيرة من نشر كِتاب «قِناع العقل: مُحاولة لتوضيح بعض المسائِل المُتعلِّقة بما يُسمَّى الشخصيّة السيكوباتيّة»، للكاتِب «هيرفي إم. كليكلي»، عام 1941. وقد أرسى نصّه الرائِد الأساسَ للمفهوم الحديث للاعتلال النفسي، لكِن ليس آلياته الداخليّة، وتفاصيل الخصائِص الفسيولوجيّة المُصاحِبة له. كما ركَّز الأطِبّاء النفسيون بشكلٍ عميقٍ على سنوات طفولته ومُراهقته؛ إن لم يكُن هُناك مكان آخر يُمكِنهم الذهاب إليه في حالة شخصٍ في السابِعة عشرة من عُمره.

لقد تحدَّث المُدافِعون عن «هيرينز» كثيرًا عن سلوكه اللطيف والودود، وعن ذكائه وجاذبيّته، وشخصيّته الصبيانيّة اللطيفة، والطبيعة غير العنيفة على ما يبدو لعمليات السطو التي ارتكبها في سنِّ المُراهقة، وصِغَر سنِّه على نحوٍ غير عادي «يُعد متوسّط العُمر الإحصائي لارتكاب أول جريمة قتلٍ مُتسلسِل من سبعة وعشرين إلى ثمانية وعشرين عامًا». ولكِن هذه المفاهيم قوَّضتها الطبيعة المَرَضيّة لعمليات السطو التي

ارتكبها كما وصفها الأطباء النفسيون، وتاريخ طفولته. التي احتوَت على العديد من العلامات النموذجيّة لقاتِلٍ مُتسلسِل ناشئ، كما صنّفها في نهاية المطاف عُلماء السلوك في مكتب التحقيقات الفيدرالي. ولكِن في مُنتصف أربعينيّات القرن «العشرين»، كان القتلة المُتسلسِلون لا يزالون نادرين للغاية بحيث لا يُمكِن وضع أي نوعٍ من المعايير الإحصائيّة المُقارنة. وقد سجَّل الأطِبّاء النفسيون عوامِل في تاريخ «هيرينز» بدت غير مُهِمَّة في ذلِك الوقت، لكِنها كانَت مُعبِّرة للغاية عن شخصيته، واحتماليّة ارتكابه للعُنف، عند تقييمها من وجهة نظرٍ لاحِقة.

من هو «ويليام هيرينز»؟

وُلِدَ «ويليام جورج هيرينز» في «إيفانستون»، بـ «إلينوي»، يوم 15 نوفمبر 1928. وكان كُلٌّ من والِدته «مارجريت»، ووالِده «جورج»، أمريكِيَّي المولِد من «لوكسمبورج»، وكاثوليكيَّين مُتديِّنَين. وبعد ولادته بثلاث سنوات، وُلِد شقيقه «جيرالد «جيري» هيرينز»، ويُقال إن الشقيقَين قد عاشا ولعِبا معًا دون أي مشاكِل بينهما.

زرع «جورج» زهور الدفيئة، وأدار متجرًا لبيع الزهور، لكِنَّ كِلا المشروعَين فشلا خلال فترة الكساد الكبير. ويبدو أن اليأس لم يعرِف لقلبه سبيلًا، وسُرعان ما وَجَد لنفسه سلسِلةً من الوظائِف، وحَصَل في النهاية على وظيفةٍ في أمن شركة «كارنيجي» للصُّلب، وترقَّى إلى رُتبة مُحقِّقٍ خاصٍّ بأجرٍ مُجزٍ بما يكفي لتتحمَّل أسرته المكوَّنة من أربعة أفراد تكاليف سكن للطبقة المتوسِّطة. ويبدو أن الأسرة كانَت عمليَّة ومُتناغِمة، ولم يرِد ذكر حالة التشنُّج التي يُغذِّيها الكحول، والتي غالبًا ما يُبلَّغ عنها في قصص طفولة القتلة المُتسلسِلين. ومن ناحية أخرى، يُمكِن للمرء أن يتخيَّل بسهولةٍ الشعور بانعدام الأمن والقلق الناجِم عن فشل مشروعَين عائلِيَّين تجاريَّين خلال عصر البطالة الجماعيّة، ومطابِخ الحساء، والتشرُّد؛ لا بُد أن جميع أفراد العائِلة عانوا من قلق الكساد الكبير. فقد أصيبَت «مارجريت» بانهيارَين عصبِيَّين أثناء تربية أولادها.

وتضارَبت مُقابلات الوالِدَين حول ما إن كان «هيرينز» طفلًا وحيدًا منطويًا، أم أنه لَعب بسعادةٍ مع أقرانه.

كان سجل «ويليام» الصحي مُتقطِّعًا، لكِن لم تشُبْه أي إثارةٍ تُذكَر: فقد استخدم الأطِبّاء المِلقَط في ولادته المُتعسِّرة، وعانَت «مارجريت» من مشاكل مؤلِمةٍ في الرضاعة الطبيعيّة؛ بينما آلَمه بطنه أثناء طفولته؛ واستغرق شِفاء لوزتَيه وقتًا طويلًا؛ وأُصيب بالحصبة والجُدري المائي؛ وعندما ارتاد روضة الأطفال، عانى من مشاكل هستيريّة في الانفصال عن والِدته؛ وعندما أُصيب شقيقه بالحصبة، أبقتْه والِدته في المنزِل لبقيَة العام الدراسي للروضة. لكِن ملايين الأطفال مرُّوا بأشياء مُماثِلةٍ دون أن ينتهيَ بهم الأمر قتلةً مُتسلسِلين.

داخِل عقل قاتِل مُتسلسِل: الاعتلال النفسي الجنسي

ومع ذلِك، شابَت بعض العناصِر تاريخ «هيرينز»، والتي تُعتبَر نموذجيّة لتاريخ طفولة القاتِل المُتسلسِل. على سبيل المِثال، إصابة في الرأس «أو عدَّة إصابات» في الفصِّ الجبهي. فقد ذكرَت والِدته أنه عندما كان

عُمر الرضيع «بيلي» «الذّبابة البشريّة المُستقبليّة» سبعة أشهُر، قفز من عربتِه الصغيرة، مُلقيًا بنفسه من فوق درابزين الدرَج، فسقط على رأسه من ارتفاع اثنَي عشر قدمًا على مهبطٍ خرساني. وعلى ما يبدو، لم يفقِد الرضيع وعيَه، وبعد أن هدأ هذا التورُّم الغريب، بحجم ثمرة جريب فروت، في مُقدِّمة رأسه، بدا أنه قد تعافى تمامًا. ثُم، وفي الثانية عشرة من عُمره، سقط «بيلي» من على الدرج الخرساني لمدرسته. ووَرَد أنه فَقَد وعيَه هذه المرَّة، و«جَرَح رأسه فوق عينِه»، «أي في الفص الجبهي». وبعد ذلِك، بدأ يُعاني من صُداعٍ مُتكرِّر (LX).

مثل «إيرل نيلسون»، وغيره من القتلة المُتسلسِلين القادِمين، لدَينا إصابة في الرأس في مرحلة الطفولة، بل في الواقِع.. إصابتان.

ثُم هُناك عمليات السطو المدفوعة بالولَع الجنسي. كثيرًا ما سرق القتلة المُتسلسِلون الجنسيون، أثناء طفولتهم، أشياء تدلُّ على ولَعِهم الجنسي. وعلاوةً على ذلِك، فإن ما يُعتبَر أحيانًا جرائِم «غير عنيفة»، مثل التلصُّص، أو التعرِّي، أو السطو، هي في الواقِع تعبيرات قهريّة مدفوعة بالولَع الجنسي، تُعبِّر عن الغضب السادي، وشهوة السيطرة. ويبدأ الجُناة المُتسلسِلون في سنٍّ صغيرةٍ في بعض الأحيان، فيقتحِمون المباني أثناء نوم قاطنها، والتي غالبًا ما تكون أُنثى. ويقِفون فوق الشخص النائِم، مُستمتِعين بشعور السيطرة على الضحية الغافِلة، ثُم يستمنون، ويُغادِرون دون إزعاجِها. وفي نهاية المطاف، إما أن تستيقِظ الضحيَّة، وتُقتَل في نوبةٍ من الذُّعر، أو يتصاعَد الخيال إلى ذلِك من تِلقاء نفسه، اعتمادًا على الحالة النفسيّة للجاني.

وأخبر «هيرينز» الأطِبّاء النفسيين الذين عيَّنتهم المحكمة، أنه منذ سنِّ التاسِعة من عُمره، وهو مهووس بسرقة وارتداء سراويل النساء الداخليّة، وأن ملمسها كان يُثيره. كما وَصَف صندوقًا من الورق المُقوى خبَّأه في علية جدَّته، عندما كان في الثالِثة عشرة من عُمره، قبل أن يعثروا عليه بعد ذلِك. احتوى على أربعين زوجًا من السراويل الداخليّة المصنوعة من الحرير الصِّناعي ذات اللون الوردي أو الأزرق الزاهي. في البداية، سرق «ويليام» أغراض ولَعِه الجنسي من على حِبال الغسيل، ومن غُرف غسيل الملابِس في العقارات السكنيّة، لكِنه فيما بعد، دخل من أبواب المباني المفتوحة، وتسلَّق للدخول من النوافِذ.

وَصَف «هيرينز» تحوُّل هوسه الجنسي من الشيء - الملابِس الداخليّة النسائيّة - إلى العمليّة - فعل الحصول عليها. وأصبح يُستَثار في المقام الأول من إثارة الفعل الخفي وغير المشروع، المُتمثِّل في دخوله إلى شقّةٍ ما، حتى إنه كان يقذِف مَنيّه أحيانًا أثناء تسلُّله عبر نافِذةٍ مفتوحةٍ إلى مكانٍ خاصٍّ بشخصٍ ما. واعتاد التريُّث بالداخِل، دون أن يُكلِّف نفسه عناء سرقة أي شيء أحيانًا، ويُغادِر بعد أن يكون قد أشبَع نفسه جنسيًّا في الوقت الحالي. وفي أحيانٍ أخرى، كان يمضي في عملية السطو، وهو في حالةٍ من الإثارة، ويبقى في الداخِل لساعات، لا يجمَع الملابِس النسائيّة فحسب، بل يجمَع أيضًا المجوهرات، والأسلِحة الناريّة، والكُتب، والنقود، وغيرها من المسروقات حتى يقذِف أو يفقِد انتصابه ببساطة. وكان أحيانًا يتغوَّط أو يتبوَّل رغمًا عنه على الأرض، أو السرير، أو في الأدراج، أو صناديق المجوهرات، ويُشعِل حرائِق صغيرة.

وبمُجرَّد وصوله إلى الذروة، يترك المسروقات أحيانًا خلفه، لكِنه في أغلب الأحيان، أخذَها معه، وخبَّأها في أماكِن سريّةٍ مُختلِفة.

كان «هيرينز» صبيًّا مُحبَطًا، ورُبما غاضِبًا، ومُتضرِّرًا جنسيًّا، لكِنه طوَّر مقتًا لفكرة مُمارسة الجنس الفعلي مع النساء، وقصرها على مجموعةٍ مُتغيِّرةٍ من الهوس والولَع القهري. وبينما واعَد في الكُليّة، وَجَد فكرة الجنس مُنفِّرة. وكان الجنس، والسطو، والقتل كُلها أمور «قذِرة» بنفس القدْر بالنِسبة له، وعندما استسلم لدوافِعه القهرية المُختلِفة بأسوأ طريقةٍ منها – القتل – غسل بعد ذلِك جُثث ضحاياه بالصابون، وحمَّمها، ونظَّفها، وضمَّد جروحها بالشريط اللاصِق، في نُسخته الخاصَّة من التوبة المُستوحاة من الكاثوليكيّة.

ومن بين الكُتب التي كانَت بحوزته في غُرفته بالسكن الجامعي، والتي سَرق الكثير منها، نُسخة مُهترِئة من كِتاب «الاعتلال النفسي الجنسي»، للكاتِب «ريتشارد فون كرافت إيبنج»، وهو دراسة رائِدة عن النشاط الجنسي الشاذ، والإجرامي، والفِتَن المُرتبِطة به. وتضمَّن الكِتاب عددًا من حالات القتل والتشويه الجنسي للأطفال والنساء. ولا بُد أن «هيرينز» حاول فهم دوافعه وخيالاته. كما قال إن فيلم «دكتور جيكل ومستر هايد» هو فيلمه المُفضَّل، ورُبما يكون هذا الفيلم هو ما ألهمه شخصيَّته القاتِلة البديلة «جورج مورمان»، وهو خيال حقيقي بالنسبة له، حتى إنه أقنَع رِجال الشُّرطة لفترةٍ من الوقت أنه موجود بالفعل.

وادَّعى «هيرينز» أنه «يفقِد وعيه» عندما يُستثار، ولا يستعيدُه إلا بعد القذف. ووَصَف كيف «استعاد وعيه»، ليجِد ضحاياه مغسولات، وموضوعات بالفعل في المكان الذي ستجدهنّ فيه الشُّرطة لاحِقًا. وفي حالة «ديجنان»، ادَّعي في البداية أنه استعاد وعيَه في غُرفة الغسيل في القبو، ووَجَد حوضها وسكّينه مُغطَّيين بالدِّماء، دون أن يتذكَّر شيئًا عن تقطيع أوصال ضحيته. وفي وقتٍ لاحق، يتذكَّر أنه رفع أغطيَة المجاري، وألقى أجزاء الجُثّة في الماء. وذَكَر أنه كَتَب رسالة الفدية في غُرفة الغسيل، ثُم عاد ليُلقِيها عبر نافِذة غُرفة نوم الفتاة من أجل مدِّ والدَيها «بالأمل» بأن طفلتهما لا تزال على قيد الحياة. كما قال إنه خَنَق الفتاة في غُرفة النوم، إما بيدَيه، أو بسلكٍ طويلٍ من تلك التي عُثِرَ عليها فيما بَعد على بُعد بضعة مبانٍ، وأنه حَمَل جُثتها عبر النافِذة المفتوحة إلى أسفل السُّلَّم.

وعندما سُئِل عمَّا إذا كان يشعُر بأي ندم، أجاب بالنفي. في عام 1946، كان بإمكان ذلِك أن يكون أمرًا مُربِكًا، ولكِننا اليوم نفهمه بسهولةٍ على أنه مُجرَّد اعتلال نفسي من الطِّراز القديم. وبعد قتل «سوزان ديجنان» وتقطيع أوصالها، ذهب «هيرينز» لتناوُل إفطارٍ شهي، ثُم عاد إلى غُرفته في السكن الجامعي ليدرس قليلًا قبل أن يذهب لحضور المُحاضرات الصباحيَّة، تمامًا مثل أي يومٍ آخر في ذلِك الفصل الدراسي.

استجوَبَت لجنة من الأطِبّاء النفسيين في مُقاطعة «كوك» «هيرينز»، وفحصوه جسديًّا. ولو أنهم وضعوا أيديهم عليه قبل ثلاثمائة عام من ذلِك الوقت، لأعلنوا أنه ساحر أو مُستذئب. لكِن، وفي عام 1946، أفاد الأطِبّاء أن «هيرينز» يُعاني من انخفاضٍ ملحوظٍ في إدراك وخْز الدبُّوس، مهما كان قويًّا، على أنه «ألم». وكان هذا في جميع أنحاء الجسد باستثناء حشفة قضيبه. وأما وخزات الدبابيس الحادَّة داخِل الأنف على الغشاء المُخاطي، وباطِن القدمَين، فقد أنكَر أنها مؤلِمة، ولم يجفل لا في ذلِك المكان، ولا في غيره. وينطَبِق هذا أيضًا

على الأغشيَة المُخاطيّة، وكيس الصفن، وجسم القضيب. وقد أمكَن غرس إبرة حادَّة لأكثر من أربعة ملليمترات تحت الأظافِر دون التسبُّب في أيِّ ألم، أو حركات انسحاب دفاعيّة. ومع استمرار الفحص الحسِّي، تعمَّق «الغطاء المُسكِّن»، وأصبح غير قادِرٍ على الشعور بوخْز الدبوس أو الدبابيس بخلاف تلك «غير الحادَّة». وانخفضَت ردود فعل القرنيَّة في البداية بشكلٍ كبير، ومع نهاية الفحص.. اختفَت، بحيث أصبَح من المُمكِن النقر على مقلتَي العينَين بدبوس أمان مُغلَق، دون أن يغمِز أو يُعطي أي إشارةٍ حركيّة للإحساس. كما انخفض الألم العميق الناتِج عن الضغط على عضلات الساق، وأوتار العرقوب، والخصيَتَين. بينما كان إدراك الاهتزاز وأشكال الإحساس الأخرى طبيعيًّا. ووُجِدَ أن المجالات البصريَّة تضيق تدريجيًّا مع استمرار الاختبار، بحيث أصبحَت في النهاية شِبه دقيقة تقريبًا. وتُعرَف هذه الظاهِرة باسم المجال البصري «اللولبي» أو «الحلزوني»، وهي مؤشِّر موضوعي إيجابي على وجود هستيريا عميقة[(LXI)].

وخلص الأطِبّاء النفسيُّون إلى أن كُل هذا كان «دليلًا واضِحًا على شخصيّة المريض الهستيريّة». لكِن اليوم.. تهبُّ رياح الطب النفسي في الاتجاه الآخر. فما وصفه الأطِبّاء النفسيُّون في عام 1946 بـ «الشخصيّة الهستيريّة» يوصَف اليوم بـ «الاعتلال النفسي».

في عام 2014، أسفَرَت دراسة أُجرِيَت في جامِعة «لافال» في «كيبيك» عن تقريرٍ بعنوان «المشاعِر لكِن دون عواطِف: التغيير التعاطُفي لدى الرِّجال النرجسيِّين ذوي السِّمات السيكوباتيّة العالِية». وقاسَت الدراسة وقارَنت كُلًّا من الاستجابات العضليّة، والموجات الدِماغيّة لمُشاهدة الآخرين يتألَّمون ويشعرون بالألم نفسه، كما قارَنت مجموعة من النرجسيين غير المسجونين «المرضى الخارجيين»، الذين شُخِّصوا بمجموعة من المعايير- أي «طبيعة» البشر. استُخدِم مسبارٌ كهربائي على الساعِد لقياس الألم البارِد/ الساخِن. بينما قاسوا الألم الناتِج عن الضغط بقوّة سحقٍ مُتدرِّجةٍ على ظفر إبهام الشخص الخاضِع للدراسة. واستُنبِط رد الفعل تِجاه ألَم الآخرين من خلال صورٍ مُسقَطة لأشخاصٍ يتألَّمون، كما قيسَ الألم بواسطة مُخطَّط كهربيّة الدِّماغ – لتسجيل نشاط الدِّماغ – ومُخطَّط كهربيَّة العضل – النشاط العضلي.

ووفقًا للتقرير، عند الشعور بألمهم، تولَّد لدى كِلتا المجموعتَين نفس الاستجابة للألم الناجِم عن الحرارة، لكِن النرجسيين السيكوباتيين سجَّلوا «بداية آلام ضغطٍ أعلى بكثير»[(LXII)].

أما بالنسبة لمُشاهدة الآخرين يتألَّمون، فقد كان عالمًا لا نهائيًّا من المُتعة بالنِسبة للسيكوباتيين: فقد تألَّقَت موجات عضلاتهم وأدمِغتهم، وخرخروا مثل القطط السعيدة.

أما السيكوباتيون، بما في ذلِك النوع القاتِل المُتسلسِل، لا يتمتَّعون فقط بمستوًى مُنخفِض من الندم والتعاطُف، بل أيضًا بالقلق، والخوف، والألم الذي يشعرون به؛ فهم يُعانون أقل لأنهم يشعرون أقل! ولهذا السبب؛ يتغذَّون باستمرارٍ على التحفيز، والإثارة، والمُخاطَرة، وخوف الآخرين، وألَمهم. كما أوضَح أحد المرضى النفسيِّين الذين شُخِّصوا:

«يعتقِد الناس أننا لا نمتلِك أي مشاعِر، وهذا غير صحيح على الإطلاق. نحن فقط نشعُر بها بدرجةٍ مُنخفِضةٍ للغاية. وإن قدَّر مُعظَم الناس مشاعِرهم بين سبعة وثمانيَة على قُرصٍ من عشرة، فأنا أشعُر بها بين

صفر واثنَين. المشاعِر السلبيّة هي مُجرَّد ضوضاء في الخلفيّة، لا يُمكِننا ضبط هذا التردُّد لأن أدمِغتنا لا تُعالِج ما يكفي من المعلومات، كي تكون عالية بما يكفي للشعور بها أو توجيه السلوك. نحن نستمتِع بالأشياء، ونتحمَّس لها، مثل الأدرينالين – وهذا أمر رائِع. كما أنني أضحَك مع الناس، وأستمتِع بالمُناقَشات الفكريَّة»[(LXIII)].

ومنذ سنِّ التاسِعة، وربما قبل ذلِك، كان «هيرينز» بمثابة عجلةٍ دوَّارة لإدمان التجاوُزات المُتصاعِد. بدأ بولعٍ جنسيٍّ ملموسٍ بالملابِس الداخليّة الأنثويّة، ثُم تطوَّر إلى الإثارة الجنسيّة الناجِمة عن سرقتها، ثُم اقتحام المنازِل، حيث مكث لساعاتٍ طويلةٍ في حالةٍ من الإثارة الجنسيّة. وربما كانَت جريمة قتله الأولى عرضيّة مثل سرقته الأولى للملابِس الداخليّة النِّسائيّة. فقد تجوَّل في أرجاء شقّة «جوزفين روس»، دون أن يُدرِك وجودها؛ وعندما استيقظَت، إما أنها قطعت عنه نشوته الجنسيّة؛ فطعنها في حالةٍ من الغضب، أو أنها باغتَتْه؛ فقتلها في حالةٍ من الذُّعر لإسكاتها. حاوَل «إصلاحها» بغسل دمائها، وتضميد جراحها بالشريط اللاصِق. وأصبَح عندها مُدمِنًا على إثارةٍ جديدة حفَّزَت حالته العاطفيّة التي خدَّرها الاعتلال النفسي. وكما حلّ فعل السطو محلَّ ولَعِه الجنسي، سيحِل القتل محل السطو. سيستمِر في السرقة، لكِن الأمر لم يعُد مُثيرًا مثل تلك اللحظة التي قتل فيها ضحيته الأولى. لقد قاوَم الإغراء لعدّة أشهُر، قبل أن يُطلِق النار على «فيرونيكا هدزينسكي»، البالِغة من العُمر تسعة عشر عامًا، من خلال نافِذةٍ من خارِج شقَّتها. لكِن الأمر لم يكُن مُرضيًا مثل القتل اليدوي.

وبعد أيام قليلة، دَخَل شقّة «إيفلين بيترسون» من خلال المنوَر، وربما فوجِئ بوجودها مُجدّدًا عندما استيقظَت. ضربها حتى فقدَت وعيَها، ثُم قيّدها، وتسلّل خارِج شقّتها، وأغلق الباب خلفه. نعلم أن «هيرينز» كان على درايةٍ كبيرةٍ بالطِب الشرعي، حيث مَسَح بصمات أصابِعه بشكلٍ منهجي. وفي دراسته لقضية «هيرينز»، تكهَّن «كولين ويلسون» أن السبب وراء عودته إلى شقّة «بيترسون» كان اضطراره إلى التحقُّق مرَّة أخرى مما إن كان قد تَرَك أي دليلٍ وراءه[(LXIV)].

وبين تطابُق المقذوفات، والمُسدَّس الذي عُثِرَ عليه في غُرفته بمسكنه، وهويات الشهود، ليس هُناك شك في أن «هيرينز» استطاع إطلاق النار على النساء، وإصابتهن، وارتكاب أعمال العُنف. ومن الواضِح اليوم أنه، إن لم يكُن قاتِلًا، فهو على الأقل مُختلٌ عقليًّا، رغم أن هذا في حدِّ ذاته لا يُبرِّئه ولا يُدينه، ولكِن في المصفوفة الظرفية الشامِلة، يميل إلى استنتاج إدانة ظرفيّة، وفهم دوافِعه المُحتملة.

وربما أدين «ويليام هيرينز» في عمليةٍ غير عادِلة من ناحيَة الإجراءات، ولكِن من المشكوك فيه أن يكون قد أُدين بالخطأ. فقد كان عِبارة عن حزمةٍ مُستعِرةٍ من الدوافِع المرضيَّة القهريَّة، واعترف بجرائِم القتل بدقَّةٍ كافيةٍ في التفاصيل، حتى تكون اعترافاته قابِلة للتصديق.

توفيَ «ويليام هيرينز»، غير نادِم على ما اقترفَت يداه، في 5 مارِس 2012، عن عُمرٍ يُناهِز ثلاثةً وثمانين عامًا، بعد أن قضى خمسةً وستِّين عامًا في السجن، وهي سابِع أطوَل عقوبة يقضيها سجين في تاريخ الولايات المُتحِدة الأمريكيّة[(LXV)].

4 باجانيني: عازِف كمان، وجيتار، ومُلحِّن إيطالي موهوب، ويُضرَب به المثل في قوّة الموهبة، والأداء المَمتِع، وساعات التدريب الطويلة، وجمال وجاذبية أعماله. [المُترجِم]

5 ليست أخطاء إملائيّة أو مطبعيّة، وإنما مقصودة. [المُترجِم]

الفصل الثالِث

الإجرام الأمريكي

صحوة الشر خلال سنوات الصدمة

في الفترة بين 1930 - 1950

«هذه هي الأشياء التي لا تحتاجون أنتم يا مَن في الوطن إلى مُحاولة فهمها»

إرني بايل، مُراسِل حربي

ما بين جريمة اختطاف «ألبِرت فيش» لـ «جريس بود»، بنيَّة التشويه والأكل في عام 1928، وجريمة قتل «إليزابيث شورت» الشهيرة بـ «الداليا السوداء» التي استعصى حلّها في عام 1947، وُلِدَ جيل من القتلة المُتسلسِلين القادِمين في «عصر البلاء»، بما في ذلِك «خوان كورونا» في عام 1934، و«أنجيلو بونو» في عام 1934، و«تشارلز مانسون[6]» في عام 1934، و«جوزيف كالِنجر» في عام 1935، و«هنري لي لوكاس» في عام 1936، و«كارول إدوارد كول» في عام 1938، و«جيري برودوس» في عام 1939، و«دين كورل» في عام 1939، و«باتريك كيرني» في عام 1939، و«روبرت هانسن» في عام 1939، و«لورانس بيتِكر» في عام 1940، و«جون واين جاسي» في عام 1942، و«رودني ألكالا» في عام 1943، و«جاري هايدنيك» في عام 1943، و«آرثر شاوكروس» في عام 1945، و«دينيس ريدر» في عام 1945، و«روبرت رودس» في عام 1945، و«كريس وايلدر» في عام 1945، و«راندي كرافت» في عام 1945، و«مانويل مور» في عام 1945، و«بول نولز» في عام 1946، و«تِد بندي» في عام 1946، و«ريتشارد كوتينجهام» في عام 1946، و«جيرالد جاليجو» في عام 1946، و«جيرارد شيفر» في عام 1946، و«ويليام بونين» في عام 1947، و«أوتيس تول» في عام 1947، و«جون إن. كولينز» في عام 1947، و«هربرت بوميستر» في عام 1947، و«هربرت مولين» في عام 1947.

وتلاهُم وِلادة «إدموند كِمبر» في عام 1948، و«دوجلاس كلارك» في عام 1948، و«جاري رِدجواي» في عام 1949، و«روبرت بيرديلا» في عام 1949، و«ريتشارد تشيس» في عام 1950، و«ويليام سوف» في عام 1950، و«راندي وودفِلد» في عام 1950، و«جوزيف فرانكلين» في عام 1950، و«جيرالد ستانو» في عام 1951، و«كينيث بيانكي» في عام 1951، و«جاري شايفر» في عام 1951، و«روبرت ياتس» في عام 1952، و«ديفيد بيركويتز» في عام 1953، و«كارل يوجين واتس» في عام 1953، و«روبن جيشت» في عام 1953، و«ديفيد جور» في عام 1953، و«بوبي جو لونج» في عام 1953، و«داني رولِنج» في عام 1954، و«كيث جيسبرسون» في عام 1955، و«ألتون كولمان» في عام 1955، و«واين ويليامز» في عام 1958،

و«جويل ريفين» في عام 1959، و«أنتوني سويل» في عام 1959، و«ريتشارد راميريز» في عام 1960، و«تشارلز نِج» في عام 1960، و«جيفري دامر» في عام 1960.

ولم يبدأ الغالبيّة العُظمى من هؤلاء الأطفال في القتل المُتسلسِل إلا في أواخِر العشرينيَّات، أو أوائِل الثلاثينيات من أعمارهم في السبعينيّات والثمانينيّات، باستثناء «إدموند كِمبر» الذي تذوَّق لذَّة القتل للمرَّة الأولى في عام 1964، و«باتريك كيرني» الذي بدأ يقتُل عام 1965، و«جون إن كولينز» في عام 1967، و«ريتشارد كوتينجهام» عام 1967، (ورُبما في وقتٍ مُبكِّر من عام 1963) و«جِيري برودوس» عام 1968.

وفي مُحاولةٍ لتفسير تصاعُد جرائِم القتل المُتسلسِل من السبعينيّات إلى التسعينيّات، غالبًا ما استحضرنا الحقبة التي حدثَت فيها جرائِم القتل المُتسلسِل[(LXVI)]. وبدءًا من الثورات الثقافيّة والجنسيّة في ستينيّات القرن «العشرين»، ومرورًا بمذهب اللذَّة الوحشيّة في السبعينيّات، ووصولًا إلى قسوة «ريجان» الاقتصاديّة الغليظة في الثمانينيّات، والجشع المُفترِس في التسعينيّات، جادلنا بأن القتل المُتسلسِل كان، بطريقةٍ ما، نتاجًا للأزمِنة العنيفة التي حدثَت فيها جرائِم القتل. ولكِن ذلك لم يكُن سوى نصف القصَّة فقط.

يتشكَّل المرض النفسي للمرَّة الأولى في الطفولة، لذا، ولِفَهم قتلة «عصر الطفرة» المُتسلسِلين في السبعينيّات والثمانينيّات، نحتاج في الواقِع للنظر إلى الوراء، قبل ذلِك بنحو عشرين أو ثلاثين عامًا، وتحديدًا إلى العصور التي تشرَّبوا فيها كُل شيء، أثناء طفولتهم في الأربعينيّات والخمسينيّات. لقد وَصَفتُ بالفعل عمليَّة «كِتابة السيناريو» الأساسيّة للخيالات المُفرِطة. لأن الاتجاه الذي تتَّخِذه هذه «السيناريوهات»، وكيفيّة اختيار الأشخاص للعب دور الضحيّة فيها يتمتَّع ببنيةٍ مُعقَّدةٍ تربطها ببعضها البعض.

شياطين الثقافة و«الموت الأقل وطأة»

في كِتاب «أبناء قابيل»، ركَّزتُ على مُصطلح «شياطين الثقافة»، في مُحاولةٍ لوصف مجموعةٍ من الظواهِر التي يُمكِن أن تؤدي إلى نشأة موجةٍ من الأطفال ليُصبِحوا قتلة مُتسلسِلين. وقد صاغ هذا المُصطلَح عالِم الأنثروبولوجيا «سيمون هاريسون»، في دراسته للجنود الذين جلبوا معهم إلى الوطن مجموعةً من الأشلاء كغنائِم حرب. وباستحضار النغمات الموسيقيَّة المُتنافِرة، الثُلاثيّة النغمات، التي حُظِرَت في العصور الوسطى، والمعروفة باسم «ديابولوس إن ميوزيكا»، والتي تعني «شياطين الموسيقى»، وكَتَب أيضًا أن هُناك نغماتٍ مُتنافِرة في الثقافة، نوع من «شياطين الثقافة»، وهي عبارة عن اقترانٍ محظورٍ بين الموضوعات الثقافيّة، يُعَد كُلٌّ منها غير استثنائي في حدِّ ذاته، لكِنها مُزعِجة للغاية عند جمعها معًا[(LXVII)]. وتُقدِّم هذه الفكرة أفضَل وصفٍ مُمكِن لكلمة «كِتابة السيناريو» في ثقافة القاتِل المُتسلسِل، أو «بيئة» القتل المُتسلسِل، كما أسمِّيها أحيانًا، عند رسم مُخطَّطات مد وجزر القتل المُتسلسِل في مراحلٍ مُختلفةٍ من التاريخ.

لا تتكوَّن هذه «النغمات المُتنافِرة» من ظواهر ثقافيّة فحسب، بل تشمل أيضًا ظواهِر تاريخيّة واجتماعيّة واقتصاديّة تتوافَق في «سلسلة لا تُحسَد عليها» من مزيجٍ يؤدي إلى ارتفاع عدد القتلة المُتسلسِلين، ويتعلَّق في

المقام الأول بتفضيل القاتِل المُتسلسِل أنواعًا مُعيَّنةً من الضحايا ومدى توفّرها. يقول عالِم الجريمة «ستيفن إيجر» في تفسيره لزيادة جرائِم القتل المُتسلسِل، إن الأمر لا يتعلَّق بزيادة عدد القتلة المُتسلسِلين؛ بل بزيادة الضحايا المُتاحين الذين قلَّل المُجتمع وحطَّ من قِيمتِهم. كما يؤكِّد «إيجر» أن المُجتمع ينظُر إلى فئاتٍ مُعيَّنة من ضحايا القتل على أن موتَهم أقل وطأةً من غيرهم؛ مثل بائِعات الهوى، وعابِري السبيل المُشرَّدين، ومُدمِني المُخدِّرات، والمرضى النفسيِّين، والشباب الهارِبين، وكِبار السِن، والأقليَّات، ونِساء السُّكَّان الأصليين، وفُقراء المدينة؛ حيث يُنظَر إلى هؤلاء الضحايا جميعًا على أن موتهم أقل وطأةً من فتاةٍ جامعيّةٍ بيضاء من ضاحيةٍ من ضواحي الطبقة الوُسطى، أو من طفلٍ بريء ذي شعر أشقر. بل وفي بعض الأحيان، لا يُبلَّغ حتى عن اختفاء هؤلاء الضحايا. ويُطلِق عليهم عُلماء الجريمة لقب «المفقودون المفقودون»، وكتب «إيجر» قائلًا:

«يُصبِح موت ضحايا القتلة المُتسلسِلين، الذين يُنظَر إليهم في حياتهم باعتبارهم طبقة وضيعة من البشر، «أقل وطأة»، «حيث إنهم بالنسبة للكثيرين عاشوا حياةً بلا قيمة قبل موتهم، والآن أصبحوا هباءً منثورًا». ويُصبِح زوالهم بمثابة إزالة القروح والشوائِب التي يُطهِّرها أولئك الذين يتجرَّءون على غسل هذه العناصِر البغيضة[(LXVIII)]».

ننظُر عادةً إلى القتلة المُتسلسِلين على أنهم منبوذون من المُجتمع، كأولئِك الذين يرفضون الأعراف المُجتمعيّة، ولكِن في كثيرٍ من الأحيان يكون الأمر على النقيض تمامًا. فبقتل بائِعات الهوى، استهدَف جاك السفَّاح، على سبيل المثال، النساء اللاتي اختارهُنّ المُجتمع الفيكتوري ليَكيل إليهنّ أشدّ أنواع الازدراء والاحتقار. قال «جاري رِدجواي»، «قاتِل النهر الأخضَر»، الذي أُدين بقتل تسعٍ وأربعين امرأة، مُعظمهنّ من بائِعات الهوى، إنه اعتقد أنه يُسدي معروفًا للشرطة، لأنهم لم يتمكَّنوا من التعامُل مع مُشكِلة الدِّعارة بأنفُسهم. وكما لاحظ «أنجوس ماكلارين» في دراسته عن القاتِل المُتسلسِل في العصر الفيكتوري، «الدكتور نيل كريم»، الذي قَتَل ما لا يقل عن خمس ضحايا، «من العاهِرات، وغير المُتزوِّجات اللاتي ذهبن إليه طلبًا للإجهاض»، فقد حدَّد المُجتمع تلك الجرائِم التي أنتجها إلى حدٍّ كبير[(LXIX)].

ووفقًا لـ «ماكلارين»، فإن القاتِل المُتسلسِل، بدلًا من أن يكون منبوذًا، من الأفضَل أن يُفهَم ليس باعتباره «خارِجًا عن القانون»، بقدْر ما هو فرد «اجتماعي للغاية»، يرى نفسه ببساطةٍ مُنفِّذًا للأحكام التي يُعاقِب عليها المُجتمع ككُل. يقترِح الناقِد الاجتماعي «مارك سيلتزر» أن القتلة المُتسلسِلين اليوم تُغذِّيهم وترعاهم «ثقافة الجرح»، و«الافتتان العام بالجُثث والأشخاص المُمزَّقين، والمفتوحِين، والتجمُّع الجماعي حول الصدمة والجراح»، والتي يستجيب لها القتلة المُتسلسِلون بمُساهمتهم في القتل في عملية يُسمِّيها «سيلتزر» «الإكراه المُحاكي»[(LXX)].

أو كما قال الراحِل «روبرت كينيدي» ذات مرَّة بشكلٍ أكثر بساطة: «يحظى كُل مُجتمع بالمُجرم الذي يستحِقّه»[(LXXI)].

بعبارةٍ أخرى، يستقي القتلة المُتسلسِلون إشاراتهم جُزئيًّا من المُجتمع، الذي يُصفّى من خلال مزيجٍ من التاريخ، والخِطاب الشعبي، ووسائِل الإعلام السائِدة، والثقافة، والثقافات الفرعيَّة.

وفي مُحاولةٍ لفهم سبب وجود هذه الزيادة في عدد القتلة المُتسلسِلين من السبعينيّات وحتى التسعينيّات، علينا أن نُلقي نظرةً على الشياطين الأمريكيين في ثقافة العشرينيّات وحتى الخمسينيّات وجيل الآباء الذين ربَّوا الأطفال الذين سيُصبِحون قتلةَ المُستقبل المُتسلسِلين في «عصر البلاء».

انهيار الحلم الأمريكي، في الفترة بين 1919 إلى 1940

قبل الحرب العالميّة الأولى 1914 – 1918، كان المُجتمَع الأمريكي مُنضبِطًا نسبيًّا ومُنظَّمًا بشكلٍ مُتماسِك بين الطبقات العُليا والوُسطى والعامِلة، وبين الريف والحضر، وبين البيض والملوَّنين. ونادِرًا ما تعرَّضَت امتيازات وأعباء وحقوق ومسئوليات كُلِّ فئةٍ من الأمريكيين، باستثناء العمالة الصِّناعيَّة، للطعن أو التشكيك أو التجاوُز قبل اندلاع الحرب العُظمى «الحرب العالميَّة الأولى». بالطريقة التي عاش بها الأوروبيون في العصور الوُسطى بتسامُحٍ مسيحيٍّ سلبيٍّ مع مكانهم في المُجتمَع منذ الولادة وحتى الموت كقدرٍ إلهي، استقرَّ الأمريكيون في مكانهم في التسلسُل الهرمي الاجتماعي على أساس وعد «هوراشيو ألجر» «من الفقر إلى الثراء»، أنه بالعمل الشاق، والصلاة، يُمكِن لأي شخصٍ أن يرتقي في التسلسُل الهرمي الطبقي الأمريكي إلى مكانٍ أفضل مما وُلِد فيه بشكلٍ مُذهِل. لكِن مُعظم الأمريكيين استقرُّوا بهدوءٍ على ما هو أفضل إلى حدٍّ ما، وقد فعلوا ذلك، وهذا ما جعل أمريكا عظيمة.

وغيَّرَت رحى الحرب العالميَّة الأولى وتداعياتها كُلَّ ذلِك. فقد تحدَّت فكرة أن الواجِب والتضحيَة سيكافئان بتغييرٍ حقيقي. فقد عاد «جيل ضائِع» من الرِّجال الأمريكيين المُصابين بخيبة الأمل والصدمة من ويلات «الحرب التي أنهَت كُل الحروب»، والتي لم تكُن اسمًا على مُسمًّى. وفي ربيع عام 1919، وبينما اجتمع الحُلفاء في «باريس»، و«فرساي» لصياغة تسوية سلميَّة لخلق عالمٍ أفضَل، غرقت الولايات المُتحِدَة بدلًا من ذلِك في موجةٍ مُتصاعِدة من الرُّعب، والقتل، والحرب العرقيَّة.

وفي أواخِر أبريل 1919، أرسَلَت مجموعة فوضويَّة غامِضة ستَّة وثلاثين قُنبِلة ديناميت بالبريد إلى سياسيين بارزين ومُعيَّنين. وقد أخطأت إحدى هذه القنابِل الرئيس المُستقبلي «فرانكلين روزفِلت»، وزوجته «إليانور»، اللذَين عاشا في المنزِل المُقابِل المُستهدَف للمُدعي العام الأمريكي «إيه. ميتشل بالمر»، وكانا قد مرَّا بها في طريقهما إلى منزِلهما قبل دقائِق فقط من التفجير[(LXXII)]. وفي «الثاني من يونيو»، انفجَرَت تسع قنابِل كبيرة في وقتٍ واحدٍ تقريبًا في ثماني مُدن: «فيلادلفيا»؛ و«كليفلاند»؛ و«بوسطن»؛ و«بيتسبرج»؛ و«نيويورك»؛ و«واشنطن العاصِمة»؛ و«باترسون» بـ «نيوجيرسي»؛ و«نيوتِن» بـ «ماساتشوستس». وقُتِل حارس ليلي في «نيويورك» في أحد الانفجارات. بينما كانَت القنابِل مصحوبة بالرسالة التالية:

«الحرب، حرب طبقيَّة، وأنتم أول من شنَّها تحت غطاء المؤسَّسات القويَّة التي تُسمُّونها نظامًا، في ظلام قوانينكم. لا بُد من إراقة الدِّماء؛ لن نتهرَّب. لا بُد من القتل؛ وسنقتُل لأن القتل ضروري. ولا بُد من

التدمير؛ وسنُدمِّر لتخليص العالَم من مؤسَّساتكم الاستبداديَّة[LXXIII]».

وبلغَت التفجيرات ذروتها بتفجير «وول ستريت» في 16 سبتمبر 1920، والذي أسفَر عن مقتَل 38 شخصًا، وإصابة 143 آخرين بجروح خطيرة. وقد وُضِعَت القُنبلة الموقوتة لتنفجِر ظُهرًا في عربةٍ تجُرَّها الخيول بالقُرب من بورصة «نيويورك» للأوراق الماليَّة، وقد وُصِفَت بأنها «أول سيَّارة مُفخَّخة في التاريخ»[LXXIV]. لم تُحدَّد هويَّة الجُناة بشكلٍ قاطع، ولكِن يُعتَقَد أنهم فوضويون أمريكيون إيطاليون. وأغلقَت الولايات المُتحِدة الأمريكيَّة أبوابها أمام المُهاجرين من أي مكانٍ باستثناء المملكة المُتحِدة، ودول الشمال الأوروبي، بسبب إلقاء اللوم في التفجيرات على المُهاجرين الإيطاليين، والأوروبيين الشرقيين، واليهود. وتقلَّصَت الهِجرة إلى الولايات المُتحِدة بالنِسبة لجميع الدول الأخرى إلى حدٍّ كبيرٍ إلى ما بعد الحرب العالميَّة الثانية.

وفي الوقت نفسه، عاد الـ 350 ألف أمريكي من أصل أفريقي الذين خَدَموا في الحرب «دفاعًا عن الديمقراطيَّة» إلى أمريكا المعزولة ليُطلَب منهم، حتى أثناء ارتدائهم للزي العسكري، أن يتركوا مقاعِدهم للبيض في عربات التِّرام، وحيث يُمكِنهم السير، أو الجلوس، أو تناوُل الطعام، أو النوم، أو مَن قد يُواعِدون، أو يتزوَّجون. وكَتَب «دبليو. إي. بي. دو بوا»، رئيس تحرير المجلَّة الشهريَّة التابِعة للجمعيَّة الوطنيَّة للنهوض للملوَّنين:

«لقد عُدنا..

عدنا من القِتال..

لنستكمِل القتال»[LXXV].

ففي عام 1917، عندما ذَهَبت كتيبة «جنود الجاموس» المُكوَّنة من جنود المُشاة السود «انحدرَت أصول كثيرين منهم إلى الشَّمال، حيث لم يكُن الفصل العُنصري مفروضًا بموجَب القانون» والمُتمركِزَة في «هيوستِن» لخوض غِمار حربٍ مع رِجال الشُّرطة بسبب قضية الفصل العُنصري والمُضايقات التي سادَت أرجاء المدينة. قُتِل في تلك المعركة «أحد عشر» مدنيًّا، و«خمسة» من رِجال الشُّرطة على يد الجنود المُتمرِّدين. وبعد مُحاكمة سريعة على رءوس الأشهاد، أُعدِم ثلاثة عشر جُنديًّا أسود شنقًا دون استئناف، في وقتٍ واحد، وعلى ثلاث عشرة مشنقة، في أكبر عمليَّة إعدامٍ جماعي في التاريخ الأمريكي، بتاريخ 11 ديسمبر 1917. وإجمالًا، أُعدِم تسعة عشر جُنديًّا في نِهاية المطاف.

شهد «الصيف الأحمر» في عام 1919 شنق أكثر من ألف أمريكي من أصل أفريقي، ورُجِمُوا بالحِجارة، وأُطلِقت النار عليهم، وحُرِقوا، وضُرِبوا حتى الموت في أعمال شغب عرقيَّة في جميع أنحاء البِلاد. وشهدَت حوالي «ستون» مدينة في ذلِك العام، من الشَّمال إلى الجنوب، أعمال شغبٍ عِرقيَّة عنيفة. وعلى مدى يومَين، في ريف «إيلين» بولاية «أركنساس»، قتلت عِصابات من البيض المُتجوِّلين عشوائيًّا ما يُقدَّر بنحو من 100 إلى 237 أمريكيًّا من أصل أفريقي، وكان العديد منهُم من المُزارعين المُهاجرين[LXXVI].

ثُم في 17 يناير 1920، عندما دخل قانون الحظر الوطني «قانون فولستيد» حيِّز التنفيذ، تحوَّل الملايين من الأمريكيين المُلتزمين بالقانون إلى خارِجين عن القانون بين عشيَّة وضُحاها بسبب قيامهم بشيءٍ اعتادوا فعله منذ زمنٍ طويل: شُرب الكحول. وربما كان ذلِك أعمَق قطيعةٍ حدثَت بين الأمريكيين وحكومتهم منذ الحرب الأهليَّة. وعندما بدأ رِجال عِصابات القتل المُتسلسِل الذين يحمِلون الأسلِحة الناريَّة في السيطرة على تِجارة الكحول غير المشروعة المُربِحة، ارتفعَت مُعدَّلات جرائِم القتل إلى عنان السَّماء[LXXVII]. وفي ظلِّ تنامي الثراء والملل في «العشرينيّات الصاخِبة»، حقَّق أي شخص يستطيع كسب المال الثراء. وقد أفرَزَت الثروة والوقت والرفاهيَّة بداية «ثقافة الشباب»، والحانات «النرجسيَّة» بلا قيود أو حدود. وفي أكتوبر 1929، انهار كُل شيءٍ في «وول ستريت»، مما محا ثروات تُقدَّر بمليارات الدولارات، فيما عرَف باسم «الكساد الكبير». وبحلول عام 1933، بَلَغ مُعدَّل البطالة في الولايات المُتحِدة نسبةً مُذهِلة وصلَت إلى 25٪»[LXXVIII]. وما زاد الطين بلَّة في الغرب الأوسَط هو الكارِثة البيئيَّة التي تمثَّلَت في «قصعة الغُبار» التي اقتلعَت جذور ملايين العائِلات من منازِلها ومزارِعها. كُل هذا دون وجود «شبكة أمان اجتماعي» من الرعاية الاجتماعيَّة، أو كوبونات الغِذاء، أو الإسكان الاجتماعي. ووَجَد الرِّجال الذين تربَّوا ونشئوا اجتماعيًّا على مدى أجيال للعب دور أرباب الأُسر ومُعيليها أنفُسَهم فجأة عاجزين ومكسورين، يرتجِفون في طابور مطعم الحساء فقط لتناوُل بعض الطعام.

تفكَّكَت العائِلات تحت وطأة هذه الضغوط، مثل عائِلة «جوزيف لي برينر الثالِث»، المولود في «فيلادلفيا» عام 1935. وبحلول عام 1937، تخلَّى والِده عن الأسرة، ولم تستطِع والِدته المضيَّ قدمًا بدونه. وهكذا وُضِع «جوزيف» الصغير في دار للرعاية، قبل أن يتبنَّاه زوجان مُتديِّنان ساديَّان، «ستيفن وآنا كالنجر»، اللذان أخضعاه لشتَّى أنواع التعذيب النفسي والجسدي. وعندما كَبِرَ «جوزيف»، أنجَب ستَّة أطفال، أساء إليهم وعذَّبهم بنفس الطريقة التي عاشها في طفولته. وبحلول عام 1974، أصبَح طفل الكساد قاتِلًا مُتسلسِلًا، حيث شارَك ابنه البالِغ من العُمر «ثلاثة عشر» عامًا في سلسلةٍ من جرائِم الاغتصاب والقتل في «بنسلفانيا»، و«ماريلاند»، و«نيوجيرسي». وفي حين نَجَت بعض العائِلات، مثل عائِلة «ويليام هيرينز»، في حالةٍ عصبيَّةٍ من التوتُّر والقلق، تفكَّكَت عائِلات أخرى، لكِنها جميعًا تركَت جيلًا من الأطفال والمُراهقين القُساة المُصابين بصدمةٍ نفسيّة، سيكون بعضهم كبيرًا بما فيه الكفاية ليُلقي بهم في الشيء الرهيب التالي الذي سيأتي ليُدمِّرهم بشكلٍ أكبر: الحرب العالميَّة الثانيَة.

آخر الحروب الجيِّدة، والجيل الأعظَم في الفترة بين 1941 إلى 1945

أُرسِل هذا الجيل المُنهَك من الشباب الذين نَضَجوا خلال ثلاثينيَّات القرن «العشرين» إلى ما سيكون الحرب الأشدّ فتكًا ووحشيَّةً في التاريخ، والتي يُشار إليها أحيانًا باسم «آخر الحروب الجيِّدة» بسبب الشر الواضِح للعدو الذي قاتلناه.

في ديسمبر 1941، قصفَت اليابان «بيرل هاربُر»، وأعلَنَت ألمانيا النازيَّة الحرب على الولايات المُتحِدة، مما أدَّى إلى جرِّها إلى الحرب العالميَّة الثانيَة. وجُنِّدَ حوالي 16.5 مليون رجُل «بنسبة 61٪ من الذكور الأمريكيين الذين تتراوَح أعمارهُم بين ثمانيَة عشر وستّة وثلاثين عامًا» في الجيش، ونُشِروا في أرجاء أوروبا، والمُحيط الهادئ، أو في الخدمة العسكريَة في الوطن. بمتوسِّط أعمار بلغ «ستة وعشرين» عامًا.

وقد شارَك حوالي 990 ألفًا منهم في القِتال، وقُتِل منهم 405 آلاف. لأنهم لم يمتلِكوا من الخبرة في الوطن ما يُؤهِّلهم لما كانوا سيخوضونه في هذه الحرب، حرب بدائيَّة من الإبادة الكامِلة، التي لا تنطوي سوى على خيارين.. أن تَقتُل أو تُقتَل، والتي بلغَت ذروتها بتفجيرَين نوويَّين حراريَّين أدَّيا في ظرف عدّة ثوانٍ إلى إحراق 120 ألف رجُل وامرأة وطفل. وقد كان «وينستون تشرشِل» هو أفضل من وصفها بالكلِمات، عندما قال: «إن أحدث التحسينات العلميّة مُرتبِطة بوحشيَّة العصر الحجري»[(LXXIX)].

أشياء لطالما فعلها المُحارِبون

في كتابي «أبناء قابيل»، لم أتناوَل بالتفصيل ما عاناه الجنود الأمريكيون في ساحات القِتال في أوروبا والمُحيط الهادئ فحسب، بل ما ارتكبه بعضهم أيضًا. لقد فعلوا الأشياء التي لطالما فعلها المُحارِبون. على سبيل المثال؛ ذَكَر عالِم الاجتماع الجِنائي في جامِعة «كنتاكي الشماليَّة» «جي روبِرت ليلي» أن الجنود «المُحرِّرين» الأمريكيين قد اغتصبوا ما بين «أربعة عشر ألفًا» إلى «سبعة عشر ألف» امرأة بين عامي 1942 و1945 في «بريطانيا»، و«فرنسا»، و«ألمانيا»، في حين تقول المؤرِّخة الألمانيَّة «ميريام جيبهارت» إن الجنود الأمريكيين قد اغتصبوا 190 ألف امرأة في ألمانيا وحدَها[(LXXX)].

ولم يكُن الجنود الأمريكيون مُحصَّنين ضد الحالة البدائيّة التي ينزلِق إليها جميع المُحاربين للقيام بما يتوجَّب عليهم القيام به، خاصَّة في حرب الإبادة التي عرَفت باسم الحرب العالميّة الثانية. كما كَتَب المُقدِّم «ديف جروسمان» في كِتابه «عن القتل: التكلِفة النفسيَّة لتعلُّم القتل في الحرب والمُجتمَع»:

«يُصبِح الارتباط بين الجنس والقتل واضحًا بشكلٍ مُزعِج عندما ندخُل عالَم الحرب. لقد أدرَكَتِ العديد من المُجتمعات منذ فترةٍ طويلة وجود هذه المنطِقة المشوَّهة التي تُعتبَر فيها المعركة، مثل الجنس، علامة فارِقة في ذكورة المُراهقين. ومع ذلِك، تستمِر الجوانِب الجنسيَّة للقتل إلى ما وراء المنطِقة التي يُعتقَد فيها أن كليهما من شعائِر الرجولة إلى المنطِقة التي يُصبِح فيها القتل مثل الجنس، والجنس مثل القتل»[(LXXXI)].

وكان جيل طفرة المواليد من القتلة المُتسلسِلين المُستقبليين على وشْك أن يتربى على يد جيل من الآباء الذين بدءوا في تلك «المنطِقة المشوَّهة» من الجنس والقِتال بطُرقٍ مُختلِفة، بل وما هو أكثر من ذلِك.

وفي المُحيط الهادئ، انخرط العديد من الجنود الأمريكيين في أعمالٍ وحشيّةٍ تتمثَّل في أخذ الغنائِم، وجمع الأسنان، والأعضاء البشريَّة، وغَلْي ومُعالجة جماجِم الرءوس اليابانيَّة المقطوعة، حتى إن السُّلطات نبَّهَت مُفتَّشي الجمارِك الأمريكيّة لتفتيش حقائِب الجنود العائِدين إلى الوطن، ومُصادرة جميع الغنائِم التي تحتوي على أي أجزاءٍ من أجساد البشر[(LXXXII)].

نعم.. لقد فعل النازيُّون وقوَّات الإمبراطوريَّة اليابانيَّة نفس الأشياء، وبصورةٍ أكثر وحشيَّة، وتكرارًا، وانحرافًا مما فعلناه نحن. لكِننا حظِينا بنصيبنا من البشاعة.

ولكي أكون واضحًا، لم يرتكِب غالبيَّة الجنود الأمريكيين أيًّا من هذه الأفعال، ولكِن مُعظمهم شهدوا آخرين من «إخوانهم» يرتكِبونها. فالحرب رُعب، والمُحاربون مدعوون لارتكاب أشياء مروّعة، بغضِّ النظر عن نُبل القضية التي يَقتُلون ويُقتَلون من أجلها. وعندما وضعَت الحرب أوزارها، لم يجِد البعض طريق العودة.

جنون القتل

لم يظهَر المُصطلح المألوف «اضطراب ما بعد الصدمة» إلا في الثمانينيَّات، في أعقاب حرب «فيتنام»، ولكِن خلال الحرب العالميَّة الثانيَة دُمِجَت مُصطلحات «رد فعل الإجهاد القِتالي»، أو «إجهاد المعركة»، أو «إرهاق المعركة» في مُصطلحٍ إحصائيٍّ عام يُدعى بـ «الإصابة العصبيَّة والنفسيَّة». ومن بين القوَّات الأمريكيّة المُقاتِلة البريَّة التي نُشِرَت في الحرب العالميّة الثانية، سُرِّحَت نسبة مُذهِلة بلغت 37٪، وأعيدَت إلى الوطن كمُصابين بأمراضٍ عصبيّة ونفسيّة[(LXXXIII)]. ولم يُبلَّغ عن ذلِك أو حتى يُناقش في كثيرٍ من الأحيان. فقد فضَّل الأمريكيون رؤية أبنائهم عائدين إلى الوطن مبتوري الساق أو الذراع، بدلًا من «مجانين». ونشرَت الصُّحف المحليَّة تقارير مُلطِّفة عن أعداد «الجرحى» أو «المُصابين» العائِدين دون تحديد طبيعة «الجرح» أو «الإصابة».

أفادَت دراسة أجرتْها مؤسَّسة «راند» عام 2013 عن المُصابين في الحرب العالميَّة الثانيَة أنه بعد الحرب:

«بلغت نسبة المُصابين باضطراباتٍ عصبيَّةٍ ونفسيَّة 454699 من المُحاربين القدامى بنسبة 30٪» من جميع حالات العجز النَّشِط المُرتبِطة بالخدمة في عام 1946. ومن بين هذه المجموعة.. شملت الفئة الأكبر، بنسبة حوالي 66٪ من الحالات، أولئِك الذين شُخِّصوا بـ «اضطرابٍ عصبي وظيفي» أو «عصاب نفسي»، وهي فئة تشمَل ما يُسمى اليوم بـ «اضطراب ما بعد الصدمة»[(LXXXIV)].

كان العُصاب النفسي القِتالي شيئًا جديدًا يختلِف كثيرًا عن «صدمة القصف» التي تسبَّبَت في إعاقاتٍ جسديّة لجنود الحرب العالميَّة الأولى. وقد استمع الاجتماع السنوي للجمعيَّة الأمريكيَّة للطِّب النفسي في عام 1943 إلى طبيب البحرية «إدوين سميث» حول اضطرابٍ جديد أطلَق عليه في ذلِك الوقت اسم «عُصاب جوادالكنال». وفقًا لمقالٍ نشرته مجلَّة «تايم» بتاريخ 24 مايو 1943، ووَصَف «سميث» العُصاب الجماعي الذي لم يسبِق له مثيل، وقد لا يُرى مرَّةً أخرى أبدًا، والذي حدث بعد حربٍ طويلة في «جوادالكنال». وكان قد عالَج أكثر من خمسمائة جُندي من مُشاة البحرية من تلك الجزيرة القاتِلة، ووَصَف إجهادهم البدني والعقلي بأنه يجمع بين «أفضَل إبداعات «إدجار آلان بو»، و«باك روجرز».. فقد ساهَم المطر، والحرارة، والحشرات، والزُّحار، والملاريا في ذلِك – ولكِن النتيجة النهائيّة لم تكُن مُجرَّد عدوى في مجرى الدم، أو مرضًا معويًّا، بل اضطرابًا في الجسد بأكمله، واضطرابًا في التفكير والعيش، بل واضطرابًا في الرغبة في الحياة». وكانَت الأعراض التي ظهرَت على هؤلاء المارينز الذين عانوا من أعراضٍ شديدةٍ هي «الصُّداع، والحساسية

للأصوات الحادَّة، وفترات من فُقدان الذاكِرة، والهلع الشديد، وتوتُّر العضلات، والرعشة، وارتعاش اليدَين كُلما حاولوا القيام بشيء. واقتربوا في كثيرٍ من الأحيان من البُكاء أو الغضب الشديد». وشَعَر «سميث» أنه من المشكوك فيه أن يتمكَّن هؤلاء الرِّجال من العودة إلى نوع القِتال الذي تعرَّضوا له «جوادالكنال»[(LXXXV)].

لم يحظَ المُحاربون القدامى العائِدون من الحرب العالميّة الثانية بالتشخيص الحالي لاضطراب ما بعد الصدمة ليشعروا بالارتياح إزاء ما يمرُّون به. فقد بدا مُصطلح «العُصاب النفسي القِتالي» مُخجِلًا بشكلٍ مُخزٍ، وأراد مُعظمهم العودة إلى الوطن، ونسيان كُل ما رأوه وتحمَّلوه. وبالفعل رُبِّتَ على ظهور جنودنا العائِدين، وقيل لهم إنهم أدوا واجبهم في قضيّةٍ عادِلة، ومُنِحوا الأوسِمة والاستعراضات العسكريّة، وبرنامج دعم المُحاربين القدامى من وزارة الدِّفاع، قبل أن يُرسَلوا إلى ديارهم ليتغلَّبوا بمُفردهم على صدماتهم في صمتٍ مُتجهِّم. لم يتمكَّنوا حتى من التحدُّث إلى عائِلاتهم عن ذلِك. ولم يرغَب أحد في سماع ذلِك.. على الأقل ليس الحقيقة. وحُبِسَ آباؤنا وأجدادنا المُصابون بصدماتٍ نفسيَّةٍ إلى الأبد في صمت، مثل حياةٍ من عصر ما قبل التاريخ محفوظة في كهرمانٍ شفَّاف، باعتبارهم «أعظم جيل أنتجه أي مُجتمع على الإطلاق»، وهو مُصطلح صاغه الصحفي «توم بروكاو» في كِتابه «الجيل الأعظم»، الذي صدر عام 1998[(LXXXVI)].

وعندما بدأ السياسيُّون والمدنِيُّون الذي لم يخوضوا رحى تلك الحرب يتحدَّثون عن «الحرب القادِمة»، كَتَب أحد المُحاربين القدامى بمرارةٍ في مجلَّة «أتلانتيك الشهريَّة»:

«رُبما سأوصَم بأنني مُحارِب قديم مُضطرِب نفسيًّا من كثرة سفك الدِّماء عندما أقول إنني أُصاب بالجنون القِتالي والغثيان الداخلي كُلما سَمِعتُ الناس يتحدَّثون عن الحرب القادِمة.. أي نوع من الحروب يفترِض المدنيُّون أننا خُضناها على أي حال؟ لقد أطلقنا النار على الأسرى بدمٍ بارِد، ودمَّرنا المُستشفيات، وقصفنا قوارِب النجاة، وقتلنا أو أسأنا مُعاملة المدنيين الأعداء، وقضينا على جرحى العدو، وألقينا بالمُحتضرين في القبور مع الموتى، وفي المُحيط الهادئ.. غلينا جماجِم الأعداء حتى تساقط لحمُها لنصنَع منها زينة المائِدة لحبيباتنا، أو نحَتْنا عظامهم بفتَّاحات الرسائِل. وتوَّجنا قصفنا وحرقنا مدنيي العدو بالقنابِل الذريَّة على مدينتَين شبه خاليتَين من السلاح، مُحقِّقين بذلِك رقمًا قياسيًّا في المذابِح الجماعيَّة الفوريَّة»[(LXXXVII)].

ومع ذلِك، ظلَّت وسائِل الإعلام الشعبيّة تصُب جام تركيزها في الغالِب على الفظائِع وجرائِم الحرب التي ارتكبها العدو.

وعندما قُتِل المُراسِل الحربي الأمريكي «إرني بايل» على جزيرةٍ صغيرةٍ قبالة ساحِل «أوكيناوا» في أبريل 1945، كان يكتُب مقالًا جاء في جُزءٍ منه:

«يرتبِط الموت والبؤس في زواجٍ بلا طلاق. وتُصبِح مثل هذه الرفقة في النهاية جُزءًا لا يتجزَّأ من روح المرء، ولا يُمكِن طمسُها. هُناك الكثير من الأحياء الذين انطبعَت في أدمِغتهم إلى الأبد المناظِر المروّعة لرجالٍ موتى باردين مُتناثرين فوق سفوح التِّلال وفي الخنادِق على طول صفوف السياج العالية في جميع أنحاء العالَم.

رجال موتى بشكلٍ جماعي – في بلدٍ تلوَ الآخر – شهرًا بعد شهر، وعامًا بعد عام.
رجال موتى في الشِّتاء، وآخرون موتى في الصيف.
رجال موتى في مثل هذا الاختلاط المألوف الذي أصبَح رتيبًا.
رجال موتى في مثل هذه اللانهاية الوحشيَّة حتى إنك تكاد تكرههم.
هذه هي الأشياء التي لا تحتاج حتى إلى مُحاولة فهمها في الوطن.
من ذا الذي سيعود على طبيعته بعد خوض ويلات ذلِك؟ لا بُد لك أن تكون مجنونًا كيلا تُصاب بالجنون»[(LXXXVIII)].

النساء في الفترة بين 1930 إلى 1945

لم يكُن الرِّجال والأطفال وحدَهم من عانوا من ويلات الكساد الكبير والحرب العالميَّة الثانية. فقد توجَّب على النساء أن يتحمَّلن الأمر بصعوبةٍ مُضاعفة: مرَّة لأنفُسهن، وأخرى لأطفالهن. وكان من الأسهل على الرِّجال أن يتركوا عائِلاتهم، ويُواصِلوا حياتهم بمُفردهم. وخلال فترة الكساد، استسلَم بعض الرِّجال، وابتعدوا عن عائِلاتهم وتخلَّوا عنها، لكِن مُعظم النساء صمدنَ في أماكِنهنّ، ووجدنَ عملًا، أو طريقةً ما لكسب الرزق وتربية أطفالهن. في أربعينيّات القرن «العشرين»، عندما ذهب الرِّجال إلى الحرب، دُفِعَت النساء إلى مصانِع الذخيرة، وغيرها من المجالات التي شغلها الرجال في العادة.

ووجدَت الملايين من النساء فُرصهنّ في صِناعة الحرب المُزدهِرة في الوطن، بينما ذهب الرجال لتأدية الخدمة العسكريَّة. وعندما وضعَت الحرب أوزارها، كان من المتوقّع أن تتخلى النساء عن وظائفهنّ المُنقِذة للحياة، وأن تتنحَّى جانبًا من أجل الرِّجال العائِدين. بعد أن أصبَح الكساد الكبير ذكرى بعيدة، وبعد أن ضمنت الحرب النصر، كان من المُفترض أن تكون سنواتُ ما بعد الحرب بمثابة ميلاد جديد لكُل ما اعتقدَت أمريكا أنها كانَت عليه قبل أن تقتلها الثلاثينيّات القذِرة؛ كما وصفها «دبليو. إتش. أودِن» في قصيدته 1 سبتمبر 1939: «كما انقضَت الآمال الذكيَّة في عقدٍ وضيعٍ غير نزيه».

كلارنيل عروس الحرب

ستكون «كلارنيل ستيج» من «جريت فولز» بـ «مونتانا» موضوعًا لحوالي سبعين مقالًا على صفحات صُحف المُجتمع قبل وفاتها في «سانتا كروز» بـ «كاليفورنيا» عن عُمرٍ يُناهِز «الثانية والخمسين» عام 1973. لكِنها لم تكُن مُرشَّحة واضِحة. فقد كان والِدها يعمَل في تركيب الأنابيب، لكِن والِدتها «نيلي» طمحَت للارتقاء إلى طبقةٍ «أفضل». وبدأت مقالات صُحف المُجتمع في عام 1931، أي في عيد ميلادها العاشِر، عندما كتبَت صحيفة «جريت فولز تريبيون» عن الحفل الباهِظ الذي أقامته لها والِدتها. وعلى مدى السنوات العشر التالية، نشرَت الصحيفة تقارير عن تقدُّم «كلارنيل» في فتيات الكشَّافة، وظهورها في المُناسبات الاجتماعيَّة، والحفلات، والمُناسبات التي نظَّمتها، والنوادي التي ترأستها. وقد ترأسَت نادي «جريت فولز»

للسيِّدات الصغيرات في جمعيَّة الشَّبَّان المسيحيين، ونظّمَت فعاليات خيريَّة للأطفال المحرومين في أعياد الميلاد.

وعندما تخرَّجَت في المدرسة الثانويَّة، نشرَت الصحيفة صورةً في رُبع صفحة لفتاةٍ ذات أسنان حادَّة ووجه صارِم تعتلي قسماته نظرة حازِمة وآمرة. وقد أشاد التعقيب بعضويتها في مُجتمع «كويل وسكرول»، ونادي المؤلِّفين الشباب، وأوركسترا المدرسة، وفرقة السيمفونيَّة الصغيرة، ومُنظَّمة فتيات قوس قزح. لم تكُن «كلارنيل» ذكيَّة وطموحة فحسب، بل بلغ طولها ستّة أقدام، لتفوق طول مُعظَم الفتيان والرِّجال في «جريت فولز». ومن المؤكَّد أن طول قامتها، وملامحها الحازِمة، وتألُّقها، وسماتها القياديَّة شكَّلوا تذكرة ذهابها إلى حياةٍ اجتماعيَّةٍ مُزدهِمةٍ خالية من الحياة الرومانسيَّة، والشخصيَّة، والخاصَّة.

وبعد تخرُّجها، ذهبَت «كلارنيل» للعمل كمُحصِّلة في دائِرة الإيرادات الداخليَّة في «هيلينا» بـ «مونتانا»، حيث لاحقت المدينين بالضرائِب بلا رحمةٍ أو هوادة. وسُرعان ما ترقَّت «كلارنيل» القويَّة الكفؤة إلى رُتبة نائِب مُحصِّل، وانتُخِبَت رئيسةً للفرع المحلي للاتحاد الوطني للموظَّفين الفيدراليين. وحكمَت بيدٍ صارمةٍ كُلًّا من الأعضاء، وغير الأعضاء من الموظَّفين الفيدراليين في «هيلينا»، ونبَّهَت غير الأعضاء إلى ضرورة الالتزام بمسار الاتحاد[(LXXXIX)]. ومع بدء الحرب، ورحيل الرِّجال، ازدادَت قوّتها وطموحها. وفي عام 1942، التقَت «كلارنيل» البالِغة من العُمر «واحدًا وعشرين» عامًا بفارس أحلامها؛ الرقيب أول بالجيش الأمريكي «إدموند إميل كِمبر جونيور»، البالِغ من العُمر «ثلاثةً وعشرين» عامًا من «شمال هوليوود» بـ «كاليفورنيا»، والمُتمركِز في «فورت هاريسون» بالقُرب من «هيلينا». وبطول 6.8 قدم، وجدَت رجُلًا يفوقها طولًا للمرَّة الأولى، لكِنه لم يكُن أي رجُل، بل كان وسيمًا وجريئًا من القوّات الخاصَّة، ذو شارِبٍ أرستقراطي رفيع، ويحمِل وسام الأجنِحة المظليَّة اللامِعة على الناحية اليُسرى من صدر زيّه الرسمي الأنيق. كما لم يكُن «إدموند» مُجرَّد رقيبٍ أول مفتول العضلات، بل كان مشروع ضابطٍ تنفيذي مُستقبلي في رأيها، وتمتَّع بالذكاء والطموح مثلها تمامًا. ورأت على الفور أنهما ثُنائي قوي. ومثلها تمامًا.. انحدر حبيبها من عائِلةٍ من الطبقة الكادِحة تطمَح إلى ما هو أفضَل. وعمل «إدموند إميل كِمبر» الأب كميكانيكيًّا في إدارة الطُّرق السريعة في «كاليفورنيا»، بينما كانَت والِدته «مود هيجي كِمبر» رسَّامة طموحة، ومؤلِّفة لقصص مُغامرات الأطفال، نُشِرَت على صفحات المُجتمع في صُحف «لوس أنجلوس». أسَّسَت «مود» ناديًا للكِتاب في «شمال هوليوود» وترأسته، وعملت كمُنظِّمةٍ للحزب الديمقراطي هُناك[(XC)]. وتمكَّنت «كلارنيل» من أن ترى شخصًا بهذه الصِّفات كحماةٍ مُستقبليَّةٍ بوضوحٍ كما رأت أشجار النخيل وجوز الهند في «كاليفورنيا» المُشمِسة بينما ترتجِف في برد غابات «مونتانا» النائيَة.

وبعد إكمال دراسته الثانوية، التحق «إدموند» بكتيبةٍ هندسيّة تابِعة للجيش في عام 1939. وعندما خاضَت الولايات المُتحِدة الحرب في عام 1941، جُنِّدَ في وحدة كوماندوز النُّخبة المحمولة جوًّا التي شُكِّلَت حديثًا، والتي ضمَّت 1400 رجلٍ بين صفوفها، وهي قوَّة الخدمة الخاصَّة الأولى الأسطوريَّة – والتي عرَفت باسم «لواء الشيطان». وكان معيار اختيار المُجنَّدين من بين الجنود ذوي الخبرة في الجيشين

الأمريكي والكندي الذين يتمتَّعون بخلفيَّاتٍ مثل الحُرَّاس، والخشَّابين، وحطّابي الشمال، والصيَّادين، والمُستكشفين، والمُنقِّبين، وحُرَّاس الصيد. ولا بُد أن «إدموند» تمتَّع بشيءٍ مُميَّزٍ، لأنه سُرعان ما ترقّى إلى رُتبة رقيب أول. أُرسِلَت قوَّات الخدمة الخاصَّة الأولى الأسطوريَّة إلى «فورت هاريسون» بـ «مونتانا» للتدريب على العمليات الخاصَّة المُستقبليَّة في الغابات والجِبال في أوروبا.

تزوَّج «كلارنيل» و«إدموند» في حفلٍ تقليديٍّ نظامي في منزِل والِديها في «جريت فولز» في يوم عيد الشُّكر الموافِق 26 نوفمبر 1942. وفي 15 أبريل 1943، غادَر «إدموند» برفقة قوَّات الخدمة الخاصَّة الأولى الأسطوريَّة «مونتانا»، وبدءوا سلسلةً من عمليات الانتشار: إلى الساحِل الشرقي للولايات المُتحِدة، وإلى جُزر «ألوشيان» في «ألاسكا»، وإلى «المغرِب»، لينطلِقوا من هُناك إلى «إيطاليا».

وفي الوطن، في 8 نوفمبر 1943، وُلِدَت «سوزان هيجي» أول أطفالهما الثلاثة.

وبحلول ذلِك الوقت، انتشر «إدموند» في إيطاليا مع الفوج الثاني من الكتيبة الثانية التابِعة لقوَّات الخدمة الخاصَّة الأولى الأسطوريَّة. وفي ليلة «الأول من ديسمبر»، صدرَت الأوامِر لفوج «إدموند» المكوَّن من 418 من قوَّات الكوماندوز بتسلُّق جرفٍ يبلغ ارتفاعه «ألف قدم» إلى قمَّة «مونتي لا ديفينسا» في «كامبانيا»، بين «روما» و«نابولي». حيث اقتضَت مُهِمَّتهم – الانتحاريَّة بكُل المقاييس – القضاء على جنود المُدرَّعات الألمان التابِعين لفرقة النُّخبة «هيرمان جورينج» المُتحصِّنة على سلسلةٍ من قِمم الجِبال.

وفي الفترة من 2 ديسمبر إلى 8 يناير 1944، في قِتالٍ جبلي شرس، تكبَّدَت القوَّات الخاصَّة خسائِر في الأرواح بنسبة 77٪، بمُعدَّل 91 قتيلًا، و313 جريحًا، و116 مُصابًا باضطراباتٍ عصبيَّة ونفسيَّة[(XCI)].

كان «إدموند» واحدًا من بين 23٪ من الناجين. وبعد إعادة تجميع صفوفها لمُدَّة ثلاثة أسابيع فقط، عاد «لِواء الشيطان» إلى القِتال، في 1 فبراير 1944، في معركة «أنزيو» بـ «جنوب روما».

عملت قوَّات الدعم السريع سرًّا خلف الخطوط الألمانيَّة، حيث أرهبَت النازيين بقتل الحُرَّاس في صمتٍ أو قطع رِقاب الجنود النائِمين في الخنادِق، وترك أحدِهم على قيد الحياة ليضمنوا نشر الأخبار عندما يستيقِظ. أطلق الألمان عليهم لقب «الشياطين السود» بسبب تمويههم الليلي، ناهيك عن تركهم لبطاقاتٍ على جُثث القتلى الألمان الذين نصبوا لهم كمينًا في الليل. وأظهَرَت البطاقات شارة الوِحدة، وهي عبارة عن رأس سهمٍ من حجر صوَّان أحمر دموي، مع نص باللُّغة الألمانيَّة يقول: «داس ديك إندي كومِت نوش». والتي تعني تقريبًا: «الأسوأ لم يأتِ بعد».

وستشهَد قوَّات الخدمة الخاصَّة «تسعة وتسعين» يومًا متواصِلةً من القِتال، قبل أن تُسرَّح في أوائِل مايو عام 1944. وبحلول شهر «أغسطس»، عادوا للقِتال مرَّة أخرى، ولكِن هذه المرَّة في جنوب فرنسا، في عملية «دراجون»، لمُهاجمة تحصينات الجُزر الألمانيَّة. وبحلول نهاية الحرب، قتل «لواء الشيطان» أو جرح حوالي 12 ألف ألماني، وأسر 7 آلاف أسير، وتكبَّد في المُقابِل مُعدَّل إصاباتٍ نهائيًّا يزيد عن 600٪.

سيقول المُخرِج السينمائي «كوينتِن تارانتينو» فيما بعد أنه استوحى فكرة الكوماندوز في فيلمه «إنجلوريوس باستردز» الذي أخرجه عام 2009 من «لواء الشيطان»[(XCII)].

عاد «إدموند» أخيرًا من الجيش في عام 1946، واصطحب «كلارنيل» و«سوزان» معه إلى «كاليفورنيا» المُشمِسة؛ ليعيشا حلم ما بعد الحرب.

وبعد الحرب، ذكرَت صحيفة في مسقط رأسها، في تقريرٍ عن زيارتها للوطن، أن زوجها «أصيب أثناء القِتال في أنزيو»[XCIII]. ولم يُكشَف عن طبيعة إصابته، سواء كانت جسدية أو غير ذلِك. ولم يتحدَّث أحد عن ذلِك. ولكِن عندما عاد «إدموند» إلى الوطن، لم يعُد كما كان من قبل. من ذا الذي كان ليعودَ إلى طبيعته؟

وبالنسبة إلى «كلارنيل»، التي اعتادَت إدارة الأمور بمُفردها منذ أن كانَت فتاة كشَّافة، بدا زوجها الآن فاتِرًا ومُكتئِبًا، ويفتقِر إلى النشاط والطموح السابقَين اللذَين تمتَّع بهما المُقاتِل الشاب الوسيم الذي قابلَتْه وتزوَّجتْه.

وكَرِهَت «كلارنيل» اختياره للعمل كفنِّي كهربائي، بينما بقِيَت هي في المنزِل مع ابنتهما «سوزان». وكامرأةٍ عزباء، شقَّت «كلارنيل» طريقها إلى القمَّة؛ امرأة مُتمكِّنة، وموظَّفة فيدراليَّة، وقائِدة مُجتمعيَّة. وأرادَت زوجًا قويًّا لزواجها القوي. وأرادَت استعادة مُقاتِلها الوحشي، بزيِّه الرسمي. وبدلًا من ذلِك، حصلَت على هذا الرجُل المُتعَب الذي أنهكته الحرب، الساذِج القادِم من الطبقة الكادِحة مثل والِدها ووالِده.

ودفعت «كلارنيل» «إدموند» البالِغ من العُمر «سبعة وعشرين» عامًا للالتحاق بالكُلِّيَّة لتحسين نفسه. واشتكت لاحِقًا قائِلة: «لم تتوقَّف الحرب أبدًا، وبعد عودته حاول الالتحاق بالكُلِّيَّة في إطار برنامج دعم المُحاربين القدامى من وزارة الدِفاع، ولم يتمكَّن من العودة إلى الدراسة، وتجادَل كرقيب أول مع المُدرِّسين، وترك الدراسة، وسُرعان ما عمل في مجال الأعمال الكهربائيَّة»[XCIV].

وقال «إدموند» لاحقًا: «لقد أثَّرَت فيَّ زوجتي كرجلٍ ناضِجٍ أكثر مما أثَّرَت فيَّ 396 يومًا وليلةً من القِتال على الجبهة. أصبحتُ مشوَّشًا، ولم أكُن مُتأكِّدًا من أي شيءٍ لفترةٍ طويلة».

وبحلول عام 1948، ذهبَت ابنتهما «سوزان» إلى المدرسة خلال النهار. وبقليلٍ من المُساعدة من أهل زوجها، حظِيَت «كلارنيل» ببعض الوقت لنفسها لتعود إلى الساحة الاجتماعيَّة، والقيام ببعض الأعمال التطوعيَّة، وربما حتى الحصول على وظيفةٍ بدوامٍ جُزئي. وتمكَّنت من رؤية الضوء يزداد سطوعًا في نهاية النفق. لكِن بعد ذلِك.. حملت مرَّة أخرى.

وفي 18 ديسمبر 1948، وُلِد طفلهما الثاني «إدموند إميل كِمبر الثالِث»، أحد أشهر القتلة المُتسلسِلين في السبعينيَّات.

عودة «روي شاوكروس» إلى الوطن

سيُصبِح العريف «روي شاوكروس» من مُشاة البحريّة الأمريكيّة، البالِغ من العُمر «واحدًا وعشرين» عامًا، من مُقاطعة «جيفرسون»، بالقُرب من «واترتاون» بـ «نيويورك»، أحد أشهر المُصابين بـ «عُصاب جوادالكنال». في ثلاثينيّات القرن العشرين، ترك «روي» المدرسة بعد الصف الثامِن، وكان محظوظًا بما فيه الكِفاية ليجِد عملًا مع والِده في قِسم صيانة الطُّرق بالمُقاطعة. وبعد قصف اليابانيين لـ «بيرل هاربُر»، التحق

بمُشاة البحرية، وفي أغسطُس 1942، وهو في التاسِعة عشرة من عُمره، نُشِرَ مع الفرقة الأولى لمُشاة البحرية في «جوادالكنال» في أول هجومٍ كبير ضد اليابانيين في المُحيط الهادئ، في حملةٍ وحشيّةٍ قُتِل فيها حوالي 7100 أمريكي على مدار ستّة أشهُر.

بالكاد نجا «روي» من الموت بعد أن دُفِنَ حيًّا تحت أطنانٍ من الرمال المرجانيّة إثر إصابته بقذيفةٍ يابانيّة. واختنق صديقه الذي كان بجانِبه حتى الموت، بينما دعا روي ليبقى على قيد الحياة. ومن حُسن حظّه، أن زُملاءه من مُشاة البحرية انتشلوه، وانتهى به الأمر هو ووحدته معزولين في الغابة، مُنفصِلين عن القوّات الأمريكيّة لمُدّة أربعة أشهُر، عاشوا فيها على حصص الأرز اليابانيّة المُلقاة المليئة بالديدان. وقال روي لاحقًا إنهم لم يُزيلوا الديدان من الأرز قط لأنه لم يتبقَّ سواه ليأكلوه.

حَصَل «روي» على وسام «أربع نجوم معارِك»، لكِنه لم يعُد كما كان بعد معركة «جوادالكنال»، ورُحِّل إلى «أُستراليا» باعتباره مُصابًا بمرضٍ عصبيٍّ ونفسيٍّ في فبراير 1943، بدلًا من إعادة توزيعه في الحملة التالية في المُحيط الهادئ.

وأثناء فترة تعافيه، التقى بفتاةٍ أُستراليّة تُدعى «ثِلما جون»، وتزوَّجها على الفور في 14 يونيو 1943. وأنجبا طفلًا واحدًا؛ هو «هارتلي روي شاوكروس». ولكِن بعد عودته مرَّة أخرى إلى الولايات المُتحِدة في يوليو 1944، لم يُرسِل في طلب «ثِلما» أو «هارتلي». وبدا أنه قد نسِيَ كُل شيءٍ عنهما تمامًا.

نُقِلَ «روي» إلى مُستشفى «بورتسموث» البحريّة في «نيو هامبشاير» بعد وصوله إلى هُناك بفترةٍ وجيزة، والتقى هُناك بـ «إليزابيث «بيتي» يراكيس» من «سومرزورث»، وهي مُساعِدة في «الثامِنة عشرة» من عُمرها، تعمَل في تركيب الأنابيب في الساحات البحريّة. وكانت شابّةً صغيرة الحجم يبلُغ طولها 5.2 قدم، لكِنها مُراهِقة قويَّة وصلبة؛ شدَّت ويلات الحرب عودها. كان والداها من عُمَّال المصانِع؛ فقد كان والِدها يونانيًّا، ورُبما كانَت والِدتها كذلِك أيضًا، أو إيطاليّة، أو فرنسيّة من منطِقة البحر الأبيَض المتوسِّط[(XCV)].

تزوَّج «بيتي» و«روي» في 24 نوفمبر 1944، رغم حقيقة أنه لم يطلُب الطلاق من زوجته الأولى، ولم يُخبِر «بيتي» حتى أن لدَيه ابنًا وزوجة في «أُستراليا».

وفي 6 يونيو 1945، وُلِد ابنهما الأول قبل موعده بشهرين، في مُستشفى تابِع للبحريَّة الأمريكيَّة في «كيتري» بـ «مين»؛ وهو «آرثر جون شاوكروس»، القاتِل المُتسلسل وآكل لحوم البشر المُستقبلي، الشهير بـ «قاتِل نهر جينيسي»، الذي سيقتُل أول ضحاياه «الثلاث عشرة» في عام 1972.

ومن هُنا انطلق في طريقه.

قال «دينيس ريدر»، الشهير بـ «قاتِل بي تي كي»، المولود في عام 1945، لكاتِبة سيرته الذاتيَّة «كاثرين رامسلاند»: «عندما وُلِدتُ، كان والِدي «ويليام إلفين ريدر»، من مُشاة البحريَّة، لا يزال في المُحيط الهادئ، وتحديدًا في جزيرة «ميدواي»»[(XCVI)]. كما حظيَ القتلة المُتسلسِلين في «العصر الذهبي» «دوجلاس كلارك»، و«ريتشارد كوتينجهام»، و«هربرت مولين»، و«كارل يوجين واتس»، و«كريس وايلدر» بآباءٍ

خدموا في الحرب العالميَّة الثانيَة. بينما قام والِد «جون واين جاسي»، وهو أحد المُحاربين القدامى في الحرب العالميَّة الأولى، بمُعاملته بوحشيَّة.

لكِن السِّيَر الذاتيّة لآباء القتلة المُتسلسِلين غالبًا ما تكون غامِضةً ومُبهَمة. لأنهم لم يتواجدوا معهُم، أو هجروهم في كثيرٍ من الأحيان. وخلصَت دراسة «صائِد الأفكار» التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي حول القتلة المُتسلسِلين في أواخِر «السبعينيّات» وأوائِل «الثمانينيّات» إلى أن 66٪ من القتلة المُتسلسِلين أفادوا بأن أُمهاتهم لعبنَ دور الوالِد المُهيمِن، بينما أفاد 47٪ منهم بأن آباءهم قد رحلوا قبل بلوغِهم سن الرابِعة عشرة[(XCVII)].

وفي الواقِع، لقد تضاعَف مُعدَّل الطلاق خلال عامي 1945، و1946 عمَّا كان عليه في عام 1939 إلى مُعدَّل 31 حالة طلاق لكُل «مائة» حالة زواج، وهو أعلى مُعدَّل في العالَم. وكان مُعدَّل الطلاق بين المُحاربين القدامى ضعف مُعدَّله بين المدنِيِّين. كما وَصَل حوالي 53٪ من الزيجات في مُقاطعة «لوس أنجلوس» في عام 1944 إلى محكمة الطلاق بحلول عام 1945[(XCVIII)].

لم تشمَل قائِمة الـ 454699 من المُحاربين القدامى المُصابين باضطراباتٍ نفسيَّةٍ وعصبيّةٍ أولئِك الذين أصيبوا بالجنون المُطبِق بحيث لم يعُد من المُمكِن إرسالهم إلى الحرب. ففي ذروة حملة التجنيد في عامي 1942 و1943، رُفِضَ 1.25 مليون شابٍّ أمريكي بسبب «الاختلالات العقليّة والعاطفيّة»[(XCIX)]. وكان من بينهم رِجال مثل «أوتو ويلسون» الشهير بـ «القاتِل الميِّت المُتجوِّل» الذي بقَرَ بطن امرأتَين في لوس أنجلوس.

وهؤلاء الرِّجال الذين رفضتهم صفوف الجيش، أصيبوا بجنونٍ مُطبِقٍ بحيث لا يُمكِن أن يَقتلوا أو يُقتَلوا، وتُرِكوا في الوطن. حيث أصبَح بعضهم أبًا لأطفال؛ بل وحاول بعضهم تربيتهم.

حُمَّى ما بعد الحرب وأفلام اللحوم الحمراء ومجلَّات التعرُّق الرخيص

لم تكُن الحرب هُناك فقط هي ما ألقى بأثره على الناس. فقد حدث تحوُّل زلزل ثقافة الوطن الشعبيّة، واتخذ منحًى أكثر قتامةً وجنونًا بلا شك. وفي دراسته المُثيرة للقلق عن أمريكا ما بعد الحرب، «الأربعينيَّات السوداء: الشعب الأمريكي من النصر إلى الحرب البارِدة»، يصِف المؤرِّخ «ريتشارد لينجمان» حقبةً من القلق والفزع بدلًا من الانطباع المُتفائِل الذي يحمِله «نورمان روكويل» عن الجنود السُّعداء بعودتهم إلى الوطن، وسنوات طفرة المواليد المُتفائِلة. وبعد وصف الوصول الجماعي في عام 1947 لمئات الآلاف من التوابيت من أوروبا والمُحيط الهادئ (حيث دُفِنَ قتلى الحرب مؤقتًا في الخارِج، وامتلكَت عائِلاتهم الخيار في تركهم هُناك في المقابِر العسكريَّة، أو شحنهم إلى الوطن لإعادة دفنهم)، ثُم يصِف «لينجمان» كيف أطلقَت «هوليوود» نوعًا جديدًا من أفلام الجريمة العنيفة الساخِرة بوحشيَّة، وهو ما يُسمَّى بأفلام اللحوم الحمراء، الذي أطلَق عليه نُقَّاد السينما الفرنسيّة فيما بعد اسم «الأفلام السوداء». وكَتَب «لينجمان» أن: ««الفيلم الأسود» النموذجي امتلأ بأنواعٍ أمريكيّةٍ مُعاصرةٍ معروفةٍ تتحدَّث عن الموت بلُغةٍ وحساباتٍ قاسيّةٍ،

وتُصوَّر بإضاءةٍ داكِنة، وتروي قصَّة غير مرغوبٍ فيها على طراز الصُّحف الشعبيّة عن الجشع، والشهوة، والقتل»[(C)].

وهو ما تناولته صحيفة «نيويورك تايمز» في أيام الحرب الأخيرة واصِفةً مجموعةً من «أفلام القتل»، التي صدرَت للتو، أو التي لا تزال قيد الإنتاج، مثل «دبل إنديمنتي»، و«ميردر»، و«ماي سويت»، و«كونفليكت»، و«لورا»، و«ذا بوست مان أولويز رينجز توايس»، و«ذا ليدي إن ذا ليك»، و«بلو داليا»، و«سيريناد»، و«ذا بيج سليب».

وتقول «هوليوود» إن روَّاد السينما يحصلون على هذا النوع من القصص لأنهم يُحبُّونها، ويُفسِّر عُلماء النفس ذلِك لأنه بمثابة مَهربٍ عنيف يتناغَم مع عُنف العصر، وتطهير للمشاعِر المكبوتة. فقد أصبَح مُرتادو السينما العاديون قساةً تجاه الموت، وتجاه القتل، وأكثر قُدرةً على تفهُّم دوافِع القاتِل. وبعد مُشاهدة شريطٍ إخباري يعرض أهوال مُعسكرات الاعتقال الألمانيَّة، يقول مُحبو الأفلام إنهم لا يشعُرون بأي صدمةٍ أو ندم أو تأنيب ضمير عندما يُطلِق شرير الفيلم رُصاصةً على رأس زوجته، أو يدفعها من فوق منحدَر، ويهرُب مع جارته اللعوب[(CI)].

وارتقَت المرأة الفاتِنة الآن إلى آفاقٍ عالية، حيث لعبَت دور البطولة في «الأفلام السوداء» كأنثى جشِعة ونرجسيّة وملولة ومُفرِطة في الجنس، وغالبًا ما تُخطِّط للتخلُّص من زوجها المسكين. ومنح مقال في صحيفة «نيويورك تايمز» في عام 1946 بعنوان: «المرأة الأمريكيَّة؟ ليسَت من نصيب هذا الجُندي» الصوت لآلاف المُحاربين القدامى المُحبَطين الذين عادوا إلى الوطن ليجدوا النساء قد تحوَّلن:

«أصبح التحلي باللُّطف فنًّا ضائِعًا بين النساء الأمريكيَّات. فهنّ يشقُقنَ طريقهنّ بين الحشود، ويحتللنَ مقاعدكم في الحانات، ويصطدِمن بكم ويتدافعن في طريقهنّ بغض النظر عن أي شيء. وتنص فكرتهنّ عن المُساواة على التمتُّع بجميع الحقوق التي يُفترَض أن يتمتَّع بها الرِّجال دون أن يتحمَّلنَ شيئًا من المسئوليات، فلا تتناسَب أعمال الأمازون مع النمط الأنثوي في فرنسا وإيطاليا. لأنهُنّ مُهتمَّات بشكلٍ أساسيٍّ إلى حدٍّ ما بالأعمال الأساسيَّة المُتمثِّلة في الزواج وإنجاب الأطفال وتكوين أفضَل البيوت التي تسمَح بها إمكانياتهن أو ظروفهن. وشعرن أن بإمكانهن تحقيق أهدافهن على أفضَل وجهٍ من خلال التساهُل بأعيُنِ وأعصاب رجالهنّ؛ رغم الضرب المُبرِّح الذي تعرَّضَت له الكثير من النساء في أوروبا، إلا أنني لم أسمَع منهنّ إلا القليل من الشكاوى، ونادِرًا ما قابلتُ إحداهن، سواء كانَت صغيرة أو كبيرة في السن، تتمتَّع بلُطفٍ ورغبةٍ في إرضاء أي شعورٍ ناقِص[(CII)].

وتجلَّت الشياطين في ثقافة أمريكا ما بعد الحرب بشكلٍ كبيرٍ في صفحات مجلَّات الرجال الشعبيّة الموجَّهة إلى المُحاربين القدامى العائِدين وأبنائهم الصِّغار الذين نشئوا في السنوات التي تلت الحرب. وإن تواجدت في أي وقتٍ مضى ظاهِرة القتل والاغتصاب بـ «الإكراه المُحاكي»، وهي ظاهرة ثقافيَّة شعبيَّة تُمجِّد صيد النساء الانتقامي، والاغتصاب، والتعذيب، وأكل لحوم البشر، والتشويه، والقتل، فقد احتُفِيَ بها بشكلٍ صارخٍ على صفحات مجلَّات التحقيقات الحقيقيَّة، ومجلات مُغامرات الرِّجال التي وزَّعَت ملايين النُّسخ

شهريًّا. وبِيعَت بشكلٍ علني في أكشاك الصُّحف، وفي المتاجِر الكُبرى في كُل مكان منذ أواخِر الأربعينيَّات وحتى نهاية السبعينيَّات، ويا له من منظرٍ قبيحٍ رأته أعيُننا!

لكِن من أين أتى هذا الجُزء المُظلِم والقبيح من نفسيَّة الرجُل الأمريكي؟

غالبًا ما عكسَت رسومات الكهوف، والأساطير، والتقاليد والحكايات الشعبيّة، والحكايات الخياليّة، والخُرافات، والأدب التطلُّعات الخفيَّة وغير المُعلَنة، والمخاوِف العميقة، والمُظلِمة، والكراهية في المُجتمعات، فضلًا عن الصدمات والانتصارات. وفي عالم الثقافة الشعبيّة الأمريكيّة في فترة ما بعد الحرب، والذي ضمَّ ثلاث قنواتٍ تليفزيونيّة بالإضافة إلى أفلام «هوليوود»، دون قنوات الكابل والقنوات الفضائيّة، ودون فيديو، وألعاب الفيديو، وأقراص الفيديو الرقميّة، والإنترنِت، ونتفلكس، قرأ الرِّجال المجلات السائِدة، والقصص المُصوَّرة، والكُتب الورقيَّة بحثًا عن التسليَة. وبخلاف الأفلام، والراديو، والتلفاز لاحقًا، لم يكُن هُناك الكثير من الأشياء الأخرى في مجال الترفيه السردي الشعبي.

وما سلَّى بعض الفِتيان من جيل «تِد بندي»، و«جون واين جاسي»، وآبائهم وأثار هوسَهم؛ هو عشرات مجلَّات مُغامرات الرِّجال مثل «أرجوسي»، و«ساجا»، و«ترو»، و«ستاج»، و«ميل»، و«مانز أدفانتشر»، و«ترو أدفانتشر»، و«مانز أكشن»، و«ترو مِن».

ومن «أربعينيّات» إلى «سبعينيّات» القرن العشرين، غالبًا ما قدَّمَت هذه المجلَّات رواياتٍ مُبالَغًا فيها بشكلٍ بذيءٍ عن فظائِع الاغتصاب التي ارتكبها النازيُّون في زمن الحرب. وقد ظهرَت على أغلِفة المجلَّات صورٌ صارخةٌ لنساءٍ مُقيَّدات ومضروبات مع عناوين مثل: «عاريات ناعِمات من أجل فظائِع النازيين»؛ و«حرملك هتلر الشنيع المُرعِب»؛ و«الطقوس المروّعة لوحوش هتلر أكلة اللحوم»؛ و«كيف غذَّى النازيون تانيا بالمُخدِّرات الجنسيَّة»؛ و«سرداب جحيمي لعبيد رغبات هتلر»[(CIII)].

وحتى اليوم، بعد مرور أكثر من خمسةٍ وسبعين عامًا على الحرب، لا يزال النازيُّون وقسوتهم الساديَّة النفسيّة الجنسيّة موضوعًا رئيسيًّا في ثقافتنا ومُخيِّلتنا الشعبيّة، بدءًا من «إلسا»، و«شي وولف أوف إس إس»، و«ذا نايت بورتر»، و«سِفن بيوتِز»، وحتى فيلمي «إنجلوريوس باستردز»، و«ذا ريدَر».

عرَفت مجلَّات المُغامرات باسم «المُتعرِّقين» بسبب الرسوم التوضيحيَّة الملوَّنة على الأغلِفة التي تُظهِر الجلَّادين الذكور، وضحاياهم النساء، وهم يتلألئون بالعرق، وهو تأثير عزَّزَتْه ألوان الكازين، والأكريليك التي استخدمها فنَّانو الأغلِفة. ولم تقتصِر هذه المجلَّات على عرض سلسِلة من الفظائِع النازيَّة واليابانيَّة فحسب، بل تضمَّنَت أيضًا قصصًا عن آكلي لحوم البشر المُتعرِّقين في البِحار الجنوبيّة وأفريقيا، وسيناريوهات اغتصاب النساء في الشرق الأوسَط، وأخيرًا موضوعات التعذيب في الحرب البارِدة، وحرب كوريا، وحرب فيتنام[(CIV)].

وبالتوازي مع المُتعرِّقين، ظَهَر نوع من صُحف الجرائِم البشِعة مثل «ناشيونال إنكويرر» «قبل أن تتحوَّل إلى مجلة نميمةٍ عن المشاهير»، وعناوين مثل «ميدنايت»، و«إكسبلويتير»، و«جلوب»، و«فلاش»،

و«إكزامينر»، ومجلّات التحقيقات الحقيقيّة التي مزجَت صور العبوديّة المُنظّمة، مع صور مسارح الجريمة المروّعة، وحكايات الجنس والموت والتشويه، بعناوين مثل «لم ترتدِ بائِعة الهوى العارية سوى 39 طعنة فقط»؛ أو «قتل والِدتها ثُم أجبرها على ارتكاب أفعالٍ جنسيَّة غير طبيعيّة»؛ أو «أُحِب رؤية النساء العاريات غارِقات في الدِّماء»؛ أو «الوحوش المُتعطِّشة للجنس! رحلة العاهِرة المُسافِرة الأخيرة إلى الهلاك»؛ أو «اغتصبني، لكِن لا تقتُلني».

اشتركَت كُل هذه المجلَّات في شيءٍ واحد؛ أن أغلِفتها حملَت صورة لعارِضة أزياء مُحترِفة تتظاهَر بأنها ضحية مُقيَّدة «مجلة التحقيقات»، أو رسم توضيحي مرسوم لضحيَّة مُقيَّدة «مجلات مُغامرات الرِّجال». وفي كلتا الحالتين، ارتدَت الضحية إما ملابِس رثَّة، أو ثوب يُعاني من الفوضى أو التمزُّق؛ أو رُفِعَت تنورتها إلى الأعلى لتكشِف عن فخذيها أو جوربيها، في حين تدلى ثدياها تحت القُماش الرقيق لملابسها المُمزَّقة، بينما توهَّج لحمها البرونزي بلمعانٍ خافتٍ من العرق؛ وغالبًا ما قُيِّدَت ساقاها أو فُتِحتا على مصرعيهما؛ وقُيِّدَت في حُجرة تعذيب، أو قبو، أو على الأرض، أو على سرير، أو على الأرض بالخارِج؛ أو رُبِطَت إلى مقعد، أو طاوِلة، أو رف، أو عمود قرابين؛ أو في قفص، أو من سقف زنزانة بجوار مساعِر مُلتهِبة ومكاوٍ ساخنة على فحمٍ متوهِّج،؛ أو تُقلَّب على سيخ شواء ليطبخها آكلو لحوم البشر الشهوانيون؛ أو مربوطة على طاوِلة جراحة ليُجري عليها العُلماء النازيون المجانين أبحاثهم أو يشوِّهوها؛ ويتلوى وجهها في خوفٍ وخضوع، وأحيانًا تُحدِّق من غلاف المجلّة نحو القارئ الذَّكَر، كما لو كانت ضحيته، أو عبدته الشخصيّة التي يُمكِنه امتلاكها مُقابِل ثمن المجلَّة.[(CV)]

ويتذكَّر «نورم إيستمان»، أحد فنَّاني أغلِفة تلك المجلَّات في الخمسينيّات، في عام 2003: «كثيرًا ما تساءلتُ عن سبب تمسُّكهم بموضوعات التعذيب كثيرًا، لكِن لا بُد وأن ذلِك تسبَّب في زيادة مبيعاتهم. لقد خجلتُ من رسمِها نوعًا ما، رغم أنني لستُ مُتأكِّدًا من أنها تسبَّبت في أي ضرر، فقد بدا الأمر غريبًا بالفعل».[(CVI)]

وصُوِّرَت النساء في هذه المنشورات المُعادية للنِساء بشكلٍ صارخ بطريقتَين فقط من الاضطراب الجنسي؛ إما كأسيراتٍ مُقيَّدات ومُجبرات على مُمارسة الجنس ضدّ إرادتهن، أو كنساء عدوانيَّات جنسيًّا، عاريات الأكتاف، تتدلَّى من شفاهن سيجارة، عُرضةً للعقاب أو الموت بسبب نشاطهنّ الجنسي الشرير. وفي عالم «التعرُّق» الشهواني هذا، كانَت المرأة إما سيِّدة مُقدَّسة مُدنَّسة، أو عاهِرة فاسِقة مُعاقَبة، دون أن تكون هُناك أي خيارات أخرى مُتاحة.

ولم تُحبَّأ هذه المجلَّات خلف الطاوِلات، أو في المكتبات المُخصَّصة للبالِغين، أو حتى اقتصرَت على بعض الثقافات الفرعيَّة بعينِها، بل حظيت بانتشارٍ هائلٍ مثل فطيرة التفَّاح. ووزِّع بعضها شهريًّا أكثر من مليوني نُسخة في أوج انتشارها، وبيعَت علنًا في كُل مكان؛ في أكشاك بيع الصُّحف، ومحلَّات البقالة، ومتاجِر الحلوى، والسوبر ماركِت؛ وعلى رفوف المجلَّات بالصيدليَّات بجوار مجلَّات «تايم»، و«لايف»، و«ناشيونال جيوجرافيك»، و«بوبيولار ماشينز»، و«ليدز هوم جورنال».[(CVII)] وأمكَن العثور عليها في أي

مكان، وفي كُل مكان يتجمَّع فيه الرِّجال وأبناؤهم، في الورش، وصالونات الحلاقة، وغُرف الانتظار في متاجِر السيَّارات، وغُرف البريد، وغُرف تبديل الملابِس، وغُرف الغداء في المصانِع. وفي ذروة انتشارها، كان هُناك أكثر من مائة مجلَّة شهريَّة لمجلَّات المُغامرات ولمجلَّات تحقيقات الجرائِم الحقيقيَّة مُتاحة لجميع الأعمار.

كُل هذا في بلد لا يزال من المُحرَّمات فيه إظهار حتى لمحة من ثديٍ أو مؤخِّرة أنثى عارية على شاشة التلفاز.

وفي عالمٍ يفتقِر إلى الألوان، حيث كانت مُعظَم الصور الفوتوغرافية والأفلام والتلفاز باللونَين الأبيَض والأسود، وأتذكَّر أنني في أواخِر «الخمسينيَّات»، وأوائِل «الستينيَّات» من القرن الماضي، عندما كُنت أذهَب إلى السوبر ماركِت المحلي مع والِدتي، وأنتظِرها بجانِب رفوف المجلَّات والكُتب المُصوَّرة، واجهتُ صفًّا تلو الآخر من هذه المجلَّات بأغلِفتها الملوَّنة الحُلوة لنساءٍ مُقيَّدات في مِحنة. أو كما أعلن أحد العناوين الرئيسيّة: «فتيات معروضات للبيع».

كُنتُ في الخامِسة أو السادِسة من عُمري، ولم تكُن لديَّ أي فكرة عن الجنس، لكِنني أتذكَّر أن تلك الصور أثارَت نوعًا من النشوة الذكوريّة البدائيّة القوية. وأُدرِك اليوم أنها كانَت في مُجملها إثارة جنسيَّة للهيمنة والاستحواذ على شقيقتي الأكبر منِّي سنًّا من البشر المُتسلِّطين والمُتسلِّطات، من جليسات الأطفال والمُمرِّضات، إلى الإناث العامِلات في المتاجِر، والمُدرِّسات اللاتي وجدتُ نفسي باستمرارٍ تحت إشرافهنّ وسُلطتهنّ كطفلٍ ذكر. لقد جذبتني صور المجلَّات هذه للإناث الساجِدات إلى عالمٍ خياليٍّ تنقلِب فيه النساء إلى حالةٍ من الضعف والوهن.

وكُنتُ أحد الأطفال المحظوظين الذين لم يتعرَّضوا للأذى أو الصدمة أو الغضب، وقد شجَّعني الرِّجال والنساء في حياتي الصغيرة على الاستقلاليَّة والحُرِّية. وعشتُ طفولةً خالية من الصدمات، ولم أتعرَّض لأي صدمةٍ نفسيَّةٍ أو إصابةٍ في الرأس. لكِن لا يسعني الآن إلا أن أتخيَّل لو أن بعض الإساءات الشديدة، أو الإذلال، أو الصدمات قد اندمجَت مع ذلِك الإحساس البدائي القوي الذي أصِفُه، ما الذي كان يُمكِن أن يحدُث، وإلى أي مكانٍ مُظلم كان من المُحتمَل أن تأخُذني تلك الدوافِع التي أثارتها هذه الصور المُستمِرَّة لو استشطتُ غضبًا تِجاه النساء، أو رغبتُ بشدَّةٍ في السيطرة، أو الانتقام، أو حتى الخلاص، كما وَصَف الطبيب النفسي «جون موني» الاضطراب الجنسي: «مأساة أو صدمة تحوَّلَت إلى انتصار».

سيُشير القتلة المُتسلسِلون في «العصر الذهبي» بشكلٍ مُتزايدٍ إلى أن هذه المجلَّات الرجالية، جنبًا إلى جنبٍ مع مجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقيَّة، على أنها مجلَّاتهم المُفضَّلة في مرحلة الطفولة والمُراهَقة.

وبالفعل، في عام 1941، ادَّعى «جارفيس ثيودور روزفِلت كاتوي» أن قصص الاغتصاب والقتل في مجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقية كانَت تُثيره.

ذَكَر «جون جوبِرت»، «خاطِف أطفال نبراسكا»، وهو قاتِل مُتسلسِل قتل ثلاثة صبيَة صِغار من 1982 إلى 1983، أنه عندما كان في «الحادية عشرة» أو «الثانية عشرة» من عُمره، رأى مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة في متجر البِقالة المحلي، وأثارته صُوَر النساء المُقيَّدات على الأغلِفة. وبدأ في الحصول على

هذه المجلّات والاستمناء على الصُّور، وفي نهاية المطاف، بدأ يتخيَّل صور أولادٍ صِغار مُقيَّدِين بدلًا من صور النساء. ولم يستطِع تذكُّر ما إن كانَت هذه الصُّور هي التي دفعته للاستمناء، أم أن الاستمناء هو الذي دفعه لهذه التخيُّلات[CVIII].

ووَصَف القاتِل المُتسلسِل «دينيس ريدر»، «قاتل بي تي كي»، في مُقابلاته الأخيرة مع عالِمة النفس الشرعي «كاثرين رامسلاند»، هوسه في فترة المُراهقة بالرسوم التوضيحيَّة للنِساء المُقيَّدات. وقال «ريدر»: «سُرعان ما أدمنتها، وبحثتُ دائِمًا عن عارِضات الأزياء المُقيَّدات في محنةٍ من أمرهن».

ووَصَف «ريدر» تخيُّلاته حول مُهاجمة النساء: «لقد أصبحَت أحد أكثر عارِضات مجلَّة «التحقيقات في جرائِم الرُّعب الحقيقيَّة» نجاحًا. وبدت غُرفة نومِها شرق أوسطيّة. خطَّطتُ لتقييدها على الفِراش، إما نِصف عارية أو عارية تمامًا. قبل أن أخنقها أو أكتم أنفاسها. مُقيِّدًا يدَيها من الأمام بعد ربطهما في رقبتها – تمامًا مثل عارِضةٍ رأيتها على غلاف إحدى المجلَّات. ولطالما تخيَّلتُ النساء على الغلاف، اللاتي يظهَر الرُّعب في عيونهن جليًّا، وأيديهنّ مُقيَّدة بالقُرب من أعناقهن، بينما يقِف رجل يحمِل سكينًا مُهدِّدًا فوقها».

وقال «ريدر» أيضًا: «لقد توقَّفتُ عن شراء المجلَّات البوليسيَّة عندما أزالوا صور تلك النساء من على أغلِفتها. وكُنت لا أزال أقرأ الكُتب التي تتحدَّث عن القتلة المُتسلسِلين إن تعلَّقَت بالأسلوب الذي كُنتُ أتَّبِعه. ولطالما قصصتُ الصور من الإعلانات من أماكِن مثل «ديلاردز» و«جي. سي. بيني»»[CIX].

وبحلول «ثمانينيَّات» القرن «العشرين»، وَصَف عُلماء السلوك في مكتب التحقيقات الفيدرالي تلك المجلَّات بأنها «مواد إباحيَّة للسادِيِّين الجنسيِّين»، وستختفي في نهاية المطاف من أكشاك بيع الصُّحف بسبب فشل اقتصاديات نشر المجلّات الشهريّة، وبسبب الاشمئزاز الاجتماعي الشعبي من «ثقافة الاغتصاب» المُتشبِّعة في هذا القِطاع من وسائِل الإعلام الرئيسيَّة[CX].

لماذا تغذَّى الجيل الأعظَم وأبناؤه على هذا الأدب والصور الشعبيّة الفاسِدة بشكلٍ ساديٍّ بعد الحرب؟ ولماذا وُجِدَت هذه المواد أصلًا؟ وما الذي حَدَث حقًّا لآبائِنا وأجدادنا في تلك الحرب؟ وما هي الأسرار المُظلِمة التي رُمِّزَت في هذا الأدب وصُوره؟ وما الذي أغضَب الرِّجال وأبناءهم من النساء؟ لم نبدأ في استجماع شجاعتنا اللازِمة لطرح تلك الأسئِلة التي لا يُمكِن طرحها حول ما كان يَعنيه خوضُهم حربًا بدائيَّةً لإبادة عدوٍّ عن بكرة أبيه إلا بعد خمسين عامًا، في أوائِل العقد الأول من القرن «الحادي والعشرين»، عندما بدأ مُعظَم جيل الحرب في الزوال. ولم تُعجِبنا الإجابات التي وردَت إلينا.

لم يكُن شيئًا واحدًا قط، بل هو مزيج من الأشياء في الشيطنة الثقافيَّة. لقد مهَّد الآباء في «ثلاثينيّات» و«أربعينيّات» القرن الماضي الطريق، لكِن الآن، وبينما تتقدَّم «أمريكا» إلى الأمام نحو الخوف، وبُغض الحرب البارِدة، والفوضى والموت في «الستينيَّات»، الذي سار فيه أبناؤهم من القتلة المُتسلسِلين.

السادي المُتسلسِل الجديد النبيل: «كُل ما تتمنَّاه الفتاة»

في هذه الكيمياء الاجتماعيَّة الجديدة المُعقّدة للذكور مكسوري الكِبرياء، والأزواج والآباء المصدومين من ويلات الحروب، والنساء اللاتي تحرَّرن مؤخَّرًا من القيود، وأُعِدن على مضضٍ إلى قفصهنّ الاجتماعي بسبب إعادة التكيُّف بعد الحرب والاحتفال السائِد بعبوديَّة النساء، وتعذيبهنّ، واغتصابهنّ، وقتلهن، وظَهَر نوع جديد من القتلة المُتسلسِلين الجنسيين، على درايةٍ بالمرأة الجديدة الحازِمة والمُستقِلَّة التي لم يعُد من السهل أن تنقاد إلى الكمين الذي نصبَه لها الرجُل الشوفيني القديم – حيث تحتَّم عليه أن يُغويها إلى ما يبدو أنه رجُل «جديد» يحترِم تلك المرأة الجديدة. في حين أنه نفس المُفترِس الذئبي القديم، لكِنه مُتنكِّرٌ الآن في هيئة حمَل، ذلِك الجلَّاد «اللطيف» الراقي ومُجامِع الجُثث، السادي النبيل.

قدَّم هذا المفهوم الدكتور «جي بول دي ريفر»، الذي أصبَح في عام 1939 أول طبيبٍ نفسي شرعي تُعيِّنه وكالة لإنفاذ القانون في الولايات المُتحِدة بشكلٍ دائِم، عندما عيَّنته شرطة «لوس أنجلوس» في مكتب مُكافحة الجرائِم الجنسيَّة. واقتضَت مهام وظيفته مُساعدة الشُّرطة في تحديد هوية المُشتبه بهم المجهولين، وإعداد تقييمات الطب النفسي للادعاء لاستباق أي دِفاعٍ مُحتمل بحجَّة الجنون. وفي عام 1949، نشر «دي ريفر» كِتابه «المُجرِم الجنسي: دراسة تحليليّة نفسيّة»، راجعٍ ووسَّع فيه نِطاق مُصطلحات الطِبِّ النفسي، بما في ذلِك مفهوم «قناع العقل» للمريض النفسي كما وصفه في ذلِك الوقت «هيرفي إم. كليكلي».

كما تخلَّص «دي ريفر» من مفاهيم (فاحِش، وفجِ، و«الوحش» المُستذئب الملتوي في القتلة المُتسلسِلين) وقدَّم تصنيفًا جديدًا للجاني الذي نتعرَّف عليه اليوم في العديد من القتلة المُتسلسِلين. ووصفهم «دي ريفر» بلقب السادي النبيل. كما وصفهم بأنهم من نوع «الفتى اللطيف»، الذي تجذِبُ أخلاقه اللطيفة، ولِسانه المعسول ضحيَّته إليه. وقد يكون مُجتهِدًا ومُتحذلِقًا، وغالبًا ما يسعى جاهدًا لإعطاء الانطباع بأنه مُتديِّن جدًّا. كما يُمثِّل أسلوبه المُهذَّب، ومظهره المُتأنِّق، إلى جانِب شخصيَّته الجذَّابة، وذقنه ذات الغمَّازة، وشعره المموَّج، وعادةً ما يُقابِل ذلِك عينان حالِمتان، وعصبيَّتان، في كثيرٍ من الأحيان كُل ما تتمنَّاه الفتاة[(CXI)].

وكان يُمكِن لـ «دي ريفر» أن يصِف القاتِل المُتسلسِل السادي مُجامِع الجُثث «تِد بندي» عندما كَتَب هذه السطور في كِتابه الصادِر عام 1949، باستثناء أن «تِد بندي» كان يبلُغ من العُمر ثلاث سنوات فقط في ذلِك الوقت. وهذا في حدِّ ذاته يُمثِّل أهميَّةً كبيرة، لأن «بندي» كان جُزءًا من الجيل القادِم من القتلة المُتسلسِلين في «العصر الذهبي» القادِم، والعصر الذي نشأ فيه الآن سيكون له علاقة كبيرة، إن لم يكُن بكُلِّ شيء، فبجرائِم القتل التي سيرتكبها كشخصٍ بالغٍ في «السبعينيَّات».

6 إذا قبِلنا «مانسون» باعتبار أنه قاتِل مُتسلسِل ينتمي لمدرسة «العبادة التبشيريَّة»، ويُلهِم أتباعه بالقتل. [الكاتِب]

الفصل الرابِع

لُب الرُّعب الحقيقي

نهضة القتلة المُتسلسِلين الجُدد، في الفترة بين 1950 - 1969

«أُحِب قتل الناس لأنه أمر مُمتِع للغاية».

«زودياك» السفَّاح، قاتِل مُتسلسِل مجهول الهويَّة

في النِصف الثاني من «أربعينيَّات» القرن «العشرين»، استفاق الأمريكيُّون من اثني عشر عامًا من التدهوُر المالي، وأربع سنوات من الحرب المروِّعة التي أعقَبَت ذلِك. وقد انخَفَض مُعدَّل المواليد، وتحوَّلت «أمريكا» إلى لوحةٍ لـ «إدوارد هوبر» – مساكِن من الطوب الأحمر، وسماء مُلبَّدة بالدُّخان، ومطاعِم كئيبة، وأرواح وحيدة، وذكور حطَّمتهم الحرب. في حين قُنِّنَ البنزين والمطَّاط والمعادِن من أجل المجهود الحربي، لذا توقَّفَت «ديترويت» عن إنتاج السيَّارات للمُستهلِكين، وأعادَت تجهيز مصانِعها للإنتاج الحربي. وبعد عام 1942، لم تُنتَج أي طرازات سيَّارات جديدة.

وفي مايو 1945، ومع انتهاء الحرب في أوروبا، أذن مجلِس الإنتاج الحربي الأمريكي باستئناف تصنيع 200 ألف سيَّارة للسوق المحليَّة، مُعظمها من طرازات 1942 «المُعاد تجهيزها».

في عام 1946، كان هُناك 8000 جهاز تلفاز في المنازِل الأمريكيَّة، أما بحلول عام 1956، فقد ازداد عددهم إلى 37 مليون تلفاز. وشاهَد الأمريكيُّون مُسلسلات «ألفريد هيتشكوك يُقدِّم»، «آي لوف لوسي»، و«جانسموك»، و«ذا ميكي ماوس كلاب»، و«روي روجرز»، و«كابتِن كانجارو»، و«دراجنيت»، و«أدفانتشر أوف سوبر مان». وبُثَّت بعض البرامِج التلفزيونيَّة بالألوان، وظَهَر «إلفيس بريسلي» لأول مرَّة على شاشة التِّلفاز في ذلِك العام.

وكان هُناك 54 مليون سيَّارة و10 ملايين شاحِنة. بدأ نِظام الطُّرق السريعة الوطني بين الولايات في شقِّ الطُّرق السريعة بين الأحياء الداخليَّة للمدينة، ليربطها بالخارِج مع زحف الضواحي المُترامِيَة الأطراف السريعة النمو بمدارسها الجديدة النظيفة ومراكِز التسوُّق، والتي سيحتقِن فيها جيل جديد من السفَّاحين. فالأُسر الأمريكيَّة التي أجَّلَت إنجاب الأطفال خِلال فترة الكساد الكبير والحرب؛ بدأت الآن في تكوين العائِلات. وقد أعقَب سنوات الحرب انتعاش الاقتصاد المُزدهِر، الذي غذَّته جُزئيًّا خطَّة «مارشال»، والتي ضخَّت الدولارات الأمريكيَّة إلى الدول الأوروبيَّة التي مزَّقتها ويلات الحروب بشرط إنفاقها الدولارات على المُنتجات الأمريكيَّة الصُّنع. وحال ذلِك دون حدوث الكساد الذي عادةً ما يتبَع الحرب. وبين عامي 1941 و1961، وُلِدَ 65 مليون طفل في الولايات المُتحِدة فيما عرَف فيما بعد بـ «طفرة المواليد».

انتهَت سنوات الخوف والبُغض والقوائِم السوداء وجلسات استماع لجنة الأنشِطة غير الأمريكيَّة في مجلِس النوَّاب، وكانت تصريحات السيناتور «جو مكارثي» الصاخِبة قد انتهت في مُنتصف «الخمسينيَّات». فقد وجَّه مجلِس الشيوخ اللوم إليه، وأدانه في عام 1954، قبل أن تُوافيه المنيَّة بحلول عام 1957.

وبعد أُفول نجم «جو مكارثي» شهدَت «الخمسينيَّات» بداية عصر البراءة الحُلوة التي ستستمِر حتى نهايتها المُفاجِئة في نوفمبر 1963 عندما اغتِيل «جون كينيدي». ولا يحتاج المرء إلى وصف فقدان البراءة هُنا، حيث احتُفِيَ بها بحنينٍ في أفلامٍ مثل «جريس»، و«ذا أميريكان جرافيتي»، والمُسلسَل التليفزيوني «ذا هابي دايز» في الفترة بين 1974 – 1984، وعشرات المحطَّات الإذاعيَّة «القديمة الذهبيّة»، والبرامِج الجديدة.

ولكِن كما هو الحال دائِمًا، ظلَّت هُناك رغبة في الجانِب المُظلِم في الثقافة الشعبيَّة. فقد ألهمت حوادِث التجارِب النوويَّة عددًا كبيرًا من أفلام الخيال العلمي عن الوحوش والأبطال الخارقين في القصص المُصوَّرة الذين نتجوا عن الإشعاعات. وكانَت مجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقيّة ومجلات مُغامرات الرِّجال «المُتعرِّقة» في أوْجِها، حيث ركَّزَت في المقام الأول على موضوعات الاستغلال الجنسي النازي من اغتصابٍ، وعبوديّة، وتعذيب، وتشويه، وقتل، بينما قدَّمَت مجلَّات المُحقِّقين تقارير عن نفس الموضوعات في الوطن. وتضمَّنَت كلاهما صورًا واقعيَّة – أحيانًا مع عارِضات أزياء مُفتعلات، وأحيانًا مع صور أدِلَّة جنائيّة أصليَّة.

وحدث ارتفاع تدريجي في جرائِم العُنف، ولكِن البلاد انزعجَت بشكلٍ أكبر من ارتفاع مُعدَّل جنوح الأحداث (رغم أنه لم يتَّضِح ما إن كان هُناك المزيد من جنوح الأحداث، أم ببساطةٍ المزيد من الأحداث!). وتصرَّف الجيل الذي وُلِدَ في «الأربعينيَّات»، عندما دخل مرحلة المُراهقة في «الخمسينيّات»، بوتيرةٍ أعلى من ذي قبل. وبدأ القتلة المُتسلسِلون المُستقبليون من بينهم للتوِّ في اختبار نوازِعهم وأوهامهم، قبل أن ينضجوا بما يكفي للمُضي قدمًا في طريقهم إلى القتل.

وردًّا على هذا الارتفاع في جرائِم الأحداث، أُنشِئت هيئة قانون القصص المُصوَّرة في عام 1954 لمُراقبة تصوير الجريمة والعُنف والرُّعب في الكُتب المُصوَّرة. لكِن مجلَّات التحقيقات الحقيقيَّة، ومجلَّات «التعرُّق» أتيحَت بسهولةٍ مثل الكُتب المُصوَّرة للقُرَّاء من جميع الأعمار. ولم يتوجَّب على المرء سوى الذهاب إلى صالون الحلاقة لقصِّ شعره ليتصفَّح عشرات المجلَّات المُصوَّرة بشكلٍ صارخ، والتي تُصوِّر الاختطاف والعبوديّة والاغتصاب والقتل.

وكان القتلة المُتسلسِلون في «الخمسينيَّات» وأوائِل «الستينيَّات» مثل «إد جِن»، و«ألبرت ديسالفو» في المقام الأول الإخوة الأكبر سنًّا أو أعمام «الأشخاص الذين سيأتون في العصر الذهبي». لقد غَرِقوا في الكساد الكبير، في نفسيّة القتلة المُتسلسِلين مثل «ألبرت فيش»، و«إيرل نيلسون»، و«جارفيس روزفِلت كاتوي»، و«ويليام هيرينز»، وهُم القتلة النفسيُّون المُخيفون المُصابون باضطراباتٍ عصبيَّة في الدِّماغ، الذين تصرَّفوا بناءً على دوافع مُنحرفةٍ أكثر من الاستمناء القهري للخيالات الشاذَّة.

وكان لبعض هذه الحالات صدًى على مستوياتٍ مُتعدِّدةٍ، وهي اليوم جُزء من تقاليد القتلة المُتسلسِلين، والثقافة الشعبيَّة.

«إدوارد جين» «غول بلينفيلد» أو «المَختلّ الأصلي» في «بلينفيلد» بـ «ويسكونسن» في الفترة بين 1954 – 1957

بدا «إد جين» مثل قزم المزرعة بقُبَّعته الصوفِيّة وقميصه ذو نقشة المُربَّعات الذي أغلَق أزراره حتى العُنق. كان في «الحادية والخمسين» من عُمره، ويزن 64 كيلوجرامًا فقط، رجل شِبه مُنعزِلٍ حَسن الطِّباع، ذو شعر رمادي مُصفَّف بعناية، يعيش بمُفرده في مزرعةٍ بعد وفاة والِدته وشقيقه. عرَف بين جنبات المُجتمَع المحلي بأنه رجُلٌ غريب الأطوار بعض الشيء، لكِنه غير مؤذٍ. ولم يكُن يزرع أرضه، لكِنه كسَب قوت يومِه الضئيل من العمل أحيانًا في مشاريع الطُّرق السريعة بالمُقاطعة، والقيام بأعمالٍ غريبةٍ للمُزارعين المحليين، ومُجالسة أطفال السُّكَّان المحليين. لكِنَّ أحدًا لم يعرِف أنه اعتاد سرقة قبور الجُثث المدفونة حديثًا منذ أواخِر «الأربعينيَّات» بعد وفاة والِدته. ثُم في 8 ديسمبر 1954، وفي وقتٍ مُتأخِّرٍ من بعد ظهيرة يوم شتوي، قتل صاحِبة الحانة «ماري هوجان»، البالِغة من العُمر «أربعةً وخمسين» عامًا في حانتها، وسَحَب جُثَّتها على زلاجةٍ إلى مزرعته. دون أن يراه أحد، أو على الأقل دون أن ينتبِه أحد للحمولة الملفوفة التي نقلَها على الزلّاجة إلى المنزِل.

وظلَّ اختفاؤها لغزًا دون حلٍّ لمُدَّة ثلاث سنوات.

وفي 16 نوفمبر 1957، اختفَت «برنيس ووردن»، البالِغة من العُمر «ثمانيَةً وخمسين» عامًا، من متجرها لبيع الأجهِزة في وضَح النهار. تذكَّر شخصٌ ما رؤية «جين» في المبنى في وقتٍ سابق. اعتقلته الشُّرطة المحليَّة في ذلِك المساء، وتوجَّهَت إلى مزرعته لتفتيشها. وعند دخولهم مطبخه الصيفي الشبيه بالسقيفة، عثروا على جُثّة «ووردن» مقطوعة الرأس، ومبتورة الأطراف، مُعلَّقة من العوارِض الخشبيَّة بواسِطة خُطَّافات ثُبِّتَت في عِظام كعبها، مُرتديَّة ملابِسها ومُغسَّلة مثل جُثَّة غزالٍ مقتول حديثًا. ووجدَت الشُّرطة أثناء تفتيش منزِل «جين» المُتهالِك والفوضوي في المزرعة عرضًا مُرعِبًا: رأس «ووردن» المبتور حديثًا في كيسٍ من الخيش؛ وصندوقًا به رأس أُنثى أخرى مُحنَّط، رُبما تكون «ماري هوجان»؛ وقلبًا بشريًّا في مقلاةٍ على الموقِد؛ وأحشاءً بشريَّة في الثلَّاجة؛ وصندوقَ أحذيَةٍ به تسعة فروج؛ وصندوقًا آخر يحتوي على أربعة أنوف؛ وزوجًا من الجوارِب المصنوعة من الجلد البشري؛ ووعاء حساء مصنوعًا من جُمجمة؛ وسُترة يُمكِن ارتداؤها مع ثدْيَين مصنوعَين من جلد جذع أُنثوي؛ وجماجِم مُثبَّتة على أعمِدة الفراش؛ وتسعة أقنِعة مصنوعة من لحم وجوه أنثويّة، عُلِّق بعضها على الجِدران كزينة، وفروة رأس بشريَّة في علبة حبوب؛ وطبولًا مصنوعة من الجلد البشري؛ وأربعة مقاعِد صُنِع تنجِيدها من الجلد البشري المُغطَّى بالدهون المُتساقِطة؛ وقطع حُلي مُختلِفة مصنوعة من أجزاء من الجسد؛ وعشرة رءوس إناث مُتحلِّلة. وقد فُرِكَت العديد من الأدوات بالزيت للحِفاظ على بريقِها؛ كما زُيِّنَت الأقنِعة البشريَّة بأحمر الشِّفاه؛ ورُبِط شريط أحمر في أحد الفروج.

وبعد أربعة أيامٍ من اعتقاله، لخَّص مُحقِّق مجهول الهويَّة القضية فيما لا يزال يُشكِّل الجوهر الأساسي لرواية «جين» التاريخيَّة:

كان «جين» مُقرَّبًا للغاية من والِدته طوال حياته، مُقربًا للغاية بكُلِّ ما تحمِله الكلمة من معنًى، حتى إنه اكتسب على ما يبدو عُقدةً أنثويّة. وبعد وفاة والِده «جورج»، منذ حوالي 20 عامًا، تعلَّق أكثر بوالِدته التي عاش معها هو وشقيقه الأكبر «هنري»، الذي تُوفِّيَ في عام 1944. «في ظروفٍ غامضةٍ، في حريقٍ في المزرعة».

وقبل وفاتها في عام 1945، أُصيبَت والِدته بالشلل جرَّاء سكتَتين دماغيتَين، واعتنى بها ابنها المُخلِص ومرَّضها خلالهما، مما وطَّد علاقتهما أكثر. وكان «جين» قليل الارتباط بالفتيات. وكان خجولًا للغاية، ولم يهتمّ بهنّ كثيرًا. وقال إنه لم يُجرِ أي اتصالٍ جنسي معهنّ.

وقبل بضع سنوات، في ذروة إخلاصه لوالِدته، تمنَّى لو كان امرأةً بدلًا من رجُل. واشترى كُتبًا طبيَّة، ودرس علم التشريح. وتساءل عمَّا إذا كان من المُمكِن تغيير جنسه. وفكَّر في الاستفسار عن إجراء عمليَّةٍ جراحيّة ليتحوَّل إلى امرأة، بل وفكَّر في مُحاولة إجراء عمليّة جراحيّة لنفسه، لكِنه لم يفعل شيئًا حيال هذه الخطط.

وبعد وفاة والِدته، ظلَّ يُفكِّر لفترةٍ طويلةٍ، ومن رحِم هذا المزاج الكئيب، انبثقَت رغبته في زيارة المقابِر. وبعد بضع رحلاتٍ ليليَّة إلى المقابِر، بدأ ينبش القبور الحديثة.

وقال إنه أخذ الجُثث إلى منزِله، وقطَّعها. احتفظ فقط بالرءوس والجلد وبعض الأجزاء الأخرى. وأصرَّ على أنه قد تخلَّص من بقية الجُثث بعدما قطَّعها إلى قطعٍ صغيرةٍ وحرقها في موقِد الطهي في مطبخه.

وقال «جين» إنه احتفظ بجميع وجوه ضحاياه، وفُتِنَ بشكلٍ خاصٍّ بشعر النساء، وأزال جلود بعضهنّ، واستخدمها في صُنع الأحزِمة، والطبول التي صمَّمها عن طريق شدّ الجلد على أطراف علبة صفيحٍ كبيرة، وأشياء أخرى. ونزع الجلد من الجُزء العلوي بأكمله من جسد إحدى النساء ليصنع منه سُترة.

وقد أولى اهتمامًا خاصًّا بوجوه النساء، التي جرَّدها من الجماجِم تاركًا الجلد المكوِّن للأقنِعة البشريّة. وقال إنه حافظ عليها عن طريق مُعالجتها بالزيت، وإبقائها بارِدة قدْر الإمكان. كما قال إنه اعتاد دهن الوجوه بالزيت كُلما تيبَّسَت، وإنه كان يرتدي أحد الأقنِعة، وسُترة جلديَّة من جلد الجذع، ويُعلِّق على نفسه أجزاءً أخرى كان قد أزالها من جسد امرأة، ويتجوَّل بنفسه في منزِله الريفي الوحيد، وإن هذا الأمر منحه ارتياحًا هائِلًا[(CXII)].

ولم يكُن «إد جين» مُضطرًّا للقتل، بل كان جُل ما أراده هو جلود الإناث. وعندما لم يعُد بإمكانه الحفر في الأرض المُتجمِّدة لنبش القبور الحديثة خلال أشهُر الشِّتاء القارِس، بدأ يقتُل لإنعاش مخزونه من أجزاء الجسد الأنثويَّة.

وفيما عدا ذلِك، اعتبره الناس والجيران رجلًا لطيفًا.

وعلَّق أحد جيرانه قائِلًا: «كان «إد» العجوز الطيب رجلًا وحيدًا نوعًا ما، ورُبما غريبًا بعض الشيء بحسِّه الفُكاهي هذا، لكِنه الرجُل الذي يُمكِننا استدعاؤه لمُجالسة الأطفال عندما نرغب أنا وزوجتي العجوز في الذهاب إلى مسرحية».

ولسنواتٍ طوال، بلّغ الأطفال الذين زاروا منزِله آباءهم بأنه يمتلِك مجموعةً من «الرءوس المُنكمِشة»، والأقنِعة الغريبة المُعلَّقة على الجدران، لكِنَّ الآباء رفضوا تصديق تلك القصص باعتبارها من نسج الخيال. لكِن أيًّا من الأطفال لم يُبلِّغ عن سلوك «جين» تجاههم على أنه تهديد أو غير عادي بأي شكلٍ من الأشكال.

وألهَمَت جرائِم قتل «جين» قصيدة عيد الميلاد التي ألقاها تلاميذ مدرسة «ويسكونسن» في ذلِك العام:

«كانَت ليلة «كذا» التي سبقَت عيد الميلاد، وفي جميع أنحاء المدرسة..

لم يكُن هُناك أي مخلوق يتحرَّك، ولا حتى بغل المزرعة..

وعُلِّق المُعلِّمون من السقف بعنايةٍ على أمَل أن يأتي «إد جين» قريبًا».

بل حتى وظهرَت نِكات عن «جين»:

-سأل أحدهم «جين»: «كيف كان والداك؟» فأجابه: «لذيذَين».

-هل جرَّبت «جعة جين»؟ قد تجِد الزُّجاجة كامِلة، لكِن دون رأس.

-هل تعرِف رقم هاتِف «جين»؟ إ - هـ - ـر - ب - 8 - 1 - 2.

-لماذا لم يكُن هُناك فئران في منزِل جين؟ لأنهم يهربون من رائِحة الفروج.

-ماذا يمتلِك «جين» في صندوق الخياطة الخاص به؟ أزرار البطن[7].

-ماذا قال «جين» للمأمور عندما اعتقله؟ يبدو أنك لا تمتلِك «قلبًا» طيِّبًا.

-يبدو أن النساء قد أحببنَ «جين» حبًّا جمًّا، فقد كان هُناك الكثير منهنّ حول منزِله.

-حافِظ على التدفِئة في منزل «جين»، وإلا قد تُصيب الأثاث بدور برد.

-لماذا توقَّفَت صديقته عن الخروج معه؟ لأنه أخبرَها أن رائِحتها «شهيَّة».

-ماذا قال «جين» عندما رأى سيَّارة نقل الموتى؟ سأراكُم لاحقًا يا أحبَّائي[CXIII].

واعترف «جين» أن ولَعَه بالجماجِم البشريّة، وأحزِمة الحلمات الأنثويّة المُحنّطة، وقلائِد شفرات المهبل مستوحًى جُزئيًّا من قصص مجلات مُغامرات الرجال «المُتعرِّقة»، والرسوم التوضيحيَّة للفظائِع اليابانيّة التي ارتُكِبَت ضد الأسيرات. أما الجُزء الآخر من إلهامه فقد جاء من الروايات الحقيقيّة التي دارَت أحداثها في زمن الحرب عن اعتداء الجنود الأمريكيين على الجُثث في المُحيط الهادئ، والتي تأصَّلَت في الثقافة الشيطانيّة الأمريكيَّة في «الأربعينيّات»[8].

بعد اعتقال «جين»، نشرَت مجلَّة «لايف»، المجلَّة نفسها التي نشرَت بفخرٍ في عام 1944 صورةً سيِّئة السُّمعة لامرأةٍ شابَّة مع جُمجمة تحت عنوان: «عامِلة حرب في أريزونا تكتُب لصديقها في البحريَّة رِسالة شُكر على الجُمجمة اليابانيَّة التي أرسلها لها»[CXIV]. نشرَت الآن صورًا للديكور الداخلي القذِر لمنزِل «جين»، المليء بأكوام من مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيّة، ومجلَّات المُغامرات[CXV]. وكان «جين» مهووسًا بالعروض الجانبيّة الكرنفاليّة لقاتلٍ مُتسلسِل - القاتِل المُتسلسِل النادِر الذي كان مجنونًا حقًّا حتى

إنه لم يكُن من المُمكِن تقديمه للمُحاكمة. وذهب مُباشرةً إلى جناح الطب النفسي، دون أن يُمكِن لأحدٍ أن يعترِض على ذلِك.

ونمت مكانةُ «إد جين» مع مرور الوقت، ليس لشخصه بقدْر ما للأساطير التي نُسِجَت حوله. فأصبح مصدر إلهام لفيلم «ألفريد هيتشكوك» «سايكو» المُستوحى من رواية «روبرت بلوخ»، ودُمِجَ «جين» لاحقًا في الشخصيَّة المُركَّبة لـ «بافالو بيل»، القاتِل المُتسلسِل الخيالي الذي سلخ جلود ضحاياه في فيلم «صمت الحملان»، و«ليذر فيس» في فيلم «ذا تكساس شين سو ماسكارا». لكِنَّ «جين» نفسه، مع جريمتي قتل مؤكَّدتَين، لم يكُن حتى وقتٍ قريب قاتِلًا مُتسلسِلًا «بشكلٍ رسمي» بناءً على كلام أولئِك الذين يُصِرُّون على التعريف التقليدي لقتل «ثلاث ضحايا أو أكثر» التي يُحدِّد سمة القاتِل المُتسلسِل.

تُوفِّيَ «إدوارد جين» في 26 يوليو 1984، عن عُمرٍ يُناهِز «السابِعة والسبعين» عامًا، وهو نزيل هادئ ونموذجي في معهد «ميندوتا» للصحَّة العقليَّة في «ماديسون» بـ «ويسكونسن».

وكان اثنان من القتلة المُتسلسِلين المُعاصرين لـ «إد جين» أكثر دلالةً على تطوُّر القتلة المُتسلسِلين المُستقبليين، ومع ذلِك فقد ظلَّا، في الغالِب، في حواشي تاريخ القتل المُتسلسِل. ومع ذلِك، فإن قضيتَيهما تستحِقَّان الخوض في تفاصيلهما، لأنهما من نواحٍ عديدةٍ كانتا بمثابة نذيرٍ مُباشر لما سيحدُث في «السبعينيَّات».

«هارفي موراي جلاتمان» «قاتِل الفاتِنات» بـ «لوس أنجلوس» في الفترة بين 1957 – 1958

بحلول «خمسينيَّات» القرن «العشرين»، اندمج هيكل «لوس أنجلوس» الشبيه بالقرية في ثالِث أكبر مدينةٍ في الولايات المُتحِدة، وهي مدينة ضخمة حقًّا. كانَت «هوليوود» قبلة للسينما، واستقطَبَت مِئات الآلاف من المُريدين والأتباع والتلاميذ الباحثين عن الشُّهرة والثروة. وتمركَزَت صِناعة السينما في عدَّة استوديوهات كبيرة تُشبِه المصانِع، يخدمها آلاف المُقاولين المُستقلِّين من الباطِن، ومُقدِّمي الخدمات، والعُمَّال غير الرسميين. وأخذ التلفاز نصيبَه من الحضور السينمائي الوطني؛ الذي انخفض بشكلٍ كبيرٍ من ذروته التي بلغَت 96 مليون مُشاهدة أسبوعيًّا إلى 46 مليون مُشاهدة فقط بحلول عام 1956. ولم تكُن هُناك استجابة من استوديوهات السينما من حيث تقليص الإنتاج، بل صعّدت للأفلام الضخمة المُذهِلة ذات الشاشة العريضة والألوان البرَّاقة، مما جَذَب المزيد من الحُجَّاج الباحثين عن الشُّهرة والعمل في مصنَع أحلام «هوليوود».

وكانَت النساء الشابَّات الجميلات «وما زلن» العُملة المُتداولة في «هوليوود»، وتوافَد الآلاف منهُنّ إلى «لوس أنجلوس» لتجرِبة حظَّهن. على أمل أن يُكتشفن، ويرتقينَ إلى مرتبة النجمة «لانا تيرنر»، أو «ليز تايلور»، ولكِن حتى الحصول على عملٍ ثابتٍ في أدوارٍ مُتحدِّثةٍ صغيرةٍ كان بمثابة انتصارٍ على الصِّعاب. انتهى الأمر بمُعظَم الفتيات بالعمل في أعمالٍ أخرى؛ كنادِلات، أو عامِلات في المتاجِر، أو لعب أدوارٍ في الصالات إن امتلكنَ أي موهبة.

تمكَّنَت بعض الشابَّات المُكافِحات من أن يحظينَ بمكانٍ مُناسِبٍ في مجال «عرض الأزياء الفاتِنة»، والذي ترنَّح بين عرض الأزياء الشرعي للكتالوجات أو التقويمات، أو الإعلانات المحليَّة، إلى السوق الرماديَّة غير المشروعة «للتصوير الفوتوغرافي الفني»، حيث أعلَنَت النساء عن توفرهنّ مُقابِل أجرٍ بالساعة لـ «عرض الأزياء الفنيَّة»، و«دراسات الشكل» إما في «استوديو» مُرتجل، أو في منازلهن، أو حتى في مقرِّ العميل. حتى إن بعض الفتيات امتلكنَ كاميراتٍ وأفلامًا لإعارتها إلى «المُصوِّر»، إن لم يمتلِك مُعدَّاته الشخصيَّة. ولم تُطبَع العديد من الصور التي التُقِطَت قط، وتراوَحَت «عروض الأزياء» بين الظهور أمام المُصوِّرين الهُواة والمُحترفين المُكافحين، إلى جلسات تصوير الملابِس الداخليّة شِبه العارية، والتعري الفني، و«صور الإغراء»، وأحيانًا حتى الإباحيَّة الصريحة إن استعدَّت الفتاة للوصول إلى هذا الحد. وفي بعض الأحيان، تضمَّن «عرض الأزياء» الدِّعارة، خاصَّة إن توافقَت العارِضة مع الزبون.

كانَت «جوديث آن «جودي» فان هورن دول» إحدى تلك العارِضات، وعملَت تحت اسم «جودي فان هورن». بلغت «التاسِعة عشرة» من عُمرها في يونيو 1957، وكانَت أُمًّا لطِفلةٍ في الشهر «الرابع عشر» من عُمرها، وقد انفصلَت مؤخرًا عن زوجها «روبرت إل دول»، البالِغ من العُمر «اثنين وعشرين» عامًا، ويعمل في مطبعة الصُّحف.

وتمتَّعَت «جودي» بكُل مقاييس الجمال المُناسبة لـ «هوليوود»؛ فقد كانَت رشيقة القوام، وواسِعة العينَين كدُميةٍ صغيرة، بشعرٍ أشقر ذهبي. وبدت وكأنها نُسخة مُراهِقة أصغر سنًّا، وأكثر ليونة، وأشدّ نضارة من «مارلين مونرو». ومثل «مونرو»، كانَت «جودي» على استعدادٍ للظهور عاريَة – كما فعلت مُعظَم عارِضات الأزياء. لكِن زوجها، روبرت، لم يُوافِق على ذلِك، وفي يومٍ من الأيام، اختطف ابنتهما «سوزان»، أثناء تواجُدها في العمل، ورفض إعادتها. وتورَّطَت «جودي» بعدَها في معركة حضانةٍ مريرة ومُكلِّفة.

عاشَت «جودي» في شقَّةٍ في مبنى «إل ميرادور» التاريخي على ناصيَة شارِعَي «نورث سويتزر الشمالي»، وجادة «فاونتين» في غرب «هوليوود». حيث عاشَت «الشقراء الفاتِنة» «جين هارلو» في «ثلاثينيَّات» القرن «العشرين»، ولا يزال مُمثِّلون صاعِدون في مجال السينما يعيشون هُناك حتى الآن. شاركَت «جودي» المكان مع عارضتَي أزياء أُخرَيين هُما «بيتي روث كارفر»، البالِغة من العُمر «ثمانية عشر» عامًا، والتي وصلت لتوِّها من «فلوريدا»، و«لين ليكلز»، البالِغة من العُمر «اثنَين وعشرين» عامًا، والتي عملت في مجال عرض الأزياء لفترةٍ من الوقت. وانشغلت ثلاثتهن بشدّة، حيث اهتمَّت كُل واحِدةٍ منهنّ بعُملاء وحجوزات الأخريَيْن.

«جوني جلين»

في مساء يوم 30 يوليو 1957، كانَت «بيتي كارفر» بمُفردها في المنزِل مع صديقها المُصوِّر الفوتوغرافي، عندما طَرَق الباب زائِر غير متوقَّع. وقف هُناك شاب ذو وجهٍ شبيه بالسنجاب، وأذنَين كبيرتَين، ونظَّارات ضخمة. ستصِفه لاحقًا أنه كان في «التاسِعة والعشرين» من عُمره، طوله 5.9 قدم، ووزنه 68 كيلوجرامًا. هزيل الجسد، أبله، مُخيف قليلًا؛ لكِنه غير ضار.

قدَّم نفسه باسم «جوني جلين» أو «غلين في بعض المصادِر»، مُصوِّر تِجاري يبحَث عن «لين» رفيقتها في السكن، لمُهمّة تصوير «عاجِلة». وقال إنه عَمل معها من قبل. فشرحَت له «بيتي» أن «لين» قد سافرَت في جلسة تصوير، وأنه توجَّب عليه أن يتَّصِل أولًا قبل مجيئه.

اعتذر «جوني»، لكِنه سألها هل يُمكِنه إلقاء نظرة على ملفِّ «لين»، فقط للتأكُّد من أنها الأفضل للمُهِمّة؟ وفي ظلِّ وجود صديقها الشاب بالداخِل، لم تتردَّد «بيتي» في السماح للرجُل بالدخول إلى الشقَّة. وعندما عادَت «بيتي» ومعها الملف، أشار «جوني» إلى إحدى صور العارِضات المُعلَّقة في غُرفة المعيشة، وسألها: «هل لديكِ ملفَّها؟»

أجابته: «هذه «جودي فان هورن»، إنها ليسَت هُنا أيضًا، لكِنني سأحضِر لك ملفَّها».

لمعَت عيناه الشبيهتَين بعينَي البومة وهو يتصفَّح صور «جودي»، قبل أن يقول إنها كانَت بالضبط ما أراده لجلسة التصوير.

واتصل «جوني» في اليوم التالي، «الأربعاء»، لكِن «جودي» كانَت مسافرة لأداء جلسة تصوير.

وكان يوم الخميس 1 أغسطُس 1957 يومًا مُزدحِمًا بالنِسبة لـ «جودي». فقد كان لديها ثلاثة مواعيد في وقتٍ مُتأخِّرٍ من بعد الظهيرة والمساء؛ جلسة تصوير خارجيّة، ولِقاء مع زوجها المُنفصِل عنها بشأن ابنتهما، وعشاء مع صديقها.

اتصل «جوني جلين» في وقت الغداء، راغِبًا في حجزها لجلسة تصويرٍ عاجِلة بعد الظُّهر. لم يكُن لدَيه استوديو، لذا أراد تصويرها في شقَّتها. وعرض أجرًا يُعادِل عشرين دولارًا في الساعة، لمُدَّة ساعتَين – كيف لها أن ترفُض ذلِك؟

وَصَل «جلين» مُبكِّرًا قليلًا عن موعِدهما في «الثانية» ظُهرًا. وأخبرها عندها أنه تمكَّن من توفير استوديو، على بُعد «عشر» دقائِق فقط بالسيَّارة. وعندما ينتهيان، سيوصِّلها بنفسه إلى موعِدها التالي. تبادلَت «جودي» و«لين» النظرات. ولم تتذكَّر «لين» التصوير مع «جوني جلين»، لكِنها سَمِعَت اسمه في الاستوديو الذي عملت فيه، وبدا مألوفًا لها – بأذنَيه الكبيرتَين ونظَّارته. وهكذا أومأت لـ «جودي» برأسها أنه لا بأس بذلِك.

وافَقَت «جودي» على مضض. بينما جمعَت ملابِسها، بما في ذلِك ملابِسها اللازِمة لجلسة التصوير التالية، وطلبَت من «جلين» أن يُعطي رفيقتها في السكن رقم هاتفه بحيث يُمكِنها الوصول إليها. دوَّنَت «لين» رقم الهاتِف عندما خَرَج هو و«جودي» من الباب.

وكانَت تلك آخِر مرَّة رأى فيها أيُّ شخصٍ «جودي» على قيد الحياة.

وعندما لم تتمكَّن من الحضور إلى مواعيدها، انهالَت المُكالمات على الرقم الذي تركه «جوني جلين»؛ والذي اتَّضح أنه رقم هاتِفٍ عمومي في مرآب للسيَّارات. وفي اليوم التالي، نشرَت صُحف «كاليفورنيا» على صفحاتها الأولى مقالًا بعنوان: «عارِضة أزياء مُثيرة مفقودة في لوس أنجلوس». مع صورة ضخمة لـ «جودي» في الاستوديو. ولو استطاعَت «جودي» العودة من هذا الأمر، فإن نشر صورتها بهذه الطريقة كان بمثابة فُرصةٍ كبيرة في حياتها المهنيّة، لكِنها لن تعود.. لأنها ماتَت.

عُثِرَ على عِظامها بعد أربعة أشهُر، على بُعد 120 ميلًا، في الصحراء بين «ثاوساند بالمز» و«إنديو»، وقد ابيضَّت تمامًا، ونهشتْها الحيوانات، حتى إن أحدًا لم يتعرَّف عليها. وقدَّر الطبيب الشرعي المحلي أن الضحيَّة كانَت في مُنتصف «الثلاثينيَّات» من عُمرها، وأن عُمر عظامها لا يقِلُّ عن عام. وهكذا أُزيل اسم «جودي» من قائِمة الضحايا المُحتمَل ارتباطهنّ بالعِظام.

ستموت امرأتَين أُخريَين قبل أن يُقبَض على قاتِل «جودي».

واتضح أن «جوني جلين» ليس سوى «هارفي موراي جلاتمان»، البالِغ من العُمر «تسعةً وعشرين» عامًا، من «دِنفر» بـ «كولورادو»، وهو مُجرِم سابِق قضى عقوبة السجن بتُهمة الخطف والاعتداء. وكان «جوني» لا يزال بتولًا بعد ظُهر اليوم الذي اختطف فيه «جودي دول»، رغم سجلِّه العامِر بالاعتداء على النساء. وفي ليلة «الثلاثاء»، عندما ظَهَر لأول مرَّة عند باب الفتاتَين، خطَّط للتخلُّص من عُذريته باغتصاب «لين ليكلز» في شقّتها، لكِنه لم يتوقَّع أن لدَيها رفيقتَي سكن. وبمُجرَّد أن رأي ملف «جودي»، صبَّ كُلَّ رغبته واهتمامه عليها.

السنجاب

وُلِد «هارفي جلاتمان» في 10 ديسمبر 1927، في «نيويورك»، لأبوَين هُما «ألبِرت وأوفيليا جلاتمان»، وكلاهما موظَّفان في مجال تِجارة الملابِس. كانَت «أوفيليا» في «التاسِعة والثلاثين» من عُمرها عندما أنجَبَت «هارفي»، ولكِنها لم تُعانِ من أي مشاكِل غير عاديَّة أثناء الولادة. وأصيب «هارفي» بأمراض الطفولة المُعتادة، بما في ذلِك نوبة من السُّعال الديكي، واستئصال اللوزتَين. حاول «ألبرت» في هذه الأثناء فتح قرطاسيَّة في «نيويورك»، لكِنه فشل في سنوات الكساد. وفي عام 1937، أغلقَت عائِلة «جلاتمان» العمل، وانتقلوا إلى «دِنفر»، حيث تعيش شقيقة «أوليفيا». واستقرُّوا في منزلٍ متواضِع مكوَّن من طابقٍ واحدٍ في حي «مونتكلير»، 1123 شارِع كيرني. وعَمِل «ألبِرت» كسائِق لسيَّارة أجرة[(CXVI)].

ولم تظهَر أيٌّ من صدمات الطفولة أو سوء المُعاملة المعتاد، الذي كثيرًا ما يُبلِّغ عنه القتلة المُتسلسِلون بشكلٍ مُتكرِّرٍ وواضحٍ في طفولة «هارفي»، ولكِن قيل إن والِدَه كان صارِمًا، وغالبًا ما رَفَض طلباته، في حين كانَت والِدته شديدة الحِماية، ومُتساهِلة للغاية مع ابنها، وستظل كذلِك حتى تضع النهاية المريرة أوزارها.

اعترفَت «أوفيليا» فيما بعد بشيءٍ غير عادي ومُثير للقلق بشأن ابنها؛ وهو هوسه باللعب بالحبل، والأعضاء التناسُليّة، والاستمناء. وكان في الثالِثة أو الرابِعة من عُمره عندما ضبطته وهو يربِط خيطًا موصلًا بمِقبض الباب حول قضيبه. ولطالما وبَّخه والِداه بشأن استمنائه المُتكرِّر. وبحلول الوقت الذي أصبَح فيه «هارفي» في «الثانية عشرة» من عُمره، كان قد طوَّر دافِعًا خطيرًا للجمع بين الاستمناء والاختناق بالشبق الذاتي – والمعروف شعبيًّا باسم «اللهاث»، أو ««الاختناق الذاتي»، و«تسارع الرأس»، و«السكتة الدماغية»، و«الاختناق بالوشاح»». وهي مُمارسة غير مألوفة بشكلٍ استثنائيٍّ لدى المُراهقين من الذكور والإناث على حدٍّ سواء[(9)]. فقد اعتاد «هارفي» الاستحمام بماءٍ دافئ، والدخول إلى حوض الاستحمام، وربط حبلًا

بالصنبور، وخنق نفسه ببطءٍ ليمنع إمدادات الأكسجين، ليدفع بنفسه في حالةٍ من النشوة أثناء استمنائه. وفي أحد الأيام، لاحظ والداه أثرًا عميقًا لحبلٍ حول عنقه، ففزِعا من فورهما، وأخذاه فورًا للحصول على المُساعدة المُتخصِّصة. وأخبرهما الطبيب أنه سيتخلَّص من تلك العادة السيِّئة، لكِنه لم يفعل ذلِك قط.

وفقًا للمُحلِّل السابِق لمكتَب التحقيقات الفيدرالي «روي هازلوود»، واصَل «جلاتمان» مُمارسة الاختناق بالشبق الذاتي في مرحلة البلوغ، وجمعها مع ربط النفس، والتخنُّث[CXVII]. علمًا بأن الجمع بين هذه الاضطرابات الجنسيَّة ليس بالأمر غير المُعتاد.

اتسم «هارفي» بالذكاء، وأبلى حسنًا في المدرسة، لكِنه تحلَّى بالخجل بشكلٍ مؤلمٍ كذلِك. ورغم أنه لم يتعرَّض للتنمُّر، إلا أنهم لقَّبوه في المدرسة بألقابٍ مثل «السنجاب» أو «ابن عرس». كما أنه لم يُواعِد أي نِساء؛ فقد وصفته والِدته بأنه «يخجَل من الفتيات»، وذكرَت أنه اعتاد عبور الشارِع بدلًا من السير بجوار الفتيات. لكِن بخلاف ذلِك، بدا «هارفي» ظاهريًّا وكأنه مُراهِق مُنضبِط بشكلٍ لا بأس به، حيث ذهب في نزهات الكشَّافة، وعمل في سلسلةٍ من الوظائِف بعد المدرسة.

سيعترِف «هارفي» لاحقًا بحياة الإثارة السريَّة التي بدأ يُمارِسها في سنِّ «السابِعة عشرة». ومثل «ويليام هيرينز»، بدأ «جلاتمان» يتجوَّل ويقتحِم شُقق النساء العزباوات. وأصبَح فجأة عدوانيًّا وعدائيًّا بشكلٍ غير عادي تِجاه الفتيات في المدرسة، إلى أن حصل على مُسدَّسٍ في إحدى عمليات السطو التي ارتكبها، وهكذا تصاعَد الأمر إلى مُهاجمة النساء في الشوارِع.

في ليلة 4 مايو 1945، في «دِنفر»، ارتكب «هارفي جلاتمان»، البالِغ من العُمر «سبعة عشر» عامًا، أول اعتداءٍ معروف له على «إيولا جو هاند»، البالِغة من العُمر «سبعة عشر» عامًا. وكانَت في طريق عودتها إلى منزِلها بالحافِلة من السينما، واستقل «جلاتمان» نفس الحافِلة. وعندما نزلت منها في محطَّتها، على بُعد حوالي نصف مبنًى من منزِلها، تبِعها «جلاتمان»، وألصَق مُسدَّسه بظهرها، وأجبرها على الدخول إلى الفِناء الخلفي، حيث قيَّدها وكمَّم فمَها. ثُم ضربها بقوَّةٍ على رأسها بمقبض المُسدَّس، وسرق نقودها من حقيبتها. قبل أن يخلع عنها سُترتها، ويتحرَّش بها. وعندما ظَهَر شخصٌ ما، هرب «جلاتمان» فورًا. ورغم أنها لم تكُن تعرِف اسمه، إلا أنها تعرَّفَت عليه كطالبٍ في المدرسة الثانويَّة التي ارتادتها.

وبعد أسبوعَين، في 18 مايو، أُلقِيَ القبض على «جلاتمان»، ووُجِّهَت إليه تُهمة السطو المُسلَّح. وامتلكَت الشُّرطة تقارير عن عدَّة اعتداءات، وعمليات سطو مُماثِلة، لكِنها لم تتمكَّن من ربطها به بشكلٍ قاطعٍ. دفعَت «أوليفيا» كفالة قدرُها «ألفا» دولار، وأعادته إلى المنزِل.

وفي 15 يوليو، أثناء خروجه بكفالة، استقلَّ «جلاتمان» حافِلة لمُدَّة «خمسٍ وأربعين» دقيقة شمالًا إلى «بولدر». وأثناء عودة «نورين لوريل» البالِغة من العُمر «أربعةً وعشرين» عامًا، وهي أم لطفلَين، من السينما، أجبرها «جلاتمان» تحت تهديد السلاح على الدخول في زقاقٍ مُظلِم، حيث قيَّدها وكمَّم فمَها، ثُم سار بها على بُعد عدَّة أميال خارِج حدود مدينة «بولدر» إلى سفوح التِلال. واحتجزها هُناك طوال الليل، وداعبَها، لكِنه لم يغتصِبها. وفي الصباح، سرق نقودها، واستقلَّ سيَّارة أجرة، وأمر السائِق بإنزاله في محطَّة الحافِلات،

واصطحَب «لوريل» إلى منزلها. قبل أن يُلقى القبض عليه بعد يومَين في «دِنفر» ويعود إلى «بولدر»، حيث وُجِّهَت إليه تُهمة السطو المُسلَّح. ومرَّة أخرى، دفعَت «أوليفيا» كفالته، وهذه المرَّة خمسة آلاف دولار، ولكِن «جلاتمان» هَرَب منها بمُجرَّد إطلاق سراحه. وبعد بضعة أيام.. أمرَت المحكمة باحتجازه لتقييمه في مصحةٍ نفسيّة، وأفاد التقييم النفسي الذي أجراه الدكتور «جي. بي. هيلتون»:

«جاء «هارفي جلاتمان» لرؤيتي لأول مرَّة في أغسطُس 1945، عندما كان في «السابِعة عشرة» من عُمره. وفي ذلِك الوقت، تمتَّع بتاريخٍ من الإصابة بكدماتٍ في عُنقه بسبب ربط حبل حوله. كما كان مُتجهِّمًا، وكئيبًا، وعديم الاحترام، ولعدَّة سنوات.. شَعَر أن الجميع ضدّه؛ بما في ذلِك والدَيه. تحلَّى بالخجل مع الفتيات قبل العام الماضي، قبل أن يتغيَّر سلوكه تمامًا، ويُصبِح عدوانيًّا مع النساء»[(CXVIII)].

تزوَّجَت «إيولا جو هاند»، أول ضحايا «جلاتمان»، بعد فترةٍ وجيزة من الاعتداء، وعندما حان وقت تقديمه للمُحاكمة، طلبَت منها «حماتها» رفض الإدلاء بشهادتها لأن ذلِك سيُمثِّل «إحراجًا شديدًا» للعائِلة. وفي هذه الأثناء، قُبِضَ على «جلاتمان» للمرَّة الثالِثة في «سبتمبِر»، ومرَّة أخرى بتُهمة التحرُّش بالنساء وتقييدهن[(CXIX)].

وأخيرًا، حوكِم «جلاتمان» في «ديسمبر»، وحُكِم عليه بالسجن لمُدّةٍ تتراوَح بين عام وخمس سنواتٍ بتُهمة السرقة، ولكِن أُطلِق سراحه بعد ثمانية أشهُر في يوليو 1946، حيث قيل عنه بأنه «سجين نموذجي» شاب، ومُطيع، ومُتعاوِن. ادَّعَت «أوليفيا» فيما بعد أن الأطِبَّاء النفسيين أوصَوا برحلةٍ خارِج الولاية، والالتحاق بدروسٍ في الرقص، لزيادة ثقته مع الفتيات. وبينما بقيَ «ألبِرت» في «دِنفر»، اصطحبَت «أوليفيا» «هارفي» إلى «يونكرز» بـ «نيويورك»، حيث اشترى «هارفي» على الفور سكينًا ومُسدَّسًا لعبة ذا مظهرٍ واقعي.

وفي 17 أغسطُس 1946، واجه «جلاتمان» امرأةً كانَت تسير في الشارِع دون أن يُدرِك أن صديقها قادم خلفها. وأثناء المواجهة، جرح «جلاتمان» صديقها بسكِّينِه وفرَّ هاربًا.

غادَر «جلاتمان» على الفور «يونكرز» إلى «ألباني» بـ «نيويورك»، حيث هاجَم ثلاث نِساءٍ في الشارِع وسَرَق حقائبهن، في فورةٍ استمرَّت لمُدَّة يومَين. وقُبِضَ عليه يوم 27 أغسطُس. ونظرًا لأن الشاب «جلاتمان» ظَهَر بمظهر الشاب المُعتدِل المُهذَّب، فقد خُفِّفَت تُهم السرقة من الدرجة الأولى، إلى السرِقة. وعلَّق المُدعي العام بأنه أظهر إمكانيَّة إعادة تأهيله. وفي أكتوبر 1946، أقرَّ جلاتمان بذنبه، وحُكِم عليه بالسجن لمُدَّةٍ تتراوَح بين خمس وعشر سنوات في النِّظام الإصلاحي لولاية «نيويورك».

وحَصَل «جلاتمان» على تقاريرٍ إيجابيَّةٍ عن سلوكه وتقدُّمه كسجين، وسُجِّل في برنامج إصلاح الراديو والتِّلفاز. وفي 16 أبريل 1951، بعد أن قضى خمس سنوات في السجن، أُفرِج عنه إفراجًا مشروطًا، وخَضَع للمُراقبة حتى سبتمبر 1956. وعاد إلى «دِنفر» ليعيش مع والِديه.

عام 1952، توفِّيَ «ألبِرت»، وترك له سيَّارة «دودج كورونيت سيدان» سوداء اللون، طِراز عام 1961، وهي السيَّارة التي ستُصبِح أداةً رئيسيَّة في جرائِمه. واستمرَّ في تلقي دورات في إصلاح أجهِزة التلفاز أثناء

عمله في سلسِلةٍ من الوظائِف العرضيَّة. وفي عام 1954، انتقل إلى شقّته الخاصَّة بعد صعوباتٍ غير مُحدَّدة مع والِدته، التي ساعدته في دفع الإيجار، إن لم يكفِ أجر عملِه بدوامٍ جُزئي.

مجلَّة «بيزار»

بدا أن هارفي على استعدادٍ للابتعاد عن المشاكِل. لكِنه كَتَب سرًّا عن أوهامه ونزواته القهريَّة من خلال استهلاكه لطفرة ما بعد الحرب من الأدوات الجنسيَّة الجديدة في شكل قصص مُصوَّرة، وصور، وقصص، وبكرات الأفلام الـ 8مم، ومجلَّات العبوديَّة الجنسيَّة عن طريق البريد، أنتجها فنَّانون مثل «جون ويلي»، مُحرِّر مجلَّة «بيزار»؛ والناشِر «إيرفينج كلاو» من «نوترِكس». وأصبحَت «بيتي بيج»، ولا تزال حتى يومِنا هذا نجمة وملكة هذه المنشورات.

خُصِّصَت هذه المنشورات للتوزيع عبر البريد، ولم تكُن هُناك أي صورٍ عارية، أو صور جنسيَّة صريحة، لتجنُّب إثارة حفيظة مُفتّشي البريد. وظهرَت العارِضات مُرتدِياتٍ ملابِس داخليّة، وجوارِب، وأحذية «أنيقة» بشكلٍ مُبالَغ فيه، وظهرنَ كذلِك مُكمَّمات، ومُقيَّدات بأربطة حِبال معقودة بإتقان، أو قيود جلديَّة مصنوعة خصِّيصى. وأعلَنَت منشورات «نوترِكس» الخاصَّة بـ «إيرفينج كلاو» عن مجموعات صور: 114 صورة عبوديّة، مقاس 4×5 مُقابِل 42 دولارًا؛ و26 صورة للصفع على المؤخِّرة مُقابِل 9.5 دولار؛ و160 صورة مُختلِفة لقِتال فتيات، مُقسَّمة إلى ثلاث قتالاتٍ مُختلِفة بمُعدَّل 10 صور قِتال مُقابِل 2.5 دولار، و36 صورة مُقيَّدة ومُكمَّمة؛ و26 صورة مُقيَّدة، لكِن غير مُكمَّمة؛ و40 صورة مُختلِفة بالكعب العالي؛ و26 صورة مُختلِفة لأحذيةٍ طويلةٍ ذات أربِطة تصِل إلى الرُّكبة لـ «ماريا ستينجر» المُهيمِنة في سروالٍ فضيٍّ لامِع «وتُمسِك بسوطٍ في العديد منها» ...

وبمعايير «السبعينيَّات» و«الثمانينيَّات»، أو حتى بمعايير اليوم، كانَت الصور مُثيرة بشكلٍ ساذج، رغم موضوع العبوديَّة. في حين غاب الرِّجال في الغالِب عن الصور. وكما هو الحال في مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة، غالبًا ما نظرَت العارِضات خارِج الصفحة إلى الكاميرا، لينظُرن في عينَي المُشاهِد.

تضمَّنَت مجلَّات «كلاو» للعبوديَّة نوعَين أساسيَّين من السيناريوهات. فهُناك مشاهِد العبوديَّة الخجولة والمَرِحة حيث كانَت الموافقة ضمنيَّة، التي صُوِّرَت في غُرَف المعيشة وغُرف النوم، ارتدَت فيها العارِضة المُبتسِمة ملابِس داخلية جنسيَّة مُبالَغ فيها، وأحذيةً ذات كعبٍ عالٍ للغاية. لتوصِّل رسالة مفادها أنها جاءت مُرتديةً ملابِسها لتلعب «ألعاب» العبودية الخياليَّة عن طِيب خاطِر بمحض إرادتها. وغالبًا ما حدث تطوُّر مِثلي الجنس بينها وبين أنثى أخرى تُهيمِن على العارِضة الخاضِعة في قيودها.

أما النوع الآخر من السيناريوهات، فقد تضمَّن موضوع اختطافٍ أكثر قتامة؛ وظهرَت العارِضات الخائِفات مُكمَّمات ومُقيَّدات أيضًا بحبالٍ وقيودٍ مُعقَّدةٍ، ولكِن في الأقبية أو مخازِن المُستودعات، ترتدِين غالبًا ملابِس العمل الرسميَّة والأحذية العادية، وأُلقينَ على أرضية مستودَع قذِرة، مُقيَّدات أو مُكبَّلات إلى عمودٍ في القبو، وملابسهنّ في حالةٍ من الفوضى، بتنانير مرفوعةٍ فوق جواربهنَّ المصنوعة من النايلون، وسيقانهن عارية حتى رباط الجورب.

اشترى «جلاتمان» مُعدَّات تصوير، وأضواءً، وبدأ يبحث عن عارِضات أزياء ليلتقِط لهنّ صورَ عبوديَّةٍ خاصَّة به. وكانَت طريقته الأولى هي توظيف عارضتَين في نفس الوقت، وجعلهما تربط كلٌّ منهما الأخرى. وبهذه الطريقة، من وجهة نظره، ستشعُر كلتاهُما بالأمان. وسُرعان ما بدأ «جلاتمان» يُدرِك أن مطالِبه لم تكُن غريبة، أو غير اعتياديّة بالنسبة للعارِضات، وحتى في «دِنفر»، لم تعترِض الكثيرات على تكميمهنّ وتقييدهنّ. وتمثَّلَت مُشكِلته الوحيدة أنه لم يشعُر بالإثارة من النساء اللاتي تظاهرنَ بأنهُنّ مُقيَّدات بخضوع؛ وأراد منهُن أن يكُنّ في حالة عبوديةٍ فعليَّة، وفي حالة خوف وفزع حقيقِيَّين، تحت سيطرته الكامِلة والفعليَّة.

وفي 7 سبتمبر 1956، أكمَل «هارفي جلاتمان» مُدَّة إطلاق سراحه المشروط، وأصبَح الآن حُرًّا تمامًا من المُراقبة. وبعد مُلاحظته لوجود عنوان المُرسِل في «لوس أنجلوس» للعديد من الصوَر التي طلبها عن طريق البريد، توجَّه إلى «هوليوود» لبدء حياةٍ جديدة.

وفي «لوس أنجلوس»، وَجَد «جلاتمان» عددًا كبيرًا من عارِضات الأزياء المُستعِدَّات تمامًا لتقييدهنّ وتكميم أفواههنّ في أوضاعٍ تمثيليَّة؛ لكِنه أراد ذلِك بشكلٍ حقيقي. وكانت هُناك مُشكِلة أخرى، لقد بلغ «جلاتمان» «التاسِعة والعشرين» من عُمره، «تقريبًا متوسِّطَ العُمر الذي يقتل فيه القتلة المُتسلسِلون الذكور للمرَّة الأولى»، لكِنه لا يزال بتولًا. وهكذا عزم على تجرِبة «الجماع» الفِعلي «المُصطلح الوحيد الذي استخدَمه في مُقابلته مع الشُّرطة». وكان سيُمارِسه بالقوَّة، في سيناريو العبوديَّة المهووس به.

وهكذا انتهى به الأمر إلى الاتصال بـ «لين ليكلز»، قبل أن يستقر في نهاية المطاف على رفيقتها في السكن «جودي دول» بدلًا منها.

مقتل «جودي دول»

بعد اصطحاب «جودي»، أوصلَها «جلاتمان» إلى الاستوديو الخاص به في شقَّته في شارِع «ميلروز»، حيث جهَّز كاميرته الـ «روليكورد ف/ 3.5 متوسِّطة الحجم وبعض الأضواء. وكانَت الكاميرا التي استخدمها نُسخةً استهلاكيّة رخيصةً من كاميرا «روليفلِكس» الاحترافيّة المُتطوِّرة، لكِن الكثير من العارِضات لم يعرِفنَ ذلِك، أو «لم يهتممنَ». كما تعلَّم «جلاتمان» أيضًا كيفيَّة تحميض صورِه وطِباعتها بنفسه، حيث أنشأ غُرفةً مُظلِمة في غُرفة غسيله، لأنه لم يكُن سيُخاطِر بأخذ صوره إلى الصيدليّة لتحميضها وطباعتها.

أخبرها «جلاتمان» أنه مُكلَّف بتصوير غلاف مجلَّة تحقيقات حقيقيّة. وأنه سيحتاج لتقييدها، وتكميم فمِها، ووضعِها في مجموعةٍ مُختلِفةٍ من الملابِس الرثَّة، ورفع تنُّورتها تدريجيًّا إلى الأعلى فوق خصرها، وكشف ملابسها الداخليّة والأربِطة والجوارِب. واختار من خزانة ملابسها تنورةً ذات ثنيات، وسُترة من الكشمير، على أن ترتدي تحتها جوارِب من النايلون مُكشكشة، ومُثبَّتة بحزام ربط، وحذاء مفتوح من الأمام. وأمرها بالوقوف بخوفٍ وخضوع، مثل جميع العارِضات اللاتي يظهرنَ على أغلِفة مجلَّات التحقيقات الحقيقيَّة.

وبعد أن قيَّد يدَيها خلف ظهرِها وكمَّمها، أجلسها على كُرسي بذراعَين، والْتقط لها سلسِلة من الصُّور التي تظاهَرَت فيها «جودي» بالخوف والضيق. كما ربط ساقَيها، في البداية فوق الكاحلَين مُباشرة. وبينما انهمك

في الْتقاط الصور، سحب تنَّورتها إلى الأعلى، وربط ساقَيها بحبلٍ آخرَ فوق رُكبتَيها مُباشرة. ثُم خلع تنورتها، ووضع وجهها أرضًا، والْتقط المزيد من الصور.

ومن المُحتمَل أن «جودي» كانَت على درايةٍ بأغلِفة مجلَّات التحقيقات الحقيقيَّة، وصُور العبوديَّة الجنسيَّة، ورُبما حتى أنها صُوِّرَت مثل هذه الصور بعدسات مُصوِّرين آخرين. وغالبًا ما نُشِرَت الصُّور التي الْتقطها لها «جلاتمان» على الإنترنِت، مع مجموعةٍ من صُور عبوديَّة الاختطاف الأكثر صعوبةً لعارِضة أزياء شقراء تُشبِهها، وقد ظهرت في مخزن، وفي خزانة ملابِس مُختلِفة. وظهرَت في إحدى الصُّور وهي مُقيَّدة عارية الصدر على شكل حرف «إكس». وتزعُم المواقِع الإلكترونيَّة بغباءٍ أن تلك الصُّوَر من بين الصوَر التي الْتقطها «جلاتمان» لها. بينما في الواقِع، كان «جون ويلي» مُصوِّر الأفلام الجنسيَّة «جون ويلي» في مجلَّة «بيزار» هو الذي الْتقطها ونشرها. ومع ذلِك، رُبما كانَت هذه العارِضة هي نفسها «جودي». فقد كان الشَّبَه بينهما لافِت للنظر، رغم أن مظهر «مارلين» الأشقر الناعِم الذي اتَّسَمَت به «جودي» كان هو المظهر الذي اختارته العديد من الفتيات في تلك الحقبة. ولكِن إن ظهرَت «جودي» بالفعل في صُوَر العبوديَّة التي الْتقطها «جون ويلي»، فقد يُساعِد ذلِك في تفسير سبب سماحِها لنفسها بأن يُقيِّدها مُصوِّر لم تلتقِ به إلا قبل ساعةٍ واحدة فقط. وروى «جلاتمان» في اعترافاته كيف أصبحت «جودي»، بعد مرور بعض الوقت، غير مرتاحة ومُضطرِبة وقَلِقة بشكلٍ مُتزايد، وكيف أثاره ذلِك. وعندما بدأ يُداعِبها، تجاوَز الخط المِهني بين المُصوِّر وعارِضة الأزياء. وعندها فقط بدأت تخشى أن تكون في خطرٍ حقيقي.

أخرَج «جلاتمان» مُسدَّس «براونينج 32.»، وهدَّدها به، وأخبرها أنه سيحتفِظ بها لفترةٍ من الوقت، و«سيمرح» معها. وبينما استلقَت «جودي» بلا حولٍ ولا قوَّة، أشارَت له بأن ينزع عنها الكمامة، ثُم أكَّدَت له أنها ستُوافِق على كُلِّ ما يُريده. لم يكُن هُناك حاجة لإيذائها؛ فقد اقتصرَت أسوأ مخاوِفها على أن يكتشِف زوجُها هذا الأمر، ويُثيره في جلسة الاستماع القادِمة بشأن الحضانة. وأكَّدَت له أنها لن تُخبِر أحدًا بما حدث. لكِن «جلاتمان» كان قد بدأ لتوِّه.

أبقاها مُقيَّدةً أرضًا. وذَهَب إلى المطبخ، وأكل تفَّاحة، وشَرِب كوبًا من الماء مُستمتِعًا بمنظر المرأة المُقيَّدة أرضًا وهي تُناضِل. وفي نهاية المطاف، فكَّ وثاقَها، وأمرَها بخلع ملابسها، ثُم اغتصبها مرَّتَين على الأريكة، وأخيرًا.. فقد عُذريَّته بعد طول انتظار. كان لا يزال يختبِر حدود خيالاته. وبينما أثارته النساء المُقيَّدات والمُكمَّمات، إلا أنه فكَّ قيودهنَّ لإكمال الفعل الجنسي، ورُبما لا يزال يختبِر ويُجرِّب الانتقال بين تخيُّلاته وتحقيقها في الواقِع. وغالبًا ما تكون هذه هي الطبيعة الدوريَّة التي تُسبِّب إدمان القتل المُتسلسِل، وهي مُحاولة مُستمِرَّة لإتقان وتضييق الفجوة بين الخيال والواقِع، وبين عدم الاكتفاء والإنجاز.

وبعد اغتصابها، بذلَت «جودي» قصارى جُهدها لتتحلى بالهدوء والتماسُك، مُذكِّرةً «جلاتمان» مُجدّدًا بأن الشيء الوحيد الذي يُثير قلقَها هو معرِفة زوجِها بهذا الأمر. وأخبرته مرارًا وتكرارًا أنه إن تركَها تذهب، فلن تنطق بكلمةٍ عمَّا حدث للتوّ.

وفقًا لاعترافاته، شعر «جلاتمان» بالتردُّد حيال ما سيفعله معها. لم يكُن القتل جُزءًا من خيالاته؛ التي اقتصرَت على تقييد النساء، وتكميمهنّ، ووضعهنّ تحت سيطرته المُطلَقة. اقتربَت الساعة الآن من السادِسة مساءً، وعَرَف أنها قد فوَّتَت مواعيدَها. ولا بُد أنهم يتَّصِلون الآن بالرقم المُزيَّف الذي أعطاه لـ «لين ليكلز». وفي حين أراد تصديق أنها لن تنبس ببنت شفة، إلا أنه لا يستطيع ضمان صمت الآخرين. وكان أكثر ما أثار خوفَه هو أن يُقبَض عليه، ويعود إلى السجن مرَّةً أخرى، ليس من أجله، بقدْر ما قد يفعله ذلِك بوالِدته التي وثقت به.

ليس من الواضِح بالضبط متى قرَّر «جلاتمان» أن يقتُلها بدمٍ بارد. فقد جلسا بهدوءٍ على الأريكة من الساعة السادِسة مساءً، وحتى الساعة الحادية عشرة مساءً كزوجَين مُتفاهِمَين، شاهدا التلفاز ريثما انتظر «جلاتمان» حلول الظلام. لا نعرِف تحديدًا ما شاهداه، لكِن في ذلِك المساء، تضمَّنَت البرامِج التليفزيونيَّة التي عُرِضَت على الهواء في منطِقة «لوس أنجلوس» «كوين أوف ذا جانجل»، و«آموس أند آندي»، و«ذا ليتل راسكالز»، و«ذا ميكي روني شو»، و«ذا لون رينجر»، و«ذا بيست أوف جروتشو»، و«دراجنيت»، وأفلام «جادج هاردي تشلدرن» مع «ميكي روني»، و«نايت سونج» مع «دانا أندروز»، و«كونكويست» من بطولة «جريتا جاربو».

وعندما حلَّ الظلام، أخبرَها بهدوءٍ أنه سيصحبها إلى الصحراء، وسيتركها هُناك بعد أن يترُك لها أجرة الحافِلة، وسيفرُّ هو هاربًا. لم تكُن مُتحمِّسة للفكرة؛ لكِنها لم تمتلِك خيارًا آخرَ. قاد بها السيَّارة بشكلٍ عشوائيٍّ إلى الصحراء، وأوقفها في طريقٍ تُرابي بعيد. جلب بطَّانية، وبعض الحبال، وسار بها إلى الصحراء، ويداها مُقيَّدتان خلف ظهرها، وأخبرَها أنه يُريد مُمارسة الجنس مرَّة أخرى قبل أن يترُكها لحال سبيلِها.

فرد البطانيَّة على الأرض، ووضعها عليها، ووجهها للأسفل. ربط كاحليها معًا بحبلٍ واحد، ثُم أخذ حبلًا طوله خمسة أقدام، وربطه حول كاحليها، ثُم شدَّه عليه بقوَّة، وثنى ساقَيها إلى الخلف عند الرُّكبة، قبل أن يلف الطرف الآخر من الحبل بسُرعةٍ حول عُنقها. وأدى شدّها لساقَيها في مُحاولة التحرُّر من قيدِها إلى تضييق الحبل حول عنقِها؛ وكُلما قاوَمَت أكثر، كُلما ازداد شدُّ الحبل. ومع ضعفِها، وتوقُّفها عن المُقاوَمة، تراخى شدُّ الرباط. وَضَع «جلاتمان» رُكبتَه في ظهر «جودي»، وسحب الحبل بقوَّة للقضاء عليها. وذَكَر لاحقًا أن الأمر استغرق حوالي من خمس إلى عشر دقائِق قبل أن تتوقَّف عن الحركة. وقال إنه لم يُطلِق النار عليها لأنه اعتقد أن ذلِك سيكون «فوضويًّا للغاية» كما أنه شعر بالقلق بشأن ترك أدلَّة مقذوفات خلفه.

وبمُجرَّد أن اعتقد أنها قد ماتَت، فكَّ جميع الحِبال، ووضعَها في جيبِه، حتى لا يترُك دليلًا وراءه. وبعد ذلِك، حفر قبرًا ضحلًا بيدَيه، ودَفَن «جودي دول» في الصحراء.

وهكذا، فقد «هارفي مواري جلاتمان» البالِغ من العُمر «تسعةً وعشرين» عامًا عُذريَّته أخيرًا.

والآن.. أراد المزيد!

مقتل «شيرلي بريدجفورد»: «فتيات.. فتيات.. فتيات»

رغم الصخب والصِراخ الفوري في وسائِل الإعلام حول اختِفاء «جودي دول»، إلا أن أحدًا لم يتعرَّف على «جوني جلاتمان» الغامِض ذي الأُذنَين الكبيرتَين. فقد كان «جلاتمان» ذكيًّا. فبعد جريمة القتل، ترك شقَّته، وعاد إلى «دِنفر» ليتوارى عن الأنظار لبضعةِ أشهُرٍ في منزِل والِدته قبل أن يعود إلى «لوس أنجلوس». ورغم أنه لا يُمكِنه فعل أي شيءٍ حيال أذنَيه الكبيرتَين، إلا أنه غيَّر نظَّارته، وأطلَق شارِبه.

كما غيَّر أسلوبه أيضًا. بعد أن لاحظ إعلانًا مبوَّبًا لخدمة مُواعدة تُدعى «قلوب تسكُنها الوحدة»، شعارها: «فتيات.. فتيات.. فتيات.. اتصلوا بنادي «باتي سوليفان» للتعارُف». وأطلَق على نفسه عندها اسمًا جديدًا – «جورج ويليامز» – وذهب لمُقابلةٍ شخصيَّة في مكتب نادي «باتي سوليفان» في شارِع «جنوب فيرمونت»، مُدَّعيًا أنه سبَّاك أعزَب ثري يعيش في «باسادينا». ومنحهم اسمه المُزيَّف، ورقم هاتف مُزيَّف، وعنوانًا مُزيَّفًا، ودفع رسومًا قدرها عشرة دولارات، ودون التأكُّد من أيٍّ من هذه المعلومات، سلَّمته خدمة المواعدة اسمَي، ورقمَي هاتف لامرأتَين مُطلَّقتَين كانتا قد سجَّلتا لديهم مؤخرًا.

شكَّل الموعِد الأول الذي ذهب إليه «جلاتمان» كارِثة. فقد كانَت رفيقته سكرتيرة في «هوليوود» في «السادِسة والعشرين» من عُمرها، وأمًّا لطفلٍ وحيد. أُعجِبَت به على الفور، بأُذنَيه الضخمَتَين وكُل شيء. أجلسته على أريكتها، وأغدقت عليه بالعطف والحنان، وأحضَرَت له الشاي، والبسكويت، والقهوة، والكعك، وثرثرت معه وضحكَت بغنج، وبحلول نهاية الأمسية، وجدت نفسها مُستعِدَّة للانفراد به في غُرفة نومِها. أخبرته أنها تُحِب الرجُل الذكي، الذي يُجيد استخدام يدَيه، تمامًا مثل السبَّاك. ووَجدها «جلاتمان» مُخيفةً للغاية، حتى إنه خرج مُسرِعًا من شقتها، وهو لا يزال يُمسِك بفنجان القهوة في يده. لقد تمتَّعت هذه المرأة بكُلِّ ما لم يصْبُ إليه.

قالَت لاحِقًا عن موعِدها مع «جلاتمان»: «لقد وجدتُه لطيفًا للغاية، ورجلًا نبيلًا ومُهذَّبًا». وأنها شعرَت بقليلٍ من الانزعاج لأنه لم يتَّصِل بها مرَّة أخرى.

بينما كان موعِده الثاني مع «شيرلي آن لوي بريدجفورد»، البالِغة من العُمر «أربعة وعشرين» عامًا، وهي مُطلَّقة من «صن فالي»، وأم لولدَين صغيرَين. وكانَت قد سجَّلَت لتوّها في خدمة المواعدة بعد إلحاحٍ من صديقتها. اتصل بها «جلاتمان»، ودعاها للذهاب للرقص في «صن فالي رانشو»، وهو نادٍ لرُعاة البقر، وقاعة حفلات حضريَّة على بُعد ميلٍ ونصف من مكان إقامتها. بدا لها الأمر مُمتِعًا، فقد كان هذا أول موعِد غرامي لها منذ أكثر من عامٍ كامل.

ولهذه المُناسبة، اختارَت «شيرلي» فستانًا باللونَين الأزرق والأخضر، مشدودًا عند الخصر بحزامٍ عريضٍ بإبزيمٍ عريض، وجوارِب مَخِيطة، وحذاءها المُفضَّل ذا الكعب العالي الأسود من جلد الغزال. وبما أن الجوَّ كان بارِدًا في شهر «مارس»، فقد استعارَت معطف والِدتها الطويل الداكِن، ذا الأزرار الكبيرة المُسطَّحة. كما استعارَت من شقيقتِها زوجًا من الملابِس الداخلية الحمراء الزاهية المُثيرة.

سيُثار الكثير من الضجَّة حول تلك الملابِس الداخلية الحمراء، والتي أصبَحَت مِفتاحًا أساسيًّا في التعرُّف على رفات «شيرلي». وكان ذلِك بمثابة مُقدِّمة للموقِف الذي ستتعرَّض له العديد من الضحايا الإناث في

العقود القادِمة حيث أصبَح «اختلاطهنّ الجنسي» هو التفسير لسبب اغتصابهن، وقتلهن، وتشويههن.

ويوم السبت الموافِق 8 مارس 1958، قرع «جلاتمان» جرس منزِل «شيرلي» في شارِع «تكسفورد»، حيث عاشَت مع والِدتها وأبنائها. امتلأ المنزِل بالأشخاص الذين انتظروا لإلقاء نظرةٍ على «هارفي». فقد كان هُناك ابناها اللذان بلَغا من العُمر ثلاثَ وخمس سنوات؛ ووالِدتها التي تُجالِسهما، وشقيقتاها؛ وزوج إحدى هاتَين الشقيقتَين. وتحدَّثوا معه لمُدَّة «خمس عشرة» دقيقة تقريبًا ريثما استعدَّت للخروج.

وصفوه بأن طوله لا يقلُّ عن ستَّة أقدام، بعينَين زرقاوَين، لكِن والِدتها لم تتمكَّن فيما بعد من التعرُّف على صوره. وعلَّقوا بأنه بدا مُتحفِّظًا بعض الشيء، لكِنه لطيف. وارتدى سُترةً زرقاء، وسروالًا رماديًّا، ولاحظَت إحدى الشقيقتَين أنه قد بدا رثًّا بعض الشيء. واتفقنَ جميعًا على شيءٍ واحد: أنه امتلك أُذنَين ضخمتَين.

وبينما غادَرَت مع رفيقها، طلبَت «شيرلي» من والِدتها رُبع دولارٍ من أجل السجائِر.

وكانَت تلك آخِر مرَّة رآها فيها أحد وهي على قيد الحياة.

ولهذه المُناسبة، حزم «جلاتمان» بعض الماء والحلوى في سيَّارته، من أجل رحلتهما النهائيَّة إلى الصحراء. وبمُجرَّد أن ركبا سيَّارته، سألها عمَّا إن كانَت تُمانِع في عدم الذهاب إلى الرقص، والذهاب بدلًا من ذلِك في جولةٍ تحت ضوء القمر على الساحِل لتناوُل العشاء. فوافقَت. ووجدها مُطيعةً بشكلٍ مُناسِب. وقال في اعترافاته إنهما توقَّفا لتناوُل العشاء، ثُم تبادلا القُبلات وتداعَبا في سيَّارته في موقَف سيَّارات المطعم. وعندما حاوَل مُضاجعتها، اعترضَت وطلبت منه أن يُعيدها إلى منزِلها. ودون أن تُدرِك «شيرلي» ذلِك في البداية، قادها «جلاتمان» بدلًا من ذلِك في الاتجاه المُعاكِس، جنوب شرق مُقاطعة «سان دييجو». وعندما اكتشفَت أنه لم يكُن يقودها إلى منزلها، بدأت في الاحتجاج، أوقَف السيَّارة إلى جانِب الطريق، واغتصبها تحت تهديد السِّلاح في المقعد الخلفي. وبعد ذلِك، خَرَج بسيَّارته بشكلٍ عشوائيٍّ إلى مُتنزَّه «أنزا – بوريجو ستيت» الصحراوي، حيث صفَّ سيَّارته في مكانٍ مُنعزل، وأخرَج مُعدَّات التصوير، والبطانيَّة، والحِبال، والكمامات، ثُم قادها إلى الصحراء. حيث قيَّدها وتحرَّش بها أثناء انتظاره لبزوغ الفجر حتى يحظى بإضاءةٍ أفضَل لصوره. ذكَّرته «شيرلي» بأنها أمٌّ لطفلَين، فأكَّد لها أنه لن يؤذِيَها. ومع شروق الشمس، أعد كاميرته، وصوَّرها في مراحلَ مُختلفةٍ من العبوديَّة. ثُم ربطها بنفس الطريقة التي ربط بها «جودي دول»، وربط كاحلَيها المُربوطَين بحبلٍ ملفوفٍ بإحكام حول عنقها، وشاهدها وهي تختنِق حتى الموت في ضوء الفجر بين أحضان الصحراء.

صرَّح «جلاتمان» فيما بعدُ أنه شعر بـ «الأسف» عليها، وندم على قتلِها بسبب طفلَيها، ولأنها لم تكُن «جميلة» مثل الفتيات الأخريات، ولا «تستحِق» الموت. لكِنه لم يكُن مُستعدًّا للعودة إلى السجن، وبالتالي.. «اضطُرَّ» إلى قتلِها.

لفَّ جُثتها في معطف والِدتها، ومزَّق أزراره، خشيَة أن يكون قد ترك بصمات أصابعه عليها. قبل أن يترُكها هُناك تحت شجرة «جوشوا»، لكِنه أخذ رُبع الدولار الذي أعطته لها والِدتها.

اعتُقِلَ بعد سبعةِ أشهُر، وتمكَّن من إرشاد الشَّرطة إلى جُثتها. وبعد المشي لمسافةٍ طويلةٍ في الصحراء، عثروا على معطفٍ داكِن اللون، وبعض العظام المُتناثِرة في الأرجاء، وحذاء، وبقايا فُستان باللونَين الأزرق والأخضر. لم يتبقَّ من «شيرلي بريدجفورد» سوى أقلِّ القليل. وعندما رفعَت الشُّرطة المعطف، عثروا على زوجٍ من الملابِس الداخليَّة الحمراء، التي ستتعرَّف عليها شقيقتها لاحقًا. ورغم اعترافه باختطاف ضحاياه، وتقييدهن، وتكميمهن، وتصويرهن، واغتصابهن، وقتلهن، إلا أنه أنكر تمامًا تجريدَها من سروالها الداخلي. وأصرَّ على أن الأمر انتهى بملابسها الداخليَّة داخِل معطفها بسبب «فعل طبيعي، أو حيوانات، أو ما إلى ذلِك.. أفهم أن هُناك ذئابًا.. أو أيًّا كان نوع تلك الأشياء في تلك المنطِقة.. ورُبما تكون قد التهمَت الجُثَّة، أو شيء من هذا القبيل».

يشعُر القتلة المُتسلسلون بالحساسية تجاه الأشياء الغريبة. فقد قال «إدموند كِمبر»، الذي اعترف باختطاف، وقتل، وقطع رءوس ضحاياه من الإناث، إنه اعتذر لإحدى ضحاياه بينما طعنها؛ عندما لامَسَت يده صدرها عن طريق الخطأ. وأخبر الشُّرطة أنه لم «يلمس» أيًّا من ضحاياه قطُّ بشكلٍ غير لائِق؛ على الأقل.. ليس وهُنَّ على قيد الحياة.

مقتل «روث ميركادو»: «كانت هي التي أحببتُها حقًّا».

شقَّت «روث ريتا ميركادو»، البالِغة من العُمر «أربعة وعشرين» عامًا، طريقها من «نيويورك» إلى «لوس أنجلوس» بحثًا عن الشُّهرة والثروة، ولكِنها تمكَّنَت من البقاء على قيد الحياة بفضل عملِها كراقصةِ تَعَرٍّ تحت اسم «أنجيلا روخاس»، والترويج لنفسها كعارضة أزياء تمتلِك استوديو خاصًّا؛ مُتاحًا للمُصوِّرين المُحترفين والهُواة على حدٍّ سواء. وعاشَت في شقَّة في 3714 غرب جادة بيكو، وخصَّصَت الغُرفة الخلفيَّة من شقَّتها كـ «استوديو». رأى «جلاتمان» إعلانها في الصحيفة، واتَّصَل بها. وحدَّدا موعدًا للِقاءٍ في وقتٍ مُتأخِّر من مساء يوم 22 يوليو. وحَزَم الخُبز وزبدة الفول السوداني والفاكِهة والحلوى والماء والحبل والبطَّانيات، قبل أن يتوجَّه إلى منزِلها، ولكِن عندما ظَهَر «جلاتمان» عند باب منزِلها، ألغَت «ميركادو» الموعِد باعتذار، مفاده أنها ليسَت على ما يُرام. وفي هذه الأثناء، حفظ «جلاتمان» أرقام أبواب الشقَّة والشارِع.

عاد في اليوم التالي، الموافِق 23 يوليو 1958، ولكِن هذه المرَّة.. دون سابِق إنذار.

صفَّ سيارته على بُعد عدَّة مبان، وسار إلى شقَّتها، وقد دسَّ مُسدَّسه، وبعض الحِبال، وكمامة قماشيَّة، وزوجًا من قُفَّازات غسل الصحون المطاطيَّة الحمراء في جيبه. فقد كان «جلاتمان»، كما يقولون، على درايةٍ بالطب الشرعي.

تفاجأت «ميركادو» برؤيته، لكِنها تعرَّفَت عليه كعميلٍ مُحتمَلٍ من الليلة السابِقة، وسَمَحت له بالدخول. أغلَق «جلاتمان» الباب، ثُم أخرَج مُسدَّسه. وأمرَها بالدخول إلى غُرفة نومها، ثُم كمَّمها، وقيَّد يدَيها، وساقَيها، وداعبها لفترةٍ من الوقت. قبل أن يفكَّ وثاقها، ويغتصِبها على السرير «أو على الأقل ادَّعى أنه فكَّ وثاقها».

كانَت الساعة 11:30 مساءً الآن. وأخبرها «جلاتمان» أنه يُريد الاحتفاظ بها لفترةٍ أطول قليلًا، ويأخُذها في رحلةٍ بالسيَّارة من أجل التنزُّه ومزيدٍ من الجنس. أمرَها بارتداء ملابِس الخروج، وسرق منها حوالي عشرين دولارًا، ثُم خرج بها تحت تهديد السلاح في «جادة بيكو» المهجورة إلى سيَّارته، قيَّد يدَيها خلف ظهرها، لكِنه غطَّاها بمعطفٍ علَّقه على كتفَيها. وقاد سيَّارته في نفس الاتجاه الذي سلكه مع «شيرلي بريدجفورد»، باتجاه مُتنزّه «أنزا – بوريجو» الصحراوي. وتوقَّف على طول الطريق، عدَّة مرَّات، لتناوُل شطيرة، ومُداعبة ضحيته، واغتصابها مرَّة أخرى.

أبقاها أسيرةً في الصحراء طوال اليوم التالي. وفي نهاية المطاف، فَرَد بطانيَّته، وربطها مثل الأخريات، والتقط لها صورًا، ثُم خنقها بنفس الطريقة. لكِنه لم يبذُل أي جُهدٍ يُذكَر لإخفاء جُثتها. ثُم أخذ جواربها، وقميصها، وساعة يدِها، وهويتها كتذكارات، قبل أن يعود إلى «لوس أنجلوس» في ساعات الصباح المُبكِّر مع مجموعةٍ جديدةٍ من الصور. وقال «جلاتمان» لاحقًا: «لم تُعانِ كثيرًا. لم أكُن أرغَب في قتلِها، فقد كانَت هي التي أحببتُها حقًّا، لكِن كان بإمكانها التعرُّف عليَّ».

كان مالِك العقار هو أول من لاحظ غيابها بعد عدَّة أيام، وأبلغ الشُّرطة بذلِك. ونظرًا لأنها عاشَت بمُفردها، وعملت بشكلٍ مُستقلٍّ كراقصةِ تَعَرٍّ، وعارِضة أزياء، لم يكُن هُناك أي خيوطٍ أو مُشتبه بهم في اختفائها. وبسبب مِهنتها، لم يُطلِق غيابها أي أجراس إنذار، ولوحِظَ اختفاؤها، دون أن يحظَ بأي أولويَّةٍ كبيرة. ولم يُذكَر ذلِك في الصُّحف حتى مثلما حدث في حالتي اختفاء «جودي دول»، و«شيرلي بريدجفورد».

الاعتقال

استجاب «جلاتمان» الذي أطلَق على نفسه اسم «فرانك جونسون» لإعلانٍ خاصٍّ باستوديو «ديان» في 5353 جادة سانسِت، عن إتاحة عارِضات للمُصوِّرين الخاصِّين والمُحترفين بأسعار الساعة. وحَجَز «ديان» نفسها لعدَّة جلسات مُقابِل 22.5 دولار لاستخدام الاستوديو، بالإضافة إلى 15 دولارًا في الساعة لأداء المُهِمّة.

اعتقدَت «ديان» أنه غير مؤذٍ، ولكِنه مُخيف للغاية، وأثار نفورها من حالته التي ازدادَت سوءًا ورائِحة جسده الكريهة. وعندما ظَهَر في الاستوديو الخاص بها في حوالي الساعة الثامِنة مساءً، يوم الاثنين 27 أكتوبر، راغبًا في حجز جلسةٍ معها، لكِنها لم ترغب في القيام بذلِك. ومع ذلِك، توفَّرَ لديها عارِضة جديدة من أجله، وكان الاستوديو مُتاحًا إن رغب في تصويرها. ووافق «جلاتمان».

اتصلَت «ديان» بـ «لورين فيجِل»، البالِغة من العُمر «ثمانيةً وعشرين» عامًا، وهي سكرتيرة جميلة ذات عيونٍ لوزيَّة تطلَّعت إلى التوسُّع في مجال عرض الأزياء. وسألتها إن كانَت مُهتمَّة بالعمل في الاستوديو في تلك الليلة؟ سيأتي المُصوِّر إلى منزلها ويصحبها. ووافقَت «لورين»، وقبل أن تُنهي المُكالمة، حذَّرتها «ديان» قائِلة: «قد لا يكون ذلِك شيئًا مُهِمًّا، لكِنه مُخيف نوعًا ما. لذا انتبهي لنفسك.. اتفَّقنا؟»

سُرعان ما ظَهَر «فرانك جونسون» عند بابها. طلبَت «لورين» رؤية هويته، لكِنه أخبرها أنه تركها في المنزِل. ولأنها لم ترغَب في خسارة الـ 15 دولارًا، وافقَت على مَضضٍ على مُرافقته إلى الاستوديو. بدا الرجُل

أشعثَ، وقذرًا، ومُخيفًا بالفعل، بنظارته الكبيرة وأذنَيه البارزتَين، لكِن بخلاف ذلِك لم يكُن مؤذِيًا. طلبَت تقاضي أجرِها مُقدَّمًا. ففتَّش في جيوبه، وأخرَج ورقة من فئة العشرة دولارات، وأخبرها أنه سيحصُل على فكَّة للخمسة دولارات الأخرى التي يَدين لها بها. أخبرت «لورين» مالِك عقارها أنها ذاهِبة لجلسة تصوير في استوديو «ديان» وأعطته العنوان، وتأكَّدَت من أن المُصوِّر سمعها تُخبره بذلِك. وظنَّت أن هذا بمثابة «بوليصة تأمين» على حياتها.

وبمُجرَّد أن أصبحوا على الطريق، أخبر«ديان» بأن لدَيه حجزًا آخر في الاستوديو، وأنهما سيذهبان بالسيَّارة إلى مكانٍ آخر في «أناهايم»، على بُعد حوالي أربعين دقيقة. ورغم أن حدسها حذَّرها من أن هُناك شيئًا ما غير طبيعي، إلا أنها كانَت بحاجةٍ إلى الـ 15 دولارًا، ولم ترغَب في تخييب ظنِّ الوكالة في أول مُهِمّةٍ يُكلِّفونها بها، وهكذا.. وافقَت على مضض.

وبينما قاد السيَّارة على طريق «سانتا آنا» السريع جنوبًا باتجاه «أناهايم»، تحدَّث عن مُهِمّة التصوير، وكيف يأمُل أن تتصدَّر الصورة غلاف مجلَّة. ولكِن بمُجرَّد اجتيازهما لطريق «أناهايم»، التزم «جلاتمان» الصمت بشكلٍ خطير. الآن.. أصيبَت «لورين» بالذُّعر. وبدأت تُفكِّر في القفز من سيَّارته، لكِنها تحرَّكَت بسُرعةٍ كبيرة. وعندما وصلا إلى «توستين»، أخذ «جلاتمان» مُنعطَفًا جانبيًّا، وتوقَّف على جانِب الطريق. أخرَج مُسدَّسه، وهدَّد بقتلِها إن لم تمتثِل لأوامِره. وعندما حاوَل تقييد يدَيها خلف ظهرها، أدرَكَت أنه وَضَع المُسدَّس جانبًا، وبدأت تُقاوِمه. صارعته داخِل السيَّارة، بينما جذبها من معصمها، وقبض على حلقها، ولكمَها في وجهها. لكِنه لم يتمكَّن من توجيه ضربةٍ قاضية إليها. أمسَك مُسدَّسه، لكِن لورين قاومته بضراوة. انطلقَت رُصاصة من فوَّهة المُسدَّس أثناء الصِّراع، واخترقَت تنورتها، وخدشَت فخذها. وفوجئ «جلاتمان» بالطلق الناري، بينما انتهزَت «لورين» الفُرصة، وفتحَت الباب وبدأت تركُض. وسُرعان ما لحق بها «جلاتمان»، وعرقلها على جانِب الطريق. مرَّت السيَّارات بمصابيحها الأماميّة المُضاءة بالقُرب من الزوجَين المُتصارعَين أرضًا، لكِن أحدًا لم يتوقَّف، باستثناء ضابِط دوريَّة الطُّرق السريعة في «كاليفورنيا» «توماس فرانسيس موليجان» الذي كان في طريقه إلى المركز في نهاية مناوبته. لفتَت السيَّارة المتوقِّفة جانبًا ببابها المفتوح وضوئها المُضاء انتباهه. وعندما قاد درَّاجته النارية بالقُرب منها، لمح رجلًا وامرأةً يتصارعان أرضًا. وبينما استدار بدرَّاجته، وتوقَّف خلف السيَّارة، تحرَّرَت المرأة من قبضة الرجُل، وركضَت نحوه.

انتهى الأمر بالنِّسبة لـ «جلاتمان»، وقُبِضَ عليه في مكان الحادِث.

احتُجِزَ «جلاتمان»، وسُلِّم إلى مُحقِّقي إدارة شرطة مُقاطعة «أورانج» في «سانتا آنا» لاستجوابه. وقرَّر المُحقِّقون أن عملية الاختطاف بدأت في «لوس أنجلوس»، لذا بلَّغوا قِسم وإدارة شرطة «لوس أنجلوس».

ولاحظ المُلازِم «مارفِن جونز» من شرطة «لوس أنجلوس» عنوان «جلاتمان»، وأدرَك أنه قريب من عنوان «روث ميركادو» المفقودة. وبناءً على حدسه، أضاف اسم «شيرلي بريدجفورد» إلى الاسمَين، وأرسَل اثنَين من مُحقِّقيه إلى «سانتا آنا» لاستجواب المُشتبه به المُعتقَل. كان أحدهما هو الرقيب المُحقِّق في شرطة

«لوس أنجلوس»، «بيرس بروكس»، وكانَت هذه هي الطريقة التي انخرَط بها للمرَّة الأولى في قضية «هارفي جلاتمان» وجرائِم قتل الفاتِنات.

أسطورة «بيرس بروكس» وبرنامج القبض على المُجرمين العنيفين

غالبًا ما تتطرَّق روايات قضية «جلاتمان» إلى قصَّة «بيرس بروكس»، وفكرته لما سيُصبِح فيما بعد برنامج القبض على المُجرمين العنيفين – وهو عِبارة عن قاعِدة بيانات وطنيّة لجرائِم العُنف، وخصائِص قضاياها، تهدف إلى مُطابقة وربط القضايا المُتشابِهة عبر ولايات قضائيَّة مُتعدِّدة إلى جانٍ واحدٍ مُهاجر. رُبما يكون كِتاب «من يُحارِب الوحوش» الذي ألَّفه الراحِل «روبرت ريسلر» عن مسيرته المهنيَّة في مكتب التحقيقات الفيدرالي في تحديد سِمات القتلة المُتسلسِلين، (الذي شارَك في تأليفه مع توم شاختمان)، هو مصدَر الأسطورة. وفي تبسيطه لقصَّة «بيرس بروكس»، كَتَب «ريسلر»: «كان «بروكس» هو الرجُل الذي كُلِّفَ بالتحقيق في جريمتَي قتل شابتَين في المنطِقة، لم يكُن بينهما أي صِلة على ما يبدو». ووفقًا لـ «ريسلر»، فقد توجَّب على «بروكس» الذهاب إلى المكتبة، وقراءة روايات الصُّحف عن جرائِم قتل مُماثِلة في ولاياتٍ قضائيَّةٍ مُختلِفة، لمعرِفة ما إن تطابقَت أي جرائِم قتل أخرى مع أسلوب القاتِل الذي يعتقِد أنه يُطارِده، وأن هذا أدى في النهاية إلى إدانة «جلاتمان»، الذي اعترف بارتكاب جرائِم القتل بمُجرَّد مواجهته بالأدِلَّة(CXX).

ووفقًا للقصَّة، في عصرٍ لم يكُن فيه أحد يفهَم أجهزة الحاسوب، وما يُمكِن أن تفعله، اقترح «بروكس» نظامًا حاسوبيًّا شبكيًّا يربط بين مُختلِف السُّلطات القضائيَّة للشرطة، بحيث يُمكِن من خلاله مُقارنة خصائِص الجرائِم الفرديَّة، وربط بعضها ببعض، من أجل التغلُّب على ما يُعرَف باسم «عمى الربط» – وهي مُشكِلة شاقَّة بالنسبة للتحقيقات مُتعدِّدة الوكالات/ مُتعدِّدة السُلطات القضائيَّة. (وهي مُشكِلة حديثة تعود إلى أحداث 11 سبتمبر، في ظلِّ عدم وجود اتصالات مُقارنة بين مكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة). ورُفِض رؤساء «بيرس» المُنتمون للمدرسة القديمة المُناهِضة للتكنولوجيا فكرته، وظلَّت الفكرة راكِدةً دون استخدام لمُدَّة خمسةٍ وعشرين عامًا حتى «بلاء القتلة المُتسلسِلين» في «الثمانينيَّات»، عندما حَصَل «بيرس» على منحةٍ من وزارة العدل، وتعاون مع وحدة العلوم السلوكيَّة التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي لإنشاء برنامج «ا. مـ. عـ» أو على الأقل.. هكذا تقول الأسطورة.

وهناك هذا السطر الحواري الرائِع في فيلم «جون واين»، و«جيمي ستيوارت ويسترن»، «الرجُل الذي أطلَق النار على ليبرتي فالنس»: «هذا هو الغرب يا سيِّدي. عندما تُصبِح الأسطورة حقيقيَّة، نطبعها».

بسَّط «ريسلر» القصَّة في شكلها الأسطوري، حتى إنني طبعتها كما سمعتها منه في كِتابي الأول عن تاريخ جرائِم القتل المُتسلسِل، «القتلة المُتسلسِلون: طريقة الوحوش وجنونها».

أشار «مايكل نيوتِن» في كِتابه «الحبل: الحياة الملتوية وجرائِم هارفي جلاتمان» إلى أن أحدًا لم يُحقِّق في أيٍّ من جرائِم القتل قبل اعتقال «جلاتمان». ولم يعرِف أحد أن «جودي دول»، و«شيرلي بريدجفورد»، و«روث

ميركادو» قد قُتِلنَ حتى قُبِضَ على «جلاتمان» أثناء مُحاولته اختطاف «لورين فيجِل»، واعترف بعد ذلِك. وصُنِّفَت جميعها كقضايا أشخاصٍ مفقودين، ولم يُشارِك فيها «بروكس» كمُحقِّقٍ في جرائِم القتل.

وعندما أجرى «بروكس» مُقابلة مع «جلاتمان» في نهاية المطاف، تعلَّق الأمر باختطاف «شيرلي بريدجفورد»؛ وارتباط قتلِها بجريمة الاختطاف. خضعَت جرائِم القتل للمُحاكمة في المُقاطعة التي ارتُكِبَت فيها، وفي حالة «جلاتمان»، ارتُكِبَت جريمة قتل «جودي دول» في مُقاطعة «ريفرسايد»، وجريمتا قتل «شيرلي بريدجفورد»، و«روث ميركادو» في مُقاطعة «سان دييجو». وأحيلَت مُقاطعة «لوس أنجلوس»، حيث وقعَت عمليات الاختطاف، ومُقاطعة «أورانج»، حيث قُبِضَ على «جلاتمان»، إلى مُقاطعة «سان دييجو» ليُحاكَم على ارتكاب جريمتَي القتل هُناك[(CXXI)]. «لم تُنظَر جريمة قتل جودي دول رسميًّا قط بمُجرَّد إدانته في سان دييجو».

يقترِح «نيوتن» أن «ريسلر» رُبما كان يُشير إلى شيءٍ مُختلفٍ بجُملة «جريمتي قتل شابَّتَين تبدوان غير ذات صلة» يُحقِّق فيهما «بروكس»، أو أن قضية «جلاتمان» قد ألهمته فيما بعد لاقتراح شبكة المعلومات. على أي حال، صحيح أنه بعد رفضِ اقتراحه، نحَّاه جانبًا لما يقرُب من خمسةٍ وعشرين عامًا إلى أن عاد إلى الحياة في «الثمانينيَّات» عندما حَصَل على منحة، ودخل في شراكةٍ مع مكتب التحقيقات الفيدرالي، وأدلى بشهادته أمام الكونجرس، داعيًا إلى ما سيُصبِح فيما بعدُ برنامج القبض على المُجرِمين العنِيفين.

اعتراف موثَّق بالصور

بعد إلقاء القبض عليه، اعترف «هارفي جلاتمان»، ووَصَف بتفاصيلٍ مُفيدةٍ للغاية جرائِم قتل «دول»، و«بريدجفورد»، و«ميركادو». وقاد الشُّرطة إلى الموقِع الدقيق بالقُربِ من «إنديو» حيث عُثِرَ على عظامٍ مجهولة الهوية في ديسمبر السابِق، مما أدى أخيرًا إلى التعرُّف على «جودي دول» بشكلٍ قاطع. كما أرشَد الشُّرطة إلى رفات «بريدجفورد»، و«ميركادو» على طرفَي مُتنزَّه «أنزا – بوريجو» الصحراوي في مُقاطعة «سان دييجو». واضطرَّ مرَّتَين إلى أن يطلُب من الشُّرطة البحث في صندوق أدواتٍ معدني في مرآب شقَّته في شارِع «نورتون»، قبل أن يعثروا على الصور الفوتوغرافيَّة الاثنتَين والعشرين، بالأبيض والأسود، والصور الملوَّنة الشفَّافة لضحاياه الثلاث، والتي أخفاها.

وبعد اعتقال «جلاتمان»، وردَت عشرات الاستفسارات من أقسام الشُّرطة بشأن جرائِم قتل أخرى مُحتمَلة. وأجابهم «جلاتمان»: «ألا يكفيكُم ثلاثُ جرائِم قتل؟» وبينما اعترف بحُريَّة بارتكابِ جرائِم القتل الثلاث، أنكر بشدَّةٍ ارتكاب أي جرائِم قتلٍ أخرى، بل ووافَق على الخضوع لاختبارات جِهاز كشف الكذب، والتي لم تُظهِر أي دليلٍ على الخِداع.

ورغم إلحاح والِدته، رَفَض «جلاتمان» ادِّعاء الجنون، وأصرَّ على الإقرار بالذنب، وقبول حُكم الإعدام. تكتَّمَت الشُّرطة على وجود صُوَره، لكِن بعد أن حُكِمَ عليه بالإعدام في 17 ديسمبر 1958، أصدَر المُدَّعي العام لمُقاطعة «سان دييجو» ثلاث صُور للصحافة. ونشرَت الصُّحف في جميع أنحاء البلاد الصُّور المروّعة

للنِّساء المُقيَّدات على صفحاتها الأولى؛ حتى إن مجلّة «تايم» الرصينة نشرَتها. ولم يسبِق لأحد، بخلاف القتلة المُتسلسِلين الآخرين، أن رأى مثلها في سجلَّات جرائِم القتل. وفي نهاية المطاف، تسرَّبَت عدَّة صُور أخرى لضحاياه، وما زالَت متداولة حتى اليوم على الإنترنِت بشكلٍ فاضح.

انتفضَت العدالة بسُرعةٍ في تلك الأيام. وفي 18 سبتمبر 1959، أي بعد أحد عشر شهرًا من اعتقاله، أُعدِمَ «جلاتمان» في غُرفة الغاز بسجن ولاية «سان كوينتين» بسبب جريمتَي القتل اللتَين ارتكبهما في مُقاطعة «سان دييجو».

وعندما سَمِعَت والِدته «أوفيليا» بجرائِمه، قالَت: «يا إلهي المجيد! ليس ابني! فلطالما كان جيِّدًا للغاية، ويُمكِن الاعتماد عليه! ولم يؤذِ أحدًا قط!» وعندما تُوفِّيَت في عام 1968، تركَت هبةً بقيمة عشرة آلاف دولار أمريكي لجامِعة «دِنفر» لـ «تخليد ذكرى ابني هارفي»: منحة «هارفي مـ. جلاتمان» التذكاريَّة لطُلَّاب شُعبة المُحاسبة. وفي عام 2006، بعد أن كُشِفَ أن الجامِعة تمنَح منحةً دراسيّة باسم قاتِل مُتسلسِل، غيَّرَت جامِعة «دِنفر» اسم المنحة إلى منحة «أوفيليا جلاتمان» التذكاريَّة[(CXXII)].

مجهولة «بولدر»: «دوروثي جاي هاورد»

أحد الأشياء غير المُنتهيَّة في قضية «جلاتمان» هي مسألة ما إن كانَت مجهولة «بولدر»، التي عُثِرَ عليها مقتولة في «بولدر كانيون» في 8 أبريل 1954، هي إحدى ضحاياه.

عثر المُتنزِّهون على المرأة الشابَّة، مُجرَّدةً من كامِل مُتعلقاتها باستثناء ثلاثة دبابيس شعر. كان قاتِلها قد ضربها ضربًا مُبرحًا، ونهشتها الحيوانات حتى إنه لم يكُن من المُمكِن التعرُّف عليها، ولكِن تُشير التقديرات إلى أن جُثَّتها كانَت هُناك لمُدَّة أسبوع على الأقل. لا يُمكِن تحديد سبب الوفاة على وجه الدِقَّة سوى أنها نتيجة «صدمة» – ولكِن من المُحتمَل أن يكون ذلِك بسبب صدمة قويَّة. وظَهَر على أحد معصمَيها أثر لعلامة ربط. تبنَّى مُجتمع «بولدر» الضحيَّة الشابَّة، وجَمَع المال لدفنها. وستُعرَف باسم «مجهولة بولدر» للسنوات الخمس والخمسين التالية.

ومن خلال البحث الدءوب، والمُقابلات التي أجرتها مؤرِّخة «بولدر»، «سيلفيا بيتيم»، ومُحقِّق مكتب شريف المُقاطعة، «ستيف أينسورث»، تعرَّفوا على مجهولة «بولدر» في عام 2009 – بعد خمسة وخمسين عامًا من اكتشاف رفاتها – على أنها «دوروثي جاي هوارد» البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، وهي مُراهِقة قَلِقة، ومُضطرِبة، ومتزوِّجة مرَّتَين، من «فينيكس» بـ «أريزونا». لكِن كيف ولماذا انتهى بها المطاف في «بولدر»؟ لا يزال هذا لُغزًا.

ولكِن بعد التعرُّف على هويَّة الضحية، بالَغ «بيتيم» و«أينسورث» عندما خلُصا إلى أن «جلاتمان» قتلها. وعندما استُخرِجَت جُثتها في عام 2004، في مُحاولةٍ جديدةٍ للتعرُّف عليها، اكتُشِفت إصابتها بكسرٍ في الرُّكبة، وأن هذا الكسر لم يُذكَر في تقرير التشريح الأصلي. وقد ألهمَت الطريقة التي هرَبت بها «لورين فيجِل» من سيَّارة «جلاتمان» بمعصمٍ واحدٍ مُقيَّد، «أينسورث» لقياس ارتفاع مصدِّ سيَّارة «دودج

كورونيت» طراز 1951 وهو نفس الطراز الذي قاده «هارفي»، إلى ارتفاع رُكبتِه. وقد تطابَق، رغم تطابُقه مع بعض طرازات السيَّارات الأخرى كذلِك. وتكهَّن «أينسورث وبيتيم» بأنه رُبما كانت الضحيَّة، مثل «فيجِل»، قد هَربَت من سيَّارة «جلاتمان» في «بولدر»، فدهسها. ومما زاد من تأجيج هذه التكهُّنات هي إجابته الغريبة أثناء مُقابلة الشُّرطة معه في «كاليفورنيا» عندما سُئِلَ عمَّا إن كانَت أيٌّ من النساء اللاتي صوَّرهُن في «كولورادو» قد ماتَت، فأجاب: «لا، إلا إذا دُهِسنَ».

أشارَت «بيتيم» إلى أن «جلاتمان» عندما قاد ضحاياه إلى المواقِع الصحراوية التي سيقتُلهن فيها، حَرصَ بشدَّة على ربط أيديهنَّ خلف ظهورهن. هل هذا لأنه في عام 1954، تمكَّنَت «دوروثي هوارد» من الفرار من سيَّارته؟

وبالفعل، استُجوِبَ «جلاتمان» في العديد من القضايا التي لم تُحَل بما في ذلِك قضية مجهولة «بولدر»، واثنتَين أخريَين من منطِقة «دِنفر – بولدر». وبينما اعترف «جلاتمان» بسهولةٍ بجرائِم القتل الثلاثة في «كاليفورنيا»، أنكر بشدَّةٍ قتل أي ضحايا أُخريات. لقد اجتاز جهاز كشف الكذب. صحيح أن تلك الأجهِزة يُمكِنها أن تكون غير موثوقة، وصحيح أن القتلة المُتسلسِلين في بعض الأحيان يتمتَّعون بمقياسِ قِيَم غير مفهوم لما سيعترِفون به، أو لا يعترِفون به. لكِن من المُحتمَل أنه من أجل والِدته، لم يرغَب في الاعتراف بقتل النساء أثناء إقامته معها.

ولكِن في النهاية، لا يوجَد دليل قاطِع على أنه قتل «دوروثي هوارد»، وأحيانًا ما تُوسِّع «بيتيم» روابِط الأدِلَّة أكثر مما ينبغي. على سبيل المثال، تدَّعي في كِتابها المُمتاز «ابنة شخصٍ ما: البحث عن العدالة للمجهولات»، أن علامات الربط التي تظهَر في صور تشريح الضحية، تُشبِه بشكلٍ لافتٍ للنظر العلامات التي تُرِكَت على الجُثث الثلاث للنِساء اللاتي قتلهنَّ لاحقًا في «كاليفورنيا»[(CXXIII)]. ومع ذلِك، لم يُعثَر على أي علامات ربطٍ على معصم «جودي دول»؛ ولم يُعثَر كذلِك على أي شيءٍ منها سوى العِظام. كما أن وجود علامة ربط على المعصَم على ضحية اختطاف مقتولة ليس أمرًا غير مُعتاد إلى حدٍّ كبير. وعلاوة على ذلِك، عُثِرَ على «دوروثي هوارد» بدون أيٍّ من ملابسها. أما ضحايا «جلاتمان» فقد عُثِرَ على جميع ضحايا «جلاتمان» بملابسهن التي كانَت جُزءًا من الخيال المُميَّز الذي انخرط فيه. كما أنه لم يُعثَر على مخبأ للملابِس النسائيَّة بين مجموعة تذكاراته بعد اعتقاله.

وفي حين أنه من المعقول تمامًا، أن يكون «جلاتمان» قد قتل «دوروثي هوارد» في عام 1954، إلا أنه لا يُوجَد دليل قاطِع على ارتكابه لتلك الجريمة.

طواطِم التصوير الفوتوغرافي والطُّرق السريعة للموت

ومن نواحٍ عديدةٍ، كان «جلاتمان» علامة على الأشياء القادِمة في عالم القتل المُتسلسِل. فقد كان الأول من بين أجيالٍ من القتلة المُتسلسِلين المُستقبليِّين الذين سيلتقِطون صورًا فوتوغرافيَّة، وصورَ بولارويد، ومقاطِع فيديو لضحاياهم، أحياءً وأمواتًا، «يحتفِظون» بها للأبد لأنفُسهم.

ويرجَع ذلِك جُزئيًّا إلى عاملٍ تكنولوجي؛ حيث أصبَحت القُدرة على مُعالجة الصور الفوتوغرافيّة، وطِباعتها في غُرف التحميض المنزليَّة أسهَل في «الخمسينيّات» مع اعتناق المُصوّرين الهواة لهذه الهواية؛ وجُزئيًّا إلى عاملٍ ثقافيٍّ أيضًا، وهو ظهور مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيّة، ومجلَّات مُغامرات الرِّجال السائِدة التي عرضَت هذا النوع من الصُّوَر التي شَعَر «جلاتمان» بأنه مُضطَر لالتقاطها لنفسه.

لا يوجَد شيءٌ مُميَّز في صور «جلاتمان» لا يُمكِن رؤيته في آلاف الصُّوَر الموجودة في مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة، ومجلَّات مُغامرات الرِّجال المتوفِّرة في أكشاك بيع الصُّحف، ورفوف المتاجِر الكُبري. في الواقِع، شابَت بعض العيوب المنطِق السردي للصور التي التقطها؛ فقد كُمِّمَت الضحايا رغم أنهُن كُنَّ في صحراء نائيةٍ حيث لا يُمكِن لأحدٍ أن يسمَع صرخاتهن. لكِن التكميم كان طقسًا من الطقوس. وبالنسبة إليه، لم تكُن الصورة في حدِّ ذاتها هدفًا لرغبته، ولكِن معرِفة أن الضحايا في الصور كُنَّ ضحاياه، وأنه وَقَف هُناك خلف الكاميرا. لم تكُن هذه مُجرَّد صُورٍ مقصوصة من مجلَّات التقطها مُصوِّر آخر لفتاةٍ أخرى، بل هي أحلك ذِكرياته مُسجَّلة على فيلم. حيث وَضَع «جلاتمان» نفسه على بُعد كمي واحِد بعيدًا عن ضحاياه إلى الأبد. فقد الْتقط الضوء المُباشِر المُنعكِس من ضحاياه ليحتفِظ به على فيلم «نيجاتيف» بكاميرته الخاصَّة التي تحتضِنها يداه. ثُم طَبَع الصورة بنفسه من ذلِك الـ «نيجاتيف» إلى صورةٍ فوتوغرافيَّةٍ من الجيل الأول. يُمكِنني تخيُّله يقِف بمُفرده، تلتمِع عيناه الشبيهتان بعينَي البومة خلف تلك النظَّارات العريضة، مغمورًا في النور الأحمر لغُرفته المُظلِمة المُرتجلة، يغمُر ورق الصور، التي لا تزال فارِغة، في سائِل التحميض، يُحرِّكها قبل أن يلتقطِها بمِلقط الصُّور المصنوع من الخيزران ذي الرأس المطَّاطي، ليُخرِج صُور ضحاياه بالتبايُن والدِّقَّة المطلوبَين، قبل أن يضعها في حمَّام الإيقاف والمُثبِّت لتكون ملكه إلى الأبد. وكان ذلِك تخليدًا ميتافيزيقيًّا للأسْر والقتل، أكثر من مُجرَّد ذكرى؛ فقد كان بإمكانه أن يُمسِكها بيدَيه، يُمسِك الضوء المُلتقَط من جرائِمه.

والشيء الآخر الذي يُميِّز جرائِم «جلاتمان»، وجرائِم القتلة المُتسلسِلين الذين سيأتون بعده، هو دور سيَّارته، ونِظام الطُّرق السريعة بين الولايات، الذي بدأ يتوسَّع بعد الحرب العالميَّة الثانيَة بمُعدَّل سرطاني. ويُعد «جلاتمان» من بين أوائِل القتلة المُتسلسِلين الذي استخدموا نظام الطُّرق السريعة بشكلٍ روتيني لنقل الضحايا اللاتي اختطفهنّ من «لوس أنجلوس» بسُرعةٍ إلى مواقع مُختلِفة، وبعيدة، ومُتضادة، على بُعد أكثر من مائة ميل، حيث سيقتلهُنّ ويترك جُثثهن. ومع انتشار نسبة امتلاك السيَّارات في كُل مكان، أصبَحَت السيَّارة والطريق السريع أدواتٍ يستخدِمها القتلة المُتسلسِلون للوصول إلى أبواب ضحاياهُم، وتصيُّدهم، ونقلهم، وأخيرًا الانتقال كمُفترسين مُهاجرين، أحيانًا ما يصطادون الضحايا على الطُّرق السريعة، واستراحاتها، وبلداتهم على طول الطريق. وعندما أطلَق مكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 2009 مُبادرة القتل المُتسلسِل على الطُّرق السريعة، كان هُناك أكثر من خمسمائة جريمة قتلٍ لم تُحَل مُرتبِطة بالطُّرق السريعة بين الولايات، مما يؤكِّد الشعور بأن القتلة المُتسلسِلين «يَسرون» في نِظام الطُّرق السريعة في الولايات المُتحِدة مثلما يَسري الدم الفاسِد في جسد الأُمَّة الأمريكيَّة.

وتُجادِل الكاتِبة والباحِثة «جينجر ستراند» بأن الطّرق السريعة، بسبب الطريقة التي بُنِيَت بها في «خمسينيَّات» و«ستينيَّات» القرن الماضي – التي مزَّقَت الأحياء ذات الدخل المُنخفِض – قد ساهمَت في زيادة جرائِم القتل المُتسلسِلة، ليس عن طريق حشد القتَلة، لكِن عن طريق زيادة عدد الضحايا ذوي الموت الأقل وطأة[CXXIV]. لقد دمَّر بناء الطُّرق السريعة المُجتمعات غير المرغوب فيها «الآفة» في المُدن، والتي غالبًا ما ضمَّت بين أحضانها الأقلِّيات، وشتَّتت الناس في أحياء سكنيَّة عامَّة مُهينة وبلا روح. وكَتَبت ستراند: «في عقده الأول، من 1956، إلى 1966، دمَّر برنامج الطُّرق السريعة بين الولايات حوالي 330 ألف وحدة سكنيَّة حضرية في جميع أنحاء البلاد، قَطَنَت الأقليَّات والفُقراء مُعظمها. وبعد ذلِك تسارعت الوتيرة. لا أحد يعرِف العدد الدقيق تحديدًا، لكِن التقديرات تُشير إلى أن البرنامج أدى إلى نزوح حوالي مليون أمريكي»[CXXV]. ونَتَج عن هذا الأمر عواقِب مزدوَجة؛ فقد أدَّى إلى نزوح الفقراء والأقليَّات إلى خلق مجموعةٍ من الضحايا ذوي الموت الأقل وطأة، في حين أدَّت الفوضى والتدهوُر إلى زعزعة استقرار الأُسَر ونشوء القتلة المُتسلسِلين.

تروي «ستراند» كيف دُمِّرَت مدينة «برونكس» الخصبة والمُزدهِرة في «خمسينيَّات» القرن الماضي عندما هُدِمَت الأحياء النابضة بالحياة ذات الدخل المُنخفِض لإفساح المجال أمام طريق «كروس برونكس» السريع، وتكدُّس سُكَّانِها المحرومين في مُجَمَّعاتٍ سكنيَّةٍ عامَّةٍ شاهِقة. وفي «أتلانتا» كذلِك، مُزِّقَ حي «جادة أوبورن» الحيوي والمُزدهِر والمعروف باسم «سويت أوبورن»، الذي وصفته مجلَّة «فوربس» في «الخمسينيَّات» بأنه «أغنى شارِع أسود في العالَم»، بسبب طريقٍ سريع شاهِق بين الولايات في عام 1966. ودُمِّرَت الشرِكات، والمؤسَّسات الثقافيَّة، والكنائِس، ومنازِل العائلات المملوكة للأمريكيين من أصولٍ أفريقيَّة النابِضة بالحياة في الحي، مما أجبَر السُّكَّان ذوي الدخل المُنخفِض على العيش في مُجَمَّعاتٍ سكنيَّةٍ كئيبةٍ، ومجهولة الهويَّة، وعالية الكثافة[CXXVI].

ومن شأن مُصادرة وتدمير حي «سويت أوبورن» أن يمنح القاتِل المُتسلسِل «واين ويليامز» مجموعةً كبيرة من ضحاياه من الأطفال الضُّعفاء بعد عقدٍ من الزمان. وكَتبَت «ستراند»: «سيلعب الطريق «آي– 20» دورًا رئيسيًّا في فَهم سُكَّان «أتلانتا» لسبب اختفاء أطفالهم في أواخِر «السبعينيَّات»»[CXXVII].

إن تدمير الأُسَر والمُجتمعات المحليَّة الذي أحدَثه بِناء الطُّرق السريعة في قلوب المُجتمعات الفقيرة والأقليَّات في «نيويورك»، و«ميامي»، و«نيو أورليانز»، و«ديترويت»، و«شيكاغو»، و«ناشفيل»، و«بوسطن»، و«أتلانتا»، و«لوس أنجلوس»، وغيرها من المُدن، بالإضافة إلى بلاء الكوكايين الذي تفشَّى في «تسعينيَّات» القرن الماضي، والذي كان له أثره وما زال. يُمكِن للعائِلات المُدمَّرة، والمُحطَّمة، والمُتدهوِرة أن تُنتِج قتلةً مُتسلسِلين.

كما أنتجَت عملية تدمير مُجتمعات الأقليَّات داخِل المُدن وعائِلاتهم التي استمرَّت لعقودٍ من الزمن مجموعةً جديدة من القتلة المُتسلسِلين والضحايا على حدٍّ سواء. في حين اعتُقِدَ في الماضي أن القتلة المُتسلسِلين

كانوا في الغالِب من الذكور البيض، إلا أن الدراسة الاستقصائيَّة التي أجراها «إريك هيكي» تُظهِر أنه في الفترة بين 2004 إلى 2011، وكانَت نسبة 57٪ من جميع القتلة المُتسلسِلين من الأمريكيين من أصولٍ أفريقيَّة؛ في حين تُشير قاعِدة بيانات القتلة المُتسلسِلة التابِعة لجامعة «رادفورد»/ جامِعة ساحِل خليج فلوريدا إلى أنه في عام 2010، كان ما يقرُب من 60٪ من القتلة المُتسلسِلين من الأمريكيين من أصول أفريقيَّة رغم أن الأمريكيِّين من أصولٍ أفريقيَّة يُشكِّلون 13.2٪ فقط من سُكَّان الولايات المُتحِدة.

طريق الخروج من «كانساس»: «دينيس ريدر» الصغير

وُلِدَ «دينيس ريدر»، قاتِل «بي تي كي» المُتسلسِل المُستقبلي الذي قتل عشر ضحايا بدءًا من «السبعينيَّات»، في عام 1945، ونشأ في مزرعةٍ في «كانساس». لا نعرِف الكثير عن والِده الجُندي في البحرية، «ويليام إلفين ريدر»، الذي كان في الخامِسة والعشرين من عُمره عندما عاد إلى الوطن من الحرب في المُحيط الهادئ. والْتحق بالعمل في شركة «كانساس» للغاز والكهرباء من عام 1948، ثُم تقاعَد بشكلٍ غامضٍ إلى حدٍّ ما في سنِّ الخامسة والأربعين في عام 1963. ولا يُوجَد أي سجلٍّ عن توظيفه بعد ذلِك(CXXVIII).

يتذكَّر «دينيس ريدر» أنه شعر بالإثارة لأول مرَّة وهو في سنِّ الرابعة من عُمره، عندما رأى والِدته مُقيَّدة عن طريق الخطأ، عندما عَلِقَ خاتم زواجها في زُنبرك أسفل وسائِد الأريكة. وبينما تلوَّت في محاولةٍ لفكِّ خاتمها، انزلق فُستانها إلى الأعلى، كاشفًا عن زخرفة الدانتيل في قميصها الداخلي. طوَّر «ريدر» في نهاية المطاف ولعًا جنسيًّا بقميصها المصنوع من الساتان الأبيض، فداعبه سرًّا حتى استمنى عليه، مع الحرص على عدم تلطيخه. وعندما ضبطته والِدته وهو يُمارِس العادة السريّة، ضربته بالحزام وقالَت له إن الله سيقتله. أخبر «ريدر» الطبيبة الشرعيَّة النفسيَّة «كاثرين رامسلاند» أنه كان يُستثار عند الضرب، وطوَّر فيما بعد خيالاتٍ عن تقييد النساء اللاتي يرتدينَ قمصانًا داخليَّة أو أنواعًا أخرى من الملابس الداخليَّة، خاصَّة المُعلِّمات اللاتي لم يُعجبهن. وقد طوَّر إدمانًا مدى الحياة على تقييد نفسه مُقترنًا بالتخنُّث الجنسي، وغالبًا ما صوَّر نفسه مُقيَّدًا، ومُعلَّقًا، ومُرتديًا ملابِس داخليَّة نسائيَّة.

ورغم وجود فارِق ثمانية عشر عامًا بين «ريدر» و«جلاتمان»، إلا أنهما اكتسبا هواجِس ومجموعاتٍ مُتشابِهة من الاضطرابات الجنسيَّة، لكِن لا أحد يعرِف يقينًا من أين اكتسباها.

عثر «ريدر» وهو في الرابعة عشرة من عُمره، على ما يبدو، على عددٍ صدَر عام 1959 من مجلَّة «التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة» في سيَّارة والِده. وتضمَّن العدد قصَّةً عن «هارفي جلاتمان»، ونشر صور ضحاياه، وتذكَّر «ريدر» ذلِك قائِلًا:

«كانت هذه بالضبط الصور والموضوعات التي حلمتُ بها. كان كوخي قريبًا. ولديَّ حبال وخُطَّافات مُخبَّأة هُناك، وبعض ملابِس أُمي النسائيَّة. فردتُ بطانيَّة. قرأتُ المقال، واستمنيتُ في الملابِس التي خبأتُها هُناك.

عَرفَت النساء في الصُّور أنهُنّ سيمُتن. وأحبَّ «جلاتمان» ربط أرجُلهن العارية من فوق الرُكبتَين، وأيديهن خلفهن. حتى إنه وَضَع كمامةً ملفوفة في حبلٍ على أفواههن. استلقَت إحدى السيِّدات، التي لم ترتدِ سوى قميصٍ داخلي رقيق أبيض فقط، على بطانيةٍ وهي مُقيَّدة الكاحلَين، والرُكبتَين، واليدَين، مع حبلٍ يلتف حول خصرها.

وكان السبب الرئيسي الذي أثارني هو السيِّدة ذات القميص الأبيَض المُلقاة في الصحراء. القُمصان الداخلية تُثيرني. لأنها مصنوعة من الساتان الأبيَض الناعِم، ومثل الأشرِطة التي استخدمتها قديمًا في تصفيف شعر جدَّتي، أو عمَّتي، أو والِدتي، من نفس الخامة التي وجدتُها في مكانٍ خاصٍّ في غُرفة نوم والِدتي، والتي أفترض وجودها من أجلها ولأبي. كما اعتاد «جلاتمان» لعب «تم تنقيح الكلِمة» أيضًا، أو حمل الخيط والحبل ليُمتِّع نفسه.. أعدتُ المجلَّة حيث وجدتُها، لكِنها تركَت فيَّ تأثيرًا عميقًا. جمَّدَت صورة المرأة وهي تُحدِّق مذعورة، ومُدرِكةً أن الموت قادِم لا محالة، الدم في عروقي. وظلَّ ذلِك جُزءًا من خيالي «الجنسي» لما تبقَّى من حياتي. ومثَّلَت مجلَّة «أكشن مِن» في صالون الحلاقة أفضَل إشباعٍ مُمكِن، فقد كانَت رائِجةً ومُتاحةً بالنسبة لي لأقرأها. وأتذكَّر أن مجلَّة «ستاج» كانَت رائِجة، ورغم أنني لم أشترِها من قبل قط، إلا أنني في الصيدليَّة عند ناصية شارِع 53 شمالًا، و«سينيكا»، عندما كُنتُ أشتري مجلَّة «بوبيولار ساينس» أو «بوبيولار ميكانيك»، وبينما أتصفَّحها، تسلَّلتُ لإلقاء نظرةٍ على مجلات «ستاج» أو «مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة». التي حَمَلت مُعظمها صور نِساء في محنٍ على الغلاف، وهو ما كان بمثابة علبة كعك كبيرة بالنسبة لي، لكِنني لم أحصُل على ما يكفي لإشباعي منها»[(CXXIX)].

يتذكَّر «ريدر» في صِباه، أنه شعر بالإثارة من مشاهِد الرسوم المُتحرِّكة «دادلي دو رايت» في برنامج «روكي آند بولوينكل شو» عندما ربط الشرير «سنايدلي ويبلاش» الفتاة الصغيرة اللطيفة «نيل فينويك» في قُضبان السكك الحديديَّة. ارتدَت «نيل» فُستانًا أزرق اللون، بطول الرُّكبة، وتُزيِّن حافته زخرفة. أم أنه كان فُستانها الداخلي هو ما يظهر من تحته؟ وفي أحد المشاهِد، يُجبِرها «سنايدلي»، مُمسكًا بالحبل في يدِه، على التمدُّد على قضبان السكَّة الحديديَّة، وذراعاها ممدودتان على طول السكَّة خلف كتفَيها، بينما تفتح ساقَيها على السكَّة المُقابِلة، وينزلِق فُستانها إلى الأعلى كاشفًا عنهما. وبينما تتلوَّى وتُكافِح، فك قيد ساقَيها المُتباعدتَين، وربط حبلًا حول كاحلَيها، وشدَّهما معًا بإحكام في الهواء، كاشفًا عن الجُزء الخلفي من ساقَيها العاريتَين، في حين انزلقَت تنورتها إلى الأسفل بينما يُقيِّدها ويُكمِّمها[(CXXX)].

تابَع مئات الآلاف من الفتيان المُثارين جنسيًّا برنامج «روكي أند بولوينكل شو» لمُشاهدة «نيل» مُقيَّدة ومُكمَّمة، قبل أن يُنقِذها «دادلي دو رايت»، ويُقبِّلها. أراد مُعظَم الأولاد أن يلعبوا دور «دادلي» في النهاية لتقبيل «نيل»، لكِن كان هُناك بعض الأولاد المُتضرِّرين الذين شعروا بالأمر من وجهة نظر «سنايدلي». لم أمِل أبدًا إلى الصهباوات ذوات الضفائِر مثل «نيل»، لكِنني تابعتُ مُسلسل «روكي أند بولوينكل شو» من أجل «ناتاشا فاتيل»، الجاسوسة الروسيّة الرقيقة ذات الفُستان الأرجواني الضيِّق، مع أحمر شفاه وكُحل بلونٍ يتناسَب مع لون بشرتها، والتي أصابتني بانتصابٍ صغير في كُل مرَّة.

العبوديَّة المكتوبة: خيال الاضطراب الجنسي المُحلّل

هل كان «جلاتمان» و«ريدر» سيقتُلان لو لم تكُن هُناك مجلَّات تحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة؟ أو برنامج «روكي أند بولوينكل شو»؟ الإجابة هي نعم، بالطبع كانا سيقتُلان. لكِن كيف كانا سيفعلانها؟ وكيف كانا سيُعبِّران عن غضبهما الجنسي؟ ومن خلاله كانَت الطقوس – أي كِتابة السيناريو – شيئًا مُختلفًا تمامًا.

بالنسبة لمُعظمنا، بَدَت مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة، ومجلَّات مُغامرات الرِّجال مُتشابِهة؛ فقد ظهرَت امرأة تحت طائِلة العبوديَّة على أغلِفتها. ولكِن بالنِّسبة للقاتِل المُتسلسِل المُصاب باضطرابٍ جنسي، لعب الأدب دور المُحفِّز لتخيُّلاتٍ شديدة الانتقائيَّة، بحبكاتٍ فرعيَّةٍ مُحدَّدة ومُفصَّلة للغاية، تشع من مُخيِّلته الخاصة. لم يتعلَّق الأمر بمسألة الاختطاف أو الاغتصاب فحسب – بل كانَت هُناك خصوصيَّة شديدة التحديد كذلِك. وبحث بعض القتلة المُتسلسِلين في مئات سيناريوهات الاغتصاب هذه حتى وصلوا إلى السيناريو المُناسِب الذي يعكِس إما خيالهم الخاص، أو يُلهِمهم بلمسةٍ إضافيَّةٍ جديدةٍ لم يتخيَّلوها من تلقاء أنفُسهم. إنها عمليَّة أخذ وعطاء مُستمرَّة ومهووسة تستهلِك قدرًا هائِلًا من الوقت والطاقة في عالم خيال القاتِل المُتسلسِل. هذه هي ضربات الفُرشاة في «عمل الفنَّان» التي أشار إليها المُحلِّل «جون دوجلاس» عندما قال مقولته الشهيرة عن القتلة المُتسلسِلين: «إن أردتَ فهم الفنان، فانظُر إلى عمله».

استلهَم «جلاتمان» في شبابه من جيله من أغلِفة مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة في «الأربعينيَّات»، حيث استهوته النساء المُقيَّدات والخائِفات بين براثِن المِحَن. ساعدته الأربِطة، والحِبال، والأسلاك بالفعل في سنٍّ مُبكِّرة من حياته الجنسيَّة في مُمارسة الاختناق الذاتي، مما عزَّز مُتعته، لأن نقص الأكسجين وضعه في حالةٍ من النشوة الجنسيَّة. وبعد خروجه من السجن في مُنتصف «العشرينيَّات» من عُمره، عَثَر «جلاتمان» بالصُّدفة على منشورات العبوديَّة الجديدة التي ظهرَت بعد الحرب العالميَّة الثانيَة مثل تلك التي وزَّعها «إيرفينج كلاو». وعلى عكس عارِضات أزياء مجلَّات التحقيقات الشُّعث الشعر اللاتي ارتدينَ ملابس داخليّة مكشوفة عن طريق الخطأ وقُيِّدنَ بأربطةٍ مُرتجلة، قُيِّدَت نِساء «كلاو» بعنايةٍ في ملابسهنّ الداخليَّة، بشكلٍ طقسيٍّ تقريبًا، بأربطةٍ معقودةٍ ومربوطةٍ بإحكامٍ حول أجسادهنّ بطريقةٍ تُمكِّن خاطفهن من تحريكهن ووضعهن في أوضاعٍ مُختلفة من الخضوع، كدُمًى جنسيَّة مُكمَّمة.

ما أراده «جلاتمان» هو ثقافة اغتصاب هجينة خاصَّة به؛ عارِضات ملابِس داخليَّة مُختطفات ومُقيَّدات بإحكامٍ يُشبِهن عارِضات «كلاو»، ولكِن في سيناريو تحرٍّ حقيقي أكثر قسوة، وقذارة، وسوداوية، واستعد للقتل من أجل ذلِك. وهذا ما فعله مع ضحاياه؛ جمَّد خياله الذي تحقَّق في فيلم، وقتل العارِضات، وتركهنّ في الصحراء بين أنياب الحيوانات والحرارة الشديدة. وبعد ذلِك، عاد إلى منزِله الآمن، ومعه الصور، ليستمني في نشوةِ ما بعد القتل. لا يصِل العديد من القتلة المُتسلسِلين إلى الذروة أثناء ارتكابهم لجرائِم الاغتصاب والقتل. فقد عُثِر على الحمض النووي، بأي نوع، بما في ذلِك السائِل المنوي في حالة وجوده، فيما يُعادِل نسبة 29.2٪ فقط من جرائِم القتل الجنسي المُتسلسِل؛ وفقًا لدراسةٍ أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي مؤخرًا[(CXXXI)]. بعد قتل ضحاياهم، ظلَّ العديد من القتلة المُتسلسِلين أسرى لنفس حالة التوتُّر

والإثارة التي بدءوا بها حتى عادوا إلى مكانٍ آمنٍ، ووجدوا الراحة في النهاية من خلال الاستمناء، أحيانًا بعد ساعاتٍ أو أيامٍ من القتل «فترة ما بعد القتل»، قبل أن «يَهدءوا» في فترة راحتهم، ويبدءوا في العودة إلى نفس الدورة من جديدٍ وصولًا إلى جريمة القتل التالية. وغالبًا ما أُخِذَت تذكارات وغنائِم من الضحية لتعزيز تجرِبة الاستمناء بمُجرَّد تخلِّي القاتِل المُتسلسِل عن جسد ضحيته، ولكِنه لا يزال في حالة إثارة.

أصبَحَت صور «جلاتمان» السمةَ المُميِّزة لكُل مقالٍ يروي جرائِمه في أواخِر «الخمسينيَّات». ونشرَت جميع الصُّحف بدءًا من الصُّحف اليوميَّة ومجلَّة «تايم»، إلى الصُّحف الشعبيَّة ومجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة، على صفحاتها الصُّورَ المُرعِبة للضحايا المُقيَّدات بإحكام. لا تزال الضحايا هُناك، ثابِتاتٍ في الدقائِق الأخيرة من حياتهنّ، في حالةٍ من الخوف والفزع على الإنترنت اليوم، يُحدِّقن في عدسة قاتِلهم، ومن ورائها يزحف كُل مُتصفِّحي الإنترنت على الطرف الآخر، يُمارِسون الجنس الحقيقي والموت.

عاش «ريدر» المُراهِق في مزرعةٍ في «كانساس»، يستمني على مجلَّات التحقيقات في الكوخ، مع ملابِس والِدته الداخلية، والدجاج. لم يمتلِك تعقيدات «جلاتمان» أو الوسائِل التي تُمكِّنه من طلب منشورات «إيرفينج كلاو» عن طريق البريد. ورُبما لم يكُن يعلَم حتى بوجود هذا النوع من منشورات العبوديَّة. لكِنه لم يكُن بحاجةٍ لذلِك. فقد أجرى «جلاتمان» هذا المزيج لصالِح «ريدر»، وكانَت النتائِج موجودةً في كُل مجلَّة في الصيدليات في كُل بلدة صغيرة، ومدينة مُزدهِرة كبيرة، وكُلها من عُقد وأربِطة «كلاو» الخاصَّة على أجساد ضحايا «جلاتمان». «تفاخَر جلاتمان أمام الشُّرطة باختياره أفلامًا عالية الجودة لصوره حتى يُمكِنه تكبير تفاصيلها». قبل أن يُضيف «جلاتمان» لمسته النهائيَّة؛ كمامة قُماشيَّة مُتشابكة بحبلٍ على العديد من ضحاياه.

حَصَل «ريدر» على الجيل الثاني من فانتازيا القتل المجنونة التي عالجها «جلاتمان»، الجاهز للانطلاق، ومن هُنا.. بدأ «ريدر» في كِتابة السيناريو الذي سيقوده في «السبعينيَّات» إلى الجيل الثالِث من جنون القتل الذي ارتكبته يداه تحت اسم قاتِل الـ «ربط – تعذيب – قتل»، أو قاتِل «بي تي كي».

«ملفين ديفيس ريس» «الوحش الجنسي» أو «مُجامِع الموتى بيبوب نيتشه» في «ماريلاند» و«فيرجينيا» في الفترة بين 1956 – 1959

وقعَت «جرائِم قتل الوحش الجنسي» على الجانِب الآخر من البلاد من الطُّرق السريعة الصحراويّة في «كاليفورنيا»، على الطُّرق الخلفيَّة المشجَّرة في «فيرجينيا» و«ماريلاند». ومن نواحٍ عديدة، عكسَت القضية جرائِم قتل «هارفي جلاتمان»، ومع ذلِك فقد نُسِيَت إلى حدٍّ كبير، ولم تُوثَّق أو يُبلَّغ عنها بشكلٍ جيِّد. ولا يوجَد سوى كِتابٍ واحِد حديث للغاية عن هذه القضية، وهو كِتاب «الوحش الجنسي» للكاتِبة «كاثرين رامسلاند»[(CXXXII)]. وكما هو الحال في جرائِم قتل الفتيات الفاتِنات، تضمَّنت هذه القضية سيَّارة، ومُسدَّسًا، وعمليات اختطاف، ومجلَّات تحقيقات، وجانيًا أكثر ذكاءً من المُتوسِّط، ونزوات جنسيَّة مُلتويَة للغاية. ولكِن في حين كان «هارفي جلاتمان» هو وحش مصَّاصي الدِّماء المُنظَّم في جيلِه، حيث استمال

واستدرج ضحاياه إلى نزواته الوحشيَّة، لعب «ملفين ريس» دور الوحش الجنسي، المُستذئِب غير المُنظّم، الذي عامَل ضحاياه بوحشيَّةٍ، وجرَّهنّ إلى نزواته الوحشيّة.

الاختطاف المُزدوج لـ «ماري فيلرز» و«شيلبي فينابل»

بدأت القضية باختفاء فتاتَين مُراهِقتَين في «بيلتسفيل» بولاية «ماريلاند» في 1 يونيو 1956؛ «ماري إليزابيث فيلرز»، البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، وصديقتها القديمة، «شيلبي جين فينابل»، البالِغة من العُمر ستَّة عشر عامًا. نشأت الفتاتان في ولاية «تينيسي» في الأصل، لكِن والدَيهما انتقلا إلى «بيلتسفيل» و«نورث لوريل» في ولاية «ماريلاند»، وهما بلدتان تفصِل بينهما عشرة أميال. وكثيرًا ما سافرت المُراهِقتان لزيارة بعضهما البعض بالحافِلة، ورُبما حتى انتقلتا مُتطفِّلتَين رغم تحذيرات والدَيهما بعدم القيام بذلِك. لقد كانتا «فتاتَين جيِّدتَين»، وفقًا لوالِدَي كُلٍّ منهما، لكِنهما تمتَّعتا بجانبٍ خفي نموذجي للفتيات المُراهِقات، رُبما لم يكُن أهلهما على درايةٍ تامَّة به. وكشفَت المُذكِّرات التي تركها الفتاتان وراءهما أنهما واعدتا أحيانًا جنودًا من «فورت ميد» القريبة، وعُمَّال مضمار السِّباق[(CXXXIII)]. وذكرَت «رامسلاند» أن الفتيات انجذبنَ إلى نوعيّة «الفتى الشرير المُتمرِّد» مثل «جيمس دين»، ومُثقفي البيت، والشُّعراء، وموسيقيي جاز «البيبوب».

في يوم 1 يونيو، انتظرَت الفتاتان الحافِلة على الطريق «يو إس 1» للسفر إلى «نورث لوريل»، حيث خطَّطتا لقضاء الليلة في منزِل «فينابل». لمَح شقيق «فيلرز» الصغير، «إروين جونيور»، البالِغ من العُمر اثنَي عشرَ عامًا، شقيقته وصديقتها في محطَّة الحافِلات، عندما توقَّفَت سيَّارة «فورد» زرقاء فاتِحة اللون ذات مصدٍّ مُنبعِج، ولوحة من «فيرجينيا» بجوارهما. تولَّد لدى «إروين» انطباعٌ بأنهما تعرَّفتا على السائِق، وصعدتا إلى السيَّارة بسهولة. ثُم خرجتا لعكس وضعَيهما قبل أن تعودا إلى السيَّارة. ووَصَف «إروين» قائِد السيَّارة بأنه ذكر أبيَض اللون بحاجبَين كثيفَين، وأنه يعتقِد أن لدَيه ندبةً على وجهه. وكانَت تلك آخر مرَّة شوهِدَت فيها الفتاتان على قيد الحياة.

لم يظهَر أي شيءٍ في وسائِل الإعلام عن الفتاتَين المفقودتَين حتى يوم 10 يونيو، عندما ذكرَت إحدى الصُّحف في ولاية «تينيسي» أن الشُّرطة تبحَث عن الفتاتَين هُناك في حالة عودتهما إلى الولاية التي نشأتا فيها. فلطالما كان الاعتقاد السائِد كُلما اختفى مُراهِق أو مُراهِقة أنه هرب، ما لم يكُن هُناك دليل دامِغ على حدوث شيءٍ أكثر شرًّا. وبدأ الأمر يزداد سوءًا عندما بدأ الأطفال بالفعل في السير على الطريق بمُفردهم في فترة «الستينيَّات» المُضطرِبة. لم يكُن الأمر كذلِك حتى «الثمانينيَّات» مع «بلاء القتلة المُتسلسِلين» حتى أصبح الأطفال والشباب المفقودين قضية تحظى باهتمامٍ وطنيّ.

وبحلول الوقت الذي أعلَنت فيه صُحف «تينيسي» عن الفتاتَين المفقودتَين، كانَت الشُّرطة قد انتشلَت إحداهما من نهر «بوتوماك» بالقُرب من «برونزويك» بولاية «ماريلاند». عُثِر عليها عارية، وقد علقها تيَّار النهر على بعض الصخور.

لم يعرِف أحدٌ هويتها في البداية، وهكذا وُضِعَت جُثتها في دار جنازاتٍ ليراها الأشخاص الذين لديهم أقارِب مفقودين. وذكرَت إحدى الصُّحف أن «بي لي فيتي»، مُدير دار الجنازات في «برونزويك» قال إن مئات الأشخاص قد حضروا إلى داره خلال عُطلة نهاية الأسبوع لإلقاء نظرةٍ على الجُثَّة. وقال إنه لم يكُن لدَيه أي فكرة عن وجود هذا العدد الكبير من الفتيات المفقودات في هذه المنطِقة[CXXXIV].

وَصَل والِد «ماري إليزابيث فيلرز» إلى مكان الحادِث، لكِنه لم يتمكَّن من التعرُّف على ابنته بشكلٍ تام. واستنادًا إلى طلاء أظافِر قدمَيها المطليَّة باللون الأحمر الفاتِح، وثقوب أذنَيها، تعرَّفَت عليها شقيقتها الكُبرى، وهو ما أَكَّدته سجلَّات الأسنان لاحقًا. لم يُمكِن تحديد سبب الوفاة على الفور بسبب حالة جُثتها التي غمرتها المياه.

في يوم 14 يونيو، عُثِرَ على جُثّة «شيلبي جين فينابل» عارية، ووجهها للأسفل في مياه خور «كاتوكتين»، الذي يبلغ عُمقه ست بوصات، وهو أحد روافِد نهر «بوتوماك»، بالقُرب من «ويتفيلد» بولاية «فيرجينيا»، على بُعد حوالي تسعة أميال من «برونزويك». وبسبب الاتجاه الذي تتدفَّق فيه الممرَّات المائيَّة، كان من الواضِح على الفور أن الفتاتَين قد وُضِعتا في الماء في نُقطتَين مُختلفتَين. ومن خلال تحليل محتوى المعدة؛ ثَبَتَ أن الفتاتَين قد ماتتا في نفس الوقت تقريبًا، وأن «فينابل» قد خُنِقَت. ولم يتسنَّ تحديد السبب النهائي لوفاة «فيلرز»، ولا ما إن كانَت أيٌّ من الفتاتَين قد تعرَّضت للاغتصاب.

حاولت الشُّرطة في هذه الأثناء التعرُّف على بعض الذكور الذين وردَت أسماؤهم في مُذكِّرات الفتاتَين، ومُقابلتهم. ووفقًا لـ «كاثرين رامسلاند»، أخبرت الفتاتان والِدَيهما عن موسيقيٍّ واحد على وجه الخصوص، اعتاد العزف في الحفلات الراقِصة التي حضرتاها في ليالي السبت، وهو شابّ مُتعدِّد المواهِب يُدعى «ريس»[CXXXV]. وسيم، وودود، وكثير الاستشهاد بالشِّعر والفلسفة. أُجرِيَت مئات المُقابلات في الأسابيع التي تلت مقتل الفتاتَين، ولكِن في النهاية.. لم تتوصَّل الشُّرطة إلى أي خيوط.

تُعَد جرائِم القتل المُزدوجة، مثل هذه الجريمة، نادِرة نسبيًّا حتى في يومِنا هذا، ولكِن في ولاية «ماريلاند»، تصدَّرَت عملية اختطاف وقتل «فيلرز» و«فينابل» عناوين الصُّحف في جميع أنحاء البلاد. والأسوأ من ذلِك، أنها كانَت ثاني جريمة قتلٍ مزدوجة لفتيات مُراهِقات خلال تلك السنوات. ففي عام 1955، سلكت «نانسي ماري شوميت»، البالِغة من العُمر ستَّة عشر عامًا، وصديقتها «ميشيل آن ريان»، البالِغة من العُمر أربعة عشر عامًا، طريقًا مُختصرًا عبر مُتنزّه «نورث ويست برانش» بالقُرب من جامعة «ماريلاند» في «كوليدج بارك»، في مُنتصف النهار لإحضار بطاقة تقرير «نانسي» من مدرستها الثانويّة. وعثرت فتاة كانَت تُنزِّه كلبَها على جُثَّتَيهما بعد عدَّة ساعات. واستنادًا إلى فارِغ الرّصاص، فقد أُطلِقت النار على الفتاتَين من بُندقيّة عيار 22 من مسافة 137 مترًا تقريبًا في كمين. أصيبَت «نانسي» بإحدى عشرة رُصاصة، بينما أُصيبَت «ميشيل» بثلاث رُصاصات. قبل أن يقترِب القاتِل من الجُثَّتَين، ليُطلِق النار على «نانسي» مرَّة أخرى في جبهتها بين عينَيها. لم يبدُ أنهما تعرَّضتا للتحرُّش الجنسي. ولم يعرِف أحد ما الذي يُمكِن أن يستخلِصه من

جريمتَي القتل، فقد كانتا مُختلِفتَين إلى حدٍّ كبير، لكِنَّ قتْلَ زوجَين من الفتيات المُراهقات في نفس المنطِقة بـ «ماريلاند» كان أمرًا مُثيرًا للقلق. ومرَّة أخرى.. لم تعثُر الشُّرطة على أي خيوط مُفيدة.

جريمة قتل «مارجريت هارولد»

في 26 يونيو 1957، أنهَت «مارجريت فيرجينيا هارولد»، وهي زوجة في السادِسة والثلاثين من عُمرها، وأمٌّ لطفلَين مُراهِقين تعمل موظَّفة في «فورت ميد»، عملها مُبكِّرًا. غيَّرَت ملابسها، وارتدَت بنطالًا أسود ضيِّقًا قصيرًا، وبلوزة ورديَّة مُثيرة. انتظرها الرقيب أول «روي هدسون»، البالِغ من العُمر واحدًا وثلاثين عامًا في سيَّارته، بعد أن غيَّر ملابسه بدوره إلى ملابس مدنيَّة. ألقَت «مارجريت» ملابِس عملِها على المقعد الخلفي لسيَّارته، وانطلقا خارِج القاعِدة. اتَّجها جنوبًا من «فورت ميد» عبر «جامبريلز»، وتوقَّفا على طول الطريق لتناوُل الغداء وبعض الجعة. وفي نهاية المطاف، سلكا الطريق 424 جنوبًا، قبل أن ينعطِفا شرقًا على طول الطريق 450 المعروف بـ «طريق الدِّفاع السريع»، الذي قادهما إلى جبل «تابور». وهي منطِقة نائِيَة من الغابات والأراضي الزراعيَّة تقع بين «الطريق السريع» وطريق جبل «تابور» شمالًا. أما اليوم، فقد زحفَت بعض المشاريع السكنيَّة إلى المنطِقة، ولكِن لا تزال هُناك منازِل زراعيَّة معزولة مُخيفة لا يُمكِن الوصول إليها إلا من خلال طُرق خاصَّة مخفيَّة. بعد حوالي ميل على طول «طريق الدِّفاع السريع»، انعطف «روي» بشكلٍ عشوائيٍّ إلى ممرٍّ ريفيٍّ ضيقٍ للعثور على مكانٍ مُنعزلٍ من أجلهما. مرَّا بما يُشبِه كوخًا مهجورًا، ولاحظَ «روي» توقُّف سيَّارة خضراء بالقُرب منه. ووَصَف لرئيس مُقاطعة «آن»، «أروندل ويلبر ويد» ما حدث بعد أن صفَّ سيَّارته مع «مارجريت» في نهاية الطريق:

«بعد حوالي عشرين دقيقة جاء رجُل. رأته «مارجريت» قادمًا على الطريق أولًا، وقالت: «هُناك رجل قادِم!»

بدأ يصرُخ علينا. فنزلتُ من السيَّارة لأرى ما يُريد، وعندها سألني: «هل تظن أن هذه حديقة وطنيَّة؟»

قُلت له: «لا، نحن نجلِس هُنا فحسب».

سألني إن كُنَّا مُهتمَّين بشراء قطعة أرض، أخبرتُه أن الإجابة لا. قال إنه حارِس المنطِقة، وأنه لا يُمكِننا الوقوف هُنا. لذا أخبرته أننا سنُغادِر.

قال: «دعني أسلُبك سيجارة». عُدتُ إلى السيَّارة، وأحضرتُ سيجارة لكلَينا، فقال: «أعتقِد أنه لا ضير من الجلوس هُنا والتحدُّث قليلًا». ثُم أضاف: «حسنًا، بما أنني قطعتُ كُل هذه المسافة، فما رأيك أن توصِّلني إلى الكوخ؟»

أجابته مارجريت: «هُناك بعض الملابِس على المقعد الخلفي، وليس لدَينا مكان من أجلك».»

صعد «روي» مرَّة أخرى إلى سيَّارته بنيَّة الانطلاق بالسيَّارة، لكِن الرجُل فَتَح الباب الخلفي، وقفز إليه. قال «روي» للشرطة:

«عندما فَتَح الباب، رأيتُ أنه يحمِل مُسدَّسًا فولاذيًّا أزرق اللون. قال لي: «ضعا أيدِيَكما على ظهر المقعد الأمامي».

وهو ما فعلناه دون نِقاش. رأيتُ أنه يحمِل سلكًا كهربائيًّا في يدَيه، قُلت له: «لن أتمكَّن من إعطائك محفظتي إن قيَّدتَ يدي، لذا من فضلك.. ضع هذا المُسدَّس جانبًا».

أجابني: «لا تقلق بشأن ذلِك، سأسلُبك نقودك بطريقتي الخاصَّة».

ثُم أطلق النار عليها، فاندفعَت للأمام»[(CXXXVI)].

أُصيبَت «مارجريت» برُصاصةٍ في مؤخِّرة رأسها، حيث أصابتها الرُّصاصة، وتركَت جروحًا اعتقدَت الشُّرطة في البداية أنها نتيجة طلقتَين ناريتَين.

كان «روي» سريع البديهة بما يكفي، ففتح باب سيَّارته، وخرج من السيَّارة، مُندفِعًا إلى الأدغال. ركض عبر الغابة، وعبر أحد الحقول حتى صادَف مزرعة، واتصل بالشُّرطة.

ذكر رجال الشُّرطة الذين هرعوا إلى مكان الحادِث في وقتٍ لاحقٍ أنهم مرُّوا بسيَّارة خضراء فاتِحة، ولكِن بحلول الوقت الذي استجوَبوا فيه «روي»، وحصلوا على وصفٍ لسيَّارة المُشتبه به، كانَت قد اختفَت منذ فترة طويلة.

عثرَت الشُّرطة على «مارجريت» عارية، ومُلقاةً في بركةٍ من الدِّماء وفتات المُخ في مقصورة الرُّكَّاب الأماميَّة لسيَّارة «روي». كانت قد اغتُصِبَت بعد وفاتها في فعلِ مُجامعة الموتى.

عُثِر على السلك الكهربائي الذي حاول القاتِل ربط «روي» به في مكان الحادِث بالقُرب من السيَّارة. ونُشِرَت أوصاف المُشتبه به في جميع الصُّحف في اليوم التالي: يبلُغ من العُمر حوالي خمسة وثلاثين عامًا، شعره أسود مُمشَّط إلى الخلف، وحاجباه كثيفان، وطوله حوالي 1.82 متر، ووزنه 77 كيلوجرامًا. وأفاد سائِق شاحِنة أنه ساعد رجلًا بهذه المواصفات في سحب سيَّارة من خندق؛ بعد أن اصطدمَت بشجرةٍ ليسَت بعيدة عن مسرح الجريمة. وبحثَت الشُّرطة الآن عن سيَّارة «كرايسلر سيدان» خضراء اللون من طراز 1947 أو 1948، تحمِل لوحات «ماريلاند»، وبها انبعاج في مُقدِّمتها بسبب اصطدامها بالشجرة.

الكوخ الإسمنتي

فتَّشَت الشُّرطة الكوخ الذي قال «روي» إنه مرَّ به، وحيث رأى السيَّارة متوقِّفة. كان كوخًا مُتهدِّمًا ومهجورًا، لكِنهم عثروا على الفور على أسلاكٍ كهربائيَّة مثل تلك التي عثروا عليها في مسرح الجريمة. وعندما سلَّط رِجال الشُّرطة مصابيحهم اليدويَّة في الطابِق السُّفلي الرطْب، وجدوا مشهدًا غريبًا. لقد غُطِّيَت الجدران بالكامِل بصور تشريح جُثث النساء، وصور عبوديَّة فاحِشة مقصوصة من مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة، ودوريَّات مُغامرات الرِّجال[(CXXXVII)]. ووسط ذلِك، برزَت صورة واحِدة؛ صورة رسميَّة لشابَّة، تبدو وكأنها مقصوصة من كِتابٍ سنويٍّ لمدرسةٍ ثانويَّة أو جامعة.

وبمُساعدة مكتب التحقيقات الفيدرالي، تُتبِّعَت الصورة إلى الكِتاب السنوي لجامِعة «ماريلاند»، وتعرفوا على المرأة في الصورة على أنها «واندا تيبتون» من دفعة التخرُّج لعام 1955. جريمة إطلاق النار المزدوَجة التي وقعت في يونيو 1955، والتي راح ضحيتها «نانسي ماري شوميت» و«ميشيل آن ريان»، بالقُرب من الجامِعة، والآن.. هذه الصورة في وسط مخبأ أحد المُنحرِفين بالقُرب من موقِع إطلاق النار على امرأةٍ أخرى، جعلَت رجال الشُّرطة يتتبَّعون «واندا تيبتون» على الفور. فرُبما عَرَفَت هوية هذا الرجُل ذي الحاجبَين الكثيفَين، ولماذا لصق صورتها بجوار عشرات الصور لنِساءٍ ميِّتات. لقد كان أمرًا غريبًا للغاية.

هجمات شارِع العُشَّاق

ثُم أصبَح الأمر أكثر غرابةً. عندما اندفع زوجان آخران إلى قِسم الشُّرطة، وكانَت المرأة حافِية القدمَين، ومُغطَّاة بالوحل والخدوش، وقدَّما روايةً مروّعة عن تعرُّضهما للاعتداء على بُعد حوالي ستَّة أميال من موقِع جريمة قتل «مارجريت هارولد». توقَّف «إروين هوارد آدامز»، البالِغ من العُمر خمسةً وعشرين عامًا، و«دينيس إيجلستون»، البالِغة من العُمر خمسة وعشرين عامًا أيضًا، في منطِقة نُزهة مُليئة بالأشجار، يُراقِبان النجوم ويستمِعان إلى الراديو، عندما جاءت سيَّارة أخرى خلفهما، وتوقَّفَت بمصابيحها الأماميَّة المُضاءة التي أعمتهُما. نزل رجُل من السيَّارة، وسار ببطءٍ إلى جانِب السائِق، وسأل الزوجَين بصوتٍ عاديٍّ للغاية عمَّا يفعلانه هُناك.

أخبره «إروين» أنهما يستمِعان إلى الراديو.

أخرَج الرجُل فجأة مُسدَّسًا عيار 38 من الفولاذ الأزرق، وقال إنه سيقتلهما إن لم يُنفِّذا ما سيطلبه منهما. وأمرهما بالخروج من السيَّارة، وأجبرهُما على الانبطاح أرضًا، وقيَّدهما بحبالٍ مُسبقة القطع. ربط ذراعَي «إروين» خلفه، ثُم ساعده على النهوض على قدمَيه، وسار به إلى الجُزء الخلفي من السيَّارة، وحاول فتح صندوق السيَّارة. وبينما تخبَّط الرجُل أثناء بحثه بين المفاتيح، تمكَّن «إروين» من فكِّ ذراعَيه، وصارَعه. قفزَت «دينيس»، وهرَبَت حافية القدمَين نحو الطريق. قبل أن يُفلِت «إروين» من قبضة الرجُل ويتبعها. ركضا بأسرع ما يُمكِن حتى لم يعُد بإمكانهما الركض أكثر من ذلِك. وتوقَّعا أن يأتي الرجُل بسيَّارته في أي لحظة، فقفزا من فوق حاجِز حراسة، وتدحرجا من فوق التلَّة إلى مُستنقعٍ مُظلِم، واختبآ هُناك حتى صباح اليوم التالي.

وبدأ العثور على «واندا تيبتون»، الفتاة الجامعيَّة في صورة الكِتاب السنوي التي عُثِر عليها في المخبأ الإباحي في قبو كوخٍ من الإسمنت، يأخُذ طابِعًا مُلِّحًا. وعندما تعقَّبتها الشُّرطة أخيرًا، أُصيبوا بالصدمة عندما أخبرتهم أنها لا تعرِف سبب وجود صورتها في الكوخ، أو من هو المُشتبه به. وبعدها.. نفدت أدِلَّة الشُّرطة.

لكِن «واندا» لم تكُن تُخبرهم بالحقيقة. فقد عرَفَت يقينًا هوية الرجُل ذي الحاجبَين الكثيفَين. لأنها واعدته من قبل. كان طالبًا وسيمًا في جامِعة «ماريلاند»، مُتخرِّجًا للتوِّ من الجيش، موسيقي جاز موهوب، وشاعِر

وفيلسوف. رجُل مُثقّف مُحترم عصري، وعازِف بيبوب مُختلِف عن بقيَّة من حوله. لكِنه كان متزوِّجًا، ولم ترغَب في التسبُّب في مشاكل مع زوجته، لذا لم تُخبِر الشُّرطة بأيِّ شيء.

غضب الطريق

في 24 أغسطُس 1958، قاد «فرانك توزو»، وزوجته «جون»، وكلاهما في السادِسة والثلاثين من العُمر، سيَّارتهما على طريقٍ ريفي بالقُرب من «لوريل» بولاية «ماريلاند»، في حوالي الساعة العاشِرة مساءً. وفجأة رأَيا المصابيح الأماميّة لسيَّارةٍ تقترِب منهما من الخلف، وهي تتمايَل بشكلٍ غير مُنتظم. وفي نهاية المطاف، تجاوزتهم السيَّارة، وانزلقَت فجأة لتتوقَّف، مما أجبرهما على التوقُّف. قفز رجُل من السيَّارة، وسار نحوَهما، وهو يُشهِر مُسدَّسًا في يده. جَلَس آل «توزو» مذهُولَين، لا يعرِفان ما يجِب عليهم فعله.

أمرهُما الرجُل بالنزول من السيَّارة، وأجبرهما على الانبطاح على الطريق. وبعد أن أغلق سيَّارة «فرانك»، أمره بالتوجُّه إلى الجُزء الخلفي من سيَّارته، وهي سيَّارة «فورد» زرقاء تحمِل لوحات «واشنطن العاصِمة». فتَح الرجُل صندوق سيَّارته الخلفي، وأمر «فرانك» بالركوب، ثُم أغلقه.

ثُم أجبر «جون» على ركوب سيَّارته، وأمرَها بالانزلاق إلى المساحة الضيِّقة على أرضيّة مقعد الراكِب، وانطلق بالسيَّارة، و«فرانك» مُكوَّم في صندوقها. وفي النهاية، توقَّف الرجُل في منطِقةٍ مُظلمة ومُنعزلة. وأمرها برفع فُستانها، قبل أن ينزع عنها ملابسها الداخليَّة. وربط يدَيها إلى عجلة القيادة، ومارس الجنس الفموي معها. وبعد فترة، فكَّ سحَّاب سرواله، وأمرها بمُضاجعته. حاولَت جون مُحاولةً فاتِرة، قبل أن تنسحِب رافضةً الاستمرار، وتوسَّلَت إليه ألا يقتُلها لأنها أمٌّ لطفلَين.

حرَّر الرجُل يدَيها فجأة، وقال: «أنتِ امرأة جيِّدة، يُمكِنكِ الخروج من السيَّارة. أنا سعيد لأن الأسوأ لم يحدُث».

ثُم خَرَج من السيَّارة، وفتَح صندوقها، وأخرَج «فرانك»، وقال: «اخرُجا من هُنا، كلاكُما». أمسَك «فرانك» و«جون» بأيدي بعضهما البعض، وركضا إلى الغابة المُظلِمة، متوقِّعَين أن يُطلِق الرجُل عليهما النار. وبدلًا من ذلِك، سَمِعا الرجُل يقود سيَّارته مُبتعِدًا. تطابقَت أوصاف المُعتدي عليهما مع المُعتدي في الهجمات السابِقة – لكِنَّ أحدًا لم يعرِف ذلِك بعد. وفي حين وقعَت الهجمات السابِقة في مُقاطعة «آن أروندل»، وقع هذا الهجوم في مُقاطعة «برنس جورج». وهذا يُشبِه تمامًا لو أنها حدثَت في بلدٍ آخر.

ولطالما كمنَ جوهر مُشكِلة القتلة المُتسلسِلين في «عمى الربط» حتى يومِنا هذا، وكان في أشدّ حالاته عمًى على مستوى المُقاطعة، وهو المستوى الذي تُحقِّق فيه الولايات في الجرائِم وتُحاكِم عليها. في تلك الأيام، نادرًا ما تبادلَت الولايات القضائيَّة المعلومات حول ما يحدُث في المُقاطعات الأخرى، أو كانَت على علمٍ به، أو حتى مُهتمَّةً كثيرًا بما يحدُث فيها. لم يكُن هُناك تجميع للمعلومات التي يُمكِن من خلالها تحديد الأنماط المُميَّزة. وعندما تحدُث جرائِم القتل عبر حدود الولاية، فمن المُمكِن أن تحدُث في عالمٍ آخرٍ تمامًا. ومثَّل هذا الأمر مُشكِلةً كُبيرة عندما حدثت موجة القتلة المُتسلسِلين في «سبعينيَّات» القرن الماضي، حيث ركب القتلة المُتسلسِلون مثل «تِد بندي»، و«هنري لي لوكاس»، والقاتِل المُتسلسِل الخارِق الذي تعرَّفوا عليه مؤخَّرًا

«صامويل ليتل» سيَّاراتِهم، وانطلقوا في طريقهم تارِكين وراءهم نساءً قتلى مثل فتات الخُبز. وكما رأينا في قضايا سابِقة، تكهَّنَت الصُّحف في الغالِب في مُعظمها بـ «الأنماط» و«الروابِط»، وأعطَت ألقابًا لقتلةٍ مُتعدِّدين مُحتمَلين، أو «سلاسِل» من جرائِم القتل ذات الصِّلة. لكِن اختطاف عائِلة «توزو» لم يُنشَر إلا بشكلٍ مُتقطِّعٍ في عددٍ قليلٍ من الصُّحف، ولم تربطها صلةٌ أو تكهُّن بجريمة قتل «مارجريت هارولد»، ناهيك عن عمليات الخنق المزدوج لـ «ماري فيلرز»، و«شيلبي فينابل» في العام السابِق.

وما طُلِب هنا هو وكالة تحقيق تعمَل عبر حدود الولايات: مكتب التحقيقات الفيدرالي.

جرائِم اختطاف عائِلة «جاكسون»

يوم الأحد الموافِق 11 يناير 1959، اختفى «كارول فيرنون جاكسون»، البالِغ من العُمر تسعةً وعشرين عامًا، وزوجته «ميلدريد جاكسون»، البالِغة من العُمر ستَّة وعشرين عامًا، وابنتاهما «سوزان آن»، البالِغة من العُمر خمس سنوات، والرضيعة «جانيت»، البالِغة من العُمر ثمانية عشر شهرًا، بعد زيارة والدي «ميلدريد» في «باكنر»، مُقاطعة «لويزا» بـ «فيرجينيا».

وفي صباح اليوم التالي، لم تُجِب «ميلدريد» على المُكالمات الهاتفيَّة من والِدَيها، وهو أمر غير مُعتاد. وبحلول بعد ظهيرة يوم الإثنين، شعَرا بالقلق بما يكفي ليقودا سيَّارتهما إلى منزِل ابنتهما، الذي يبعُد عشرة أميال. وسافرا حوالَي ميلَين على طول الطريق 609، طريق «باكنر»، قبل أن يُصادِفا سيَّارة عائِلة «جاكسون»، متوقِّفةً على جانِب الطريق، كما لو أنها خرجَت عن الطريق بالقوَّة. أُطفِئ المُحرِّك، وظلَّت المفاتيح في مكانها، وأُغلِقَت الأبواب. بينما قُلِبَت مرآة الرؤية الخلفيَّة للأعلى كما لو كانَت تُبعِد أشعة المصابيح الأماميَّة الساطِعة من الخلف. قبعَت حقيبة «ميلدريد» التي احتوَت على دولارَين في المُقدِّمة، بينما تبعثرَت الحفاضات، والدُّمى، والألعاب، ووسادتان، وقُبعة طفل من الصوف الأبيض، من بين مجموعةٍ متنوِّعةٍ من الأغراض الأخرى التي قد تحزِمها عائِلة لرحلةٍ قصيرةٍ على الطريق مع طفلَين في المقعد الخلفي. مشَّطَت فرق بحث متطوِّعة الريف في المنطِقة المُجاوِرة؛ لكِنها لم تعثُر على شيء.

ومع انتشار خبر الاختفاء الغامِض، تلقَّت الشُّرطة بلاغَين من شخصَين آخرَين، ذكرا أنه في نفس الليلة، طاردتهما سيَّارة، وهي تومِض بأضوائها الأماميَّة العالية، وحاولت إبعادهما عن الطريق. وفي إحدى الحالتَين، تجاوزَته السيَّارة وأجبرته على التوقُّف، وخَرَج منها شاب ذو شعرٍ أسود، وحاجبَين كثيفَين، مُمسِكًا بمُسدَّسٍ في يده، وبدأ يسير نحوه، لكِن السائِق استجاب بسُرعة، وتراجع بسيَّارته إلى الخلف، ثُم استدار ولاذ بالفرار. رفضَت الشُّرطة البلاغات باعتبارها غير ذاتِ صلة.

في شهر «فبراير»، صَدَر مقال صحفي بعنوان: «وكأن شيئًا ما قد انقضَّ في عتمة الليل» يصِف نظرياتٍ تنطوي على السحر، أو الأطباق الطائِرة المجهولة، وراء الاختفاء الغامِض للعائِلة[(CXXXVIII)].

وفي يوم 4 مارس، على بُعد أربعين ميلًا في مُقاطعة «سبوتسيلفانيا» بولاية «فيرجينيا»، بالقُرب من «فريدريكسبيرج»، انهمك المُزارِعان «جيمس بيتش»، و«جون دبليو سكوت» في جمع نشارة الخشب من

موقع منشرة سابِقة. عَلقَت شاحنتها في الوحل، وعندما بدأ «بيتش» يجمَع الأغصان ليضعها تحت العجلات، وَجَد نفسه فجأة وجهًا لوجهٍ مع حذاءٍ، مُقدِّمته مغروسة في الأرض، وكعبه ينظُر إلى السماء. كان حذاءً رجاليًّا من نوع «أوكسفورد»؛ وعندما وقعت عيناه على كاحل جورب يبرُز من الحِذاء، لمح لمحةً من اللحم الرمادي البارِز بدوره من ساق بنطال بدلةٍ من الصوف، يخرُج من تحت الأدغال المُتشابِكة ونشارة الخشب.

وهكذا عثروا على «كارول جاكسون».

وعندما أزالَت الشُّرطة أوراق الشجر والأغصان، عُثِرَ على «كارول» ووجهه للأسفل على الأرض الناعِمة، مُرتديًا معطفه الشتوي فوق بدلته، وقدماه مُتباعِدتان عن بعضهما البعض، ويداه مُقيَّدتان بإحكامٍ أمامه بربطة عُنقه الحمراء[CXXXIX]. غُطِّيَ وجهه وأعلى رأسه بالجروح الناجِمة عن ضربٍ واضِح. كما أُطلِقت عليه النار مرَّة واحدة؛ واخترقَت الرَّصاصة ذات العيار الكبير في صدغه الأيسَر عند خطِّ الحاجِب، وخرجَت فوق الحاجِب الأيمَن[CXL]. وبالقُرب من الجُثة.. عثرَت الشُّرطة على نظَّاراته المُحطَّمة، وقبضة بلاستيكيَّة خاصَّة بمُسدَّس عيار 38، والتي لا بُد أنها تهشَّمَت عندما ضرب القاتِل «كارول» على وجهه ورأسه قبل إطلاق النار عليه. والتصقَت شعرةٌ بأحد قطع القبضة، ولكِن في زمن ما قبل الحمض النووي للطبِّ الشرعي، لم يكُن من المُمكِن مُطابقتها بشكلٍ قاطعٍ مع أيٍّ من شعر آل «جاكسون».

وقبل رفعه جُثَّته، وإزالتها من مسرح الجريمة، طلب مُصوِّر وكالة «آسوشيتد برس» من المُزارِع «جيمس بيتش» ومأمور «سبوتسيلفانيا» «بي. دبليو. ديفيس جونيور» أن يجلِسا القُرفصاء بجوار الجُثَّة، وينظُران إليها بتأمُّل. ثُم التقط صورةً «نُشِرَت على الصفحات الأولى في اليوم التالي»[CXLI]. ثُم رفعا جُثته.

وهكذا عثروا على «جانيت» البالِغة من العُمر ثمانية عشر شهرًا.

استلقَت الطِّفلة أرضًا ووجهها لأسفل، دون أن يشوب جُثتها أي جروح أو علامات صدمة حادَّة. وقد افتُرِضَ أنها كانت بين يدي «كارول» المُقيَّدتَين، وسقط عليها عندما أُطلِق عليه الرصاص. وكشف الطبيب الشرعي في وقتٍ لاحقٍ أنه رُبما عاش لمُدَّة ثلاث أو أربع ساعاتٍ أخرى بعد إطلاق النار على رأسه، بينما تلوَّت تحته ابنتُه الرضيعة حتى ماتت إما اختناقًا أو انسحاقًا.

فُتِّشَت المنطِقة المُحيطة بالموقِع بشكلٍ مُكثَّفٍ بحثًا عن بقية أفراد الأسرة، وهُما «ميلدريد»، وابنتها «سوزان» البالِغة من العُمر خمس سنوات. وبعد يوم واحِد، أصبَح من الواضِح بشكلٍ مُقزِّزٍ أن القاتِل قد اختطف الأم والطِّفلة بعيدًا لأغراضه الملتوية. لا بُد أن الكثير من رِجال الشُّرطة في ذلك اليوم صلَّوا لله من أجل ألا يعثروا عليهما في منطِقتهم. وقد استُجيب دُعاء رجال شرطة «فيرجينيا».

وفي يوم 21 مارس»، ذهب «جون بولين»، البالِغ من العُمر أربعة عشر عامًا، وصديقه «جون بادي» لصيد الطرائِد الصغيرة ببنادِقهما الهوائيَّة من طراز «بي بي» في منطِقة جبل «تابور» في ولاية «ماريلاند». كانا على بُعد حوالي نصف ميل من مكان مقتل «مارجريت هارولد» في عام 1957، على بُعد خمسين قدمًا من

كوخٍ مهجور. (وهو موضع جدل حول ما إن كان هذا الكوخ هو نفسه الكوخ الذي عُثِرَ فيه على صور العبوديَّة مُلصقة على جدران قبوِه بعد مقتل هارولد).

رأى الأولاد ما بدا وكأنه سنجاب صغير أو فأر، وأطلَقا عليه النار. لكِنه لم يتحرَّك من مكانه قيد أنملة. وعندما اقتربا منه، رأيا ما بدا وكأنه خيوط ذهبيَّة من الفراء أو الشعر. فإما أنهما أطلقا النار على الحيوان فقتلاه، أو أنه جُحر جرذ. وخزه «بولين» بحذرٍ بفوّهة بُندقيَّته، وعندما جذبها إلى الخلف، تشابَك الشعر حول المنظار الأمامي، وخَرَج رأس فتاةٍ صغيرة مع فوَّهة البُندقيّة. وبعد ذلِك بعامَين، شهد بولين أمام المحكمة قائِلًا: «اعتقدتُ في البداية أنها دُميَة، قبل أن أكتشِف أنها إنسانة».

وهكذا عثروا على «سوزان جاكسون».

وعندما استخرَجَت الشُّرطة الطفلة من القبر الضحل، وجدوا جُثَّة «ميلدريد جاكسون» تحت جُثَّة ابنتها، مُستلقية على ظهرها، وعلامات ضربٍ مُبرِّح تبدو جليَّة على وجهها، وأحد جوارِبها مربوط بإحكامٍ حول عنقها. كما شُدَّ فستانها فوق رأسها، لكِن بخلاف ذلِك.. ارتدَت ملابِسها بالكامِل باستثناء حذائها الَّذي لم يُعثَر عليه.

وفي الكوخ القريب، عثرَت الشُّرطة على زرٍّ أحمر مُمزَّق من معطف «ميلدريد». وكان «الوحش الجنسي»، كما عرَف، قد أخذها إلى الكوخ ليفعل بها ما فعله. ووفقًا لمُذكِّرة مُحاكمة لاحِقة:

«اقتاد المُدعَى عليه السيِّدة «جاكسون» إلى داخِل المنزل، حيث عُثِرَ على زرٍّ من معطفها في وقتٍ لاحق. وهُناك، أو في مكانٍ قريب، ضربها بوحشيَّة على الجانِب الأيمَن من وجهها ورأسها، رُبما بقبضته اليُسرى «فهو أعسَر»، وأجبرها على الركوع على رُكبتَيها بقوَّةٍ حتى إن رُكبتَيها أصيبَتا بكدمات. وكان غرضه من ذلِك هو مُمارسة فعل جنسي غير طبيعي عليها، ومُحاولة إقناعها أو إجبارها على مُمارسته معه. كما كانَت الإصابات حول رأسها شديدة حتى إنها ماتَت بسبب نزف الدم إلى الرئتَين. وقد رُبِطَ جورب حول عُنقها بإحكامٍ شديدٍ حتى إنه قطع لحمها، ورُبما استخدمه أيضًا لتكميم فمِها. وقد نَزَف مُعظَم الدم أثناء استلقائها على ظهرها إما في القبر الذي حفره المُتَّهم لها ولـ «سوزان» في التُّربة الرمليَّة أو بالقُرب منه. وقد ماتَت «سوزان» على إثر ضربةٍ شديدة للغاية على مؤخِّرة رأسها»[(CXLII)].

ورُبما ربط القاتِل الجورب حول عُنقها ليقودها كما لو كانَت مُقيَّدة.

مكتب التحقيقات الفيدرالي والقبض على الوحش الجنسي

أدى اكتشاف «ميلدريد» و«سوزان جاكسون» إلى دخول مكتب التحقيقات الفيدرالي في القضية، رُبما للمرَّة الأولى في تحقيقٍ في جريمة قتلٍ جنسي مُتسلسِل. ومنذ «الثمانينيَّات»، اعتُبِر مكتب التحقيقات الفيدرالي و«صائِدو الأفكار» التابِعون له في وحدة التحليل السلوكي رقم 4 التابِعة للمركز الوطني لتحليل جرائِم العُنف، «مركز تبادُل المعلومات» في البلاد بشأن القتلة المُتسلسِلين. وسنرى قريبًا كيف أن هذا لم يكُن نِتاجًا لبلاء القتلة المُتسلسِلين فحسب، بل إنه في الواقِع ساهم في تشكيل البلاء ذاته.

وإذا ما نحَّينا جانِبًا جرائِم القتل المُتسلسِل التي ارتكبها «أعداء المُجتمَع» الذين سرقوا البنوك، والذين لاحقهم مكتب التحقيقات الفيدرالي عبر حدود الولايات في «الثلاثينيَّات» من القرن «العشرين»، فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يُشارِك قط، حتى قضية «الوحش الجنسي»، في التحقيق في جرائِم القتل المُتسلسِل، بخلاف تقديم مُختبراته للشرطة المحليَّة لتحليل الأدِلَّة. وكَتَب المُحلِّل السابق «روبرت ريسلر» أنه عندما بدأ التركيز لأول مرَّةٍ على الأنماط السلوكيَّة للقتلة المُتسلسِلين في «السبعينيَّات»: «لم يكُن مكتب التحقيقات الفيدرالي مُهتمًّا بشكلٍ شبه تامٍّ بالقتلة، والمُغتصبين، والمُتحرِّشين بالأطفال، وغيرهم من المُجرمين الذين يفترِسون زُملاءهم. وتقع مُعظَم حالات السلوك العنيف هذه بالكامِل ضمن اختصاص وكالات تنفيذ القانون المحليَّة، ولم تكُن انتهاكات للقوانين الفيدرالية التي كُلِّف مكتب التحقيقات الفيدرالي بتنفيذها»[(CXLIII)].

لكِن عندما اختُطفت«ميلدريد» و«سوزان جاكسون» عبر حدود الولاية من ولاية «فيرجينيا»، وقُتِلتا في ولاية «ماريلاند»، أدى ذلِك إلى دخول مكتب التحقيقات الفيدرالي في قضية قتلٍ جنسي مُتسلسِل للمرَّة الأولى في تاريخه. وفي أعقاب جريمة الاختطاف السيئة السُّمعة للطفل «ليندبِرج» في عام 1932، سنَّ الكونجرس قانون الاختطاف الفيدرالي، 18 يو سي إس 1201 «إيه 1» المعروف باسم «قانون ليندبِرج»، الذي يجعل اختطاف الضحيّة ونقلها عبر حدود الولاية جريمةً فيدراليَّة. وعلى هذا النحو، وقعَت جريمة اختطاف «ميلدريد» و«سوزان» ضِمن اختصاص مكتب التحقيقات الفيدرالي للتحقيق فيها، ورغم أن التحقيق في جريمة اختطاف زوجها «كارول»، وابنتها «جانيت»، لم يقع ضِمن اختصاصاته للتحقيق فيها، وكذلِك جرائِم قتل الضحايا الأربعة، فقد ظلَّت هذه الجرائِم من اختصاص المُقاطعات المحليَّة للتحقيق فيها، وتقديم مُرتكبيها للمُحاكمة.

ولسوء الحظ، لم يُبْلِ مكتب التحقيقات الفيدرالي أفضَل في القبض على قاتِل عائِلة «جاكسون» من مُحقِّقي شرطة مُقاطعة «فيرجينيا» و«ماريلاند» المُختلِفة. ومع ذلِك، في 24 يونيو 1960، بعد عامَين ونصف من عدم وجود أي أدِلَّةٍ أو تقدُّم واضِح، أعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي فجأةً عن اعتقال قاتِل «مارجريت هارولد».

ومرَّة أخرى، تدخَّل مكتب التحقيقات الفيدرالي على أساسٍ تقني. وقُبِض على المُشتبه به في غرب «ممفيس» بـ «أركنساس»، بتُهمة «الهروب غير القانوني بين الولايات لتجنُّب المُلاحقة القضائيَّة» – وهي جريمة فيدراليَّة تقع ضِمن اختصاص مكتب التحقيقات الفيدرالي للتحقيق فيها وإنفاذها. وكانَت المُلاحقة القضائيَّة التي اتُّهِمَ بالهروب منها هي قضية «مارجريت هارولد». ولم تُذكَر جرائِم قتل عائِلة «جاكسون» في البداية.

ولا تزال سلسِلة الأحداث الدقيقة التي أدَّت إلى تحديد هوية القاتِل المُتسلسِل «الوحش الجنسي» «مِلفين ريس جونيور»، واعتقاله، غامِضة ومُعقَّدة إلى حدٍّ ما حتى يومِنا هذا، وكذلِك طفولته وسيرته الذاتيَّة.

بعد العثور على جُثث آل «جاكسون»، تلقّى حاكِم ولاية «فيرجينيا» وشرطة «فيرجينيا» و«ماريلاند» رسائِل تُشير إلى أن موسيقي الجاز «مِلفين ريس»، وهو أبٌ مُطلَّق لدَيه ابن يبلُغ من العُمر أربع سنوات، هو الشخص الذي يجِب التحقيق معه في جرائِم قتل آل «جاكسون». وعندما بدا أن الشُّرطة لن تتصرَّف بناءً على هذه المعلومات، ذَهَب كاتِب الرسالة شخصيًّا إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في «نورفولك»، وقدَّم نفسه باسم «جلين ليروي موزر»، صديق طفولة «ريس»، وخريج جامِعة «ماريلاند» في عِلم الجريمة.

ذَكَر «موزر» أنه و«ريس» كانا شريكَين في السكن، مع امرأتَين، في كوخ على شاطئ «نورفولك» وقت وقوع مقتل آل «جاكسون». وزعم أنه في ليلة اختطاف العائِلة، كان من المُقرَّر أن يعزِف «ريس» في نادٍ في «واشنطن العاصِمة»، لكِنه غادر «نورفولك» مُتأخِّرًا للغاية للوصول في الوقت المُحدَّد. تحقَّق مكتب التحقيقات الفيدرالي من النادي، لكِن مُديره لم يمتلِك سجلَّاتٍ كافية لتحديد ما إن كان «ريس» قد ظهر في تلك الليلة، ولم يتمكَّنوا من العثور على أي أعضاء من الفِرقة يُمكِنهم أن يتذكَّروا بشكلٍ قاطع ما إن كان «ريس» قد عزف في تلك المُناسبة. وصرَّح «موزر» أن «ريس» لم يعُد إلى منزِل الشاطئ لمُدَّة عشرةِ أيامٍ بعد جرائِم القتل لسببٍ غير مفهوم.

وذَكَر «موزر» كذلِك أن «ريس» امتلك أفكارًا «وجوديَّة» غريبة: «لم يكُن يقول أبدًا إن القتل خطأ، لكِنه اعتقد أن هُناك معايير فرديَّة للصواب والخطأ. لقد كانَت نظريَّةً وجوديَّة. وكُلما قرأ شيئًا.. أراد تجرِبته. إنه باحِث عن الإثارة، على ما أعتقِد».

كما تذكَّرَت والِدة «موزر» أن «ريس» كان ضيفًا مُتكرِّرًا في منزلها منذ طفولته، وأنها في السنوات الأخيرة اعتادَت المُشاركة في المُناقشات الفلسفيَّة التي خاضها ابنها و«ريس». وأشارَت إلى أنها اختلفَت مع حجَّته الوجوديَّة القائِلة بأنه يُمكِن غفران العُنف في بعض الحالات على أساس أنه تعبير عن الذات.

وعندها أجابها: «لكِنك إن لم تشعُري.. فأنت في عداد الموتى». مُنتقِدًا «المُجتمع المريض اليوم».

ذكرَت السيِّدة «موزر» أن ريس تمتَّع بصحةٍ جيِّدةٍ، ومظهرٍ جيِّد، وذهنٍ حاضر، وموهِبة لا لبس فيها في الموسيقى، أجابته: «ومع كُل هذا.. يبدو وكأنك ستستمتِع بالحياة».

فأجابها «ريس»: «هُناك بعض الأشياء التي أجِد مُتعةً في القيام بها». دون أن يوضِّح ماهيَّة تلك الأشياء[(CXLIV)].

لم تقتنِع السيِّدة «موزر» بشكوك ابنها. فقد اعترفَت بأن «ريس» كان غريب الأطوار، وعدوانيًّا بشكلٍ سلبيٍّ إلى حدٍّ ما – فقد اعتاد الغش في لعبةٍ وديَّة مثل «سكرابل» على سبيل المثال – لكِنها لم تستطِع تذكُّر تورُّطه في عنفٍ في أي مُناسبة، ولا حتى في شجارٍ في فِناء المدرسة.

قال «موزر» إن «ريس» كان مهووسًا بقصص الجرائِم الحقيقيَّة، والفظائِع، والشخصيَّات النازيَّة، والفلاسِفة الوجوديين مثل «نيتشه» و«شوبنهاور». استمتع «ريس» أيضًا بقراءة «ماركيز دي ساد»، ووفقًا لـ «موزر»؛ فقد أدمَن «ريس» عقار «بنزيدرين»، وتعاطى شراب السُّعال في الليلة التي سبقَت مقتل «هارولد». وصرَّح أنه شعر بالارتياب لأول مرَّةٍ بعد مقتل «هارولد» عندما نشرَت الصُّحف صورةً مُركَّبة للمُشتبه به

تُشبِه «ريس». وعندما عُثِرَ على «ميلدريد جاكسون» وابنتها بالقُرب من نفس موقِع الجريمة السابِقة، تأجَّجَت نيران الشكوك أكثر في قلب «موزر».

كما وصفه «موزر» بأنه ذكي وموهوب وابن عائِلة مُحترمة: «لكِنه يتعاطى «بنزيدرين»، ويُعاني من مُشكلةٍ جنسيَّة. ولماذا؟ في مارس 1955، بعد حوالي ثمانية أشهُر من زواجه من فتاةٍ لطيفة من «بالتيمور»، حاول جرَّ امرأة إلى سيَّارته في محطَّة حافلات «هياتسفيل». ورغم أنهم تكتَّموا على الأمر، إلا أننا عرفنا جميعًا حينها أن هُناك شيئًا خاطِئًا»[(CXLV)].

وذَكَر أنه في أحد الأيام، واجه «ريس» بينما يقود سيَّارته بصُحبته بشأن جرائِم القتل، فتوتَّر الأخير للغاية حتى إنه قاد السيَّارة خارِج الطريق. وفي وقتٍ لاحق، واجهه مرَّة أخرى بصُحبة العديد من زُملائه الموسيقيين، وحثَّه على الاتصال بالشُّرطة والخضوع للتحقيق. انزعج «ريس» بشدَّةٍ، ولم يره «موزر» مرَّة أخرى. لم يُفسَّر سبب استغراق السُّلطات كُل هذا الوقت الطويل للتحقيق في المعلومات التي قدَّمها «موزر» بشكلٍ جيِّدٍ في أيٍّ من المصادِر. فمِن المؤكَّد أن «ريس» استوفى جميع الأوصاف الجسديَّة للمُشتبه بهم، فقد كان طويل القامة، وذا ملامِح منحوتة، ووسيمًا نسبيًّا، بشعرٍ أسود داكِن مُمشَّط للخلف، وحاجبَين كثيفَين بارزَين داكِنَين. ويقود سيَّارة «فورد» زرقاء مثل تلك التي رُوِي عنها ترويع الأزواج الآخرِين على الطُّرق في وقتٍ قريبٍ من اختطاف آل «جاكسون».

ومن غير الواضِح متى بالضبط، وأي سُلطة قضائيَّة، قد راجعت سجل «ملفين ريس» الجنائي للمرَّة الأولى، لكِنهم لم يجدوا سوى بندَين فقط مُدرَجَين في القائِمة. كان الأول بسيطًا؛ في أبريل 1953، غُرِّم «ريس» عشر دولارات، و4.25 دولار أمريكيّ بسبب إلقاء القِمامة على طريقٍ سريع في «فيرجينيا»[(CXLVI)]. أما الثاني، فكان أكثر إثارة للقلق، تمامًا كما وصفه «موزر»؛ في 25 مارس 1955، اتُّهِم «ريس» بالاعتداء عندما قالَت امرأة إنه حاول جرَّها إلى سيَّارته أثناء انتظارها للحافِلة. ورفضَت المرأة المجهولة توجيه التُّهم، وبالتالي أُسقِطَت.

ووفقًا لـ «كاثرين رامسلاند»، لفت «ريس» انتباه الشُّرطة بالفعل في جريمة قتل «ماري فيلرز» و«شيلبي فينابل» عام 1956. وباعتباره أحد الذكور العديدِين الذين عَرَفتهم الفتاة، فقد استُجوِب على ما يبدو، قبل أن يُستبعَد كمُشتبهٍ به. ليس من غير المُعتاد في قضايا القتل المُتسلسِل أن تكتشِف الشُّرطة، عندما تعتقِل المُتَّهم في النهاية، أنها تعرِفه، بل وأنها استجوبته بالفعل، وأحيانًا.. عدَّة مرَّات، كما في حالة «جاري رِدجواي»، المعروف بـ «قاتِل النهر الأخضر»، أو في «بريطانيا»، في حالة «بيتر ساتكليف»، المعروف بـ «سفَّاح يوركشاير».

وبعد أن أدرَكت الشُّرطة أنه كان طالِبًا في جامعة «ماريلاند»، عادَت الشُّرطة لمُقابلة «واندا تيبتون» مرَّة أخرى، والتي عُثِر على صورتها في الكوخ الإسمنتي أثناء التحقيق في مقتل «مارجريت هارولد». اعترفَت «تيبتون» عندها بأنها واعدت «ريس»، وأنها كذَبَت عليهم لأنها لم ترغب أن تُسبِّب له مشاكل مع زوجته. والآن.. امتلكَت الشُّرطة دليلًا على أن «ريس» كان على صلةٍ بالكوخ.

لم يُقابِل مكتب التحقيقات الفيدرالي أخيرًا «ريس» في شرق «مِمفيس» حتى يونيو 1960. «أفادَت «رامسلاند» أن مكتب التحقيقات الفيدرالي واجه صعوبةً في العثور عليه حتى سَمِع «موزر» من «ريس»، وقدَّم عنوانه الجديد إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي». وعند استجوابه، بدا «ريس» غير مُنزعج، ومُهذَّبًا، ولطيفًا. وقد أُحضِر الرقيب «روي هدسون»، رفيق «هارولد» في ليلة مقتلِها، لمُشاهدة طابور العرض، وتعرَّف على «ريس» باعتباره الرجُل الذي هاجمها. وهذا ما حسم الأمر. أُلقي القبض على «ريس» في 24 يونيو 1960، ووُجِّهَت إليه تُهمة الهروب غير القانوني من المُلاحقة القضائيَّة في جريمة قتل «مارجريت هارولد».

وبعد ذلِك بفترةٍ وجيزة، أضاف المُدَّعون الفيدراليون تُهمة اختطاف «ميلدريد» و«سوزان جاكسون» عبر حدود الولاية، وهي الجريمة الأخرى الوحيدة التي تتمتَّع السُّلطات الفيدرالية باختصاصٍ قضائيٍّ فيها.

السيرة الذاتيَّة البسيطة لـ «ملفين دي. ريس جونيور»:

وُلِد «ملفين ديفيس ريس جونيور» في «واشنطن العاصِمة» في 21 يناير 1929، لموظَّف في شركة الهاتِف يُدعى «ملفين ديفيس ريس»، وموظَّفة بمكتب وزارة الداخليَّة الأمريكيَّة تُدعى «فيرجينيا إليزابيث «ألين» ريس»[(CXLVII)]. نشأ في «هياتسفيل» بولاية «ماريلاند»، بالقُرب من مسارِح جرائِم القتل، وكثيرًا ما أقام هُناك على فتراتٍ مُتقطِّعةٍ مع والِدَيه طوال «الخمسينيَّات». لا نعرَف الكثير عن طفولته باستثناء أنه رُبما عانى من بعض المشاكِل السلوكيَّة، وأنه نُقِلَ إلى معهد «إدواردز» العسكري في «سالمبورج» بولاية «كارولاينا الشماليَّة»، حيث «غالبًا ما جاء التلاميذ من منازلَ مُفكَّكة، ولا يوجَد بها سوى والِد واحِد»[(CXLVIII)]. لكِن والِده نفى ذلِك. ويبدو أنه لم يتخرَّج من المدرسة الثانويَّة، رغم ذكائه الواضِح وعلاماته الجيِّدة، وهو ما يدُل على وجود بعض المشاكِل.

وصفه والداه بأنه صبي عاديّ تمامًا، وذكي، وودود، ومُحِب للحيوانات، ناهيك عن موهبته الموسيقيَّة. كما تمكَّن من قراءة وكِتابة الموسيقى في سنِّ العاشِرة. وقال والِده عند الإدلاء بشهادته حول زيارة ابنه في اليوم التالي لاختفاء عائِلة «جاكسون»: «لقد تمتَّع بطبيعةٍ لطيفةٍ ومُتعاطِفة، ولا يُمكِنه أبدًا إيذاء أي كائِنٍ حي. إن ابنه الصغير يعشقه. ومن المُستحيل أن يتمكَّن من الحِفاظ على طبيعته وأخلاقه معنا، إن دار هذا الشيء الرهيب في ذهنه»[(CXLIX)].

التحق «ريس» بالجيش في أكتوبر 1946، ثُم انتقل بعد ذلِك إلى القوَّات الجوِّية. تمركز لبعض الوقت في «بريطانيا»، حيث عزف في فرقةٍ موسيقيَّةٍ عسكرية، وحَصَل على رُتبة عريف، قبل أن يترُك الخدمة في عام 1953. والتحق أثناء تمركُزه هُناك بالبرنامج الخارجي لجامِعة «ماريلاند». وبعد تسريحه من الخدمة، واصَل دراسة الاقتصاد في الجامِعة في حرمِها الجامعي في «كوليدج بارك» من 1953 إلى 1957، لكِنه لم يتخرَّج قط، وترك الدراسة ليتفرَّغ لمُمارسة مِهنةٍ بدوامٍ كامل كموسيقيّ جاز يعزِف بشكلٍ أساسيٍّ في نوادٍ مُختلِفة في شتّى أنحاء «ماريلاند» و«فيرجينيا».

يتذكَّره زُملاؤه الطلّاب باعتباره ودودًا، ولطيفًا، وذكيًّا، وموسيقيًّا موهوبًا للغاية، ومُتعدِّد المواهِب، حيث أجاد العزف على الساكسفون، والفيبرافون، والبيانو، والأكورديون. وأحبَّ الاستشهاد بالشِّعر، كما فُتِنَ بالجوانِب العدميَّة للوجودية، كما ذكر «موزر». ودرَّس البيانو للطلَّاب الصغار، وفي الواقِع، في الأيام التي سبقَت وتلت مقتل آل «جاكسون» كان يُعطي دروسًا في «واشنطن العاصِمة».

وفي أواخِر 1954، تزوَّج «ريس» من «إيلين رحمانينوف»، التي قابلها في الجامِعة. وأنجبا ابنًا سمَّياه «فيليب». قبل أن ينفصِلا في عام 1957، ويتطلَّقا في 1959. وشهدَت زوجته السابِقة بأنه لم يضربها، ونفت أي مُمارساتٍ جنسيَّة «غير عاديَّة». وقالَت إنها رفعَت دعوى طلاق على أساس الهجر.

وفي عام 1958، التقى «ريس» براقِصة تعرٍّ صهباء تُدعى «بات روت»، وتبلغ من العُمر تسعة عشر عامًا، والتي رقصَت تحت اسم «فيفيان ستورم». انتقلا للعيش معًا، في غرب «ممفيس» عندما قُبِضَ عليه.

«أصبحت الأم وابنتها مِلكي»

وفي يوم القبض على «ريس»، ظَهَر مكتب التحقيقات الفيدرالي في منزِل والِدَيه في «هياتسفيل» ومعه مُذكِّرة تفتيش. في البداية، لم يجدوا شيئًا يُدينه، لكِنهم في نهاية المطاف، اكتشفوا حُجرةً صغيرة مُخبَّأة في الجُزء الخلفي من خزانةٍ حيث وجدوا فيها حقيبة «أكورديون» مُقفلة. منحهم «ريس» الأب الإذن بفتحِها. ووجدَت الشُّرطة بداخِلها دليلَي إدانة.

أولًا: كان هُناك مُسدَّس فولاذي أزرق اللون عيار 38، مُلطَّخ بالدِّماء. ولسوء الحظ، فقد كانَت الرُّصاصات المُستخرَجة من مسرح الجريمة مُتضرِّرة للغاية بحيث لا يُمكِن إجراء اختبار تطابُق باليستي مع المُسدَّس، كما لم يكُن من المُمكِن، في زمنِ ما قبل فحص الحمض النووي، مُطابقة آثار الدِّماء بشكلٍ قاطعٍ مع أيٍّ من الضحايا. لكِن المقابِض التي عُثِر عليها في موقِع مَقتل «كارول جاكسون» يُمكِن مُطابقتها من خلال برغي مكسور، وخدوش من النتوءات المعدنيّة على إطار مِقبض المُسدَّس.

أما الدليل الثاني فهو ما أصبَح يُعرَف باسم «مُذكِّرات الموت». وَصَف فيها «ريس» ما فعله بعائِلة «جاكسون»، حيث كتب: «لحقتُ بهم في طريقٍ مُنعزل، وبعد أن أوقفتُهم، أشهرتُ مُسدَّسي، وأمرتهُم بالخروج من السيَّارة، والدخول إلى صندوق السيَّارة الذي فُتِح من أجل الزوج، وكلاهُما مُقيَّد. قدتُ السيَّارة إلى منطقة مُحدَّدة، وقتلتُ الزوج والطفلة. والآن.. أصبحت الأم وابنتها ***ملكي***». «مُشدِّدًا على كلمة ***ملكي***». أُرفِقَت صورة لـ «ميلدريد» في الصحيفة، مع كلمةٍ مرسومة على فمِها. وتحت الصورة.. كان هُناك سرد مُفصَّل لما فعله بها. حجبَت الشُّرطة هذا المقطَع من السجلّ العام، وسِجلّ المحكمة، باستثناء نهاية الجُملة الأخيرة: «ثُم قيَّدتُها وكمَّمتُ فمها، واقتدتُها إلى مكان إعدامها، وشنقتُها»(CL).

المُحاكمة والحُكم

مَثَلَ «مِلفين ريس» للمُحاكمة لأول مرَّة في المحكمة الفيدراليَّة في «بالتيمور» في فبراير ومارس 1961، بتُهمة انتهاك قانون «ليندبرج» في قضية «ميلدريد» و«سوزان جاكسون». وقد أُدين وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة. ثُم أُرسِل إلى «فيرجينيا» لمُحاكمته بتُهمة قتل «كارول جاكسون» في مُقاطعة «سبوتسيلفانيا»، وهي تُهمة عقوبتها الإعدام.

منذ البداية، حاوَل الدِّفاعُ استبعادَ كُلٍّ من المُسدَّس، و«مُذكِّرات الموت» على أساس أنه لا مُذكِّرة التفتيش، ولا إذن الوالِدَين، منح مكتب التحقيقات الفيدرالي سُلطة فتح حقيبة الأكورديون المُغلقة، والتي تخُصّ «ريس»، لا والِدَيه. وقَضَت المحكمة بأن المُذكِّرات غير مقبولة؛ لأنها تنتهِك حماية «ريس» الدستوريَّة بموجَب التعديل الخامِس من تجريم الذات؛ ومع ذلِك.. يُمكِن قبول المُسدَّس كدليل.

وشكَّلَت المُحاكمات عرضًا رائِعًا.

تقدَّمَت جميع نِساء «ريس» للمنصَّة للدِفاع عنه، فقالَت والِدته: «كان لطيفًا وحنونًا مع الحيوانات». وقالَت زوجته السابِقة: «لم يضربني قط، ولم نُمارِس سوى الجنس العادي فقط». كما قالت صديقته السابِقة: «لقد كان رومانسيًّا، ووسيمًا، ويُمكِنه الحصول على أي فتاة». بكَيْنَ جميعًا، وتغنَّين به. نعم، لديه أخطاؤه وإخفاقاته، لكِن لم يكُن هُناك أي شيء عنيف أو غريب في «ديف»، كما أحبَّ «ريس» أن يُنادى.

وعندما تقدَّمَت صديقته السابِقة، «بات روت»، راقِصة التعرِّي الشهيرة بـ «فيفيان ستورم» إلى منصَّة الشهود، كانَت ترتدي ملابِس تُشبِه عارِضات الإنستجرام قبل ظهوره. وذكرَت الصُّحف أن: «الشاهِدة ذات الشعر الأحمر الداكِن ارتدَت فستانًا حريريًّا أسود مكوَّنًا من قطعتَين، بياقةٍ عاليةٍ وثلاثة أرباع كُم. وارتدَت أقراطًا كبيرةً من اللؤلؤ، وقُفَّازات بيضاء، وحذاءً جلديًّا أسود لامِعًا»[(CLI)].

«تحدَّثَت بهدوءٍ وبصوتٍ بالكاد يُسمَع».

«لقد عقدَت ساقَيها بشكلٍ عرضي».

امتدَّت صفوف المُتفرِّجين في قاعة المحكمة حول المبنى.

وعندما سألها المُدَّعي العام عمَّا إن كانَت راقِصة تعرٍّ، أجابَته: «ليس بالضبط، لا، أنا راقِصة مُتخصِّصة».

أصرَّت «روت» على أنها و«ريس» أقاما علاقاتٍ جنسيَّة طبيعيَّة. وعندما سُئِلَت عمَّا إن كانَت قد تموضَعت عاريةً أمام ريس، أجابت بتحدٍّ: «لم يسبِق لي أن تموضعتُ للتصوير عارية قط، ولكِن نعم، لقد التقط لي صورًا». *أثناء وجودها في الحمَّام.*

لقد كان الأمر قذرًا وفاحشًا في عصر البساطة البروتستانتيَّة الأمريكيَّة النظيفة الشهير بـ «أنا أُحِب آيك»، والبراءة الامتثاليَّة الشهيرة بـ «اتركها لبيفر». مثَّلَت «روت» العاهِرة المُناهِضة لـ «جون كليفر»، اليد اليُمنى النفسيَّة الجنسيَّة لليسار السادي لـ «ملفين ريس»، الذي اختطف، وعذَّب، وقتل، واغتصب بوحشيَّةٍ الأمَّهات الناضِجات في «جون كليفر» مثل «مارجريت» و«ميلدريد».

وكانت هذه القصَّة هي أكثر خيالات مجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة إثارةً للخيال – بعناصرٍ مثل الجنس والموت وقتل الأمَّهات – قد ناشدَت التحرُّكات القديمة للوحوش المُستذئبة: القاتِل المُتسلسِل كمرآةٍ

مزدوجةٍ للإنسانيَّة، «الدكتور جيكل والسيِّد هايد»، الرجُل اللطيف «لون شاني جونيور»، والوحش المُستذئب الذي تحوَّل إليه.

وخلال المُحاكمة، ظلَّ «ريس» هادِئًا ورصينًا ورزينًا ووسيمًا على طريقة «روك هدسون» المنحوتة. حتى إنه ارتدى بدلةً تنفيذيَّة من شارِع «جادة ماديسون». فقدَت النساء وعيَها أمام الوحش الجنسي. ولكِن في مايو 1961، أُدين «ريس» في «فيرجينيا» في جريمة قتل «كارول جاكسون»، وحُكِمَ عليه بالإعدام.

وبمُجرَّد انتهاء المُحاكمة، لم يتحدَّث أحد كثيرًا عن الوحش الجنسي، ونُسِيَ تقريبًا في مذبحة ما بعد «جون كينيدي» التي تلت ذلِك، وحتى اليوم.. لا تزال القضية غامِضة.

توابِع قضية «مِلفين ريس»

حصلَت «بات روت» على قدرٍ لا بأس به من الشُّهرة بعد المُحاكمة، لتُصبِح «بات بارينجتون»، نجمة أفلام الدرجة الثانية في «الستينيَّات» بأدوارٍ في أفلامٍ مثل «أورجي أوف ذا ديد»، و«سايكاديلكا سيكشوالس»، و«ذا أجوني أوف لوف»، و«موندو توبلِس»، و«ذا جيرل ويز هانجري آيز»، و«ذا ساتانِست»، و«ذا آسيد إيترز»، و«هيدونِستك بليجرز»، و«سيستر إن ليزر». واستمرَّت في التعرِّي حتى أوائِل «التسعينيَّات»، ثُم عملت في التسويق عبر الهاتِف، قبل أن تتوفَّى في عام 2004[CLII].

وبعد إدانة «ريس»، نُشِرَت العديد من الطعون بشكلٍ مُتقطِّعٍ في مقالاتٍ صحفيَّةٍ قصيرة. كانَت هُناك تشكيكات بالجنون، ومزيد من الاستئنافات. وبحلول عام 1967، بدا أن «ريس» قد انهار عقليًّا. وأصبَح رجُلًا أشعث، وأبلَهَ، يسيل لُعابه. وتنازَل عن حقِّه في الاستئناف، وطالَب بإعدامه. شكَّكَت المحكمة العُليا في أهليته العقليَّة لاتخاذ مثل هذا القرار، وأبطلَت حُكم الإعدام الصادِر بحقِّه مؤقتًا، وانتظرَت حتى يستعيد أهليته لعقودٍ من الزمن، إلى أن تُوفِّيَ بسبب مشاكِل في القلب، عن عُمرٍ يُناهِز السادِسة والستِّين، في مُنشأةٍ فيدراليَّة بولاية «ميسوري» في 10 يونيو 1995[CLIII]. وظلَّ تعليق عقوبة الإعدام على «ريس» قضيّة يُمكِن الاستشهاد بها في مُداولات المحكمة العُليا حتى عام 2013، عندما صَدَر حُكم بالإجماع بإبطالها كسابِقةٍ مُستقبليَّة[CLIV].

وفي عام 1985، قبل عشر سنوات من وفاته، أجرى «ريس» مُقابلة حصريّة مع صحفي من صحيفة «ريتشموند تايمز ديسباتش»، اعترف فيها باختطاف وخنق الفتاتَين المُراهِقتَين «ماري فيلرز» و«شيلبي فينابل»؛ وادَّعى أنهما كانتا أول ضحاياه؛ لكِنه أنكر لعب أي دور في إطلاق النار على «نانسي شوميت»، و«مايكل آن ريان» في كمينٍ عام 1955. «في عام 2000، نشرَت صحيفة «واشنطن بوست» اعترافًا مزعومًا، على فراش الموت، في عام 1995، لرجلٍ من «فلوريدا»، نشأ بالقُرب من جريمتَي القتل، مُدَّعيًا أنه عندما كان في السابِعة عشرة من عُمره؛ أطلق النار على الفتاتَين ببُندقيّة صيد في حالةٍ من الغضب، بعد أن رفضَت إحداهُما دعوته بوقاحةٍ لموعِدٍ غرامي»[CLV].

وكشف «ريس» أنه كان مُدمِنًا لـ «بنزيدرين» لمُدَّة عشر سنوات، وأنه لم ينم لمُدَّة أربعة أو خمسة أيام قبل قتل آل «جاكسون». وقال إن شكل وهيئة تخيُّلاته الساديَّة جاءت من قراءته القهريَّة لمجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة. كما أنكر ضربه لـ «ميلدريد»، مُدّعيًا أنه حاول شنقها في الكوخ، لكِن جوربها المصنوع من النايلون لم يستطِع تحمُّل وزنها، وأنها أُصيبَت بكدماتٍ في وجهها عندما سقطَت أرضًا. وقال إنه نسي تمامًا أمر «سوزان» البالِغة من العُمر خمس سنوات، بعد أن حبسها في صندوق السيَّارة. وعندما أخرجها.. بدأت بالصراخ، فضربها بلوحٍ خشبي، وألقى بها فوق قبر والِدتها الضحل الذي حفره.

فتى «كلارنيل»: «تساءلتُ فقط عن شعور إطلاق النار على جدَّتي»

بينما مارَس «إد جين»، و«هارفي جلاتمان»، و«ملفين ريس» خيالاتهم التي طالما حَلموا بها، دَخَل القتلة المُتسلسِلون المُستقبليُّون في «عصر البلاء» في طفولتهم التكوينيَّة. وفي «الخمسينيَّات» تخلَّت عروس الحرب المُحبَطة «كلارنيل» عن زوجها بطل الحرب، «إيه إيه كِمبر»، الذي أصرَّ على مُتابعة عمله ككهربائيٍّ؛ رغم احتجاجاتها بأنها مهنة «أقل من مستواه». وفي النهاية، حَصَل على عقدٍ للعمل ككهربائيٍّ في اختبارات القنابِل النوويَّة في المُحيط الهادئ لعدَّة سنوات. وسيقول فيما بعد: «إن المُهِمَّات الانتحاريَّة في زمن الحرب، واختبارات القُنبُلة الذريَّة في المُحيط الهادئ، لا تُقارن بالعيش معها». وفي غيابه، أصبَح «إدموند» الصغير هدفًا مُفضَّلًا لتفريغ إحباط «كلارنيل»، وغضبها من زوجها الذي لا يُمكِن احتوائه. واستعانَت بشقيقتَي «إدموند» لتعذيبه، مما جعله موضِعًا للسُّخرية المُشتركة بينهم. وردًّا على ذلِك، قطع «إدموند» رأس إحدى دُمى «باربي» الخاصَّة بشقيقاته. كما قَطع الجُزء العلوي من جُمجمة قطَّة العائِلة، وأخفى جُثَّتها في خزانته. ودفن قطَّة أخرى حيَّة. وبدأ يتلصَّص ليلًا على نوافِذ الجدران، وهو يحمِل سكينًا في يده. وعندما مازحته شقيقته بأنه يُريد تقبيل مُعلِّمتها، قال لها «إدموند»: «يجب عليَّ أن أقتُلها أولًا».

نما «إدموند» إلى طولٍ غير عاديٍّ بالنسبة لمُراهق؛ 6.4 قدم. «ووَصَل إلى 6.9 عندما أصبَح بالِغًا». وكان طفلًا حسَّاسًا يتمتَّع بمُعدَّل ذكاءٍ مُرتفِع بلغ 136 في ذلِك الوقت. ولأسبابٍ لا يعلمها سواها، شعرَت «كلارنيل» بالقلق من تحرُّش «إدموند» بشقيقتَيه. وفي أحد الأيام، عاد «إدموند» من المدرسة، ليجِدها نقلَت غُرفة نومِه إلى القبو.

في نهاية المطاف، طلَّق «إيه إيه كِمبر» زوجته «كلارنيل»، واستقرَّ في ولاية «كاليفورنيا». وتزوَّج مرَّة أخرى، وأسَّس عائِلة جديدة. تزوَّجَت «كلارنيل» مرَّتَين أُخريَين، بحجة أن ابنها «بحاجةٍ إلى أب». لم تنجَح زيجاتها أكثر من زواجها الأول. لم تتمكَّن «كلارنيل» من العثور على رجلٍ يُمكِنه أن يرقى إلى مستوى توقُّعاتها، ونفَّسَت عن إحباطها على ابنها إد.

بدأ «إدموند» تحوُّله إلى قاتِلٍ مُتسلسِلٍ في سنٍّ مُبكِّرة على غير العادة، وفي سنِّ الخامِسة عشرة، في صيف عام 1963، توسَّل للذهاب للعيش مع والِده، وفي نهاية المطاف، هَرَب وظهر على باب والِده في عام 1964. واصطحب والِده عائِلته الجديدة و«إدموند» لزيارة والِدَيه، السيِّد «إدموند إيميل كِمبر الأب»، البالِغ من العُمر اثنَين وسبعين عامًا، وزوجته الفنَّانة، ومؤلِّفة قصص الأطفال، السيِّدة «مود هيجي كِمبر»

البالِغة من العُمر ستَّة وستِّين عامًا. وكانا قد تقاعدا في مزرعةٍ مساحتها سبعة عشر فدَّانًا في «نورث فورك» بـ «كاليفورنيا». وعندما انتهَت زيارة عيد الميلاد، ترك «إدموند» مع جدَّيه ليُربِّياه.

في البداية، بدا الأمر ناجِحًا. فقد اشترى له جدَّاه كلبًا وبُندقيةً عيار 22. وشرع «إدموند» من فوره في القضاء على جميع الحيوانات البريَّة في المنطِقة المُجاوِرة للمزرعة، ولكِن بخلاف ذلِك.. لم يكُن هُناك أي مُشكِلة. «لم يقتُل الماشيَّة الحيَّة كما زعمَت بعض المصادِر». سُجِّل في مدرسة «سييرا» الثانوية المُشتركة في «تولهاوس» القريبة، حيث حَصَل بهدوءٍ على درجاتٍ متوسِّطةٍ دون أن يجذِب أي انتباهٍ لنفسه. ولكِن عندما انتهى العام الدراسي، أُعيد إلى منزِله في «كلارنيل» لقضاء عُطلة الصيف. عاد فجأة بعد أسبوعَين، وتحوَّل فجأة إلى شخصيَّته المُضطرِبة. وأصبح الآن مُشكِلة بالنسبة لجدَّيه، ولم يُطِع مطالِبهم بالتوقُّف عن صيد الطيور في المزرعة.

وفي 27 أغسطُس 1964، ذهب جدُّه إلى المدينة لشِراء البقالة. بينما جلسَت «مود» على طاوِلة المطبخ مُنهمِكةً في تحرير مخطوطة حديثة لمجلَّة «بويز لايف»، المجلَّة الرسميَّة للكشَّافة، أطلَق «إدموند» النار عليها مرَّتَين في مؤخِّرة رأسها ببُندقيَّته، قبل أن يطعنها ثلاث مرَّاتٍ في ظهرها، لأنه لم يكُن يُريدها «أن تُعاني»، على حدِّ قوله. ثُم لفَّ رأسها بمنشفة أطباق، قبل أن يحمِل جُثَّتها إلى غُرفة النوم، وطفق مُنتظرًا عودة جدِّه.

لم يكُن يُريد أن يرى جدَّه ما اقترفته يداه. وعندما جاء جدَّه بسيَّارته حاملًا البِقالة، خَرَج «كِمبر» لتحيَّته. وقال للشرطة: «كان جدي يبتسِم لي». وعندما التفَت، وضعتُ البُندقيَّة على هذه المسافة «وأشار إلى حوالي 30 بوصة» من مؤخِّرة رأسه، وأطلقتُ النار عليه»[(CLVI)].

ثُم اتصل «كِمبر» بوالِدته، وأخبرَها بما فعله. وعندما وصلَت الشُّرطة، لم يكُن في جَعبته الكثير ليقوله لتفسير ما فعله، سوى أنه كان «ساخطًا على العالم»، و«تساءلتُ فقط على شعور إطلاق النار على جدَّتي».

نُقِل «كِمبر» على الفور إلى مصحَّة «أتاسكاديرو» النفسيَّة ذات الحراسة المُشدَّدة التابِعة للولاية، حيث تحوَّل الشاب الذكي والساحِر بشكلٍ لا يُصدِّقه عقل إلى الشاب المُفضَّل لدى طاقِم الطب النفسي. وكُلِّف بالعمل في مُختبر علم النفس، حيث أصبح قائِدًا لطاقِم إدارة اختبارات علم النفس للنُّزلاء، والمُساعدة في تسجيل نتائِجها. وأُعجِب عالِم النفس «فرانك جي. فاناسيك» بأدائه، وعلَّق قائِلًا: «لقد كان عامِلًا جيِّدًا للغاية – وهذا ليس معتادًا من المُعتلِّين اجتماعيًّا. لقد شعر بالفخر بعمله حقًّا. والآن.. من المُرجَّح أن يستغِل المُعتل أداءه لتحقيق غاياتٍ أخرى». وفَهِم «كِمبر» نفسه أفضل بكثيرٍ من «فاناسيك» عالِم النفس الحاصِل على درجةٍ علميَّة. وعلَّق «كِمبر» لاحقًا: «لقد بذلتُ قصارى جُهدي.. وكُنت الشابَّ الديناميكي، وبدءوا يقولون إنه رُبما يُمكِنهم إطلاق سراحي في وقتٍ أقرب مما ظنُّوا»[(CLVII)].

«آرثر شاوكروس» الشهير بـ «قاتِل نهر جينيسي» الجُزء الأول في مُقاطعة «جيفرسون» في الفترة بين 1972 إلى 1989

على الجانِب الآخر من البلاد، وفي الجانِب العلوي من ولاية «نيويورك» بالقُرب من «ووترتاون»، كان «آرثر جون شاوكروس»، ابن «إليزابيث «بيتي» يريكس» التي تركَت الدراسة بعد الصف العاشِر، والمُحارِب القديم في «جوادالكنال»، «روي شاوكروس» الذي أُصيب بصدمةٍ نفسيَّة خلال «الخمسينيَّات» و«الستينيَّات».

ورغم أن «بيتي» ادَّعَت أن «آرثر» كان طبيعيًّا، ويتمتَّع بصحَّةٍ جيِّدة، ولم يُسبِّب لها أي مشاكِل حتى سنِّ الخامِسة، إلا أن أقارِب آخرين يتذكَّرون أن «آرت» الصغير كان غريب الأطوار، منذ نعومة أظافره. ويتذكَّر أحدُهم أن «آرثر» تمتَّع بعينَين كبيرتَين وجميلتَين، لكِن نظراته كانت فارِغة، وخالية من التعبيرات. ولم يبكِ قطُّ تقريبًا. ولكِن عندما كان يبكي، كان يبكي بشكلٍ مُخيفٍ من عينٍ واحِدةٍ فقط. واستمرَّ في الحديث كالأطفال حتى وَصَل إلى سنِّ السادِسة. وعانى من الكوابيس، وكثيرًا ما بلَّل فراشه. ناهيك عن تغيُّبه عن روضة الأطفال لمُدَّة ثلاثةٍ وثلاثين يومًا، وعندما أصبح في الصفِّ الأول الابتدائي، بدأ يهرب من المنزِل – وهو أمر غير مُعتاد بالنسبة لطفلٍ في ذلِك العُمر. كما استمتع بجعل الأطفال الآخرين يبكون، واخترع أصدِقاء خياليِّين يُجري معهم مُحادثات مُستفيضة.

أطلَق عليه الأطفال الآخرون لقب «أودي»، وأصبح هدفًا مُتكرِّرًا لسُخريتهم. ولطالما بدا مُهمِلًا. ويتذكَّر العديد من الطُّلَّاب السابقين «شاوكروس» كصبيٍّ يقِف على حافَة الملعب، يرغب في الانضمام إليهم، لكِنَّ أحدًا لم يدَعه قط. وتُشير تقارير مدرسيَّة مُبكِّرة إلى أنه اعتاد التجوُّل بعيدًا عن فصله الدراسي، ووُجِد جالسًا في الفصول الدراسيَّة الفارِغة، كما اعتاد أيضًا جلب قضيبٍ حديدي في حافلة المدرسة لضرب الأطفال.

وفي مايو 1953، وهو في الثامِنة من عُمره، أُرسِل لإجراء تقييم للصحَّة العقليَّة. ووَرَد في التقرير: «يبدو أن هُناك شعورًا عامًّا بأنه لا يُمكِن للمرء أن يعرِف ما الذي سيفعله، حيث أنه يُضمِر قدرًا لا بأس به من العداء خاصَّة تِجاه والِدته بسبب الخوف من العِقاب والرفض، ويبدو أنه لا يجِد الكثير من المنافِذ المشروعة لذلك. كما يبدو كذلِك أن الأشياء التي لا حول لها ولا قوَّة، «ورُبما الأطفال الصِّغار» هي التي تتحمَّل العبء الأكبر، ولا يبدو أن ضميره قد تطوَّر بعد، لكِن يبدو أن بعض مشاعِر الذنب تكتنِفه». بعبارةٍ أخرى.. كان «آرثر» الصغير يشُق طريقَه ليُصبِح مُضطرِبًا نفسيًّا.

وخلص التقرير إلى أن: «تبدو الأم رافِضة «من وجهة نظره»، وتُعاقِبه حتى في الحالات التي لا مُبرِّر لها. وقد أدى ذلِك إلى خلق قدْرٍ كبير من الارتباك حول ما يجِب أن يكون عليه. فهو يشعُر وكأنه طفلٌ سيِّئ في كثيرٍ من الأوقات، كما أنه عدائي بما يكفي بطريقةٍ مشوَّشةٍ إلى حدٍّ ما ليرغب في أن يظلَّ «سيِّئًا»، وغير قادِرٍ على تطوير أي معايير أخلاقيَّة. وبدلًا من ذلك، يبدو مُنغمِسًا في قدرٍ كبيرٍ من الخيال الذي يرى فيه نفسه كشخصٍ جديدٍ يتمتَّع بالاحترام والكرامة».

سيزعم «شاوكروس» فيما بعدُ أن والِدته ضربته بعصا المكنسة، وأدخلتها في شرجه، وأعطته حقنة شرجيّة رغمًا عنه، وأنه مارس الجنس مع شقيقته أو ابنة عمِّه أو خالته سِفاحًا، وأنه مارس الجنس مع ذكَر عندما كان

في الرابِعة عشرة من عُمره، رغم أنه لا يُمكِن تأكيد أي من هذه الادعاءات اللاحِقة. وسيروي «شاوكروس»، كما سنرى، الكثير من الحكايات الطويلة.

عندما كان «آرثر» في التاسِعة من عُمره، وصلَته رسالة من زوجة «روي» في أستراليا، وانكشف ستر ماضيه الخفي. ومنذ ذلِك الحين، أصبَحت الحياة العائِليَّة جحيمًا، وأصبَحَت «المرارة» رفيقةً دائِمةً لـ «بيتي»، وبدأت تُشير إلى جميع النساء الأخريات، سواء في الحياة أو على شاشات التِّلفاز، على أنهُن «عاهِرات». وما انفكَّت توبِّخ زوجها باستمرار، لبقية فترة زواجهما. الذي أصبَح الآن يبتعِد عن العمل لساعاتٍ طويلة، وأصبَح مُنعزِلًا وهادِئًا. كما أصبَح شخصًا «غير مرغوبٍ به» في العائِلة.

ولاحقًا كتب «شاوكروس»:

«ومنذ ذلِك اليوم، انقلبَت حياتي رأسًا على عقِب. أطرق والِدي رأسه خجلًا. ولم يستطِع النظر في عيني أيِّ شخص، ويُخبِره أن الأمر لم يكُن كذلِك! وتولَّت والِدتي المسئولية، وجعلت الحياة جحيمًا في ذلِك المنزِل. لم يستطِع والدي حتى مُشاهدة التِّلفاز دون أن تشتُمه والِدتي، أو ترمي عليه شيئًا. وحتى في المكان الذي عمل فيه، كان بإمكانه أن يفعل ما هو أفضَل لنفسه، لكِنه بدأ العمل في بِئر حصى. أشعُر بالخجل من والِدي، والآن.. أشعُر بالخجل من نفسي. فقد فعلَتْ هذه المرأة نفس الأفعال بكلَينا»[(CLVIII)].

أُبلِغ عن العديد من حوادِث القسوة على الحيوانات لاحقًا. ويتذكَّر أحد أبناء عمومته كيف أحبَّ «آرثر» سلخ جلود الأسماك الحيَّة ليُشاهدها وهي تُعاني، ويرى كم من الوقت ستستغرِقه حتى الموت. وكيف اصطاد الأرانِب، واستمتع بنهش أعناقِها، ونتف ريش صِغار الطيور، وتثبيت الضفادِع على لوح السِّهام الخاص به كأهداف، وربط القطط ببعضها البعض. كما يتذكَّر أحد أصدِقائه أنه ألقى بقطةٍ صغيرةٍ في بُحيرةٍ مرارًا وتكرارًا حتى غَرِقَت.

كما ارتكب «شاوكروس» أيضًا العديد من أعمال السرقة الصغيرة، مما زاد من ملء ملف طفولة القاتِل المُتسلسِل المُعتاد، إلى جانِب العديد من حالات الحرق العمد. واستُدعيَ رجال الإطفاء باستمرارٍ لإخماد حرائِق الغابات بالقُرب من منزله.

كان كُل شيءٍ موجودًا، كُل الأعراض الكلاسيكيَّة في تاريخ طفولة القاتِل المُتسلسل: التبوُّل في الفراش، والتنمُّر على زُملائه الأطفال، والحرق العمد، والقسوة على الحيوانات، والهروب إلى الخيال كوسيلةٍ للانسحاب، والأم المُسيطِرة التي تحتلُّ مركز القيادة. كما تُعَد الأم المُهيمِنة الهستيريّة، وشخصيّة الأب الضعيف، أو غير المُسيطِر، أو الغائِب تمامًا فكرة تتخلَّل السيرة الذاتيَّة لطفولة العديد من القتلة المُتسلسِلين، مثل «إدموند كِمبر»، و«جيري برودوس»، و«هنري لي لوكاس»، و«كينيث بيانكي».

وأحد الجوانِب الشائِعة في طفولة القتلة المُتسلسِلين هو رفض أقرانه له، مما يؤدي إلى الشعور بالوحدة. ومن الصعب تحديد ما إن كان أقرانه يرفضونه بسبب غرابة أطواره، مما يؤدي إلى سلوكٍ مُحبَطٍ وعنيف يزيد من نفورهم منه، أو أن السلوك العنيف هو الذي يؤدي إلى رفضهم لرفيق لعبهم، ولكِن بغضِّ النظر عن ذلِك، يشعُر الطِّفل بالرفض، ويبدأ في خضمّ وحدته في الاستغراق؛ يبدأ في التفكير في تخيُّلاتٍ مُريحة عن

الانتقام العنيف، الذي يُسيطِر ويُهيمِن فيه على كُلِّ شيء حولَه، بما في ذلِك الأشخاص الذين رفضوه في المقام الأول.

وعندما خَضَع «شاوكروس» لتقييم الصحَّة العقليَّة في سنِّ الثامِنة، ورد في التقرير: «تقول الأم إنه ليس لدَيه أي رُفقاء لعِب، ولمَّا سألته الأم عن أكثر من يُحِب بين إخوته وأخواته، أجابها قائِلًا: ليس أيًّا منهم، لأنهم لا يلعبون معي».

«الفتى المجنون»

كان هوسه بالسير في خطٍّ مُستقيم من أغرَب عاداته، بغضِّ النظر عن العوائِق – مُستنقع أو تلال أو أسلاك شائِكة. تمزَّقَت ثيابه، وغَرِق في مُستنقعات «ووترتاون»، لكِنه لم يكُن يُغيِّر اتجاهه، واعتاد تسمية ذلِك «المشي عبر العقبات».

وعندما أصبَح «شاوكروس» مُراهِقًا، ازدادَت قوَّته. وبدأ الكثيرون يخشونه، بدلًا من السُّخرية منه. وعندما وصفته إحدى الفتيات بأنه «غبي»، هاجمها بمضرب بيسبول. لم يكُن يعرِف مُصطلح «المُشجِّع» عند القِتال. وبمُجرَّد أن بدأ، لم يكُن هُناك ما يوقِفه حتى يسحبه أحدُهم. وذكر أحد أبناء عمّه الذكور أن «آرتي» لم يكُن يعرِف كيف يُعبِّر عن غضبه سوى بالصُّراخ بتعليقات الكُتب المصوَّرة أثناء الضرب: «بانج.. بوم.. طاخ». كما ضَرَب صبيًّا بالكُتب في وجهه، فهشَّم نظارته؛ وكَسَر أنف ابن عمِّه بعقب بُندقيّة لعبة.

يتذكَّر أحد أبناء عمومته قائِلًا: «اعتاد إصدار أصواتٍ غريبة أثناء سيره، فكُلما صادفتُه، وجدته يقول: مُت.. مُت.. مو.. مُت.. مُت.. مو. كما ذكر ابن عمٍّ آخر: بدا الصوت الذي خَرَج من حلقه في البداية وكأنه أنشودة، لكِننا أدركنا لاحقًا أنه كان يقول كلِمة «مُت» مرارًا وتكرارًا. كما عانى من مشاكلٍ دراسيّةٍ في المدرسة. ففشل في الدراسة ثلاث مرَّات، وكانَت النتيجة أنه كان في السادِسة عشرة من عُمره عندما دَخَل الصفَّ الثامِن. ورغم أنه تفوَّق في الرياضة، إلا أنه لم يُمكِن السيطرة عليه. لذا طُرِدَ من فريق المُصارعة؛ عندما استخدَم أساليب المُصارعة التليفزيونيّة مثل اللكمات والضربات الجسدية. كما اعتدى على مُنافسيه في سباقات المِضمار والميدان. حتى لقَّبوه بـ «الفتى المجنون».

ومنذ سن التاسِعة، بدأ «شاوكروس» أيضًا يتعرَّض لنوبات إغماء غير مُشخَّصة، ونوبات غريبة من الشلل. وفي سنِّ العاشِرة، أثناء نُزهة مع عائِلته، بدا فجأة أنه فقد وعيَه وسقط في الماء. وبعد أن أخرجه والِده، ادَّعى «آرثر» أنه لم يستطِع تحريك ساقَيه. وأمضى ستّة أيامٍ في المُستشفى، خضع فيها لسلسلةٍ من الاختبارات دون أي تشخيصٍ واضِح. قبل أن يُرسِلوه إلى المنزِل، وبعد فترة وجيزة.. استعاد قُدرته على استخدام ساقَيه بأعجوبة.

وفي المدرسة، أُصيب «شاوكروس» بأول سلسِلةٍ طويلة من إصابات الرأس، وهي أيضًا سمة مُتكرِّرة في تاريخ طفولة القتلة المُتسلسِلين. فقد أُصيب بقُرصٍ في رأسه، مما أدى لدخوله المُستشفى لمُدَّة أربعة أيام مع

كسور في الجُمجمة. وفي السنوات القليلة التالية، فقدَ وعيَه بسبب صدمةٍ كهربائيّةٍ، وضربةٍ بمطرقةٍ ثقيلة، وسقط على رأسه من على سُلَّم طوله أربعين قدمًا، وصدمته شاحِنة.

وبحلول سنِّ السابِعة عشرة، ترك «شاوكروس» المدرسة، وعَمِل في وظائِف مؤقَّتة مُختلِفة. وقد نضج ليُصبِح شابًّا جذَّابًا وقويًّا، بعيون خضراء، وملامِح داكِنة ووسيمة، لكِن سلوكه الغريب ظلَّ يُنفِّر الكثير من الناس. واستمرَّ في «المشي عبر العقبات»، لكِنه أضاف الآن تطوُّرًا جديدًا إلى هوسه – فكان يُسرِع أو يُبطئ كُل عشرين خطوةً أو نحو ذلِك. ورغم أنه امتلك سيَّارة، أهداها له جدّه، إلا أنه سُرعان ما حطَّمها، وفضَّل استخدام درَّاجته، زاعمًا أن القيادة تُصيبه بالتوتُّر. كما اعتاد أن يُمسِك بردفَيه ويرفع نفسه، كُلما نهض من على الكُرسي. وفي الحفلات الراقِصة، قام بحركاتٍ غريبةٍ مُتشنِّجة، مُتقدِّمًا بعشرين عامًا على «ديفو» و«توكينج هيدز». وانتهَت مواعيده القليلة مع الفتيات بتصرُّفاته غير اللائِقة؛ وتتذكَّر إحدى الفتيات أنه أمسَك بمؤخِّرتها فجأة بعُنف.

وفي ديسمبر 1963، عندما كان «آرثر» في الثامِنة عشرة من عُمره، سجَّل أول إدانة جنائيَّة له. واستجابةً لإنذارٍ صامتٍ في وقتٍ مُتأخِّرٍ من إحدى الليالي، ألقَت الشُّرطة القبض عليه داخِل متجرٍ كبير في وسط المدينة. وكان قد حطَّم النافِذة الأماميَّة. وحكم عليه القاضي بثمانية عشر شهرًا تحت المُراقبة باعتباره مُجرمًا شابًّا.

ورغم سلوكه العنيف المُضطرِب، إلا أن بعض النساء وجدنَه جذَّابًا. وخلال شِتاء عام 1964، بدأ «شاوكروس» بمواعدة فتاةٍ تكبُره بعامٍ واحد، وفي شهر «سبتمبر» تزوَّجا. وبعد عام، في شهر أكتوبر 1965، رُزِقا بطفلٍ. وعاش الزوجان في مقطورةٍ في عقارٍ يملكه والِدا عروسه. وعمل «شاوكروس» في مجموعةٍ مُتنوِّعةٍ من الوظائِف، لكِنه غالبًا ما تظاهر بالإصابات للحصول على التأمين، ومرَّ بفتراتٍ طويلةٍ من البطالة. كما تورَّط في أعمال سرقةٍ صغيرة، واعتبروه عاملًا غير موثوق به في العمل. وكان زوجًا غير مُخلِص، موضِّحًا فيما بعد أن زوجته رفضَت مُمارسة الجنس الفموي. واكتشف «شاوكروس» أنه يتمتَّع بقُدرةٍ على جذب النساء، رغم غرابة أطواره.

ولا يُعرَف الكثير عن هذا الزواج الأول؛ فقد نجحَت زوجته «سارة تشاترتون» وابنهما في الاختفاء. وفي وقتٍ لاحق، قالَت «سارة» إنها خشيَت على حياة ابنهما في وجود «آرثر». وتذكَّر ابن عمه أنه جاء ذات مرَّة إلى مقطورة الزوجين، فقال له «آرثر»: «إنها تستريح، لقد أخذتها للتو. إن أردتَ الذهاب للخلف وإحضارها، يُمكِنك القيام بذلِك».

وفي شِتاء عام 1965، كان «شاوكروس» يقود سيَّارته عندما ألقى صبي كُرة ثلج عليها. ضغط على المكابِح بقوَّة، وطارَد الصبي إلى منزله، وكسر بابه، وبمُجرَّد دخوله صفعه عدَّة مرَّات. اتُّهِم «شاوكروس»، على أساسٍ تقني، بجريمة سطوٍ من الدرجة الثانية. وأقرَّ بأنه مُذنِب بالدخول غير القانوني، وحُكِم عليه بستّة أشهُر تحت المُراقبة، والخضوع لتقييمٍ نفسي. تركته زوجته، وطلبت الطلاق. وبعدها، لم يرَ «شاوكروس» ابنه مرَّة أخرى. وفي عام 1966، التقى «شاوكروس» بـ «ليندا نيري»، وهي نادِلة في قاعة

رقصٍ محليَّة. وتتذكَّر «نيري» أنه كان هادِئًا للغاية، ولم يشتُم قط، أو يُحِب الحشود. كما شُغف بصيد الأسماك، وكَرِه القيادة، وكان دائِم الشكوى من والِدته، حيث قال لـ «نيري» إنه شعر بأنها لا تُحِبّه، وأنه بغضِّ النظر عمَّا فعله، اعتقدَت والِدتُه أنه على خطأ طوال الوقت. تتذكَّر «نيري» كذلِك أنه بدا مهووسًا بملابسه، وأصرَّ دائِمًا على أن تكون ملابس عملِه نظيفةً ومكويَّة جيِّدًا. وعلى نحوٍ مُماثل، كان أحاديَّ التفكير، ولم يكُن يَحيد قطُّ عن خطَّة الأُمسية على سبيل المثال.. ولا حتى للتوقُّف لتناوُل فنجانٍ من القهوة.

وقالَت «نيري» إن الجنس لم يكُن مُشكِلة، لأنهما لم يُمارِساه. ولم تكُن ترغب في ذلِك إلا إن تزوَّجا، ولم يعترِض «شاوكروس» على ذلِك.

ذهاب «آرثر شاوكروس» إلى الحرب

في أبريل 1967، جُنِّدَ «شاوكروس» في الجيش، وفي «سبتمبر»، بعد الانتهاء من تدريبه، تزوَّج هو و«ليندا نيري». وفي أوائِل شهر أكتوبر 1967، أُرسِلَ الجُندي «آرثر جون شاوكروس»، ورقمه التسلسُلي 52967041، إلى «فيتنام» مع فرقة المُشاة الرابِعة، حيث عُيِّنَ في سرية الإمداد والنقل الرابِعة في «بليكو»، بمركز الدِّفاع عن منطِقة المُرتفعات الوُسطى في «فيتنام».

ومثل آبائهم في الحرب العالميَّة الثانيَة، عاد العديد من المُحاربين القدامى في حرب «فيتنام» ومعهُم شياطينُهم النفسيَّة. واختلفَت صدمة حرب «فيتنام» من عدَّة نواحٍ عن «رد فعل الإجهاد القِتالي» في الحرب العالميَّة الثانية والحرب الكوريَّة. وخاض الجنود الأمريكيون حربًا لا مَثيل لها في «فيتنام». وفي سنِّ الثانية والعشرين من عُمره، كان عُمر «شاوكروس» أكبر من متوسِّط عُمر الجنود العاديين الذين أُرسِلوا إلى «فيتنام» لكِنه كان لا يزال شابًّا مُقارنةً بمتوسِّط عُمر الستة والعشرين في الحرب العالميَّة الثانيَة. وبمُجرَّد إرسالهم إلى «فيتنام»، كان من المتوقَّع أن ينجو مُعظم الجنود المُراهقين من فترة خدمةٍ مُدَّتها اثنا عشر شهرًا «ثلاثة عشر شهرًا بالنسبة لمُشاة البحريَّة». وفي الحرب العالميَّة الثانيَة، قام الجنود بجولاتهم كوحدة، ودعم بعضهم البعض كـ «عائِلة» خلال فترة القِتال المطلوبة منذ الوصول وحتى المُغادرة؛ أما في «فيتنام»، فقد أُرسِل الجنود حسب تواريخ الميلاد، ووَصَل الجندي إلى بلده وِفق جدولٍ زمني خاص به وحده لمُدّة عام واحد يُعرَف باسم «تـ. مـ. عـ. مـ. خ» أو (التاريخ المؤهّل للعودة من الخارِج). وبمُجرَّد وصوله «داخِل البلاد»، راجع التقويم في كُلِّ يومٍ ينجو فيه من الموت أو الإصابة المروّعة، يومًا بعد يوم، حتى الموعِد المُحدَّد لعودته إلى «العالَم». وغالبًا ما بنى انتظار موعِد عودة الحياة إلى ما كانَت عليه من قبل توقُّعاتٍ غير واقعيَّة لدى الجنود الشباب، ومع اقتراب الأسابيع الأخيرة من جولته، وإمكانيَّة هروبه سالِمًا، أصبَح الضغط النفسي غير مُحتملٍ في كثيرٍ من الأحيان[CLIX].

وكان هُناك ما هو أكثر من ذلِك. فخلال الحرب العالميَّة الثانيَة، قَضَت القوَّات الأمريكيَّة أحيانًا شهورًا بين الحملات القِتاليَّة؛ أما في «فيتنام»، فغالبًا ما نقلت الطائِرات الهليكوبتر القُوَّات إلى مناطِق القِتال كُل يوم من جولتهم باستثناء فترات الراحة والاستجمام القصيرة والمُربِكة. وفي حين ارتدى العدو زيًّا عسكريًّا مُميَّزًا في

الحروب الأخرى؛ لم يكُن أحد يعرِف أين ومن هو العدو في «فيتنام». وبينما تأقلم الجنود تدريجيًّا مع بيئة الحرب البعيدة والمُختلِفة عن منازِلهم في الحروب الأخرى، تنقَّلوا باستمرارٍ ذهابًا وإيابًا بين المرافِق المنزليَّة المُكيَّفة المُريحة في المنزِل مع وجبات العشاء المكوَّنة من شرائِح اللحم والتلفاز، وبين فحش ساحة المعركة في «فيتنام»، مما أدى إلى وجود هلوسةٍ بين وهْم الأمان في الوطن، وحقيقة الموت في ميدان المعركة. وفي خضمِّ كُل ذلِك، كانَت هُناك إجازات في «هاواي» (في مُنتصف الطريق إلى الوطن)، حتى يتمكَّن الجنود من لمِّ شملِهم مع زوجاتهم في أجنِحة الفنادِق قبل العودة إلى الأدغال القاتِلة وحقول الأرز.

توفَّرَت الماريجوانا، والهيروين، والأمفيتامينات، وعقار الهلوسة بسهولة، وزاد تناوُلها في ساحة المعركة وخارِجها من تجرِبة الهلوسة. لقد كانت حربًا ضاريةً مع كُل المُخدِّرات والجِنس المُصحابَين لها.

كانَت حرب «فيتنام» غير مسبوقة في وحشيتها بالنِّسبة للقوَّات الأمريكيَّة، حيث أصبح الأطفال والنساء في كثيرٍ من الأحيان أهدافًا عرضيَّة أو جانبيَّة أو مُتعمَّدة. ومع احتلال السُّكَّان المحليين لمناطِق القِتال، ولم تكُن هُناك طريقة للتمييز بين الفيتناميين الأصدِقاء والأعداء، ولأن النساء والأطفال شاركوا أحيانًا في العمليَّات القِتاليَّة ضِد الأمريكيين، فقد وقعَت فظائِع مروّعة في ميدان المعركة. في الماضي، شعر الجنود العائِدون إلى أوطانهم بالاكتئاب أثناء رحلات السُّفن الطويلة، وبمُجرَّد عودتهم؛ عومِلوا كأبطالٍ، وأُشيد بهم، وكوفئوا على خدمتهم بغضِّ النظر عن فظاعة ما اقترفته أيدِيهم. وحتى المُجتمعات الأكثر بدائيّة، أقامَت طقوسًا لمُحاربيها؛ لتطهيرِهم من الخطايا التي ارتكبوها في ساحة المعركة، ورحَّبَت بعودتهم مرَّةً أخرى إلى المُجتمع. وفي «فيتنام»، أتمَّ الجُندي فترة خدمته، وزحف خارجًا من وحْل ميدان المعركة، ليغتسِل ويتناوَل الجعة البارِدة، وخلال ستٍّ وثلاثين ساعة، وبعد رحلةٍ على متن طائِرة مليئة بالغُرباء، يجد نفسه فجأة بين أحضان الوطن. وحيدًا. وهُناك.. تعرَّض للازدراء لأنه قاتل في حربٍ «غير أخلاقيَّة»، من قِبَل أولئِك الذين بقوا في الوطن. وبدلًا من «التحدُّث» عن صدمات المعركة، كتمَها المُحارِب القديم في «فيتنام» بداخله. فالحياة الطيِّبة، واستقبال الأبطال، والعودة إلى ما كان عليه من قبل، وتملُّق سُكَّان الوطن الذي يُفترَض أنه دافع عنهم ضد شرِّ الشيوعيَّة، وكُل الأشياء التي توقَّعها، لم تتحقَّق قط.

وكانَت النتيجة النهائيّة أن بعض المُحاربين القدامى في «فيتنام» بدءوا يُبدون سلسلةً من الاضطرابات العاطِفية، التي تتراوَح بين الكوابيس والاكتئاب والانسحاب المُجتمعي، إلى نوبات عُنفٍ صريحة وهلوسات واضِحة. وأصبَح هذا الاضطراب يُعرَف باسم «مُتلازمة الاسترجاع» أو «اضطراب ما بعد الصدمة»، الذي اعترفَت به الجمعيّة الأمريكيّة للطب النفسي باعتباره اضطرابًا رسميًّا في مُنتصف «الثمانينيَّات». وفي بعض الحالات، جاءت الهلوسة مصحوبةً بمشاهد وأصوات وروائِح القِتال، واتَّسَمَت بالحدَّة حتى إن المُحاربين القدامى في «فيتنام» أصابوا أو قتلوا مَن حولهم اعتقادًا منهم أنهم ما زالوا يُشارِكون في المعركة. وعلى نحوٍ مُتزايد، وجدت أقليّة صغيرة من المُحاربين القدامى في «فيتنام» أنفُسهم في المحكمة بعد ارتكابِ جرائِم عُنفٍ لسببٍ غير مفهوم.

وعلى الجانِب الإيجابي، وعلى عكس المُحاربين القدامى في الحرب العالميَّة الثانيَة، اعتُرِفَ بصدمات المُحاربين القدامى في حرب «فيتنام» في نهاية المطاف، وفُهِمَت، وأصبحت جزءًا من الخطاب السياسي الثقافي. ونُفِّذَت برامِج علاجيّة تجمع المُحاربين القدامى معًا لدعم بعضهم البعض في عملية الشِّفاء.

«يا إلهي! لقد ارتعشتُ عندما أطلقتُ النار عليها!»

بعد عدَّة أسابيع من مُغادرة «آرثر شاوكروس» إلى «فيتنام»، بدأت والِدته وزوجته في تلقي رسائِل منه، كَتَب فيها أنه «أُجبِرَ على قتل» النساء والأطفال. كما كتب أيضًا أوصافًا حيَّة مروّعة للمعارِك، مما أزعَج والِدته. وفي الوقت نفسه، لم يتوانَ «شاوكروس» عن إرسال بطاقات مُعايَدة لزوجته ووالِدته في أعياد ميلادهما، أو في العُطلات.

وبعد ذلِك بكثير، بعد أن قُبِضَ عليه بتُهمة القتل، وَصَف «شاوكروس» تجارِبه في «فيتنام» قائِلًا:

«لقد أطلقتُ النار على امرأةٍ كانَت تُخبِّئ بعض الذخيرة في شجرة. لكِنها لم تمُت على الفور. قيَّدتُها وكمَّمتُها، ثُم فتَّشتُ المنطقة. ووجدتُ كوخًا وبداخله فتاة أخرى؛ عُمرها حوالي 16 عامًا. ضربتُها بعقب البُندقيّة، وحملتُها إلى حيث كانَت الفتاة الأخرى. ووجدتُ الكثير من الأُرز والذخيرة وأشياء أخرى في الكوخ. ربطتُ الفتاة الصغيرة إلى جذع شجرة، وهي لا تزال مُكمَّمة، وربطتُ ساقَيها أيضًا. لم تقولا لي أي شيءٍ على الإطلاق. وكان معي منجل حاد للغاية، نحرتُ به عُنق الفتاة الأولى، ثُم بترتُ رأسها، ووضعتُه على عمودٍ أمام ذلِك الكوخ..

تبوَّلت تلك الفتاة المربوطة إلى الشجرة قبل أن يُغمى عليها، ثُم جرَّدتها من ملابسها.. في البداية، مارستُ معها الجنس الفموي، ورغم أنها لم تستطِع فهم ما فعلته، إلا أن جسدها فهمه! فككتُ وثاقها، ثُم ربطتُها إلى شجرتَين صغيرتَين أُخريَين، وأغمي عليها عدَّة مرات. قطعتُها قليلًا من رقبتها وحتى بين ساقَيها. صرخَت وتغوَّطت على نفسها. أخذتُ بندقيتي من طِراز إم 16، وقرصتُ إحدى حلمتَيها، قبل أن أضع البُندقيَّة على جبهتها، وضغطتُ على الزناد، ثُم قطعتُ رأسها، ووضعته على عامودٍ حيث يحصلون على الماء..

كانَت تلك هي الحرب.. وكُل ما أعرِفه يقينًا هو أنني قتلتُ 39 شخصًا في «فيتنام»..

وعندما غادرتُ «فيتنام»، لم أكُن مُهتمًّا بالعودة إلى الولايات المُتحِدة! بل كُنت مُنغلِقًا، ومُفرِط الحماس للغاية! وتوجَّب عليَّ البقاء لستَّة أشهُرٍ أخرى!

ثُم غادرتُ «فيتنام»، مُتجِهًا إلى «اليابان»، و«ألاسكا»، وولاية «واشنطن»، و«شيكاغو»، و«ديترويت»، و«سيراكيوز»، ولم أبقَ سوى لليلةٍ واحدة. وفي صباح اليوم التالي، بدأ الناس ينعتونني بألقابٍ مثل «قاتِل الأطفال»، وما إلى ذلِك. فقط لو كان معي مُسدَّس! عُدتُ إلى الوطن لمُدَّة ثلاثة أيام قبل أن يسألوني إن كُنتُ سأذهب لرؤية «ليندا»! فسألتهم: «ليندا» من؟ لأنني كُنتُ قد نسيتُ أنني كُنتُ متزوِّجًا».

عاد «شاوكروس» من «فيتنام» في سبتمبر 1968. في حين انغمس بعض المُحاربين القدامى في صمتٍ مُطبقٍ عند عودتهم إلى الوطن، لم يجِد «شاوكروس» غضاضةً في سرد قصص خدمته الحربيَّة. ويتذكَّر العديد

من معارِفه كيف ثرثر حرفيًّا عن كيفيَّة زحف طفل رضيع مُفخّخ بقُنبلةٍ يدويَّةٍ إلى حشدٍ من الجنود لتفجيرهم؛ وكيف حطَّم الأسنان الذهبيّة من الجُثث بعقب بُندقيَّته، قبل أن يربطها معًا في شكل حلية. كما استمتع برواية قصّة كيف أن إحدى العاهِرات الفيتناميات أخفت شفرة حلاقةٍ في مِهبلها، وقشَّرَت قضيب أحد الجنود «مثل الموزة».

ويتذكَّر أحد أبناء عمومته أن «شاوكروس» أخبره بأنه قد أطلَق النار على بائِعة هوى فيتناميّة أثناء وصوله لشهوته. وروى القصّة بصوت بطّة كارتونيّة بلهاء قائِلًا: «يا إلهي، لقد ارتعشتُ عندما أطلقتُ النار عليها!».

عاد «شاوكروس» من «فيتنام»، لكِنه ظلَّ بين صفوف الجيش. وبعد إجازة استمرَّت بضعة أسابيع، حزم هو و«ليندا نيري» أمتِعتهما، وانتقلا إلى شقَّةٍ صغيرةٍ في «لوتون» بولاية «أوكلاهوما»، حيث عُيِّنَ «شاوكروس» كأخصائي إصلاح أسلِحة في قاعِدة «فورت سيل» القريبة. وتتذكَّر «نيري» أنها اضطرَّت لتوصيله من «لوتون» إلى القاعدة بشكلٍ يوميّ لأنه بدا «خائِفًا من القيادة». كما شهدَت بأنه اعتاد أن يقرأ كثيرًا عن: «قصص الحرب، والتاريخ، والرياضة، ولكِن في الغالِب.. قصص الخيال العلمي».

وصرَّحَت «نيري» قائِلة: «لقد مارسنا الجنس بشكلٍ جيِّدٍ من قبل، ولكِنه بدأ يُعاني من بعض المشاكِل. فإما أنه عانى من سُرعة القذف أو من مُشكلةٍ في الانتصاب. وأزعجه ذلِك لأنه شعر بأنه لا يُرضيني. فأخبرتُه أن يسترخي فحسْب: «تمهَّل، ليس من المُفترَض أن تُرضيني فحسب، بل أن تُرضي نفسك أيضًا».

وبعد ذلِك.. تحسَّنَت الأمور قليلًا. وكان بإمكانه أن يؤدي بشكلٍ جيِّدٍ، إن تحدَّثتُ معه وهدَّأته، لكِنه كان لا يزال يواجِه صعوبةً في الوصول إلى النشوة الجنسيَّة، ولم أكُن أعرِف ماذا يجِب أن أفعل».

كما تتذكَّر بأنه أصبَح مُتجهِّمًا وكئيبًا، وقضى مُعظم أوقات فراغه بمُفرده في مكانٍ ما. واعتاد الذهاب للمشي لمُدَّة ثلاث ساعات بعد العشاء. كما قالت إنه تعذَّب بسبب تجارِبه القِتاليَّة، لكِنه لم يستطِع التعبير عن حُزنه. وأخبرَها أن والِدته منعته من البُكاء في طفولته؛ وقالَت له: «الرجُل لا يبكي أبدًا».

كما قالَت: «أرادني أن أحتضِنه طوال الوقت. لقد كان لطيفًا ومحبوبًا، لكِن لم يكُن لديه أي فكرة عن كيف يُبادلني ذلِك الحُب».

وبدا أن عذابه قد ازداد حدَّةً. وشهدَت «نيري» أنه في إحدى الليالي عاد إلى المنزِل من إحدى نُزهاته، وهو يرتجِف ويتصبَّبُ عرقًا. وأخبرها أنه كان يُفكِّر فيما حدث في «فيتنام».

قالَت: «استغرقني الأمر وقتًا طويلًا لأُقْنِعه بالحديث، وعندها قال: كان عليَّ أن أقتلها».

ثُم أجهش بالبُكاء.

سألته: «تقتل من؟»

قال: «الطفلة، التي حملت القنابِل للفيت كونج، الجبهة الوطنيّة لتحرير جنوب فيتنام، لم يكُن في وسعي إلا أن أقتُلها أو أن أُقتَل».

وأخبرَني أن حادِثة «ماي لاي»، لا تُقارَن أبدًا بما رآه، لقد مزَّقته، وظننتُ أنه يتعاطَف مع الأطفال لأنه كان هو نفسه طفلًا مُصابًا.

وتذكَّرَت «ليندا نيري» أيضًا أن «شاوكروس» بدأ يكشِف لها عن افتتانه بالنار خلال هذه الفترة. فقد اعتاد على الجلوس في شقَّتهما، ويُركِّز في ذهولٍ على إشعال دفاتِر أعواد الثِّقاب. وفي إحدى الليالي، اعترف لها بأنه أشعل حريقًا كبيرًا في الغابات بالقُرب من الثكنات. وأصبح غريب الأطوار بشكلٍ مُتزايدٍ، مع تقلُّبات مزاجيَّة عنيفة. وفي أحد الأيام، عضَّ كلبهم يده، فاستشاط غضبًا، وهشَّم عُنق الكلب. وبعد ذلِك، قالت «نيري» إنه بكى على الكلب الميِّت.

لم يمُر سلوك «آرثر شاوكروس» دون أن يُلاحِظه الجيش. فقد أُمِر بالذهاب إلى طبيبٍ نفسي، ولكِن بدا قادرًا على تجنُّب مُعظم مواعيده. وانتهَت مسيرته العسكريّة عندما حاول الانتحار. عثرَت عليه زوجته في مُنتصف اليوم، بعد تناوله جُرعةٍ زائِدة، ساقِطًا على أرضيَّة حمامهم، مُرتديًا زيَّه العسكري الكامِل مع الأشرِطة. أخذه مُسعِفو الجيش، وبعد فترة وجيزة، في مارس 1969، سُرِّح من الجيش بشرف. واستقرَّ هو و«ليندا» في «كلايتون»، بـ «نيويورك»، شمال غرب «ووترتاون» على نهر «سانت لورانس»، حيث استأجرا كوخًا خلف منزِل عائِلتها. وبحلول ذلِك الوقت، كانَت «ليندا نيري» حامِلًا في شهرها الثالِث.

وصَّلَت «نيري» زوجها إلى مُقابلات عملٍ مُختلِفة، لكِنه لم يكُن مُتحمِّسًا للغاية للذهاب إلى العمل. واعتاد قضاء مُعظَم وقته في الشُّرب، وصيد السمك قِبالة رصيف بالقُرب من الكوخ. وقالت «نيري»: «لم ينفك يُثرثِر باستمرارٍ عن الموت، والاحتضار، وأكياس الجُثث. حتى وصلتني فكرة أنه يخشى الموت، لكِنه في الوقت نفسه مُنجذِب له. ولطالما دارَت هذه الفكرة في ذهنه».

قدَّم «شاوكروس» دعوى إعاقة إلى إدارة المُحاربين القدامى، ذكر فيها أنه أُصيب بشظايا وجروحٍ في إبهامه في مايو 1968 أثناء وجوده في «فيتنام». ولكِن لم تكُن هُناك أي إشاداتٍ ميدانيّة لوسام القلب الأرجواني الذي عادةً ما يُمنَح للمُصابين في «فيتنام»، ولم يكُن هُناك أي ذِكر للخدمة القِتاليَّة في سجلِّه. قبل أن يحصُل في نهاية المطاف على معاش عجزٍ قدره ثلاثة وسبعون دولارًا شهريًّا بسبب إصابة طفيفة لحقَت به أثناء خدمته في الولايات المُتحِدة.

وفي الوقت نفسه، بدأ «شاوكروس» يستشيط غضبًا، ويُصاب بنوبات غضبٍ عنيفة، بينما ازدادت حدَّة شُربه للخمر. وفي أبريل، وجد عملًا في مصنعٍ للورق في «ووترتاون». وبعد ثلاثة أسابيع، حَصَل على إشادةٍ لاكتشافه حريقًا في المصنع، وإخماده «والذي رُبما يكون قد أشعله بنفسه». وتتذكَّر «نيري» أن «شاوكروس» اعتاد الكذِب بشأن كُل شيء، ولم يكُن هُناك موضوع صغير للغاية بحيث لا يستطيع الكذِب بشأنه. وفي شهر يونيو، بعد أن عادَت «ليندا نيري» مُتأخِّرةً من منزِل والِدَيها في وقتٍ مُتأخِّرٍ لتقديم العشاء له، ضربها حتى فقدَت الوعي في نوبة غضب. وبعد أن استعادَت وعيَها، اضطُرَّت إلى جرِّ نفسها إلى المُستشفى، حيث أجهضَت جنينها. وفي الوقت نفسه، قطع «شاوكروس» معصمَيه في مُحاولة انتحارٍ أخرى، واضطُر والِدها وشقيقه إلى نقله إلى المُستشفى لتقطيب الجرح. ظلَّت «نيري» في المُستشفى لمُدَّة أسبوعَين، وبعد ذلِك طلبَت

الطلاق. وعندما رَفَض «شاوكروس» إخلاء الكوخ، انتظر والِدُها حتى ذهب إلى العمل، قبل أن ينقل جميع مُمتلكاته إلى الخارِج.

انتقل «شاوكروس» للعيش مع صديقٍ له في «لافارجفيل» القريبة، وانطلق في موجة جرائِم مجنونة. فسطا على محطة وقود، وأحرق حظيرة، ثُم أضرم النار في مصنعٍ للألبان. قُبِض عليه، ووُجِّهَت إليه التُّهم، وحُكِم عليه في النهاية بالسجن لمُدَّة خمس سنوات في سجن «أتيكا» السيِّئ السُّمعة، قبل نقله إلى إصلاحيّة «أوبورن». وفي أكتوبر 1969، بينما كان في السجن في انتظار المُحاكمة، حصلَت «نيري» على حُكم الانفصال، وتطلَّقت من «آرثر» في نهاية المطاف.

«جيفري دامر» طفلًا: آخر حبَّات عنقود «الجيل الذهبي»

في 22 مايو 1960، وُلِد «جيفري دامر» آخر حبَّات عنقود مشاهير القتلة المُتسلسِلين في «العصر الذهبي»، لعائِلةٍ من الطبقة المتوسِّطة في «ميلووكي» بولاية «ويسكونسن». ووُلِد والِده، «ليونيل»، وهو أستاذ جامعي وباحِث كيميائي، في عام 1936، ويُعَد هو نفسه من جيل الأطفال الذي أصِفه بأنه نشأ في حقبةِ ما بعد الحرب البارِدة المؤلِمة. وعملَت والِدة «جيفري»، «جويس»، كمُدرِّبةٍ للمُبرِقة الكاتِبة. وعانَت من حملٍ مُضطربٍ بشدَّة. فقد شابه الغثيان المُفرِط، والعصبيّة الشديدة، والاكتئاب، والحساسية المُفرِطة للضوضاء والروائِح، وقلَّة النوم، والتشنُّجات التي لا يُمكِن السيطرة عليها، والتي لم يستطِع الأطِبَّاء تشخيصَها. ويتذكَّر «ليونيل» فيما بعد:

«في ذلِك الوقت، تُثبَّت ساقاها في مكانهما بإحكام، ويبدأ جسدُها بأكمله في الارتعاش. كما يرتجِف فكُّها ويتصلَّب بشكلٍ مُخيفٍ مُماثِل. وخلال هذه النوبات الغريبة، تنتفِخ عيناها مثل حيوانٍ خائِف، ويبدأ لُعابها في السيلان، ويخرج الزبد من فمِها حرفيًّا»[(CLX)].

وخلال الأشهُر الأخيرة من حملِها، تناولت والِدته ستةً وعشرين قُرصًا يوميًّا؛ بما في ذلِك عقاقير مثل «المورفين»، والـ «باربيتورات»، والـ «فينوباربيتال»[(CLXI)].

ويعترِف والِد «جيفري» بأنه امتلك تخيُّلاتٍ طفوليَّة إشكاليَّة خاصَّة به، فقد كان مهووسًا بالحرائِق، كما يتذكَّر تخيُّلاته الخاصَّة بالقتل من سنِّ الثامِنة إلى العشرين. وكَتَب الأب قائِلًا:

«كانت هُناك مناطِق في عقل ابني، وميول، وانحرافات، حملتها في نفسي طوال حياتي. ومن المؤكَّد أن «جيف» قد ضاعف هذه الميول أضعافًا مُضاعفة، حيث ولَّد انحرافه الجنسي أفعالًا تفوق فهمي وقُدرتي. ومع ذلِك، فقد استطعتُ رؤية أصولها البعيدة في نفسي، وبمرور الوقت، بدأت أراه حقًّا كابنٍ لي بطُرقٍ أعمق بكثيرٍ مما تخيَّلتها سابِقًا»[(CLXII)].

وكان الزواج بين والِدي «جيفري» عاصِفًا، ومُضطربًا، ومليئًا بالمُشاجرات العنيفة. وفي إحدى المرَّات، هدَّدَت والِدتُه والِدَه بسكِّين. وفي المدرسة، كان «جيفري» طفلًا وحيدًا، يواجِه صعوباتٍ في تكوين صداقات مع الآخرين. ولطالما شعرَت والِدته بالمرض في كثيرٍ من الأحيان، ولذلِك علَّق أحد أساتِذته في

المدرسة بأنه بدا وكأنه يُعاني من الإهمال في المنزِل. وفي إحدى المرَّات، شكَّل «جيفري» الصغير تعلّقًا نادِرًا بمُعلِّمةٍ، وقدَّم لها هدية عبارة عن وعاءٍ من الضفادِع الصغيرة. وفي نهاية المطاف، أعطَت المُعلِّمة الضفادِع الصغيرة لطفلٍ آخر، فاستشاط «جيفري» غضبًا، وقتل الضفادِع بسكب زيت مُحرِّكاتٍ في الوعاء.

يُقال إن «دامر» قد طوَّر ولعًا بتشريح الحيوانات في سنِّ العاشِرة تقريبًا. لذا شرَّح الحيوانات التي عثر عليها، وحاول إعادة تجميع عظامها. وغالبًا ما استخدم الحمض لنزع اللحم منها. وقد استولى على سقيفةٍ في الجُزء الخلفي من منزِلهم، حيث احتفظ بعينات الحيوانات التي شرَّحها محفوظةً في برطمانات. ومع ذلِك، لا توجَد أي تقارير قاطِعة تؤكِّد قتله لتلك الحيوانات لذلِك الغرَض تحديدًا، ويتذكَّر بعض رفاقه في اللعب أنه تجوَّل أو ركب درَّاجته لأميالٍ بحثًا عن حيوانات مقتولة على الطريق ليُحضرها إلى سقيفته.

وعندما حلَّ عام 1970، بطفرة القتلة المُتسلسِلين، كان «جيفري» في العاشِرة من عُمره، وكان الأصغر سنًّا بين الجيل القادِم.

عش الثعابين الصغيرة: عندما أصبَحَت لذَّة القتل كمُمارسة الجنس

خلال «الخمسينيَّات» وحتى «الستينيَّات»، صُنِعَ وشُكِّلَ ودُرِّس قتلة فترة «البلاء» المُتسلسِلون المُستقبليُّون، في طفولتهم ومُراهقتهم مثل عشٍّ من الثعابين الصغيرة. تساءَل «تِد بندي» الصغير عن هوية والِده في زمن الحرب، وظنَّ أن والِدته كانَت شقيقته، وهو يتسلَّل تحت أغطيَة سرير عمَّته الصغيرة حامِلًا سكينًا في يده أثناء نومِها. وترعرع «هنري لي لوكاس» في «بلاكسبورج» بولاية «فيرجينيا»، وهو يُشاهِد والِدته «فيولا» المُدمِنة على الكحول، وهي تُمارِس الجنس مع رجالٍ آخرين، في حين كانَت تَضرِب والِدَه. وعندما اكتشفَت «فيولا» أن «هنري» الصغير يُحِب بغلته الأليفة، أجبرته على مُشاهدتها وهي تُطلِق النار عليها حتى لفظَت أنفاسها الأخيرة. كما شاهَد «جيري برودوس» الصغير والِدته وهي تحرِق زوجًا من الأحذيَة الجلديَّة ذات الكعب العالي كان قد أحضرها من مكبِّ النفايات، وأحبَّها بقدْر ما أحبَّ «هنري لي» بغلته. وسيتذكَّر «لوكاس» لاحقًا: «لقد قتلتُ الحيوانات لمُمارسة الجنس معها. وقتلتُ الكِلاب لنفس السبب – قتلتها دائِمًا قبل مُمارسة الجنس. لكِنني مارسته معها وهي لا تزال على قيد الحياة في بعض الأحيان فقط. ثُم أصبَحَت لذَّة القتل كمُمارسة الجنس»[(CLXIII)]. وفي رُكنه الصغير من العالَم، قتل «جيري» النساء في نهاية المطاف من أجل جمع أقدامهنّ المقطوعة التي ترتدي الحِذاء ذا الكعب العالي المُحرَّم الذي رَغِب فيه. وفي يومِه الأول في المدرسة، أرسلَت «فيولا» ابنها إلى الفصل مُرتديًا فُستانًا كالفتيات بشعره الطويل المُجعَّد. ومن المُفارقات أن «أوتيس تول»، الذي شارك «لوكاس» في جريمتهما، سبق وأن أجبرته والِدته أيضًا على ارتداء زيِّ فتاة. في حين أجبرَت والِدة «كارول إدوارد كول»، ابنها الصغير، الذي قتل ثلاثَ عشرة ضحية، على ارتداء زي «مُدلَّلة ماما الصغيرة»، وأجبرته على تقديم المشروبات لضيوفها. ومن المعروف أن سبعة قتلة مُتسلسِلين ذكور على الأقل، بمن فيهم «تشارلز مانسون»، قد ارتدَوا ملابِس فتياتٍ في طفولتهم[(CLXIV)].

كما تمَّ تبنِّي قتلة آخرين، بما في ذلِك «كينيث بيانكي»، أحد قتلة «هيلسايد سترانجلرز»، الذي قَتَل اثنتي عشرة امرأة في الفترة بين 1977 إلى 1979؛ و«جيرالد ستانو»، الذي قتل اثنتَين وعشرين امرأة بين عامي 1969 و1980؛ و«جويل ريفكين»، الذي قتل من تسع إلى سبع عشرة بائِعة هوى بين عامي 1989 و1993؛ و«ديفيد بيركويتز»، الشهير بـ «ابن سام»، الذي أطلَق النار على ستِّ ضحايا بين عامَي 1976 و1977؛ و«لورانس سيجموند بيتاكر»، أحد «قتلة صندوق الأدوات»، الذين عذَّبوا خمس فتياتٍ مُراهِقاتٍ حتى الموت عام 1979؛ و«جوزيف كالينجر»، الذي قتل ثلاث ضحايا في عام 1975. لا يعرِف أحد من أي جحيم تمّ تبنِّي هؤلاء الأطفال؛ وتقول إحدى النظريات، إنهم لم يُحتَضَنون بما يكفي لتكوين روابِط طبيعيَّة عندما كانوا أطفالًا رُضَّعًا في بيئةٍ مؤسَّسيّة، وطوَّروا اعتلالًا نفسيًّا مُبكِّرًا كردِّ فعلٍ دفاعي لانفصالهم الطفولي عن والِدتهم الطبيعيَّة.

وستُصبِح تلك الهندسة الشعريّة للصدمة الملتوية – الضحيَّة هي المُضحِّية، والطفل يُصبِح والِدًا لأبيه – الموضوع العام للقتل المُتسلسِل. فكُلما فشلنا في فهم شيءٍ ما حول دوافِع القاتِل المُتسلسِل، يُمكِننا بسُرعةٍ أن نُرجِعه إلى طفولته المُختلَّة. وهذه النظريَّة صحيحة بشكلٍ مؤلِم أحيانًا، وغير صحيحة على الإطلاق في أحيانٍ أخرى. فبعض القتلة المُتسلسِلين عاشوا طفولةً عادية، وخاليةً نسبيًّا من الدراما، مع عائِلاتٍ مُستقِرَّة وحَسَنة النيَّة، مثل «ويليام هيرينز» الذي تحدَّثنا عنه سابِقًا. كما نشأ «ريتشارد كوتينجهام»، الشهير بـ «سفَّاح جذوع تايمز سكوير»، في أسرةٍ مثاليَّةٍ على ما يبدو من الطبقة المتوسِّطة في الضواحي مع ثلاث شقيقات أصغر منه سنًّا، وكلب يُدعى «جيبسي». وعمل والِده، «ويليام»، كنائِب رئيس ناجِح في «ميتروبوليتان لايف» في «مانهاتن». ومع ذلِك، فقد تمتَّع والِده بجانبٍ مُظلِم بدوره. فقد كان «ويليام» شابًّا مُشاكِسًا في الخامِسة عشرة من عُمره في عصر الكساد، ونشأ في «برونكس» مع خمسة أشِقَّاء، عندما قُتِلَ والِدُه في حادِث سيَّارة، تارِكًا زوجته حامِلًا بابنها السابع، والعائِلة لتتدبَّر أمرَها بنفسِها. الْتحق «ويليام» بالبحريَّة راغِبًا في الخدمة بين أحضان دفء المُحيط الهادئ، قبل أن ينتهي به الأمر في «ألاسكا»، حيث، وفقًا لابنه «ريتشارد»: «قضم أُذن رجلٍ ليُجبِره على القِتال، وأطلَق النار على دُبٍّ ليصنع من فروه معطفًا لوالدتي». وذات يوم، ضرب «ويليام» رجلًا أمريكيًّا من أصلٍ أفريقي في حانة لأنه حمل نفس اسمه. وكان القاتِل المُتسلسِل «ريتشارد كوتينجهام» من مواليد 25 نوفمبر 1946، بينما «تِد بندي» من مواليد اليوم السابِق له. ويبدو كلاهما ظاهريًّا وكأنهما عاشا طفولة «طبيعيَّة» خالية من الانتهاكات، إلى أن يتعمَّق المرء في ماضيهما.

كان جيل طفرة مواليد القتلة المُتسلسِلين المُستقبليِّين عبارة عن عشٍّ من ألفَي ثُعبان صغير مريض، تشرَّبوا صدمات آبائهم، وعُصاب أُمهاتهم، وامتصُّوا ثقافة الاغتصاب والقتل التي بيعَت لهم على رفوف المجلَّات في السوبر ماركِت، وعلى شاشات التلفاز والأفلام، كما دهسهم المُتنمِّرون والمُغتصبون والحياة نفسها تحت أقدامِهم. وهذه هي الطريقة التي ستتشكَّل بها موجة من القتلة المُتسلسِلين، بكُل بساطة وسهولة. لستُم بحاجةٍ إلى شهاداتٍ في علم النفس أو نظرية مُعقَّدة لاكتشاف ذلِك؛ فقط تصفَّحوا مجلَّات مُغامرات الرجال

أو مجلّة التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة من «الستينيَّات»، واسألوا أجدادكم، إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة، عمَّا شهدوه في «آخر الحروب الجيِّدة».

القتل حسب المناخ

إن آخر ما تبقَّى من براءتنا في «الخمسينيَّات»، والتي استمرَّت حتى «الستينيَّات» حتى بعد أزمة الصواريخ الكوبيَّة في عام 1962 التي أخافَت الجميع بلا هوادة، قبل أن تلقى حتفها أخيرًا بعد ظُهر يوم الجُمعة 22 نوفمبر 1963 مع اغتيال «جون كينيدي» في «دالاس». ويتذكَّر أولئِك منَّا الذين كانوا أطفالًا في ذلِك الوقت أنهم تابعوا بإخلاصٍ في اليوم التالي لمُشاهدة أصدِقائنا الكرتونيين المُفضَّلين على شاشات تِلفاز صباح يوم السبت، وصُدِموا عندما وجدوا جميع القنوات تتسابَق لتغطية خبر الاغتيال. ولم يكُن هُناك شيءٌ مؤكَّد بعد ذلِك. انسحبنا نحن الأطفال إلى غُرفنا لنلعب بألعابنا الحزينة بينما تجمَّع الكِبار حول شاشات التلفاز في حالة صدمةٍ جماعيَّة. وفي اليوم الثالِث، بثَّ التلفاز على الهواء مُباشرةً مقتل المُتَّهَم رميًا بالرُّصاص. ثُم أعادوا عرضَه مرارًا وتكرارًا بالحركة البطيئة. إن لم تُنبِّهنا شخصيَّة «بيرت» السُّلحفاة الكرتونيَّة التي مثَّلَت الحرب البارِدة نحن الأطفال إلى أن «الانبطاح والاحتماء» عند سقوط القُنبلة، سيحول دون وصولها إلينا، فبعد اغتيال «كينيدي»، أصبَح العالم بالتأكيد مكانًا مُخيفًا وملتويًا إلى الأبد. لقد حدَّدَت وفاة «جون كينيدي» بالنِسبة لجيلي نُقطة مُنتصف الطريق بين «بيرل هاربر» وأحداث 11 سبتمبِر – عندما توقَّفَت الأشياء السيِّئة عن الحدوث «هُناك»، وبدأت تحدُث «هُنا».

قد تُشير إحصائيَّات الجريمة إلى شيءٍ آخر، ولكِن هذا هو الوقت الذي بدأت فيه الأمور تبدو سيِّئةً وخارِجةً عن نِطاق السيطرة: في نوفمبر 1963. وفي ذلِك الوقت على وجه التحديد، في اليوم الثاني بعد الاغتيال، اغتصب «سفَّاح بوسطن الخانِق» وقتل ضحيته الثانية عشرة من ضحاياه الثلاثَ عشرة، وهي مُعلِّمة في مدرسة الأحد تبلُغ من العُمر ثلاثة وعشرين عامًا. ويُعد «اثنا عشر» عددًا كبيرًا حتى بمعايير اليوم – ويصفها الأكاديميُّون الذين يدرسون جرائِم القتل المُتسلسِل بأنها حالة «مُتطرِّفة»: أكثر من ثمانيَّة. «كيف توصَّلوا إلى هذا العدد – ولماذا ليس سبعة أو تسعة؟»

وقد برز «سفَّاح بوسطن الخانِق»، حيث حافظَت الصحافة على «إحصاء عدد الجُثث» لجرائِم القتل التي ارتكبها، واحِدةً تلوَ الأخرى عند وقوعها – أو كما يُزعم أنها وقعت. وهُناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن «ألبِرت ديسالفو» لم يرتكِب جميع جرائِم القتل الثلاثَ عشرة التي اعترف بها – إن وُجِدَت. وفي الواقِع، أقرَّ «ديسالفو» بأنه مُذنِب في الاعتداء والسطو المُسلَّح على أربع نِساءٍ في عام 1967، وادعى مُحاميه «إف. لي بيلي» أن اعترافه بالقتل قد سُجِّل فقط لدعم اعترافه بالجنون. وبدلًا من ذلِك، حُكِم على «ديسالفو» بالسجن مدى الحياة دون أن يُحاكَم على جريمة قتلٍ واحِدة.

وقالَت «سوزان كيلي»، في كِتابها «خانقو بوسطن»: إن الإدانة العلنيَّة لـ «ألبِرت ديسالفو»، والقصَّة الحقيقيَّة لإحدى عشرة جريمة قتل مروّعة، وجادَل نُقَّاد آخرون، بمن فيهم «روبرت ريسلر»، و«جون دوجلاس»، بشكلٍ مُقنِعٍ بأن العديد من جرائِم القتل في «بوسطن» لا تتطابَق مع مواصفات «ديسالفو»، أو

مواصفات أي قاتِلٍ آخر، بما في ذلِك آخر جريمة قتل مزعومة لـ «ديسالفو»، والتي راحَت ضحيتها «ماري سوليفان» البالِغة من العُمر تسعة عشر عامًا في 4 يناير 1964. وعلى مدار عقود، لم تؤكَّد أيٌّ من جرائِم القتل التي ارتكبها «سفَّاح بوسطن الخانِق» بشكلٍ قاطعٍ على أن «ديسالفو» هو من اقترفها، حتى عام 2013. عندما أعلن مسئولو تنفيذ القانون في «بوسطن»، ومُقاطعة «سوفولك»، وولاية «ماساتشوستس»، بشكلٍ مُشتركٍ أن اختبار الحمض النووي أكَّد أن «ألبِرت ديسالفو»، كان مصدَر السائِل المنوي الذي عُثِرَ عليه في مسرح جريمة قتل «مارس سوليفان»، وهي الأخيرة في سلسِلة جرائِم القتل الثلاث عشرة المنسوبة إليه.

وبينما كُنا على علمٍ بقضيّة «سفَّاح بوسطن الخانِق» أثناء حدوثها، إلا أنها ذابَت في النهاية في ضباب المناورات القانونيَّة الشامِلة وراء الْتماس «ديسالفو» في عام 1967. وبحلول ذلِك الوقت، كُنَّا في دوامةٍ من جميع أنواع القتلة الجُدد.

وأصبحت الأوقات التي أعقَبَت حادِثة «سفَّاح بوسطن الخانِق»، واغتيال «جون كينيدي» أوقاتًا مُفرطة العُنف بشكلٍ غير عادي. فقد قُتِل الناس في كُلِّ مكان: في منازلهم، وفي الكنائِس، وفي العمل، وفي الشوارِع، وفي الحدائِق، وساحات المدارِس، وفي الخارِج أثناء الحرب في حقول الأرز، وفي بعثات العالَم الثالِث، وفي حرم الجامِعات بالوطن، وفي حزام القُطن في الجدول، وفي مراكِز التسوُّق، وفي أعمال الشغب والقتل الطائِفي. كان الأمر مُربِكًا. وكانَت جرائِم القتل تأتي من وإلى كُل مكان، وطوال «الستينيَّات»، انبثقَت منها حلقة وحشيّة جديدة من حينٍ لآخرٍ من القتل والرُّعب الذي استحوذ على مُخيِّلة الناس المذعورة حول مدى سوء الأمور.

وفي عام 1964، طُعِنَت «كيتي جينوفيس» البالِغة من العُمر ثمانية وعشرين عامًا، وهي مُديرة حانة، حتى الموت في مدخل المبنى السكني الذي تسكُنه في «كيو جاردنز» في «كوينز»، وهو حي آمِنٌ نسبيًّا في «نيويورك». وكانَت القصَّة التي روتها الصُّحف أن ثمانيةً وثلاثين شاهدًا سَمِعوا صُراخ «كيتي» وهي تستغيث، لكِن أيًّا منهم لم يتَّصِل بالشُّرطة، ناهيك عن التدخُّل لمُساعدتها، حيث عاد القاتِل ثلاث مرَّات ليواصِل طعنها. وقال أحد الشهود بأنه رفع صوت الراديو الخاص به ليحجُب صوت صُراخ الفتاة. حتى أصبح الأمر موضوعًا في كُتب علم النفس المدرسيَّة، وأفرز عددًا من التجارِب والفرضيات حول «لامُبالاة المُتفرِّجين»[(CLXV)].

وكطفلٍ نشأ في «تورنتو» بـ «كندا» في «الستينيَّات»، كُنتُ على درايةٍ جيِّدةٍ بقضيّة «كيتي جينوفيس»، وفي سنِّ الثالِثة عشرة تقريبًا، أجريتُ أنا وصديقي من الشارِع المُقابِل تجارِبنا النفسيّة الخاصَّة على لامُبالاة المارَّة، حيث غطَّينا أنفُسنا بالكاتشب، واعتدَينا بعضنا على بعض أمام المارَّة في الشارِع. ولم يتدخَّل سوى قلَّة قليلة. ولكِن هذا كان أمرًا مُعتادًا في «تورنتو» في «الستينيَّات»، المدينة البروتستانتيَّة في تلك الأيام. أما «نيويورك»، فلم تكُن كذلِك قط، وكانت قصَّة «كيتي جينوفيس» محض هراء. في الواقِع، في أول يوم لي في «نيويورك» في «السبعينيَّات»، عندما ركنتُ سيَّارتي بإهمالٍ في حي «بويري»، طاردني الناس على بُعد شارعَين ليُخبروني أن

سيَّارتي ستُقطَر. لم يكُن أحد ليفعل ذلِك من أجلك في مسقط رأسي الآمِن، ولكِن بارِد القلب، في «تورنتو»، حتى اليوم. وعندما تعرَّضَت «كيتي جينوفيس» للاعتداء، اتصل الناس بالشُّرطة بالفعل، وصرخ بعضهم على الجاني ليترُك الفتاة وشأنها، وأثناء قدوم سيَّارة الإسعاف؛ احتضنوها وواسَوها وهي تنزِف حتى الموت، لكِننا لم نعرِف ذلِك حتى العِقد الأول من القرن الحادي والعشرين[CLXVI]. وكانَت «كيتي جينوفيس» أسطورة حضريَّة وُلِدَت من رحم التقارير السيِّئة في صحيفة «نيويورك تايمز»، «وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز نفسها، التي نَشَرَت التقارير بعد عقود»[CLXVII].

وأصبَحَت قصَّة «كيتي جينوفيس» بمثابةِ مثَل مُزدوج في أوائِل «الستينيَّات»: أولًا؛ لتحذير الشابَّات العازِبات من أنهن لسنَ في مأمنٍ بمُفردهن، وأن عليهن البقاء بالقُرب من منازلهن، وثانيًا؛ لن «يتدخَّل» أحدٌ إن حدث لهنَّ شيءٌ في ظلِّ اللامُبالاة الجديدة، وعدم الكشف عن هويتهنّ في الحياة الحضريَّة الكبيرة. وكانَت «جينوفيس» جميلةً بشكلٍ خاصٍّ على طريقة «أودري هيبورن» ذات العينَين الغزاليَّتَين، وحرصَت الصحافة على عدم الإشارة إلى أنها كانَت على ما يبدو مِثليَّة[CLXVIII]. من سيهتمُّ بالتورُّط في الأمر إن عَلِم ذلك؟ ركَّزَت القصص على أن «كيتي» قد عادَت إلى المنزِل بمُفردها في وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل في حيٍّ آمن، وأنها قُتِلَت على يدِ رجلٍ أمريكي من أصلٍ أفريقي من حيٍّ «سيئ».

ثُم، في صيف عام 1966، أفادَت التقارير أنه في «شيكاغو»، قَتل «ريتشارد سبيك» البالِغ من العُمر أربعةً وعشرين عامًا، وهو مُدمِن على الكحول، ثماني مُمرِّضاتٍ طالِبات في ليلةٍ مليئةٍ بالأمفيتامينات، بالربط، والخنق، والطعن.

وبعد ثلاثة أسابيع، طعن «تشارلز ويتمان» البالِغ من العُمر خمسةً وعشرين عامًا، وهو طالِب هندسة ميكانيكيَّة سابِق في البحرية في «أوستن» بولاية «تكساس»، زوجته ووالِدته حتى الموت في منزِليهما، قبل أن يتسلَّق بُرج الساعة بجامِعة «تكساس» ببُندقيةٍ قويَّة، وأطلَق النار على خمسةٍ وأربعين شخصًا، مما أسفَر عن مقتل اثنَي عشر ضحية في الحرم الجامعي والشوارِع أدناه «بما في ذلِك طفل لم يُولَد بعد، ونجت والِدته، ورجُل تُوفِّي في عام 2011 بسبب مُضاعفات طويلة الأمَد مُتأثِّرًا بجراحه، وثلاث ضحايا في منصَّة المُراقبة بالبُرج.

ثُم اغتيل كُل من «مارتِن لوثر كينج جونيور»، و«روبرت كينيدي»، بفارِق أشهُر في عام 1968، مع وقوع المزيد من أعمال الشغب العنصريَّة بينهما.

وعندما عاد أولادنا للوطن من «ماي لاي»، قُطِّعَت المُمثِّلة الحامِل «شارون تيت» وضيوفها في منزِلها في «هوليوود هيلز»، حتى الموت على يد قبيلةٍ من الهيبيين من طائِفة «شارلي مانسون» التي عبدَت نهاية العالَم، اختنق صيف الحُب الرائِع في «الستينيَّات» في دِمائه، بالمَعْنَيَين الحرفي والمجازي.

وبعد ذلِك، لم يكُن بوسعنا أن نتصوَّر أن الأمر قد ازداد سوءًا. لكِنه كان بالفعل أسوأ مما تصوَّرناه.

ولم نتمكَّن من تمييز القتلة المُتسلسِلين من حولنا، من بين جميع التقارير عن التهديدات الأخرى القادِمة إلينا من كُل حدَب وصوب.

ونصَّت القصَّة الحقيقيَّة على أن «كيتي جينوفيس» قد قُتِلَت على يد قاتِل مُتسلسِل يُحِب مُجامعة الموتى، يُدعى «وينستون موسلي»، والذي قتل امرأتَين أخريَين على الأقل في «نيويورك»، ولكِن بطريقةٍ ما لم تستوعِب الصحافة ذلِك. وذكرَت الصُّحف بشكلٍ عرضيٍّ ومُشكِّك، أنه قد اعترف بجريمتَي قتل أُخريَين. كما كان «موسلي» متزوِّجًا ولدَيه طفلان، وقالَت زوجته لاحقًا إنه اعتاد الجلوس مُحدِّقًا في الفضاء. وفي حديثه عن نفسه، قال إنه تمتَّع برغبةٍ مُلِّحةٍ في القتل. (قبل أن يُتوفَّى في السجن عام 2016).

كان هُناك «جيروم هنري «جيري» برودوس»، (القاتِل المولِع بالأحذية)، وهو قاتِل مُتسلسِل يُحِب مُجامعة الموتى، والذي قتل أربعَ نِساء في ولاية «أوريجون» بين عامي 1968، و1969 – وهي قضية وصفتُها بالتفصيل في كِتاب «القتلة المُتسلسِلون: طريقة الوحوش وجنونها». وكان «برودوس» مزيجًا بين «هارفي جلاتمان» و«إد جين» معًا، باستثناء أنه مثل «موسلي»، كان متزوِّجًا ولدَيه طفلان. وفي ربيع عام 1969، عندما قُبِضَ على «برودوس»، لم تنشُر وسائِل الإعلام في ربيع عام 1969 تقريرًا عن مدى بشاعة العُنف الذي مارسه، كما فعلَت الصُّحف قبل عقدٍ من الزمان في قضيتَي «جلاتمان» و«جين». وسُرعان ما أقرَّ «برودوس» بالذنب دون مُحاكمة، وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة، وسُرعان ما طواه النِسيان. وفي وقتٍ لاحق، بحثَت «آن رول» في تفاصيل قضيته في كِتابها الثاني عن الجريمة الحقيقيَّة «قاتِل الشهوة» الصادِر عام 1983. وسردَت فيه تفاصيل ولع «برودوس» بالملابِس النسائيَّة الذي يعود إلى طفولته، ووصفَت كيف وَصَل به الأمر إلى الحافَة في عام 1968، وبدأ في اختطاف النساء من الشارِع، أو من باب بيتِه (بائِعة جائِلة)، وخنْقِهن، وإلباس جُثثهن ملابِسه المُفضَّلة، وتصويرهن، ومُمارسة الجنس معهن، قبل أن يحصد أجزاءً من أجسادهن مثل أقدامهنَّ وأثدائهن. حاول «برودوس» تحريك إحدى الجُثث بصعقاتٍ من الكهرباء، مما وضَّح للشرطة علامتَي حرقٍ غريبتَين بعد الوفاة على جانبي القفص الصدري للضحية التي أثارَت الحيرة في نفوسهم.

وكذلِك جرائِم القتل الستِّ الشهيرة بجرائِم «سفَّاح إيبسيلانتي» أو «جرائِم ميشيجان الستّ» التي راح ضحيتها شابات في «آن أربور» و«إيبسيلانتي» بين عامي 1967 و1969. وتراوَحَت أعمار الضحايا الإناث، بين الثالِثة عشرة، والحادية والعشرين، واختُطِفنَ، وضُرِبنَ، واغتُصبن، وقُتلنَ طعنًا أو خنقًا، كما شُوِّهَ بعضهن. وفي نهاية المطاف، اتُّهِم «جون نورمان كولينز» البالِغ من العُمر اثنَين وعشرين عامًا بارتكاب إحدى جرائِم القتل، وأُدين. وتحلَّت السُّلطات بالثِّقة من أنه قتل الضحايا الخمس الأُخريات «وواحِدة في «كاليفورنيا» في رحلةٍ قام بها إلى هُناك». ومع إدانة واحدة فقط، لا يُعد قاتِلًا مُتسلسِلًا بشكلٍ رسمي، وحتى يومِنا هذا يدَّعي «كولينز» البراءة، ولا يزال مسجونًا في سجن «ذا ماركيت برانش بريسون» في «ميشيجان».

واغتصَب «سفَّاح سينسيناتي الخانِق» وخنق سبع نِساءٍ مُعظمهنّ مُسنَّات في «أوهايو» بين عامي 1965 و1966. وهو سائِق السيَّارة الأجرة «بوستيل لاسكي جونيور». واتُّهِم في إحدى جرائِم القتل في عام

1967، وأُدِين، ثُم توقّفَت جرائِم القتل بعد ذلِك. وتُوفِيَ «لاسكي» في السجن عام 2007.

وبالطبع، هُناك القاتِل الذي احتلَّ صدارة قائِمة أشهَر القتلة المُتسلسِلين مجهولي الهوية، «زودياك»، الذي قتل ضحاياه الخمسة المؤكَّدين بين ديسمبر 1968 وأكتوبر 1969.

وكذلِك العديد من القضايا الأخرى التي مرَّت مرور الكرام دون أن يُسلَّط عليها الكثير من الأضواء، مثل «أنطون تشارلز «توني» كوستا»، وهو نجَّار مُتّهم بقتل وتقطيع أوصال ثماني نِساء في «ماساتشوستس» في عامي 1968، و1969؛ وقد أُدين وحُكِم عليه بالسجن مدى الحياة في اثنتَين فقط من جرائِم القتل في مايو 1970، وشنق نفسه في زنزانته في عام 1974.

و«لي روي مارتِن» في «جافني» بولاية «كارولينا الجنوبيَّة»، وهو عامِل متزوِّج في الثلاثين من عُمره يعمَل في مصنعٍ للنسيج، ولدَيه ثلاثة أطفال، الذي اتُّهِم وأُدين في عام 1969، في أربع جرائِم قتل نساء خنقًا بين عامَي 1967 و1968.

وكذلِك بعض قتلة «البلاء»، مثل «إد كِمبر»، الذي بدأ جرائِم القتل التي ارتكبها مُبكِّرًا في أوائِل «الستينيَّات»، ثُم توقَّف عن القتل بسبب السِّجن، قبل أن يستأنِفوا جرائِمهم المُتسلسِلة في «السبعينيَّات». على سبيل المثال، «فون أورين جرينوود»، الشهير بـ «سفَّاح سكيد رو» في «لوس أنجلوس»، والذي قتل ضحيَّتَين في عام 1964، وقضى ستَّ سنواتٍ في السجن بتُهمة الاعتداء، ثُم قتل تسع ضحايا آخرين في عامَي 1974 و1975. كما اتُّهِم «كينيث مكدوف»، الشهير بـ «قاتِل عصا المكنسة»، باختطاف وقتل ثلاث ضحايا، واغتصاب وخنق واحِدة بعصا مكنسة على حلقِها في عام 1966. وحُكِم عليه بالإعدام، ثُم خُفِّف الحُكم، قبل أن يُطلَق سراحه المشروط في نهاية المطاف في عام 1989، ثُم واصَل اغتصاب وقتل ستِّ نساءٍ أُخريات في الفترة من 1989 إلى 1992. واشتُبِه به فيما وَصَل مجموعه إلى أربع عشرة جريمة قتل.

وبدأ آخرون جرائِمهم في «الستينيَّات»، ولكِن لم يُكتشفوا أو يُقبَض عليهم حتى «السبعينيَّات»، مثل «باتريك واين كيرني»، الشهير بـ «قاتِل الطريق السريع» أو «قاتِل أكياس القمامة»، الذي أكَّد أنه قتل إحدى وعشرين ضحية من الذكور بين عامَي 1965 و1977، وكان مُشتبهًا به فيما وَصَل مجموعه إلى ثلاثٍ وأربعين جريمة قتل. وكان «كيرني» من مُجامعي الموتى الذين استهدفوا الشباب المِثليِّين الذين تنقَّلوا في سيَّاراتهم أو في نوادي المِثليين. وبينما قاد سيَّارته بيُسراه، أطلَق النار بيُمناه على ضحاياه في مقعد الراكِب بمُسدَّس عيار 22، ثُم يُجامِع جُثثهم. وبعد ذلِك، قطَّعها، وألقى القطع في أكياس قمامة صِناعيَّة.

وفي الفترة ما بين عامي 1963 و1978، نَصَب «رودي بلاديل»، وهو عامِل سكَّة حديد ساخِط مفصول من العمل، كمينًا لسبعةٍ من موظَّفي السكك الحديد، وأطلَق النار عليهم قبل أن يُتَّهم في عام 1979 بارتكاب جريمة قتل ثُلاثيَّة لعُمَّال السكك الحديد في محطَّة «جاكسون» بولاية «ميشيجان» في 31 ديسمبر 1978.

«ريتشارد كوتينجهام» «سفَّاح جذوع تايمز سكوير» أو «قاتِل تايمز سكوير تورسو» في الفترة بين 1967 إلى 1980

ثُم كان هُناك «قاتلي المُتسلسِل»، وهو القاتِل الذي جعلني أبدأ في الكِتابة عن القتلة المُتسلسِلين بعد لقائي القصير معه في 2 ديسمبر 1979، عندما كان يفرُّ هاربًا من مسرح جريمة قتل مزدوجة. كان قد قطع رأس ضحيَّتَين من الإناث، وقطع أيديهن، وأشعَل النار في جذعيهما المشوَّهَين، وفرَّ هارِبًا برءوسهن وأيديهنّ في حقيبة. وأثناء خروجه من المصعد في الرَّدهة، دخلتُ المِصعَد لأصعَد إلى الطابِق العلوي، وانتهى بنا المطاف بالاصطدام بعضنا ببعض، وهو لِقاء وصفتُه عدَّة مرَّات بالتفصيل في كُتبي السابِقة. وهكذا أصبَحَت جرائِم القتل تُعرَف باسم جرائِم قتل جذوع تايمز سكوير.

أُلقيَ القبض على «ريتشارد فرانسيس كوتينجهام»، البالِغ من العُمر ثلاثةً وثلاثين عامًا، في مايو 1980. والذي عمل مُشغِّلًا لوحدة تحكُّم الكومبيوتر في شركة تأمين في «نيويورك»، واعتاد التنقُّل يوميًّا من منزِله في «نيوجيرسي»، حيث عاش مع زوجته وأطفاله الثلاثة. وقد أُدين في نهاية المطاف بخمس جرائِم قتل في «نيوجيرسي» و«نيويورك» بين عامي 1977 و1980، بما في ذلِك جرائِم قتل الجذوع السيِّئة السُّمعة. لكِنَّ ما لم يعرِفه أحد في ذلِك الوقت؛ هو أن «كوتينجهام» بدأ القتل قبل عام 1977 بكثير؛ على الأقل منذ عام 1967، وأظُنُّ أنه رُبما في وقتٍ مُبكِّرٍ من عام 1963 في عامه الأول في المدرسة الثانويَّة. ولم يسمَع مُعظَم الناس عنه؛ لأنه لم يُجرِ أي مُقابلات، ولم يكُن عددُ ضحاياه – الخمس – مُذهِلًا بما يكفي لجذب الانتباه في «السبعينيَّات»، عندما كان المتوسِّط ثماني أو تسع ضحايا لكُل قاتِل مُتسلسِل.

وفي عام 2009، وبعد ثلاثين عامًا من الصمت، أجرى «كوتينجهام» أول مُقابلة له، وقال للصحفيَّة الكنديَّة «نادية فزاني» إنه ارتكب ما لا يقِل عن ثمانين إلى مائة «جريمة قتل مثاليَّة» لنساءٍ في مناطِق مُختلِفة من الولايات المُتحِدة. وكانَت هذه الجرائِم «مثاليَّة» لأنها لم ترتبِط به قط[(CLXIX)].

في البداية، لم يأخُذ أحدٌ ادِّعاء «كوتينجهام» على مَحمَل الجد، ولكِن في عام 2010، اعترف وأقرَّ بذنبِه في جريمة قتل «نانسي فوجل»، الأم لطفلَين، والبالِغة من العُمر تسعة وعشرين عامًا، والتي قتلها في عام 1967 – أي قبل عشر سنوات من الجرائِم المعروفة من عام 1977 إلى عام 1980. وهذا ما رفع مجموع ضحاياه المؤكَّدين إلى ستِّ ضحايا في ثلاثة عشر عامًا، ومدَّد فجأة فترة قتلِه بمقدار عشر سنواتٍ أخرى. وكي يقتل مائة ضحيَّة في تلك الفترة الزمنيَّة، توجَّب عليه أن يقتُل ضحيَّةً واحدة كُل سبعة أسابيع تقريبًا. وهو سيناريو معقول تمامًا، خاصَّة في «الستينيَّات» و«السبعينيَّات» عندما ساد الجهل والسذاجة على أسلوب الشُّرطة في الربط بين جرائِم القتل المُتسلسِلة.

ويدَّعي «كوتينجهام» أنه قد «غيَّر» أسلوبه، وتجمُّعه الجُغرافي، واختياره لضحاياه بشكلٍ منهجيٍّ ومُتعمَّد. وطوال «الستينيَّات» و«السبعينيَّات»، قتل تلميذاتٍ لا تتجاوَز أعمارهن ثلاثة عشر عامًا، وبائِعات هوى مُراهِقات، ومُرافِقة راقيَة في الثانية والعشرين من العُمر، وكُل أنواع النساء فيما بينهن، بما في ذلِك الأم، وربَّة المنزِل، «فوجل»، البالِغة من العُمر تسعةً وعشرين عامًا، وفنيَّة أشِعة سينيَّة في السابِعة والعشرين من العُمر. كما ضَرَب وخنق وأغرق وطعن ضحاياه بالتناوُب. ونقل جُثث بعض الضحايا إلى أماكِن أخرى ليرمِيَها، بينما ترك جُثث ضحايا أخريات حيث قتلهن. وترك الجُثث في الهواء الطلق، أو في سيَّاراتهن، أو على جانبَي

الطريق، أو في مواقِف السيَّارات، أو طافية على الأنهار، أو داخِل فنادِق «نيوجيرسي» و«نيويورك». وقطع رأسَي اثنتَين على الأقل من ضحاياه اللاتي لم يُعثَر على رءوسهن قط، كما قطع ثديَي ضحيةٍ ثالِثة. وأضرَم النار في فراشٍ يحتضِن ثلاثًا من جُثث ضحاياه المشوَّهات. وكبَّل أيدي بعضهن، وكمَّم أفواههن، وعذَّبهن، واغتصبهن، وضربهن، وأحرقهن بالسجائِر؛ بينما لم يفعل ذلِك مع أُخريات. لقد كان متنوِّعًا وجشِعًا على نحوٍ غير عادي، وفشلَت مُختلف السُّلطات القضائيّة للشرطة في «نيوجيرسي» و«نيويورك»، والصُّحف التي نادرًا ما فشلت في التوصُّل إلى الاستنتاجات، في ربط سلسِلة جرائِم القتل بجانٍ واحد. بالطبع، كان ذلِك في زمن ما قبل التنميط، وقبل أن يدخُل مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» إلى مُفرداتنا؛ حيث افتقرنا إلى فهم أن القتلة المُتسلسِلين يُغيِّرون أسلوبهم دائِمًا تقريبًا لأنها الطريقة التي تجعلهم مُتسلسِلين. وكما هو الحال في أي مشروعٍ ناجِح، فإن القتل المُتسلسِل هو تجرِبة تعليميَّة مُقترِنة بالحظ السيئ. وفي عام 2018، اتَّصَلت بي «جينيفر فايس»، ابنة إحدى ضحايا «كوتينجهام». والتي كانَت قد عُرِضَت للتبنِّي قبل عام من مقتل وذبح والِدتها البيولوجيّة، بائِعة الهوى «ديده جودارزي». وقد اعتادَت «جينيفر» زيارة «كوتينجهام» في السجن؛ في مُحاولةٍ لإقناعه بالكشف عن المكان الذي أخفى فيه رأس والِدتها. لكِنها وجدَت صعوبةً في تجميع سردٍ جُغرافي، وتسلسُلٍ زمني مُتماسِك مما أخبرها به. وبناءً على طلبها، وافَق «كوتينجهام» على مُقابلتي لإجراء سلسِلةٍ من المُقابلات الفرديَّة في السجن حول حياته وجرائِمه التي لا تزال مُستمِرَّة حتى يوم كِتابة هذا الفصل.

وفي 30 ديسمبر 2019، أعلَنتُ في اجتماع مُجتمعي نظَّمه المواطِن المحلي «جون باندسترا» في «ميدلاند بارك» بـ «نيوجيرسي»، أن «ريتشارد كوتينجهام» قد اعترف للشرطة بارتكاب ثلاث جرائِم قتل لم تُحَل منذ خمسين عامًا، وأن القضايا المفتوحة قد أُغلِقَت الآن «بشكلٍ استثنائي»:

-«جاكلين «جاكي» هارب»، البالِغة من العُمر ثلاثة عشر عامًا، والتي نَصَب لها «كوتينجهام» كمينًا عشوائيًّا أثناء عودتها إلى المنزِل من تدريب فرقة الطبول والبوق في «ميدلاند بارك»، وخنقها بحزامٍ جلديٍّ لحامِلِ العلَم في 17 يوليو 1968.

-«إيرين بليس»، البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، التي اختفَت في 7 أبريل 1969، أثناء تسوُّقها في «هاكنساك»، والتي عُثِر عليها ووجهها للأسفل في مياه نهر «سادِل» التي يبلُغ عُمقها أربعة أقدام، مخنوقة بحبلٍ أو سلكٍ أو رُبما سلسِلة صليبٍ كانَت ترتديها، ومطعونة مرَّة واحِدة في ظهرها.

-«دينيس فالاسكا»، البالِغة من العُمر خمسة عشر عامًا، والتي اختُطِفَت في 14 يوليو 1969، في «إيمرسون/ ويستوود» أثناء سيرها إلى منزل أحد أصدِقائها، وعُثِر عليها في صباح اليوم التالي في «سادِل بروك» على جانِب طريقٍ بجوار مقبرة، مخنوقة بسلكٍ أو سلسلة صليب كانَت ترتديها.

يعمل «روبرت أنزيلوتي»، وهو مُحقِّق ورئيس المُحقِّقين الآن في مكتب المُدَّعي العام في مُقاطعة «بيرجن»، بإصرارٍ على قضايا «كوتينجهام» منذ عام 2004، وقد انتزع الاعترافات الرسميَّة الثلاثة في جرائِم القتل

التي لم يُبَتّ فيها خلال المُقابلات التي أجراها معه، دون الاستفادة من أدِلّة الحمض النووي، التي لم تكُن تُجمَع أو تُحفَظ في «الستينيَّات».

كانَت «ميدلاند بارك»، حيث قُتِلَت «جاكي هارب»، ولا تزال بلدة صغيرة وشاعريَّة تقع شمال «باترسون»، بـ «نيوجيرسي». واعتادَت «جاكي» الذهاب إلى تدريبٍ مسائيٍّ لفرقة الطبول والبوق الخاصَّة بها – فرقة «ميدلاند بارك إمبريال نايتس» – في الملعب الرياضي للبلدة. وفي عام 1968، كانَت مثل هذه البلدات الصغيرة لا تزال تُعتبر آمِنة من الجريمة والعُنف الذي تفشى في المُدن الكبيرة، وعرض عليها العديد من الآباء توصيلها إلى المنزِل. لكِنها رفضَت. تجوَّل جميع الأطفال في تلك الأُمسية الصيفيَّة الدافِئة، وتسكَّعوا في مطعم بيرة الجذور في الشارِع الرئيسي، وخرجوا في مواعيد غراميَّةٍ، وزارَ بعضهم بعضًا، واشتروا المُثلَّجات، وشاهَدوا رِجال الإطفاء وهُم يُطفِئون حريقًا تدريبيًّا، واصطادوا السمك في الخور الذي يخترِق البلدة «بالقُرب من المكان الذي سيُعثَر فيه على جُثَّة «جاكي» في صباح اليوم التالي». وفي وقتٍ لاحق، حدَّدَت الشُّرطة مسارها، حيث توقَّفَت وتجاذَبت أطراف الحديث مع الأصدِقاء الذين صادفتهم أثناء عودتها إلى المنزِل. لقد كانَت إحدى ليالي مُنتصف الليل الساحِرة في شهر «يوليو»، حيث تجمَّعَت الحملان البريئة، بينما تسلَّل ذئِب ضارٍ بينهم، ليقتُل «جاكي» أثناء تجوُّلها بعيدًا عن القطيع المُحتشِد.

إن أطفال عام 1968، هُم كِبار السنِّ من سُكَّان «ميدلاند بارك» اليوم، ولا يزالون مصدومِين ومذعورين بعد مرور أكثر من خمسين عامًا. حيث تساءلت بعض الفتيات اللاتي شاركن في التمرين في تلك الأمسيَة معها لبقية حياتهن عن مدى قُربهن من تقاسُم مصيرها. وكانَت إحدى تلك اللحظات التي «بدأ الناس يُغلِقون أبوابهم فيها»، و«يبقون أطفالهم في المنزل» في «ميدلاند بارك».

والأسوأ من ذلِك. على مدار خمسين عامًا، وُجِّهَت الاتهامات إلى بعض فتيان المدينة، بأنهم اغتصبوا «جاكي»، وخنقوها بشكلٍ جماعي «حيث اعتُدِيَ عليها جنسيًّا، دون أن تُغتصَب». وهؤلاء الفتيان المُراهِقون أصبحوا في «الستينيَّات» و«السبعينيَّات» من عُمرهم الآن، وعاشوا حياتهم كُلها موضعًا للشُّبهات، وأصابع الاتهام موجَّهة إليهم، والأفواه تلوك سيرهم منذ خمسين عامًا.

وكانَت جرائِم القتل الثلاث هذه من بين حوالي ثمانٍ وخمسين جريمة قتل جنسيَّة لم تُحل لفتيات مُراهِقاتٍ ونِساء في «نيوجيرسي» بين عامي 1963 و1980؛ وقد فهرستُها، ورسمتُ لها خرائِط بشكلٍ منهجي على موقعي الإليكتروني: «www.newjersygirlmurders.com» في مُحاولةٍ لتحديد أيّ منها قد ينتمي إلى جرائِم القتل «المثاليَّة» التي يدَّعي «كوتينجهام» أنه ارتكبها قبل أن يُقبَض عليه «مُتلبِّسًا» حرفيًّا، وهو يُعذِّب بائِعة هوى مُراهِقة في فندقٍ في «نيوجيرسي» حيث سبق له أن قتل امرأتَين أُخريَين على الأقل. اعتاد «كوتينجهام» التنقُّل يوميًّا بين «نيويورك» و«نيوجيرسي»، وأحيانًا اصطحاب ضحاياه عبر حدود الولاية. وكان له أعمام يعيشون في «لونج آيلاند» بـ «نيويورك». كما كان مُقامِرًا نهمًا، وسافر من حينٍ لآخرٍ إلى «لاس فيجاس»، قبل أن يُقنَّن القُمار في «أتلانتيك سيتي» في عام 1978، وفي بعض الأحيان، سافر إلى «فلوريدا» عبر عدَّة ولايات لزيارة والِدَيه المُتقاعدَين هُناك. وتقع ولاية «بنسلفانيا» على الجانِب الآخر من ولاية «نيوجيرسي». وفي

سلسِلة جرائِم القتل التي نَعرِف على وجه اليقين أنه ارتكبها بين عامي 1967 و1980، لم يلفِت «كوتينجهام» انتباه الشُّرطة مرَّةً واحِدة كمُشتبهٍ به، أو ارتبط بأي شكلٍ من الأشكال بأيٍّ من الضحايا وقت ارتكابهم لجرائِمهم. وظلَّ خفيًّا تمامًا لمُدَّة ثلاثة عشر عامًا على الأقل، حتى يوم اعتقاله المُفاجئ في مايو 1980، عندما جلبَت صرخات ضحيته اليائِسة الشُّرطة إلى باب غُرفته في الفُندق. واليوم، يُغربِل مُحقِّقو القضايا غير المحلولة في «نيوجيرسي» و«نيويورك» عقدَين من الجرائِم الجنسيَّة التي لم تُحَل، والتي قد تكون مُرتبِطةً بـ«كوتينجهام».

ورُبما يكون «كوتينجهام» أحد أكثر القتلة المُتسلسِلين غزارةً في التاريخ الأمريكي، بعدما نَجَح في القتل لأطول فترةٍ مُمكِنة دون أن يُكتَشَف أو يُربَط حتى بجرائِمه، ولا حتى كـ«مجهوليّة» – أي مجهول الهوية – بلُغةِ مُحلِّلي مكتب التحقيقات الفيدرالي. بالطبع، بدأ بالقتل في «الستينيَّات»، وعندما تصاعدَت وتيرة جرائِمه بشكلٍ كبير في «السبعينيَّات»، لم يكُن مكتب التحقيقات الفيدرالي يعمل في مجال تحليل القتلة المُتسلسِلين. لم يكُن أَحد يعمل في ذلِك المجال بعد.

ورغم أن «كوتينجهام» ظلَّ سجينًا على مدار الأربعين عامًا الماضية، إلا أن جُزءًا آخر منه لا يزال طليقًا يُمارِس سيطرته في شكلٍ ما يُسمِّيه «جرائِم القتل المثاليَّة» – وهي جرائِم القتل الخفيّة وغير المحلولة التي تركَت ندوبًا مفتوحةً بين الأحياء. وهذه هي الجرائِم التي لم يُربَط بها قط، وتلك التي «لا تُحِبّها الشُّرطة». أو جرائِم القتل التي لم يعلَم أحد بحدوثها، تلك التي أُخفِيَت بين جموع آلاف المُراهِقات والشابَّات اللاتي اختفينَ ببساطةٍ على مدار عقدَين من الزمن. أو الآلاف الذين عُثِرَ عليهن على جانِب الطُّرق السريعة من «نيوجيرسي» وصولًا إلى «تامبا» بـ«فلوريدا»، مُلقَيات في الوِديان المليئة بالشجر، أو في قبورٍ ضحلة، أو طافيات في الأنهار، واللاتي لم يُتعرَّف عليهن قط، ناهيك عن تحديد سبب الوفاة. لا أحد يعرِف حتى إذا ما كان هُناك من يعرِف أنهن في عِداد المفقودات؛ أو ما يُسمَّى بالمفقودات المنسيَّات.

ويُعد الثمانيَة والخمسون الذين أحصيتُهم هُم فقط الذين عَرَفنا أنهم قد لقوا حتفهم في «نيوجيرسي». وتغمُرني السعادة لأن بإمكاني شطبَ ثلاثة أسماء من تلك القائِمة، وهُنّ «جاكي هارب»، و«إيرين بليس»، و«دينيس فالاسكا»، ولكِن لا يزال هُناك الكثير من الأسماء الأخرى. بينما أُواصِل مُقابَلة «كوتينجهام» واستجوابَه، وبينما أتعرَّف على ضحايا جُدد لم يُربَط بهنّ قط، أُدرِك أن «قاتلي المُتسلسِل» يأتي أيضًا مع «ضحاياي». ومن الصعب للغاية وصف التحقيقات في القضايا المفتوحة، ناهيك عن حلِّها؛ فالأمر أشبه بمُحاولة اللَّحاق بمصدر الضوء البعيد الصادِر عن نجمٍ ميِّتٍ منذ فترة طويلة. فالأدِلَّة إما أنها فُقِدَت أو انتهَت صلاحيتها، والشهود في الغالِب إما قد ماتوا أو اختفَوا، وأحيانًا يكون الجاني نفسه قد لقي حتفه – لكِنّ الأَلَم يستمِرّ في التوهُّج إلى الأبد على امتداد سنوات ضوئيَّة. وغالبًا ما يتحدَّث رِجال الشُّرطة في القضايا غير المحلولة عن «الحقيقة» و«الحل» بدلًا من «العدالة» و«الخاتِمة». وبالنِّسبة للعائِلات، لا تُوجَد خاتِمة أبدًا، بل هو حلٌّ في أفضل الأحوال. وليس لديَّ أي فكرة عمَّا إذا كُنتُ في مُنتصف هذه القصَّة التي تتكشَّف

تفاصيلها، أم أنني في نهايتها، وأحيانًا أستيقِظ في مُنتصف الليل فجأة؛ خائِفًا من فكرة أنني رُبما أكون في بدايتها فقط.

موسِم الزراعة، في الفترة بين 1950 إلى 1969

في الفترة بين 1950 إلى 1969، ظهر حوالي 225 قاتِلًا مُتسلسِلًا في الولايات المُتحِدة، ولكِن في ذلِك الوقت، لم نكُن نعرِف منهم سوى عددٍ قليلٍ فحسب، مثل «إد جين»، أو «هارفي جلاتمان»، أو «ألبِرت ديسالفو»، أو «جيري برودوس»[(CLXX)]. في حين احتلَّ «تشارلز مانسون» فئةً خاصَّة به. ولم يُطلَق على أي منهم لقب قاتِل مُتسلسِل، ولم يُعترَف بهم على أنهم ينتمون إلى نوعٍ أو فئةٍ مُعيَّنةٍ من القتلة، رغم اقتراح مُصطلحات مُختلِفة مثل: «القتلة المُتعدِّدين»، أو «القتلة النمطيِّين»، أو «القتلة الجماعِيِّين»، أو «القتلة المُثيرين»، أو «القتلة الترفيهيين»، أو «القتلة الغُرباء». ولم يَعْلَق أي من هذه التسميات؛ لأنها لم تكُن مُناسِبة تمامًا لكُل حالةٍ على حدة، ولأن أحدًا لم يُقدِّم أيَّ نوعٍ من التعريف الأفضل لما كانوا عليه حقًّا. وظلَّ كُلُّ قاتِل مُتسلسِل يُمثِّل لُغزًا فرديًّا «قائِمًا بذاته» – ووحشًا مُستقِلًّا بنفسه. وفي خضم العُنف المُتفشي في أواخِر «الستينيَّات»، لم نُدرِك وجودهم، ولم نتخيَّل أيَّ شيءٍ أسوأ مما كُنَّا على استعدادٍ لمواجهته. لكِنَّ الأمور كانَت على وشك أن تزداد سوءًا.

ومع نهاية العِقد، في 18 ديسمبر 1969، بلغ «إدموند كِمبر»، ابن «كلارنيل»، الحادية والعشرين من عُمره، وأُطلِق سراحه من «أتاسكاديرو»، بعدما تأكَّدوا من شفائه من أي دوافِع حثَّته على قتل جدِّه وجدّته. ولاحقًا، سيتذكَّر «كِمبر» أنه في «أتاسكاديرو»: «اكتشفتُ أنني قتلتُ جدّتي حقًّا لأنني أردتُ قتل أُمي». ورُبما كان ذلِك صحيحًا، أو رُبما كان ذلِك تفكيره الذي أراده بعد فوات الأوان. فهُناك ستُّ شابات سيُقتلنَ قبل أن يُصبِح «كِمبر» مُستعدًّا لفعل ما يقول إنه اكتشف أنه أراد فعله حقًّا.

وبعد أسبوعَين من إطلاق سراح «كِمبر».. بدأت «السبعينيَّات».

7 أزرار البطن أو belly buttons وتعني السُّرَّة، وتُرجِمَت حرفيًّا للحِفاظ على فُكاهة الطُّرفة. [المُترجِم]

8 يُمكِنك قراءة كِتاب «أبناء قابيل» للحصول على وصفٍ أكثر تفصيلًا لهذه الظاهِرة. [المؤلِّف]

9 بالنظر إلى ملفَّات شرطة «تورنتو» عن سلسِلة من حالات اختناق الأطفال في «الخمسينيَّات»، لاحظَت تقارير من المدارس في ذلِك الوقت أن الأطفال والمُراهقين اعتادوا خنق بعضهم البعض أحيانًا حتى يفقِدوا الوعي كلعبةٍ أثناء فترة الراحة في فناء المدرسة. [المؤلِّف]

الفصل الخامِس

الطفرة الكُبرى

بلوغ القتلة المُتسلسِلين من مواليد جيل الطفرة السُّكانيَّة في الفترة بين 1970 - 1979

«نحن القتلة المُتسلسِلون أبناؤكم، وأزواجكم، نحن في كُلِّ مكان»

تِد بندي

في السنوات العشر التالية، وخلال «السبعينيَّات»، تم التعرُّف على 605 قتَلةٍ مُتسلسِلين، وهو ضعف عددهم في العشرين عامًا السابِقة. وفي «الثمانينيَّات»، ظَهَر 768 آخرون، وفي «التسعينيَّات»، ظَهَر 669 غيرهم. أي أنه ظهر ما مجموعه 2042 قاتِلًا مُتسلسِلًا جديدًا خلال فترة «البلاء» التي استمرَّت ثلاثين عامًا؛ بنسبةٍ تُعادِل 88٪ من القتلة المُتسلسِلين الأمريكيين المعروفين في القرن «العشرين». وسيستغرِق الأمر كِتابًا مكوَّنًا من 2042 صفحة لتلخيص كُل حالة بإيجازٍ في صفحةٍ واحدة. ولا يسعني هُنا حتى تلخيص بعض الحالات «البارِزة» في العقد بالطريقة التي تمكَّنتُ بها حتى الآن بالنسبة للفترة من «الثلاثينيَّات» إلى «الستينيَّات». لكِن كيف ومتى تحوَّل الأمر إلى وباءٍ فيروسي؟

عندما بلغَت موجة القتلة المُتسلسِلين المُتصاعِدة باطرادٍ ذُروتها أخيرًا، اصطدمَت بقضية كان لها عدد مُذهِل وغير مسبوق من الضحايا. لم يكُن هُناك شيءٌ مثلها في أمريكا منذ عام 1927، عندما قُبِضَ على القاتِل المُتسلسِل «إيرل نيلسون»، الشهير بـ «الخانِق الخفي» أو «الرجُل الغوريلَّا»، بعد أن قَتَل واغتصَب ما بين 22 إلى 25 ضحيَّة من الإناث في رحلة قتل مُهاجِرة استمرَّت عامَين عبر الولايات المُتحِدة، وصولًا إلى كندا[10].

«خوان كورونا» الشهير بـ «قاتِل بُستان الخوخ في يوبا سيتي» في مدينة «يوبا» بـ «كاليفورنيا» عام 1971

في يوم 19 مايو 1971، قاد مُزارع خوخ، بالقُرب من «يوبا سيتي» بـ «كاليفورنيا»، نائِب مأمور مُقاطعة «سوتر» إلى حُفرةٍ كبيرةٍ غامضةٍ مملوءةٍ في بُستانه. وعلى مدار الأيام القليلة التاليَة، استخرَجَت الشُّرطة 24 جُثَّة غير عاديَّة، طُعِنَت وقُطِّعَت جماجِمها باستخدام ساطور، وجُثة أخرى مُصابة بطلقٍ ناري، ليُصبِح إجمالي عدد الجُثث 25. أُغلِقَت القضية بسُرعةٍ كبيرةٍ في غضون أسبوعٍ بعد إلقاء القبض على «خوان كورونا»، البالِغ من العُمر سبعةً وثلاثين عامًا، وهو مُقاوِل مُزارعين مكسيكي يعمَل في مزرعةٍ بـ «شمال كاليفورنيا»، يُوفِّر العُمَّال لمَزارِع الخوخ. وربطَت إفادات الشهود والقمامة المُستخرجة من الجُثث بين «كورونا» والضحايا.

وإن كان هُناك «نُقطة صِفر» في «بلاء القتلة المُتسلسِلين» القادِم، فلن نجِد من هو أنسَب من «خوان كورونا» للعب هذا الدور. «مع سُخرية مؤسِفة لوباء كورونا الذي يجتاح العالَم هذه الأيام».

ويُعد رقم 25 عددًا مُذهِلًا من جرائِم القتل. واتضَح على الفور أنهُم لم يُقتَلوا جميعًا دفعةً واحِدة. فقد قُتِلوا في الغالِب واحِدًا تلوَ الآخر، ولكِن في فترةٍ زمنيّةٍ قصيرة من «فبراير» إلى مايو 1971. واليوم قد نصِف «كورونا» بأنه «سفَّاح مُتسلسِل» يقتُل في حوادثَ مُنفصِلة، ولكِن بسُرعةٍ غير عاديَّة، ورُبما دون فترة «تهدِئة» تفصِل بين جرائِم القتل، مثل، «أندرو كونان» على سبيل المِثال، أو «قنَّاصي بيلتواي دي سي» «جون آلن محمد» و«لي بويد مالفو».

كانَت قصَّة «كورونا» صادِمة ومُحيِّرة للناس في عام 1971، لأن أحدًا لم يسمَع بمثل هذا العدد الكبير من جرائِم القتل من قبل. وتساءل الناس بسذاجةٍ عمَّا إن كان قد قتلَهم واحدًا تلوَ الآخر؛ وهل لاحظ أحد عندما حدث ذلِك؟ وهل دُفِنوا جميعًا في نفس المكان؟ وماذا نُسمِّي هذا النوع من البشاعة؟ لأنه إن لم يقتُلهم جميعًا دَفعة واحِدة، فهذا ليس «قتلًا جماعيًّا». بل هو شيءٌ جديدٌ، حتى لو لم يكُن كذلِك حقًّا.

لكِن بمُجرَّد أن استقرَّ عدد الجُثث عند 25 جُثّة، سُرعان ما فقدنا الاهتمام بجرائِم قتل «خوان كورونا»، ومثل جريمة قتل «كيتي جينوفيس»، شابَ أحداثَ هذه القصَّة نوع من التحوُّل والانعطاف عند سردِها. أولًا، كان الافتراض الأساسي هو أن الضحايا من العُمَّال المكسيكيين المُهاجرين – ورُبما كان بعضهم مُهاجرين غير شرعيِّين. وقد أدى ذلِك على الفور إلى تثبيط أي اهتمامٍ يُذكَر قد يكون لدى الجمهور من قُرَّاء الصُّحف ومُشاهدي التِّلفاز. ومن الواضِح، أن جميع الضحايا كانوا في الواقِع من البيض، باستثناء اثنَين؛ أحدُهما أمريكي من أصلٍ أفريقي، والآخر أمريكي من السُّكَّان الأصليين. لكِن لم يكُن أيهم مكسيكيًّا[(CLXXI)]. كان مُعظمهم في مُنتصف العُمر – أصغرهم في الأربعين، وأكبرهم في السابِعة والستِّين. وتمَّ التعرُّف على 21 ضحيَّة بنجاح. كانوا آخِر جيلٍ من المُهاجرين العامِلين المُشرَّدين الذين يركبون السكَّة الحديد في حقبة الكساد الكبير – «مُشرَّدي الطفرة السُكَّانيّة» – الذين جاء بعضهم سنويًّا مثل الطيور المُهاجِرة من الولايات الشماليَّة للعمل في حصاد «كاليفورنيا». لكِن لو كان ذلِك معروفًا، لم يكُن ذلِك ليُغيِّر أي شيءٍ بالنِّسبة لعامَّة الناس؛ فمن بين الأمريكيين «المُحترمين»، كان موت هؤلاء المُشرَّدين «أقل وطأة» من المُهاجرين المكسيكيين.

لكِن كان هُناك ما هو أكثر من ذلِك.

المُبالَغة في قتل المِثليِّين

زُعِمَ أنهم عثروا في جَيب أحد الضحايا على مواد إباحيَّة مثليّة، وأفاد مكتب المأمور أن سراويل بعض الضحايا شُدَّت حتى الكاحلَين أو فُتِحَ سحَّابها ليكشِف عن أعضائهم التناسُليّة[(CLXXII)]. ويبدو أن مُعظم الضحايا قُتِلوا بطعنةٍ واحدةٍ أو اثنتَين، لكِن رءوسهم وأعناقَهم وصدورهم قد أصيبَت بضرباتٍ مُتعدِّدةٍ

بالمناجِل تفوق ما يكفي لقتلِهم. وتُشير الشَّرطة إلى التشويه المُفرِط أو الطعن المُتعدِّد أو إطلاق النار المُتكرِّر بـ «الإفراط في القتل»، وتعتبره سمةً مُتكرِّرة لجرائِم القتل بين المِثليِّين[(CLXXIII)].

وحتى اليوم في مجال الشُّرطة، تُصنَّف جرائِم القتل المُتسلسِل للمِثليين في مكانتها المُنحرِفة الخاصَّة، حيث يُزعَم أن المُبالَغة في القتل هي «سمة» نموذجيّة لجرائِم قتل المِثليِّين، سواء كانَت مُتسلسِلة أو غير ذلِك. وكَتَب مُحقِّق جرائِم القتل السابِق في شرطة «نيويورك»، «فيرنون جيبرث»، في كِتابه الإجرائي الشائِع الاستخدام «التحقيق العملي في جرائِم القتل»، «وهو الآن في طبعته الخامِسة الصادِرة في عام 2015»:

«لقد نصَّت تجرِبتي على أن جرائِم القتل المِثليَّة بين الذكور التي تنطوي على عُنفٍ بين الأشخاص، غالبًا ما تُقدِّم أنماطًا من الإصابات التي يُمكِن وصفُها على أنها مُبالغة في القتل. وغالبًا ما تُوجَّه هذه الإصابات إلى حلقِ وصدر وبطن الضحايا. وقد اقتُرِحَ، لكِن دون أن يُثبَت تجريبيًّا، أن الاعتداء على الحلق يحدُث بسبب الأهميَّة الجنسيَّة للفم والحلق في «مُمارسة الحُب» بين الذكور المِثليِّين.. وتتجلى الأهميَّة النفسيَّة للاعتداء على الحلق في جرائِم القتل الجنسي المِثلي بين الذكور في تدمير هذا «العضو الجنسي البديل» الذي يبتلِع القضيب. وغالبًا ما يُعتقَد أن الجِماع الشرجي هو السلوك الجنسي الأكثر انتشارًا بين الرِّجال. إلا أن «دراسةً أُجرِيَت عام 1978» وجدَت أن اللِّسان هو أكثر طُرق التعبير الجنسي شيوعًا[(CLXXIV)].

وتعامَل مكتب مأمور مُقاطعة «سوتر» مع جرائِم القتل التي وقعت في «يوبا سيتي» كجرائِم جنسيَّة، باعتبارها جرائِم قتل نفسيّة مثليّة. كان «خوان كورونا» مُناسِبًا تمامًا لأنه امتلك تاريخًا من المرض النفسي، والمشاكِل مع المِثليين، بما في ذلِك شقيقه، «خوسيه ناتيفيداد كورونا»، الذي كان مثليًّا. ومن شأن هذا أن يُناسِب دِفاع «كورونا» أيضًا، الذي أشار إلى أن «خوان» كان متزوِّجًا، ولدَيه أربعة أطفال، واتُّهم شقيقه المِثلي، «ناتيفيداد»، بأنه المُشتبه به «الواضِح» في جرائِم القتل المثليَّة الجنسيَّة هذه.

قصَّة حدود «المكسيك - كاليفورنيا» في «الأربعينيَّات» و«الستينيَّات»

وُلِد «خوان كورونا» عام 1934، من منطِقة «خاليسكو – جوادالاخارا»، في غرب المكسيك.

وَصَل شقيقه «ناتيفيداد» إلى الولايات المُتحِدة في عام 1944 كمُهاجِرٍ شرعي، واستقرَّ في «ماريسفيل»، عبر نهر «فيذر» من «يوبا سيتي». ثُم دَخَل «خوان» إلى الولايات المُتحِدة بشكلٍ قانوني في مايو 1953، لينضَم إلى «ناتيفيداد» وشقيقَين آخَرين في منطِقة «يوبا – ماريسفيل». وفي ديسمبر 1955، تعرَّضَت المنطِقة لفيضانٍ كارثيٍّ أودى بحياة أكثر من سبعين شخصًا. تعافى «خوان»، ودفن بعض الموتى، وبدا أنه قد أصبَح غير متوازِن، مُقتنِعًا بأن نوعًا من نهاية العالم قد أودى بحياة الجميع. أودعَه شقيقه «ناتيفيداد» في مصحةٍ نفسيَّةٍ شُخِّصَت فيها حالته على أنه يُعاني من «رد فعل انفصامي، ونوع من أنواع جنون العظمة»، وأُعطِيَ سلسِلةً من 24 علاجًا بالصدمة الكهربائيّة، قبل أن يُرحَّل إلى المكسيك من فوره.

وغالبًا ما يُخلط بين مُصطلحي «فصام الشخصيّة»، و«انقسام الشخصية الفصاميّة». فالفصام هو مرض نفسي عضوي مُنهِك يُمكِن أن تصحبه أوهام العظمة والهلوسة وأشكال أخرى من اضطراب الفكر

والإدراك. وقد تظهَر أعراضه وتختفي بشكلٍ عرضي في بعض الأحيان. وغالبًا ما يُمثِّل مرضى الفصام خطرًا على أنفُسهم أكثر من كونهم خطرًا على الآخرين.

لم تمنعه نوبة انفصام الشخصيَّة التي أصيب بها وترحيله، من العودة إلى الولايات المُتحِدة في عام 1962 ببطاقة إقامةٍ دائِمة. ولم يُبلَّغ عن أي مُشكلةٍ أخرى. تزوَّج، وأنجَب أربع بنات، وأسَّس شركة مُقاولات زراعيَّة ناجِحة ومُربِحة نسبيًّا. ولم يواجِه أي مُشكِلة في الحصول على رهنٍ عقاري من البنك في عام 1968 لشراء منزِلٍ عائِلي في «يوبا سيتي»، ولم يعتقِد مُعظَم الناس أن هُناك أي شيءٍ غريب بشأنه. ورغم شكوى عُمَّاله من أنه لم يكُن يدفَع ما يكفي من المال، ومن نظافة مُعسكرات عمله، وحالة الحافِلة المدرسيَّة الصفراء الكبيرة التي نقلَهم فيها، إلا أن أحدًا لم يتَّهمه بسوء مُعاملة عُمَّاله أو غشِّهم[(CLXXV)].

ومع ذلِك، كانَت هُناك حادِثة واحِدة غامِضة في عام 1970، عندما عُثِر على «خوسيه روميرو رايا»، البالِغ من العُمر واحِدًا وعشرين عامًا، فاقِدًا للوعي في دورة مياه في حانةٍ في «ماريسفيل»، يملكها «ناتيفيداد» شقيق «خوان». تعرَّض «رايا» للتحرُّش والتشويه بعدَّة جروح بالمناجِل في وجهه وجُمجمته، على غِرار تلك التي عُثِرَ عليها لاحقًا على جُثث بُستان الخوخ. نجا «رايا»، ونَجَح في مُقاضاة «ناتيفيداد»، والحصول على 250 ألف دولار أمريكي كتعويضٍ عن الإصابة والأضرار العِقابيّة بصفته مالِك المَبنى، ولكِن لم تُوجَّه أي اتهامات جنائيَّة إلى «ناتيفيداد» في الاعتداء. وظلَّ الغموض يكتنِف هوية مُرتكِب الاعتداء. وقالَت الشائِعات إنه يتستَّر على شقيقه الأصغر «خوان»، المُصاب بالفِصام العرضي. وعلى أي حال، فرَّ «ناتيفيداد» إلى المكسيك بعد صدور الحُكم ضدَّه، وتوفِّيَ هُناك في عام 1973 في خِضم القضية، مما جَعَل الأمر أكثر مُلاءمةً للدِّفاع للادعاء بأنه القاتِل الحقيقي للضحايا الـ 25.

لم يُقدِّم كورونا أي تفسيرٍ يُذكَر للمكان الذي كان فيه، عندما واجهوه في قاعة المحكمة، بالتسلسُل الزمني لجرائِم القتل الـ 25. وأُدين في 18 يناير 1973، في جميع جرائِم القتل الـ 25، وحُكِم عليه بالسجن مدى الحياة. وكان دِفاعه مَعيبًا للغاية حتى إنهم أعادوا مُحاكمة «كورونا» مرَّة أخرى، ولكِنه أُدين مُجدّدًا. ويعتقِد المُدَّعون العامُّون في مُقاطعة «سوتر» أن «كورونا» قتل ما لا يقِلُّ مجموعُه عن 43 ضحية، بعضهم في مُقاطعاتٍ أخرى مُجاوِرة، لكِن السُّلطات هُناك رفضَت التعاوُن؛ لأنها لا تُريد «العرض المُتنقِّل» في ولايتهم القضائيَّة.

توفِّيَ «خوان كورونا» في السِّجن عن عُمرٍ يُناهِز الخامِسة والثمانين في 4 مارِس 2019، دون أن نتوصَّل إلى فهمٍ كاملٍ لسبب قتله لكُل هؤلاء الرِّجال، باستثناء أنه قد أُصيب بحالة جنون.

«دين كورل» الشهير بـ «رجُل الحلوى» في «هيوستِن» بـ «تكساس» في الفترة بين 1970 – 1973

لم يكد الناس يستوعِبون جرائِم القتل الـ 25 التي ارتكبها «خوان كورونا»، حتى انتشرَت أخبار في أغُسطس 1973 عن حدوث 27 جريمة قتل في «هيوستِن» بـ «تكساس». اتَّسَمَت القضية بالغرابة الشديدة؛ حتى بمعايير اليوم. ومرَّةً أخرى، لم تكُن الشُّرطة على علمٍ مُطلقًا بأن قاتِلًا مُتسلسِلًا ظلَّ حُرًّا طليقًا لعدَّة

سنوات، إلى أن تلقّوا مُكالمة هاتفيّة من «إلمر واين هِنلي جونيور»، البالِغ من العُمر سبعة عشر عامًا، يُبلِغهم فيها أنه أطلَق النار وقتل «دين كورل»، البالِغ من العُمر ثلاثةً وثلاثين عامًا، وهو نائِب رئيس سابِق لشركة حلوى عائِليّة كانت قد توقَّفَت عن العمل مؤخَّرًا، وهي شركة «حلوى كورل».

وعندما وصلَت الشُّرطة، وجدَت «كورا» مُستلقيًا عاريًا على أرضيَّة منزِله المكوَّن من طابقٍ واحد، مُصابًا بستِّ طلقاتٍ ناريَّة. واعترف «واين» بأنه وصبيٌّ آخر، يُدعى «ديفيد أوين بروكس»، يبلُغ من العُمر ثمانية عشر عامًا، قد ساعدا «كورل» في استدراج واختطاف الشباب الذكور الذين عذَّبهم الأخير بشكلٍ مروّعٍ لأيام، قبل أن يغتصِبهم ويقتُلهم. وأطلَع الشُّرطة على «لوح تعذيب» من الخشب، بمساحة ثمانية أقدامٍ في قدمَين، تشوبُه ثقوب لتمرير السلاسِل والأربِطة، وصندوق أدواتٍ مليءٍ بأدوات التعذيب والقُضبان الاصطناعيَّة. وذكر «واين» أنه جمع ما بين 10 دولارات و200 دولار عن كُل صبيٍّ أحضره إلى «كورل»، كما فعل صديقه «بروكس». كما اعترف أيضًا بالمُشاركة في اختطاف، وقتل بعض الصِّبية، ودفنهم، ثُم قاد الشُّرطة إلى سلسلةٍ من المواقِع حيث، وفي خلال أسبوع، اكتُشِف عدد مُذهِل من الجُثث، بلغ 27 جُثة، لصِبيةٍ وشباب، تتراوَح أعمارهم بين الثالثة عشر والعشرين، العديد منهم من معارِف وأصدِقاء «بروكس» و«هِنلي» في الحي.

تفوَّقَت جرائِم القتل الجماعي في «هيوستِن»، كما أصبحت تُعرَف، بضحاياها الـ 27، من حيث العدد على جرائِم قتل «خوان كورونا» و«إيرل نيلسون». وهو العدد الذي يُعَد، في ذلِك الوقت، الأكبر من حيث عدد الضحايا المؤكَّدين في قضية قتلٍ مُتسلسِل في التاريخ الأمريكي الحديث. ومُجدَّدًا، اندهش الجمهور في البداية من كيفيّة اختفاء سبعةٍ وعشرين صبيًّا مُراهِقًا، بعضهم لا يتجاوَز عُمره ثلاثة عشر عامًا، في مُجتمعٍ ما، خلال فترة قصيرة امتدَّت لعدَّة سنوات، دون أن يدُق أحدٌ ناقوس الخطر. وفي الواقِع، بحث الناس عن أبنائهم المفقودين، وتوسَّلوا لشرطة «هيوستِن» للتحقيق في اختفائهم، لكِنها تجاهلتهُم تمامًا.

مصنع الحلوى، وأولاد «مُرتفعات هيوستِن» المفقودون

حدثَت 20 حالة اختفاء في «مُرتفعات هيوستِن»، حيث يقع مصنع حلوى عائِلة «كورل» الصغير، وحيث عاش وعمل «دين كورل»، أو في الحي المُجاوِر. وارتاد 11 من الأولاد المفقودين نفس المدرسة الإعداديَّة[(CLXXVI)].

وُصِفَت المُرتفعات في ذلِك الوقت بأنها «مُجتمع هيوستِن المنبوذ»[(CLXXVII)]. والتي كانَت ذات يوم «ضاحية نابِضة بالحياة» في مطلع القرن الماضي، قبل أن تتراجَع بشكلٍ كبيرٍ بعد الحرب العالميَّة الثانيَة، وبحلول «السبعينيَّات»، أوشكت أن تُصبِح حيًّا فقيرًا. وسكنها، في الغالِب، عائِلات بيضاء فقيرة، ومنبوذة، ومحرومة، ومُفكَّكة الأوصال، كافحت في كثيرٍ من الأحيان من أجل البقاء في ظلِّ اقتصادٍ يمُر بمرحلةٍ انتقالية، وبدأ أبناؤها المُراهقون يختفون في ظروفٍ غامضةٍ في «السبعينيَّات»، واحدًا تلوَ الآخر. وعندما لجأت العائِلات إلى شرطة «هيوستِن» طلبًا للمُساعدة، قيل لهم: «نحن لا نبحث عن الهاربين». ولُقِّبَت

«هيوستِن»، منذ «خمسينيَّات» القرن الماضي، عندما تمتَّعَت بأعلى مُعدَّل جرائِم قتل في الولايات المُتحِدة الأمريكيَّة، بـ «مدينة القتل»، وكانَت شرطة «هيوستِن»، التي تُعاني من نقصٍ في عدد الموظَّفين، انتقائيّةً للغاية فيما يتعلَّق بجرائِم القتل التي سيُخصِّصون الموارِد للتحقيق فيها، ناهيك عن البحث عن الشباب المفقودين. وأُشير إلى جرائِم قتل الأمريكيين من أصول أفريقيَّة، الذين يُعَد موتهم أقلَّ وطأة، أو الضحايا الفُقراء من البيض الحُثالة، داخِل شرطة «هيوستِن» على أنها «جرائِم جُنَح»، ولم يُبذَل أي جُهدٍ يُذكَر للتحقيق في هذه الوفيات. أما بالنِّسبة للمُراهقين المفقودين في المُرتفعات، أو في أي مكانٍ في الولايات المُتحِدة في هذا الشأن، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، فلم يُحقَّق معهم إلا إن كانَت هُناك أدِلَّة قاطِعة على حدوث اختطاف. أما المُراهِقون المُختفون، والذين كان بعضهم مُضطرِبًا، وبعضهم الآخر مُنغمِسًا في شُرب الخمر، وتدخين الحشيش، واستنشاق مُخفِّف الطلاء، والبعض الآخر لدَيه سجلَّات أحداث، فقد شطبتهم الشُّرطة تلقائيًّا باعتبارهم هارِبين و«بئس المصير»[(CLXXVIII)].

عرَف «دين كورل» في أرجاء المُرتفعات. حيث وقع مصنعه «كورل كاندي كيتشن» في 505 غرب شارِع 22، خلف فِناء مدرسة «جيمس إف. هيلمز» الابتدائيَّة. حيث يُصنِّع حلوى نوجا «ديفينتي»، وبرالين، وحلوى البقَّان، وأنواعًا أخرى من الحلوى، التي عرَفت باسم «الحلوى المكسيكيَّة». وعَمِل بعض الآباء في المُرتفعات من حينٍ لآخر في مصنع الحلوى، كما عمل أبناؤهم المُراهِقون. وعرَف عن «دين كورل» أنه كثيرًا ما وزَّع قطع الحلوى المكسورة، وبقايا الحلوى المجانيَّة، من خطِّ إنتاجه على الأطفال المُتحمِّسين الذين تردَّدوا على المصنَع المواجِه لساحة المدرسة الخلفيّة. وبدلًا من طردهم شر طردة، ركَّب «كورل» طاوِلة بلياردو في الخلف، ودعا الأولاد للدخول واللعب. ومنع بعض الآباء والأُمهات أطفالهم من التسكُّع في مصنع الحلوى، لكِن مُعظمهم لم يكُن لدَيه مُشكِلة في ذلِك. لأن «كورل» بدا شابًّا مُهذبًا، ولطيفًا، وحَسَن الخُلق من «تكساس»، ولم يكُن هُناك أي شيء فيه يُشكِّل تهديدًا.

وقالَت إحدى الأُمهات، اللاتي عملنَ أحيانًا في المصنع، والتي سيتم التعرُّف على ابنها «جريجوري مالي وينكل»، البالِغ من العُمر ستّة عشر عامًا، من بين الجُثث الـ 27 المُكتشفة عند «كورل»:

«لقد كان مهووسًا بالأطفال، وتركهم يتجوَّلون من حوله. لقد رنَّ جرس الباب، بعد ظُهر كُل يوم، وتوسَّل إليه مجموعة من الأطفال الصِّغار في مدرسة «هيلمز» الابتدائيَّة، من أجل بعض الحلوى المكسورة. ثُم وَضَع «دين» طاوِلة بلياردو في الخلف، واعتاد الأولاد طرق الباب طوال الوقت، مُتسائلين: «هل يُمكِننا لعب البلياردو؟» وعندما عَلِمتُ أن «مالي» يذهب إلى هُناك بعد العمل، أخبرتُه أن يتوقَّف عن ذلِك، لكِن هذا لا يعني أنني شعرتُ أن «دين» كان يفعل شيئًا خاطِئًا. بل شعرتُ فقط أنه لا يجِب أن يُزعِجه أحد، لأنه عمل بجُهدٍ كبير، وكُنت أحترِمه لذلِك..

لقد كان رجلًا لا يشغل باله بأي شيءٍ سوى النجاح. ورأيتُ الأضواء مُضاءة في العديد من الليالي، وطوال الليل. وشعرتُ بالأسف تجاهه، لأن العمل كان أكثر من اللازِم، بالنِّسبة لشابٍّ مسكينٍ مثله، رُبما في

مُنتصف العشرينيات من عُمره. وبدا أن والِدته كانَت مُشارِكة في العمل، لكِنها لم تكُن تُساعِده كثيرًا، بل أرادت فقط أن تعرِف سبب قيامه بهذا الأمر أو ذاك»[(CLXXIX)].

وُلِدَ «دين أرنولد كارول» في عام 1939. وقيل إن والِده كان صارِمًا، لكِن والِدته «ماري» عرَفت بالتهاوُن والتساهُل مع ابنها وفقًا للبعض، ومُتسلِّطة ومُتعجرِفة وفقًا للبعض الآخر. قبل أن تُطلَّق في النهاية من زوجها، ثُم تتزوَّجه مرَّة أخرى بعد عدَّة سنوات، لتُطلِّقه مرَّة أخرى. دخلت في مجال صِناعة الحلوى مع زوجها الجديد، لكِنها طلَّقته لاحقًا، وأنشأت شركتها الخاصَّة في أوائِل «الستينيَّات»، وهي شركة «كورل كانديز»، التي أصبَح دين نائِبًا لرئيسها، وشقيقه الأصغر سكرتيرًا وأمينًا للصندوق. وكَبِر «دين» وهو يعمَل لساعاتٍ طوال في شركة الحلوى، وأصبح مُديرًا لعملياتها.

وفي عام 1964، جُنِّدَ «دين»، البالِغ من العُمر أربعةً وعشرين عامًا في الجيش الأمريكي، ولكِنه سُرِّح «بمشقَّة» بعد أن خدم عشرة أشهُر في الجيش الأمريكي، بحجة أن أعمال عائِلته كانَت بحاجةٍ إليه. وبدا أن سجلَّه العسكري لا تشوبه شائِبة. وصرَّح معارِفُه لاحقًا أنه أدرَك مثليَّته الجنسيّة أثناء خدمته في الجيش، وأن سلوكه تغيَّر عند عودته إلى الوطن.

وبعد عودته من الخدمة العسكرية، قدَّم بعض الموظَّفين الذكور المُراهقين شكاوى من أن «دين» حاول التحرُّش بهم، لكِن «ماري» ردَّت على ذلِك بفصل أيِّ شخصٍ يشتكي، وسُرعان ما توقَّفَت الشكاوى.

صُفِّيَ مصنع الحلوى عام 1968، عندما تقاعدَت ماري. وتولَّى «دين كورل» وظيفة فاحِص لوحات الدوائِر الكهربائيَّة في شركة «هيوستِن» للإضاءة والطاقة، وانتقل في نهاية المطاف على بُعد ساعةٍ إلى ضاحية «باسادينا» بـ «تكساس» بالقُرب من شاطئ الخليج. لكِن «رجُل الحلوى»، وهو شخصيَّة مألوفة للمُراهقين منذ طفولتهم في المدرسة الابتدائيَّة، زار المُرتفعات بشكلٍ مُتكرِّرٍ، بسيارته «بليموث جي تي إكس» أو شاحِنة بيضاء، ودعا المُراهقين بشكلٍ عشوائيٍّ لحضور حفلاتٍ صاخِبة في منزِله، حيث كانت الألعاب النارية، والكحول، والمُذيبات، والحشيش مُتاحة مجانًا.

واصطاد «كورل» الشباب الذين فقدوا وعيَهم في حفلاته. والذين استعادوا وعيَهم ليجدوا أنفُسهم عُراة، ومُكبَّلين بالأغلال، ووجوههم للأسفل، ومُمدَّدين على لوح التعذيب الخشبي. عذَّبهم «كورل» واغتصبهم أحيانًا لأيام في حالة جنونٍ سادي. وكانَت إحدى طُرقه المُفضَّلة في التعذيب هي أخذ أنبوبٍ زُجاجي رفيع، وإدخاله بقوَّةٍ في مجرى بول قضيب ضحيته المُقيَّدة، وتحطيم الزُّجاج بضغطةٍ قويَّةٍ بقبضة يده. وربما يكون «كورل» قد استوحى هذا الأسلوب من كِتاب «جسر إنداو» للكاتِب «جيمس إيه. ميشنر»، الذي كان الأكثر مبيعًا عن الحرب الباردة في عام 1957، والذي وَصَف فيه استخدام الشُّرطة السريّة المجريّة لنفس أسلوب التعذيب أثناء ثورة 1956.

وكان كِتاب «جسر إنداو» عُنصرًا أساسيًّا في مكتبات المدارِس العامَّة لعقودٍ من الزمن، حيث قرأتُ عن التعذيب في مكتبة مدرستي عندما كُنتُ في الحادية عشرة من عُمري برُعبٍ شديدٍ لا يزال باقيًا حتى يومِنا هذا. فأنا أيضًا نِتاجٌ لثقافة الاغتصاب والقتل المجنونة في «الخمسينيَّات» و«الستينيَّات» من القرن العشرين،

لكِنني لم أتضرَّر تمامًا بما يكفي لأَصبِح قاتِلًا مُتسلسِلًا، ولكِنني في سنِّ الحادية عشرة تعرَّفتُ على الروايات الأدبيَّة، ومجلَّات المُغامرات، ومجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقية من تعذيب، واغتصاب، وقتل، لأتمكَّن من التأمُّل والكِتابة عن القتل المُتسلسِل كمؤرخٍ بالغٍ دون الاستيقاظ في مُنتصف الليل، لاهثًا من الكوابيس.

وبعد ذلِك، اعتاد «كورل» إما خنق ضحاياه أو إطلاق النار على رءوسهم بمُسدَّس عيار 22. أما الآخرون، فقد استدرجهم إلى شاحِنته، التي ركَّب فيها صندوقًا خشبيًّا عازِلًا للصوت، مزوَّدًا بخُطَّافات تقييد. ودُفِنَت جميع جُثث الضحايا إما على شواطئ «تكساس» النائيّة، أو في الغابات، أو تحت سقيفة تخزين القوارِب التي استأجرها «كورل».

التوابِع

استمال «كورل»، «ديفيد بروكس»، وهو أحد معارِف «هِنلي» القدامى في الحي، في مصنَع الحلوى منذ سنِّ الثانية عشرة. وفي نهاية المطاف، بدأ في مُمارسة الجنس مع «كورل»، وتعرَّف على عمليات الاختطاف والقتل، وحَصَل على سيَّارة «كورفيت» طِراز 1969 كهدية، كما حَصَل على أجرٍ مُقابل كُل ضحية قدَّمها لـ «كورل». في البداية، أحضَره صديقه «هِنلي» كضحيةٍ مُحتملةٍ لبيعه لـ «كورل»، ولكِن لسببٍ ما، أُعجِب به الأخير، وبدلًا من اغتصابه وقتلِه، تبنَّاه هو الآخر كتلميذٍ له. وفي مُقابلةٍ أُجرِيَت معه في السِّجن في عام 2010، قال «هِنلي»: «رُبما اعتبرني «دين» أحد ضحاياه القادِمين، لكِننا انسجمنا معًا. لقد استمع لي الرجُل الذكي، والنظيف، والأنيق، وشَرَح لي بعض الأمور، وسأكون صادِقًا معكُم، كان من المُهِم أن يُحبني «دين»، فقد كان لطيفًا»(CLXXX).

وأغدق «كورل» على «واين هِنلي» أيضًا بالهدايا السخيَّة من المشروبات، والمُخدَّرات، والمدفوعات النقدية لأي صبيةٍ يُحضرهم له. وقد ادَّعى «هِنلي» لاحقًا أنه لم يكُن يعرِف حتى أنه مِثلي، وعندما اكتشف ذلِك، اعتقد أن صديقه «بروكس» كان يخدعه. كما صرَّح «هِنلي» أنه قيل له في البداية أن الأولاد الذين استدرجهم إلى منزِل «كورل» سيُباعون إلى عصابةٍ لاستعباد الأطفال. وفي وقتٍ لاحق، بدأ يشهَد على ما فعله «كورل» بهم، وعلى مُساعدته في نقل الجُثث ودفنها، ثُم بدأ يُساعِده في اختطاف بعض الصِّبيَة، وإخضاعهم، وقتلهم. وكيف أجبَر بعض الضحايا على كِتابة رسائِل إلى ذويهم تُفيد بأنهم هَرَبوا، وأنهم بخير.

وعندما سُئِلَ «هِنلي» عن سبب عدم فراره من «كورل»، قال إنه حاول الالتحاق بالبحرية، لكِنه رُفِض. وقال: «لم أستطِع المُغادرة على أي حال. لأنني عَرَفتُ أنني إن لم أكُن موجودًا، لذهب «دين» وراء أحد إخوتي الصِّغار، الذي لطالما أحبّه كثيرًا»(CLXXXI).

في حين علَّق الناس في المُرتفعات على مدى غرابة ارتباط رجُل في أواخِر العشرينيات من عُمره بمُراهقين، إلا أن سلوك «كورل» لم يُثِر أي شكوكٍ علنيَّة بحدوث أي شيءٍ جنسي، ناهيك عن القتل السادي. على الأقل لم يتطرَّق أحد إلى ذلِك، حتى لو شكُّوا في حدوثه.

«هل هذا حقيقي؟»

في أغسطس 1973، وصلَت «روندا ويليامز»، البالِغة من العُمر خمسة عشر عامًا، والتي وُصِفَت بأنها «ملاك بوجه وشكل بريجيت باردو في سنٍّ مُبكِّرة»، إلى مُفترق طُرق في حياتها الشابَّة والصعبة[(CLXXXII)].

بعد أن تُوفِّيَت والِدتها إثر إصابتها بـ «أم الدم الأبهرية الصدرية»، عندما كانَت «روندا» في الشهر الثامِن عشر من عُمرها، تاركةً إيَّاها وشقيقتَيها الأكبر سنًّا ليتولى والِدها «بِن» تربيتها. وعندما كانَت «روندا» في السابِعة من عُمرها، انتقل والِدها إلى منزلٍ في شارِع 23 في المُرتفعات، واستقرَّ مع امرأة مُجاوِرة تُدعى «دوريس»، والتي لم تكُن على وفاقٍ مع الفتيات. وفي نهاية المطاف، تزوَّجَت شقيقاتها الأكبر سنًّا، وانتقلنَ من المنزِل تاركات «روندا» البالِغة من العُمر إحدى عشرة سنة. لم يتمكَّن «بِن» و«دوريس» من التعامُل مع الفتاة المُتمرِّدة الآن، وتنقَّلت «روندا» بين دار تبنِّي الأطفال التي هربت منه، والإقامة مع جدّتها أو عمَّتها، لتعود إلى منزِل والِدها، حيث لم يكُن مُرحبًا بها، ولا مرغوبًا فيها.

كانَت «روندا» زميلة في المدرسة لشقيق «واين هِنلي» الأصغر، وعَرَفَت «واين» جيِّدًا بسبب هذه الزمالة. وعندما أصبحت في الثالِثة عشرة من عُمرها، دخلت في علاقةٍ رومانسيّة مع صديق «واين»، «فرانك أجيري»، البالِغ من العُمر ثمانية عشر عامًا. ووقعا في الحُب، وخُطِبا وهي في الرابعة عشرة من عُمرها. كان «فرانك» صبيًّا محليًّا مُجتهدًا ومحبوبًا، يعمل في مطعم «لونج جون سيلفر» للمأكولات البحريَّة. حتى والِد «روندا» أحبَّ «فرانك»، الذي لم يفشَل قط في إحضار دلوٍ من الطعام كُلما زارها في منزلها. وعَمِل «فرانك» بجدٍّ لبناء حصَّة حتى يتمكَّن من الزواج من «روندا» إذا وافَق والِدها.

وفي 24 مارِس 1972، كان من المُفترَض أن يأتي «فرانك» إلى منزِل «روندا» بعد انتهائه من العمل، لكِنه لم يظهَر قط. لذا ذهبَت «روندا» للبحث عنه. ووجدَت سيارته في موقِف سيَّارات «لونج جون سيلفر»، لكِن فرانك اختفى دون أن يترُك أثرًا. لم تسمَع منه مرَّة أخرى، وتسلَّل اليأس إلى نفسها. أخبرها أصدقاؤها أن تمضي قدمًا، لأنه بالتأكيد حَصَل على صديقةٍ جديدة.

تدخَّل جارها الودود «واين هِنلي» ليملأ الفراغ بشخصيّة الأخ الأكبر. وأخبرها أن المافيا قتلت «فرانك»، وأنه لن يعود أبدًا. وأن عليها أن تمضي قدمًا. على مدار العام ونصف التالِيَين، لجأت إليه في كثيرٍ من الأحيان كُلما شعرَت بالاضطراب أو اليأس.

وبالطبع، عرَف «واين» يقينًا ما حدث لفرانك يوم اختفائه؛ لأنه كان قد استدرجه إلى منزِل «دين كورل». وكانَت جُثَّة «فرانك» من بين الـ 27 جُثّة التي استخرجتها الشُّرطة فيما بعد. وخلص الطبيب الشرعي إلى أن «فرانك» قُتِلَ اختناقًا بعد حشو قطعة قُماش في فمه، وتثبيتها بشريطٍ لاصق. وعند العثور عليه، وجدوا حبل مِشنقة ملفوفًا حول عنقه.

قُبِضَ على «روندا» لحيازتها الماريجوانا، ووُضِعَت تحت المُراقبة. وطُلِبَ منها الذهاب إلى مُعالِج نفسي، وغالبًا ما ذهبَت إلى مكتبه بالدراجة برفقة «واين». وأراد والِدها أن تخرُج من المنزِل. في حين كانَت النصيحة الوحيدة التي قدَّمها لها المُعالِج النفسي هي: «ما عليكِ سوى العودة إلى المنزِل، وطهي العشاء كل ليلةٍ بشكلٍ يومي، وتنظيف المنزِل، وسيُحبّكِ والدكِ»[(CLXXXIII)].

وفي يومٍ من الأيام، وفقًا لرواية «روندا» الأخيرة، رافقها «واين» على دراجتيهما إلى مكتب المُعالِج النفسي. وبدا «واين» مُضطرِبًا، وسألها عمّا إن كان من المُمكِن أن يراه مُعالِجها في ذلِك اليوم. لكِن المُعالِج النفسي رفض ذلِك. وفي طريق عودتهما إلى المُرتفعات، ثُقِب إطار دراجة «روندا»، وهكذا سارا على الأقدام بجوار دراجتَيهما، عندما توقَّف «كورل» في شاحِنته البيضاء. وَضَع دراجتَيهما في شاحِنته، وقبل أن يذهب مع «واين»، أوصَلها «كورل» إلى منزلها. وتذكَّرَت أنها جلسَت على صندوقٍ في الخلف، مُبطَّن بلوحٍ من الفلين العازِل للصوت. وفي ليلتي 7 و8 أغسطس 1973، دخلَت «روندا» في جدالٍ كبيرٍ مع والِدها، مما أغضبه حتى إنها اضطُرَّت لحبس نفسها في إحدى غُرف المنزِل. ظَهَر «واين» ليواسِيها مع صديقها «تيم كيرلي»، البالِغ من العُمر تسعة عشر عامًا. ولم ترغب «روندا» في البقاء في المنزِل مع والِدها في الحالة التي كان عليها. وأخبرها «واين» أن بإمكانها القدوم معه في سيَّارة «تيم» إلى منزِل «دين» في «باسادينا»، وقضاء الليلة معهما هُناك. وعندما وصلا في حوالي الساعة الثالِثة صباحًا إلى منزِل «كورل»، انزعج الأخير من فوره لرؤية «روندا»، ووبَّخ «واين» على «إفساد كُل شيء» بإحضار فتاة. فوضَّح له أنها لا تملك مكانًا لتذهب إليه. وبدا له أنه قد أرضى «كورل»، الذي قدَّم الآن بسخاءٍ للشباب الثلاثة بعض الماريجوانا، وكيسًا ورقيًّا، وخرقة مع علبة مُذيب طلاء من أجل «حفلة استنشاق». وفي غضون ساعة، دخل المُراهِقون الثلاثة في حالةٍ من فقدان الوعي.

وعندما أفاق «واين»، وَجَد نفسه مُقيَّد اليدين خلف ظهره، بينما قُيِّد وكُمِّم «تيم» و«روندا» بجانِبه على الأرض المفروشة بالسجاد. جرَّه «كورل» من معصمَيه المُقيَّدين إلى المطبَخ، وصوَّب مُسدَّسه عيار 22 في بطنه، مُتَّهِمًا إياه مرَّة أخرى بـ «إفساد كُل شيء»، وهدَّد بقتله. وفي هذه الأثناء، كانَت «روندا» لا تزال في حالة ذهول، واعتقدَت أن كُل هذا كان مزحة حفلات من نوعٍ ما.

بدأ «واين» يتوسَّل بيأسٍ إلى «كورل» كيلا يؤذِيه، وعَرَضَ عليه مُساعدته في تعذيب وقتل المُراهقَين اللذَين أحضرهما إلى منزِله؛ وأن يفعل أي شيءٍ يُريده. لكِن «كورل» لم يكُن مُهتمًّا بـ «روندا»، فأمر «واين» باغتصابها وقتلها بنفسه.

انقضَّ «كورل» على «تيم»، مُمزِّقًا ملابسه. وجارَّا الصبي العاري إلى لوح التعذيب، وقيَّده ووجهه إلى أسفل على أحد الجانبَين، بينما أمر «واين» بتثبيت «روندا» ووجهها للأعلى على الجانِب الآخر. ثُم أعطى «واين» سكينًا، وأمره بقطع ملابِس «روندا» واغتصابها. ثُم تجرَّد «كورل» من ملابسه، ووضع مُسدَّسه على منضدةٍ قريبة، وصعد خلف «تيم»، وبدأ في اغتصابه.

أزال «واين» الكِمامة من على فم «روندا»، وبدأ بتقطيع ملابسها، عندما رفعَت رأسها، وسألته بدوار: «هل هذا حقيقي؟»

أجابها: «نعم، هذا حقيقي».

«حسنًا، هل ستفعل أي شيءٍ حيال ذلِك؟»

بعد سنوات عديدة، قال «واين»: «أودّ أن أعتقِد أن السبب في ذلِك هو أنها وثِقَت بي. ومدَّني الاعتقاد بأنها تثِق بي.. بالدفعة التي احتجتُها لفعل شيءٍ ما».

التفَت «واين» إلى «كورل»، وقال: «لماذا لا تدعني أُخرِج هذه الفتاة من هُنا يا «دين»؟ إنها لا ترغب في رؤية ذلِك».

تجاهله «كورل» تمامًا.

أمسَك «واين» بمُسدَّس «كورل» من المنضدة، وصوَّبه نحوه صارخًا: «تراجَع الآن! قِف».

ثُم نطق «دين كورل» بالكلمات الأخيرة الشهيرة لأي ضحية جريمة قتل: «هيا، أطلِق النار! لن تفعلها»[(CLXXXIV)].

أطلَق «واين» ست رُصاصات على «كورل»، الذي استدار وركض خارِج الغُرفة، قبل أن ينهار عاريًا على أرضيَّة الرَّدهة، ويلقى حتفه.

ثُم فكَّ قيود «روندا» و«تيم» واتصل بالشُّرطة. وانتظروا في الشُّرفة الأماميَّة لحين وصولهم.

اعترف «واين» بكُل شيء، وقال إن «ديفيد بروكس» كان شريكًا له، ودلَّ رِجال الشُّرطة على القبور. وفي ذلِك الوقت، استخرجَت الشُّرطة 27 جُثّة، لكِنها حدَّدَت أن هُناك ضحيَّة هي الثامِنة والعشرون. وفي الآوِنة الأخيرة، عثر مُخرِج أفلام وثائِقيّة على صورة بولارويد بين مُمتلكات «واين هِنلي» المُخزَّنة، تُظهِر صبيًّا مجهول الهويَّة مُقيَّدًا على ما يبدو بجوار صندوق أدوات تعذيب «كورل»[(CLXXXV)].

اتُّهِمَت «روندا» بالقتل، واحتجزتها إدارة مُراقبة الأحداث في مُقاطعة «هاريس» لأسابيع حتى سُوِّيَ كُل شيء. جاء والِدها لزيارتها، وأخبرها أنها ألحقَت العار بالعائِلة، وأنها لن تعود إلى المنزِل أبدًا. وفي نهاية المطاف، اصطحبتها ضابِطة المُراقبة إلى منزلها لتُقيم معها هي وزوجها، واهتمَّ قاضي محكمة الأحداث بقضيتها، وحرص على تلقِّيها المشورة، وأنواعًا أخرى من المُساعدة.

أُدين «ديفيد بروكس» بقتل ضحيةٍ واحِدة، وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة. قبل أن يُتوفى في 28 مايو 2020، في مُستشفى سِجن «جالفستون» نتيجة إصابته بفيروس كوفيد 19[(CLXXXVI)]. وهو نفس الفيروس الذي قتل القاتِل المُتسلسِل «إيدي لي موسلي»، الشهير بـ «المُغتصِب»، والذي رُبِطَ بما لا يقِل عن ستَّ عشرةَ جريمة اغتصاب لفتياتٍ ونِساء في «جنوب فلوريدا»، وأربعين جريمة اغتصاب بين عامي 1973 و1987. والذي اتضح أيضًا أن مُعدَّل ذكائه يتراوَح بين 50 و60، وأنه يتمتَّع بقُدرة عقليّة لطفلٍ في الثامِنة من عُمره، ولهذا لم يخضَع للمُحاكمة على أساس عدم القُدرة العقليّة. والذي تُوفِيَ في 29 مايو 2020، أثناء احتجازه في مركز «صن لاند»، وهو منشأة للطِّب النفسي الجنائي في «ماريانا» بولاية «فلوريدا». وفي هذه الأثناء، انضمَّ عدد من القتلة المُتسلسِلين إلى الدعاوى القضائيّة التي رفعها مُحامون مُتحمِّسون للمُطالبة بـ «الإفراج المؤقَّت» عن المُدانين الذين تجاوَزوا سن الخمسين، بحجّة أن: «إدارة السجون لم تتمكَّن من توفير ظروفٍ آمِنة في ظلِّ الجائِحة العالميّة». وكان «جاري ريدجواي»، الشهير بـ «قاتِل النهر الأخضر»، البالِغ من

العُمر واحدًا وسبعين عامًا، والذي يقضي عقوبة السجن المؤبَّد لارتكابه تسعًا وأربعين جريمة قتل، طرفًا في مثل هذا الالتماس في ولاية «واشنطن»، لكِن المحاكِم رفضته(CLXXXVII).

اتُّهِم «واين هِنلي» بارتكاب ستِّ جرائِم قتل، وأُدين، وحُكِمَ عليه بالسجن لُمُدّة تسعة وتسعين عامًا في ستَّة أحكام مُتتالية. وأُسقِطَت التُّهم الموجَّهة إليه في جريمة قتل «دين كورل» على أساس الدِّفاع عن النفس. وظلَّ «هِنلي» يُقدِّم التماسًا للإفراج المشروط منذ عام 1980 دون جدوى. وحتى لحظة كِتابة هذه السطور، فإن تاريخ إطلاق سراحه المشروط التالي هو عام 2025، عندما يبلُغ التاسعة والستّين من عُمره.

وفي مقالٍ مؤثِّرٍ لصحيفة «هيوستِن بريس» بعنوان «الفتاة على لوح التعذيب»، أرَّخ الصحفي «كريج ماليسو» الحياة اللاحِقة لـ «روندا» و«تيم». حيث انتهى الأمر بـ «تيم» مُدمِنًا على الكحول، ومُصابًا بصدمةٍ نفسيّة، قبل أن يُتوفى في عام 2008، إثر إصابته بنوبةٍ قلبيّة. بينما طاردت «روندا» أيضًا الصدمة لما تبقَّى من حياتها. واليوم، تنتابها مشاعِر مُختلطة تجاه «واين». فمن ناحية، هو من أنقذ حياتها، ولكِن من ناحيةٍ أخرى، هو من قتل خطيبها، وأحضرها هي و«تيم» إلى منزِل «كورل»، وهو يعلَم على الأقل ما ينتظِر «تيم».

وفي عام 2005، زارَت «روندا» «واين» في السِّجن، لتكتشِف بنفسها حقيقته. واكتشفَت أنه كان وحشًا بعد كُل شيء، حسبما ذكر «ماليسو». وقالَت «روندا» إنه أخبرها خلال زيارتها له أنه فكَّر في إطلاق النار على مؤخرة رأسها في تلك الليلة، لإنقاذ نفسه، ونَيل حُريَّته.

لكِنه لم يفعل.

شذوذ القتل المُتسلسِل

مثل جرائِم قتل «كورونا»، اختفَت جرائِم القتل التي ارتكبها «رجُل الحلوى» أيضًا عن الرأي العام. فقد نجا المُجرِم الرئيسي في هذه الرواية، «دين كورل»، الذي قُتِل رميًا بالرُّصاص، من المُحاكمة الطقسيَّة الضروريَّة للغاية لسرد الجرائِم الحقيقيّة. وحتى يومِنا هذا، لا نعرِف سوى أقل القليل عن ماضيه. فهو ليس سوى شخصيَّةٍ غامِضة، ولا يوجَد سوى عددٍ قليل من الصور له في السجلَّات العامَّة. أما تلميذاه، «هِنلي» و«بروكس»، فقد كانا حدَثَين سيئَين في زمنٍ سيءٍ، ومكانٍ سيء، ومن شأن هذا أن يُفسِّر كُل شيء بما يُرضي الجميع.

اكتسبَت الأبعاد الجنسيَّة المثليَّة لهاتَين القضيَّتَين المُذهِلتَين — اللتَين بلغ مجموع ضحاياهما مُجتمِعتَين 52 ضحية من الذكور — أهميّةً مُفاجِئة للمُحافِظين. ومثَّلَت هذه المذبحة دليلًا دراميًّا على التسامُح الخطير الذي تزايَد في مرحلة ما بعد «الستينيَّات» تجاه جميع أشكال النشاط الجِنسي «المُنحرِف»، وخاصَّة المثليَّة الجنسيَّة. وبطريقةٍ ما، تنبَّأت بـ «القتلة المُتسلسِلين المِثليين» بالطريقة التي وُصِفَ بها الإيدز لأول مرَّة بأنه «مرض مِثليي الجنس» حصريًّا عندما انتشر في «الثمانينيَّات».

وحقيقة إن العديد من الصِّبية الذين قتلهم «دين كورل» كانوا من الأحداث الجانحين المُضطربين المُقيمين في أحد الأحياء الفقيرة داخِل المدينة، وأنه استدرجهُم بوعود الماريجوانا والأوقات الطيِّبة، وربما كانوا حتى

من «بائعي الهوى الذكور» الذين يبيعون أنفُسهم، تركت إحساسًا لدى الأمريكيين المُحافظين المُتزمِّتين بأن الصبية قد «عرَّضوا أنفُسهم» بطريقةٍ ما للخطر كمُتعاطين للمُخدِّرات و/أو كبائعي هوى. فالتعرُّض للاختطاف والاغتصاب والقتل كان «خطرًا مهنيًّا» على العاهِرات والشباب الفُقراء من مُدمِني الحشيش في نظر التيَّار السائِد من الأمريكيين، كما كان الأمر بالنسبة لهؤلاء الذين يتنقَّلون في سياراتهم، أو يهربون من منازِلهم، أو العديد من الأشياء الأخرى التي تجعل موتك ضمن فئةِ الأقلِّ وطأة.

وقد شوَّهَت العقليَّة المُحافِظة للغاية لضابِط الشُّرطة العادي في ذلِك الوقت هذا التصوُّر. وكما شرح أحد ضُبَّاط الشُّرطة الأمر لوالِدة أحد الضحايا الـ 27 المُكتشَفين: «يبدو الأمر وكأنه شيء مِثلي الجنس»[(CLXXXVIII)].

وأكَّدَت كُلٌّ من جرائِم قتل «كورونا» وجرائِم قتل «كورل» للشرطة نظرية المُبالغة في القتل، وارتباطها بالجنس الشاذِّ للمثليين. حيث إن ما فعله «دين كورل» بضحاياه المُراهقين كان مُبالغةً في القتل؛ ولم يكُن هُناك من يُنكِر ذلِك. كما ردَّدَت أدبيَّات الجرائِم الحقيقيَّة أيضًا موضوع العُنف الاستثنائي في جرائِم قتل المِثليين. كما أكَّد «دينيس ماكدوجال» في كِتابه عن القاتِل المُتسلسِل المِثلي «راندي كرافت» في «كاليفورنيا»:

«لقد اعتاد الأزواج، والزوجات، والأصدِقاء، والصديقات – ضرب، وإطلاق النار، وطعن، وخنق، وصفع بعضهم البعض. لكِنهم نادرًا ما لجئوا إلى التعذيب، وتقطيع الأوصال، وجميع أشكال التشويه الخياليَّة الأخرى التي بدت مُبهِجة لشريحةٍ صغيرةٍ ومُنحرِفة – ولكِنها نشِطة للغاية – من مُجتمع المِثليِّين في «جنوب كاليفورنيا»، خاصَّة حول «لونج بيتش». فقد امتلكوا زنزاناتهم المُحصَّنة، وسياطهم، وسلاسلهُم، وكُل ذلِك من أجل المُتعة. مُجرَّد تصديق، كما قالوا. وفعلها المُغايِرون جنسيًّا أيضًا بالطبع: فربط بعضهم بعضًا، وقاموا بطقوسٍ مجنونةٍ من الخضوع والعِقاب.. ولكِن عندما يتعلَّق الأمر بالتخلُّص من جُثث الشباب العُراة، الذين تعرَّضوا للاغتصاب والتشويه على يد شخصٍ آخر، ويُمكِن إرجاع الأمر عمومًا إلى عشيقٍ نفَّس عن غضبه، أو نشوته، أو كلاهما. ولطالما كانَت النتائِج مروّعة»[(CLXXXIX)].

كما أضافَت الشُّرطة تاريخيًّا أيضًا لمسة إضافية، من التألُّق والغرور إلى دوافِع القتلة المثليِّين. وفي حالة «أندرو كونانان»، على سبيل المثال، صرَّح «توم كرونين»، نقيب شرطة «شيكاغو»، والمُتخصِّص في جرائِم القتل المُتسلسِل: «إن الدعاية في أعماقه هي أكثر جنسيَّةً بالنِّسبة له من أي شيءٍ آخر. فبعد جريمةٍ أو اثنتَين من جرائِم القتل هذه، يذهب على الأرجَح إلى حانةٍ للمِثليِّين في فترة ما بعد الظهيرة، عندما تأتي الأخبار، ويظهر وجهه على التلفاز، ويجلِس هُناك يحتسي الجعة، ويستمتِع بذلِك»[(CXC)].

ويقتبِس «ديفيد شميد» في كِتابه «مشاهير بالفِطرة: القتلة المُتسلسِلون في الثقافة الأمريكيّة» من مُلاحظات «ريتشارد تيثيكوت» حول قضية القتل المُتسلسِل لـ «جيفري دامر»: «بالنِّسبة لثقافة مُغايِرة للجنس، تُمثِّل قضية «دامر» فُرصة لشرح أعمال وحشيَّة من خلال الإشارة إلى مثليته الجنسيّة المتوحِّشة، والخلط بين القتل والميول الجنسيّة المثليّة، والخلط بين «القتل الجنسي»، و«الجنس المثلي»»[(CXCI)].

ستحصُد مجموعة كامِلة من القتلة المُتسلسِلين المِثليين أرواح عددٍ كبير من الضحايا على مدار العقود الثلاثة التالية. في حقبة، كانت المثليّة الجنسيّة فيه قد بدأت للتو في الخروج إلى العلن، وكان الجيل الأكبر سنًّا من القتلة المُتسلسِلين المثليين على درايةٍ جيِّدةٍ بالحِفاظ على حياةٍ مزدوجةٍ منذ الطفولة. ولم يكُن من الصعب على قاتِلٍ مُتسلسِلٍ مِثلي الجنس، يتمتَّع بتاريخٍ طويلٍ من الخِداع، وإخفاء ميوله الجنسيَّة، أن يُضيف إليها سرًّا آخرَ، أو اثنَين، أو ثلاثَ جرائِم قتلة مُتسلسِلة.. أو حتى ثلاثًا وثلاثين أُخرى.

وتُعد قضية «جون واين جاسي» في عام 1978، مألوفة بشكلٍ مروّع (والتي وُصِفَت بالتفصيل في كِتاب «القتلة المُتسلسِلون»). فقد كان «جاسي» متزوِّجًا ظاهريًّا، ويعمل في عالَم ذكوري «مفتول العضلات» في مجال مُقاولات البِناء، وبدا مُستقيمًا للغاية حتى إنه كان مُساعِد قائِد الحزب الديمقراطي في «شيكاغو»، واستضاف السيّدة الأولى «روزالين كارتر» في موكب يوم الدستور البولندي في مايو 1978، قبل ستّة أشهُر من القبض عليه في جرائِم القتل الثلاثِ والثلاثين التي راح ضحيتها 33 مُراهِقًا شابًّا بين عامي 1972 و1978، ودفن 26 منهم أسفل الطابِق الأرضي في منزِله في الضواحي.

ناهيك عن المِثليين الثلاثة الذين أُطلِق عليهم لقب «قتلة الطريق السريع»، وهُم «باتريك كيرني»، الذي قتل 21 ضحية في الفترة بين 1965 – 1977، و«راندي كرافت»، الذي قتل 16 ضحية في الفترة بين 1971 – 1983، و«ويليام بونين»، الذي قتل 14 ضحية في الفترة بين 1979 – 1980. حيث اختطف وقتل هؤلاء القتلة المُتسلسِلون 51 ضحيَة مؤكَّدة من الذكور فيما بينهم، ويُشتبه في تورُّطهم فيما وصل مجموعه إلى 146 ضحية. وقد اتَّسَمَت جميع هذه الحالات بالإفراط في القتل، والأسوأ من ذلِك أعمال التعذيب المروّعة لفتراتٍ طويلة، وممارسة الجنس الاستحواذي الذي وَصَل في حالة «جيفري دامر» إلى قمَّة الانحراف الاستحواذي المُحرَّم في شكل أكل لحوم البشر.

وبالنسبة للنزعة المُحافظة والمُتديِّنة، فإن هذه الجرائِم المُتسلسِلة «المِثليّة» تتناسَب جيِّدًا مع رؤيتهم للتحرُّر الجنسي لما بعد «الستينيّات»، ومذهب المُتعة الجُهنميّة «كُل شيء مُباح» الذي أصبحت عليه «السبعينيَّات» بالنسبة للجميع تقريبًا، سواء كانوا مِثليين أو غير مِثليين.

ماري الصغيرة الحُلوة

انتقد «فيرنون جيبرث»، (الذي اقتبستُ من كِتابه الإجرائي الحالي أعلاه) بحماسٍ التساهُل الجنسي، عندما كان رقيبًا في شرطة «نيويورك» في «السبعينيَّات». وفي عام 1974، عُثِر على عارِضة الأزياء، ومُضيفة الطيران «بريجيت ألبريشت»، البالِغة من العُمر خمسة وعشرين عامًا ميِّتة بسبب «جُرعة زائِدة من الكوكايين»، في فُندق «ترافِل إن»، وهو نفس الفُندق السيئ السُّمعة الواقِع في شارِع 42، حيث قتل «كوتينجهام» في وقتٍ لاحقٍ من عام 1979 فتاتي ليل، وقطع رأسيهما. ولوحِظَ أن «ألبريشت» الذي كان يحتفِل في حانة «إيست سايد» للعُزَّاب، وملاهي ما بعد ساعات العمل، قد دَخَل إلى الفُندق في تمام الساعة الثالِثة صباحًا مع رجُلٍ أسود مجهول الهوية. وقال «جيبرث» لمُراسِل صحيفة «نيويورك تايمز» إن شرطة

«نيويورك» اعتقدَت أن: «هُناك المئات من الشابَّات، من عائِلات مُحترمات من الطبقة المتوسِّطة، يُضاجعنَ رِجالَ الشوارِع في عالمٍ يحكُمه الجنس والمُخدَّرات»[(CXCII)].

وقال «جيبرث» موضِّحًا:

«تأتي بعض هؤلاء الشابَّات من خلفيَّات دينيّة مُتشدِّدة للغاية. وبمُجرَّد أن يشعُرن بأنهُن خذلن آباءهن، يشعُرن بأنهُن قد يفعلنَ ذلِك مرَّة أخرى. وقد تكون ماري الصغيرة الحُلوة التي تقضي عطلات نهاية الأسبوع في الضواحي هي الأكثر جموحًا في شوارِع مدينة «نيويورك». إنه لأمرٌ مُدهشٌ للغاية أن ترى شخصيّة «جيكل» و«هايد» التي تتطوَّر لديها».

كما حذَّرَت صحيفة «نيويورك تايمز»:

إن الشابَّات اللاتي يستكشِفن حدود ما يعتبرنه حُرِّيات جديدة – كالعيش بمُفردهن في المدينة، والخروج مع من يرغبن – لا يُدرِكن تمامًا الخطر الذي ينطوي عليه اتخاذ هذه الخيارات، وفقًا لشابَّةٍ تعيش في «كوينز» مع صديقها، واثنَين من المِثليَّات. وقالَت: «تُدمِّر رؤية التحرُّر بشكلٍ صارمٍ من منظور الحُرِّيَّة الجنسيَّة فقط الشابات». بل وأضافَت: «العيش مع صديقي هو مُجرَّد طريقتي في التخبُّط».

في التُفَّاحة الكبيرة[(11)]

«كالفِن جاكسون» الشهير بـ «قاتِل بيت الرُّعب»

بدت «نيويورك» في البداية وكأنها بمنأًى عن جرائِم القتل المُتسلسِلة «ذات أعداد الضحايا الكبيرة»، ولكِن في عامي 1973 و1974، خَنَق «كالفِن جاكسون»، القاتِل المُتسلسِل، البالِغ من العُمر ستّة وعشرين عامًا، وكتم أنفاس واغتصب تسع نِساء. ورُبما تكون هذه القضية غامِضة، وغير مألوفة، حتى لِسُكَّان «نيويورك»، لأن الضحايا لم يكُنّ شابَّات عازِبات يختبِرنَ حدود تحرُّرهن الجنسي، كما أعربَت صحيفة «نيويورك تايمز» عن قلقها؛ بل كُنّ جميعًا مُسنّات معوزات في سنِّ الرعاية الاجتماعيَّة، تتراوَح أعمارهُن بين الثانية والخمسين، والتاسِعة والسبعين. وعاشت ثمانية من ضحايا «جاكسون» في فُندقٍ مُتهالكٍ طويل الأجل في الجانِب الغربي العلوي في 50 غرب شارِع 77، يُدعى «بارك بلازا»، «مع مُلاحظة عدم الخلط بينه وبين «بلازا» الفاخِر في الجادة الخامِسة، وسنترال بارك ساوث»، بينما قُتِلَت الضحية التاسِعة في مبنًى على بُعد مبنيَين منه.

عاش «جاكسون» مع صديقته، البالِغة من العُمر خمسة وعشرين عامًا، في الغُرفة رقم 822، في فُندق «بارك بلازا»، وعمل أحيانًا كحارسٍ وحمَّال في الفُندق. واعتاد الدخول إلى الغُرف، وخنق، وكتم أنفاس ضحاياه المُسنِّات، واغتصابهن، وتشويه جُثثهن. ثُم يُعِد الشطائِر من الطعام الذي يجده في ثلاجات الضحايا، ويتريَّث فوق الجُثث أثناء تناوُله الطعام.

ثُم يعود «جاكسون» إلى غُرف ضحاياه لمُمارسة الجنس مع الجُثث لبضعة أيام أخرى، قبل أن يفقِس بيض يرقات الذُّباب في أنوفهم وعيونهم الميِّتة ويتحوَّل إلى يرقات، ويبدأ الجيرانُ في الشكوى من الرائِحة.

وبحلول ذلِك الوقت، تتحلّل جُثث الضحايا المُنفرِدات شِبه المُعدَمات بشدَّةٍ حتى إن الشَّرطة لم تتعرَّف على بعضهنّ كجرائِم قتل، وشطبت وفاة المُسنَّات الوحيدات المُتحلِّلات نتيجة إدمان الكحول، أو لأسبابٍ طبيعيَّة.

وفي 12 سبتمبر 1974، قتل «جاكسون» ضحيته التاسِعة، ولكِن ليس في «بارك بلازا». كانَت «بولين سبانيرمان»، البالِغة من العُمر تسعةً وستين عامًا، أرملة تاجِر أعمال فنيّة بارِزة في «مانهاتِن». ومثل بقية الضحايا، تعرَّضَت أيضًا للخنق والاغتصاب، واختفى تلفازها. وكانَت تسكُن في مبنًى راقٍ على بُعد خطوات قليلة، في 40 غرب شارِع 77، وهذه المرَّة بذلَت الشُّرطة جُهدًا أكبر في التحقيق[CXCIII].

وقُبِضَ على «جاكسون» بعد أن شاهده شهود عيان عند مخرَج الحريق، وهو يحمِل جِهاز التلفاز الخاص بضحيَّته، وفي النهاية.. اعترف بارتكاب جميع جرائِم القتل. فقط لإظهار مدى سذاجة العالَم تِجاه جرائِم القتل المُتسلسِل حتى في أواخِر عام 1975، وكان الدافِع الأساسي لـ «كالفِن جاكسون» هو سرقة المُمتلكات لدعم إدمان المُخدَّرات، بينما اعتُبِرَت جرائِم القتل والاغتصاب عوامِل ثانويّة. ولم يتمكَّن المُدَّعون العامُّون من فهم سبب «اضطرار» جاكسون لقتل ضحاياه، وانتهاك أعراضهنّ أثناء ارتكاب السرقات!

وكان رد «جاكسون» هو: «أعتقِد أنني قد تجاوزتُ حدودي قليلًا هُناك، هل تفهمون قصدي؟»[CXCIV]. اليوم نفهم أن الأمر لم يكُن يتعلَّق قطُّ بالسرقات، بل لطالما تعلَّق بالاغتصاب بعد الوفاة منذ البداية. وكانَت أجهِزة التِّلفاز بمثابة تذكاراتٍ للقاتِل المُتسلسِل، وكانَت ثانوية تمامًا بعد ارتكاب جرائِم الاغتصاب بعد الوفاة.

وأُقيل قائِد فرقة جرائِم القتل من منصِبه عندما كُشِفَ عن أنه قد حُقِّق في خمس حالات وفاة فقط على أنها جرائِم قتل. وألقى باللوم على الطبيب الشرعي الذي قرَّر أن حالات الوفاة الأخرى كانَت مُجرَّد حالات وفاة طبيعيَّة. وردَّ الطبيب الشرعي بأن اللوم يقع على عاتِق فرقة جرائِم القتل التي فشلت في «الكشف عن نمَط القاتِل»[CXCV].

وكان «جاكسون» قد اعتُقِلَ في عام 1973 بتُهمة سرقة أحد المُستأجرين في المبنى، ولكِنه وافَق على الإقرار بالذنب، ليحصُل على حُكم قصيرٍ مُدّته ثلاثون يومًا بتُهمةٍ مُخفَّفة. لم يُفكِّر أحد في طردِه من المبنى، ولم تقُم إدارة المبنى أو الشُّرطة بمُراجعة سجله الإجرامي بمُجرَّد بدء الوفيات. وقد طالَب المُدَّعي العام لولاية «نيويورك»، السيِّد «لويس ليفهويتز» بإغلاق «بيت الرُّعب» المُقابِل للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، مُعلِنًا أن «بارك بلازا» قد «أصبح مستودعًا للانحطاط والفجور»[CXCVI]. وقد حُكِم على «كالفِن جاكسون» بالسجن لمئات السنين، وهو مسجون حاليًّا في سجن «إلميرا» في «نيويورك».

وفي نهاية المطاف، طُرِد المُسنون المُقيمون في «بيت الرُّعب» في «بارك بلازا»، الذي يتقاضى 40 دولارًا في الشهر، وفُتِحَت الأكواخ الصغيرة، وأزيلَت ديدان الجُثث، وأعيد تسمية المبنى باسم شُقق بارك 77، حيث يُمكِن للمرء اليوم استئجار غُرفة نومٍ واحِدة مُقابِل 4500 دولار شهريًّا[CXCVII]. واستُبدِلَت النساء

المُسِنَّات الوحيدات اللاتي يعِشن على طعام القطط بمطعمٍ إيطالي عصري في الطابِق الأرضي يتقاضى 19.50 دولار أمريكيّ مُقابِل كوكتيل الجمبري إلى أن أُجبر مؤخرًا على الخروج عندما رفع المالِك الإيجار بشكلٍ غير معقول. ووفقًا لمالكي المطعم: «كُنا نطمح في نموذج أكثر لمعانًا وفخامةً في مكاننا»[(CXCVIII)].

وهكذا يأتي القاتل المُتسلسِل إلى المدينة، ويذهب، ويُصبِح في طيّ النسيان. وبحلول الوقت الذي شقَّت فيه مُحاكمة «كالفِن جاكسون» طريقها عبر النّظام، كانَت جرائِم قتل «ابن سام» قد بدأت بالفعل. وكان هذا آخر ما يتذكَّره الناس عن «كالفِن جاكسون»، رغم عدد الجُثث الكبير. ومرَّة أخرى، أُدرِجَت النساء المُسِنَّات الصغيرات اللاتي عشن على نظام المعونات الحكوميّة مع الفِئة التي يُعَد موتها أقلّ وطأة.

«ديفيد بيركويتز» الشهير بـ «ابن سام»

كانَت قضية «ابن سام» واحدةً أخرى من تلك القضايا المؤثِّرة التي تتعلَّق بقاتِلٍ مُتسلسلٍ «مشهور» مألوف: عندما ارتكب عامل البريد «ديفيد بيركويتز»، البالِغ من العُمر أربعة وعشرين عامًا، ستَّ جرائِم قتل في عامي 1976 و1977 في «برونكس» و«كوينز» و«بروكلين»، بعد أن اعتاد التسلُّل إلى الأزواج المُتواعِدين، وإطلاق النار عليهم بمُسدَّس «بولدوج» عيار 44. قبل أن يُقبَض عليه في أغسطس 1977، بعد أن ربط تفتيش مُخالفات السيَّارات بين سيَّارته ومسارِح الجريمة.

وما جعل «ابن سام» شهيرًا للغاية، هو مُراسلاته مع الشُّرطة، ومع كاتِب العمود في صحيفة «ديلي نيوز» السيِّد «جيمي بريسلين». وعلى عكس التسميَة الذاتيَّة الشهيرة التي أطلقها «جاك السفَّاح» على نفسه، فقد أطلَق «بيركويتز» هذا اللقب على نفسه بالفعل في رسالةٍ تركها بالقُرب من ضحيتَين، موجَّهة إلى قائِد شرطة «نيويورك» الذي أشار في مؤتمرٍ صحفيٍّ إلى أن القاتِل المُتسلسِل يكره النساء. وكَتَب «بيركويتز» في جُزءٍ منها:

«لقد تأذَّيتُ بشدةٍ من وصفِك لي بأنني كاره للنِّساء. لأنني لستُ كذلِك. لكِنني وحش. أنا ابن سام، أنا «شقي» قليلًا. وعندما يثمَل الأب سام؛ يُصبِح لئيمًا. يضرِب عائِلته. وأحيانًا ما يُقيِّدني في مؤخِّرة المنزِل. وأحيانًا أخرى يحبسني في المرآب. كما يُحِب سام شُرب الدِّماء. يأمُرنا الأب سام: «اخرجوا واقتلوا». أما بالنِّسبة لِرجال الشُّرطة، فدعوني أُطارِدكم بهذه الكلِمات: «سأعود! سأعود! لتُفسَّر «كذا» على أنها – بانج، بانج، بانج، بانك، بانج، بانج، أوه! عزيزكم في القتل: السيِّد المُتوحِّش».

وإلى أن قُبِضَ عليه، أبقَت رسائِله الغريبة مُجدّدًا، وسياسة الصحافة في «إحصاء عدد الضحايا»، الجمهور مفتونًا ومتوتِّرًا. وعندما قُبِضَ عليه، فوجِئنا بمدى اعتدال أخلاق القاتِل، ونعومته، وسمنته. ومرَّة أخرى، بدا مجنونًا تمامًا، مُدَّعيًا أنه يتلقى الأوامِر من كلبٍ أسود، وكان ذلِك تفسيرًا كافيًا بالنِّسبة لنا.

«رودني ألكالا» الشهير بـ «قاتِل لعبة المواعدة»

في هذه الأثناء، كان «رودني ألكالا»، الشهير بـ «قاتِل لعبة المواعدة»، الذي لن يُدان حتى عام 2011 بسبب جرائِم القتل التي ارتكبها في «نيويورك»، يتظاهَر في عام 1971 بأنه مُصوِّر فوتوغرافي ودود في

«إيست فيلدج»، بينما اغتصب وقتل «كورنيليا ميشيل كريلي»، وهي مُضيفة طيران في خطوط «ترانس وولد إيرلاينز»، في شقتها في الجانِب الشرقي العلوي. وفي صيف عام 1977، تعقَّب «إيلين جين هوفر»، وهي موسيقيّة طموحة، إلى شقّتها في وسط المدينة حتى الموت. وكان «ألكالا» في الأصل من ولاية «كاليفورنيا»، وانتهى به المطاف في «نيويورك»، هاربًا من تُهم الاغتصاب الوحشي، ومُحاولة قتل فتاة في الثامِنة من عُمرها أثناء ذهابها إلى المدرسة. كما تنقَّل ذهابًا وإيابًا بين الساحلَين الشرقي والغربي، وظهر بشكلٍ سيئ السُّمعة في البرنامج التليفزيوني «لعبة المواعدة» كمُتسابقٍ أعزب، بينما قتل خمس فتياتٍ أخريات، بما في ذلِك فتاة في الثانية عشرة من عُمرها، في طريقها إلى تدريب الباليه.

ومن اللافِت للنظر أن «ألكالا» عمل في أوائِل «السبعينيَّات»، في نفس مكتب تأمين «بلو كروس» في جادة «لكنجستون»، الذي عمل به القاتِل المُتسلسِل «ريتشارد كوتينجهام»، رغم أن الأخير ادَّعى أنه لا يتذكَّر «ألكالا».

وبعد ذلِك، لدَينا بالطبع «ريتشارد كوتينجهام»، الذي اصطاد ضحاياه من بين قطيع مُتاح مُكوَّن من أربعين ألف بائِعة هوى مُنتشِرات في الشوارِع، وفي صالات التدليك، بمدينة «نيويورك»، في «السبعينيَّات». ولم يكُن أحد على علمٍ بوجوده حتى قتل اثنتَين منهن، وقطع رأسيهما، وأشعل النار في جذعَيهما في نزل «ترافِل إن» في ديسمبر 1979، ثُم قتل أخرى في مايو 1980 في فُندق «إشبيليّة» في جادة «ماديسون»، قبل أن يقطَع ثديَيها، ويتركهما على اللوح الأمامي للسرير. وقُبِضَ عليه «بالصُّدفة» عندما جلبَت صرخات إحدى ضحاياه القادِمة من غُرفةٍ في فُندقٍ بـ «نيوجيرسي» أمن الفُندق إلى بابه.

حالِمات «كاليفورنيا»

لطالما اشتُهِرَت «كاليفورنيا» بكونها قِبلة للحالمين لكُل ما هو غريب وغامِض. والغريب أن شواطئها الجميلة، وأيامها المُشمِسة، وأشجار النخيل، قد أصبحَت خلفيَّة لقوى الشر المُظلِمة، والجنون، والقتل. وقبل عامٍ من جرائِم «مانسون»، وصفَت «جوان ديديون» رياح «سانتا آنا» البارومتريّة القاتِلة التي تهُب عبر الجنّة:

«لقد أصبَح المُحيط الهادئ لامِعًا بشكلٍ يُنذِر بالسوء خلال فترة «سانتا آنا»، واعتاد المرء الاستيقاظ ليلًا مُنزعِجًا ليس فقط من صراخ الطواويس في أشجار الزيتون، ولكِن بسبب الغياب المُخيف لركوب الأمواج. كانَت الحرارة سرياليَّة. واصطبغَت السماء باللون الأصفر، وهو نوع من الضوء يُسمّى أحيانًا بـ «الطقس الزلزالي». ولم تكُن جارتي الوحيدة تخرُج من منزلها لأيام، ولم أرَ أي أضواءٍ في آناء الليل، وجاب زوجها المكان مُمسِكًا بساطور. وفي أحد الأيام، أخبرني أنه سَمِعَ صوت مُتسلِّل، وفي اليوم التالي أفعى مُجلجلة. وكتب «رايموند تشاندلر» ذات مرَّة عن «سانتا آنا»: «في ليالٍ كهذه، تنتهي جميع حفلات الشُّرب بشجار، وتتحسَّس الزوجات الصغيرات الوديعات حافة سكِّين النحت، ويتفحَّصنَ رِقاب أزواجهن، يُمكِن لأي شيءٍ أن يحدُث». هذا هو نوع الرياح التي كانَت موجودة هُناك»[(CXCIX)].

كان هذا هو نوع المناخ والتضاريس هُناك؛ النوع الذي سيجِد «هارفي جلاتمان» و«تشارلي مانسون»، و«زودياك» القاتِل المجهول الهوية، أنفُسهم فيه. ناهيك عن القِيادة مثل «قتلة الطريق السريع» الثلاثة «باتريك كيرني»، و«راندي كرافت»، و«ويليام بونين»، ومثل «إدموند كِمبر».

وعلى عكس المُدن الشرقيَّة المُكتظَّة بالسُّكَّان مثل «نيويورك»، أو «شيكاغو»، أو «بوسطن»، كانَت جرائِم القتل المُتسلسِل في «كاليفورنيا»، وفي هذا الشأن، في مُعظَم الولايات المُتحِدة، من النوع الذي يُرتَكَب في السيَّارات. ووقعَت جرائِم القتل المُتسلسِل في أبعادٍ آليّة، مثل الجُزر البعيدة المُترامِيّة في أرخبيل الموت. ففي جميع أنحاء الولايات المُتحِدة الأمريكيّة، قاد القتلة المُتسلسِلون سيَّاراتهم للعثور على ضحاياهم، ثُم قادوا ضحاياهم إلى حتفهم، قبل أن يقودوا السيَّارات إلى أماكِن رمي الجُثث. ووجدَت دراسة أُجرِيت عام 1980 عن جرائِم القتل المُتسلسِل أنه في نسبة 78٪ من جرائِم القتل المُتسلسِل، استخدم القاتِل سيَّارة بشكلٍ مُباشر، أو غير مُباشر، في جريمة القتل، وأن نسبة 50٪ من القتلة المُتسلسِلين الذين استخدموا سيَّارة، قد استخدموها لتوصيل ضحاياهم[(CC)]. حتى إن القتلة المُتسلسِلين في «كاليفورنيا» تعاونوا معًا في السيَّارات. فقد قتل القتلة المُتسلسِلون «أنجيلو بونو»، و«كينيث بيانكي»، أبناء العمومة، الشهيرين بـ «خانقي التِّلال»، في عام 1977، عشر فتياتٍ ونِساء تتراوَح أعمارهنّ بين الثانية عشرة، والثامِنة والعشرين. بعد أن تظاهرا بأنهما ضابِطا شرطة مُتخفِّيَين في سيَّارة «بونو» لـ «يعتقِلا» النساء. واصطحبا ضحاياهُما إلى ورشة «بونو» لتنجيد السيَّارات، حيث عذَّبوهن، واغتصبوهن، وخنقوهن قبل أن يُلقوا بهن في «هوليوود هيلز». ولم يُدرِك أحد أن هُناك قاتِلَين مُتسلسلَين، ونُسِبَت جرائِم القتل في البداية إلى «خانِق التلال». ولم تُحَل القضية إلا بعد انفصالهما، وتوجُّه «بيانكي» إلى «بيلينجهام» بـ «واشنطن»، حيث قُبِضَ عليه بعدما فشل في ارتكاب جريمة قتلٍ مزدوجة هُناك.

كما التقى «لورانس بيتاكر» و«روي نوريس»، الشهيران بـ «قتلة صندوق الأدوات»، في السجن، ولم يكُن لديهما ما يفعلانه، فابتدعا خيالًا مُشتركًا لقتل سبع فتياتٍ مُراهِقات، واحِدة من كُل سنٍّ من الثالِثة عشرة إلى التاسِعة عشرة. وعند إطلاق سراحهما حصلا على شاحنةٍ صغيرةٍ ذات بابٍ جانبي مُنزلِق، يُمكِنهما بواسطتها اختطاف الضحية بسهولةٍ من موقفٍ للسيارات أو حتى من الشارِع. وأطلقا على شاحنتهما اسم «ميردر ماك»، وركَّبا سريرًا فيها، وجهَّزاها بـ «صندوق أدوات» مليءٍ بأدوات التعذيب مثل الكمَّاشة، ومعاوِل الثلج، والمطارِق الكروية الرأس. وفي عام 1979، استدرجا خمسَ فتياتٍ مُراهِقات إلى شاحنتهما من مواقِف السيَّارات، ومراكِز التسوُّق على الشاطئ، وعذَّبوهنّ بوحشيةٍ باستخدام أدوات التعذيب، واغتصبوهن، وقتلوهنَّ أثناء تسجيل صوت، انتهى الأمر بتشغيله في المحكمة أثناء مُحاكمتهما. وكذلِك قتل «جيرالد جاليجو»، و«شارلين جاليجو»، الشهيران بـ «قتلة عبيد الجنس»، وهُما زوج وزوجته، تسع فتياتٍ مُراهِقات في «ساكرامنتو» في الفترة بين 1978 – 1980. «وكان ضحيتهما العاشِرة رجلًا يواعِد إحدى ضحاياهما من الإناث». وادَّعَت «شارلين» بعد ذلِك أنها «زوجة مُعنَّفة» أُجبِرَت على ارتكاب جرائِم القتل، وشهدت ضد زوجها. واقتنعت هيئة المُحلَّفين بقصتها، رغم أنها في إحدى المرَّات كادت أن تقتل زوجها رميًا بالرُّصاص

في لحظة غضب، عندما بدأ في اغتصاب ضحيّة في الجُزء الخلفي من شاحِنتها، أثناء قيادتها للسيّارة، دون أن ينتظِرها. حُكِم على «جيرالد» بالإعدام بينما حُكِم على «شارلين» بعقوبةٍ مُخفَّفةٍ، وأُطلِق سراحها في عام 1997، وعلَّقَت قائِلة: «كان هُناك ضحايا ماتوا، وضحايا عاشوا، واستغرقني الأمر وقتًا طويلًا لأُدرِك أنني واحدة من الضحايا الذين عاشوا»[(CCI)]. وعادَت «شارلين»، التي تنحدِر من عائِلةٍ ثرية، إلى «ساكرامنتو»، حيث قامَت على مدار السنوات العشرين الماضية بـ «أعمالٍ خيريّة».

و«جوزيف جيمس دي أنجيلو»، الشهير بـ «قاتِل الولاية الذهبي»، وهو ضابِط شرطة موصوم بالعار، بدأ في عام 1975 سلسلةَ جرائِمه المُكوَّنة من ثلاثَ عشرةَ جريمة قتل، وأكثر من خمسين جريمة اغتصاب في مناطِق مُختلفةٍ من «كاليفورنيا». ولم يُتعرَّف عليه، أو يُقبَض عليه حتى عام 2018.

«جون لينلي فرايزر» الشهير بـ «القاتِل المُدافع عن البيئة»

في حين أن وجود مجموعة من القتلة المُتسلسِلين في مدينةٍ ضخمةٍ مثل «نيويورك» أو «لوس أنجِلوس» لم يكُن أمرًا مُفاجِئًا، إلا أن وجود مجموعةٍ من القتلة المُستجدِّين في مدينةٍ أصغر مثل «سانتا كروز» بـ «كاليفورنيا» كان أكثر إثارةً للحيرة والقلق؛ لأنه كان خارِج نِطاق المنطِقة. وكانَت جرائِم القتل «ساحِرة» على ساحِل «كاليفورنيا»، تمامًا مثل جرائِم القتل التي ارتكبها «مانسون» في صيف 1969.

في الواقِع، افتتح سلسِلة جرائِمه بجريمة قتلٍ جماعي، عندما اقتحم «جون لينلي فرايزر»، البالِغ من العُمر أربعةً وعشرين عامًا، في 19 أكتوبر 1970، منزِل جرَّاح العيون الثري «فيكتور أوهتا»، وأطلَق النار عليه من مُسدَّس عيار 38، ليُردِيه قتيلًا مع زوجته، وابنَيه، وسكرتيرته، وقِط العائِلة. ثُم ألقى بجُثثهم لتطفو في حوض سِباحة المنزِل، وكتب مُلاحظة وهميّة على آلة كاتبة في مكتب القتيل، قبل أن يُشعِل النيران في المنزِل. وكَتَب «فرايزر» على غِرار ما كتبه «تشارلي مانسون» في بيانه الأخير عن «حيوانات الجو، والبر، والبحر»، ومُراسلات «ابن سام» المُستقبليَّة:

«هالوين عام 1970، اليوم ستبدأ الحرب العالمية الثالِثة، كما جهزها لكُم شعب الكون الحُر. ومن هذا اليوم فصاعِدًا، سيُعاقِب شعب الكون الحُر أي شخصٍ و/أو كُل شخص، أو مجموعة من الأشخاص يُسيئون استخدام البيئة الطبيعيّة أو يُدمِّرونها بالموت. سأُحارِب أنا ورِفاقي من الآن فصاعِدًا حتى الموت أو الحُرية ضِدَّ كُلِّ من لا يدعَم الحياة الطبيعيَّة على متن هذا الكوكب. يجِب أن تموت المادِّية، أو ستتوقَّف البشرية

فارِس الصولجانات

فارِس الكئوس

فارِس الخُماسي

فارِس السيوف»

تمتَّع «فرايزر» بتاريخ من الجرائِم الصغيرة في صِغره، ولكِن بدا أنه استقرَّ بعد أن ترك المدرسة الثانويّة، وتزوَّج، ووَجَد عملًا ثابتًا كميكانيكي سيَّارات. ثُم قبل ستَّة أشهُر من بدء جرائِم القتل، أصبَح فجأة متوهِّمًا. أقنع «فرايزر» نفسه بأنه «يوحنا» المُشار إليه في سفر الرؤيا في العهد الجديد، وأدرَج الأجِندات الغامِضة والبيئيّة في جنونه. فأعلن أنه توقَّف عن القِيادة، على سبيل المثال، بأمرٍ من الله سُبحانه وتعالى. وتذكَّر أحد معارِفه فيما بعد أنه: «قال إن الله أخبره أنه يُلوِّث البيئة بقيادته لسيَّارته، وأنه سيُقتَل إن استمرَّ في قيادتها». «من المُثير للقلق أن نقرأ اليوم ما كان يُعتقَد أنه من أعراض الجنون في السبعينيَّات».

تحوَّل «فرايزر» إلى نُسخة هيبي من «مانسون» أو «تيد كازينسكي» المُفجِّر – كشخصية إرهابي بيئي – وانسحب إلى كوخٍ بدائي صغير في الغابة، بالقُرب من منزِل عائِلة «أوهتا». قبل أن يستشيط غضبًا من عدد الأشجار التي قُطِعَت لإفساح المجال للمنزِل الفاخِر، مُعلِنًا أنّ الأشخاص الماديين من هذا القبيل «يجِب أن يُقتَلوا».

وسُرعان ما تعقَّبوا «فرايزر» إلى الكوخ المُجاوِر، واعتقلوه بعد أيام قليلة من وقوع جرائِم القتل. وقدَّم دِفاعه التماسًا بالجنون، ولكِن بحلول ذلِك الوقت، ومع تزايُد جرائِم القتل بشكلٍ كبير، تردَّدت هيئة المُحلَّفين في قبول التماسات الجنون. وحُكِم عليه بالإعدام، قبل أن يُخفَّف الحُكم لاحِقًا إلى السِّجن مدى الحياة. وانتحر «فرايزر» في زنزانته في عام 2009، عن عُمرٍ يُناهِز الثالِثة والستِّين.

«هربرت مولين» الشهير بـ «قاتِل أُغنية الموت»

وُلِد «هربرت مولين»، في عام 1947، في «ساليناس» بـ «كاليفورنيا»، وهو ابن نقيب في مُشاة البحريَّة الأمريكيَّة، حارَب في المُحيط الهادي في حملة «جُزر سليمان»[(CCII)]. ووفقًا لمُعظم الروايات، نشأ في أُسرةٍ كاثوليكيَّة مُستقِرَّة وحاضِنة، ولكِن رُبما صارِمة للغاية. في المدرسة الثانوية، كان ضئيل الحجم – بطول 1.70 متر، ووزن 55 كيلوجرامًا – لكِنه كان محبوبًا من الأولاد والبنات على حدٍّ سواء. كما لَعِبَ كحارسٍ هجوميٍّ في فريق كُرة القدم بالمدرسة، كما كان مُهذبًا ومؤدبًا بشكلٍ لا مَثيل له، وحَصَل على درجاتٍ مُمتازة، وصوَّت له زُملاؤه الطُّلَّاب على أنه «الأكثر احتمالًا للنجاح». قبل أن تظهَر أول إشارةٍ إلى وجود نوع من عدم الاستقرار في «مولين» في سنِّ الثامنة عشرة، عندما قُتِلَ صديق له في حادث طريق. وأقام له «مولين» ضريحًا في غُرفة نومِه، وبدأ يُساوِره هاجِس أنه قد يكون مِثليًّا.

ورغم ذلِك، أكمَل «مولين» دراسته الجامعيَّة الأولى، وحَصَل على شهادةٍ في هندسة الطُّرق لمُدَّة عامَين في صيف عام 1967، وكان مخطوبًا ويستعِد للزواج. ولكِن بحلول نهاية عام 1967.. بدأت الأمور تسوء. وبدأ «مولين» يسمَع أصواتًا بعيدة – وهو أحد الأعراض الكلاسيكيّة للفِصام المصحوب بجنون العظمة – وأصبح سلوكه غريبًا وغير مُنتظِم. قبل أن ينفصِل عن خطيبته. ورُبما تفاقمَت حالته أكثر بسبب استهلاكه للماريجوانا، وعقار الهلوسة «إل إس دي».

في سبتمبر 1972، بدأ «مولين» يتأمَّل بعُمقٍ في الكِتاب المُقدَّس. وصرَّح لاحقًا أنه اكتشف أن القتل تقليد توراتي، وأن والِده، جُندي البحريَّة السابِق، عزَّز ذلِك في نفسه. ووفقًا له، ولطالما حثَّه والِده، بل وأجبره تقريبًا على الذهاب لصيد الغزلان لتطوير رجولته.

وبدأ «مولين» يسمَع صوت والِده عديم الجسد، يأمُره بالتضحيَة بالأرواح لدرء الكارِثة الطبيعيَّة التي تُهدِّد ساحِل «كاليفورنيا». وأطلَق عليها مولين اسم «أغنية الموت».

سأله أحد الأطِبَّاء النفسيين: «ما هي أُغنية الموت؟»

فأجابه: «هذه هي فحسب. أُخبرك أن تموت، أو أن تقتُل نفسك، أو أن تُقتَل كيلا تسقُط قارَّتي في المُحيط»[(CCIII)].

وفي 13 أكتوبر 1972، كان «مولين» يقود سيَّارته على الطريق السريع عندما لاحظ «لورانس وايت»، وهو مُشرَّد يبلُغ من العُمر خمسةً وخمسين عامًا، يسير على جانِب الطريق. أوقَف سيَّارته أمامه، وعندما اقترب منه «وايت»، قتلَه بعدَّة ضربات على رأسه بمِضرَب بيسبول. ثُم سحب جُثته إلى الأدغال، وتركها هُناك.

وسُرعان ما بدأ «مولين» يسمَع صوت والِده وهو يشرَح له أن التلوُّث يأتي من داخِل أجساد الناس. وكان قد قرأ لتوّه روايات تشريح «مايكل أنجلو» في كِتاب «العذاب والنشوة» للكاتِب «إيرفينج ستون»، عندما أقلَّ «ماري جيلفويل»، الطالِبة بكُلِّية «كابريلو»، والبالِغة من العُمر أربعةً وعشرين عامًا، والتي كانَت تتنقَّل في السيَّارات، في يوم 24 أكتوبر. وعندما صعدَت إلى سيَّارته، غرس سكينًا في صدرها فأرداها قتيلة. ثُم سَحَب جُثَّتها إلى الغابة، وبَقَر بطنها، وأخرَج أعضاءها، وفحصها بحثًا عن آثار التلوُّث. قبل أن يُعلِّقها على أغصان شجرة، ليتمكَّن من فحص الأمعاء. ولم يُعثَر على جُثَّتها لأشهُر.

وحتى اليوم، ومع كُل التقدُّم في مجال تحليل الشخصيَّة، ما زال من الصعب أن نتصوَّر أن المُحقِّقين يربطون بين هاتَين الجريمتَين اللتين تبدوان مُختلفتَين ظاهريًّا بنفس الجاني، أو فهم الدوافِع وراء تشويه «ماري جيلفويل». على الأرجح أنها تُنسَب إلى شهوةٍ جنسيّةٍ على غِرار «جاك السفَّاح»، ولكِن في الواقِع، لم تكُن هذه التخيُّلات الجنسيَّة هي التي دفعَت «مولين» – بل لم تكُن حتى تخيُّلات، بل هلوسات.

ذهب «مولين» الذي كان لا يزال مُرتبِطًا بعُمق إيمانه الكاثوليكي، بعد ظُهر يوم 2 نوفمبر إلى كنيسة القدِّيسة «ماري» في «لوس جاتوس»، إحدى ضواحي «سانتا كروز»، لطلب المُساعدة من أحد الكهنة. دخل الأب «هنري تومي» إلى حُجرة الاعتراف بشكلٍ عشوائي للاستماع إلى «مولين». الذي بدأ يهلوس بأن الأب «تومي» طلب منه أن يقتُله. ويتذكَّر كذلِك أنه أخبر الكاهِن أن والِده أمره تخاطُريًّا بالتضحية بالناس.

وفيما يتذكَّره «مولين» عن المُحادثة، سأله الكاهِن: «هل تقرأ الكِتاب المُقدَّس يا «هربرت»؟»

«نعم».

«والوصايا، حيث تقول أنْ تُكرِّم أباك وأُمَّك؟».

«نعم».

«إذن أنت تعرِف كم هو مُهِمٌّ أن تفعل ما يطلُبه منك أباك!»

«نعم».

قال الكاهِن: «أعتقِد أن الأمر مُهِم للغاية حتى إنني أرغب في التطوُّع لأكون قُربانك القادِم»[(CCIV)].

وهكذا دخل «مولين» إلى حُجرة الكاهِن، وضربه، وركله، وطعنه ستّ طعنات في صدره وظهره، وتركه ليموت هُناك.

ثُم حَصَل «مولين» على مُسدَّس عندما أصبَح مُقتنِعًا بأن المُخدِّرات الترويحيَّة تُسمِّم عقله. وفي 25 يناير 1973، ذهب مُصطحِبًا مُسدَّسه معه للعثور على زميله السابِق في فريق كُرة القدم بالمدرسة الثانويّة «جيمس جيانيرا»، والذي كان قد شاركه لأول مرَّة في تعاطي الماريجوانا. لكِنه وَصَل عن طريق الخطأ إلى منزلٍ مُجاورٍ بدلًا من ذلِك. حيث جلسَت «كاثي فرانسيس» في المنزِل مع طفلَيها عندما طرق «مولين» بابها. وعَرَفَت «جيانيرا» وأرشدَت «مولين» إلى منزله. ووفقًا لـ «مولين»، فقد أخبرته أيضًا أنها تُريده أن يُضحي بها هي وطفلَيها. وقد عثرَت الشُّرطة عليها على أرضيَّة المطبخ مطعونةً في صدرها، ومُصابة برُصاصة في رأسها. وعُثِرَ على ابنَيها في سريرهما المُكوَّن من طابِقَين، مُصابَين بطعنات في ظهريهما، كما أُطلِقَت النيران على رأسيهما. وبدا المنزِل خاليًا من أي عائِق.

ثُم توجَّه «مولين» بعد ذلِك إلى منزِل «جيمس جيانيرا». وبعد مُحادثة قصيرة عن الأيام الخوالي، وشُرب المُخدِّرات، أطلق عليه النار، وأرداه قليلًا. ثُم أطلَق النار على «جوان»، زوجة «جيانيرا»، التي كانَت تستحِم في الطابِق العلوي، فأرداها قتيلةً أثناء مُحاولتها الهرب. تعرَّفت الشُّرطة على أن نفس السلاح قد استُخدِمَ في جرائِم القتل الخمس كُلها. كما قرَّروا أيضًا أن العائِلتَين تورَّطتا معًا في تجارةٍ صغيرةٍ للماريجوانا، وصنَّفوا وفاتهم على أنها مُرتبِطة بتجارة المُخدِّرات.

وسيُصنَّف «مولين» لاحقًا على أنه قاتِل مُتسلسِل نادِر ذو «مُهِمّة خياليّة غير مُنظَّمة». فقد كانَت عمليات القتل الثماني التي قام بها حتى الآن مدفوعة بمُهِمّة، ولكِنها غير مُخطَّط لها، وعشوائيّة تمامًا، ومُتجذِّرة في الفِصام المصحوب بجنون العظمة العضوي. أي أن «مولين» كان مجنونًا ببساطة. ولن تظهَر أي صِلةٍ بين ضرب المُشرَّد حتى الموت، وتشويه الفتاة الجامعيّة، وطعن الكاهِن، وعمليات إطلاق النار المُتعدِّدة على الضحايا الخمس الأخيرة. حيث بدت كُل جريمة مُختلِفة ليس فقط في الطريقة، بل وفي الدافِع الظاهري أيضًا.

وفي 10 فبراير 1973، صادَف «مولين» أربعة مُراهقين يُخيِّمون في مُتنزّه «كويل ستيت بارك»، على بُعد حوالي ميلَين من منزِل والِدَيه. وأطلَق النار على أربعتهم، فقتلهم جميعًا، لأنه، كما وضَّح لاحِقًا، اعتقد أنهم يُزعِجون البيئة. ولم يُعثَر على جُثَثهم إلا بعد أسبوع من احتجاز «مولين» بالفعل.

وفي 13 فبراير 1973، انطلق «مولين» في سيَّارته الـ «ستيشَن واجن». ولاحقًا ظهرَت بعض التكهُّنات بأنه كان مهووسًا بالرقم 13، وبالفعل.. ارتكب جريمة قتله الأولى في يوم 13 نوفمبر، وستموت ضحيَّته الثالثة عشرة في 13 فبراير.

كان «فريد بيريز»، البالِغ من العُمر 72 عامًا، بطلًا سابِقًا في مُلاكمة الوزن المتوسِّط في «كاليفورنيا» في «عشرينيَّات» القرن الماضي، (كان يُقاتِل تحت اسم فريدي بيل)، وتاجِر أسماك بالجُملة مُتقاعِدًا[12]. وأنجَب «بيريز» أربعة أبناء، وسبعة أحفاد، وخمسة أبناء أحفاد. وفي حوالي الساعة الثامِنة صباحًا، وبينما انهمك في البستنة في فِناء منزِله الأمامي، عندما صفَّ «مولين» سيَّارته على بُعد 150 قدمًا تقريبًا. وشاهدَت ابنة شقيقة «بيريز»، وأحد الجيران، «مولين» ينحني من نافِذته، حامِلًا بُندقيَّة عِيار 22، ويُطلِق رُصاصة ليُصيب «بيريز» في جانِب صدره. ثُم قاد سيَّارته بهدوء، بينما اتصل الجار بالشُّرطة. كان الجرح سطحيًّا للغاية، حتى إنه عندما وَصَل ضابِط شرطة إلى مكان الحادِث، افترض أن «بيريز» كان يُعاني من نوبةٍ قلبيّة، وأكَّد له أنه سيكون بخير. لكِن الأخير تُوفيَ في حديقته قبل وصول المُسعِفين.

ومع بثّ أوصاف السيَّارة على الهواء، ألقَت الشُّرطة القبض على «مولين» على الفور، وصادَرَت البُندقيّة والمُسدَّس اللذين كانا لا يزالان في سيَّارته.

رفض «مولين» التعاوُن مع رِجال الشُّرطة، وعند استدعائه للمثول أمام المحكمة، أكَّد على حقِّه في التعديل الخامِس بعدم تجريم نفسه. وبعد أسبوعٍ من اعتقاله، عُثِر على جُثث المُراهقين الأربعة، وربطَت المقذوفات وفاتهم بـ «مولين».

اقتنع «مولين» بأن الأصوات تُوجِّهه باعتباره «مُنقِذًا للعالَم». ووضَّح كذلِك أن: «الشيطان يتلبَّس الناس، ويجعلهم يرتكِبون أمورًا لا يُريدون القيام بها». من خلال قتل الناس «التسبُّب في كوارثٍ صغيرة»، اعتقد بأنه سيمنع الزلزال الكارثي الكبير، وموجة المدِّ التي هدَّدَت ولاية «كاليفورنيا».

وقد رفضَت هيئة المُحلَّفين إقرار «مولين» بالجنون أثناء المُحاكمة لنفس الأسباب التي رُفِضَ بسببها ادِّعاء «فرايزر» بالجنون، وهو الخوف من أن يُصدَّق على «شفائه» لاحِقًا، ويُطلَق سراحه. ويقضي «مولين» حاليًّا عقوبة السِجن مدى الحياة في «كاليفورنيا» بسبب جرائِم القتل الـ 13 التي ارتكبها. ويُدير أحدُهم حسابًا على «إنستجرام»، وصفحة على الإنترنِت بعنوان «herbertwilliammullin.org»، حيث تُنشَر كِتاباته وصورُه الحالية في السِّجن.

«إدموند كِمبر» الشهير بـ «قاتِل الطالِبات» في «سانتا كروز» بـ «كاليفورنيا» في الفترة بين 1972 – 1973

ذكرَت بعض الصُّحف التي نشرَت خبر اعتقال «هربرت مولين» في نفس الصفحة التي أعلَنَت فيها أن الطُّلَّاب في حرم جامِعة «كاليفورنيا»، «سانتا كروز»، يُشكِّلون فرق بحث لتحديد موقِع الطالِبتَين المفقودتَين «أليس ليو» و«روزاليند ثورب». وقد ذكرَت صحيفة «سان فرانسيسكو إكزامينر» في تقريرها عن اعتقال «مولين» بتُهمة قتل «بيريز» عن غير قصد، أنه لا توجَد صلة بين مقتلِه، وقتل وتشويه «ماري جيلفويل»، التي كانَت «أحدث ضحايا القاتِل أو القتلة المجهولين الذين يفترِسون طالِبات جامِعة «كاليفورنيا وسانت كروز» و«كابريلو» منذ الصيف الماضي». وأشار التقرير إلى أن «جيلفويل» كانَت طالِبة الثالِثة من «سانتا

كروز» التي تُقتَل في الأشهُر الأخيرة، ووَصَف سلسِلة من جرائِم القتل والاغتصاب والتشويه المُماثِلة التي حدثَت مؤخرًا: «تمَّ التعرُّف على سينثيا آن شال، البالِغة من العُمر 19 عامًا، من «سان رافائيل» من أجزاءٍ من جُثتها الطافية على الشاطئ هُنا، وفي «مونتيري» الشهر الماضي، عُثِر على رأس «ماري آن بيسي»، البالِغة من العُمر 19 عامًا، الطالِبة بجامِعة ولاية «فريسنو»، في أغُسطس الماضي على جبل «بريتا». كما أبلغَت تسع فتيات عن رجلٍ اغتصبهنّ في منطِقة الحرم الجامعي في الشهر الماضي أثناء تنقُّلهنَ بين السيَّارات»(CCV).

عاد «إدموند إيميل كِمبر» الثالِث إلى منزِل والِدته.

لم شمل الأم وابنها: عودة ابن «كلارنيل» إلى المنزل

في السنوات الستّ التي قضاها «إدموند» بعيدًا في «أتاسكاديرو»، تزوَّجَت «كلارنيل»، وتطلَّقَت للمرَّة الثالِثة، وانتقلَت إلى «سانتا كروز»، حيث وجدَت عملًا كمُساعدةٍ إداريَّةٍ في حرم الجامِعة. ويعرِف أي شخصٍ التحق بالجامِعة مدى الكفاءة الهائِلة والعصابيّة التي يُمكِن أن يتمتَّع بها أُمناء الأقسام الجامعية وأعضاء هيئة التدريس. فبعضهم حمل شهادات عُليا، وتمسَّكوا بمرارة، ولأسبابٍ مُختلِفة، بالعمل في مجال السكرتاريّة الجامعيّة كملاذٍ «مُحترم» أخير، بعد أن عجزوا عن توظيف شهاداتهم في مسيرةٍ مهنيّةٍ أخرى. فهم يتحكَّمون بقوَّة، ليس فقط بالمسار الوظيفي السلِس لرئيسهم في العمل فحسب، بل وفي مُستقبل آلاف الطُّلَّاب. ويا له من أمرٍ مُفعمٍ بالحيويّة والنفوذ بالنِسبة لامرأةٍ مُتعلِّمةٍ وكفؤة – ومُعظمهم كانوا من النساء – قد تشعُر أنها لم تصِل إلى إمكاناتها! وهذا بالتأكيد ما كانَت عليه «كلارنيل»، التي أصبَحَت الآن تُعرَف باسم «كلارنيل ستراندبرج». ووَضَع مجلِس الإفراج المشروط في «كاليفورنيا» «إدموند» المُفرَج عنه حديثًا في عُهدة «كلارنيل»، وفي أوائِل عام 1970، انتقل إلى منزِلها المزدوج في «سانتا كروز». وعلى الفور، بدأ الجيران في سماع المُشاجرات الصاخِبة والأبواب التي تُغلَق بقوَّة.

سيقول «كِمبر» لأي شخصٍ يستمِع إليه: «لقد أطلقوا سراحي المشروط، وأعادوني إلى والِدتي مُباشرة. وحسنًا، بدأتُ أنا ووالِدتي مُباشرةً في خوض معارِك مروّعة، وفظيعة، وعنيفة، وشرِسة».

وألقَت «كلارنيل» باللوم في مشاكِلها على «إد»، وقالَت له: «بسببك يا ابني القاتِل، لم أُمارِس الجنس مع رجُل منذ خمس سنوات».

كان «كِمبر» في ذلِك الوقت عملاقًا يبلغ طوله 205 سم، ووزنه 127 كيلوجرامًا. وكان طموحه أن يلتحِق بدوريات الطُّرق السريعة في «كاليفورنيا». ضغطَت والِدته على الأطِبّاء النفسيين للتوصية بإغلاق سجلِّه في جرائِم قتل الأحداث حتى يتمكَّن من الانضمام إلى صفوف الشُّرطة، وفي النهاية نجحَت في مسعاها. ولكِن في النهاية، رُفِضَ طلبه لأنه طويل القامة للغاية.

وَجَد «كِمبر» وظيفة في إدارة الطُّرق السريعة في «كاليفورنيا»، وانتقل من منزِل والِدته إلى شقته الصغيرة. واشتكى من أنه لا يزال غير قادِرٍ على الابتعاد عن والِدته، وأنها تتَّصِل به باستمرارٍ، وتزوره زيارات

مُفاجئة. ووَصَف «كِمبر» استخدام «تعلّمه في أتاسكاديرو» لـ «دفعها إلى أن تكون أمًّا لطيفةً، والتوقّف عن كونها وحشًا مُتلاعِبًا مُتحكِّمًا لعينًا».

وخلال هذه الفترة، واظَب «كِمبر» بإخلاصٍ على زياراته المُنتظِمة المطلوبة لطبيبه النفسي تحت المُراقبة. وفي الوقت نفسه، بدأ يتدرَّب على سلسِلة جرائِمه القادِمة. فقد اصطحَب العشرات من الشابَّات اللاتي تنقَّلن في منطِقة «سانتا كروز»، وطوَّر شخصيّة «العملاق اللطيف» غير المُهدِّدة. وفي وقتٍ لاحق، وَصَف «كِمبر» كيف أنه عندما توقَّف أمام إحدى المُسافِرات، وتردَّدت في ركوب سيَّارته، تعمَّد النظر إلى ساعته. ووضَّح أن هذه اللفتة نقلت بمهارةٍ إلى المرأة رسالة مفادها أنه رجُل مشغول، وأنها لا تُهمه كثيرًا.

«صناعة الدُّمى»

في 7 مايو 1972، نفَّذ ما غَرِق في تخيُّله لسنوات. عندما أقلَّ فتاتَين جامعيَّتَين، «ماري آن بيسي» و«أنيتا لوتشيسا»، وهُما تتنقَّلان على الطريق السريع. وتمكَّن «كِمبر»، الذي يحفَظ المنطِقة عن ظهر قلب، من القيادة دون أن تُدرِكا أنه غيَّر وجهته على الطريق من المكان الذي أرادتا الذهاب إليه. ثُم أوقَف سيَّارته في منطِقةٍ نائِيةٍ عَرَفها من عمله في إدارة الطُّرق السريعة. قيَّد «كِمبر» أولًا يدي «بيسي» في المقعد الخلفي للسيَّارة، واعترف لاحقًا قائِلًا: «لقد أذهلتني حقًّا شخصيتها ومظهرها، وسيطر على الأمر ما يُشبِه التقديس.. لم يحدُث أي تلامُس مع مناطِق غير لائِقة على الإطلاق. في الواقِع، أعتقِد أنني في إحدى المرَّات – وهذا يُزعِجني بشكلٍ شخصيٍّ أيضًا – لمستُ عن طريق الخطأ – أحد ثدييَها بظهر يدي وأنا أُقيِّدها بالأصفاد، وقد أحرجَني ذلِك. حتى إنني قُلت: عذرًا، أنا آسف. أو شيء من هذا القبيل».

ثُم أخرَج «لوتشيسا» من السيَّارة، وحبسها في صندوق السيَّارة. وفي غضون ثلاثين ثانية من اعتذاره لها عن لمس ثديها بالخطأ، ألقى كيسًا بلاستيكيًّا على رأسها، ولفَّ حِزام رِداء الحمَّام حول عُنقها. ولكِنه عندما شدَّ الحزام، انقطع، وفي هذه الأثناء، قضمَت «بيسي» الكيس البلاستيكي. ثُم استلَّ «كِمبر» سكينه، وبدأ يطعنها في ظهرها، لكِن يبدو أن الضربات لم تتسبَّب في أي تأثير، وبدأت في الالتفاف لمواجهته. ثُم طعنها في جانِبها، وفي بطنها، فاستدارَت «بيسي» في الاتجاه الآخر. فأمسكها من ذقنها، وسحب رأسها إلى الوراء، ونحرَها.

ذهب «كِمبر» بعد ذلِك إلى الجُزء الخلفي من السيَّارة، وفَتَح صندوقها، وأخرَج «لوتشيسا»، وبدأ يطعنها بشكلٍ مُتكرِّرٍ في حلقها، وعينَيها، وقلبها، وساعدَيها. ويتذكَّر أنه فوجئ بعدد الضربات القويَّة التي تلقَّتها قبل أن تفقِد وعيَها.

وبمُجرَّد أن ماتَت المرأتان، أعاد جُثتَيها إلى شقَّته، وحملهما إلى الداخِل. وفي شقته، شرَّح جُثتَيهما، وتعامَل مع أعضائهما الداخلية المُختلِفة، والْتقط صور بولارويد لهما، وقطع رأسيهما. واعترف «كِمبر» قائِلًا: «أتذكَّر أنه كان هُناك إثارة جنسيَّة بالفعل. فقد سَمِعتُ تلك «الفرقعة» الصغيرة، وأنا أقطع رأسيهما، وأجذِب الشعر منهما. لقد اقتلعتُ رأسيهما، وتركتُ جسديهما هُناك، وأثارني ذلِك!»

لكِنه كذلِك أصرَّ على أنه: «لم يكُن هُناك أي تلامُس مع مناطِق غير لائِقة على الإطلاق».

وقال أيضًا: «كُنتُ أجلِس هُناك، أنظُر إلى الرأسَين على كُرسي محشو، وأتعثَّر بهما على سريري، وأنظر إليهما «عندما» يُصبِح أحدُهما غير مُستقرٍّ بطريقةٍ ما، ويتدحرَج على الكُرسي، بشكلٍ مروّعٍ للغاية. تسقُط من على الكُرسي، ومن على الوِسادة، لترتطِم بالسِجادة. «بووم». يكرهني جاري في الطابِق السُّفلي بشدَّة. لأنني لا أنفكُّ أُحدِث ضوضاء في وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل. وهكذا يُمسِك بمكنسته، ويضرب السقف بها. فأقول له: أنا آسِف على ذلِك يا صديقي. لقد أسقطتُ رأسي، آسِف. وساعدَني ذلِك في الخروج من الاكتئاب. كُنتُ أتعثَّر في ذلِك».

سيقول أحد خُبراء السلوك في مكتب التحقيقات الفيدرالي في وقتٍ لاحقٍ إن القاتِل المُتسلسِل مثل «كِمبر»: «لديه اتصال ضئيل يتواصَل مع الإناث، أو أنه لا يتواصَل معهُنّ على الإطلاق، ولكِنه مفتون بهن. لأنه يُمكِن «لهُم» في كثيرٍ من الأحيان أن يتصرَّفوا في العالم مثل طفلٍ في الخامِسة من عُمره. ويُمكِنهم أن يكونوا أقوياء جسديًّا، وكُل شيء من هذا القبيل، وكُنَّا نُشبِّههم بطفلٍ في الخامِسة من عُمره، وهو يُفكِّك دُمية»[(CCVI)].

وبعد ذلِك، وَضَع «كِمبر» ما تبقى من المرأتَين في أكياس بلاستيكيّة، ودفنهما في تِلال «سانتا كروز»، حيث وَضَع جذعَيهما وأطرافهما في مكان، وأيديهما في مكانٍ آخر، وأخفى مكان الدفن باستخدام التقنيات التي تعلَّمها في الكشَّافة. بينما احتفظ بالرأسَين لبضعة أيام قبل أن يُلقيهما في أحد الوديان. ثُم عاد إلى القبر الذي رقدت فيه جُثّة «بيسي» مبتورة الرأس، لأنه، كما وضَّح، أحبّها وأراد أن يكون بالقُرب منها.

اعترف «كِمبر» بازدواجيّة نفسيَّته. وعندما سُئِلَ عمّا كان يُفكِّر فيه كُلما رأى فتاة جميلة، أجاب: «يقول أحد نِصفَيَّ: أودُّ التحدُّث إليها ومواعدتها، بينما يقول نصفي الآخر: أتساءل كيف سيبدو رأسها مُعلقًا على عصا؟»

كما قال أيضًا إنه قبل أن يبدأ القتل مُباشرة، أصبَحت خيالاته في مُمارسة الحُب مع النساء غير مُرضية، لأنه أصبَح يعتقِد أنه لن يتمكَّن من تحقيقها أبدًا. ووضَّح أنه إن قتلهنّ.. فلن يرفُضنَه كرجل. وقد وصف جرائِمه بأنها «صُنع دُمى» من النساء، أو «إخراجهنّ» من أجسادهنّ ليفعل بهنّ ما يحلو له.

«لا أرى أي سببٍ نفسي لاعتباره خطرًا»

في 14 سبتمبر 1972، أقلَّ «كِمبر» فتاةً تُدعى «أيكو كو»، تبلُغ من العُمر خمسة عشر عامًا، وهي تتطفَّل على جانِب الطريق في انتظار سيَّارة، للذهاب إلى درس رقصٍ في «سان فرانسيسكو». ثُم أخذها إلى منطقةٍ نائِيَة أخرى، وخنقَها حتى فقدَت الوعي، واغتصبها قبل أن يقتلها. ثُم وَضَع جُثتها في صندوق السيّارة، وتوقَّف في طريقه إلى المنزِل لاحتساء بعض الجعة. وبعد خروجه من الحانة، قال إنه فَتَح صندوق السيَّارة: «مُعجبًا بغنيمتي كصيَّاد السمك». ثُم اصطحَب الجُثَّة إلى شقته، وشرَّحها، قبل أن يُمارِس الجنس معها، ويقطَع رأسها.

في اليوم التالي، حدَّد «كِمبر» موعدًا مع أطِبَّائه النفسيين تحت المُراقبة. وفي الصباح، قبل التوجُّه إلى الموعِد، دَفَن «كِمبر» جُثّة «كو» في مكان، ويدَيها في مكانٍ آخر، ولكِنه احتفظ برأسها. قبل أن يتوجَّه بعد ذلِك إلى مكتب الأطِبَّاء النفسيِّين مع الرأس في صندوق سيّارته. وتَرَكها في موقَف السيَّارات، وذهب لإجراء المُقابلة. وجاء في تقرير الطب النفسي لزيارة ذلِك اليوم ما يلي:

«لو رأيتُ هذا المريض دون أن يتوفَّر لديَّ أي تاريخ مَرَضي، أو دون أن أحصُل على تاريخه المَرَضي، لاعتقدتُ أننا نتعامَل مع شابٍّ مُتأقلِم للغاية، ومُبادِر، وذكي، ولا يُعاني من أي مرضٍ نفسي في الواقِع، نحن نتعامَل مع شخصَين مُختلفَين عندما نتحدَّث عن الفتى الذي ارتكب جريمة القتل في سنِّ الخامِسة عشرة، وعن الشابِّ الذي نراه أمامنا الآن في الثالِثة والعشرين من عُمره، وفي رأيي.. أنه قدَّم استجابة مُمتازة للغاية لسنوات العِلاج، وإعادة التأهيل، ولا أرى أي سببٍ نفسي لاعتباره خطرًا على نفسه أو على أي فردٍ من أفراد المُجتمع».

وقال طبيب نفسي ثانٍ مُبتهِجًا:

«يبدو أنه تعافى جيِّدًا من هذا الانقِسام المأساوي والعنيف داخِل نفسه. ويبدو أنه يعمَل الآن على ما يبدو كقطعةٍ واحدةٍ موجِّهًا مشاعِره نحو التعبير اللفظي، والعمل، والرياضة، وعدم السماح بالتراكُم العُصابي مع نفسه. وبما أن ذلك قد يسمَح له بمزيدٍ من الحُرِّية كشخصٍ بالغٍ لتطوير إمكانياته، فإنني أرى أنه من المعقول أن تُشطَب سجلَّاته في مرحلة الأحداث بشكلٍ دائِم. وأنا سعيد لأنه «تخلَّى» مؤخَّرًا عن درَّاجته النارية، وأتمنَّى أن «يهجرها» بشكلٍ دائِم لأن هذا بدا تهديدًا لحياته وصحَّته أكثر من أي تهديد يُمثِّله حاليًّا لأي شخصٍ آخر».

وبدلًا من فحص رأس «كِمبر» وشخصيَّته، توجَّب على الأطِبَّاء النفسيين النظر في صندوق سيَّارته المتوقِّفة في موقَف سياراتهم.

وفي 29 نوفمبر 1972، شُطِبَ سجل أحداث «كِمبر» بشكلٍ دائِم؛ حتى يتمكَّن من مواصلة حياته كما ضغطَت «كلارنيل». وفي هذه الأثناء، عاد إلى المنزِل معها، لأنه لم يكُن قادِرًا على العمل بعد الإصابة.

وفي 8 يناير 1973، أقلَّ الطالِبة الجامعيّة «سيندي شال»[(CCVII)]. وأطلَق النار على رأسها، ثُم عاد بجُثَّتها إلى منزِل والِدته. وفي غفلةٍ منها، دسَّ جُثة «شال» في خزانة غُرفة نومِه، وخلد للنوم. وفي الصباح، عندما ذهبَت والِدته إلى العمل، أخد الجُثّة معه إلى السرير، ومارَس الجنس معها. وبعد ذلِك، وَضَع الجُثّة في حوض استحمام والِدته، وفرَّغها من الدماء، وقطَّعها إلى قطع، ووضعها في أكياسٍ بلاستيكيَّة، وألقى بها من فوق مُنحدَر. واحتفظ برأسها لعدّة أيام، وغالبًا ما مارَس الجنس معها. وبعد ذلِك، دَفَن «كِمبر» رأسها في فِناء منزِل والِدته، ووجهها نحو نافِذة غُرفة نوم والِدته، لأنها لطالما أرادَت أن «يتطلَّع الناس إليها».

صدرَت تحذيرات للطُّلَّاب في «سانتا كروز» بعدم قبول توصيلاتٍ من الغُرباء. وأمَدَّته والِدته بمُلصقٍ جامعيٍّ لسيَّارته حتى يتمكَّن من دخول الحرم الجامعي بسهولةٍ ليُقِلَّها من العمل. ومدَّ هذا المُلصق النساء بشعورٍ بالأمان عندما عَرَض عليهنّ توصيلهن.

وفي 5 فبراير 1973، أطلَق النار على امرأتَين أخريَين، وهُما «روزاليند ثورب»، البالِغة من العُمر ثلاثة وعشرين عامًا، و«أليسون ليو»، البالِغة من العُمر عشرين عامًا، وأعادهما إلى منزِل والِدته. وقطع رأس إحدى المرأتَين، ووضعه في صندوق سيَّارته، وعندما ذهبَت والِدته إلى الفراش، حَمَل الجُثَّة مقطوعة الرأس إلى غُرفته، ونام معها في سريره. ووضَّح «كِمبر» قائِلًا: «كانت تخيُّلات تعثُّر الرأس تُشبِه الغنيمة إلى حدٍّ ما. فكما تعلمون، الرأس هو مكان كُلِّ شيء، كالمُخ، والعينَين، والفم. وهذا ما يُمثِّل الشخص. أتذكَّر أنه قيل لي في طفولتي، إن الجسد يموت، إن قُطِعَ الرأس. وأن الجسد لا شيء يُذكَر بعد قطع الرأس، وهذا ليس صحيحًا تمامًا. ففي حالة الفتيات، يتبقى الكثير من جسد الفتاة دون الرأس. لكِن بالطبع، تختفي الشخصيَّة»(CCVIII).

قتل الأم

في عطلة عيد الفصح، يوم 20 أبريل 1973، قرَّر «كِمبر» أخيرًا مواجهة عدوِّه الأزلي.

وفي الساعة 5:15 صباحًا، دَخَل إلى غُرفة نوم والِدته أثناء نومِها، وضرب رأسها بمطرقةٍ مخلبيّة. ثُم أدارها ونحَر عُنقها. وقال إنه عندما قَتَل والِدته، صُدِم بمدى ضعفها وإنسانيَّتها، لأنها ماتَت.. تمامًا مثل ضحاياه الآخرين. وقال إنه قبل ذلِك اعتاد النظر إلى والِدته على أنها نذير شؤم، وشرِسة، وذات بأس، وسواء كرهها أو أحبَّها، فلطالما تمتَّعت بتأثيرٍ كبيرٍ في حياته. وعندما قتلها، غمره الارتياح. ثُم قرَّر «كِمبر» بعد ذلِك: «ما هو جيّد لضحاياي، جيّد لوالِدتي». فقطَع رأسها، واغتصب جُثّتها المقطوعة الرأس. قبل أن يُزيل حنجرتها، ويضعها في حوض تصريف القمامة. وقال لاحِقًا للشرطة: «بدا الأمر مُناسِبًا بقدر ما تذمَّرَت، وصَرَخت في وجهي، على مدار سنوات عديدة». وعندما شغَّل حوض تصريف القمامة، تعطَّل، رافضًا حنجرة والِدته، فتابع قائِلًا بمرارة: «حتى بعد وفاتها، كانت لا تزال تُضايقني، لم أستطِع جعلها تصمت».

اتصل «كِمبر» بعد ذلِك بصديقتها المُقرَّبة، «سالي هاليت»، ودعاها لحفل عشاء «مُفاجئ» عند والِدته. ثُم لكمَها، وخنقها، وقطع رأسها، ووضعها في سريره. قبل أن يقضي ليلته نائِمًا في سرير والِدته.

ثُم قاد سيَّارته إلى «كولورادو»، ومن هُناك، اتصل بشرطة «سانتا كروز» ليُبلِّغ عن مقتل والِدته وصديقتها. وانتظر الشُّرطة المحليَّة لتُقله من كُشك الهاتِف. لقد عالَج «كِمبر» نفسه، مُدرِكًا أن والِدته هي من أراد قتلَها في المقام الأول، والآن.. بعد أن فعلها، انتهى كُل شيء.

وبعد سنوات، أصبح «كِمبر» من بين أوائِل القتلة المُتسلسِلين الذين زارهم «صائِدو الأفكار» من مكتب التحقيقات الفيدرالي، كما كان موضوعًا للعديد من المُقابلات التلفزيونيّة، واستعاد سُمعةً سيّئةً جديدة من خلال المُسلسل الذي عُرِضَ مؤخرًا على «نِتفلكس».

«آرثر شاوكروس» الشهير بـ «قاتِل نهر جينيسي» الجُزء الثاني في «ووترتاون» بـ «نيويورك» في الفترة بين 1972 – 1989

تنحدِر «ماري أجنيس بليك» من «ووترتاوِن» بـ «نيويورك»، من سلالةٍ طويلةٍ من الفُقراء، والكادحين، وأصحاب الحظ العثِر من «أهل الريف الشمالي». فقد رُزِقَت بزوجٍ مُدمنٍ على الكحول، وتسعة أطفال. وعاشوا جميعًا في منزِلٍ يقع خلف الطريق في 525 شارِع ووتر، مُقابِلَ النهر الأسود في «ووترتاوِن»، بالقُرب من مصنَع ماكينات مصنَع «بلاك كلوسون» الضخم للورق في شارِع «بيرل».

وكَتَب «جاك أولسُن» في كِتابه القضائي «الابن البائِس» عن قضية «شاوكروس» أن ماري اعتادَت إدارة صالون للفُقراء، وكانَت تُدعى «ما» منذ أوائِل العشرينيات من عُمرها[CCIX].

وتميَّز طِفلها السابع، «جاك»، بشعره الأشقر ونمشِه، وأنفه الضخم، وأذنَيه الكبيرتَين، وبدا مُتعلِّقًا للغاية بوالِدته وقطَّته البيضاء الأليفة. ولم يكُن يخرُج للعب دون أن يُعانِق «ماري» أولًا، ويُخبِرها أنه يُحبُّها. كما كان طيِّب الطِّباع، وعندما كان في العاشِرة من عُمره، اعتنى بشقيقه الصغير، «بيت»، وشقيقته الصغيرة، «بام». ومثل العديد من الأولاد الذين نشئوا في المنطِقة، اعتاد التجوُّل في الغابات، ومُستنقعات الأنهار، والصيد بمُفرده، أو مع شقيقه الصغير.

«صيَّاد السمك»

في أحد أيام ربيع عام 1972، وأثناء تجوُّلهما، صادَف «جاك» و«بيت الصغير» صيادًا يصطاد السمك بالقُرب من جِسر شارِع «اللؤلؤة» فوق النهر الأسود على مقربةٍ من منزلهما. وصادقا الرجُل الودود، الذي كان في مُنتصف العشرينيات من عُمره، ويُدعى «آرت»، وأصبحا مُعتادَين على رؤيته يصطاد على طول النهر الأسود. وفي أواخِر شهر أبريل، عاد «جاك» إلى المنزِل، وأخبر والِدته أن شخصًا غريبًا يُدعى «آرت» اصطحبه هو و«بيت» للصيد. ومنعَت «ماري» ابنَيها على الفور من الذهاب مع «صيَّاد السمك» مرَّة أخرى، وبعد أيام قليلة، ظَهَر الغريب على باب منزلهم، طالبًا من ماري وزوجِها الإذن باصطحاب جاك للصيد معه. كان هُناك شيء مُخيف بشأنه، وعندما سأل والِد «جاك» عمَّا إذا كان «يُمانِع» في اصطحابه لـ «جاك» للصيد، أجابه الأب: «نعم، أُمانِع. لا تأخُذ أولادي إلى أي مكان، فأنا لا أعرفك». وحذَّرهُما والِدهما بضرورة الابتعاد عن «صيَّاد السمك».

وفي وقتٍ لاحقٍ من ذلِك الأسبوع، رآه «جاك» و«بيت» يمشي على جسر شارِع «بيرل» بالقُرب من منزلهما حامِلًا صنَّارته. ودعاهُما من فوره للذهاب معه للصيد. وعندما أخبره «جاك» أن والِدَيهما قد منعاهُما من الذهاب معه إلى أي مكان، أخبرهُما أنه «سيُصلِّح الأمور» معهُما بعد عودتهم. وهكذا غادَر الولدان مع «آرت». وعَرَفوا أنه يعيش على بُعد بضعة مبانٍ شمال شارِع «ووتر» في شُقق «كلوفرديل»، ودعاهم لزيارته هُناك في أي وقتٍ يحلو لهما. ولاحظ «بيت» أن «آرت» يولي اهتمامًا خاصًّا بشقيقه الأكبر «جاك»، وغالبًا ما يوجِّه حديثه إليه، ويمد يدَه ليمسَح على شعره الأشقر. تجوَّلا معه في أماكِن مُختلفة للصيد، قبل أن يتوقَّفوا عند حُفرة حصى، حيث أشعَل نارًا صغيرة، وطهي لحمَ الخنزير المُقدَّد في ورق القصدير. وأخبرهُما أنه تعلَّم الطهي عندما كان جُنديًّا في «فيتنام»، وأنه قد قتل العديد من المُتسلِّلين هُناك، قبل أن يكتشِف أنهُنّ فتيات

صغيرات. ثُم أخرَج صورةً لامرأةٍ عاريةٍ، عرضها عليهما، وعلّق قائِلًا: «تتمتَّع بثديَين جميلَين». قبل أن يُخبِرهُما كيف «نال» من زوجته، وكيف يُحِب أن يجعلها تئِنّ، وهو الأمر الذي أضحَك «جاك»، وفقًا لـ «بيت الصغير».

أمضوا عدّة ساعات معًا، قبل أن يقترِح «آرت» أن يذهبوا إلى جدولٍ بالقُرب من المحجَر ليُجرِّبوا حظَّهُم هُناك. وأثناء التنزُّه على طول الحافَّة، انتهى الأمر بـ «جاك» يسبق «شاوكروس» و«بيت»، وفي لحظةٍ ما، صَرَخ «آرت» على «جاك» أن ينتظرهُما. وعندما لم يفعل ذلِك، استشاط «آرت» غضبًا فجأة، وأمسك «بيت» من ذراعِه، وعلَّقه على حافَة مُنحدر يبلُغ ارتفاعه عشرين قدمًا في المحجر. وعندما عاد «جاك» إليهما، أعاد «آرت» شقيقه للوقوف على قدمَيه، وضَحِك كما لو أن الأمر برمَّته ليس سوى مزحة. وانطلق الصبيَّان مُسرِعَين إلى المنزِل، ولم يُخبِرا والِدتهما عن لقائهما مع «آرت» صيَّاد السمك.

بعد حوالي أسبوع، وفي يوم الأحد الموافِق 7 مايو 1972، كان من المُقرَّر أن يذهب الأولاد للصيد مع والِدهما، ولكِن كما هو الحال دومًا، ثَمِل الأب بحلول الظهيرة، وأُلغِيَت النُّزهة. شعرَت ماري بالأسف على الطفلَين، فأعطَت «جاك» دولارًا ليذهب لشراء طعام قطَّته الأليفة، وأخبرتهما أن بإمكانهما الذهاب واللعب، ولكِن عليهما العودة إلى المنزِل لتناوُل العشاء. فقد كانَت الليلة هي ليلة لعبة البينجو، وخطَّطَت لاصطحاب «جاك» معها للعب. عاد «بيت الصغير» إلى المنزِل في وقت العشاء، لكِنَّ «جاك» لم يعُد، وذهبَت «ماري» للعب البينجو بدونه. وعندما عادَت إلى المنزِل في العاشِرة مساءً، فوجئت عندما اكتشفَت أن «جاك» ما زال لم يعُد بعد. وأزعجها الأمر لأن «جاك» يخاف من الظلام، ولم يكُن ليبقى في الخارِج إلى مثل هذا الوقت المُتأخِّر. وهكذا أيقظَت «بيت»، وبدأت تسأله عن مكان شقيقه. وأخبرها أنهُما لعِبا معًا لفترة، قبل أن يُغادِر «جاك» لزيارة صديق له يسكُن في شُقق «كلوفرديل».

بحثَت «ماري» في أرجاء الحي، واتصلت بأصدِقاء «جاك»، لكِن لم يكُن له أي أثر هُناك.

وفي حوالي مُنتصف الليل، اتصلت «ماري» بالشُّرطة، وأبلغَت عن اختفاء «جاك». وتذكَّرَت في ذلِك الوقت «صيَّاد السمك» الغريب الذي يُدعى «آرت»، واهتمامه بولدَيها، وأنه يعيش في شُقق «كلوفرديل»، وأبلغَت ضابِط الشُّرطة بذلِك. لكِنها شعرَت أنه لم يُبدِ أي اهتمامٍ أو قلق مُفرِط. ومرَّة أخرى، كان هذا أمرًا مُعتادًا في «الستينيَّات» و«السبعينيّات» من القرن «العشرين»، خاصَّة عندما يُفقَد صبي صغير دون أي علاماتٍ واضِحة على حدوث اختطاف. ولم يكُن هُناك أي نصٍّ قانوني ينُص على أنه لا يُمكِن للشرطة التحقيق في اختفاء شخصٍ إلا بعد مرور 24 أو 48 ساعة، لكِنها كانَت ببساطةٍ سياسة اعتمدتْها مُختلِف الإدارات بشكلٍ تعسُّفي. وبالفعل، في كثيرٍ من الأحيان، ظهر الأطفال المفقودون في اليوم التالي، وهو ما بدا أنه يُبرِّر هذه السياسة القاسية.

قرَّرَت «ماري» الذهاب إلى شُقق «كلوفرديل»، والبحث عن «آرت» بنفسها.

وحدَّدَت مكان شقته باسم «آرثر شاوكروس».

وَصَل ضابِط شرطة على أي حالٍ لاستدعاء «شاوكروس» بشأن «جاك». وتبعته «ماري»، وواجهته عند الباب. فأخبرهم من فوره، ودون تردُّد، أنه رأى «جاك» بالفعل بعد ظهيرة اليوم، يلعب في الحديقة خلف المُجمَّع السكني مع صبيٍّ آخر، لكِنه لم يرَه بعد ذلِك. وكان ذلِك كافيًا بالنِّسبة للشُّرطي. وعندما احتجَّت ماري على أن شاوكروس كان يتسكَّع حول ابنها المفقود، أجابها الشُّرطي قائِلًا: «لا يُمكِننا اعتقال رجُل بتُهمة التسكُّع حولنا يا سيِّدتي».

ومرَّة أخرى، وكالعادة، افترضَت الشُّرطة أن «جاك»، البالِغ من العُمر عشر سنوات قد هَرَب، ولم يُجْرَ أي بحث جدِّي، أو حتى مُقابلة مع «شاوكروس». وتُرِك الأمر لـ «ماري» لتعود إلى شُقق «كلوفرديل» خلال الأيام القليلة التالية، لتتأكَّد من الأطفال الآخرين أن «جاك» كان يلعب هُناك بالفعل في ذلِك اليوم، قبل أن يُغادِر في النهاية مع «شاوكروس» عبر الغابة القريبة للذهاب للصيد. وعندما أبلغَت الشُّرطة بذلِك، تجاهلوا الأمر. ولم يُطلَق أي إنذار، وبعد بحثٍ سريع في الغابة الموجودة بالمنطِقة، لم يقوموا بأي شيء آخر. وعلَّق أحد المُحقِّقين قائِلًا: «يبدو أن الصبي لا يُريدنا أن نعثُر عليه».

وفي اليوم الخامِس من اختفاء «جاك»، نشرَت صحيفة «ووترتاون ديلي نيوز»:

«وتعليقًا على تقريرٍ قالَت فيه والِدة الصبي إن رجلًا شُوهِد وهو يقود الطفل إلى الغابة، قال المأمور «لوفتوس» بأنه «تقرير لا أساس له من الصحَّة». وقال: «لقد استجوبنا الرجُل، ولا يوجَد شيء آخر لنفعله في القصّة. لقد بذلنا قصارى جُهدنا، وفحَصْنا كُل الاحتمالات. وتحدَّثنا إلى أصدِقاء الصبي، وقيل لنا إنه غادَر المنطِقة»[(CCX)].

وهكذا انتهى الأمر. ولم يقُم أي أحدٍ بأي شيءٍ آخر.

في ذلِك الصيف من عام 1972، وبينما لا يزال «جاك بليك» مفقودًا، اشتكى «شاوكروس» لضابِط المُراقبة الخاص به من مشاكِله الزوجيّة والضغوط النفسيّة التي يُعاني منها. وأُرسِل لإجراء تقييم نفسي. ووَرَد في التقرير أن «شاوكروس» قد أظهَر «نموًّا أخلاقيًّا واجتماعيًّا معيبًا»، وأنه «عندما ينزعِج، يتصرَّف بتهوُّر، ويصِف نفسه بأنه لطالما شعر بأنه يجِب كسر القواعِد، واعتاد فعل كُل ما في وسعه لكسر القواعِد في المنزِل في طفولته، وفي المدرسة، ولطالما كان مزاج والِدته سيّئًا طوال الوقت». ووصفها «شاوكروس» بأنها «مُتسلِّطة»، وتستهزئ به وبوالِده.

وحَصَل «شاوكروس» على دراجةٍ جديدةٍ ذات عشر سُرعات، ليتجوَّل بها في رحلات الصيد: وهي دراجة بيضاء جميلة برفارِف مُميَّزة ذات لون بُني.

وفي هذه الأثناء، تساءلت زوجة «شاوكروس» الثانية، السابِقة، وهي تقرأ قصّة الطفل المفقود في الصُّحف، عمَّا إذا كانَت شرطة «ووترتاون» على علمٍ بأن زوجها السابِق قد قتل طفلًا في «فيتنام» وفقًا لاعترافه لها. وفكَّرت في سلوكه اللاعقلاني، ونوبات غضبه العنيفة التي بلغت ذروتَها بضربها، مما أدَّى إلى إجهاضها، وقصصه الوحشيّة في «فيتنام»، وفكَّرت في الاتصال بالشُّرطة، لكِنها في النهاية لم تفعل.

«لا بُد أنني فعلتها»

عاشَت «هيلين هيل»، وهي أم مُطلَّقة لأربعة أطفال، في «روتشستر». وواعدَت رجلًا من «ووترتاون»، والذي دعاها لزيارة أخته غير الشقيقة وزوجها معه في «ووترتاون» في عُطلة نهاية الأسبوع الطويلة في عيد العُمَّال. وفي اللحظة الأخيرة، توسَّلَت ابنتها «كارين»، وهي طفلة شقراء تبلُغ من العُمر ثماني سنوات، إلى «هيلين» أن تصطحبها معها إلى «ووترتاون».

كان «جاك» مفقودًا منذ أربعة أشهُر، عندما وصلَت «هيلين» و«كارين» ليلة الجُمعة إلى «ووترتاون» للزيارة. وعاشَت الأُخت غير الشقيقة لصديقِها في 503 شارِع بيرل، على بُعد بضع مئات من الأقدام من المكان الذي عاش فيه «جاك» في شارِع «ووترتاون»، ومن جسر شارِع «بيرل»، حيث التقى «جاك» بـ «شاوكروس» لأول مرَّة.

كان يوم السبت 2 سبتمبر يومًا جميلًا دافِئًا. ألبَسَت فيه «هيلين» ابنتها قميصًا، وسروالًا قصيرًا بالألوان الأحمر والأبيَض والأزرق، مُتناسِقًا مع ملابِس عيد العُمَّال، وأعدَّت نفسها لمُقابلة أقارِب صديقها الجديد في وقتٍ لاحقٍ من ذلِك اليوم. وبعد ظُهر ذلِك اليوم، تلهَّفَت «كارين» للعب في الخارِج، وسمحَت لها «هيلين» بالخروج إلى الفِناء، مُحذِّرةً إياها من الابتعاد كثيرًا. وبعد الاطمئنان على ابنتها عدَّة مرَّات، للتأكُّد من بقائها بالقُرب من المنزِل، واللعب مع أرنبٍ أليف في الفِناء، ذهبَت «هيلين» لتغسِل شعرها. كان هذا في عام 1972، وكانَت «ووترتاون» بلدة صغيرة مُسالِمة، ولم يشعُر الناس فيها بشكلٍ عام بالخوف الشديد من اختطاف الأطفال أو من القتلة المُتسلسِلين «لم تكُن الكلِمة موجودة حتى في الاستخدام العام». ورغم أن «هيلين» أدرَكَت أن ابنتها «كارين» مالَت في بعض الأحيان لعدم الطاعة، ولَميلها للتجوُّل بعيدًا بجرأة، إلا أنها كانَت في منزلها في «روتشستر» تذهب إلى المدرسة بنفسها سيرًا على الأقدام، وتمكَّنَت من إيجاد طريقها إلى المنزِل. كما أن «هيلين» لم تكُن تُدرِك أنه على بُعد بضع مئاتٍ من الأقدام من المنزِل في شارِع «بيرل» هُناك جسر فوق النهر.

ويتذكَّر أحد الشهود، والذي كان يقود سيّارته فوق جسر شارِع «اللؤلؤة»، حوالي الساعة الثانية ظُهرًا، أنه رأى فتاة شقراء صغيرة تتسلَّق سياجًا مُنخفِضًا بجوار الجسر، وتنزِل إلى السدِّ الحجري بحثًا عن شيءٍ ما على ما يبدو. وأشار إلى أن درَّاجة ذات عشر سُرعات، كانَت تتكئ على سور الجسر. وبعد عودته بعد عشر دقائِق، شهد الشاهِد بأنه لم يعُد يرى الفتاة، ولكِن الدراجة.. كانَت لا تزال هُناك.

بينما شهدَت أربع فتيات مُراهِقات كُنّ يعبُرن الجسر بعد بضع دقائِق، بأنهُنّ رأين رجلًا يرتدي سروالًا قصيرًا داكِنًا، وصندلًا، وقميصًا أبيَض اللون، يتسلَّق من أسفل الجسر إلى الرصيف. كانَت ساقاه العاريَتان مُبلَّلتَين، وقد ربط صنَّارة صيد بدراجةٍ بيضاء ذات عشر سُرعات، ورفارِف بُنيّة اللون.

وبعد ذلِك بوقتٍ قصير، لَمح صبيٌّ في السادِسة عشرة من عُمره، قد عبر للتو جسر شارِع «بيرل»، حامِلًا حقيبة تسوُّق مليئة بالملابِس التي اشتراها للتو، جارَه الغريب الأطوار في شُقق «كلوفرديل»، وهو يقود درَّاجته على الطريق. ونادرًا ما تحدَّث الصبيّ مع الرجُل، ولكِن لسببٍ غريب؛ أوقف الرجُل درَّاجته أمام

الشاب، وعَرَضَ عليه أن يشتري له مخروطًا من الآيس كريم. وبعد ذلِك، عَرَض عليه أن يحمِل حقيبة التسوُّق على الدراجة إلى المُجمَّع السكني.

وحتى بعد مرور ساعتَين على اختفاء «كارين» والأرنَب الأبيَض، لم تشعُر والِدتها بالقلق. لأن الطِّفلة بطبعها مُتجوِّلة، والمنطِقة تبدو مُزدحِمة بالناس، بينما بَدَت البلدة هادِئة، وودودة، ومُسالِمة. لم يتسلَّل القلق إلى قلب «هيلين» إلا بعد مرور أربع ساعات، وهُنا شعرَت بالقلق بما يكفي للاتصال بالشُّرطة. وهذه المرَّة، دَفَع البلاغ عن فتاةٍ مفقودةٍ تبلُغ من العُمر ثماني سنوات تزور بلدة أخرى الشُّرطة إلى التحرُّك السريع. وبدءوا على الفور في البحث.

سارَت والِدة «كارين» وفرق البحث ذهابًا وإيابًا عبر جسر شارِع «بيرل» عدَّة مرَّات، ولكِن لم يُعثَر على جُثّة «كارين هيل» تحت الجسر إلا بعد حلول الظلام حوالي الساعة التاسِعة مساءً. استلقَت الفتاة الصغيرة أرضًا، ووجهها للأسفل، بالقُرب من أنبوب صرف صحي من الحديد الزهر، وجسدها مُغطًّى بحجارة رصف مُسطَّحة، أُلقِيَت على جانِب الجسر. كانَت عارية من الخصر إلى الأسفل، وهُناك آثار كدمات واضحة على عُنقها. بينما أُلقيَ سروالها القصير بالألوان الأبيض والأزرق والأحمر، الذي يحمِل شعار عيد العُمّال جانِبًا، وحُشِرَت ملابسها الداخليّة الزرقاء في شق. وبدا كلاهما مُلطَّخَين بالدِّماء. يُشير الفحص الأوَّلي في تلك الليلة إلى أنها قد تعرَّضَت للكماتٍ في الوجه والبطن، وخُنِقَت بقميصها، واغتُصِبَت بشراسةٍ من المِهبل والشرج. وسُدَّ فمُها وحلقها بالطين والمادة المُخاطيّة من ضفّة النهر. وكان السبب النهائي للوفاة هو الاختناق أو انكتام النفس. كما لم يُعثَر على الأرنب الأبيَض مُطلقًا.

عند رؤية الطين والمُخاط محشورَين في فمِّ الطفلة الصغيرة، فكَّر أحد رجال الشُّرطة في مكان الحادِث على الفور في الرجُل المُرتبِط باختفاء «جاك» قبل أربعة أشهُر. ألم يُغرَّم مؤخرًا لأنه صفع طفلًا في السادِسة من عُمره، ووضع العُشب في سرواله؟ وعندما وَصَل رِجال الشُّرطة للقبض على «شاوكروس» لاستجوابه، لاحظوا أنه حاوَل بشكلٍ أخرق إخفاء درَّاجته عن طريق ربط حامِلة أطفال في الخلف. ومما زاد من شكوكهم عندما ادَّعى أنه لا يتذكَّر متى اشترى الناقِل، وربطه بدرَّاجته، لكِنه اعترف بعد استجوابه المُتكرِّر بأنه فعل ذلِك بعد ساعات قليلة من اختفاء «كارين». ومع رؤية جميع الشهود لـ «شاوكروس» على الجسر، في وقتٍ قريبٍ من وقت اختفائها، حصلَت الشُّرطة في النهاية على اعترافٍ غامضٍ بقتل الفتاة، عندما قال: «لا بُد أنني فعلتُها». ثُم بدءوا في استجوابه بشأن اختفاء «جاك».

اعترف «شاوكروس» في النهاية بقتل «جاك»، وأوشك على أن يأخُذ الشُّرطة إلى جُثته، عندما عثروا عليها في الغابة، بالقُرب من قُضبان القِطار على بُعد ميلٍ واحِد شمال شُقق «كلوفرديل». وعُثِرَ على جُثّته العارية المُتحلِّلة مُخبَّأة تحت شرائِح كبيرة من لِحاء الشجر المقشَّر. وعلى بُعد خمسةٍ وثلاثين قدمًا من الجُثّة، عثرَت الشُّرطة على قميصه، وسُترة خضراء مربوطة الذراعَين في عُقدة، وجوارِبه، وحذائه. أشارَت الدلائِل إلى أن الصبيَّ قد جُرِّد من ملابسه وهو لا يزال على قيد الحياة، لأن الملابِس لم تُلطَّخ بمواد تحلُّل الجسد. كما عثرَت الشُّرطة على أحد أسنانه المُهشَّمة أرضًا. وأشار الرماد المُتطايِر من السكة الحديد المُلتصِق بأسفل قدمَي

الصبي، إلى أنه لا بُد وأنه جُرِّد من ملابسه، وطورِد في الأدغال، وصولًا إلى قضبان السكّة الحديد، قبل أن يُجَر بطريقةٍ ساديّةٍ إلى الغابة ويُقتل. لقد كانَت مِيتةً عنيفة ومُرعِبة لطفل. تحلَّلت الجُثّة بشدّة بحيث لم يكُن من المُمكِن تحديد سبب الوفاة، أو ما إذا كان قد تعرَّض لاعتداءٍ جنسي. وتكهَّن الطبيب الشرعي بأن الوفاة كانَت على الأرجَح بسبب الاختناق أو كتم الأنفاس.

«الاضطراب العاطفي الشديد»

وستتَّسِم مُحاكمة «شاوكروس» بالفشل الذريع مثل التحقيق في القضية تمامًا. إذ لم تُختبَر عيِّنات السائِل المنوي المأخوذة من جسد «كارين» للتحقُّق من فصيلة الدم، «كان هذا لا يزال في عصر ما قبل الحِمض النووي»، وبالتالي، لم يكُن هُناك أي دليل على تطابُق فصيلة الدم مع «شاوكروس»؛ مما قد يُكوِّن «شكًّا معقولًا» في ذِهن هيئة المُحلَّفين. ناهيك عن غموض اعترافه بالطبع. وعثور الشُّرطة على جُثّة «جاك» قبل أن يُرشِدهُم إلى مكانها، وضعف الأدِلَّة التي تربِطه بمقتل الصبي. وبمُجرَّد العثور على الجُثَّة، التزم «شاوكروس» الصمت. لأنه لم تعُد هُناك أي فائِدةٍ تُرجى له في أن يقود الشُّرطة إلى الجُثَّة؛ مُقابِل تخفيف التُّهم الموجَّهة إليه. وبدون اعترافه، وفي ظلِّ وجود مثل هذه الأدِلَّة الضعيفة التي تربِطه بمقتل «جاك» في ذلِك اليوم، لم يُوجَّه أي اتهامٍ بالقتل إلى «شاوكروس». وفي فحوصه النفسيّة، بعد جرائِم قتل الأطفال، ولاحِقًا بعد القبض عليه في جريمة قتل اثنَي عشر من العاملين في مجال الجِنس في «روتشستر»، ادعى «شاوكروس» أنه رزَح تحت وطأة تجارِب ذكريات «فيتنام»، مما أكسَبه تعاطُفًا مُحتملًا باعتباره أحد المُحاربين القدامى الذين عانَوا تحت وطأة ويلات الحروب. وقال «شاوكروس» لأطِبّائه النفسيين: «لقد حوَّلَت «فيتنام» «الفتى» الريفي إلى شخصٍ مجنون، لقد عذَّبتُ الناس هُناك، وقطعتُ رأسَين، وبترتُ الكثير من الآذان. لطالما اعتدْنا قطع آذان الفيتناميين اليُسرى، ثُم ربطهم، وتجفيفهم، وقصَّ شعرهِم في تصفيفة «موهوك»، وربط عظامهم، أو أسنانهم، أو آذانهم على إحدى تلك التمائِم الصغيرة».

وأصبَحَت مزاعِمه عن حرب «فيتنام» أكثر جنونًا مع مرور الوقت. وفي بيانٍ مكتوب، ادَّعى «شاوكروس»:

«هُناك شيء لا يزال يُزعِجني بشأن «فيتنام». ولا بُد وأنه سيئ بما يكفي لأنني حتى الآن غير قادِر على التخلُّص منها. كُنتُ مع بعض الرجال الذين اختطفوا عاهِرة، ووضعوا خرطوم إطفاء الحريق بداخِلها، قبل أن يفتحوا الماء. لقد ماتَت على الفور تقريبًا. وقفز عُنقها على بُعد قدمٍ من جسدها. وفي مرَّة أخرى، أخذنا عاهِرة أخرى، وربطناها إلى شجرتَين صغيرتَين. كان لديها شفرة حلاقة داخِل مِهبلها، وهكذا قُطِعَت من شرجها إلى ذقنها. ثُم قسمتها قوّة جذب الشجرتَين إلى نصفَين. وتركوها هُناك.. مُعلَّقة بين الأشجار».

كانَت الأشياء التي وصفها «شاوكروس» مُستحيلةً من الناحيَة التشريحيَّة، مثل مياه خرطوم الإطفاء التي جعلت رأس الضحية «يقفِز على بُعد قدمٍ من جسدها» أو قطع شخصٍ إلى نصفَين بين شجرتَين صغيرتَين. وكانَت أوصافه الكارتونيَّة التي وردَت في كتابه الهزلي عن ربط خزانة ملفَّات مليئة بالذخيرة على ظهره،

والتجوُّل بمُفرده في الغابة مُسلّحًا بأسلحةٍ مُتعدِّدةٍ، وأحزِمة ذخيرة، وقنابِل يدويَّة، مثل رامبو، سخيفة بشكلٍ واضحٍ لأي شخصٍ يتمتَّع بالحدِّ الأدنى من الوعي بكيفيَّة خوض حرب «فيتنام». ومع ذلِك، صدَّق الأطِبَّاء النفسيُّون الذين يحمِلون شهادة الدكتوراه في جيوبهم، ويتمتَّعون بغباءٍ كالخزانات الخشبيَّة، القصص وما زالوا كذلِك حتى اليوم. وأثناء مُحاكمته الأولى بتُهمة القتل، شخَّص طبيبان نفسيَّان ساذَجان للغاية حالته على افتراض أنه كان يقولُ الحقيقة عن تجارِبه في «فيتنام»:

«يبدو أنه يواجِه صعوبة في التمييز بين تلك الأنشِطة التي شارَك فيها عندما خاض القِتال في «فيتنام»، وأنواع الأنشِطة المقبولة عندما يعيش بحُريّةٍ وسط المُجتمَع خارِج صفوف الجيش. وغالبًا ما يميل الشخص إلى مُقارنة أعماله الحربيّة السابِقة، وجريمتي القتل اللتَين ارتكبهما، بينما يُحاوِل التقليل من مأزقه الإجرامي الحالي بالإبلاغ عن ارتكابه لجرائِم أكثر بشاعةً خلال فترة خدمته في «فيتنام»».

لم يكُن هُناك ما يُعرَف باضطراب ما بعد الصدمة بعدُ في عام 1972، ولكِن بحلول الوقت الذي حوكِم فيه «شاوكروس» مرَّة أخرى في عام 1990، عن جرائِم القتل الاثنَي عشر التي ارتكبها في «روتشستر»، كان مُصطلح اضطراب ما بعد الصدمة في طريقه ليُصبِح مُصطلحًا مألوفًا، واستغلَّه «شاوكروس» بكُل ما أُوتيَ من قوَّة.

وفي كِتابها الأخير «من خلال عيون القتلة المُتسلسِلين: مُقابلات مع سبعة قتلة»، أجرَت الصحفيَّة الكنديَّة «نادية فزاني» مُقابلةً مع «شاوكروس»، قبل فترة وجيزة من وفاته بنوبةٍ قلبيّةٍ في السجن عام 2008. قصَّ عليها «شاوكروس» نفس حكاياته المليئة بالجنون من «فيتنام»، والتي وجدَت «فزاني» صعوبةً في استيعابها.

ولكِن في النهاية، بدا أنه حتى الصحفيَّة المُتمرِّسة «فزاني» تُصدِّق هراء «شاوكروس». فقد كتبَت: «يبدو أن السنوات التي قضاها «شاوكروس» في الجيش، قد تركَت أثرًا هائِلًا على حياته. وربما حدث ذلِك عندما خاض تجرِبته الأولى مع أكل لحوم البشر».

واقتبسَت «فزاني» في كِتابها قصَّة عن أكل لحوم البشر، رواها لها «شاوكروس»:

«إن الجُزء الأكثر رقَّةً في الجسد، هو الجُزء العلوي من فخذ شخصٍ يتراوَح عُمره بين أربعة عشر عامًا، وستَّة وعشرين عامًا. لقد سبق ورأيتُ أُنثى شابَّة تضع زُنبركًا في إحدى علب حصص إعاشتنا من نوع «سي». كانَت تصنَع قُنبلةً شخصيّة!

ربطتُ يدَيها خلفها بسلكٍ من أسلاك المواقِد، وعصبتُ عينَيها، وكمَّمتُ فمها. حملتها إلى أعلى جانِب التل داخِل الأشجار، وأوقفتها أمام شجرة ساج ضخمة «بالقُرب من الكوخ الأول، الذي ترقُد فيه المرأة الميِّتة»، لكِن المرأة لم تجفَل عندما رأتني مرَّة أخرى، ورأت جُثة المرأة. ولكِن عندما شطرتُ الجُثَّة إلى نصفَين، وقطعتُ الساق اليُمنى من الورك والركبة، أصيبَت بالصدمة. لقد راقبَت كُل تحرُّكاتي أيضًا. حملتُ الجُثّة غير المرغوب فيها إلى جانِب كثيب نملٍ كبير، ونقرتُ على الحافة الخارجيَّة للتل، فخرج النمل بسُرعة، وغطى الجُثّة، وبدأ بتمزيقها إربًا. وعندما عدتُ، وحفرتُ حفرة ضحلة في التُّراب، وضعتُ فيها كُرة بحجم عُملة معدنيَّة من المُتفجِّرات البلاستيكيَّة من نوع «سي فور»، وأشعلتها بسيجارة. احترقَت كشمسٍ صغيرة،

ساخِنة ومُشرِقة للغاية. أضفتُ العِصِيَّ وقطع الخشب الكبيرة. ثُم قطعتُ بعض الخيزران، وغرستُ عمودَين في الأرض على جانبي النار. وصنعتُ عارِضة، وكُنت على أُهبة الاستعداد. سلختُ الجلد عن الساق، «التي كان عرضها حوالي أربع بوصات»، ثُم أزلتُ الأوتار والعروق الكبيرة، وصببتُ الماء ومسحوق الملح الصخري فوقها.

قبل أن أضعها فوق اللهب، حتى نضجَت إلى حدٍّ ما مثل الشواء. اقتربتُ من المرأة، وطرحتُ عليها بعض الأسئِلة، فنظرَت إليَّ فحسب. وعَرَفتُ أنها تفهمني من الطريقة التي حرَّكَت بها عينَيها. وعندما عدتُ، والتقطتُ اللحم، قضمتُ قطعةً منه، وبدأتُ في مضغها. تبوَّلَت على نفسها، قبل أن يُغمى عليها»[(CCXI)].

وعندما قدَّم «شاوكروس» لأول مرَّة ادِّعاءاته المُتعلِّقة بشأن حرب «فيتنام»، استفسروا عن خدمته العسكريَّة، وهي معلومات موجودة في السجلَّات العامَّة. وجاء رد الجيش، أنه بالنِّسبة للجُندي «آرثر شاوكروس»، الذي يحمِل الرقم التسلسُلي 52967041، في فرقة المُشاة الرابِعة، والمُعيَّن ضِمن صفوف سرية الإمداد والنقل في «بليكو»، ليس هُناك أي سجلات تُشير إلى أنه شهد أي قِتال، أو أُصيب بجروحٍ كما ادَّعى أثناء وجوده في «فيتنام». بل عمل في مستودَع إمدادٍ مُكيَّف الهواء في قاعدة الجيش الحصينة في «بليكو»، ورُبما كان أقرَب ما وَصَل إليه «شاوكروس» من قِتالٍ على الإطلاق، هو الاختباء في ملجأ عندما قذف الـ «فيتكونج» قذيفة هاون عشوائيّة، من حينٍ لآخرٍ على القاعِدة. بينما كانَت الغابة الوحيدة التي رآها «شاوكروس»، على صفحات مجلّة «ناشيونال جيوغرافيك» أو في فيلم «جون واين» عن حرب فيتنام «القُبَّعات الخضراء»، أو في الحكايات المروِّعة عن الحرب التي خاضها والِده في المُحيط الهادئ، والتي رواها له، وصوِّرَت بشكلٍ مُبهرجٍ في مجلات مُغامرات الرِّجال التي نشأ عليها.

ولجأت «فزاني» للحصول على المشورة إلى أحد الأطِبَّاء النفسيين الذي قيَّموا «شاوكروس» أثناء مُحاكمته لاحِقًا في «روتشستر» في سلسِلة جرائِمه الثانية، وهي الدكتورة «دوروثي أوتناو لويس»، خريجة جامِعة «رادكليف»، وكُلية الطِّب بجامعة «ييل»، وأُستاذة الطِّب النفسي في جامعتي «ييل» و«نيويورك»، ومؤلِّفة كِتاب «مُذنب بسبب الجنون». وأجرَت «لويس» تقييمات، وأدلَت بشهادتها لصالِح الدِّفاع في العديد من القضايا الجنائيّة البارِزة، بما في ذلِك «مارك ديفيد تشابمان»، الذي قتل «جون لينون»، والقتلة المُتسلسِلون «جويل ريفين»، و«جوزيف بول فرانكلين»، و«تِد بندي»، وقنَّاص «واشنطن بيلتواي» «جون آلن محمد»، و«آرثر شاوكروس». وعندما زارَت «تِد بندي» قبل أيام قليلة من إعدامه، ردَّت «لويس» قُبلته على خدِّها بقُبلةٍ وعناقٍ خاصٍّ لمُجامِع الموتى الذي اعترف بقتل ما لا يقِل عن ثلاثين امرأة. وستُخبِر «لويس» الصحفي «مالكولم جلادويل» أنها لا تعتقِد أن القتلة المُتسلسِلين أشرار: «في رأيي، ينمُّ الشر عن سيطرةٍ واعيةٍ على شيءٍ ما. والقتلة المُتسلسِلون ليسوا من هذه الفِئة. لأنهم مدفوعون بقوًى خارِجة عن سيطرتهم»[(CCXII)].

وأصرَّت «لويس» على أن «شاوكروس» عانى حقًّا من اضطراب ما بعد الصدمة جرَّاء قِتاله في «فيتنام»، بل وأكثر من ذلِك بكثير. وزعمَت أن هُناك شيئًا مُريبًا بشأن بيان الجيش بأنه لا توجَد سجلَّات تُشير إلى أنه قد شهد قتالًا في أي وقتٍ مضى. وقالَت «فزاني»:

«من الغريب أنه لا يُمكِن العثور على/ الحصول على العديد من سجلّات «شاوكروس»، ولكِننا نعلَم أننا قد شَهِدنا وارتكبنا أعمالًا مروّعة خلال حرب «فيتنام». لا تتسرَّعوا في رفض قصصه. فهذه القصص بالتحديد لم تتغيَّر على مرِّ السنين. كما أننا لا نعرِف طبيعة التدريب الذي تلقَّاه، ولكِن بعد الحرب العالميَّة الثانيَة، صمَّم الجيش على جعل جنوده أقل حساسية، وبالتالي أقل تردُّدًا في القتل[(CCXIII)].

وبالطبع، نعرِف «طبيعة التدريب» الذي تلقَّاه «شاوكروس». فبعد التدريب الأساسي الذي يتلقَّاه كُل جُندي، يُدرَّب كمُتخصِّصٍ في الإمداد والتموين في «فورت بينينج» بـ «جورجيا»، قبل أن يُعيَّن في مستودع إمداد آمِن في «فيتنام»»[(CCXIV)].

وفي كِتابها نفسه، المُصاغ في نثرٍ تآمُريٍّ من التلميحات التي تُثير الأسئِلة دون تقديم أي إجابات، ادَّعت الطبيبة النفسيّة «الخبيرة» في الدِفاع أن «التقارير المُستندة إلى وثائِق وكالة الاستخبارات المركزيَّة تُشير إلى أنه خلال تلك الفترة، استُخدِمَ السُّجناء المدنيون والعسكريون، وكذلِك المواطنون العاديون في هذه التجارِب على العقل والمُخ». وصحيح أن وكالة المُخابرات المركزيَّة الأمريكيَّة أجرَت تجارِب على العقل والمُخ، ولكِن «لويس» تتبَّعت ذلِك بسلسلةٍ غريبةٍ من قفزات «أليس في بلاد العجائِب» المنطقيّة لتُشير إلى أن «شاوكروس» رُبما كان أحد الخاضعين لتلك التجارِب، وأن المُدعي العام قد يكون على صلةٍ بشخصٍ يُدير منزِلًا آمنًا لاختبار المُخدِّرات للتحكُّم في العقل الذي أجرته وكالة المُخابرات المركزيّة في ولاية «نيويورك». وكتبت عن ذلِك نثرًا مشوبًا بجنون العظمة:

«عندما حاولتُ الحصول على سجلَّات السيِّد «شاوكروس» في الجيش، قيل لي إن مُعظمها، والتي كانَت من حقبة «فيتنام»، في عداد المفقودة، بعد أن احترقَت. ولسوء الحظ، لم يستطِع السيِّد «شاوكروس» أن يتذكَّر أي شيءٍ تقريبًا عن تجارِبه العسكريّة باستثناء اسم «ويستمورلاند». وكان الأمر وكأن ذاكِرته قد مُحِيَت. باستثناء بعض الذكريات الجامِحة عن ذبح النساء في «فيتنام»، وطهي، وأكل أجزاء من أجسادهن. لكِنّ أحدًا لم يُصدِّقه. ورَفَضَ المُدعي العام، الذي حارَب الدفاع بحجّة ادِّعاء الجنون، هذه الذكريات الغريبة باعتبارها هذيان رجُل عاقِل. ومنذ ذلِك الحين، رأيتُ قاتِلَين مُتسلسِلَين آخرَين يُعانيان من ضعفٍ مُماثِلٍ في الذاكِرة خلال سنواتهم في «فيتنام». أحدُهم لم يملِك في جَعبته سوى ذكريات جامِحة وبشِعة – وأضغاث أحلام لا يُصدِّقها أحد. كما دُمِّرَت سجلاتهما في الجيش. وفي فحصي لـ «شاوكروس»، هل عثرتُ على شيءٍ لم تكُن القوى العُظمى مُتحمِّسة للكشف عنه؟ وهل هذا هو السبب الذي جعلني أبدو غير كفؤة إلى هذا الحد، ووضعني في موقفٍ حرج؟ الشيء المُضحِك.. أنه وفقًا لسجلات وكالة الاستخبارات المركزيَّة، أدار رجُل يحمِل اسم المُدعي العام، وهو اسم غير شائِع، منزلًا آمنًا في ولاية «نيويورك» في «الستينيَّات»، حيث أجرَت وكالة الاستخبارات المركزيّة تجارِب على السيطرة على العقل. قد يكون الأمر بالطبع محض مُصادفة، ولكِن لا يسعني إلا أن أتساءل عمَّا إن كان المُدعي العام، ومُشغِّل المنزِل الآمن مُرتبِطَين بعضهما ببعض»[(CCXV)].

وكان اسم المُدعي العام في مُقاطعة «مونرو» بـ «نيويورك» الذي قاد القضية ضِد «شاوكروس»، الذي أشارَت له «لويس»، هو «تشارلز جي. سيراجوسا»، وهو ليس لقبًا إيطاليًّا نادرًا بشكلٍ استثنائي. وهو

قاضي مُقاطعة فيدرالي اليوم. وقد عمل كُل من جدّه المُهاجِر الإيطالي، ووالِده المُهاجِر الإيطالي، طوال حياتهما في شركة «برودنشال للتأمين» في «روتشستر»[CCXVI].

واتُّهِمَ «تشارلز سيراجوسا» الذي لا تربطه أي علاقة معروفة بالمُدعي العام بالفعل في «السبعينيّات» بإدارة منزِل آمِن تابِع لوكالة المُخابرات المركزيَّة. قد عَمل «تشارلز سيراجوسا» هذا في المكتب الفيدرالي للمُخدِّرات «سلَف وكالة مُكافحة المُخدِّرات» في الفترة بين 1935 – 1963، وترقى إلى رُتبة نائِب مفوَّض. وفي عام 1977، مثل كشاهدٍ أمام لجنة الاستماع الفرعيَّة التابِعة لمجلس الشيوخ المُعيَّنة بشأن اختبار المُخدِّرات على البشر الذي قامَت به وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة، حيث سأله السيناتور «تِد كينيدي»، عمَّا إن كان قد أنشأ منزلًا آمِنًا في قرية «جرينتش» لتُجري فيه وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة تجارِب المُخدِّرات للسيطرة على العقل. وأجاب «سيراجوسا» أن مكتب مُكافحة المُخدِّرات في «نيويورك»، ووكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة، أدارا بشكلٍ مُشتركٍ منزلًا آمِنًا في الشارِع 13، قبالة الجادة السادِسة، «لاستجواب المُخبرين، وإدارة العمليات السريَّة»، لكِنه نفى علمَه بأي تجارِب مُخدِّرات قد أُجرِيَت هُناك[CCXVII].

ولا تكمُن المُشكِلة هُنا في صحَّة شهادة «سيراجوسا»، بل في منطِق وجودة «خبرة» الدكتورة «لويس» في تقييم سفَّاح مثل «آرثر شاوكروس». ورُبما لهذا السبب، كما اشتكت في كِتابها، في أنها «ظهرَت بمظهرٍ غير كُفء للغاية، وكانَت في موقفٍ حَرِج». وبوجود «خبرة» كهذه، هذا هو السبب أيضًا في أنَّ هيئات المُحلَّفين بدأت في رفض الْتماسات الادِّعاء بجنون القتلة المُتسلسِلين، حتى في قضايا مثل قضيَّتي «فرايزر» و«مولين»، رغم حقيقة أنهُما كانا متوهِّمَين إلى حدِّ الجنون القانوني.

ومن الواضِح أن إحدى الاضطرابات النفسيَّة التي عانى «شاوكروس» منها، هي مُتلازِمة «مونشهاوزِن»، وهو اضطراب يتظاهَر فيه المُصابون بالمَرَض، أو التعب، أو الصدمة النفسيَّة للفت الانتباه، أو التعاطُف، أو الطمأنينة لأنفُسهم. كما تُعرَف أيضًا باسم مُتلازِمة إدمان المُستشفيات أو مُتلازِمة المُخطَّط السميك، أو مُتلازِمة مُرتاد المُستشفى. وكان «كارل فريدريش هيرونيموس فون مونشهاوزِن» بارونًا ألمانيًّا من القرن الثامِن عشر، وضابِطًا مُرتزقًا في سلاح الفرسان الروسي. ولدى عودته من الحروب الروسيّة التُّركيّة، اعتاد البارون تسلية أصدِقائه وجيرانه بقصصٍ عن مآثِره العديدة. وبمرور الوقت، أصبحت قصصه أكثر توسُّعًا، حتى أصبَحَت في النهاية غريبة تمامًا. واشتهر «مونشهاوزِن» إلى حدٍّ ما بعد نشر مجموعة من حكاياته. وبعد مرور قرن تقريبًا، اكتسب نمط سلوكي غير عادي بين الشباب، اعترافًا في كِتابات طبيب الأعصاب الرائِد في القرن «التاسِع عشر» «جان مارتِن شاركو». ففي عام 1877، وصف البالِغين الذين حاولوا الحصول على العِلاج في المُستشفى، من خلال الإصابات التي ألحقوها بأنفُسهم، أو وثائِق طبيّة مُزيَّفة. وفي عام 1951، صاغ الطبيب النفسي «ريتشارد آشر» هذا الاضطراب باسم مُتلازمة «مونشهاوزِن»[CCXVIII].

وبين بعض القتلة المُتسلسِلين، ومُعظمهم من الإناث، مثل الأمَّهات اللاتي يقتُلن أطفالهن، أو المُمرِّضات، وجليسات الأطفال، ومُقدِّمات الرعاية اللاتي يقتلنَ المرضى، أو الأطفال، أو كِبار السِّن الذين تحت

رعايتهن، وجذب الانتباه والتعاطُف من خلال قتل الآخرين من حولهم، ويُعرَف ذلِك بمُتلازمة «مونشهاوزِن» بالوكالة. أما «شاوكروس» فقد عانى من مُتلازمة «مونشهاوزِن» العادية، ليس فقط في حكاياته الطويلة عن القِتال في «فيتنام»، ولكِن أيضًا خلال طفولته عندما عانى من نوبات شلَلٍ غير مُفسَّرة، ونوبات صرع مُختلِفة لم تُشخَّص قط.

أما عن مدى ارتباط ذلِك باضطرابه النفسي القاتِل.. فهذه قضية أخرى تمامًا.

وأدَّى عدم كفاءة الشُّرطة، والطبيب الشرعي، والمُدعي العام، ومجموعة من أطِبَّاء الدِفاع النفسيين، والمُحامي الذكي إلى حصول «آرثر شاوكروس» على صفقة. وفي أكتوبر 1972، أي بعد شهر من مقتل «كارين هيل»، أقرَّ «شاوكروس» بالذنب في تُهمتَي قتل غير مُتعمَّد من الدرجة الأولى، والتي تضمَّنَت الإقرار بالذنب في وفاة «جاك بليك» حتى تتمكَّن السُّلطات من إغلاق القضية المُتعلِّقة بقتله. وبرَّر المُدعي العام في ولاية «نيويورك» تخفيض التُّهم إلى القتل غير العمد مُستشهِدًا بـ «الاضطراب العاطفي الشديد الذي عانى منه شاوكروس»، ومُتغاضيًا عن العناصِر الجنسيَّة في وفاة «جاك» الصغير، وكانَت القصَّة التي سُجِّلَت في رواية «شاوكروس»:

«لقد تبعني «جاك بليك» على بُعد مائتي ياردة تقريبًا، وسرتُ على السكّة الحديد لأرى ما إن كُنت سأُفلِت منه، لكِنه استمرَّ في التقدُّم على السكّة، وهكذا تراجعتُ إلى الغابة. لكِنه تبعني وجاء إلى هُناك أيضًا، طلبتُ منه أن يعود إلى المنزِل، لكِنه رفض. فغضبتُ، وضربته بظهر يدي على وجهه، فاصطدم بشجرةٍ، وسقط أرضًا. اجتاحني الخوف حينها، وأضجعته على الأرض، ووضعتُ بعض اللحاء فوقَه، وهربت».

ولم تُطلَع المحكمة على مكان الملابِس، أو أن الصبيَّ قد جُرِّد من ملابسه قبل وفاته، أو مدى العُنف الذي مارسه «شاوكروس» عليه.

وفي جريمة قتل «كارين هيل»، ادَّعى «شاوكروس» أنه كان يتبوَّل تحت الجسر عندما نزلت الفتاة: «ظهرَت هذه الفتاة وأنا في حالة إطلاق سراحٍ مشروط. شعرتُ بالخوف بعد ذلِك، وفقدتُ السيطرة على الأمور، شعرتُ بالخوف وأمسكتُ بها، وفي الحقيقة.. لم أكُن أعرِف ما كُنتُ أفعله». وأصرَّ على أنه لا يتذكَّر أي شيءٍ آخر، وليس لدَيه أي فكرة عن كيفيّة اغتصاب الفتاة بهذه الطريقة.

حُكِمَ على «شاوكروس» بعقوبة السجن غير المُحدَّد لمُدَّةٍ تصِل إلى خمسة وعشرين عامًا، ولكِنه كان مؤهَّلًا من الناحية الفنيَّة للإفراج المشروط بعد عشرة أشهُر. ولم يتوقَّع أحد أن يحصُل «شاوكروس» على إفراجٍ مشروطٍ في أي وقت قريب. ونُقِلَ إلى إصلاحيّة «جرين هيفن» مُشدَّدة الحِراسة في شمال «نيويورك»، حيث انتظره مجموعة من الأطِبَّاء النفسيين في انتظاره «لعلاجه» وإخراجه من هُناك بأسرع ما يُمكِن. وفي هذه المرحلة، كانت قصّة «شاوكروس» ما زالت في بدايتها فقط. وعلى مدار الأربعة عشر عامًا التالية من السجن، ظلَّ «شاوكروس» في حالة «توقُّف عن الحياة» حتى إنه عندما أُطلق سراحه، ومضى في قتل اثني عشر ضحية أخرى، وقلَّل المُحلِّلون من عُمره بخمسة عشر عامًا.

في هذه الأثناء في «كِنساس» تحوَّل «دينيس ريدر» إلى «قاتِل بي تي كي»

نشأ «دينيس ريدر»، المهووس بصور عبودية ضحايا «هارفي جلاتمان» التي شاهدها في مجلّات المُحقّقين في الجرائِم الحقيقيّة عندما كان في الرابِعة عشرة من عُمره، على التجسُّس على جيرانه من النساء، وهو يرتدي ملابِس نسائيَّة، بما في ذلِك الملابِس الداخليَّة التي سرقها، ويستمنِي بالحِبال أو غيرها من الأربِطة حول ذراعَيه وعُنقه. قبل أن يلتقِط لاحِقًا صورًا لنفسه مُرتديًا ملابِس نسائيّة، وشعرًا مُستعارًا نسائيًّا، وقناعًا بينما ربط نفسه أو عُلِّق من عارِضةٍ خشبيَّة. واعترف بأنه تظاهر بأنه إحدى ضحاياه كجُزءٍ من خياله الجنسي.

وبعد تخرُّجه من المدرسة الثانوية، خدم «ريدر» في القوَّات الجويَّة الأمريكيَّة من 1966 إلى 1970. وتزوَّج عام 1971، وأنجب طفلَين. ودرس إدارة العدالة الجنائيّة في جامِعة ولاية «ويتشيتا»، وتخرَّج عام 1979، وحَصَل على درجة البكالوريوس أثناء عمله في مصنع «كولمان» كعامل تجميع، ثُم عمل لاحقًا كعامِل تركيب أجهِزة إنذار لدى شركة «إيه دي تي سيكيوريتي». كما كان عضوًا في مجلِس كنيسته اللوثرية، وقائِدًا لأشبال الكشَّافة. وفي نهاية المطاف، وَجَد في النهاية عملًا كضابِط إنفاذ قانون.

قَتَل «دينيس ريدر»، الشهير بقاتِل الـ «ربط – تعذيب – قتل»، كما أطلَق على نفسه، لأول مرَّة عندما كان في الثامِنة والعشرين من عُمره، وهي السِّن الإحصائية النموذجية التي يقتُل فيها القتلة المُتسلسِلون لأول مرَّة. وفي صباح يوم 15 يناير 1974، دَخَل منزِل عائِلة «أوتيرو»، أثناء إعدادهما لطفلَيهما الصغيرَين للذهاب إلى المدرسة، «جوزيف»، البالِغ من العُمر تسع سنوات، و«جوزفين»، البالِغة من العُمر أحد عشر عامًا. مُتسلِّحًا بمُسدَّس، وأجبر الأب، «جو»، على إخراج الكلب إلى الفِناء، ثُم خنق الأم، «جولي»، بحبل، وخنق الأب وابنه بأكياسٍ بلاستيكيَّة. ثُم اتَّجه لـ «جوزفين»، الهدف المقصود من نزواته الساديّة. وبعد أن سأل الفتاة عمَّا إن كان لدَى والِديها كاميرا في المنزِل، «لم يكُن لديهم أي كاميرات»، أخذها إلى الطابِق السُّفلي، وعلَّقها من رقبتها في أنبوب مياه. وبينما تدلَّت من حبل المشنقة، تختنِق ببطءٍ حتى الموت، خلع عنها ملابسها، وبدأ يُداعِبها وهي تحتضِر، واستمنى. وعثر أطفال «أوتيرو» الثلاثة الأكبر سنًّا على الجُثَث عندما عادوا إلى المنزِل من المدرسة في وقتٍ لاحقٍ بعد ظهيرة ذلِك اليوم.

كانَت جرائِم قتل عائِلة «أوتيرو» قضية وحشيَّة ومُنحرِفة للغاية. ولم تكُن شرطة «ويتشيتا» وحدَها التي لم يسبِق لها رؤية أي شيءٍ مُماثِل من الناحية الجِنائيّة؛ فقد كانت غير عادية بجميع المقاييس.

في يوم 4 أبريل 1974، أخفَق «ريدر» في تنفيذ جريمته الثانية عندما عادَت ضحيته المُستهدفة، «كاثرين برايت»، البالِغة من العُمر واحدًا وعشرين عامًا، إلى المنزِل بشكلٍ غير متوقّع مع شقيقها «كيفن»، البالِغ من العُمر تسعة عشر عامًا. وحاول «ريدر»، مُتسلِّحًا بمُسدَّس، إخضاع الضحيَّتين، لكِنهما قاوماه. أُصيب «كيفن» بطلقتَين في الرأس، لكِنه تمكَّن من الفرار إلى الشارع، وطلب المُساعدة. أُصيب «ريدر» بالذُّعر، وسرعان ما طعن «كاثرين» عدَّة طعنات، ولاذ بالفرار قبل أن تُتاح له الفُرصة لمُمارسة طقوسه الساديَّة. تُوفِّيَت «كاثرين» بعد ذلِك مُتأثِّرةً بجراحها. ووصفَت الشُّرطة الجريمة في البداية بأنها «عملية سطو تمَّت مُقاطعتها»، دون أن تربطها بجرائِم قتل «أوتيرو».

وفي أكتوبر 1974، اتصل قاتِل «بي تي كي» بصحيفة «ويتشيتا إيجل»، ووجَّههُم إلى رسالةٍ مُخبَّأةٍ بين صفحات كِتاب هندسة في مكتبة «ويتشيتا العامَّة». وَصَف فيها مقتل عائِلة «أوتيرو» بتفاصيل كافيةٍ لإقناع الشُّرطة بأن الرسالة حقيقيَّة. وستكون هذه بداية سلسِلة من الرسائِل، والقصائِد المُشفَّرة، والمُسيئة التي أرسلها إلى وسائِل الإعلام، والشُّرطة في «ويتشيتا» على مدار السنوات الخمس المُقبِلة. وفي وقتٍ لاحق، وَضَع بعض رسائِله في حُزَمٍ تحتوي على مُمتلكات الضحايا، والتي أُطلِق عليها اسم «جرامات ميدان بي تي كي». ووضعها داخِل علب حبوب الإفطار الفارِغة ««قاتِل الحبوب[13]»»، وتركها للشرطة، ووسائِل الإعلام ليعثروا عليها في مواقِع مُختلِفة في «ويتشيتا».

وفي إحدى رسائِله، كَتَب «ريدر» بقواعِد إملائيّة خاطِئة:

«ثُم شنقتُ الفتاة. ويا إلهي.. يا لها من راحةٍ جنسيّةٍ جميلة تلك التي شعرتُ بها. لقد شعرتُ بالإثارة الجامِحة عندما شنقتُ جوزفين؛ بتوسُّلها من أجل الرحمة، قبل أن يسلبها الحبل كُل إرادتها، ويحوِّلها إلى عاجزة؛ تُحدِّق في وجهي بعينَين مليئتين بالرُّعب. والحبل يزداد إحكامًا. لا أحد منكُم سيفهم هذه الأمور، لأنكم لستُم تحت تأثير العامِل «إكس»، الذي جعل «ابن سام»، و«جاك السفَّاح»، و«هارفي جلاتمان»، و«خانِق بوسطن»، و«الدكتور إتش إتش هولمز»، و«خانِق السراويل الداخليّة الضيّقة في فلوريدا»، و«خانِق التِّلال»، و«تِد من الساحِل الغربي»، والعديد من الشخصيَّات الأخرى السيِّئة السُّمعة تقتل. وهو ما لا يبدو منطقيًّا، ولكِن لا حيلةَ لنا في ذلِك. فلا عون، ولا عِلاج سوى الموت، أو أن يُقبَض علينا، ويُزَجَّ بنا في السجن. إنه كابوس فظيع ولكِن، كما ترى، لا يُجافيني النوم بسببه»[CCXIX].

وبحلول عام 1974، كان من الواضِح أن «ريدر» بات مُدرِكًا لمكانته بين أساطير وتاريخ القتلة المُتسلسِلين، دون أن يكون المُصطلح قد صِيغ بعد.

وفي 17 مارِس 1977، أثناء مُطاردة ضحيَّة أخرى، اقتحم، باندفاع، منزِل «شيرلي فيان»، البالِغة من العُمر أربعةً وعشرين عامًا، وأطفالها الثلاثة. وبعد حبس الأطفال في الحمَّام، اعتدى على «فيان» جنسيًّا، وهو يخنقها بكيس ملابِس بلاستيكي مُثبَّت حول رأسها، وخنقَها حتى الموت بينما يَطرُق أطفالها الباب، ويصرخون مُنادِين على والِدتهم. قبل أن يهرب «ريدر» عندما رنَّ جرس الهاتِف، دون أن يؤذيَ الأطفال أكثر من ذلِك.

وفي 8 ديسمبر 1977، وبعد أسابيع من مُطاردة «نانسي فوكس»، البالِغة من العُمر خمسة وعشرين عامًا، اقتحم منزِلها أثناء وجودها خارِج المنزِل، وانتظرها في الظلام حتى عادَت. ثُم انقضَّ عليها، وقيَّد يدَيها وقدمَيها وخنقها حتى الموت بحزامه، وأعاد ربط جُثتها في أحد أوضاع العبوديّة الخياليّة، واستمنى.

وعلى مدار العامَين التالِيَين، أرسَل «ريدر» رسائِل إلى الشُّرطة، ووسائِل الإعلام، يُعلِن فيها مسئوليته عن سلسِلة جرائِم القتل، مُرفِقًا بها قصائِد تسخر من ضحاياه، بعناوين مثل «الموت لنانسي» أو «أقفال شيرلي».

وفي أبريل 1979، بعد استهدافه ومُطاردته للأرملة «آنا ويليامز»، البالِغة من العُمر ثلاثة وستِّين عامًا، دخل إلى منزلها، وانتظر عودتها. لكِنها تأخَّرت قليلًا، فشعر بالإحباط، وسرق عدَّة أغراض وغادر. وفي

شهر «يونيو»، أرسَل لـ «ويليامز» رسمًا بذيئًا لما أراد فعله بها مع قصيدة شريرة بعنوان «آه يا آنا! لماذا لم تأتِي؟» وبعض الأغراض التي سرقها من داخِل منزِلها. وأرسل طردًا مُماثِلًا إلى محطّةٍ تلفزيونيّة محليّة. هرَبت «آنا ويليامز» من «ويتشيتا».

ثُم انقطع الاتصال مع «ريدر» فجأة. لم يعُد هُناك المزيد من الرسائِل، ولا المزيد من جرائِم القتل في الوقت الحالي. ونُسِيَ أمر ذلِك القاتِل المجهول بشكلٍ تدريجي.

وعندما ارتكب «ريدر» ثلاث جرائِم قتل أُخرى «على حدِّ عِلمنا» في أعوام 1985، و1986، و1991، لم يكُن لقاتِل «بي تي كي» أي صلةٍ بها. وبعد ذلِك، تقاعد «ريدر» على ما يبدو. من المُمكِن تمامًا أن يكون قد سلك طريق «جاك السفَّاح» أو «زودياك»، تاركًا وراءه سلسِلةً من جرائِم القتل الغامِضة التي لم تُحلّ. ولكِن في عام 2004، في الذكرى الثلاثين لجرائِم القتل الأولى التي ارتكبها، والتي راح ضحيتها عائِلة «أوتيرو»، بدأ «ريدر» مرَّة أخرى في التواصُل مع الشُّرطة، وإعلان مسئوليته عن جرائِم القتل التي وقعت في الفترة من 1985 إلى 1991. وأُلقيَ القبض عليه في فبراير 2005، بعد أن تتبَّعت الشُّرطة البيانات الوصفيّة الموجودة على قُرصٍ مرنٍ كان «ريدر» قد أدرجه في إحدى رسائِله إلى الشُّرطة، وصولًا إلى حاسوب في كنيسة المسيح اللوثرية في «ويتشيتا»، حيث كان «ريدر» رئيس الكنيسة.

أول جريمة قتل: صديقي «دامر»، عام 1978

قدَّم «ديرف باكديرف» في عمله غير الروائي المصوَّر «صديقي دامر»، الذي ارتاد معه المدرسة الثانوية، وصفًا حيويًّا وحزينًا لسنوات «دامر» فيها. كان «دامر» غريب الأطوار في المدرسة، ومُهرِّج الفصل، الذي لم يتمكَّن أحد من فَهمه تمامًا. فقد ثغا مثل الخروف في الفصل، وكان ذلِك الطفل الذي يقبَل بأكل مُخاطه أو بأي تحدٍّ لإذلال نفسه إن منحه ذلِك بعض الشعور بالانتماء. كما أحبَّ القيام بالمقالِب، بما في ذلِك الوقوع أسيرًا لتشنُّجاتٍ وهميّة في الأماكِن العامَّة مثل المركز التِّجاري أو المتجر، وهو ما عُرِف بين أقرانه في المدرسة باسم «مقلب دامر». وبدأ يُعاقِر الخمر بإفراطٍ أثناء مُراهقته، ورُبما أدمَن الكحول في سنِّ السادِسة عشرة. واعتاد تهريب الكحول إلى المدرسة، ويُقال إنه عاقَر الخمر بشكلٍ يوميٍّ تقريبًا، دون أن يُلاحِظ أحد من أعضاء هيئة التدريس ذلِك. وسار على خطٍّ رفيع بين التسكُّع مع دائِرة معارِفه، وبين التجاهُل والنبذ.

ولكِن كما كَتَبَ «باكديرف»: «لم يكُن انحدار «دامر» مُجرَّد خط مُستقيم للأسفل». وفي بعض الأحيان، قام «دامر» بمقالب جماعيّة، ووفقًا لـ «باكديرف»، الذي يصِف مقلبًا مُذهِلًا قام به «دامر» في رحلةٍ إلى «واشنطن العاصِمة» في المدرسة الثانوية عام 1978. عندما اتصل بالبيت الأبيَض، وتمكَّن من التحدُّث مع موظَّفة الاستقبال لتوصيله بمُساعِد نائِب الرئيس «جيمي كارتر» السيِّد «والتر مونديل». وقاد مجموعة من طُلَّاب المدرسة الثانويَّة إلى البيت الأبيَض في زيارةٍ غير مُجدوَلة مع نائِب الرئيس «مونديل»[(CCXX)]. (كان هذا في نفس الوقت الذي التقَت فيه زوجة الرئيس، السيِّدة الأولى روزالين كارتر، بجون واين جاسي في شيكاغو).

وبحلول نهاية المرحلة الثانوية، امتلك «دامر» سجل أحداث لارتكابه جرائِم بسيطة: مثل السُّكر في الأماكِن العامَّة، والتعرُّض غير اللائِق. وبعد تخرُّجه في يونيو 1978، توارى «دامر» بعيدًا عن الأنظار. لم يفتقِده أحد، حيث تفرَّق شمل الخريجين كُل في طريقه في ذلِك الصيف.

وفي شهر «يونيو» من ذلِك العام، انفصل والِداه، وانتقل والِده للعيش في فُندق. وأخذَت والِدته شقيقَه الأصغر «جيفري»، وانتقلَت إلى خارِج الولاية، تارِكةً إيَّاه وحيدًا في المنزِل الفارِغ. ورغم أن «جيفري» لم يعُد قاصِرًا، إلا أن ذلِك كان فعلًا جوهريًّا من الهجر والرفض. في هذه المرحلة، وفي يوم 18 يونيو، يقول «دامر» إنه ارتكب جريمة قتلِه الأولى، عندما اصطحب «ستيفن مارك هيكس»، البالِغ من العُمر ثمانية عشر عامًا، والذي كان قد طلب توصيلة، وهو عاري الصدر، إلى حفلٍ لموسيقى الروك.

«لقد راودتني، قبل عامَين من ذلِك، تخيُّلات بلقاء مُسافِر وسيم مُتطفِّل على الطريق، و«الاستمتاع به جنسيًّا».. جاءت هذه «التخيُّلات» من الداخِل، وصادَف أن يكون ذلِك هو الأسبوع الذي لم يكُن فيه أحد في المنزِل. فقد كانَت أُمي في الخارِج مع «ديفيد»، وأقاما في فُندقٍ على بُعد حوالي خمسة أميال تقريبًا؛ وكانَت السيَّارة معي، والساعة الخامِسة ليلًا تقريبًا؛ قُدتُ السيَّارة عائِدًا إلى المنزِل، بعد أن عاقرتُ الخمر؛ لم أكُن أبحث عن أحد، ولكِن.. على بُعد ميلٍ من المنزِل، وجدته هُناك. يتطفَّل على جانِب الطريق. لم يكُن يرتدي قميصًا، وكان جذَّابًا؛ شعرتُ بانجذابٍ إليه. توقَّفتُ، ثُم تجاوزته، وأوقفتُ السيَّارة، وفكَّرت: حسنًا، هل أُقِلَّه أم لا؟ وسألته إن كان يُريد العودة لتدخين بعض الحشيش! فقال: نعم. وهكذا ذهبنا إلى غُرفة نومي، وشربنا بعض البيرة، ومن الوقت الذي أمضيتُه معه، أدركتُ أنه ليس شاذًّا. لذا لم أعرِف أي طريقةٍ أخرى لإبقائه هُناك بخلاف ضربه بثقلٍ حديدي، على رأسه، وهو ما فعلته، قبل أن أخنقه بنفس الثقل»[(CCXXI)].

قال «دامر» إنه لم يكُن لدَيه أيّ خطط أو تخيُّلات لقتل أي شخص – لقد حدث ذلِك فحسب. كان ذلِك في مرحلةٍ مُرهقةٍ في حياته، وانزلق منها إلى ارتكاب القتل – في حين أن ما تخيَّله حقًّا هو «إحكام السيطرة». ولكِن، مثل «كِمبر»، احتاج إلى «طرد» الشخص من جسده لتنفيذ رغباته. ومع ذلِك، يقول «دامر» إنه منذ جريمة القتل تلك في يونيو 1978، أصبحت تخيُّلاته «أسيرة» الاستحواذ على الأشخاص الذين يرغب في السيطرة عليهم من خلال أعمال القتل.

ادَّعى «دامر» أنه لو لم يُصادِف المُسافِر المُتطفِّل في تلك الليلة، لما أصبح فيما بعد قاتِلًا مُتسلسِلًا. ورُبما. لا نعرِف ما إن كان هُناك ما يُسمَّى بـ «نافِذة الفُرص» للقتلة المُتسلسِلين المُحتمَلين، والتي إن لم يمرُّوا بها في فترةٍ مُعيَّنةٍ من حياتهم، فإنهم يَمضون قدمًا، ولا يُصبِحون قتلةً أبدًا. وهُناك بعض القتلة المُتسلسِلين الذين تختلِف جريمة قتلهم الأولى اختلافًا جوهريًّا عن سلسِلة جرائِمهم اللاحِقة. وهذا يُشير إلى أن جريمة قتلهم الأولى حدثت في ظروفٍ خارج السياق المُباشِر لأوهامهم – بشكلٍ غير مُتوقّع. بعد ذلِك فقط، يستيقِظ إدمانهم القاتِل، ويتجلّى في سلسلةٍ من جرائِم القتل التي تعكِس توقيعًا قاتِلًا. ومع ذلِك، فهُناك قتلة مُتسلسِلون آخرون تكون تخيُّلاتهم عنيفة وقاتِلة للغاية، حتى قبل أن يرتكِبوا أول جريمة قتل، بحيث يُصبِح الأمر مُجرَّد مسألة وقتٍ قبل أن يَقتلوا.

يرفُض المُحلِّل السابِق في مكتب التحقيقات الفيدرالي «روبرت ريسلر»، الذي أجرى مُقابلة مع «دامر» ادِّعاءه بأهميّة القدَر في تقاطُعه مع المُسافِر المُتطفِّل على الطريق، ويصِفه بأنه «تفكير سحري». ويؤكِّد «ريسلر» أن تخيُّلات «دامر» هي التي قادته إلى المُسافِر المُتطفِّل، لا الأقدار.

ووَصَف «دامر» لـ «ريسلر» أفعاله بعد ارتكاب أول جريمة قتلٍ له:

دامر: «كانَت المثليَّة الجنسيَّة في البلدة التي عشتُ فيها من المُحرَّمات المُطلقة. لم تُناقش قط. في حين تولَّدَت لديَّ رغبات في أن أكون مع شخصٍ ما، ولكِنني لم أُقابِل قطُّ أي شخص أعرِفه مِثلي الجنس؛ لذلِك كان الأمر مُحبطًا جنسيًّا».

ريسلر: «حسنًا، تقول إن الرجُل كان على وشك المُغادرة، لكِنك لم ترغب في ذلِك، وأن ضربه لم يكُن سوى وسيلة لتأخيره. لقد أمسكتَ الثُقل الحديدي، وماذا؟ أفقدته وعيه؟ ماذا حدث بعد ذلِك؟»

دامر: «أمسكتُ الثُقل الحديدي، وخنقتُه».

ريسلر: «وبعد ذلِك؟ هل كان هُناك أي نشاطٍ جنسي قبل ذلِك؟»

دامر: «لا، كُنت خائِفًا جدًّا مما فعلته. تجوَّلتُ في المنزِل لبعض الوقت. وانتهى الأمر بمُمارستي للعادة السريَّة».

ريسلر: «هل أثارَك هذا الحدث جنسيًّا؟ بوجوده هُناك؟»

دامر: «بل بالأسر».

ريسلر: «الآن هو فاقِد للوعي، أو ميِّت، وهو بحوزتك، وأنت تعلم جيِّدًا أنه لن يذهب إلى أي مكان، وكانت هذه هي نُقطة التحوُّل؟»

دامر: «صحيح، لذا في وقتٍ لاحقٍ من تلك الليلة، أخذتُ الجُثَّة إلى المساحة تحت الطابِق السُّفلي. وأنا في الأسفل هُناك، ولم أستطِع النوم تلك الليلة، لذا عُدتُ إلى المنزِل. في اليوم التالي، توجَّب عليَّ إيجاد طريقة للتخلُّص من الأدِلَّة. لكِنني اشتريتُ سكينًا، سكين صيد، وعُدتُ في الليلة التالية، لأشُق بطنه، وأستمني مرَّة أخرى.

ريسلر: «إذن فالبنية الجسدية فقط هي ما أثارتك؟»

دامر: «بل الأعضاء الداخليّة».

ريسلر: «الأعضاء الداخليَّة؟ هل تعني نزع الأحشاء؟ هل شعرتَ بالإثارة عند تقطيع الجسد؟»

دامر: «ثُم قطعتُ الذِّراع، قطعته إربًا، ووضعتُ كُل قطعةٍ في كيس. ثُم وضعتُ كُل ثلاثة قطع في كيس قمامة بلاستيكي كبير. ووضعتها في الجُزء الخلفي من السيَّارة، ثُم قُدتُ السيَّارة لأتخلَّص من الدليل في وادٍ يبعُد عشرة أميال عن منزلي، فعلتُ ذلِك في الساعة الثالِثة صباحًا. وفي مُنتصف الطريق إلى هُناك، كُنتُ في طريقٍ ريفي مهجور. وأوقفتني الشُّرطة للقيادة يسار الطريق، وطلب الرجُل الدعم، وهكذا أصبحا ضابطَين، وقاما باختبار السُّكر، الذي اجتزته. سلَّطا مصابيحهما على المقعد الخلفي، ورأيا الأكياس،

وسألاني عن محتوياتها. فأخبرتهما أنها مُجرَّد قمامة، لم أتمكَّن من رميها في المكب. وصدَّقا ذلِك، رغم وجود رائِحة. لذا أعطياني مُخالفةً للسير ناحية اليسار، وعدتُ إلى المنزِل».

ريسلر: «هل شعرتَ بالتوتُّر عندما أوقفوك؟»

دامر: «لا تكفي تلك الكلمة لوصف ما شعرتُ به».

ريسلر: «حسنًا، من الواضِح أنهم لم يُدرِكا توتُّرك، لدرجة تفتيش الحقائِب، أو أي شيءٍ من هذا القبيل. فقد اعتادا على هذا الروتين».

دامر: «نعم».

ريسلر: «ثُم ماذا فعلتَ بالحقائِب؟»

دامر: «أعدتها إلى مكانها، تحت الطابق السُّفلي. وأخذتُ الرأس، وغسلته، ووضعته على أرضيّة الحمام، واستمنيتُ عليه، وما إلى ذلِك. قبل أن أُعيده إلى الأسفل مع بقيَّة الأكياس. وفي صباح اليوم التالي، كان لدينا أنبوب صرف كبير مدفون بطول عشرة أقدام تقريبًا، ووضعتُ الأكياس هُناك، وحطَّمتُ مُقدِّمته، وتركته هُناك لمُدَّة عامَين ونصف تقريبًا»[(CCXXII)].

التحق «دامر» بجامِعة ولاية «أوهايو» في خريف عام 1978، وخطَّط للتخصُّص في إدارة الأعمال. وأمضى مُعظم وقته في مُعاقرة الخمر، ورسب في جميع مُقرَّراته الدِّراسيّة «باستثناء الرماية»، وترك الدراسة في نهاية الفصل الدراسي الأول. وفي يناير 1979، الْتحق «دامر» بصفوف الجيش الأمريكي، وبدأ التدريب كشُرطيٍّ عسكري. ثُم انسحب، وبدلًا من ذلِك، دُرِّب كمُسعفٍ مُقاتل، قبل أن يُرسَل إلى ألمانيا. وفي عام 2010، ذكر جُنديان سابِقان أنهما تعرَّضا للاغتصاب على يد «دامر» أثناء خدمتهما معه هُناك[(CCXXIII)]. (ادَّعى دامر أنه لم يقُم بأي لقاءات جنسيّة أثناء وجوده بين صفوف الجيش، ولم يغتصِب أحدًا، أو يرتكِب أي جرائِم أخرى في تلك الفترة). ورغم أن تقييمه كان «متوسِّطًا»، إلا أن أداءه في الجيش تدهوَر بسبب الإفراط في مُعاقرة الخمر، وفي النهاية، وُجِدَ «دامر» غير مُناسِبٍ للخدمة العسكريّة، وسُرِّحَ بشرفٍ في مارس 1981.

استقرَّ «دامر» في «ميامي»، حيث عمل في متجر شطائِر لمُدّة ستّة أشهُر تقريبًا، قبل أن يعود إلى «أوهايو» في سبتمبر 1981. وأثناء تواجُد والِده، الذي كان قد عاد إلى المنزِل، بعيدًا في العمل، فَتَح أنبوب الصرف، وأخذ العِظام، وهشَّمها إلى قطعٍ صغيرة، ونثرها بين الشُّجيرات.

ستمُر ستُّ سنوات أخرى قبل أن يبدأ «دامر» سلسِلة جرائِمه الستَّ عشرةَ الأخرى في عام 1987.

«تِد بندي» الفتى الأمريكي قاتِل الأمريكيّات

من بين الـ 605 قتلة المُتسلسِلين الذين ظهروا في «السبعينيَّات»، تميَّز «تِد بندي». والحقيقة أنه مُميَّز ومعروف للغاية اليوم حتى إنني بالكاد أحتاج إلى وصف جرائِمه. قُل كلِمة «قاتِل مُتسلسِل»، وسيكون «تِد بندي» هو أول اسم يتبادَر إلى ذهنك. كما أنه سيكون هو من يُحدِّد لنا القاتِل المُتسلسِل الجديد في عصر ما بعد الحداثة. كما علَّقَت مجلَّة «نيويورك تايمز» في مقال «الفتي الأمريكي الخالِص»، المنشور في عام 1978:

إن الصورة النمطيَّة للقتلة الجماعيِّين، الذين ابتُلِيَت عقولهم بالأورام، أو الهلوسة، مألوفة للغاية لدى الجمهور الأمريكي. كانوا هُم من ضلُّوا الطريق، والساخطون، والفشلة، والمُستاءون. ورغم كُل المظاهِر، لم يُشبِه «تِد بندي» أيًّا منهُم بأي حالٍ من الأحوال. فقد تمتَّع بكُل الموارِد الشخصيَّة التي يُقدِّرها الشعب الأمريكي، والتي تضمَن النجاح والاحترام. فقد أحبَّ الأطفال، وقرأ الشِّعر، وأظهَر شجاعة بمُطاردته لخاطِف حقائِب في شوارِع «سياتِل»، والإمساك به، كما أنه أنقذ طفلًا من الغرق، وأحبَّ التواجُد في الهواء الطلق، واحترم والِدَيه، وتفوَّق في دراسته الجامعيَّة، وعَمِل مع اليائِسين في مركز للأزمات، وعلى حدِّ تعبير أحد المُعجبين: «يُمكِن لـ «تِد» أن يُرافِق أي امرأةٍ يُريدها، فقد كان جذَّابًا للغاية!»(CCXXIV).

وكان «بندي» مثلما يتخيَّل الكثيرون منَّا أنفُسهم: طالِبًا جامعيًّا جذَّابًا، ذا طموحات نموذجيَّة، من الطبقة المتوسِّطة، يقود سيَّارة «فولكِس فاجِن» جميلة. كما كانَت شخصيته الخارجيَّة هي ما يتعرَّف عليه العديد من الذكور، وما تراه العديد من الإناث كصِفاتٍ في الرفيق الذي يرغبنَ فيه. بعبارةٍ أخرى، على عكس القتلة المُتسلسِلين في الماضي، لم يكُن واحدًا منهُم؛ بل واحدًا منَّا. لقد كان أول قاتِلٍ مُتسلسِل ما بعد الحداثة.

تسرَّبَت قصَّته المعروفة الآن ببطءٍ في البداية من «يوتا» و«كولورادو» من عام 1975 إلى عام 1977، عندما رُبِطَ بسبع عشرة جريمة قتل لشابَّاتٍ في ولاياتٍ مُتعدِّدة، ثُم نمت إلى سيلٍ جارفٍ في كُل مكان بعد هروبه مرَّتَين، وارتكابه لثلاث جرائِم قتل لاحِقة في فلوريدا. في نهاية المطاف، سيعترِف «بندي» بما لا يقِل عن ثلاثين جريمة قتل، مع العديد من الجرائِم الأخرى المنسوبة إليه، دون أن تُثبَت بشكلٍ قاطع.

وعلى عكس جرائِم قتل المِثليين الأقل وطأة في ذلِك العقد، أو «العاملين المُتشرِّدين» العابرين، أو الأحداث المُضطربِين «عديمي الجدوى»، أو أرامِل الرعاية الاجتماعيَّة المُسِنَّات، أو بائِعات الهوى في الشوارِع، فقد كان العديد من ضحايا «بندي» من صفوة المُجتمَع الأمريكي: وهُنّ فتيات الجامِعات البيض من الطبقة المتوسِّطة. والآن.. تسلَّل القلق ليسكُن قلوب الناس، وبدءوا في الاهتمام.

وبعد القبض على «بندي» لأول مرَّة في عام 1975، اكتسبَت المُشكِلة القديمة المُتمثِّلة في «عمى الربط» لدى الشُّرطة طابعًا مُلِحًّا جديدًا. لم يتجاوز «بندي» حدود المُقاطعات في جرائِم القتل التي ارتكبها فحسب، بل عبر حدود الولايات أيضًا، حيث قتل في «واشنطن»، و«أوريجون»، و«أيداهو»، و«يوتا»، و«كولورادو»، وأخيرًا في «فلوريدا». وأدرَكت الشُّرطة بالفعل، في العديد من الولايات، وجود نمطٍ في عمليات القتل في ولاياتها القضائيَّة، لكِنها لم تربُط الأنماط ببعضها البعض عبر حدود الولاية. والآن، فقط مع اعتقال «بندي»، اجتمعَت وكالات الولايات العديدة معًا لمُقارنة المُلاحظات. واتفق الجميع أنه يجِب أن يكون هُناك نِظام مركزي أفضَل، قاعِدة بيانات مُتَّصِلة بالشبكة من نوعٍ ما مثل تلك التي اقترحها مُحقِّق شرطة «لوس أنجلوس»، السيِّد «بيرس بروكس»، في «كاليفورنيا»، في أواخِر «الخمسينيَّات» في أعقاب جرائِم قتل «جلاتمان».

وعندما هرَب «بندي» مرَّتَين في «كولورادو» عام 1977، احتُفِيَ به باعتباره خارجًا عن القانون، وكُرِّمَ بقُمصانٍ كُتِب عليها «تِد بندي، سفَّاح الليلة الواحِدة»، وأصناف قائِمة طعام تحمِل اسمه في بعض المطاعِم.

وأصبَح أول «القتلة المُتسلسِلين الجيِّدين» ذوي الثقافة المُضادة، وهو سلف الدكتور «هانيبال» (آكِل لحوم البشر)، الخيالي المُثقَّف والمُحنَّك، كما لَعِب دوره «أنتوني هوبكِنز»، في فيلم «صمت الحملان»، الذي أصبَح النجم الحقيقي للفيلم، وليس «جودي فوستر» التي لعِبَت دور عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي «ستارلينج». وكما كَتَب «ستيفن إيجر»:

وبالنِّسبة للكثيرين، يُعتبر القاتِل المُتسلسِل رمزًا للشجاعة، والفرديّة، والذكاء الفريد. وسُرعان ما يتحوَّل القاتِل بالنسبة للكثيرين إلى شخصيَّةٍ تسمَح لهم بتخيُّل التمرُّد أو الانتقام من عِلل المُجتمع. وبالنسبة للبعض، قد يُصبِح القاتِل المُتسلسِل رمزًا للعدالة الرشيقة والفعَّالة، وتطهير المُجتمع من آفاته الإجراميَّة. تتخطَّى مهارات القاتِل المُتسلسِل في مُراوغة الشُّرطة لفتراتٍ طويلةٍ من الزمن السبب الذي يُطارَد من أجله. فمراوغة القاتِل تُلقي بظلالها على أثره الذي يبعَث على الحُزن والرُّعب[(CCXXV)].

وبالفعل، بعد هروبه، ارتكب «بندي» ثلاث جرائِم قتل مروّعة أخرى في «فلوريدا»، كان آخرها جريمة قتل «كيمبرلي ليتش»، البالِغة من العُمر اثنَي عشر عامًا، والتي اختطفها من مدرستها.

وبُثَّت مُحاكمة «بندي» في «فلوريدا» على الهواء مُباشرة، وبدأ فهم نِطاق حياته السريّة؛ وبدأ مفهوم مُعيَّن من القتلة المُتعدِّدين الذين يقتلون بشكلٍ مُتسلسِلٍ يتشكَّل في التقاليد الشعبيَّة. وتصدَّرَت رواية «آن رول» الكلاسيكيَّة التي كتبَتْها عام 1980 عنه بعنوان «الغريب بجانبي» الريادة فيما يخُصُّ إحياء أدب الجريمة الحقيقية الذي يُركِّز على القتل المُتسلسِل. وقد عرّف الجمهور العام بمفهوم القتل المُتسلسِل، رغم أن مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» لم يظهَر في أي مكانٍ في نَصِّ كِتابها. ولم يكُن قد صِيغ بعد.

حتمًا، كما كتبتُ في عام 2004: «كُل الطُّرق في إمبراطوريّة القتلة المُتسلسِلين تؤدي إلى تِد بندي»؛ في عام 2019، عرَضَت «نِتفلِكس» لأول مرَّة فيلمي «مُحادثات مع قاتِل: أشرِطة تِد بندي» وفيلم السيرة الذاتية لـ «بندي» بعنوان «شرير للغاية، شرير بشكلٍ صادمٍ وخسيس»، بطولة «زاك إيفرون»، من فيلم «هاي سكول ميوزيكال». وعُدنا إلى نُقطة البداية، حيث قُدِّمَ أول القتلة المُتسلسِلين ما بعد الحداثة إلى جيلٍ جديدٍ بالكامِل من المُستهلكين، و«رُبما القتلة المُتسلسِلين أيضًا»، الذين لم يكُن الكثير منهم قد وُلِدوا حتى عندما أُعدِم «بندي» في عام 1989.

وسينتشِر 600 قاتِل مُتسلسِل في جميع أنحاء الولايات المُتحِدة، من «لويزيانا» إلى «نيويورك»، ومن «كاليفورنيا» إلى شمال غرب المُحيط الهادئ، وما بينهُما. في «فلوريدا» في عام 1970، قتل «صامويل ليتل»، البالِغ من العُمر ثلاثين عامًا أول ضحاياه الخمسين على الأقل، «ورُبما ثلاثٌ وتسعون كما يدَّعي حاليًّا». وعلى مدار أربعين عامًا، قُبِضَ عليه في ثماني ولايات، على خلفية جرائِم شملت القيادة تحت تأثير الكحول، والاحتيال، وسرقة المتاجِر، والتحريض على السرقة، والسطو المُسلَّح، والاعتداء الجسيم، والاغتصاب. كما اتُّهِمَ مرَّتين بالقتل في عام 1982. وفي إحدى المرَّتين، رفضَت هيئة المُحلَّفين الكُبرى توجيه الاتهام إليه، بينما نال براءته في التّهمة الأخرى أثناء المُحاكمة. ولم يُدَنْ «ليتل» أخيرًا بجريمة القتل حتى عام 2012، وفي عام 2019 أدلى باعترافاته التي أُعيد نشرها على نطاقٍ واسع؛ حيث أكَّد مكتب التحقيقات الفيدرالي صحَّة

ادِّعاءاته بارتكاب خمسين جريمة قتلٍ على الأقل. وإن كان هذا صحيحًا، فهذا يجعل «صامويل ليتل» هو القاتِل المُتسلسِل الأكثر غزارة في التاريخ الأمريكي، مُتجاوِزًا بذلِك عدد الضحايا التسع والأربعين الذين أُدين بهم «جاري ريدجواي» الشهير بـ «قاتِل النهر الأخضر». وحكَّ الصحفيُّون الذينَ كانوا أطفالًا في «التسعينيَّات» رءوسهم مُتسائلين كيف يُمكِن لـ «صامويل ليتل» أن يرتكِب كُل هذه الجرائِم على مدى نحو خمسةٍ وثلاثين عامًا دون أن يُلاحِظه أحد؟ ونأمُل أن يُساعِد هذا الكِتاب في الإجابة على هذا السؤال الساذج.

وبعد «بندي»، بدأت جرائِم «كورونا»، و«كورل»، و«ابن سام» تأخُذ منظورًا مُختلِفًا، وعندما عاد الناس خطوةً إلى الوراء، اكتشفوا أن جرائِم القتل المُتسلسِل التي وقعَت مؤخَّرًا أكثر مما أدركه أي شخص؛ فقد ابتُلينا بـ «بلاءٍ» من جرائِم القتل المُتسلسِل. ومن وجهة نظر الجمهور ووسائِل الإعلام، فشلت وكالات الشُّرطة المحليَّة في إدراك التهديد المُتفاقِم الذي يجتاح مُدن أمريكا، وطُرقها السريعة، والجانبيّة.

وكان السؤال هو: ما الذي يجِب القيام به؟ ومن الذي سيقوم به؟ وحان الوقت ليعتلي «صائِدو الأفكار» المنصَّة.

10 كانَت هُناك قاتِلات مُتسلسِلات يتمتَّعن بأعداد ضحايا مُماثِلة مثل «جين توبان»، الشهيرة بـ «جولي جين»، التي قتلت ما لا يقِل عن 31 ضحيّة في «ماساتشوستس» بين عامي 1895 و1901. و«كليمنتين بارنابيت»، وهي امرأة أمريكيَّة من أصل أفريقي تبلُغ من العُمر ثمانيَة عشر عامًا، والتي شاركَت في 35 جريمة قتل بالفأس في «تكساس» و«لويزيانا»، مما أدى إلى إبادة عائِلات بأكملها في عام 1911. ناهيك عن «إتش. إتش. هولمز»، في «شيكاغو»، عام 1894، والذي أوردت الصُّحف كذبًا أنه قتل سبعة وعشرين ضحيَّة، قبل أن يتأكَّد بشكلٍ قاطعٍ أنه لم يقتُل سوى أربعٍ فقط. [الكاتِب]

11 التُّفاحة الكبيرة، اسم من أسماء مدينة نيويورك. [المُترجِم]

12 لم يكُن قد حارب كجُندي في مُشاة البحريّة الأمريكيّة في تمرُّد المُلاكمين في الصين، كما كتبتُ بحماقةٍ في عام 2004، في كِتابي «القتلة المُتسلسلين»، إلا إذا كان جنود المارينز يُجنِّدون الأطفال في عُمر سنة واحدة! [الكاتِب]

13 تلاعب بالكلِمات باللُّغة الإنجليزية، لأن مُصطلح «قاتِل مُتسلسِل» يُنطَق بالإنجليزيّة «سيريال كيلر». وكذلِك مُصطلح «قاتِل الحبوب» يُنطَق بالإنجليزيَّة «سيريال كيلر».

الفصل السادِس

صائِدو الأفكار

بلاء القتلة المُتسلسِلين

في الفترة بين 1980 - 1990

«يقتُل الناس بالطريقة التي يعيشون بها»

باتريك مولاني، مُحلِّل بمكتب التحقيقات الفيدرالي

في «الثمانينيَّات»، استقرَّ الرأي أخيرًا على مُصطلح لما وُصِفَ في هذه الصفحات السابِقة: وهو «القتلة المُتسلسِلون». ووفقًا لقاعِدة بيانات القتلة المُتسلسِلين التابِعة لجامعة «رادفورد»/ جامِعة ساحِل خليج فلوريدا، فقد تواجَد 768 قاتِلًا مُتسلسِلًا في ذلِك العقد، بزيادةٍ قدرها 21٪ عن «السبعينيَّات».

أول قاتِل مُتسلسِل مُسجَّل في أمريكا، وأقصِد أول قاتِل مُتسلسِل يوصَف في وسائِل الإعلام الإخباريّة بأنه «قاتِل مُتسلسِل» أو «سفَّاح مُتسلسِل»، هو «واين ويليامز»، الشهير بـ «قاتِل أطفال أتلانتا»، الذي وصفه على هذا النحو قبل القبض عليه الصحفي «مايرون إيه فاربر»، الصحفي بصحيفة «نيويورك تايمز» في 3 مايو 1981[(CCXXVI)]. وفي السنوات العشر التالية، ظَهَر مُصطلح «قاتِل مُتسلسِل» 80038 مرَّة على الأقل في الصُّحف الأمريكيَّة.

والمُفارقة هي أنه رغم أن «واين ويليامز»، البالِغ من العُمر ثلاثةً وعشرين عامًا، لم يُشتبه به سوى في ثلاثٍ وعشرين جريمة قتل أطفال في الفترة بين 1979 – 1981، إلا أنه أُدين في جريمتي قتلٍ فقط بشكلٍ مُثيرٍ للجدل، لضحايا من الذكور البالِغين، ولم يُعتبَر من الناحية الفنيّة قاتِلًا مُتسلسِلًا، حتى حدَّثَت ندوة «سان أنطونيو» حول جرائِم القتل المُتسلسِل في عام 2005، التعريف إلى «جريمتي قتل أو أكثر». بالإضافة إلى ذلِك، لا يزال «ويليامز» يدَّعي البراءة. لكِن اختبارات الحمض النووي التي أُجريَت مؤخَّرًا على أدِلَّةٍ ضئيلة من القضية لم تستبعِده من النِّسبة المئويَّة الصغيرة للحمض النووي للجاني المُحتمَل، لكِن الاختبارات لم تُحدِّده بشكلٍ نهائي باعتباره المصدر الوحيد المُحتمَل للحمض النووي. وعلى نحوٍ مُماثِل، لم تستبعِد مجموعة أخرى من اختبارات الحمض النووي على شعر كلبٍ عُثِرَ عليه على بعض الضحايا، كلب «ويليامز» من فصيلة «الراعي الألماني»، ولكِنها مُجدَّدًا، لم تُثبِت وجود روابِط جينيَّة نهائيَّة بالكلب.

وتُعَد جرائِم قتل الأطفال في «أتلانتا» قضية مُهِمّة في تاريخ جرائِم القتل المُتسلسِل من عدَّة نواح. أولًا: فقد كانت هذه هي القضيّة التي عرَّفَت عامَّة الناس بمُصطلح «القاتِل المُتسلسِل»، إلى جانِب مُشاركة وحدة العلوم السلوكيَّة التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي ومُحلِّليها «المعروفين بصائِدي الأفكار».

وثانيًا: نظرًا لأن الضحايا كانوا أطفالًا أمريكيين من أصولٍ أفريقية، فقد سرت شائِعات تُفيد بأن أحد رِجال «كو كلوكس كلان» البيض هو مُرتكِب جرائِم قتلٍ على أساسٍ عُنصري، أو «جرائِم الكراهية». وقد خفَّف استنتاج مكتب التحقيقات الفيدرالي بأن القاتِل المجهول كان على الأرجَح أسود البشرة من حدَّة التوتُّرات العرقيّة إلى حدٍّ ما، وجعل تدخُّل الوكالة الفيدرالية أكثر قبولًا.

وثالِثًا: ومرَّة أخرى، نظرًا لأن الضحايا الأطفال كانوا جميعًا من الأمريكيين من أصولٍ أفريقيّة، وسلَّطَت القضية الضوء على قضية العِرق والفقر في التحقيقات في جرائِم القتل، وكيف أن الضحايا الذين يُعتبر موتهم «أقل وطأة» «أي السُّود الفُقراء» لا يتلقَّون عادةً الجُهد الذي يستحقُّونه في التحقيقات.

ولسوء الحظ، تمتَّعَت القضية بتأثيرٍ قويٍّ آخر: فقد عزَّزَت فكرة أن القتلة المُتسلسِلين كانوا «بلاءً» يُهدِّد أطفال أمريكا. وبدا فجأة أن هُناك تفسيرًا واحِدًا لآلاف من قضايا الأطفال المفقودين في الولايات المُتحِدة. وأصبَح بلاء القتل المُتسلسِل هذا مِفتاحًا لمُطالبة مكتب التحقيقات الفيدرالي بالتمويل الحكومي باعتباره مركزًا وطنيًّ لتبادُل المعلومات عن جرائِم القتل المُتسلسِلة، وهو ما أُدلِيَ به في شهادةٍ أمام العديد من لِجان الكونجرس التي حظيَت بتغطيّةٍ إعلاميّة كبيرة.

وهُناك نُسختان من تاريخ مُحلِّلي مكتب التحقيقات الفيدرالي: التاريخ القويم المألوف كما صوَّره مُسلسل «نِتفلكس» «صائِدو الأفكار»، وكُتب وذكريات مُحلِّلي مكتب التحقيقات الفيدرالي السابقين مثل «روبرت ريسلر»، و«جون دوجلاس»، و«روي هازلوود»، التي كانَت مصدَر إلهام المُسلسَل؛ ونُسخة «القاتِل المُتسلسِل المُناهِض للمؤسَّسة كبنيةٍ اجتماعيَّة» كما يقول النُّقَّاد مثل «فيليب جينكينز»، و«ديفيد شميد»، والتي وصفتُها باستفاضةٍ في كِتابيَّ السابِقَين: «القتلة المُتسلسِلون»، و«أبناء قابيل».

وكما اشتُهِرَ عن «أوسكار وايلد» قوله: «التاريخ هو ما يعتقِد الناس أنه كان يجِب أن يحدُث». لذا، فهذه هي النُّسخة القويمة المألوفة لدى المؤرِّخين.

ها قد أتى صائِدو الأفكار

يُعتبَر مُحلِّلو مكتب التحقيقات الفيدرالي التابِعين لما عُرف باسم «وحدة العلوم السلوكيَّة» في مقام الأساطير، ويشتهرون بقُدرتهم الخارِقة للطبيعة تقريبًا على النظر إلى مسرح الجريمة، وتحديد كُل شيء عن الجاني من خلال خصائِصه، حتى لون وحالة السيَّارة التي قادها على الأرجَح. ولم يخترِع مكتب التحقيقات الفيدرالي التنميط الجنائي، ولا يدَّعون ذلِك. فقد حاول طبيب يعمَل لدى الشُّرطة، وهو الدكتور «توماس بوند»، إجراء تحليل نفسي لـ «جاك السفَّاح» في عام 1888؛ وكلَّف جهاز استخبارات مكتب التحقيقات الفيدرالي الطبيب النفسي «والتر سي لانجر» بتحليل ملف «أدولف هتلر»؛ بينما كان الطبيب النفسي الشرعي في شرطة «لوس أنجلوس» الدكتور «جي. بول دي ريفر» في «الأربعينيَّات» هو أول من عُيِّنَ بشكلٍ دائِم في قِسم شرطة في الولايات المُتحِدة لتحليل الجُناة المجهولين؛ واشتهرَ الطبيب النفسي في «نيويورك» «جيمس بروسِل» بتحليل شخصيّة المُفجِّر المُتسلسِل «جورج ميتسكي» بدقةٍ غير عاديَّةٍ في «الخمسينيَّات»، و«خانِق بوسطن» في «الستينيَّات» بدقّةٍ أقلَّ بكثير.

وكان المُحلّلون مُبدِعين مُستقلّين يعرِفون ما يجِب القيام به بشكلٍ غريزي؛ فلم يكُن هُناك نِظام، ولا حِرفة، ولا تعليم – إما أن تتمتَّع بالموهِبة البديهيَّة أو لا.

تأسَّسَت وحدة التشخيص النفسي في عام 1972، ليس كردٍّ فعلٍ على القتلة المُتسلسِلين، ولكِن على موجةٍ من حوادِث احتجاز الرهائِن التي بلغت ذروتها في مذبحة أولمبياد «ميونيخ». وكان هدفها هو وضع صورةٍ نفسيَّة عن مُحتجِزي الرهائِن لمُساعدة المُفاوِض في إقناعهم بإلقاء أسلحتهم كبديلٍ لاستخدام القوّة، وهو الأمر الذي أدَّى إلى مقتل الرهائِن في «ميونيخ».

كان مقر وحدة الدراسات الأمنيّة الخاصَّة في أكاديميّة مكتب التحقيقات الفيدرالي التي افتُتِحَت حديثًا في قاعِدة مُشاة البحريّة الأمريكيّة في «كوانتيكو» بولاية «فيرجينيا»، حيث تدرَّب مُجنَّدو مكتب التحقيقات الفيدرالي، وتلقى رِجال شرطة الولاية، والبلديّة، وغيرهم من موظَّفي الوكالة دوراتٍ مُتقدِّمة. واختيرَ المُدرِّبون في الأكاديميّة من بين صفوف عُملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الخاصِّين؛ وعلى غِرار أساتذة الجامِعات المدنيين، كان من المتوقَّع منهم الموازنة بين عبء التدريس في الفصول الدراسيّة والعمل البحثي، مع تقديم الاستشارات في التحقيقات الجارية في مكتب التحقيقات الفيدرالي.

وكان عامِل الجذب في «كوانتيكو» هو أن مُدرِّبي مكتب التحقيقات الفيدرالي تمتَّعوا بحُريّةٍ نسبيّةٍ في مُتابعة أبحاثهم وتطوير المناهِج الدراسيّة. ولم يكُن هذا نموذجيًّا لمكتب التحقيقات الفيدرالي الشديد الانضباط والعصابيّة الشهير بارتداء بدلةٍ سوداء وقميص أبيَض، في سنوات «جي. إدجار هوفر»، في الفترة بين 1924 – 1972.

وكان العميلان الخاصَّان «باتريك مولاني» و«هوارد دي. تيتِن» هُما الأبوَين المؤسِّسَين للفئة الكهنوتيّة من صائِدي الأفكار الإجراميّة، وجامعي الاعترافات في مكتب التحقيقات الفيدرالي. فقد كان «مولاني» مُحقِّقًا/ لاهوتيًّا؛ بينما كان «تيتِن» باحثًا/ عالمًا في علم الشياطين.

وقال «بات مولاني»: «قد يبدو الأمر بسيطًا للغاية، لكِنه صحيح، يقتُل الناس بالطريقة التي يعيشون بها. وقد يبدو الأمر في غاية البساطة.. أن الناس يقتُلون بالطريقة التي يعيشون بها». وآمن مولاني بنهج الحدس في التنميط، فقال: «إنِ افتقرتَ للحدس اللازِم، يُمكِنك ألا ترى الحقيقة، رغم أنها نصب عينَيك، وهكذا ستكون عديم الفائِدة كمُحلِّل. وأعتقِد أن للأمر علاقة كبيرة بالحساسية.. التي يتمتَّع بها المرء في قراءة الناس»(CCXXVII).

نشأ «مولاني» في مدينة «نيويورك»، ودرس الكهنوت في نظام تعليمي كاثوليكي، وهو جماعة الإخوة المسيحيين. وحَصَل على بكالوريوس في التاريخ الأمريكي من الجامِعة الكاثوليكيَّة في «واشنطن العاصِمة»، وعلى ماجستير في الإرشاد وعلم النفس من كُليَّة «مانهاتِن» أثناء التدريس كأخٍ مسيحي في «نيويورك». ولكِن في عام 1965، ترك الرهبنة، وبعد فترةٍ تعيسة قضاها في بيع بوليصات التأمين في شركة «ميتروبوليتان لايف» (حيث عمل القاتِل المُتسلسِل ريتشارد كوتينجهام في قِسم الكومبيوتر في ذلِك الوقت أيضًا)، انضمَّ إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 1966. وبعد العمل في المكاتِب الميدانيّة للمكتب في «جاكسونفيل»

بولاية «فلوريدا» وفي «لوس أنجلوس»، أُرسِل إلى «نيويورك» مُكلفًا بمجموعةٍ متنوِّعةٍ من المهام المُتخصِّصة في قِسم التدريب. وقد قاده ذلِك في نهاية المطاف إلى أكاديميّة المكتب، ووحدة التحقيقات الفيدراليّة حيث قام «تيتِن» بالتدريس والبحث في عام 1972.

كما نشأ «هوارد تيتِن» في «كروفتون» بـ «نبراسكا»، والتحق بمُشاة البحريَّة الأمريكيّة في يوم تخرُّجه من المدرسة الثانويّة عام 1950. وخَدَم في وحدة التصوير الجوي في «كوريا» أثناء الحرب، ثُم في قاعدة «إل تورو» في «كاليفورنيا» حتى سُرِّح عام 1954. وذهب للعمل بدوامٍ جُزئيٍّ في قِسم شرطة مُقاطعة «أورانج»، ثُم في قِسم شرطة «سان لياندرو» أثناء دراسته لعلم الجَريمة والعلم الجنائي في جامِعة «كاليفورنيا» بـ «بيركلي». وبسبب خلفيَّته كمُصوِّر في البحرية والدورات التي درسها في «بيركلي»، عُيِّن «تيتِن» في وحدة التحقيق الجِنائي، حيث تمكَّن من مُقارنة ما رآه في مسرح الجريمة بما تعلَّمه في بعض دورات علم النفس غير الطبيعي والجنائِي التي درسها في «بيركلي».

الْتحق «تيتِن» بمكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 1962، وحَصَل خلال خدمته على درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي. وبحلول عام 1972، درَّس دورةً مُدَّتها عشر ساعات في أكاديميّة مكتب التحقيقات الفيدرالي في علم النفس الجنائي التطبيقي، والتي عرَّفت المُتدربين في مكتب التحقيقات الفيدرالي وضُبَّاط الشُّرطة الزائرين على التقنيات النفسيَّة الأساسيّة لاستجواب المُشتبه بهم، ومواجهة مُحتجِزي الرهائِن، وغيرها من المواقِف. وسُرعان ما وُسِّعَت الدورة إلى أربعين ساعة، واشترك «تيتِن» مع «باتريك مولاني» الذي وَصَل حديثًا في تدرسيها.

واعتاد ضُبَّاط الشُّرطة الذين حضروا تلك الدورة التدريبيّة طرح قضاياهم التي لم تُحَلّ، ليُقدِّم «تيتِن» و«مولاني» مُلاحظاتهم حول نفسيّة الجُناة المُحتمَلين وشخصياتهم. وبدأت الدورة تميل إلى توصيف الأشخاص المجهولين، رغم أن مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يُقِرّ رسميًّا بمفهوم التنميط.

وفي مرحلةٍ ما، ذهب «تيتِن» إلى «نيويورك»، والتقى بالطبيب النفسي المُتقاعِد «جيمس بروسِل» للحصول على نظرةٍ مُتمعِّنة حول تقنيات التنميط التي يستخدمها. ووَجَد نهج «بروسِل» مُفيدًا، لكِنه رفض تفسيراته الفرويديّة «القديمة» فيما يتعلَّق بدوافِع الجُناة. واعتقد كذلِك أن الناس مدفوعون بشخصيَّاتهم وحياتهم اليوميّة أكثر من دوافعهم اللاشعوريّة العميقة.

تأثَّر «تيتِن» بشكلٍ أكبر بـ «أوجست فولمر»، المارشال السابِق ورئيس الشُّرطة لاحقًا في «بيركلي» بـ «كاليفورنيا». والذي كان من أوائِل رؤساء الشُّرطة الأمريكيّة الذين طلبوا من ضُبَّاط الشُّرطة التابعِين لهم أن يحصلوا على شهاداتٍ جامعيّة، وفي عام 1916 أقنع جامِعة «بيركلي» بإدخال برنامج العدالة الجنائيّة الذي ترأَّسه. وقال «تيتِن» إنه تعلَّم من قراءاته لـ «فولمر» أن: «يعتمِد نوع الجريمة التي يرتكبها المرء على نوع شخصيته. فبعض أنواع البشر يرتكبون هذه الجريمة، بينما ترتكِب بقيَّة الأنواع جرائِمها، كما تعلمون».

تَناسَب نهج «تيتِن» بشكلٍ جيِّدٍ مع مقولة «مولاني»: «يقتُل الناس بالطريقة التي يعيشون بها»؛ وسُرعان ما تعاوَن الاثنان معًا، واكتسَبا لقب «فريك وفراك[14]» بين زُملائهما في مكتب التحقيقات

الفيدرالي[(CCXXVIII)].

انقسمَت وحدة العلوم السلوكيّة في أوائِل «السبعينيَّات» إلى فصيلين – «عُلماء الاجتماع»، الذين اعتقدوا أن البيئة تُملي سلوك المُجرِمين، و«عُلماء النفس» مثل «تيتِن» و«مولاني» الذين اقتنعوا تمامًا بأن الشخصيّة تتفوَّق على البيئة. أما بالنسبة لمَسئولي مكتب التحقيقات الفيدرالي، فلم يُهمهُم الأمر طالما أن المُتدرِّبين تلقَّوا تعليماتهم في الفصول الدراسيَّة، ولم يخرج أحد من وحدة دعم السلوكيات بالوكالة. وهكذا، تابَع «تيتِن» و«مولاني» أبحاثهما السلوكيّة، بينما بدأت أخبار جلسات التنميط في أكاديميّة مكتب التحقيقات الفيدرالي تنتشِر في جميع أنحاء مُجتمع إنفاذ القانون. فقد اختلفا تمامًا عن عُلماء عِلم النفس الجنائي الأكاديميين، أو الأطِبّاء النفسيين، وعُلماء الجريمة، الذين بحثوا عن سبب قيام المُجرمين بما فعلوه، غالبًا بعد تحديد هويَّة الفاعِل؛ فقد اهتمَّا بمُرتكِب الجريمة وكيفية ارتكابها. وحلَّلا شخصيَّة ونفسيّة مُرتكِب الجريمة من أجل التعرُّف عليه والقبض عليه – وليس تفسيره. ولم يكُن السبب ذا أهميّة كبيرة ما لم يُساعِد في تحديد هويّة الجاني وتأمين اعترافه الكامِل.

في مُنتصف «السبعينيَّات»، سيصِل جيل ثانٍ من عُملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، مثل «روبرت ريسلر»، و«روي هازلوود»، و«ريتشارد أولِت»، إلى وحدة العلوم السلوكيَّة ليُكمِلوا ما بدأه «تيتِن» و«مولاني». وخدم الثلاثة في الجيش، وحصلوا على شهاداتٍ عُليا في علم النفس، أو في حالة «ريسلر»، في إدارة الشُّرطة. وسيعقبهم جيل ثالِث، بقيادة الشاب المتهوِّر الحاصِل على شهادةٍ في علم النفس، «جون دوجلاس»، وامرأة من خارِج مكتب التحقيقات الفيدرالي لتُدرِّبهم أكاديميًّا: وهي «آن بورجس»، مُمرِّضة الطب الشرعي بجامعة «بوسطن». ولكِن هذا جاء بعد ذلِك بكثير. فقد كان «تيتِن»، و«مولاني»، و«ريسلر» هُم من تولوا، في عام 1974، إجراء أول عملية تحليل عملياتي لمكتب التحقيقات الفيدرالي لقاتِلٍ مُتسلسِلٍ نشِط مجهول الهوية في تحقيقٍ جارٍ.

«ديفيد ميرهوفر» الشهير بـ «الجاني صفر»، في «ثري فوركس» بـ «مونتانا» في الفترة بين 1967 – 1974

في عام 1973، أمضى «بيل وماريتا جايجر»، من «فارمنجتون» بـ «ميشيجان»، شهورًا في التخطيط لرحلة تخييم عائِليّة إلى «مونتانا» مع أطفالهما الخمسة، ثلاثة أولاد وفتاتَين، «هايدي»، البالِغة من العُمر ثلاثة عشر عامًا، و«سوزان»، البالِغة من العُمر سبعة أعوام. ثُم انضمَّ أجدادهُم إلى الرحلة بدورهم. وبينما نام البالِغون في المقطورة، نام الأولاد والبنات في خيمتَين مُنفصِلتَين منصوبتَين بجانِبها. نُصِبَت الخيمتان في الفِناء الخلفي للعائِلة لمُدَّة أسبوعَين قبل الرحلة، وتناوَب جميع أطفال الحي على النوم فيهما، وشواء حلوى الخطمي، والتظاهُر بأنهم في رحلة تخييم.

وفي يوم 22 يونيو 1973، وصلَت قافِلة العائِلة إلى موقِع التخييم في مُتنزّه «ميسوري هيدووترز ستيت بارك»، بالقُرب من «ثري فوركس» بـ «مونتانا» في مُقاطعة «جالاتين». ولم تمتلِك عائِلة «جايجر» أي وسيلةٍ

لمعرِفة أن أرض المُخيَّم كانَت مسرحًا لجريمة القتل الغامِضة التي لم تُحَل، والتي راح ضحيتها فتى الكشَّافة «مايكل إيه. راني»، البالِغ من العُمر اثني عشر عامًا، في 7 مايو 1968. عندما استيقظ زميله في الخيمة، ليجِد جرحًا قطعيًّا يشُق جانِب الخيمة، قبل أن يجِد زميله فاقدًا للوعي ومُغطًّى بالدِّماء. كان قد تعرَّض للطعن مرَّة واحِدة، واخترق الجرح رئته. نُقِلَ «راني» إلى المُستشفى، حيث لقي حتفه. وعندما انتهوا من تشريح الجُثَّة، فوجئ الجميع بأنه قد تُوفيَ نتيجة تلفٍ في الدِّماغ، أصابه نتيجة لصدمةٍ قويَّةٍ في رأسه، وليس تأثُّرًا بالطعنة.

وفي الليلة الثالِثة لعائِلة «جايجر» هُناك، خلد الكِبار للنوم في المقطورة، بينما نام الأطفال ليلًا في خيمتهم، تمامًا كما فعلوا من قبل. استيقظت «هايدي» في مُنتصف الليل، وشعرَت برغبةٍ مُلحةٍ للذهاب إلى الحمَّام. قالَت لاحقًا إنها بمُجرَّد أن خرجَت من الخيمة، انتابها فزع غريب من أنَّ شيئًا ما أو شخصًا ما يُراقِبهم من قلب الظلام، لكِنها تجاهلت الأمر، وظنَّت أنه مُجرَّد توتُّر ليلي. انضمَّت إلى شقيقتها الصغيرة في الخيمة، وخلدت إلى النوم. وفي الصباح الباكِر، استيقظَت على تيار هواءٍ بارِد يهبُّ على خيمتهم. نهضَت لتجِد فتحة مقوَّسة مشقوقة في جانِب الخيمة بجوار المكان الذي نامَت فيه «سوزي»، التي اختفت!

لم تقع هذه القضية ضِمن نِطاق اختصاص مكتب التحقيقات الفيدرالي، خصوصًا في ظلِّ غياب أي مُذكِّرة طلب فدية، أو حتى دليل على اختطاف الضحية عبر حدود الولاية، ولكِن مكتب مأمور مُقاطعة «جالاتين» طلب مُساعدة المكتب المحلي. الذي استجوَب رجاله عددًا من المُشتبه بهم، لكِن دون أن يتوصَّلوا إلى أي خيوط. وهكذا لم يُحقِّق مكتب التحقيقات الفيدرالي أي نجاحٍ أكثر من مكتب المأمور في العثور على «سوزان»، وفي غضون أسابيع قليلة.. توقَّفَت القضية.

في ربيع عام 1974، أي بعد حوالي عشرة أشهُر من الاختطاف، وَصَل عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي المُكلَّف بالقضية، «بيت دِنبار»، إلى أكاديميّة المكتب لحضور دورة عِلم النفس الجِنائي التطبيقي مع «تيتِن» و«مولاني». وأثناء وجوده هُناك، عَرَض قضية اختطاف «سوزان جايجر» التي لم تُحل على وحدة تحليل السلوك الجنائي لمُراجعتها، لمعرِفة ما إن كان قد فاته شيءٌ ما في التحقيق. راجَع «تيتِن»، و«مولاني»، و«ريسلر» معًا ملفَّات القضية. لم يكُن هُناك تقرير تشريح للجُثَّة، ولا تقارير موسَّعة عن مسرح الجريمة، ولا جُثَّة. لقد كانَت بدايةً صعبة لأول مُحاولة لمكتب التحقيقات الفيدرالي لتحليل هوية الجاني.

يتذكَّر «مولاني» في مُذكِّراته التي نشرها بنفسه تحت عنوان «ماتادور القتل»:

«شعرنا أن المُشتبه به كان ذكرًا أبيَض في مُنتصف إلى أواخِر العشرينيات من عُمره، أعزب ووحيد، ويعيش في المنطِقة، حيث يعرِفونه ويعتبِرونه غريب الأطوار، كما أنه يتمتَّع بخبرةٍ عسكريَّة، بالإضافة لأنه من مُعتادي الإجرام، لدَيه أمٌّ مُسيطرة، وليس لديه أب، أو لدَيه أب بشخصيَّةٍ ضعيفة، وغير اجتماعي، يمتلِك تاريخًا ضعيفًا في العلاقات الجنسيَّة الغيريَّة. كما شعرنا أيضًا أن تاريخه المِهني يعكِس وضعًا انفراديًّا لا يتطلَّب علاقات شخصيَّة. وربما كان أكثر ما صدم دِنبار هو يقينُنا أنه إن قَبض على المُشتبه به، وفتَّش منزِله، فمن المُحتمَل للغاية أن يعثُر على أشلاء الجُثة. فقد شعرنا أن المُشتبه به قد ارتكب أكثر من جريمة قتل»[(CCXXIX)].

وأضافَت وحدة تحليل السلوك في مكتب التحقيقات الفيدرالي شيئًا آخر في ملفهم الشخصي: توقّعوا أن الجاني سيُحاوِل الانتحار عندما سيُقبَض عليه.

في وقتٍ مُبكِّرٍ للغاية من التحقيق، أعطى مُخبِر مجهول مكتب التحقيقات الفيدرالي اسم مُشتبه به. ومن قبيل الصُّدفة، عَرَفَه دِنبار، الذي نشأ في المنطِقة، لأنه ارتاد المدرسة مع والِدته. كان المُشتبه به هو «ديفيد جيل ميرهوفر»، وهو عامِل حرفي في الرابِعة والعشرين من عُمره يعيش بمُفرده. وهذا أمر مُعتاد في تحقيقات القتلة المُتسلسِلين: عندما يُلقى القبض على أحد المُشتبه بهم، غالبًا ما يكون ذلِك الشخص مُدرَجًا في قائِمة المُشتبه بهم الذين تعرَّفوا عليهم بالفعل، بل حتى واستَجوَبوهم. على سبيل المثال: استُجوِبَ «جاري ريدجواي»، الشهير بـ «قاتِل النهر الأخضر»، أربع مرَّات على الأقل كمُشتبهٍ به على مدى خمسة عشر عامًا، قبل أن يُقبَض عليه أخيرًا، وتُوجَّه إليه أصابِع الاتهام في عام 2001.

تطابقت مواصفات «ديفيد ميرهوفر» مع تلك المذكورة في الملف. فقد كان ذكرًا أبيض، وأعزَب، ومُنعزِلًا، ويعمل لحسابه الخاص كنجار، ويعيش في المنطِقة، وتربَّى على يد والِدته، وواجه صعوباتٍ في المدرسة في الماضي، وطُرِدَ من الكشَّافة عندما حاول طعن صبي آخر، وذكي، ومن قُدامى المُحاربين في «فيتنام»، ونادرًا ما واعَد الفتيات، كما أنه انطوائي، ويُعَد غريب الأطوار إلى حدٍّ ما.

في البداية، تشكَّك «دِنبار» في الملف الشخصي الذي أمدَّته به وحدة تحليل السلوك. فرغم تاريخ الأحداث المُضطرِب، وشخصيَّته الغريبة إلى حدٍّ ما، إلا أن «ميرهوفر» كان محبوبًا في المُجتمَع، لأنه شخص ودود ومُتعاوِن، بالإضافة لامتلاكه سجلًّا مُميِّزًا في مُشاة البحريَّة. وبغض النظر عن حوادِث الأحداث، لم يمتلِك أي سجلٍّ لأي مشاكِل.

بعد البلاغ المجهول، استجوَبه «دِنبار»، الذي خَضَع لمُقابلاتٍ بعد حقنه بـ «مصل الحقيقة»، وهو مصل خُماسي الصوديوم. لكِن «ميرهوفر» تمتَّع بالكثير من المؤيدِين في أرجاء المدينة، بما في ذلِك الطبيب الذي حقنه بـ «مصل الحقيقة». وكَّل «ميرهوفر» مُحاميًا، مُدعيًا أنه يخضَع لمُحاكمةٍ غير عادِلة. وبناءً على نصيحة وحدة تحليل السلوك، أجرى مكتب التحقيقات الفيدرالي اختبار كشف الكذب على «ميرهوفر»، الذي اجتاز الاختبار بنجاحٍ عندما سُئِلَ عمَّا إن كان لدَيه أي علم باختطاف «سوزان جايجر».

ومع ذلِك، هُناك شيء واحِد أزعَج «دِنبار». لقد عرَف «ميرهوفر» ضحية جريمة قتل حديثة، تُدعى «ساندرا ماي ديكمان سمالجان»، البالِغة من العُمر تسعة عشر عامًا. والتي كانَت قد اختفَت في فبراير 1974، بعد حضور مُباراة كُرة سلَّة محليَّة. وفي نهاية المطاف، عُثِرَ على سيَّارتها مُغطَّاة بقُماش القنب والتبن في مزرعة «لوكهارت»، وهي ملكيَّة مهجورة. اكتشفَت الشُّرطة داخِل المنزِل المُتهدِّم في المزرعة خزانة مُلطَّخة بالدِماء ومُغلقة بالمسامير. وعُثِر على حوالي 1200 قطعة عظام مُتفحِّمة في أنحاء العقار، وتعرَّفوا على رفات «سمالجان» من خلال سجلَّات الأسنان، والملابِس الداخليَّة التي عُثِر عليها في الموقِع. وأثناء بحث الشُّرطة، اقترب رجُل من السياج، وسأل عمَّا إذا كانوا قد عثروا على أي شيءٍ بعد. وكان هذا الرجل.. «ديفيد ميرهوفر». ولكِن لم يكُن هُناك أي دليل لاتهامه بأي شيء، أو حتى لإصدار مُذكِّرة تفتيش لمُمتلكاته. «بعد

مرور ثلاثين عامًا، وفي عام 2005، عثر عُمَّال البناء على محفظة سمالجان، وبطاقة هويتها، ودفتر صغير مربوط بسلكٍ مُخبَّأ داخِل جِدار مبنًى في عقارٍ امتلكه ميرهوفر ذات يوم»[(CCXXX)].

«لطالما أردتُ فتاة صغيرة خاصَّة بي»

بالعودة إلى «كوانتيكو»، قدَّم المُحلِّلون الآن اقتراحًا إلى «دِنبار». وتذكَّر مولاني ذلِك قائِلًا: «شعرنا أن الموضوع له علاقة بالجريمة، تمامًا مثل ارتباط المرء بذِكرى زواجه. لقد شعرنا أن هُناك احتمالًا قويًّا للغاية أن يتَّصِل الجاني بوالِدَي «سوزان» في ذكرى اختفائها. لقد أقنعناهُم بأنه ليس لدَينا ما نخسره، بل إننا سنكسب الكثير من خلال وضع جهاز تسجيل على هاتِف منزِل «جايجر» في «فارمنجتون» بـ «ميشيجان». كما أوصَينا أيضًا بضرورة تعقُّب المُكالمة الهاتفية إن تمَّت».

وكما توقَّعوا تمامًا، يوم 25 يونيو 1974، في الذكرى السنويَّة الأولى لاختطاف «سوزان»، تلقَّت والِدتها «ماريتا» مُكالمةً هاتفيَّة من رجُل يدَّعي أن ابنتها بحوزته. كان مكتب التحقيقات الفيدرالي على أُهبة الاستعداد لتسجيل المُكالمة وتتبُّعها. أبقَته «ماريتا» على الخط لأكثر من ساعة، وعندما طلبَت التحدُّث مع ابنتها.. ادَّعى المُتَّصِل أنه محا والدَي «سوزان» من ذاكرتها.

ماريـــــــــتا: «هل عاملتها بشكلٍ جيِّد؟»

المُتَّصِل: «نعم، لقد فعلتُ ذلِك».

ماريـــــــــتا: «لماذا أخذتها؟»

المُتَّصِل: «حسنًا، إنها قصَّة طويلة نوعًا ما. لطالما أردتُ فتاة صغيرة. «يبكي». لطالما أردتُ فتاة صغيرة خاصَّة بي».

ماريـــــــــتا: «هل سبق أن أنجبتَ فتاةً صغيرة خاصَّة بك؟»

المُتَّصِل: «لا».

ماريـــــــــتا: «هل أنت مُتزوِّج؟»

المُتَّصِل: «ليس في الوقت الحالي».

ماريـــــــــتا: «هل تعرَّضَت لسوء المُعاملة؟ هل آذيتَها؟»

المُتَّصِل: «لا، فقط في تلك الليلة الأولى.. عندما اضطُررتُ إلى خنقها بعض الشيء».

ماريـــــــــتا: «عندما أخرجتَها من الخيمة؟»

المُتَّصِل: «نعم».

ماريـــــــــتا: «هل استيقظَت؟»

المُتَّصِل: «ليس على الفور، لقد أحكمتُ قبضتي حول حلقها».

ماريـــــــــتا: «كيف هربتَ؟ لم يتمكَّن أحد من معرِفة كيف تمكَّنتَ من الهرب»[(CCXXXI)].

في نهاية المطاف، دفعَت «ماريبتا» المُتَّصِل للإجهاش بالبُكاء، وتوسَّل إليها أن تُغلِق الهاتِف لأنه لا يستطِيع فعل ذلِك بنفسه. وتتذكَّر قائِلة:

«لقد فوجئتُ حقًّا بمدى الهدوء الذي شعرتُ به. فبدلًا من أن أستشيط غضبًا تجاهه، شعرتُ بشفقةٍ حقيقية. وقبل أن أعرِف حقًّا من أين أتت الكلِمات، سألته: كيف حالك؟ لا بُد أن الذنب الذي اقترفتَه يُثقِل كاهلك. شعرتُ بالقلق عليه حقًّا، واستطاع معرِفة ذلِك من صوتي. سَمِعته يلهث، ثُم يبكي، قبل أن يُجيبني: أتمنَّى أن ينزاح هذا العبء الرهيب. ثُم انقطع الاتصال»(CCXXXII).

ورغم وجود أكثر من ساعة لتتبُّع الهاتِف، إلا أن الأمر فشل برمَّته. ففي عصر ما قبل الرقمي لتبديل خطوط الهاتِف، كان لا بُد من تتبُّع أثر التبديلات السلكية فعليًّا من محطةٍ فرعيّةٍ إلى أخرى. ولم تكُن هذه مُهِمّة سهلة. اختفت المُكالمة في غابةٍ من التبديلات في مكانٍ ما في محطَّةٍ فرعيّةٍ في «فلوريدا». وكان الدليل الوحيد الذي حَصَل عليه مكتب التحقيقات الفيدرالي هو صوت قِطار عابِر أثناء المُكالمة. وبدءوا في البحث في المنازِل المُحيطة بمنطِقة «ثري فوركس» بالقُرب من خطوط السكك الحديديَّة، لكِن لم يكُن بالإمكان ربط أيٍّ منها بـ «ميرهوفر»، أو بأيِّ مُشتبهٍ به مُحتمَل آخر. كما لم يتمكَّن المكتب من العثور على أي شخصٍ يعرِف «ميرهوفر» للتأكُّد بشكلٍ قاطعٍ من صوته، على أنه الصوت الذي سجَّلوه على الشريط.

بعد شهر، وَجَد أحد المُزارعين في المنطِقة مُكالمة هاتفية باهِظة الثمن مُضافة على فاتورة هاتِفه. وعندما زوَّدته شركة الهاتِف باسم مُستقبِل المُكالمة، وَجَد أنهم عائِلة «جايجر» في «ميشيجان». تعرَّف صاحِب المزرعة على الفور على الاسم من التقارير الإخباريّة، واتصل بمكتب التحقيقات الفيدرالي. سار «دِنبار» ونائِب مأمور الشُّرطة على طول خطِّ الهاتِف على طول مُمتلكات صاحِب المزرعة، وبالقُرب من خطِّ السكَّة الحديد، وجدا آثار مركبة تحت عمود هاتِف. لم يعمَل «ميرهوفر» في مُمتلكات صاحِب المزرعة فحسب، بل كان قد تدرَّب في مُشاة البحرية كفنيِّ هاتِف. واتضح أنه قد تسلَّق العمود، وأجرى المُكالمة من هُناك للتشويش على أي تنصُّت افترض أنه قد يُجرى على مُكالمته لعائِلة «جايجر» في «ميشيجان». لكِن المُشكلة كمنَت في إثبات ذلِك.

ومرَّةً أخرى، بناءً على نصيحةٍ من وحدة دعم الأسرة، أعدَّ مكتب التحقيقات الفيدرالي والمأمور اجتماعًا بين «ماريبتا جايجر» و«ميرهوفر» في مكتب مُحاميه. وجادلت وحدة تحليل السلوك بأن وجود أنثى قويّة قد يُثير خوف «ميرهوفر»، واقترحَت إرسال عميلة أنثى لتلعب دور «ماريبتا». وبدلًا من ذلِك، تطوَّعَت الأخيرة للقيام بالمُهِمّة بنفسها. ونصحَت الوحدة بأن تُنظَّم الغُرفة بعنايةٍ مع جلوس «ميرهوفر» في وضعٍ أقل من «ماريبتا» بحيث تكون هي أعلى منه. وتتذكَّر ذلِك فيما بعد قائِلة:

«لم يُظهِر أي علامات تدُل على تعرُّفه عليَّ عند دخوله الغُرفة. وقفتُ وسرتُ نحوه لأُصافِحه. وبينما صافحتُه، فكَّرتُ كيف أنه كان آخر من لمس «سوزي». جلسنا على مقاعِدنا، دون أن يفصِل بيننا أكثر من ثلاثة أقدام. كان مُهذّبًا للغاية. وأخبرني عن مدى أسفِه الشديد لما حدث لابنتي. أخبرني أنه سيُساعدني إن استطاع.. لكِنه لم يختطِفها، ولم يعرِف مكانها. كما قال إنه شعر بالاستياء من أخبار الاختطاف، وشارك في

فريق البحث. واستمرَّ هذا لمُدَّة ساعةٍ تقريبًا، قبل أن يُنهي مُحاميه المُقابلة، مُدعيًا أن موكِّله ليس لدَيه ما يقوله بعد ذلِك.

وقبل أن يُغادِر، صافحته مرَّة أخرى، ونظرتُ في عينَيه بحزم، لكِنه أشاح بوجهه بعيدًا عني. كان تركي ليده أحد أصعب الأشياء التي فعلتُها في حياتي. فقد كان صلتي الوحيدة بها، وكُنت أتحرَّق شوقًا للعثور عليها»[(CCXXXIII)].

في اليوم التالي، ذهبَت «ماريتا» إلى مستودعٍ يملكه «ميرهوفر»، وواجهته مُجدّدًا. فأكَّد لها الأخير مرَّة أخرى أنه لا يعرِف شيئًا عن اختطاف «سوزان»، لكِنه كان أكثر عدوانيَّة، واتهمها بحمل أجهزة تسجيلٍ مَخفيَّة.

«وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ»

عادَت «ماريتا» إلى منزلها في «ميشيجان»، وخيبة أمل فشل المواجهة تُثقِل كاهلها. لكِنها لم تكد تصِل حتى رنَّ هاتِفها. ومرَّة أخرى، كان مكتب التحقيقات الفيدرالي على أُهبة الاستعداد لتعقُّب المُكالمة. عرَّف المُتَّصِل نفسه باسم السيِّد «ترافيس»، وأخبرها أنها لن ترى ابنتها مرَّةً أخرى، لأنها تحدَّثَت إلى رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي. كما وبَّخها لاتهامها الشخص الخطأ باختطاف ابنتِها، وسألها عمَّا إذا كانت تُريد التحدُّث إلى ابنتها. سَمِعَت «ماريتا» صوت طِفلةٍ صغيرة تقول: «إنه رجُل لطيف يا أمي، وأنا أجلِس على حجرِه الآن». لكِن كان من الواضِح أن الصوت مُجرَّد تسجيل. ونادَت «ماريتا» عندها على «ميرهوفر» باسمه الأول، «ديفيد»، وهو الأمر الذي جعله يستشيط غضبًا. فقال ثائِرًا: «لن تري ابنتكِ الصغيرة مرَّة أخرى». قبل أن يُغلِق الهاتِف.

تعقَّبوا هذه المُكالمة بنجاحٍ إلى فُندقٍ في مدينة «سالت ليك» بولاية «يوتا»، على بُعد أربعمائة ميل من مُقاطعة «جالاتين» في «مونتانا». انتظر نوَّاب المأمور «ميرهوفر» عند عودته إلى المنزِل، وعثروا في جيبه على إيصالٍ من فُندقٍ «سالت ليك سيتي»، مكتوب عليه رقم هاتِف عائِلة «جايجر». وعندها.. أصدروا مُذكِّرة تفتيش لمُمتلكاته.

وتمامًا كما توقَّع «تيتِن»، و«مولاني»، و«ريسلر» من مكاتِبهم في «كوانتيكو»، عثرت شرطة «مونتانا» على أجزاءٍ من الجُثَّة مُخزَّنة في منزِل «ميرهوفر». كما وجدوا في الثلَّاجة لحمًا كُتِبَ عليه «برجر لحم الغزال – سـ. مـ. د. س.»، وهو اختصار لاسم «ساندرا ماي ديكمان سماجان». وتأكَّدوا لاحقًا أنها بقايا بشريّة. «من المُخيف أن ميرهوفر كان قد حضر قبل أسبوعَين من اعتقاله نُزهة كنسيّة، ساهم فيها بطبق لحم غامِض». كما عُثِرَ في الثلَّاجة على إحدى يدي «سماجان» المقطوعتَين. وقدَّمها أحد نوَّاب المأمور إلى مُحامي «ميرهوفر»، الذي دافع عنه بشغفٍ لعدَّة شهور، وجاء إلى المنزِل للتأكُّد من أن الشُّرطة لم تتجاوَز أمر التفتيش. ركض المُحامي إلى الخارِج ليتقيَّأ[(CCXXXIV)].

في 29 سبتمبر 1974، وفي مُقابل رفض المُدَّعي العام طلب عقوبة الإعدام، اعترف «ديفيد ميرهوفر» بإطلاق النار على صبيٍّ يبلغ من العُمر ثلاثة عشر عامًا، يُدعى «برنارد إل. بولمان»، في 19 مارس 1967، وبطعن فتى الكشَّافة «مايكل إيه. راني» يوم 7 مايو 1968، وبخطف وخنق وتقطيع وحرق جُثَّتي «سوزان جايجر» في عام 1973، و«ساندرا سماجلان» في عام 1974. وبارتكاب جريمتَين من جرائِم القتل الأربعة قبل ذهابه إلى «فيتنام»، لذا لم تكُن صدمة الحرب على جدول أعمال دِفاعه.

كانت اعترافاته مُقتضبة، ورفض الاعتراف بالعديد من جرائِم القتل والاعتداءات الأخرى المُشتبه بها في المنطِقة. ورغم العثور على العديد من البطَّانيات المُلطَّخة بالدماء في مُمتلكاته، إلا أنه أنكر معرفته بأي شيءٍ عنها.

كما وَصَف كيف أطلق النار على «برنارد بولمان» ببُندقيّة عيار 22 من الجانِب الآخر من النهر. واعترف بطعن «مايكل راني»، لكِنه أنكر تمامًا ضربه بالهراوة.

مُحقِّق الشُّرطة: «حسنًا، ماذا حدث مع مايكل راني؟»

ديفيد ميرهوفر: «حسنًا، ذهبتُ إلى الحديقة حيث خيَّم فتيان الكشَّافة، ذهبتُ لإحضار شخصٍ ما، وفتحتُ هذه الخيمة، ورأيتُ هذا الصبي الصغير، ولم أستطِع إجبار نفسي على أخذه، لذا طعنته في ظهره».

مُحقِّق الشُّرطة: «وبعد ذلِك، هل ضربتَه بأي شيءٍ على رأسه، أو أي شيء؟»

ديفيد ميرهوفر: «لا، لم أفعل».

مُحقِّق الشُّرطة: «إذن فقد طعنته فحسب، هل هذا صحيح؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم».

مُحقِّق الشُّرطة: «لم تضربه بهراوة، أو بقبضتك، أو بأي شيء؟»

ديفيد ميرهوفر: «لا، لم أفعل».

وصف اختطافه لسوزان:

مُحقِّق الشُّرطة: «بصراحةٍ وصدقٍ شديدَين، وباختصار الأمر إلى أقصى حد، هل اختطفتَ سوزي يوم 25 يونيو من خيمة؟ سوزي جايجر، من مُتنزّه ولاية هيدووترز في ثري فوركس؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم».

مُحقِّق الشُّرطة: «هل تسبَّبتَ في إصابة سوزان؟ وإن فعلت، فكيف؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم، لقد خنقتها».

مُحقِّق الشُّرطة: «هل قتلتَها عندما خنقتَها؟»

ديفيد ميرهوفر: «لا».

مُحقِّق الشُّرطة: «متى قتلتَها إذن؟»

ديفيد ميرهوفر: «بعد ذلِك بقليل».

مُحقِّق الشَّرطة: «حسنًا، لنبدأ يا ديفيد. أعلم أن هذا صعب، لكِنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها للقيام بذلِك. بعد أن أخذتها من الخيمة، وخنقتها، إلى أين ذهبتَ بها؟»

ديفيد ميرهوفر: «على بُعد حوالي مائة ياردة شمالًا، ثُم إلى الطريق السريع، ثُم عدتُ بها إلى أسفل الطريق السريع على بُعد خمسين ياردة إلى أعلى التلِّ حيث يقع النصب التذكاري، إلى أسفل الطريق أعلى هذا التل، وعلى بُعد نصف ميلٍ تقريبًا إلى شاحنتي الصغيرة التي انتظرتني بجانِب النهر».

مُحقِّق الشُّرطة: «هل وضعتها في الشاحِنة الصغيرة؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم».

مُحقِّق الشُّرطة: «ثُم إلى أين أخذتها؟»

ديفيد ميرهوفر: «ذهبتُ بها إلى مزرعةٍ يملكها بِل براينت».

مُحقِّق الشُّرطة: «مزرعة لوكهارت، أليس كذلِك؟ هل ثبَّتها بعد ذلِك في الخزانة؟ أعني هل وضعتها في الخزانة، وأغلقتَ الباب بالمسامير؟»

ديفيد ميرهوفر: «لا».

مُحقِّق الشُّرطة: «حسنًا، ماذا حدث بعد ذلِك؟»

ديفيد ميرهوفر: «حسنًا، لقد خلعتُ ملابسها، ثُم.. حسنًا، شرعتُ في تحسُّس جسدها، وشعرتُ بإثارةٍ جامحة، على ما أعتقِد، وخنقتُها، لقد ماتت».

مُحقِّق الشُّرطة: «ماذا؟»

ديفيد ميرهوفر: «لقد ماتت».

مُحقِّق الشُّرطة: «حسنًا، ثُم هل أخفيتَ جُثَّتها؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم».

مُحقِّق الشُّرطة: «أين؟»

ديفيد ميرهوفر: «قطَّعتها إربًا».

مُحقِّق الشُّرطة: «وأين توجَد الجُثَّة؟»

ديفيد ميرهوفر: «حسنًا، لم يتبقَّ منها الكثير».

مُحقِّق الشُّرطة: «ماذا تبقى منها؟ أين.. أين وضعتَ الأشلاء؟»

ديفيد ميرهوفر: «وضعتُ رأسها في ذلِك المرحاض الخارجي خلف المزرعة، وأحرقتُ ما تبقى منها».

استعادَت الشُّرطة جُمجمتها من المرحاض الخارجي. وقال «ميرهوفر» إنه قطَّع جُثتها، وبتر رأسها بسكِّين صيدِه قبل أن يحرق أشلاءها.

مُحقِّق الشُّرطة: «حسنًا، الآن يا ديفيد، هل أخبرتنا أو ستُخبرنا بما حدث لساندرا سمالجان؟»

ديفيد ميرهوفر: «نعم».

مُحقِّق الشَّرطة: «وبكلماتك أنت، بنفس الطريقة التي وصفتَ بها ما فعلته مع سوزي، تفضَّل».

ديفيد ميرهوفر: «حسنًا، لقد صعدتُ إلى شقَّتها حوالي الساعة الثانية من صباح اليوم العاشِر، ووجدتها نائِمة، قفزتُ عليها، وخنقتها، ثُم قيَّدتها، ووضعتُ شريطًا لاصِقًا حول فمها، ثُم ذهبتُ لأضع بعض ملابسها وأغراضها في السيَّارة، ومن الواضِح أنني عُدتُ لأجدها قد ماتت. لم تتمكَّن من التنفُّس من خلال الشريط اللاصِق»[(CCXXXV)].

ثُم وَصَف «ميرهوفر» بعد ذلِك كيف قاد جُثّة «سماجان» إلى المزرعة، وقطَّعها بسكين صيده ومنشاره، ثُم أحرق بقاياها، قبل أن يتخلَّص منها. لقد كان اعترافه مُقتضبًا.

وفي نهاية اليوم، بعد أن حصلوا على اعترافاته، ووقَّع عليها، حبَسه المأمور في زنزانته ليلًا.

وفي تلك الليلة، تمامًا كما حذَّرت وحدة تحليل السلوك، استخدم «ميرهوفر» منشفةً لشنق نفسه في زنزانته، حاملًا كُلَّ الأسرار والتفسيرات معه إلى قبره.

وبتفتيش منزِله، لم يُعثَر على أي تفسير أيضًا، ولا على أي مُذكِّرات، أو تذكارات، أو مواد إباحيَّة – فقط وضع خطًّا تحت آية بعينها في كِتابه المُقدَّس: «وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!» ووفقًا لصحيفة «جريت فولز تريبيون» في «مونتانا»، قال رجل دين محلي إن هذه الآية مثَّلَت أحيانًا قوَّة مُحفِّزة للمُختلِّين والمخابيل لتبرير الأفعال الشنيعة تحت ستار الدين[(CCXXXVI)].

وكانَت هذه هي الطريقة التي نَجَح بها التنميط في مكتب التحقيقات الفيدرالي في المرَّة الأولى التي جرَّبوه فيها، وهذه هي الطريقة التي لا تزال تعمل بها حتى اليوم. ويعمل التنميط جنبًا إلى جنبٍ مع مجموعةٍ من تقنيات التحقيق والطِّب الشرعي الأخرى، بالإضافة إلى مُثابرة ومهارة رِجال الشُّرطة في الاستفادة من الحدس إلى جانِب الحظ الغبي العشوائي، مثل معلومة مجهولة المصدر، أو اعتراض صاحِب مزرعة على فاتورة هاتِفه، أو جرأة أمٍّ قويَّة على تقديم قاتِل ابنتها إلى العدالة برحمةٍ حقيقيّة. نادرًا ما يتواجَد المُحلِّلون في مسرح الجريمة الفعلي؛ ونادرًا ما يُهرعون شاهِرين أسلحتهم إلى موقِع المُشتبه به الذي حدَّدوا خصائصه كما يحدُث في الأفلام أو على شاشات التلفاز، وفي حين يُعَد التنميط أداة قيِّمة في تضييق نِطاق قائِمة المُشتبه بهم التي أُعِدَّت بالفعل، فإنه لا توجَد حالة مُسجَّلة للقبض على قاتلٍ مُتسلسلٍ بناءً على التنميط وحده. فهو ليس سوى جُزءٍ واحِد من آلية مُعقَّدة تُشكِّل التحقيق في جرائِم القتل المُتسلسِلة.

صائِدو الأفكار: الجيل الثالِث

بحلول نهاية «سبعينيَّات» القرن العشرين، ترقَّى «تيتِن» و«مولاني» في الرُّتب العُليا في مكتب التحقيقات الفيدرالي، وانتقلا إلى واجباتٍ ومهام أخرى تتعلَّق باحتجاز الرهائِن وسيكولوجيّة القتلة والأمريكيين الذين يتجسَّسون لصالِح الروس. وقاد «روبرت ريسلر» عملية التنميط من جيلِها الثاني إلى جيلها الثالِث، حيث جنَّد عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي «جون دوجلاس»، والمُمرِّضة الشرعيَّة بجامعة «بوسطن»، «آن

بورجس»، في برنامجٍ جديد من المُقابلات مع القتلة المُتسلسِلين المسجونين، وهو موضوع مُسلسل «صائِد الأفكار» الذي عرضته «نتفلكس» مؤخَّرًا.

وُلِدَ «ريسلر» في «شيكاغو»، وخدم في الجيش كشُرطي عسكري. وحَصَل على شهادات في إدارة العدالة، لكِن لطالما فتنَه علم النفس الجنائي منذ قضية القاتِل المُتسلسِل «ويليام هيرينز» في «شيكاغو» (الذي زاره ريسلر في نهاية المطاف لإجراء مُقابلةٍ مُخيِّبة للآمال). وفي عام 1970، بعد أن ترك الجيش، انضمَّ «ريسلر» إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وعُيِّن في وحدة تحليل السلوك في عام 1976، حيث درَّس وعمل في مجال التفاوُض على إطلاق سلاح الرهائِن.

ويتَّفِق مُعظم المؤرِّخين على أن «ريسلر» رُبما لم يكُن أول من صاغ مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل»، ولكِنه على الأقل أدخلَه في الاستخدام الحالي. ويدَّعي «ريسلر» أنه قد استوحى المُصطلح من مشاهد مُسلسلات يوم السبت الصباحيَّة التي تترُك الجمهور راغِبًا في المزيد، وتُجبِرهم على العودة في يوم السبت التالي لمُشاهدة الحلقة التالية، تمامًا كما ترك القتلة المُتسلسِلين في حالةٍ من عدم الرضا، وراغبين في القتل مرارًا وتكرارًا. وفي عام 1981، دخل المُصطلح للاستخدام العام.

في ذكرياته عن الأيام الأولى لوحدة تعديل السلوك، لم يكُن في جعبة «باتريك مولاني» شيءٌ ليقوله عن «ريسلر» سوي: «لقد كان بوب مُشاكِسًا»[(CCXXXVII)].

آمن «ريسلر» أن هُناك نوعَين من عُملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي: أولئِك الذي يطلبون الإذن للقيام بكُل شيءٍ يفعلونه؛ لأنهم لا يُريدون التورُّط في مشاكل مع التسلسُل الهرمي، وأولئِك الذين لا يطلبون الإذن أبدًا للقيام بأي شيءٍ لأنهم يُريدون إنجاز الأمور. ووفقًا لـ «ريسلر»، فقد تأثَّر بأدميرال البحرية الأمريكيَّة، «جريس هوبر»، البالغة من العُمر واحدًا وسبعين عامًا، والتي آمنت أنه بمُجرَّد أن يُصاغ الإذن الرسمي على الورق، ويُرفَض، فإن المشروع المُقترح يكون في عداد الموتى، ونادرًا ما يُمكِن إعادة إحيائه في هيكل قيادة مثل البحرية، ونصحَت قائِلة: «من الأفضَل أن تطلُب الغُفران، خيرٌ من طلَب الإذن».

اهتمَّ «ريسلر» بعلم النفس الجنائي، لكِنه لم يكُن أخصائيًّا نفسيًّا – فقد كانَت خلفيَّته في الإدارة وإنجاز الأمور. وقد أزعجه أن مُعظَم المواد التي جمعتها الوحدة لم تكُن سوى مُلاحظات غير مُباشرة من ضُباط الشُّرطة أو عُلماء النفس الجنائي أو الأطباء النفسيين. وأراد أن يعرِف.. ماذا قال الجُناة لأنفُسهم. أرسل مكتب التحقيقات الفيدرالي «ريسلر» في جميع أنحاء البلاد في سلسلةٍ من الدورات التدريبيّة في مُختلف الولايات القضائيّة. وبدون إخبار أي شخص، أو الحصول على إذن، بدأ في زيارة القتلة المسجونين البارزين وإجراء مُقابلات معهم؛ وسؤالهم عمَّا يعتقِدون أنهم يفعلونه. وفي تلك الأيام، كان يُمكِن ترتيب زيارة السجن في كثيرٍ من الأحيان بمُجرَّد إبراز أوراق اعتماده من مكتب التحقيقات الفيدرالي.

بدأ «ريسلر» بإجراء مُقابلات مع بعض القتلة البارزين في «ستينيَّات» و«سبعينيَّات» القرن الماضي، بدءًا من قاتِل «روبرت كينيدي»، «سرحان سرحان»، إلى «ابن سام»، و«تشارلز مانسون». واستمرَّ في ذلِك لمُدَّة عامٍ تقريبًا، قبل أن يُبلِّغ مُشرِفه في وحدة مُكافحة الإرهاب عن زياراته. ولحُسن حظه، كانت هذه هي

اللحظة التي شجَّع فيها التسلسُل الهرمي لمكتب التحقيقات الفيدرالي وحدة تحليل السلوك على إجراء المزيد من الأبحاث، وحَصَل «ريسلر» عندها على دعمٍ رسمي لتأسيس ما سيُصبِح مشروع أبحاث الشخصيّة الإجراميّة.

أحضَر «ريسلر» الآن إلى مشروعه «جون دوجلاس»، البالِغ من العُمر ثلاثةً وثلاثين عامًا، والذي انضمَّ إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 1970 بعد أن خدم في القوَّات الجويّة. حَصَل على العديد من الشهادات العُليا في عِلم النفس والإرشاد وتعليم الكبار، ووَصَل إلى الوحدة في عام 1977، مثل الجميع هُناك تقريبًا، حيث درَّس التفاوُض على إطلاق سراح الرهائِن. وكانت مُهِمَّته الأولى في مكتب التحقيقات الفيدرالي مع فريق التدخُّل السريع في «ديترويت». وواجه عددٌ من العُملاء الذين رافقوه في المُقابلات بعضَ المشاكِل في التعامُل مع القصص المُرعِبة التي رواها لهم بعض القتلة المُتسلسِلين، أو على الأقل في إخفاء ردود أفعالهم عن القتلة المُتسلسِلين. أُعجِب «ريسلر» بأسلوب «دوجلاس» اللطيف والهادئ عند إجراء المُقابلات مع القتلة. فقد ارتدى الأخير قناعًا لا يُصدِر أي أحكام، كما شجَّعهم بحرارة، وأقام بسهولةٍ علاقةً مع المرضى النفسيين الذين زاروهم، مما جعلهم في حالةٍ ذهنيّةٍ مُتفتِّحة.

من أجل تأمين التمويل لمشروعه من وزارة العدل، أحضَر «ريسلر» المُمرِّضة والباحِثة في الطب الشرعي «آن بورجس» للمُساعدة في صياغة طلب المنحة، وبروتوكولات البرنامج في شكلٍ أكاديميٍّ مُنضبِط.

انتهى مشروع أبحاث الشخصيّة الإجراميّة إلى إجراء مُقابلات مع تسعة وعشرين سجينًا من القتلة الجنسيين المُتسلسِلين، وسبعة قتلة جنسيين مُنفردين، وسؤالهم عن طفولتهم، وتخيُّلاتهم، وماذا اعتقدوا أنهم يفعلونه، كما صُوِّر الآن بشكلٍ خياليٍّ في مُسلسل «صائِد الأفكار». ستؤدي هذه المُقابلات، إلى جانِب عمل «روي هازلوود»، المُتخصِّص في الجرائِم الجنسيّة، وغيره من عُلماء السلوك في وحدة تحليل السلوك بمكتب التحقيقات الفيدرالي إلى النِّظام المُثير للجدل لتصنيفات القتلة المُتسلسِلين المُنظَّمة/ غير المُنظَّمة/ المُختلطة. بعد استخدامه لما يقرُب من ثلاثين عامًا، وفي عام 2004، سيخلُص مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى أن هذا النظام ذو «فائِدة محدودة» في التحقيقات الجارية بشأن القتلة المُتسلسِلين، ولم يعُد يُستخدَم في التحليل اليوم للقضايا[(CCXXXVIII)].

في عام 1986، نشر «ريسلر»، و«بورجس»، و«دوجلاس» كِتابهم الكلاسيكي الذي يستنِد إلى مُقابلاتهم بعنوان: «القتل الجنسي: الأنماط والدوافِع». والذي لا يزال يُعتبَر نصًّا مُهِمًّا عن سيكولوجيّة القتلة المُتسلسِلين.

وفي عام 1981، طرح «ريسلر» مُبادرةً لما سيُصبِح فيما بعد المركز الوطني لتحليل الجرائِم العنيفة «NCAVC»، الذي يُنسِّق بين التنميط والبحث في الجرائِم المُتسلسِلة، ويضُم برنامج القبض على المُجرِمين العنيفين «ViCAP»، وهو قاعدة بيانات وطنيَّة لحوادِث جرائِم العُنف وخصائِصها – هو أمر كان «بيرس بروكس» قد اقترحه لأول مرَّة في أواخِر «خمسينيَّات» القرن الماضي، وأعاد إحياءه في أواخِر «السبعينيَّات». ومن خلال الشراكة مع وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي، حَصَل اقتراح «بروكس» الآن على

تمويلٍ كبيرٍ لمشروعه الذي لطالما حَلم به، وفي نهاية المطاف، أصبح أول مُدير لبرنامج القبض على المُجرمين العنيفين «ViCAP»، عندما بدأ العمل في عام 1985.

وفي هذه الأثناء، أصبَح «جون دوجلاس»، الذي كان في هذه الأثناء لطيفًا، ووسيمًا، وحَسَن الحديث، وشابًّا مُتعلِّمًا، وحاصلًا على شهادةٍ في علم النفس، يُمثِّل الوجه العام لوحدة العلوم السلوكية التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي، خاصَّةً عندما تورَّطوا في جرائِم قتل الأطفال في «أتلانتا». أحبَّته الصحافة. وعندما قدَّم «دوجلاس» لاحقًا المشورة للادِّعاء حول أفضل طريقةٍ لتحفيز «واين ويليامز» أثناء مُحاكمته، أحبَّته الصحافة أكثر. وفي نهاية المطاف، غيَّر دوجلاس اسم الوحدة إلى وحدة دعم التحقيقات. وقال إنه أراد أن يُزيل العلوم السلوكيَّة من التوصيف، ويجعلها أكثر اتساقًا مع التحقيقات، وليس مع علم السلوك. واليوم تُسمَّى وحدة تحليل السلوك. قبل أن يتقاعد في عام 1996 ليعمل مُستشارًا خاصًّا، ومؤلفًا للكُتب الأكثر مبيعًا.

هناك العديد من أشكال التنميط المُختلِفة التي طُوِّرَت خارِج مكتب التحقيقات الفيدرالي، وفعالية التنميط الذي يقوم به المكتب، وفعالية وحدة تحليل السلوك، تُعد موضِع نِقاش.

ولكِن هذا هو، على الأقل، التاريخ «الرسمي» لنظام التنميط في مكتب التحقيقات الفيدرالي.

صناعة بلاء القاتِل المُتسلسِل

في نفس الوقت الذي دَخَل فيه مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» إلى مُفرداتنا الشائِعة، تبنى الكونجرس مفهوم «بلاء القاتِل المُتسلسِل». ومن قبيل المُصادفة أن نفس الشخص الذي نعتقِد أنه صاغ المُصطلح الأول، رُبما يكون هو نفسه من صاغ الثاني، عندما قال «ريسلر» في «الثمانينيَّات»: «القتل المُتسلسِل – أعتقِد أنه قد وَصَل إلى مستوى البلاء. فهذا النوع من الجرائِم التي نشهدها اليوم، لم يكُن يحدُث بأي وتيرةٍ معروفة قبل «الخمسينيَّات». فالفرد الذي يُزهِق عشرة، أو اثني عشر، أو خمسة عشر، أو خمسة وعشرين، أو خمسة وثلاثين روحًا ظاهرة جديدة نسبيًّة في صورة الجريمة في الولايات المُتحِدة»[(CCXXXIX)].

ونظرَت ثلاث لِجان رئيسيَّة في الـ «كابيتول هيل» في الفترة بين 1981 – 1983 في قضايا العُنف المُتزايِد، وعمى الربط، واختطاف الأطفال، والمواد الإباحية للأطفال، والقتلة المُتسلسِلين: فرقة عمل المُدَّعي العام المعنيّة بجرائِم العُنف، ولجنة مجلِس النوَّاب المعنيّة بالحقوق المدنيّة والدستوريّة، واللجنة الفرعيّة لعدالة الأحداث التابِعة للجنة القضائيّة في مجلِس الشيوخ الأمريكي برئاسة السيناتور «أرلين سبكتر».

وقد تخلَّل بداية جلسات الاستماع هذه في عام 1981 عدَّة حالات دراماتيكيَّة لقتل الأطفال المُختطفين. ففي «أتلانتا»، قُبِضَ على «واين ويليامز» في سلسلةٍ من إحدى وثلاثين جريمة قتل أطفال؛ أما في «نيويورك»، فقد اختفى «إيتان باتز» بشكلٍ مُشين وهو في طريقه إلى المدرسة «أُدين قاتِل الصبي بعد ثمانيةٍ وثلاثين عامًا، في فبراير 2017[(CCXL)]؛ وفي «فلوريدا»، اختفى «آدم والش»، البالِغ من العُمر ستَّ سنوات، في مركزٍ تُجاري. عُثِر على رأسه المقطوع طافيًا في قناةٍ مائيّة؛ لكِن لم يُعثَر على جُثته قط. وأصبح

والِده، «جون والش»، مُناصِرًا قويًّا عن الضحايا والأطفال المفقودين، ومُقدِّم برنامج «أكثر المطلوبين في أمريكا».

وشهدت اللجان مجموعة متنوّعة من مسئولي مكتب التحقيقات الفيدرالي، مثل «بيرس بروكس» الذي باع فكرة قاعدة بياناته، والتي أصبحت «ViCAP»؛ و«جون والش»، الذي أصبح مُدافِعًا عن الأطفال المُختطفين؛ ومؤلِّفة روايات الجرائِم الحقيقيَّة «آن رول». وكان الانطباع الذي خلَّفوه هو أن المِئات من القتلة المُتسلسِلين المُهاجرين تجوَّلوا في جميع أنحاء البلاد، ليختطِفوا ويقتلوا آلاف الأطفال والشابَّات الأمريكيَّات كُل عام. وقالَت «آن رول» لأعضاء مجلِس الشيوخ في اللجنة القضائيّة التي تبحث في «أنماط جرائِم القتل التي يرتكِبها شخص واحِد بأعدادٍ كبيرة دون سببٍ أو دافِعٍ واضح»:

«إن العديد من القتلة المُتسلسِلين الذين بحثتُ عنهم قطعوا 200 ألف ميل سنويًّا بسيَّاراتهم. إنهم يتحرَّكون باستمرار، حتى إنهم قد يقودون سيَّاراتهم طوال الليل. ودائِمًا ما يبحثون عن الضحيَّة العشوائيَّة التي قد تعترِض طريقهم.. وعندما نتحدَّث عن صفحة بيضاء، وبداية جديدة في هذا السياق، فإنه أمر تقشعِرّ له الأبدان.. لأنه في كُل مرَّة ينتقِل هؤلاء الرِّجال إلى منطِقةٍ جديدةٍ، رُبما على بُعد ولايتَين، فإنهم يبدءون من جديد. ولا تتعرَّف الشُّرطة هُناك على هذا النمط»[(CCXLI)].

لم يكُن ادِّعاء «رول» سوى محض هراء، لكِنَّ أحدًا لم يُشكِّك في ذلِك. أولًا، لأنه من أجل قيادة السيَّارة لمسافة 200 ألف ميل في العام الواحِد، يجِب على المرء أن يقود لمسافة 547 ميلًا كُل يوم. ولم تُحدِّد «رول» أبدًا في شهادتها هوية هؤلاء «العديد من القتلة المُتسلسِلين» الذين زعمَت أنهم قطعوا تلك المسافات الهائِلة. وعلاوةً على ذلِك، من الناحيَة الإحصائيّة، فإن غالبيَّة القتلة المُتسلسِلين يلتزِمون بمنطِقتهم، أو مدينتِهم، أو ولايتهم الأصليّة. ولم يكُن «تِد بندي» القاتِل المُتسلسِل الذي يتنقَّل بين مُختلف الولايات سوى حالة شاذَّة.

وقالَت «رول» عندما وصفَت لأعضاء مجلِس الشيوخ كيف اعتاد «تِد بندي» التنقُّل عبر حدود الولايات: «أعتقِد أن برنامج القبض على المُجرمين العنيفين كان من شأنه أن يُنقِذ حياة 14 أو 15 شابة على أقل تقدير لو كان قيد التشغيل».

وعُرِضَت الإحصائيَّات أمام الكونجرس بطريقةٍ خادعةٍ لتسليط الضوء على عددٍ «بلائي» من جرائِم القتل واختطاف الأطفال. على سبيل المثال، دُمِجَ عدد جرائِم القتل التي لم تُحل في عامٍ مُعيَّن، مع جرائِم القتل «المجهولة الدافِع»، و«الغريبة»، و«المجهولة العلاقة» لإعطاء انطباعٍ بأن ما يقرُب من 25 في المائة من جميع جرائِم القتل في الولايات المُتحِدة قد ارتُكِبَت على أيادي قتلةٍ مُتسلسِلين مجهولين. وفي حين أن بعض جرائِم القتل المُتسلسِلة تندرِج ضمن هذه الفئات بالفعل، إلا أن مُعظمها لم يكُن كذلِك.

أما بالنسبة للادِّعاءات بأن قتلةً مُتسلسِلين غُرباء قد اختطفوا آلاف الأطفال، فقد توصَّلَت دراسة شملت 1498 جريمة قتل أطفال في «كاليفورنيا» في الفترة بين 1981 – 1990 إلى أن الأقارِب، ومُعظمهم من الآباء، كانوا أكثر قتلةِ الأطفال دون سنِّ العاشرة تكرارًا بنسبة 44.8 في المائة من الحالات. وكان الغُرباء،

سواء كانوا قتلةً مُتسلسِلين أو غير ذلِك، متورِّطين في نسبة 14.6 في المائة فقط من جرائِم قتل الأطفال[CCXLII].

وعلاوة على ذلِك، فإن تعريف «الاختطاف» لم يتطابَق بالضرورة مع مُخيِّلة الجمهور. فعلى سبيل المثال، في قانون العقوبات في «كاليفورنيا» آنذاك، كان مُتعارفًا على أن الضحية تُستدرج، أو تُنقل عنوةً لمسافةٍ تزيد عن عشرين قدمًا، أو تُحتجز لمُدةٍ تزيد عن نصف ساعة دون حَراك. وبطبيعة الحال، أدى ذلِك إلى تضخُّم إحصائيات الاختطاف[CCXLIII].

وكما قال «جويل بِست» في تحليله للمُطالبات المُقدَّمة إلى الكونجرس: «هُناك ثلاثة مبادئ تبدو واضِحة: أن الأرقام الكبيرة أفضل من الأرقام الصغيرة؛ وأن الأرقام الرسميَّة أفضل من الأرقام غير الرسميَّة؛ وأن الأرقام الرسميَّة الكبيرة هي الأفضَل على الإطلاق»[CCXLIV].

واعترف «ريسلر» نفسه قائِلًا: «في تغذية هذا الجنون، استخدمنا تكتيكًا قديمًا في «واشنطن»، وهو التلاعُب بالمُشكِلة كوسيلةٍ لجعل الكونجرس وكِبار المسئولين في السُّلطة التنفيذيَّة ينتبِهون إليها»[CCXLV].

وقد أدَّت شهادة «الرقم الكبير» المُخيفة الغرَض منها. وتدفَّقَت الملايين من الدولارات الفيدرالية الآن على برنامج القبض على المُجرمين العنيفين «ViCAP»، والمركز الوطني لتحليل الجرائِم العنيفة «NCAVC»، وبرز مكتب التحقيقات الفيدرالي باعتباره الوكالة الوحيدة القادِرة على مواجهة هذا «البلاء» من القتلة المُتسلسِلين المُتنقِّلين العابرين لحدود الولاية.

واستكمالًا لخطاب «كيتي جينوفيس»، وخطاب «فيرنون جي. بيرث» الشهير بـ «ماري الصغيرة الحُلوة»، حبكت صحيفة «نيويورك» عندها خيوط القصَّة في هذا الاتجاه، في مقالٍ بعنوان: «مسئولون يُشيرون إلى ارتفاع عدد القتلة الذين يجوبون الولايات المُتحِدة بحثًا عن ضحايا»، نقلًا عن مسئولين زعموا أن الارتفاع في جرائِم القتل المُتسلسِلة «مُرتبِط بطريقةٍ ما بالتغييرات الكاسِحة في المواقِف المُتعلِّقة بالجنس التي حدثت في العشرين عامًا الماضية»[CCXLVI]. ومرَّة أخرى، أُلقيَ باللوم على الاختلاط الجنسي للإناث، بدلًا من الاحتفاء المريض باختطاف النساء، واغتصابهن، وتشويههن، وقتلهنَّ في مجلَّات مُغامرات الرجال السائِدة، ومجلَّات التحقيقات في الجرائِم الحقيقيَّة منذ «الأربعينيّات»، و«ما قبلها»، التي استهلكها القتلة المُتسلسِلون منذ طفولتهم، قبل فترة طويلة من «تحرير المرأة»، و«الثورة الجنسيَّة».

ورغم العمل المُكثَّف في «كوانتيكو» منذ «السبعينيَّات»، وقاعِدة بيانات «ViCAP» التي أُدخِلَت حديثًا، إلا أن «الثمانينيَّات» جلبت لنا المزيد من القتلة المُتسلسِلين أكثر من ذي قبل، ورغم أن عدد الضحايا نادرًا ما تجاوز العشرين إلى الثلاثين أو أكثر، والتي تراكمَت في «السبعينيَّات» على يد قتلة مثل «جون واين جاسي»، و«تِد بندي»، و«خوان كورونا»، و«دين كورل». وهذا يُشير إلى أن القتلة المُتسلسِلين كان يُقبَض عليهم في وقتٍ مُبكِّرٍ من «حياتهم المهنيّة»، قبل أن يتمكَّنوا من جمع أعدادٍ كبيرة من الضحايا كما حدث في العقد الماضي.

وقد أتاح التنميط النفسي – الخاص بمكتب التحقيقات الفيدرالي وغيره «للاطلاع على وصفٍ لمجموعةٍ من أنظِمة التنميط المُختلِفة، انظُر كِتاب «القتلة المُتسلسِلين» – للمُحقِّقين في جرائِم القتل في الخطوط الأماميَّة فهمًا أفضل للفرْق بين أسلوب القتل المُتغيِّر و«التوقيع» الثابِت. ولم يعُد أي تغيير في أسلوب الجريمة أو في نوع الضحية يؤدِّي تلقائيًّا إلى استبعاد المُحقِّقين لاحتماليَّة وجود قاتِل مُتسلسِل. وأصبح لدى المُحقِّق العادي في جرائِم القتل الآن فهم ووعي أكثر تطوُّرًا لمُرتكبي الجرائِم المُتسلسِلة. كما تحسَّنَت الاتصالات وتبادُل المعلومات بين الولايات القضائيّة خلال «ثمانينيَّات» القرن الماضي.

«هنري لي لوكاس» الشهير بـ «قاتِل الاعترافات»

احتلَّ «هنري لي لوكاس» الصفحات الأولى في أوائِل «ثمانينيَّات» القرن الماضي باعترافاتٍ مُذهلةٍ بأنه قتل 100 شخص في البداية، ثُم 360، ثُم 3000 شخص. وسُرعان ما وُصِف «لوكاس» بأنه «أغزر القتلة المُتسلسِلين إنتاجًا على الإطلاق». وكمنَت المُشكِلة في أن المُحقِّقين من مُختلف السُّلطات القضائيَّة قد هُرعوا إليه مُتحمِّسين لإغلاق القضايا غير المحلولة في سجلَّاتهم، واتضح أنه قد اشتُهِرَ بوجوده في ولايات أخرى في أوقات جرائِم القتل التي ادَّعى أنه ارتكبها. وفي عام 1986، خلص المُدَّعي العام في «تِكساس» إلى ما يلي:

«باستثناء اعترافات «لوكاس» الثلاثة الأصليَّة بجرائِم قتل والِدته في «ميشيجان» عام 1961، و«فريدا باول» و«كيت ريتش» في «تكساس» عام 1982، كان هُناك نقص ملحوظ في الأدِلَّة الماديَّة التي تربط «لوكاس» بالجرائِم التي اعترف بها. ولم يُرشِد «لوكاس» السُّلطات إلى مكان أي جُثث للضحايا. ولسوء الحظ، عندما بدأ «لوكاس» يعترِف بارتكاب مئاتٍ من جرائِم القتل، لم يضع من كانوا في عُهدته أي حدٍّ لخدعته. وحتى مع تزايُد الأدِلَّة على الخدعة، استمرُّوا في الإصرار على أنه قد قتل مئات الأشخاص.. ووجدنا معلومات تقودنا إلى الاعتقاد بأن بعض المسئولين «يحلُّون القضايا» فقط لحذفها من السجلَّات»[(CCXLVII)].

وجاءت قُدرة «لوكاس» الخارِقة على إعطاء تفاصيل حول بعض جرائِم القتل نتيجة لمُشاركة المُحقِّقين صُور وتقارير مسرح الجريمة «لمُساعدته» في استعادة ذاكرته.

وقد أدَّى ذلِك إلى إدانة هيئة المُحلَّفين له في إحدى عشرة جريمةِ قتل بناءً على اعترافاته، في حين أنه رُبما قتل ضحيَّتين فقط. (وكان قد حوكِم بالفعل في جريمة قتل والِدته، وقضى عقوبته، وأُطلِق سراحه).

وكانَت إحدى هؤلاء الضحايا الإحدى عشرة هي «ذات الجوارِب البُرتقاليَّة» الشهيرة – وهي امرأة مجهولة الهوية عُثِرَ عليها في مجاري «تكساس» عام 1979، عارية.. باستثناء زوج من الجوارِب البُرتقاليَّة. ورغم حقيقة أن «لوكاس» كان يعمَل في ذلِك الوقت في «فلوريدا»، لا «تِكساس»، إلا أن هيئة المُحلَّفين قبلَت اعترافه، وحكمَت عليه بالإعدام (قبل أن يُخفِّف الحاكِم هذا الحُكم في وقتٍ لاحق). وفي أغُسطس 2019، واستنادًا إلى تطابُق الحمض النووي العائِلي مع شقيقتها، تعرَّفنا على هوية «ذات الجوارِب البُرتقاليَّة»

على أنها «ديبرا لويز جاكسون»، البالِغة من العُمر ثلاثة وعشرين عامًا. وبفضل اعتراف «لوكاس» الكاذِب.. أفلَت قاتِلُها من قبضة العدالة.

وقد أصبَح هذا النوع من الاعترافات الكاذِبة والمُبالَغ فيها للقتلة المُتسلسِلين يُعرَف باسم «مُتلازِمة هنري لي لوكاس». وقد تعلَّمَت أقسام القضايا البارِدة أن تتوخى الحذر الشديد كيلا تقع في هذا الفخ. وكان أحد الأسباب التي جعلت المُحقِّقين في مُقاطعة «بيرجن» بولاية «نيوجيرسي» يستغرِقون وقتًا طويلًا في استخراج ومُعالجة اعترافات «ريتشارد كوتينجهام» في جرائِم قتل الطالِبات في الفترة بين 1968 – 1969، وهو مُراجعتهم الدقيقة لاعترافاته. فالسُّلطة القضائيَّة الأقل تمييزًا قد تقبَل بسعادةٍ اعترافًا بظاهِره من أجل إزالة قضية لم تُحَل من قائِمة القضايا البارِدة.

وغالبًا ما يُعلَن عن هذه القضايا البارِدة على أنها «حُلَّت بشكلٍ استثنائي»، مما يعني أنها لن تُقدَّم إلى المُحاكمة – إما لأن المُشتبه به قد تُوفِّي، أو لعدم وجود أدِلَّة كافية بخلاف الاعتراف، أو لأنه تفاوَض على صفقة حصانة. وتُبلَّغ عائِلات الضحايا بـ «الإغلاق الاستثنائي» أو بالأدِلَّة الكامِنة وراء الإغلاق، ولكِن قد لا تُبلَّغ الصحافة بذلِك. وتتلاشى القضية تدريجيًّا، وتُغلَق، دون أن «تُحل» تمامًا على الأرجَح.

ويُحفَّز القتلة المُتسلسِلون للإدلاء باعترافاتٍ كاذِبة من خلال العديد من العوامِل، بما في ذلِك تعزيز الغرور والتباهي، ومُمارسة السيطرة على الشُّرطة ووسائِل الإعلام حيث يُرسَلون للتجوُّل حول مواقِع الدفن المزعومة مع الكِلاب المُدرَّبة للبحث عن الجُثث، والرادار الأرضي – وأحيانًا يُمكِن للأمر أن يكون بسيطًا مثل قضاء يومٍ خارِج السجن للتنزُّه في الهواء الطلق في الريف للإشارة إلى موقِع الجُثَّة المزعومة ووجبة على الطريق بدلًا من طعام السِّجن المُقزِّز.

«الثمانينيَّات»: «إبليس يسكُن بداخِلنا جميعًا.. أراكُم في ديزني لاند»

مع التعرُّف على ما يقرُب من سبعمائة قاتِل مُتسلسِل في «الثمانينيَّات»، ووصول قصَّة «هنري لي لوكاس» إلى طريقٍ مسدود، بدأت وسائِل الإعلام في صبِّ جام تركيزها بعيدًا عن أعداد الضحايا إلى حداثة القاتِل المُتسلسِل. ولم يعُد الأمر يتعلَّق بالأرقام.. بل بالأسلوب.

في مُنتصف «الثمانينيَّات» من القرن الماضي، جاء «ريتشارد راميريز»، الشهير بـ «المُطارِد الليلي». والذي قتل باعتدالٍ ثلاث عشرة ضحيَّة، لكِنه حظي بضجَّةٍ إعلاميَّة. وقعَت جرائِم القتل في «كاليفورنيا» بين عامي 1984 – 1985، وكانَت مُناسِبة تمامًا لاهتمام وسائِل الإعلام. تراوَحَت أعمار ضحايا «راميريز» ما بين تسع سنوات، إلى تسعةٍ وسبعين عامًا، من الإناث والذكور. وقد ارتكب بعض جرائِمه كجُزءٍ من عمليات اقتحام المنازِل، وأصبح يُعرَف باسم «القاتِل المُقتحِم» بالإضافة إلى لقب «المُطارِد الليلي». كما اقتلع عينَي إحدى ضحاياه بمِلعقةٍ، وأخذها معه. وذات ليلة قتل ثلاث ضحايا، وفي ليالٍ أخرى، تركهنَّ مُغتصَبات

ومضروبات، ولكِن على قيد الحياة. (كما أوضَح لي ريتشارد كوتينجهام: إن قتل شخص ما لا يجعلك في مقام الآلِهة؛ بل معرِفة ما إن كان سيعيش أو سيموت هو ما يجعلك كذلِك).

ترك المُطارِد الليلي رموزًا غامِضةً في بعض مسارِح جرائِمه، مثل نجمة خُماسيّة مقلوبة مرسومة على فخذ الضحية بأحمر الشِّفاه. كما حملت بعض المسارِح الأخرى توقيع «جاك المسكين». وذكرَت إحدى الضحايا الناجيات من الموت أنه أجبرها على ترديد «أنا أُحِب الشيطان» أثناء اغتصابها. وعندما سُئِلَت الضحايا عن مكان إخفائهن لمُمتلكاتهنّ الثمينة، أُمِرنَ بأن «يُقسِمن بالشيطان» بأنهُن يقُلنَ الحقيقة.

وبدا أن اختيار الضحايا قد تمَّ بطريقةٍ عشوائيَّةٍ تمامًا، وأن القاتِل قد قام بمحاولاتٍ فاشلةٍ لإخفاء بصماته. وغالبًا ما رأت ضحاياه وجهه، وتركهنّ أحياءً بقدْر ما قتلهن. كما أنه ترك وراءه بصمات حذائه خارِج نوافِذ المنازِل التي اقتحمها.

وعندما طُلِب من وحدة العلوم السلوكيَّة التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي تحليل مسارِح الجرائِم، ردُّوا بأن تلك الجرائِم فريدة من نوعِها، ولا تتوافق مع أي شيءٍ رأوه من قبل.

ومع حالة التأهُّب التي شهدتها «لوس أنجلوس» مع ازدياد عمليات القتل الجنوني هذه في صيف 1985، واجهَت دوريَّة أمن متطوِّعة في الحي «المُطارِد الليلي»، وكادَت أن تضربه حتى الموت، قبل أن يصِل رجال شرطة «لوس أنجلوس» ليُنقِذوه من براثنهم.

وأثناء مُحاكمته، أشار «راميريز» للمُصوِّرين الصحفيين بنجمةٍ خُماسيّةٍ مقلوبةٍ مرسومة بالحبر على راحة يده، وهتف: «الشر، الشر..» وعندما أُدين وحُكِم عليه بالإعدام، صَرَخ في المحكمة:

«لا أومِن بالعقيدة الأخلاقيّة المُنافقة لهذا المُجتمع المُتحضِّر المزعوم، ولا أحتاج للنظر خارِج هذه القاعة لأرى كُل الكذَّابين، والحاقدين، والقتلة، واللصوص، والجُبناء المُرتابين؛ دود الأرض، كُلٌّ في مِهنته الشرعيَّة. أنتم أيها الديدان تُثيرون اشمئزازي، المُنافِقون منكم جميعًا. لا أحد يعلَم حقيقة ما أقول أفضَل من أولئِك الذين يقتلون الناس لغاياتٍ سياسيَّة، سرًّا وعلانية، وكذلِك حكومات العالم التي تقتل باسم الله، والوطن، أو لأي سببٍ تراه مُناسبًا لتحقيق مآربهم. لستُ بحاجةٍ لسماع كُل تبريرات المُجتمع، فقد سمعتُها كُلها من قبل، والحقيقة تظل كذلِك. لن تفهموني، لا أتوقَّع منكُم ذلِك، فأنتم عاجزون عن ذلِك. أنا فوق خبراتكم.. وفوق الخير والشر، يا جحافِل الليل - لا تُكرِّروا أخطاء المُطارِد الليلي، ولا تأخذكم بهم رحمة. فسأنتقِم. إبليس يسكُن بداخِلنا جميعًا.. أراكُم في ديزني لاند».

عُرِضَ برنامج «إنترتينمِنت تونايت» على الهواء بالفعل منذ خمس سنوات، حيث بُثَّ بشكلٍ مُباشرٍ بعد نشرات الأخبار على الشبكة، وبينما استخدم شكل نشرة الأخبار، إلا أنه ركَّز حصريًّا على أخبار المشاهير. ولكِن مع اكتساب القتلة المُتسلسِلين لمكانة المشاهير المُناهِضين للأبطال، بدأت تغطيتهم في نشرات الأخبار الثابِتة تنتقِل إلى برنامج «إيه تي»، والبرامِج المُماثِلة مثل «إنسايد إديشَن»، و«هارد كوبي» التي تبِعَت جميعًا نشرات الأخبار. وكان «ريتشارد راميريز»، وفي ظلِّ وجود الفتيات ذوات وشْم رأس الماعِز والنجمة الخُماسيّة المقلوبة، واللاتي تعهدنَ بحُبّهن العميق والمُظلِم له بشغف، أصبح «راميريز» نجمًا تلفزيونيًّا ناجحًا.

فقد كان مُثيرًا. كما أنه كان في «كاليفورنيا»، وهي ولاية سمحَت ببثّ إجراءات قاعات المحكمة تلفزيونيًّا، مثل ولاية «فلوريدا»، حيث أصبَح «تِد بندي» بطل مُحاكمته المتلفزة «حيث أثنى القاضي الذي حَكَم عليه بالإعدام على مهاراته في المُحاماة».

وفي بعض الأحيان، كان هُناك تحريف إضافي في العناوين أو الألقاب التي جلبَت لهم قدرًا من الشُّهرة التاريخيَّة. فقد جلبَت لنا «الثمانينيَّات» قتلة مُتسلسِلين مثل «دوجلاس كلارك»، الشهير بـ «قاتِل قطاع الغروب»، وشريكته «كارول بندي»، التي اشتهرَت بأنها غسلت شَعرًا ووضعت زينةً على رأس مقطوع أحضره «كلارك» إلى المنزِل لمُمارسة الجنس معه؛ و«ديفيد آلان جور»، وهو نائِب عُمدة مُساعِد في «فلوريدا»، وأحد أبناء العمومة القتلة؛ و«جاري مايكل هايدنيك»، المليونير العصامي الذي أبقى ضحاياه المُستعبَدين مُقيَّدين بالسلاسِل في قبو منزلٍ قذِر في «فيلادلفيا»، والذي شكَّل مصدر إلهامٍ جُزئيًّا لشخصيَّة «بافالو بِل» الخياليَّة في فيلم «صمت الحملان»، بالإضافة إلى «إد جين»؛ و«روبرت هانسن»، الشهير بـ «الجزَّار الطبَّاخ» في «ألاسكا»، والذي نقل ضحاياه من النساء في طائِرته الخاصَّة إلى كوخٍ بعيد، حيث أطلقهنّ في البرية لاصطيادهن؛ و«ليونارد ليك»، و«تشارلز نج» في مُقاطعة «كالافيراس» بـ «شمال كاليفورنيا»، اللذان سجَّلا فيديو لنفسيهما مع ضحاياهما في مخبأٍ بعيد قاما ببنائه؛ هؤلاء هُم القتلة المُتسلسِلون القلائِل من ذلِك العقد الذين وصلوا إلى درجةٍ ما من الشُّهرة أو الأهميّة؛ بينما بالكاد ذُكِر بقية السبعمائة في وسائِل الإعلام الوطنيّة، أو احتلوا موضعًا في كُتب الجرائِم الحقيقيّة.

من منكم سَمِع عن قتلةٍ مُتسلسِلين مثل «رودني هالباور» أو «هاريسون جراهام»؟

بالكاد قتل «هالباور» عددًا من الضحايا يكفي لإدراجه في قائِمة القتلة المُتسلسِلين على «ويكيبيديا»، في حين قتل «هاريسون جراهام» عددًا «لا بأس به» من الضحايا، وهو سبعة، لكِن موتهم كان «أقل وطأة» من أن يُذكرنَ؛ فقد كُنَّ بائِعات هوى من السُّود داخِل المدينة. وعادةً ما يُبلَّغ عن قضيته لبضعة أيامٍ قبل أن يَطويها النسيان.

وهكذا تعثَّر سبعمائة قاتِلٍ مُتسلسِل خلال «الثمانينيَّات».

«آرثر شاوكروس» الشهير بـ «قاتِل نهر جينيسي» الجُزء الثالِث في «روتشستر» بـ «نيويورك» في الفترة بين 1988 – 1989

ارتكب «آرثر شاوكروس» — الذي رَويتُ قصَّته منذ عودة والِده من المُحيط الهادي عام 1945 إلى أول جريمتَين ارتكبهما في عام 1972 — جريمتَه الرابِعة عشرة والأخيرة في 28 ديسمبر 1989، مُختتِمًا ليس فقط العقد، بل أيضًا دورةً غريبة من السير أثناء النوم جرَّاء صدمة الحرب التي عانى منها الأب «روي شاوكروس»، وهو يُقاتِل في الحرب العالميّة الثانية في المُحيط الهادي، بينما تخيَّله ابنه القاتِل المُتسلسِل «آرثر» في مستودع مؤن. إن قصَّة «شاوكروس» تَحكي حكاية حربَين، وقاتِلٍ مُتسلسِلٍ واحِد.

من المؤكَّد أنه حظي بالتأكيد بنوعٍ من التحريف الذي أحبَّته وسائِل الإعلام؛ فقد كانَت هُناك تلميحات عن أكل لحوم البشر، وهو ما يلفِت انتباه الصحافة دومًا، كما أن اعترافاته بارتكاب فظائِع في «فيتنام» منحَت القصَّة مزيدًا من الإثارة. ومع ذلِك، في الوقت نفسه، كان هُناك شيء مُتواضِع ومتوسِّط فيما يتعلَّق بقتلِه لبائِعات الهوى اليائِسات اللاتي يُحاوِلنَ البقاء على قيد الحياة في مدينةٍ قاسيةٍ مثل «روتشستر». وفي جرائِم القتل الفعليَّة التي ارتكبها، كان مِثل العديد من القتلة المُتسلسِلين الآخرين، يترنَّح في جُنح الليل، ويخنِق في غضبٍ شديدٍ بائِعات الهوى الضعيفات المُدمِنات على المُخدِّرات. وإذا استثنَينا جريمتَي قتل الأطفال السابِقتَين، وقصصه عن «فيتنام»، يُمكِن لـ «شاوكروس» أن يحلَّ محل كُلِّ قاتِل مُتسلسِل ثالِث على الإطلاق. لهذا السبب، من بين ما يقرُب من ألفي قاتِل مُتسلسِل شكَّلوا العصر الذهبي في الفترة بين 1950 – 1999، فإن قصَّته من بين تلك التي تُروى ها هُنا.

بعد قتله لطفلَين في عام 1972، قال «شاوكروس» في وقتٍ لاحق: «لقد زجُّوا بي في السجن لمُدَّةٍ تتراوَح بين 0 – 25 عامًا. وكانَت السنوات الثماني الأولى صعبة بالنسبة لي». حيث يستهدِف النُّزلاء الآخرون قتلةَ الأطفال في السجن، وتوجَّب عليهم احتجاز «شاوكروس» في وحدة العزل حفاظًا على سلامته. وكان يُسيء التصرُّف، ويُصاب بنوبات غضب، ويتمارَض، ويختلِق نوبات الصرع، ويرفُض في كثيرٍ من الأحيان التعاوُن مع الأطِبَّاء النفسيين أو المُشاركة في العلاج النفسي.

وما بين اعترافاته المُتزايِدة عن إساءة مُعاملة الأطفال على يد والِدته المُتسلِّطة، وسِفاح القُربى مع أخواته وخالته، إلى تخيُّلاته عن أهوال القِتال في «فيتنام»، جمَّع «شاوكروس» مجموعةً من التقييمات النفسيّة عديمة المعنى، وتقييمات الإفراج المشروط، والتعليقات التي تضمَّنت أشياء مثل: «شاذّ جنسيًّا خطير مُصاب بانفصام الشخصية، يُعاني من شخصيَّة انفجاريَّة مُتقطِّعة»؛ يسمع أصواتًا عندما يكون مُكتئِبًا؛ كما ينخرِط في الخيال كمصدرٍ للإشباع؛ والتثبيت الفموي الجنسي مع الحاجة إلى حماية الأم؛ والتورُّط العضوي المُحتمَل؛ وشخص سيكوباتي طبيعي؛ لا يمتلِك الكثير من البصيرة فيما يتعلَّق بالحياة غير المُتكيِّفة التي تعود إلى مرحلة المُراهقة المُبكِّرة؛ أقل من الإخلاص الكامِل في التعامُل مع النزاعات الداخلية العميقة الجذور والصراعات بين الأشخاص؛ واضطراب الشخصية المُعادية للمُجتمع واضطراب الشخصيَّة الفصاميَّة.. والنزاعات النفسيَّة والجنسيَّة؛ ويميل إلى البساطة والطفوليَّة في مواقِفه؛ وينطوي على نفسه مُعظم الوقت؛ ويبدو غير قادِرٍ على إقامة علاقات مع أقرانه، ولكِنه يُظهِر قدرًا كبيرًا من الثِّقة في رموز السُّلطة؛ وقد يؤدي إطلاق سراح هذا الرجُل إلى المُجتمع في هذا الوقت، نظرًا لعدم تغيُّر سلوكه، إلى قتل العديد من الأطفال الآخرين؛ ومن الواضِح أنه خطير للغاية، وقادِر على ارتكاب جرائِم فظيعة؛ ولم تدع والِدته والِدَه يلعب دور رجل المنزِل؛ ولسنواتٍ طوالٍ شتمت والِدتُه والِدَه، وسكبت القهوة عليه، وسيطرت على المنزِل، في حين جلب الأب المال إلى المنزِل فحسب؛ كما أنه عاش طفولة تعيسة للغاية لأن والِدَيه لم يتوقَّفا عن الشجار. كان وحيدًا، ويشعُر بأنه غير محبوب أو غير مرغوب فيه من قِبَل والِدَيه؛ ولا يزال يُنكِر ذكرياته عن أفعاله تِجاه الفتاة بعد أن أمسك بها؛ وهناك بعض الفحوصات النفسيَّة غير المُفيدة في ملفِّ النزيل؛ ولا تشعُر بأن لدَيه

أي رغبة واعية.. وعندما تتجمَّد الدِّماء في عروقه يُصبِح شخصًا سيئًا ويميل لإيذاء الآخرين. ومع ذلِك، فقد أثبَت النزيل أنه شخص غير عادي للغاية، وشخص رُبما تكون دوافِعه الفعلية خارِجة عن نِطاق فهم أيٍّ منَّا».

وظلَّت زوجته الثالِثة، «بيني شيربينو»، مُخلِصة له، ومُقتنِعة ببراءته. ولكِن بعد قضاء أربع أو خمس سنوات في السِّجن، خطب «شاوكروس» صديقته بالمُراسَلة «روز ماري والي»، وطلَّق زوجته.

«رُبما يكون أخطر مَن أُطلِق سراحه»

في عامه الثامِن من عقوبة السجن التي قد تستمِرّ لخمسةٍ وعشرين عامًا، بدأ «شاوكروس» يشعُر بدافعٍ للخروج من السِّجن، فشرع في العمل على تحسين صورته من خلال الالتحاق ببرامجَ علاجيَّةٍ مُختلفةٍ كان قد رفض المُشاركة فيها سابقًا. وقد نَجَح الأمر كالسحر، وتحسَّنَت تقاريره النفسيَّة على الفور.

وكَتَب الأطِبَّاء النفسيُّون أنه كان:

«أنيقًا، ونظيفًا، وهادِئًا، ومُتعاوِنًا، ومُنتبِهًا، ولطيفًا. لا يُظهِر أي سلوكياتٍ غريبة. ويتمتَّع بمظهر وجهٍ ووضعيَّة طبيعيَّة. وباحترام وصورةٍ ذاتيَّة جيِّدة. تحمِل من الإحباط ما يقع ضمن نِطاق الحدود الطبيعيَّة. تفكيره المُجرَّد سليم. لا يُعانِي من أي هلوسة أو أوهام. عمليات تفكيره منطقيَّة وعقلانيَّة، لا تكشِف عن أي أعراضٍ ذُهانيَّة أو عصبيَّة. إيجابي السلوك، وجيِّد الذكاء، ومُتَّصِل بالواقِع بشكلٍ جيِّد، لا يُفكِّر في الانتحار أو القتل. غير مُكتئِب، ولا مُبتهِج، مُحايِد المزاج، ومُناسِب التأثير، ونشاطه الحركي طبيعي، لا توجَد أي إيماءات أو سلوكيات غريبة، كما أنه مُستقِر عاطفيًّا. ولا يُعاني من أي مرض عقلي في الوقت الحاضِر. لا أوهام ولا هواجِس مرضيَّة. و«يُمكِنه» الاستفادة من العِلاج النفسي للحفاظ على قُدرته على التحكُّم في صراعاته العاطفيَّة بمُجرَّد إطلاق سراحه المشروط».

وبعد قضاء أربعة عشر عامًا ونصف في السجن، قرَّر مجلِس الإفراج المشروط إطلاق سراح «آرثر شاوكروس» مرَّة أخرى إلى المُجتمع، وإلى أحضان خطيبته «روز ماري والي». ورغم أنه دخل إلى السجن شابًّا حسَن المظهر نسبيًّا ونحيفًا، في السابِعة والعشرين من عُمره؛ إلا أنه خَرَج منه وهو يبدو أكبر بكثيرٍ من عُمره البالِغ واحدًا وأربعين عامًا. كان أصلع، بشعرٍ خفيفٍ خالَطَه الشيب. انتفخ وجهه وتورَّم، وتضخَّم حجم كرشه. لكِن إلى جانِب كُلِّ تلك الدهون البدينة التي التصقَت به بفعل عامِل السن، فقد تمتَّع بذراعَين قويتَين، ويدَين مشدودتَين، وغضبٍ جنسيٍّ شديد تجاه النساء الضئيلات الحجم. لكِنه أخفى ذلِك جيِّدًا خلف سِحره البسيط مع مسحةٍ من الضعف الزائِف الذي تلوَّن به غريزيًّا مثل حيوان مُفترس، كما تتلوَّن الحرباء تمامًا.

لكِن «شاوكروس» لم يخدع جميع الأطِبَّاء النفسيين ومسئولي مجلِس الإفراج المشروط. فقد حذَّر أحد الأطِبَّاء النفسيين قبل إطلاق سراحه قائِلًا: «رغم أن مِهنة الطِب النفسي والسيكولوجي لم تُحدِّد، على ما يبدو، حتى الآن تشخيصًا لسلوك هذا السجين المُنحرِف أو، وهو الأهم، علاجًا له، فإن المُجتمع ككُلٍّ

يستحِق الحماية حتى تصِل هذه الحالة إلى ما هو أبعد من ذلِك، وهو ما لن يحدُث على الأرجَح حتى بعد تاريخ الإفراج المشروط عن هذا السجين بفترةٍ طويلة».

وبعد الموافقة على إطلاق سراحه، اشتكى أحد مسئولي مجلِس الإفراج المشروط بصراحةٍ قائِلًا: «مع المُخاطرة بدراميّة الأمر، يَعتبِر الكاتِب أن هذا الرجُل رُبما يكون أخطر مَن أُطلِق سراحه في هذا المُجتمع منذ سنواتٍ عديدة».

أُفرِج عنه في 28 أبريل 1987، وأُمِرَ بالعيش في «بينجامتون» بـ «نيويورك»، في ملجأ للمتطوِّعين الأمريكيين تحت إشرافٍ صارِم. وطُلِب منه مُقابلة ضابِط الإفراج المشروط بشكلٍ أسبوعي، والامتناع عن المُخدِّرات والكحول، والالتزام بحظر التجوُّل بعد الساعة الحادية عشرة مساءً، والحضور بانتظامٍ إلى عيادة الصحَّة العقليَّة، والابتعاد عن الأطفال، والملاعِب، وأي مكانٍ آخر يتجمَّع فيه الأطفال بشكلٍ روتيني.

خرق «شاوكروس» على الفور جميع شروط إطلاق سراحه المشروط. فقد تسكَّع بشكلٍ روتيني في الملاعِب والمُتنزّهات أثناء الصيد؛ وظلَّ خارِج المنزِل بعد فترة حظر التجوُّل؛ ولم يبحث عن عمل، وقضى الكثير من الوقت على فراشه مُستغرِقًا في تفكيرٍ عميق. وبعد بضع زيارات للعلاج النفسي المطلوب، خلُص الطبيب النفسي إلى أنه كان يُعاني من «مشاكِل في النشوة الجنسيَّة والقذف. لكِنه لا يُعاني من تخيُّلات جنسيَّة غير عادية.. ولا توجَد أي رؤًى لجرائِم قتل الأطفال، بخلاف وجود مشاكِل مع الغضب، والتجارِب في فيتنام».

وصرَّح الطبيب النفسي: «لا يوجَد أي اضطرابٍ عقلي يتطلَّب أي استشارة أو علاج مُحدَّد في هذا الوقت». وهكذا توقَّف «شاوكروس» عن الذهاب إلى الجلسات.

في الأسبوع الخامِس من إطلاق سراحه، جاء «شاوكروس» خلف إحدى المُتطوِّعات في ملجئه، وتحسَّس ما بين ساقَيها، وثبَّتها على الفراش. ووفقًا لوثيقة مجلِس الإفراج المشروط التي أبلغت عن هذا الحادِث، لم يتمادَ «شاوكروس» أكثر من ذلِك بعد أن: «أخبرته أن يترُكها وشأنها، وأنها ليسَت من هذا النوع من النساء». كما ذكر التقرير كذلِك أنه سرق مُمتلكاتٍ بقيمة عدَّة مئاتٍ من الدولارات من منزِل المرأة، لكِنهم لم يتَّخِذوا أي إجراءٍ ضده.

في حين أن مجلِس الإفراج المشروط رُبما يكون قد ترك القضية تسقُط ما بين الشقوق، إلا أن أقسام الشُّرطة والمواطنين ووسائِل الإعلام طاردوا «شاوكروس». وكُشِفَ عن جرائِمه وموقعه للجمهور عدَّة مرَّات، ونتيجة لذلِك، نُقِل هو و«روز ماري» في مُختلف المُجتمعات المحليَّة في شمال «نيويورك». وأخيرًا، وبعد غضَبٍ شعبي عارِم، نقله مجلِس الإفراج المشروط إلى مكانٍ جديد، وحرص على إبقاء الأمر سرًّا عن وسائِل الإعلام ومُعظَم السُّلطات.

في 29 يونيو 1987، وَصَل «شاوكروس» و«روز ماري» إلى ثالِث أكبر مدينةٍ في ولاية «نيويورك»، مدينة «روتشستر». وبعد ثمانية أشهُر، أي في مارِس 1988، سيبدأ «آرثر شاوكروس» في القتل من جديد، ولن

يتوقّف حتى يُقبَض عليه بعد عامَين، وهو يلتهِم طبقًا من السلطة، بينما يتأمَّل جثّة ضحيته الثانية عشرة المُجمَّدة في 3 يناير 1990.

«ما يُريدُه الصبيُّ من أُمِّه!»

في مدينة «روتشستر»، عملت «روز ماري» كعاملة رعايةٍ منزليَّة للعُملاء المُسنِّين وذوي الاحتياجات الخاصَّة، بينما حَصَل «شاوكروس» في نهاية المطاف على وظيفة تقطيع وإعداد الخضروات لمُنتجٍ بالجُملة في السوق العام. وانتقل هو و«روز ماري» إلى مبنى سكني مُخيف على طِراز «تيودور» في 241 شارع ألكسندر، في حيٍّ كان أكثر رثاثةً في عام 1987 مما هو عليه اليوم. وقد دوَّن «جي. جاك أورسو»، الذي عاش في شُقق «نورماندي» المُجاوِرة للشُّقق التي قطنَها «شاوكروس» في مُذكِّراته قائِلًا: «اعتدتُ رؤية «شاوكروس» أحيانًا يركب درَّاجة نسائيَّة صغيرة. لم أكُن أعرِفه بالاسم، لكِن رؤية رجلٍ بدين في مُنتصف العُمر يركب درَّاجة نسائيَّة، كان مشهدًا سرياليًّا لا يُنسى. لا يزال بإمكاني رؤيته في ذهني بعد مرور كُل هذه السنوات، كما لو كان ذلِك بالأمس القريب، وهو يقود درَّاجته متجوِّلًا أمام شُقق «نورماندي» مُثبِّتًا نظرَه إلى الأمام، غافِلًا عن العالم من حوله؛ كما لو كان العالم غافلًا عنه. وأتذكَّر أنني قُلتُ لنفسي: يا إلهي، ألا تحترِم نفسك يا رجُل؟»[(CCXLVIII)]. استمرَّ «شاوكروس» في التلكُّؤ وتجنُّب العلاج. وأفاد طبيبه النفسي في «روتشستر» أنه لا يستطيع تحمُّل تكاليف العِلاج، قائِلًا: «كما تعلمون، فإن دخله محدود للغاية، والتكلِفة في هذا الوقت، رغم أنها على نِطاقٍ مُتدرِّج، لا تزال صعبة للغاية بالنِّسبة له. وعندما يحصُل على عملٍ بدوامٍ كامل، وربُما بعض التأمين الصحي، قد لا يُمثِّل ذلِك صعوبةً بالنسبة له. وأبلغ «شاوكروس» عن تقارير مُكثَّفةٍ، وما يبدو أنه استشارة شامِلة إلى حدٍّ ما، سواء لاضطراب ما بعد الصدمة أثناء وجوده في «فيتنام»، وكذلِك الصعوبات الجنسيّة التي واجهها، والتي أدَّت إلى سجنه. كما أبلغ عن وعيه الذاتي المُكثَّف، وما يبدو أنه استخدامٌ مُناسِب للغاية للموارِد النفسية والعقلية أثناء وجوده في «جرين هيفن»».

وصرَّح أحد ضُبَّاط الإفراج المشروط بتفاؤلٍ قائِلًا: «يبدو أن علاقته مع «روز» علاقة قويَّة، ويبدو أنهما يدعم كلٌّ منهما الآخر. وبمُجرَّد الانتهاء من إجراءات طلاقها، أشارا إلى أنهما سيتزوَّجان، ويأمُل كلاهُما في البقاء في مُجتمع «روتشستر» حيث يُمكِنهما عيش حياة هادِئة».

وجدَت «روز» الحياة مع «آرثر» غريبة. فمن ناحية، كان سريع الغضب ومُتصلِّبًا، وقد يكون مُخيفًا عندما يفقِد أعصابه، كما عَلِمت. لكِنه من ناحيةٍ أخرى، كان مُجتهدًا في عمله، ومُتعاوِنًا، ولطيفًا، وحاميًا. كما قام بالكثير من الأعمال المنزليَّة، واستمتع بالطهي. صحيح أنه قد عانى من بعض المشاكِل الجنسيّة، لكِن مَن منَّا لم يُعانِ؟ وعلَّقت «روز» في وقتٍ لاحقٍ أنه عانى من بعض المشاكِل في الوصول إلى الذروة. وأدلى بتعليقاتٍ بذيئةٍ عن النساء اللاتي يُشاهدهنَّ على شاشة التِّلفاز، والتي عادةً ما كانت مُخصَّصة لمُحادثات الرِّجال، مثل: «انظروا إلى تلك الأثداء!»

ولعل أكثر ما أزعَج «روز» هو «انسحاباته» الصامِتة الكئيبة. التي تجاهلها فيها تمامًا، وجلس بوجهٍ خالٍ من التعبيرات، مُحدِّقًا في شاشة التِّلفاز، ومُحرِّكًا شفتَيه، أو يذهب «للصيد» بمُفرده، أو يتسكَّع في «دانكِن دونتس» على بُعد بضعة مبانٍ من شقتهما، ليتحدَّث مع رِجال الشُّرطة. كما اعتاد استعارة سيَّارتها من حينٍ لآخر، لكِنه غالِبًا ما تجوَّل بدرَّاجتها. وامتلك الجيران آراءً مُتباينة حوله: فأحيانًا ما يكون ودودًا ومُتعاوِنًا للغاية في يومٍ ما، ولكِنه مُتجهِّم وبارِد في اليوم التالي، مُتجاهلًا تحياتهم. كما أشار آخرون إلى أنه قد يتحدَّث بشكلٍ عادي، ثُم يتفوَّه بشيءٍ «غير لائِق».

في العمل، كان «شاوكروس» موثوقًا ودقيقًا في مواعيده، وغالبًا ما انطوى على نفسه، ولكِن كانت هُناك بعض المُشكِلات. لأنه روى قصصًا مُفصَّلة عن الفظائِع التي ارتكبَها في «فيتنام»، وفي إحدى المرَّات عندما أغضبه أحد زُملائه الموظَّفين الشباب، أمسك به من عُنقه، وضربه بالحائِط.

ثُم جاء دور «لوريتا نيل»، وهي امرأة شابَّة من ولاية «فيرجينيا» الغربيَّة، والتي أزعجَها بلا توقُّف حتى اشتكت. وعندما طلب منه رئيسه أن يترُكها وشأنها، أذهله ردُّ «شاوكروس» العنيف: «كُل شخصٍ آخر في هذا المكان يُضاجِعها، لا أعرِف لماذا لا يُمكِنني ذلِك بدوري».

وحُذِّرَ «شاوكروس» من أنه إن لم يتوقَّف عن مُضايقتها، فسيُطرَد. وهكذا تراجَع. وبدلًا من ذلِك، تودَّد إلى والِدتها، «كلارا نيل»، التي أُعجِبَت به على الفور عندما جاءت لاصطحاب ابنتِها من العمل ذات يوم في أواخِر ديسمبر 1987. وفي «يناير»، تأجَّجَت بينهما نيران علاقة غراميَّة.

منذ وصولهما إلى «روتشستر»، شهدَت «روز» تدهوُرًا تدريجيًّا في علاقتها بـ «آرثر». كما كان موضوع إساءة مُعاملته، ورفض والدته له لا ينقطِع. فقد رفضَت والِدته زيارته خلال فترة سجنه، ولم يكُن هُناك أي شكٍّ في عودته إلى مسرح جريمتَي قتلِه للطفلَين في «ووترتاون». وهكذا مرَّت خمسة عشر عامًا منذ أن رأي والِدته. رغم أنه دعاها مرارًا وتكرارًا لزيارته في «روتشستر»، لكِنها لم تأتِ أبدًا. ناهيك عن إنفاقه لقدرٍ كبيرٍ من الوقت والطاقة والمال في شراء طبقٍ فضي عتيق لها كهدية، لكِنه لم يُعجِبها، وقالَت إن عليه أن يشتريَ لها أشياء جديدة فقط كهدايا. وأصبح «آرثر» أكثر تجهُّمًا وانطواء، وبدأ في قضاء المزيد من الوقت خارِج المنزِل، قبل أن يعود مُحمَّلًا بأعذارٍ واهيةٍ حول غيابه. كما أجبر «روز» على اتباع حمية غذائيَّة قاسيَة، زاعِمًا أنها تؤذِيه عندما تعتليه أثناء مُمارسة الجنس. وعندما لم تنصَع لأوامره، صفعها وأمسك بساقِها بقوَّةٍ حتى إنها أُصيبَت بكدماتٍ لأيام. واشتكت من سوء المُعاملة إلى والِدته، التي نصحتها بضرورة إخبار ضابِط إطلاق سراحه المشروط. لكِن «روز» لم ترغب في خسارة «آرثر» لأنه «كان لا يزال يستحِق كُل هذا العناء»، وبدلًا من ذلِك، أخفَت العلاقة المتدهوِرة عن الضابِط على أملٍ واهمٍ بأنه عندما تُطلَّق وتتزوَّج «آرثر»، سيكون كُلُّ شيءٍ على ما يُرام.

زادَت الشقوق في قِناع التعقُّل الذي ارتداه «شاوكروس»، الذي بدأ يستشيط غضبًا من «روز» علانيةً، مُحتفِظًا بقناعِه اللطيف والضعيف لصديقته الجديدة «كلارا نيل». وبينما استشاط غضبًا وأساء إلى «روز»، أحبَّ واحتضن «كلارا»، التي قالَت لـ «جاك أولسُن»:

«اعتقدتُ في البداية أنه كان يُقدِّرني كأمٍّ أكثر منِّي كحبيبةٍ أو صديقة. فقد كان هذا هو أكثر ما يحتاجُه، حتى وهو في الثانية والأربعين من عُمره. حيث إنه اعتاد الجلوس على طرف أريكتي، ووضع رأسه على قدمي، والخلود إلى النوم، وأنا أحتضِنه وكأنه طفلٌ رضيع. كما اعتاد خلع قميصه، وكُنت آخُذ فرشاة الشعر، وأفرك ظهره بلُطف. وهذا ما يُريده الصبي من أُمِّه!»(CCXLIX).

أصبحت زياراته إلى «كلارا» مُنتظِمة، وسُرعان ما بدأ يستعير سيَّارتها، ويوصِّلها إلى دار الرعاية حيث تعمَل، قبل أن يعود إليها في نهاية نوبة عملِها. وفيما بين ذلِك، تجوَّل بين بائِعات الهوى في جادة «ليل».

وفي أحد الأيام في مُنتصف شهر مارس 1988، التقط «دوروثي بلاكبيرن»، البالِغة من العُمر سبعةً وعشرين عامًا، والتي ستُصبِح أول ضحاياه الاثنتَي عشرة في «روتشستر». ادَّعى أنها عضَّته أثناء مُمارستهما «الجنس الفموي المُتبادَل»، وأنه عضَّها انتقامًا منها. واعترف بأنه جرَّدها بعد ذلِك من ملابسها، وقيَّد ذراعَيها، وضربها، واغتصبها، وعندما انتهى، وطلب منها أن ترتدي ملابسها، نادَتْه بـ «الرجُل الصغير»، مما أغضبه حتى إنه خنقها. وقال إنه بعد ذلِك «قضى معها نِصف الليل» قبل أن يُلقي بجُثتها في جدولٍ مائي.

في هذا الوقت تقريبًا، لاحظَت كُلٌّ من «روز» و«كلارا» تغيُّرًا مُفاجِئًا في سلوكه. فقد أصبَح أكثر انعزالًا وهدوءًا. وفي 24 مارس، عُثِر على جُثَّة «دوروثي بلاكبيرن»؛ وفي اليوم التالي، وبينما يوصِّل «شاوكروس» «كلارا» واثنَين من أحفادها بسيَّارتها، جاءت سيَّارة شرطة من الخلف، وأشارَت لهم بالتوقُّف. وتتذكَّر «كلارا» أنه بدا مذعورًا، وتحتَّم عليها إقناعه بالتوقُّف. لقد كان توقُّفًا روتينيًّا بسبب حركة المرور، لكِنه أخبر «كلارا» أن خوفه كان من أن يتعرَّض إطلاق سراحه المشروط للخطر لأن وجود حفيدَيها بالقُرب منه يُعد انتهاكًا له. ولا بُد أن هذه الحادِثة كانَت بمثابة جرسِ إنذار لـ «شاوكروس»، خاصَّة أنه عرَف بالعثور على جُثَّة «بلاكبيرن» في اليوم السابِق.

وبعد ذلِك، توقَّف عن زيارة «كلارا». مُدرِكًا تمامًا لنزعاته القاتِلة واضطراباته السلوكيَّة، وأصبَح الآن يُشدِّد على ارتداء قِناع التعقُّل. وامتنع عن القتل لمُدَّة ثمانية عشر شهرًا تقريبًا، وقطع علاقته بـ «كلارا نيل»، ووعد «روز» بأنه سيتزوَّجها بمُجرَّد أن يتمَّ طلاقها.

وبعد حوالي شهر من قيامه باغتصاب «بلاكبيرن»، وتشويهها، وقتلِها، ذهب لإجراء تقييمٍ للصحَّة النفسيَّة. وقال المُستشار بسعادة:

«من ناحيةٍ هو مخطوب وينوي الزواج من خطيبته وحبيبته، ويذكر أن علاقتهما الجنسيّة تحسَّنَت كثيرًا. فقد فقدَت قدرًا كبيرًا من وزنِها من خلال اتِّباع نِظام غذائي، وتشعُر بأنها أكثر كفاءة، ولذلِك لم يعودا يُعانِيان من صعوباتٍ جنسيَّة.. ويُظهِر التكيُّف الاجتماعي تحسُّنًا كبيرًا.. كما أنه قد استعاد الاتصال بوالِدَيه بعد ثمانية عشر عامًا، ويعيش في شقَّةٍ مُمتعةٍ مع صديقته، ويبدو أنه كوَّن بعض الصداقات، ولم يحدُث – وفقًا لتقريره – أي عودة لأي اندفاعٍ أو مَيل نحو ذلِك النوع من السلوك الذي زجَّ به خلف قُضبان السجن لعدَّة سنوات، وقد تركتُ له إمكانيَّة الاتصال بي بمُبادرةٍ منه إن شعر بالحاجة إلى مُساعدةٍ مُستمِرَّةٍ في أي مشاكِل شخصيَّة. وفي هذا الوقت، لم أُحدِّد أي زياراتٍ أخرى، ولا أشعُر بضرورة إجباره على الحضور».

«لا تنفكّ أطوار هذا اللّعين تزداد غرابة»

بعد جريمة القتل الأولى التي ارتكبها في «روتشستر»، والإنذار الكاذِب الذي أوقفته الشُّرطة فيه، أبقى «شاوكروس» دوافِعه للقتل تحت السيطرة لمُدَّة عامٍ ونصف تقريبًا. وغالبًا ما يُحفَّز القتلة المُتسلسِلون من خلال سلسِلة من «عوامِل الضغط النفسي»: مثل فقدان الوظيفة، أو الانفصال، أو الزواج الوشيك، أو ولادة طِفل. وفي ربيع عام 1988، اكتشف أرباب عمله في شركة إنتاج الفاكِهة والخضروات سجلَّه كقاتِل أطفال، وضايقوه ليترُك عملَه رغم أدائِه الجيِّد فيه بشكلٍ عام. وعندما وَجَد عملًا لدى شركةٍ أخرى، حذَّرهم أرباب عملِه السابِقون من أنه «قاتِل أطفال»، ولكِن قيل لهم بأنه «عامِل جيِّد للغاية».

اقتربَت الذكرى السنويَّة الأولى لوصول «شاوكروس» إلى «روتشستر» في 29 يونيو، وطَلَب مجلِس الإفراج المشروط إجراء تقييمٍ آخر لصحَّته العقليَّة. وبعد مُقابلتَين، أعطاه الطبيب النفسي شهادةً صحيَّة نظيفة:

«وجدتُ أن «آرت» شخصٌ يُجيد السيطرة على نفسه ومُستقِر إلى حدٍّ ما. ورغم استمراره في إظهار بعض الانزعاج أو الومضات المُتعلِّقة بالغضب، إلا أنه قادِر على إدارة هذه النوبات بشكلٍ جيِّدٍ للغاية.

إن السِّمة الوحيدة التي لا تزال موجودةً في أدائِه الحالي، والتي رُبما سادَت في ماضيه هي ميلُه العام أو أسلوب شخصيَّته في التعامُل مع الشعور بالذنب أو المشاعِر السيِّئة من خلال الغضب بدلًا من أن يَصيح أو يُعاني من الانزعاج الشديد أو الاكتئاب أو تدنِّي احترام الذات.

ونظرًا لتاريخه الحافِل بالصعوبات والصدمات النفسيَّة والسلوك المُعادي للمُجتمَع في طفولته وبداية بلوغه المُبكِّرة، فمِن المنطِقي أن يكون «آرت» قد طوَّر دِفاعاتٍ مُعقَّدة ومُختلَّة إلى حدٍّ ما في إدارة مشاعره. ومع ذلِك، لا يبدو أن هذا النمَط الوظيفي لا يُمثِّل أي صعوبات عاطفية أو سلوكيَّة حالية، وليس لدَيه أي دافِعٍ خاصٍّ لمُتابعة العِلاج في هذا الوقت. وبالتالي لا أرى أي حاجةٍ لمُتابعة الاستشارة مع «آرت» في الوقت الحالي».

ولكِن كما هي عادة المرضى النفسيين، انزوى «شاوكروس» طوال هذا الوقت في حياةٍ سريَّة. فقد استأنف هو و«كلارا» علاقتهما الغراميَّة في ربيع عام 1989، رغم خُططه للزواج من «روز». واعتاد «شاوكروس» استعارة سيَّارتها بانتظامٍ للتجوُّل في جادة «ليل» بحثًا عن بائعات الهوى أثناء وجودِها في العمل. وفي هذه الأثناء، تطلَّقَت «روز»، وفي أغسطس 1989، أصبحَت زوجتَه الرابِعة.

وفي نفس الوقت الذي تزوَّج فيه «شاوكروس» من «روز»، كان على علاقةٍ حميميةٍ مع «كلارا». وكان قد أخبرها أنه قد أُطلِق سراحه المشروط في عُهدة «روز»، وأنه سيترُكها عندما ينتهي إطلاق سراحه المشروط في أبريل 1990، وسيذهب هو و«كلارا» للعيش معًا في مكانٍ دافئ. وعندما حذَّرها ابنُها من أنَّ «شاوكروس» قد زُجَّ به في السجن لقتلِه طِفلة صغيرة، أخبرته «كلارا» أن يصمت، لأنها لا تُريد أن تعرِف. لقد أحبَّت «شاوكروس» ولم تتطرَّق إلى الأمر أبدًا، ولا هو أيضًا. كان كُل شيءٍ من الماضي الآن، وقد قضى عقوبته في السِّجن بسبب ذلِك. ومن حقِّه أن يعيش في سلام.

لم تُحبَّه «ليندا» ابنة «كلارا» على الإطلاق، فقد اعتاد «شاوكروس» أن يُضايقها كُلما رآها. وألقى بها ذات مرَّة على السرير حتى اضطُرَّت إلى مُقاوَمته. وفي مرَّة أخرى، قرص حلمتها. وعندما اشتكت إلى والِدتها، سخرت من الأمر وقالت إنه مُجرَّد «مزاح». وتذكَّرَت «ليندا» أنه اعتاد التواجُد حول الأولاد الصِّغار طوال الوقت، وشراء الهدايا لهم، وأخذهم إلى أماكِن مُختلِفة. كما أثار اهتمامه بأبنائها الصِّغار قلقَها، حيث شاهد معهم أفلام الكارتون، ولعب معهم لساعاتٍ طويلة. كما أحبَّ التشاجُر معهم بقسوة، وذات مرَّةٍ عضَّ حلمة ابنها البالِغ من العُمر أربعة عشر عامًا، بينما كان يُثبِّته على أرضيَّة مطبَخ «كلارا». ولم تُعجِب «ليندا» علامات العضّ التي رأتها على ثديَي والِدتِها، وأعلى ذراعَيها، وداخِل فخذَيها. لأنها لاحظت أنها لم تكُن عضَّات حُب، بل كانَت عضَّات حيوانٍ شرس وغاضِب.

ومن ناحيةٍ أخرى، حافظَت «كلارا» على نظرتها الورديَّة لعلاقتهما. وأهداها «شاوكروس» خاتم زواجٍ قال إنه كان يخُص إحدى زوجاته السابِقات. لكِن الخاتم كان يخُص إحدى ضحايا جرائِم القتل التي ارتكبها، «باتي آيفز»، التي رفضَت بعنادٍ أن تَرْهَنه أو تبيعه حتى في أسوأ الأوقات. وقالَت كلارا إن الخاتم كان جميلًا للغاية حتى إنه جعلها تبكي، وكرهَت أن تُصادِره الشُّرطة منها. وقالت: «يُمكِنهم أن يقولوا لي ذلِك ألف مرَّة، لكِنني لن أُصدِّق أبدًا أنه ملك لعاهِرةٍ ميِّتة».

اعتاد جيرانه على رؤية الرجُل المتوسِّط العُمر الذي يركَب درَّاجةً نسائيَّة وتعليقاته الغريبة، مثل سؤال إحدى النساء عمَّا إن كانَت تعرِف أن قرص ثديَي المرأة قد يُسبِّب السرطان. ووضع رأسه في حِضن امرأةٍ أخرى ليشتكي من أنه لم يُمارِس الجنس منذ أشهُر. تجاهلته النساء اللاتي عَرَفن أنه شخص غريب الأطوار غير مؤذٍ، ولكِنهنّ حافظنَ على مسافةٍ منه.

في يوليو 1989، أدَّى احتمال زواجه من «روز» إلى «دفع» «شاوكروس» إلى القتل مرَّة أخرى، والآن سيبدأ في مُسلسل قتلٍ مُتسلسِل لن ينتهي إلا بعد اعتقاله بعد حوالي ستة أشهُر. قتل «شاوكروس» النساء واحِدةً تلوَ الأخرى، ومُعظمهنّ من بائعات الهوى، اللاتي التقَطهنّ من جادة «ليل»:

-«آنا ماري ستيفن»، 28 عامًا، بتاريخ 9 يوليو.

-«دوروثي كيلر»، 59 عامًا، بتاريخ 29 يوليو.

-«باتريشيا «باتي» آيفز»، 25 عامًا، بتاريخ 29 سبتمبر.

-«جون ستوت»، 26 عامًا، بتاريخ 23 أكتوبر.

-«ماري ويلش»، 22 عامًا، بتاريخ 5 نوفمبر.

-«فرانسيس «فراني» براون»، 22 عامًا، بتاريخ 11 نوفمبر.

-«كيمبرلي لوجان»، 30 عامًا، بتاريخ 15 نوفمبر.

-«إليزابيث «ليز» جيبسون» 29 عامًا، بتاريخ 25 نوفمبر.

-«دارلين تريبي»، 32 عامًا، بتاريخ 15 ديسمبر.

-«جون سيسيرو»، 33 عامًا، بتاريخ 17 ديسمبر.

-«فيليسيا ستيفنز»، 20 عامًا، بتاريخ 28 ديسمبر.

بعد شهر العسل الذي قضاه مع «روز»، تصاعَد سلوك «شاوكروس» إلى درجة أنه قتل من ثلاث إلى أربع نساءٍ شهريًّا. كان حرفيًّا في حالةٍ من الهيجان الدموي بحلول نهاية عام 1989. ومارَس الجنس مع جُثث النساء اللاتي قتلهنَّ وشوَّه بعضهنّ وقطع أعضاءهنّ التناسُليَّة التي أخبر الشُّرطة أنه أكلَها. ادَّعى «شاوكروس» أنه بعد أن أخرَج مِهبَل «جون سيسيرو» من جُثَّتها المُجمَّدة، مصَّه مثل «مصَّاصةٍ من اللَّحم» أثناء قيادته لسيَّارته بعيدًا عن مكان الحادِث. (وفي رواية أخرى، ذكر أنه قد دفَّأه بسخَّان السيَّارة).

كثيرًا ما أخفى «شاوكروس» ضحاياه تحت حُطام الخرسانة أو الأسفلت، أو تحت الأغصان والأشجار، كما فعل مع ضحاياه من الأطفال. وربما مثَّل ذلِك علامةً على ندمِه، أو رُبما فعلها ببساطةٍ لإخفاء الجُثَّة. واعترف لاحقًا بأن ذلِك خدم غرضًا عمليًّا: وهو تعزيز تحلُّل ضحاياه على أمل تدمير الأدِلَّة، كما حدث مع ضحيته الأولى، «جاك بليك».

عرَفت العديد من بائعات الهوى في جادة «ليل» «شاوكروس» باعتباره «زبونًا» ودودًا عَرَفْنَهُ باسم «ميتش». ونظرنَ إليه على أنه شخص أحمق وغير مؤذٍ وسهل المواعدة، على الأقل بالنسبة للفتيات اللاتي لم يقتلهنّ. حتى إن بعضهنّ تحدثنّ معه عن «الخانِق» الذي طاردهن، دون أن يُدرِكنَ أنهنَّ يجلسنَ في سيَّارته. وتذكَّرت إحدى عاهِرات الشوارِع المُخضرمات، وهي في «الأربعينيَّات» من عُمرها، أن «ميتش» اصطحبها في سيَّارته، وكما أخبرت الشُّرطة لاحقًا:

«شعرتُ بالمشاعِر السيِّئة بعد مرور ثلاث دقائِق من ركوبي السيَّارة. فقد كان هذا الرجُل ثرثارًا لا يتوقَّف عن الكلام، تحوَّل صوته إلى زئير، وبدأ يُخبرني عن العاهِرات اللاتي سرقنَهُ. فكَّرتُ في أن هُناك شيئًا ما غير صحيح بشأن هذا الرجُل. شيئًا ما غير مُتماسِك. قال إن بإمكانه اصطحاب أبنائي للصيد.. وقُلت لنفسي: لا تنفكُّ أطوار هذا اللعين تزداد غرابة.. لففتُ جسدي الصغير، وتحرَّكتُ إلى المقعد الخلفي.. حيث انضمَّ إليَّ. طلبتُ منه استخدام واقِ ذكري، لكِنه لم يرغب في سماع ذلِك.. قُمتُ بحركةٍ بهلوانيَّة، حيث وضعتُ قدميَّ على النافِذة الخلفيَّة، وأسندتُ رأسي على مقعد الراكِب. ثُم انتقلتُ إلى وضعيَّة «جورجيا باك»، (وهي أن تدفع المرأة ذقنها بإحكامٍ على عظام صدرها، حتى لا يتمكَّن الزبون من الوصول إلى عُنقها.. وهو أمرٌ يجعل عمليَّة التنفُّس أصعب، ولكِنه قد يُنقِذ حياتها).

سألني: ألن تشعُري بمزيدٍ من الراحة إن وضعتِ رأسكِ بين المقاعِد؟ وشيءٌ ما قال لي: لا، عليكِ أن تُبقي هذا الأحمق في مرمى بصركِ. لأنني لن أتمكَّن من رؤيته، إن وضعتُ رأسي بين المقاعِد، وستكون رقبتي في نُقطةٍ عمياء.. ففكَّرت: رُبما لا يخنق هذا الرجُل النساء، بل يكتم أنفاسهُنّ فحسب. وسيكون الأمر سهلًا عليه إن وضعتُ رأسي بين المقاعِد، لذا قُلت له: لا! أنا بخير في هذا الوضع.

لم ينتصِب عضوُه، ولم يتمكَّن من إدخاله، لكِنه بدا هادِئًا بما فيه الكِفاية. وتحدَّث طوال الوقت الذي حاول فيه مُضاجعتي. كانَت موضوعاته الثلاثة المُفضَّلة هي: زوجته العاهِرة، الصيدُ وصيدُ السمك في الريف، وكُل ما فعلته العاهِرات الأخريات به.

توخيتُ الحذَر، وبدأتُ أفكِّر: هل يُمكِن أن يكون هذا الأبله هو الخانِق؟ في نفس الوقت الذي مدَّ فيه يدَيه نحوَ عُنقي، قُلت له: لا تفعل ذلِك! أنا مُصابة بالربو.. توقَّف وهو يقول: من أنتِ بحقِّ الجحيم؟ نظر في وجهي مُباشرة، قبل أن يُضيف بقسوةٍ بالِغة: من أنتِ بحقِّ الجحيم؟ ما أنتِ إلا واحدة من العاهرات الرخيصات السيئات؟

ضغط على صدري. فقُلت لنفسي: اللعنة، إنه الخانِق، وأنتِ ضحيته القادِمة! من الأفضَل أن تبدئي في التلاعُب بهذا الوغد، لتُخبريه أنكِ قادرة على التعامُل معه.. استمرَّ الأمر على هذا المنوال لأكثر من ساعة، لعِبنا فيها لعبة القط والفأر، دون أن يتوقَّف عن مُحاولة وضع يدَيه حول عُنقي. وكان بحوزتي سكينٌ جاهزٌ للاستخدام، فقط إن خرجَت الأمور عن السيطرة.

عادت يداه لما فوق ثديي. قُلت له: لقد أخبرتُك ألَّا تفعل ذلِك، فأنا حسَّاسة للغاية. وكانت هذه هي المرَّة الخامِسة التي أُخبره فيها بذلِك. وفكَّرتُ أنه من الطبيعي أن يمدَّ يدَه ليُمسِك بثديي، لكِنه كان مُهتمًّا بعُنقي. كما ترى.. إن ثدييَّ كبيران للغاية حتى إنهما يتدلَّيان جانبًا. ولا أرتدي أي حمالة صدر أو ملابِس داخليَّة أثناء العمل، لذلِك إن مدَّ يدَيه قاصدًا الإمساك بثديي فلا يجِب أن يكون له أي شأنٍ بعُنقي، هل تفهم قصدي؟

وكُلما بدا مُنفعلًا، بذلتُ قصارى جُهدي لتهدئته، كما أخبرته أنني أحمل سكينًا في إحدى يديَّ بالقُرب من قفصه الصدري، فكان الأمر أشبَه بالتوازُن بين الحرب والدبلوماسيَّة. كُنتُ حازِمةً للغاية في حدودي معه، لكِن دون إهانته أو استفزازه «لا تفعل ذلِك! فأنا مُصابة بالربو!» أو «لا تفعل ذلِك، فأنا حسَّاسة للغاية»؛ وفي الوقت نفسه، أمسكتُ بالسكين في يدي، وتأكَّدتُ من أنه على علمٍ بأنني لن أتردَّد في استخدامه. وفي النهاية، سئِم من الأمر برمَّته، وأوصلني إلى المنزِل.

وعاد للثرثرة مُجددًا طوال الطريق إلى المنزِل، وعندما لم أُجِبه، سألني: لماذا أنتِ هادئة للغاية؟ هل أنتِ خجولة؟

بدا مُنزعجًا نوعًا ما، وكأنه خطأ اجتماعي إن لم يُعلِّق المرء على كُلِّ كلمة، أحيانًا ما نرى ذلِك مع الزبائِن.

جعلته يوصِّلني، وعندما دخلتُ إلى الداخِل، قُلتُ لصديقي: أُقسِم لك أنني كُنتُ برفقة الخانِق اللعين الليلة.

سألني: كيف يُمكِن لذلِك أن يكون؟ أنتِ ما زلتِ على قيد الحياة»[(CCL)].

هذا ما تطلَّبه الأمر للنجاة من موعدٍ مع «آرثر شاوكروس» والعديد من أمثاله. لم يكُن لدى مُعظم النساء العامِلات في الشوارِع الخبرة أو التركيز الكافِيَين اللذين تمتَّعت بهما بائعة الهوى المُخضرمة في هذه الشوارِع. أما الأُخريات اللاتي نجونَ من قبضته.. فقد نَجوْنَ فقط لأنهنَّ كُنّ محظوظات لأنه لم يكُن مُتقلِّب المزاج في تلك الليلة.

«بعد لحظاتٍ التفَّت يداه حول أعناق ضحاياه»

في «نوفمبر»، وعندما ازدادَت أعداد الضحايا، طُلِب من وحدة العلوم السلوكيَّة التابِعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي إعداد ملفٍّ شخصي. وكانوا مُحقِّين في تحديد مُعظَم خصائِص «شاوكروس»، ولكِنهم أخطئوا في واحدةٍ رئيسيَّة؛ بدءًا من متوسِّط عُمر القاتِل المُتسلسِل عند ارتكابه أول جريمة قتل، وحساب القوس التصاعُدي، فقد قدَّر الملف الشخصي عُمره بأنه في أوائِل الثلاثينيات من عُمره. لكِن ما لم يعرِفه المكتب هو أنه في حين كان «شاوكروس» بالفعل في السابِعة والعشرين من عُمره عندما قَتَل أول ضحيَّتَين له في «ووترتاون»، إلا أن «قوس» القتل الذي ارتكبه عُلِّق لمُدة أربعة عشر عامًا عندما سُجِن. واستغرقه الأمر حوالي عشرة أشهُر بعد خروجه من السجن ليُكمِل من حيث توقَّف. لذلك قتل كما يقتُل قاتِل مُتسلسِل في الثلاثين من عُمره. وغالبًا ما يُنتقَد تنميط مكتب التحقيقات الفيدرالي على أنه غير فعَّال أو «عِلم زائِف»، ولكِن بناءً على تقييم مكتب التحقيقات الفيدرالي بأن القاتِل المُتسلسِل سيعود إلى الجُثث، بدأت شرطة «روتشستر» وشرطة ولاية «نيويورك» في تحليق دوريَّات مروحيَّة فوق المناطِق التي أحبَّ القاتِل المُتسلسِل إلقاء الجُثث فيها.

في صباح يوم 3 يناير 1990، أي قبل حوالي أربعة أشهُر من الموعِد المُقرَّر لانتهاء فترة الإشراف على إطلاق سراح «شاوكروس» المشروط، رصدَتْه مروحيَّة الشُّرطة وهو يأكُل السَّلَطة في باب سيَّارة متوقِّفة على جسرٍ فوق جُثة «جون سيسيرو»، وهي عاهِرة كانت قد اختفَت قبل أيام قليلة تحت أنوف فريق المُراقبة التابع للشرطة. وبعد ذلِك كان الأمر بسيطًا: استغرق الأمر من الشُّرطة بضعة أيام لانتزاع اعترافٍ منه بقتل إحدى عشرة امرأة. كما قاد رجال الشُّرطة إلى ضحيَّتَين لم تُكتشفا بعد. وفي النهاية، اتُّهِمَ بارتكاب عشر جرائِم قتل من الاثنتي عشرة جريمة قتل التي كان مُشتبهًا به فيها. كانت إحدى جرائِم القتل، الخاصَّة بـ «إليزابيث «ليز» جيبسون»، في ولايةٍ قضائيَّةٍ مُختلِفة، في حين لم يُمكِن ربط جريمة قتل أخرى به بشكلٍ قاطع. وبعد إدانته بعشر تُهَم بالقتل من الدرجة الثانية في أواخِر نوفمبر 1990، حُكِم عليه بالسِّجن لمُدَّة خمسةٍ وعشرين عامًا لكُل جريمة من جرائِم القتل العشر التي اتُّهِم بها؛ أي ما مجموعه 250 عامًا. وقد أقرَّ لاحقًا بأنه مُذنِب في جريمة قتل «إليزابيث جيبسون». ولن يكون هُناك أمل في الإفراج المشروط أو المُبكِّر عنه هذه المرَّة.

وفي كُل حالة، ادَّعى «شاوكروس» لاحقًا أن الضحيَّة فعلت شيئًا أغضبه أو أخافه. وقال إنه خنق أو كتم أنفاس بعض ضحاياه «عن طريق الصُّدفة» أثناء مُحاولته إسكاتهنّ لأنه خشِيَ اكتشاف أمره أو إلغاء إطلاق سراحه المشروط، وأنه خنق ضحيةً ذات مرَّة عن طريق الخطأ بقضيبِه أثناء مُمارسة الجنس الفموي. وقتل امرأةً لمُحاولتها سرقة أمواله، أو لإخفائها حقيقة أنها في دورتها الشهرية أو لسُخريتها منه عندما لم ينتصِب قضيبه. وقال كذلِك إنه خنق ضحيَّةً أخرى عن غير قصدٍ عن طريق إغلاق نافِذة سيَّارة كهربائيَّة على عُنقها عندما انحنَت داخِل سيَّارته. وفي حالة إحدى معارِفه، وهي «دوروثي كيلر»، المُشرَّدة البالِغة من العُمر تسعةً وخمسين عامًا، والتي بتر رأسها لاحقًا من جُثَّتها المُتحلِّلة، ادَّعى أنها حاولت ابتزاز المال منه بتهديده بإخبار «روز» بأنهما يُمارِسان الجنس. وكانَت تلك نزعة نموذجيَّة من القاتِل المُتسلسل، بأن يُلقي اللوم على ضحيته للتحريض على قتلِها بيدَيه.

ولينأى بنفسه بعيدًا عن الغضب الجنسي السادي الذي يدفعه، ادَّعى أنه لا يستطيع تذكُّر مُعظم جرائِم القتل التي ارتكبها. ووَصَف حالة «هالة» من الغضب، حيث يتصبَّب عرقًا، ويخرُج منه ضوء ساطِع، قبل أن يعود إلى وعيه فجأة، ليجد امرأةً ميِّتة بجواره، ويتساءل: يا إلهي، كيف حدث ذلِك؟ وبالمرَّة، قد أُمارس الجنس مع جُثتها الدافِئة أثناء وجودي هُنا، ورُبما أُقطِّعها قليلًا، وآخُذ مهبلها معي لآكُله.

والآن، اجتمعَت الأوساط الإصلاحيَّة، والقضائيَّة، والطبيَّة، والنفسيَّة معًا لتنظيف الفوضى، ومُحاولة اكتشاف ما عانى منه «شاوكروس» بالضبط. وجاءت بعض التشخيصات مُطابِقة لنفس التشخيصات المُبكِّرة: كالشذوذ السادي، والاعتلال الاجتماعي، والعدوانيَّة غير المكبوتة، والعجز الجنسي، وعدم السيطرة على الانفعالات، والغضب الناجِم عن الصدمة، والبُعبُع المُعتاد للقتل التسلسُلي: الاعتلال النفسي.

انطلت حكايات «شاوكروس» الطويلة عن حرب «فيتنام» على الطبيبة النفسيَّة للدِّفاع «دوروثي أوتناو لويس»، والتي كانَت بحلول وقت مُحاكمته في عام 1990 أكثر تفصيلًا بكثيرٍ من تلك التي رواها لأول مرَّة في أوائِل «السبعينيَّات»، والتي مثَّلت صدًى لفيلم «فرانسيس فورد كوبولا» السريالي «نهاية العالم الآن». وقالَت، كما ورد أعلاه، أنه رُبما كان ضحيَّةً لتجارِب غسيل المُخ التي أجرتها وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة في «فيتنام». كما أشارَت أيضًا إلى أنه عانى من خللٍ عضوي في المُخ، وصدَّقت تأكيداته بأنه لا يستطيع تذكُّر أفعاله القاتِلة. وقالت:

«لقد عانى «آرثر شاوكروس» من العلامات والأعراض الكلاسيكيَّة لنوبات الفص الصدغي – الهالات والسلوكيات النمطيَّة التي أضعفت ذاكرته، والنوم العميق اللاحق. على سبيل المثال، قبل نوبة القتل مُباشرةً، كان يبدأ في التعرُّق، وينفجِر عالمُه في ضوءٍ أبيض ساطِع. وبعد ذلِك بلحظات، التفَّت يداه حول أعناق ضحاياه. ثُم، وبشكلٍ مُدهِش، غطَّ في نومٍ عميقٍ بعد النوبة. وعندما يستيقِظ، تكون ذاكِرة سلوكه القاتِل ضبابيَّةً ومشوَّهة»[(CCLI)].

وكانت هُناك بعض التفسيرات الفسيولوجيَّة والكيميائيَّة الحيويَّة التي قُدِّمَت لتفسير دوافعه للقتل. مثل تعرُّضه لإصاباتٍ مُتعدِّدةٍ في الرأس في طفولته ومُراهقته، وهو أمر شائِع لدى القتلَة المُتسلسِلين. وأظهر تخطيط كهربائيَّة الدِّماغ وجود خللٍ في المُخ «أنماط تهيُّجيَّة انتيابيَّة في المناطِق الجبهيَّة الصدغيَّة – أكثر في الجانِب الأيمن»[(CCLII)]. وأظهر التصوير المقطعي المُحوسَب عدم تناسُق طفيفًا؛ كما أظهر التصوير بالرنين المغناطيسي وجود كيس صغير تحت العنكبوتيَّة، وكسرٍ مُلتئِم في الفصِّ الجبهي، وضمور وقِصَر طفيف في الفصِّ الصدغي الأمامي. تدعم دراسات «كينت إيه. كيهل» التي استشهدتُ بها أعلاه وجود علاقة بين إصابات الرأس و«الاعتلال النفسي المُكتسَب».

كانت هُناك تشوُّهات كيميائيَّة حيويَّة يُمكِن أن تُقلِّل من تثبيط العدوانيَّة. وشُخِّصَ «شاوكروس» بالبيرولوريا، وهو ارتفاع مستوى الكريبتوبيرول في البول؛ حيث كانَت نسبته 200، في حين تُعَد 20 نسبةً مُرتفِعة. ويُعاني المُصابون به من مشاكل سلوكيَّةٍ حادَّة، ولا يستطيعون السيطرة على غضبهم عند استفزازهم، ويُعانون من تقلُّباتٍ مزاجيَّة، ويميلون إلى السهر.

كانت هُناك أيضًا تفسيرات وراثيَّة مُتقدِّمة. فقد حمل «شاوكروس» مجموعة كروموسومات «XXY» نادِرة. وكما نعلم، فهذه هي الكروموسومات الجنسيَّة: «XX» في المرأة، و«Y» في الرجُل. ومن المعروف أن التركيبات الكروموسوميَّة غير النمطيَّة يُمكِن أن تؤدي إلى نموٍّ جنسي غير نمَطي. على سبيل المثال، في مُتلازمة «كلاينفلتر»، ينتُج عن التركيبة «XXY» جسد ذكر مع بعض الخصائِص الأنثويَّة. ونظرًا لأنه يبدو أن الـ «X» الزائِدة تؤنِّث الرجال، فقد تكهَّن بعض المُنظِّرين بأن كروموسوم الـ «Y» الإضافي قد «يُفرِط» في تذكير الرجال الذين يمتلِكُونه. ونظرًا لأن الرجال أكثر عدوانيَّةً من النساء، فقد يكون الرجال الذين يحمِلون كروموسوم «XXY»، مثل «شاوكروس»، أكثر عدوانيَّة من الرجال الآخرين، وبالتالي أكثر عُرضة لارتكاب جرائِم عنيفة. ومع ذلِك، في حين أنه ثبت في نهاية المطاف أن الرِّجال الذين يحمِلون كروموسومات «XYY» أكثر شيوعًا بين المُجرمين إلا أنهم يميلون إلى ارتكابِ جرائِم غير عنيفة، وليس جرائِم عنيفة كما تنبَّأت فرضيَّة «XXY».[(CCLIII)]

في النهاية، لم يتمكَّن أحدٌ من فهم «شاوكروس»، لأسبابٍ ليس أقلَّها مَيله إلى المُبالغة في تخيُّل مجموعة من الصدمات النفسيَّة بدءًا من الاعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة والاعتداء الأبوي إلى حالات الهالة واضطرابات ما بعد الصدمة. وفي حين أنه من المعقول للغاية أن يكون «شاوكروس» قد عانى من درجةٍ مُعيَّنةٍ من الصدمات النفسيَّة في حياته المُبكِّرة، إلا أن طبيعتها الدقيقة، ومداها، وسياقها ظلَّت محجوبةً إلى الأبد بفعل التخيُّلات التي نسجها باستمرارٍ لأي شخصٍ مُهتمٍّ أو بحاجةٍ إلى سماعها.

وأخيرًا، قد لا يكون أيٌّ من هذا مُهِمًّا إن كان «شاوكروس» قد صدَّق بالفعل أكاذيبه وأوهامه.

«أعطِني يدك»

عاش «شاوكروس»، السجين في إصلاحيَّة «سوليفان» في «فولسبورج» بـ «نيويورك»، حياة كامِلة ونشِطة – رُبما كانَت من أفضل سنوات حياته وأكثرها إرضاءً. طلَّق «روز»، وتزوَّج من عشيقته الوفيَّة «كلارا نيل» في عام 1997، مما جعلها زوجته الخامِسة. كان في الثانية والخمسين من عُمره، وهي في السادِسة والستِّين. وصرَّحت «كلارا» قائِلة: «لقد كان زواجًا لطيفًا. استغرقني الأمر عشر سنوات لأتزوَّجه، ولكِنني فعلتُها أخيرًا». قبل أن يُطلِّقها «شاوكروس» في النهاية، ويبحَث لنفسه عن زوجةٍ سادِسة من بين مئات المُعجبات الوحيدات بالسفَّاحين اللاتي راسلْنَه في السجن.

وقد طوَّر مسيرة مهنيَّة فنيَّة ناشِئة في السِّجن، حيث رسم لوحات فنيَّة تُباع على موقِع «إي باي»، «وهو ما يُعد انتهاكًا لقواعِد السجن»، وضُمِّنَت في معرضٍ فنيٍّ سنويٍّ للسُّجناء. قبل أن يتوقَّف معرض «تصحيحات على القُماش» الذي استمرَّ لمُدَّة خمسةٍ وثلاثين عامًا في 2020، بعد احتجاج الجمهور على تربُّح «شاوكروس» من بيع لوحاته.

وأثناء وجوده في السجن، طوَّر «شاوكروس» مسيرته كطاهٍ، حيث جمَّع ستمائة صفحة مطبوعة من الوصفات، والتي أرسلها واحدةً تلوَ الأخرى إلى جامعي «مُقتنيَات القتلة»، والتي تتداوَل اليوم مُقابِل

خمسين دولارًا تقريبًا. وقال «شاوكروس» لصحفيٍّ أجرى معه مُقابلةً حول وصفاته، إنه تذوَّق طعم اللحم البشري في «فيتنام» عندما عَرَضَ عليه جنود كوريون جنوبيون يُقاتِلون إلى جانِب القوَّات الأمريكيَّة قِطَعًا من لحم الضحايا الفيتناميين المطبوخة. وقال: «قال لي أحدهم: خُذ، جرِّبها. فأغمضتُ عيني وقضمتُها، ثُم قُلت: هذا ليس سيئًا. فقد كان طعمه مثل لحم الخنزير الطازج. لا أحد يأكُل ما أطهو.. لأنهم رُبما يظنُّون أن هُناك إصبعًا بداخله»[(CCLIV)].

أجرى العديد من المُقابلات، وأرسل الكثير من قُصاصات أظافِره، وخُصلات شعر عانته إلى هُواة الجمع حتى إنه خلق تُخمةً في سوق «القتلة». وفي العديد من اللقطات الوثائِقيَّة والتلفزيونيَّة، بدا كجدٍّ لطيفٍ مُمتلئ الجسد، ويرتدي نظَّاراتٍ كبيرة، يروي خيالاته المُعتادة عن حرب «فيتنام»، القصص التي اختلفت قليلًا مع كُل رواية.

وكانت الصحفيَّة «نادية فزاني» من آخر الأشخاص الذين قابلوه قبل وفاته. وقد وصفَت لقاءها به في غُرفة المُقابلات في السجن قائِلة:

«مُشِّطَ شعره الرمادي إلى الخلف، وظَهَر شعر صدره من أعلى قميصه. فقط حاجباه كانا لا يزالان يكشِفان عن القليل من شعر شبابه البُنِّي. امتلك وجهًا لطيفًا وودودًا ذا أنفٍ كبير وابتسامةٍ بسيطة ترتسِم على شفتَيه الرقيقتَين. واصفرَّت أسنانه غير المُتناسِقة على مرِّ السنين. كما كشفت لُغة جسده بوضوحٍ عن سعادته برؤيتي. وبسبب أفلام القتلة المُتسلسِلين، الذين غالبًا ما يُصوَّرون بملامِحَ جسديَّةٍ تعكِس وحشيَّة جرائِمهم، تخيَّلتُ مُقابلة رجلٍ بعينَين حاقدتَين. ولكِنه بدا كحَمَلٍ وديع. خفَّفتُ من حذَري قليلًا، حتى تذكَّرتُ أن هذا الرجُل البدين الستيني قد قتلَ أكثر من اثنتَي عشرة ضحيَّة بريئة»[(CCLV)].

أجرَت «فزاني» مُقابلاتٍ مع عددٍ من القتلة المُتسلسِلين، وكانت مُتمرِّسة في أساليبهم المُخادِعة، لكنها وجدَت نفسها بحاجةٍ إلى التركيز على مُقاوَمة سحر آكل لحوم البشر الودود عند إجراء المُقابلة معه في السجن:

«نظر إليَّ من خلال نظَّارته الكبيرة، ثُم قال: أعطِني يدَك.

يدي؟ لماذا أراد يدي؟ تردَّدتُ لمَّا شعرتُ وكأنه دهر طويل. إن لم أُطِعه، سيقول إنني لا أثِق به، فلماذا يثِق بي إذن؟ وهكذا مددتُ يدي، فأخذها بكِلتا يدَيه، وقلَبَها ليقرأ كفي.

قبل أن يقول: ستعيشين طويلًا يا نادية»[(CCLVI)].

«سأُحبُّك دائِمًا يا آرثر»

في العاشِر من نوفمبر 2008، اشتكى «شاوكروس» من ألمٍ مُفاجئ في ساقه، ونُقِل إلى مركز «ألباني» الطبِّي، حيث تُوفِّيَ بعد عدَّة ساعات بسبب فشلٍ في الشريان التاجي عن عُمرٍ يُناهِز الثالِثة والستِّين.

وقد رَثَتْه العشرات من صديقاته بالمُراسلة، ونشرَت بعضهنّ رسائِلهنّ الأخيرة له على الإنترنِت:

«حسنًا يا آرثر، لقد كتبنا بعضنا لبعضٍ لفترة، رغم أن الكثيرات رُبما لم يتَّفِقنَ معي، إلا أنني سأظل أفتقِد الرسائِل التي تَشاركناها. رُبما تكون قد تغيَّرتَ قبل النهاية، أو رُبما كُنتَ كما كُنتَ عندما ارتكبتَ تلك الأفعال الشنيعة، لن يعرِف أحد غيرك. أتمنَّى فقط أن تكون قد فعلتَ ذلِك. أتمنى أن تجِد نوعًا من السلام الآن، وأتمنَّى أن تجِد العائِلات التي مزقتَ حياتها بعض السلام، وداعًا يا آرت!»

كيت

«آرثر..
لقد تساءلتُ عمَّا إن كُنتَ قد تلقَّيتَ رسالتي قبل رحيلك. فقد قُلتَ في الرسائِل القليلة الماضية التي كتبتَها لي أنك لم تكُن على ما يُرام، لكِنك تتحسَّن! لا أُصدِّق أنك رحلتَ الآن. أولادي لديهم الصور التي رسمتُها لهم على الحائِط – شكرًا لك مرَّة أخرى. أعلم أننا قضَينا بعض الأوقات المُضحِكة، وأعرِف أنك تغيَّرتَ عن الشخص الذي كُنتَ عليه – وأعرِف سبب قيامك بما فعلته. سأفتقِدك يا آرثر، وسأفتقِد الرسائِل التي تشاركناها. فليرعك الله، ولترقُد الآن في سلام. لن أنساك أبدًا».

راشيل، مع قُبلاتي

«آرثر..
شكرًا على رسائِلك الإلكترونيَّة التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، ورسوماتك، وأوراق البرسيم الأربع. نفتقِد سماع أخبارك بالتأكيد، لأننا كُنَّا نتطلَّع إلى كُلِّ رسالةٍ من رسائِلك.. بشكلٍ أسبوعيٍّ تقريبًا».

ويتر

«آرثر..
سأحبك دائِمًا يا آرثر. أنا فقط آسِفة لأننا لم نتمكَّن من الزواج كما تحدَّثنا قبل دخولك إلى المُستشفى. سأعتزّ بالخاتَم الذي أرسلته لي».

كورتني

«لقد كُنا أنا وآرثر أصدِقاء لأكثر من عشر سنوات، أنا لا أتغاضى عن جرائِمه، لكنني شعرتُ بأنه كان شخصًا عظيمًا في أعماقه. ولطالما كان شخصًا رائِعًا بالنِّسبة لي، وسأفتقِد زياراتنا ورسائِله».

ميشيجان جول

«سأفتقِد تواصلنا يا آرثر، فقد كُنتَ حقًّا من الأخيار، لقد أساءوا فهمك، وعاقبوك على أفعالٍ لم يكُن لك يدٌ فيها. أنت الآن بأمانٍ في أحضان يسوع، بعيدًا عن عالَم الشيطان الشرير والقاسي الذي استخدمك كأداةٍ للشر. انتظِرني عند البوابات اللؤلؤيَّة يا حبيبي».

رُثِيَ «شاوكروس» وخُلِّدَت ذكراه أكثر بكثيرٍ من ضحاياه الأربع عشرةَ المعروفين. وفي مقالها الذي نشرته جامِعة «روتشستر» بعنوان «الموت المأسوي لفيليسيا ستيفنز»، استكشفَت «كاتي كارب» الظروف المؤسِفة التي ألَّمت بضحيته الأخيرة، وهي إحدى عاهرتَين أمريكيَّتَين من أصولٍ أفريقيّة قتلهما «وكان موتهما أقلَّ وطأة»، وكتبت قائِلة:

«من بين صور الأغلِفة والقصص التي تُغطي كُل جانِب من جوانِب حياة القاتِل المُتسلسِل السيئ السُّمعة، كان من الصعب العثور على مُجرَّد دعاية صغيرة تذكُر «فيليسيا ستيفنز» التي طغت عليها «القصَّة الأكبر» إلى حدٍّ كبير، والمعلومات الوحيدة المُتاحة هي عُمرها ولون بشرتها. وحتى يومِنا هذا، لا تُذكَر حتى كضحيةٍ في العديد من المواقِع الإلكترونيّة وأفلام الفيديو الوثائِقيّة، كما أنها المرأة الوحيدة التي لا تُوجَد لها صورة لتُربَط بقصصها»[(CCLVII)].

كما لم تُخلَّد ذكرى ضحية شاوكروس الأولى، «جاك بليك»، البالِغ من العُمر عشر سنوات. فقد سرق أحد الأوغاد من جامعي التذكارات تمثالًا لملاكٍ نُصب على قبره بعد فترةٍ وجيزة من دفنه.

وبعد مرور واحِدٍ وأربعين عامًا فقط، وبعد خمس سنوات من وفاة قاتِله، أدركت زميلة سابِقة لـ «جاك»، تُدعى «جانيت إيه. فيش»، أن قبرَه لم يكُن عليه أي علامات، وقرَّرَت أن تفعل شيئًا حيال ذلِك، وجمَّعت الأموال من زُملاء جاك السابقين في المدرسة لإقامة شاهِد قبرٍ للطِّفل الصغير المقتول. وكان زُملاؤه قد أصيبوا بصدمةٍ نفسيَّةٍ بسبب مَقتله في عام 1972. وتتذكَّر «فيش» قائِلة: «كان وقتًا مُخيفًا للأطفال في «ووترتاون». قبل ذلِك، سُمِح للأطفال بالخروج بمُفردهم».

ويتذكَّر زميل آخر سابِق له في المدرسة، وهو الآن في الخمسينيات من عُمره، قائلًا: «كان أول شخصٍ أعرِفه يموت. لقد كان صديقي. وقُتِل على يد هذا الوحش. كان ذلِك كثيرًا على طفلٍ في الحادية عشرة من عُمره ليتحمَّله»[(CCLVIII)]. وأخيرًا، أُقيم شاهِد قبر لـ «جاك بليك» في 26 نوفمبر 2013.

كان «آرثر شاوكروس» واحدًا من 768 قاتِلًا مُتسلسِلًا في «الثمانينيَّات» مُسجَّلين في قاعدة بيانات القتلة المُتسلسِلين التابِعة لجامعة «رادفورد»/ جامِعة ساحِل خليج فلوريدا. وكان هذا رقمًا مروّعًا. لكِن الخبرَ السارَّ كان أن الطفرة قد انتهَت، فللمرَّة الأولى منذ «أربعينيَّات» القرن «العشرين»، كان عدد القتلة المُتسلسِلين الجُدد على وشكِ الانحسار.

ففي «التسعينيَّات»، تواجَد 669 قاتِلًا مُتسلسِلًا، أي أقل بنسبة 13٪ من عدد القتلة المُتسلسِلين في «الثمانينيَّات».

14 مُصطلح يُطلق على الزميلين المُقرَّبين في العمل، ويعود أصل التسميّة للثُّنائي «فريك» و«فراك» وهُما ثُنائي من المُتزلجين على الجليد الكوميديين. [المُترجِم]

الفصل السابِع

آخر القتلة المُتسلسِلين

شفق عصر البلاء

في الفترة بين 1990 - 2000

«ندفن موتانا، ونرحَل»

داني رولينج، قاتِل مُتسلسِل

«يُمكِنك أيضًا تسمية «إليزابيث تايلور» بالعروس المُتسلسِلة»

دينيس نيلسُن، قاتِل مُتسلسِل

بدأت فترة «التسعينيَّات» تُشبِه إلى حدٍّ كبيرٍ فترة «السبعينيَّات» و«الثمانينيَّات»، حيث بدأ القتلة المُتسلسِلون الجُدد والمجانين ينهالون علينا بشكلٍ مُتزايدٍ كُل عام، تمامًا كما كان الحال من قبل. في حين بدأ متوسِّط عدد الضحايا لكُلِّ قاتِلٍ مُتسلسِل منهم في الانخفاض، إلا أن سيناريوهات القتلة المُتسلسِلين استمرَّت في دفع الظرف أكثر فأكثر إلى عالَم الرُّعب الذي لا يُمكِن تصوُّره بينما انزلقنا من «الثمانينيَّات» إلى «التسعينيَّات».

افتُتِحَ العقد بسلسِلةٍ من جرائِم القتل المروّعة التي لم تُحل في مدينة «جاينسفيل» الجامعيَّة بولاية «فلوريدا». وحظِيَت تلك الجرائِم باهتمامٍ وطني، وفي نهاية المطاف، مثَّلت مصدر الإلهام لفيلم الكوميديا السوداء المُرعِب «سكريم» للمُخرِج «ويس كرافن» عام 1996. ولكِن لم يكُن هُناك أي شيءٍ مُضحِك بشأن ما حدث في «جاينسفيل».

«داني رولينج» الشهير بـ «سفَّاح جاينسفيل» في «جاينسفيل» بـ «فلوريدا» عام 1990

تقع «جاينسفيل»، عاصِمة مُقاطعة «ألاتشوا»، في مُنتصف الجُزء الشمالي من الولاية، ويوجَد حرَم جامعي كبير لجامِعة «فلوريدا» هُناك. وفي أغسطس 1990، عجَّت «جاينسفيل» بالنشاط مع وصول الطُّلَّاب لبدء فصل الخريف الدراسي. اختار العديد من الطُّلَّاب هذه الجامِعة كمكانٍ للدراسة بسبب مناخها المُشمِس وسُمعتها الشهيرة في إقامة الحفلات. فرَّغ الطُّلَّاب من جميع أنحاء البلاد أمتعتهم، وانتقلوا إلى مُختلف المهاجِع والشُّقق والمنازِل خارِج الحرم الجامعي.

يوم 24 أغسطس، عُثِرَ على طالبتَين في السنة الأولى في الجامِعة، وهُما «سونيا لارسون» البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، و«كريستينا باول»، البالِغة من العُمر سبعة عشر عامًا، مطعونتَين بوحشيَّةٍ حتى الموت في شقتهما. وبدا أن القاتِل قد دخل من بابٍ غير مُقفَل أثناء الليل. عُثِرَ على «باول» عاريةً على سجادة أرضيَّة

غُرفة المعيشة بالقُرب من الأريكة، مع مجموعةٍ مُتقارِبة متنُها خمس طعنات في الجُزء العلوي من ظهرها. كانَت إحدى الطعنات في ظهرها قويَّة بحيث اخترقَت جذعها، وخَرج طرف السكين من أسفل ثديها الأيمن. كما أنها قد اغتُصِبَت. وقُطِعَت حلمتاها، تاركتَين وراءهما جرحَين دائريَّين يبلغ قُطرهما حوالي بوصتَين ونصف. وأشار عدم وجود نزيف إلى أن هذا حدث بعد الوفاة. مال رأسها نحو كتِفِها الأيمَن، وانسدل شعرُها من الجانِب الأيمن من رأسها، بعد أن وضعه قاتِلها عمدًا في هذا الوضع. امتدَّت كلتا ذراعَيها فوق رأسها، وتباعدت كلتا ساقَيها عن بعضهما البعض، بعد أن ثُنِيَتا عند الرُّكبتَين، مما كشف منطِقة عانتها بالكامِل. في حين تُرِكَت زجاجة نصف فارِغة من صابون غسيل الصحون الأخضر «داون» بين رُكبتَها فوق منشفة رطِبة. غطى الصابون منطِقة مهبَلها، وترك طبقةً من رغوته حول فرجها. ورغم أن حمَّالة صدرها القُطنيَّة قُطِعَت ومُزِّقت عنها وأُلقِيَت في مكانٍ قريب، إلا أن ملابسها الداخليَّة المُلطَّخة بالسائِل المنوي طُوِّيَت بعنايةٍ بجوار قدمها اليُسرى.

تبعثرت المناشِف الورقيَّة المُجعَّدة، التي لا بُد أن القاتِل قد استخدمها لتنظيف نفسه، في أرجاء الغُرفة. كما تبعثرت محتويات محفظتها على الأرض، وخلت من النقود الورقيَّة، التي لم تعثُر الشُّرطة على أيٍّ منها في الشقَّة. كما عثروا على صورة من الحقيبة لشابٍّ وشابَّة مقطوعة إلى نصفَين، لكِن النصف الخاص بالمرأة كان مفقودًا.

ثُم عُثِرَ على رفيقتها في السكن، «لارسون»، في غُرفة نومِها في الطابِق العلوي، وهي ترتدي فقط قميصًا مرفوعًا فوق ثديَيها، كاشِفًا عن عدَّة طعناتٍ في ذراعِها، وفخذِها، وكلا ثديَيها. بينما تجمَّعَت خمسة جروح بالسكاكين بإحكام حول حلمة ثديها الأيمن، في حين أصاب جرحٌ عميق ثديَها الأيسَر. وثُقِبَ الجُزء الداخلي من ذراعِها الأيمن بأحد عشر جرحًا. وكانت قد أصيبَت بكُلِّ هذه الجروح وهي على قيد الحياة. امتدَّ ذراعاها إلى أعلى مُتجاوِزَين رأسها، بينما مُدَّت ساقاها على طرف السرير، مُتباعِدتَين بين قدمَيها ومُلامِستان للأرض. وتوزَّعت مجموعة مُحكمة من الطعنات حول ثديها الأيمن[(CCLIX)].

وتوصَّلَت الشُّرطة من آثار المادة اللاصِقة إلى أن الضحيَّتَين قد كُمِّمَتا وقُيِّدتا بشريطٍ لاصق، قبل أن يُزيله القاتِل في وقتٍ لاحق. تم التعرُّف على نوع السكين المُستخدَم من خلال تلك الجروح المُميَّزة التي ترَكَ فيها أخدود دمٍ مُصمَّمًا بشكلٍ فريد: وهو سكين قتال بطول قدَم، صادِر عن سلاح مُشاة البحريَّة الأمريكيَّة، يُعرف باسم «كا – بار»، ومتوفِّر للبيع في أي متجر للسلع الرياضيَّة. صُنِع نَصله بطول سبع بوصاتٍ من سبيكة فولاذيَّة كربونيَّة فائِقة، تُدعى كرو – فان 1095، (وهو اختصار لمادتي الكروم والفناديوم)، تسمَح بشحذِ حوافها بشكلٍ حادٍّ للغاية مع طعنة «مُسنَّنة» دقيقة للغاية. واعتمدَت الشركة المُصنِّعة اسم «كا – بار» في عام 1923، بعد أن تلقَّت رسالةً مُمزَّقة ومُجعَّدة يحكي فيها صيَّاد كيف تمكَّن من قتل دُبٍّ بالسكين، كاتِبًا «كا – بار» فقط في اختصار لعبارة «كيلد أبير» التي تعني «قتلتُ دُبًّا». وهو سكينُ قتلٍ هائِل، وأداة قتل مُتعدِّدة الاستخدامات أُصدِرَت لأول مرَّة لمُشاة البحرية في المُحيط الهادي في عام 1942، ولا تزال في الخدمة حتى يومِنا هذا.

وعلى الرغم من بشاعة هذه الجريمة، إلا أنها بالكاد أثارَت ضجَّةً في الصحافة خارِج «فلوريدا». فلم تكُن جريمة قتلٍ بالطعن مزدوجة تُمثِّل خبرًا مُهِمًّا في «التسعينيَّات». ومع ذلِك، فقد مثَّلَت تذكيرًا مؤلمًا بجريمتَي قتل «تِد بندي» لفتاتَين جامعيتَين في منزِل سكن الطالبات في «تالاهاسي» بولاية «فلوريدا» قبل اثني عشر عامًا.

ويوم 26 أغسطس، عُثِرَ على طالبةٍ أخرى، تُدعى «كريستا هويت»، البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، مُغتصَبة ومقتولة في شقَّتها. كان القاتِل قد فتح الباب الزُّجاجي أثناء وجودها خارِج الشقَّة، وانتظر في الشقَّة المُظلِمة حتى عادت الضحيَّة إلى منزلها.

وُجِدَت هويت على سريرها، مقطوعةَ الرأس، جالِسةً مُنحنيةً إلى الأمام في المُنتصف بين اللوح الأمامي للسرير وبين نهايته. تدلَّت يداها بجانِب فخذَيها المُتباعِدتَين بعضهما عن بعض. وبُقِرَ بطنُها من عظم صدرها إلى عانتها، مما كشف عن أمعائها وداخل بطنها وقولونها. أظهَر الجرح مهارةَ صيَّاد في «التضميد»، حيث إنه كشف عن الأمعاء، دون أن يقطعها.

اخترق أحد جروح السكين في ظهرها من الخلف جسدها بطول سبع بوصاتٍ ونصف عبر شريانها الأورطي وقلبها ورئتها، وخرج من بين أضلاعها عبر أنسجة ثديها الأيسَر. كما أُزيلَت حلَمتاها، وأُلقِيتا في الفراش المُجاوِر لها.

وُضِع رأسها المقطوع بعنايةٍ على رفِّ الكُتب الذي حمله القاتِل إلى غُرفة النوم، ووضعه في مواجهة باب غُرفة النوم. دلَّ قطع الرأس بهذه الدقَّة على خبرة الصيَّاد مرَّةً أخرى. بدا وجهها هادِئًا وعيناها مُغلقتَين، باستثناء خدشَين صغيرَين على خدِّها. أُسنِدَ الرأس بصندوق مجوهرات خشبي، ووُضِع بعنايةٍ بحيث ينظُر إلى جسدها المقطوع الرأس، وينظر نحو أي شخصٍ يدخُل الغُرفة.

ولاحظ المُحقِّقون على الفور وجود كدماتٍ على ظهرها، وهي ظاهِرة تظهر بعد الوفاة، حيث ينجذِب الدم إلى الأسفل بفعل الجاذبيَّة، ويتجمَّع في أدنى النقاط في الجُثَّة، تاركًا كدمة أرجوانيَّة واضِحة. تُساعِد هذه الكدمة الشُّرطة على تحديد ما إن كانَت الجُثة قد نُقِلَت من موضعها الأصلي أو تمَّ التلاعُب بها بعد الوفاة. ولا بُد أن «هويت» قد نُقِلَت من ظهرها إلى وضعية الجلوس بعد ساعاتٍ من وفاتها. لأن الطبيب الشرعي أشار لاحقًا إلى أنه لولا تيبُّس الجُثَّة، لكان من المُستحيل وضعها في تلك الوضعيَّة. حيث يبدأ التصلُّب، وهو التصلُّب المؤقَّت للعضلات بسبب التغيُّرات الكيميائيَّة، بعد الوفاة، أي بعد أربع ساعات تقريبًا من الوفاة، ويبلغ ذروته في حوالي ثلاث عشرة ساعة. ولكِن هل كان الجاني وقحًا حتى إنه ظلَّ في الشقَّة كُل هذه المُدَّة الطويلة؟

ومرَّة أخرى، تمَّ التعرُّف على سلاح الجريمة على أنه سكين «كا - بار»، كما أشارَت المادَّة اللاصِقة على معصمَي الضحية وفمِها إلى أنها قد قُيِّدَت بشريطٍ لاصق.

وبسُرعةٍ كبيرةٍ في أعقاب جرائِم القتل السابِقة، حظيَت الجريمة المروِّعة باهتمام الصحافة الوطنيَّة. وبالطبع، شاع اللقب الآن: «سفَّاح جاينسفيل».

وكان طُلّاب الجامِعة مغرورين وواثِقين من أنفُسهم للغاية، لأنه في حين أثارت جرائِم القتل رُعبهم، إلا أنها في الوقت نفسه وفَّرَت لهم مادَّة خصبة للدُّعابة الجامعيَّة – فقد لُقِّبَ الحرم الجامعي بـ «جامعة القتل». واتصلت البنات هاتفيًّا بمنازلهنّ كُل ليلة وصباح، ليؤكِّدنَ لوالديهنّ أنهنّ قد أغلقنَ الأبواب والنوافِذ، ونجحنَ في البقاء على قيد الحياة خلال الليل. بينما وجد الشباب فجأةً أن الشابَّات قد أصبحنَ أكثر استعدادًا لقضاء الليل بصُحبتهم. وكما هو الحال غالبًا في مثل هذه الحالات، بينما ارتجفت النساء من الخوف، شعر الرجال بالأمان والطمأنينة.

تغيَّر كُل ذلِك في صباح يوم 27 أغسطس، عندما فتح «سفَّاح جاينسفيل» بابًا مُغلقًا من الألومنيوم عنوة، وتسلَّل إلى شقَّةٍ مُشتركةٍ بين ذكرٍ وأنثى رياضِيَّين قوِيَّين، وهُما «ماني تابوادا»، البالِغ من العُمر ثلاثةً وعشرين عامًا، و«تريسي بولز». التي اتخذت خيارًا واعيًا بالحصول على رفيق سكنٍ ذكر لتشعُر بأمانٍ أكثر.

تعرَّض «تابوادا» للهجوم أثناء نومِه في فراشه، لكِنه تمكَّن من المقاومة، قبل أن يستسلِم لوابلٍ من طعنات السكين والجروح في صدره وبطنه وذراعَيه. برزَت أمعاؤه من جرح سكين عميق وقوي للغاية في بطنه. واستلقى على ظهره على السرير وسط بركةٍ من الدماء.

استيقظت «تريسي» على ضجيج العراك، ولا بُد أنها حاولت قفل باب غُرفة نومِها. استنتجت الشُّرطة من قطرات الدماء، وآثار الأقدام المُلطَّخة بالدماء أن القاتل، المُغطَّى بالدماء، قد ركل باب غُرفة نومِها. اغتُصِبَت «بولز» شرجيًّا ومهبليًّا، قبل أن تنقلِب على بطنها وتُطعَن ثلاث مرَّاتٍ في ظهرها. وعُثِرَ على صابون سائِل في أعضائها التناسُليَّة. سحب القاتِل جُثتها من غُرفة النوم إلى مدخل الرَّدهة، تاركًا وراءه أثرًا مُلطَّخًا بالدِماء. حيث وُضِعت بساقَين مفتوحتَين باتجاه الباب الأمامي، ومنشفة مطوية تسند أردافها، في وضعٍ يصدم كُلَّ من يدخُل المبنى لأول مرَّة. ولكِن هذه المرَّة، لم يكُن هُناك تشويه جسيم: فقد غسل القاتِل الدماء من وجهها، وأعاد ترتيب شعرها بعناية (وهو ما يُذكِّرنا بضحايا القاتِل المُتسلسِل ويليام هيرينز في أربعينيَّات القرن الماضي)، وهو ما فسَّره المُحلِّلون على أنه علامة على الندَم.

أصبحَت «جاينسفيل» الآن تُشبِه منطِقة منكوبة، حيث قاد الآباء اليائِسون سيَّاراتهم عبر البلاد لإحضار أبنائهم وإعادتهم إلى منازلهم. وازدحمَت شوارِع الأحياء الطُّلَّابية بطوابير من السيَّارات المُكدَّسة بالأمتِعة على عجل، والمربوطة على أسطحها، في محاولةٍ لشقِّ طريقها خارِج «جاينسفيل» التي امتلأت عن بكرة أبيها بشاحِنات القنوات الإخبارية التليفزيونيَّة. وبحلول عطلة عيد العُمَّال في 31 أغسطس، أصبحت «جاينسفيل» شِبه خالية من الطُّلَّاب. ولم يعُد أكثر من سبعمائة طالِبٍ إلى الجامِعة مرَّةً أخرى على الإطلاق.

في «سبتمبر»، حدَّدت الشُّرطة والصُّحف هوية مُشتبهٍ به مُحتجز لدَيها، وهو طالِب في السنة الأولى في جامعة «فلوريدا»، لديه تاريخ من المرض العقلي والمشاكل السلوكيَّة، وكان يُهدِّد مؤخرًا بطعن الناس. وفي 30 أغسطس، قُبِضَ عليه عندما اعتدى على جدَّته. وكان بحوزته سكين من طراز «كا – بار»، وعندما استجوبته الشُّرطة، اعترف بارتكاب جرائِم القتل في «جاينسفيل». وبعد اعتقاله، لم تحدُث أي جرائِم قتلٍ أخرى. وشعر الطُّلَّاب وأولياء الأمور بالارتياح بعد خبر الاعتقال، وهدَّءوا من روعهم قليلًا. وبعد عدَّة

أسابيع، أُعلِن عن خبرٍ مُزعج: بُرِّئ المُشتبه به وأُطلِق سراحه. ورغم حقيقة أنهم لم يتعرَّفوا على هوية «سفّاح جاينسفيل» في نهاية المطاف، إلا أن عمليات القتل توقَّفت، وعادت الأمور إلى طبيعتها.

استنادًا إلى غسل وجه الضحية الأخيرة بدلًا من التشويه المُميَّز، غامر بعض المُحلِّلين بقول إن «سفّاح جاينسفيل» قد وصل إلى نهاية دورة جرائِمه – مثلما حدث مع «ألبرت ديسالفو» أو «إدموند كِمبر». واشتبه مُحقِّقون آخرون في أنه انتحر أو مات بطريقةٍ أخرى. غير أن الغالبيَّة اعتقدَت بأنه من المُرجَّح أن يكون مُحتجزًا بتُهمةٍ أخرى. وهكذا فحصَت الشُّرطة سجلَّات الاعتقال بعنايةٍ بحثًا عن أي مُجرِمين اعتُقلوا مؤخرًا، ولديهم تاريخ من الجرائِم الجنسيّة. لكِنهم لم يعثروا على أيٍّ منهم. ومرَّ أكثر من عامٍ قبل أن يُتَّهم «داني رولينج»، البالِغ من العُمر تسعةً وثلاثين عامًا، بارتكاب جرائِم القتل في «جاينسفيل». وكما اشتبهت الشُّرطة، فقد كان بالفعل مُحتجزًا لدَيهم، لكِن سجلَّه الإجرامي لم يكُن نموذجيًّا بالنسبة لقاتلٍ جنسيٍّ مُتسلسِل. فقد زُجَّ بـ «رولينج»، وهو رجُل ذكي وجذَّاب بشكلٍ صبياني، يرتدي نظَّاراتٍ ذات إطارٍ مُصمَّم، في السجن بسبب سلسِلة من السرقات المُسلَّحة المُثيرة، التي تضمَّنَت مُطاردةً بالسيَّارات، وتبادُلًا لإطلاق النار مع الشُّرطة، لا الجرائِم الجنسيَّة التي غالبًا ما يرتكبها القتلة المُتسلسِلون. كما كان سلاحه المُفضَّل هو المُسدَّس، لا السكين. وقُبِضَ على «رولينج» في «أوكالا»، على بُعد حوالي مائة كيلومتر جنوب «جاينسفيل»، في 7 سبتمبر 1990، بعد عشرة أيام من آخر جرائِم القتل هُناك. وقبل ذلِك ببضعة أيام، في «تامبا»، سرق متجرًا، وتبادَل إطلاق النار مع الشُّرطة قبل أن يتمكَّن من الفرار في مُطاردةٍ سريعة. وفي «أوكالا»، سرق «رولينج» سوبر ماركِت، وطاردته الشُّرطة مرَّة أخرى، ولكِن هذه المرَّة صدم سيَّارته المسروقة. وفرَّ هاربًا على الأقدام عبر مبنًى إداري، ثُم إلى سوق للسلع المُستعملة، حيث حوصِر في النهاية وقُبِضَ عليه أخيرًا.

ومنذ ذلك الحين ظلَّ في السجن في انتظار مُحاكمته بتُهمة السطو المُسلَّح.

«لا تنسَي أبدًا أنَّ جدِّي نحر حلق جدَّتي أثناء تناوُلِها الطعام»

وُلِدَ «داني هارولد رولينج» في 26 مايو 1954، في «شريفبورت» بـ «لويزيانا»، لأبوَين هُما «كلوديا وجيمس هارولد (بيبي دامبلينج) رولينج»[(CCLX)]. وكان «جيمس» قد عاد مؤخَّرًا من الحرب الكوريَّة، وهو أحد أكثر الجنود الذين حَصَلوا على أوسمةٍ أثناء فترة خدمته. التحق بشرطة «شريفبورت»، حيث خدم فيها واحدًا وعشرين عامًا. لكِنه كان مُضطربًا قبل فترةٍ طويلة من ذهابه إلى «كوريا». فوفقًا لـ «داني» ووالدته «كلوديا»، ففي عام 1936، عندما كان والِده في الخامِسة من عُمره، جلس على طاوِلة المطبخ مع جدَّيه لأُمِّه، عندما دخل جدُّه «روبرت إلمر (إلمو) فيلبس» في جدالٍ مع «سارة»، زوجته لمُدة سبعةٍ وعشرين عامًا، ووالِدة أطفالها التسعة[(CCLXI)]. وأمام عينَي «جيمس»، نهض الجد «إلمر» عن الطاوِلة، والتقط سكينًا كبيرًا، ونحر حلق سارة على الطاوِلة أثناء جلوسِها وهي تنقع قدمَيها في وعاءٍ كبيرٍ من الماء[(CCLXII)]. ويتذكَّر «جيمس» كيف اصطبغت المياه باللون الأحمر لدمائها. لكِننا لن نعرِف على وجه اليقين أبدًا إن كانت هذه هي الطريقة التي يتذكَّرها «جيمس»، أو هي الطريقة التي روى بها القصَّة ونسجها فحسب. ووفقًا للتقارير الصحفيَّة،

فقد طَعَن «إلمر» زوجته في قلبها بمِعول ثلج وخنقَها[(CCLXIII)]. لكِن لم يُبلَّغ عن أي تفاصيل أخرى. خُفِّف حُكم الإعدام الصادِر بحق «إلمر» إلى السجن المؤبَّد، وطُعِنَ حتى الموت في السجن عام 1948. لكِن حفيده «جيمس» لم يكُن على ما يُرام بعد ذلِك أبدًا.

لطالما شاع الجنون بين أفراد العائِلة، فوفقًا لشهادة كلوديا: «لقد استلقى أحد أعمامه على الأريكة، ووَضَع فوَّهة بُندقيَّة في فمه، وضغط على الزناد، مُفجِّرًا رأسه. وكذلِك كان لدَيه عم آخر تُوفِّيَ في مصحةٍ عقليَّة. ولدَيه أخ يعيش في كاليفورنيا (مُنقَّح)، وهو (مُنقَّح) لا يتحسَّن إلا بالأدوية».

وأيًّا كان الاضطراب الذي ظَهَر في «جيمس» بعد أن شَهِد مقتل جدَّته، فقد عمل لصالحه في الحرب الكورية، حيث حَصَل على العديد من الأوسِمة لقتلِه الكوريِّين الشماليِّين والصينيِّين، ونَجَح أيضًا في شرطة «شريفبورت» بعد عودته من الحرب؛ حيث ترقى بنجاحٍ في رُتب الشُّرطة حتى وَصَل إلى رُتبة ملازِم أول. لم ينجَح الأمر بشكلٍ جيِّدٍ في المنزِل مع عائِلته. ففي إحدى المرَّات على الأقل، استيقظ «جيمس» في مُنتصف الليل، وهو يُعاني من «استرجاع ذكريات الحرب»، وكاد يخنق «كلوديا» حتى الموت. كما أنها اشتكَت أنه قد اعتاد النوم بسكينٍ تحت وسادته.

باختصارٍ شديد، هذا هو التكوين الجوهري لكثيرٍ من القتلة المُتسلسِلين: إرث عنيف ينتقِل من جيلٍ إلى آخر، حيث يُثقِل كُل جيل كاهِل صِغاره، تاركًا وراءه، في أحسن الأحوال، مجموعةً من الأفراد الذين تعرَّضوا لسوء المُعاملة وعدم التكيُّف، أو في أسوأ الأحوال، سلسِلة من ضحايا الاغتصاب والقتل.

حملت «كلوديا» بعد أسبوعَين من زواجهما، لكِن «جيمس» لم يُرِد الطفل. وكان الحمل صعبًا عليها منذ بدايته، فقد كان «جيمس» زوجًا عنيفًا، وسريع الغضب، ولطالما تنمَّر عليها وخنقها ودفعها من أعلى الدرج أثناء حملِها.

حتى إنها كتبت للمحكمة أثناء النُّطق بالحُكم على «داني»: «لقد تعرَّض «داني» للإساءة منذ يوم ولادته. فقد شعر زوجي بالغيرة منه. وقيل له منذ بدأ يفهم أنه سيموت أو سيدخُل إلى السجن قبل أن يبلُغ سنَّ الخامسة عشرة».

وتذكَّرت شقيقتها أنه لم يكُن يريد إحضار الطفل من المُستشفى، كما أنه اعتاد ركل الطفل إلى مُنتصف الغُرفة. وعندما هدَّدته بالاتصال بالسُّلطات، أخرج مُسدَّس الشُّرطة وحذَّرها من ذلِك. كما تذكَّرت «كلوديا» أنه اعتاد ضرب الطفل كُلما حاول الزحف، قائِلة: «كان يجلِس على مؤخِّرته الصغيرة، ويضع إحدى رجلَيه تحته، ويدفع جسده بالساق الأخرى، لكِن ذلِك لم يُعجِب «جيمس». أعتقِد أن الأمر، بالنسبة له، بدا معوقًا أو ما شابه. ومع رجُل كزوجي، يجِب أن يتحلَّى كُل شيءٍ بالمثاليَّة».

وبعد مرور عام، وُلِدَ الابن الثاني، «كيفن»، وفي ذلِك الوقت كان «جيمس رولينج» عنيفًا ومُتقلِّب المزاج بشكلٍ مُخيف – بحيث يُمكِنه أن يتحلَّى بالودِّ واللُّطف في لحظةٍ ما، قبل أن ينفجِر في نوبات غضبٍ قاسية في اللحظَة التالية، ناهيك عن مُعاناته من وساوس قهريَّة – مثل الخوف من الجراثيم الذي تطلَّب أن يغسِل جميع أفراد الأُسرة أيديهم قبل دخول المطبخ، وأن يخلعوا أحذيتهم ويضعوها بطريقةٍ مُعيَّنةٍ قبل دخول

المنزِل. وكان أي خرقٍ لهذه القواعِد الصارِمة يُعاقَب عليه بالضرب المُبرِّح، غالبًا بحزام الشَّرطة الثقيل الخاص بـ «جيمس». كما اعتاد ركل جَروِهم حتى الموت كُلما لوَّث الأرضيَّة. وأجبرهم على الحضور إلى مائِدة العشاء معصوبي الأعيُن، أو جعلهم يتجوَّلون بأكياسٍ ورقيّةٍ أو أوعية فوق رءوسهم عقابًا لهم. وكذلِك اعتاد تقييد ولدَيه بالأصفاد إلى كراسي المطبخ، وجلد «كيفن» بشدةٍ حتى إنه بلَّل نفسه.

كان الكمال متوقّعًا من الأطفال. وعندما كان «داني» في العاشِرة، و«كيفن» في التاسِعة، قرَّر «جيمس» أن الوقت قد حان ليتعلَّما قيادة السيَّارات. لكِن أقدامهما الصغيرة لم تستطِع الوصول إلى الدوَّاسات، بيدَ أن ذلِك لم يمنعه من الصراخ في وجهيهما، وضربهما عندما فشِلا في تشغيل السيَّارة كما أمرهما.

تحكَّم «جيمس هارولد» في كُل جانبٍ من جوانِب حياة أبنائه: فحتى بلوغهما سنَّ السادسة عشرة، لم يكُن مسموحًا لهما بالمواعدة أو اختيار الملابِس التي يرتدونها. كما أشرف بصرامةٍ على قصَّات شعرَيهما، وحُرِّم عليهما الجلوس على أريكة غُرفة المعيشة – كيلا ينقِلوا إليها الجراثيم من الخارِج.

وشهد «داني» على شجاراتٍ عنيفةٍ بين والِدته ووالده، حيث هدَّد الأب في عدَّة مُناسبات بإطلاق النار على والِدته بمُسدَّسه أو جرحها بسكين. وفي إحدى المرَّات، صوَّب «جيمس» مُسدَّسه إلى زوجته وقال: «لا تنسَي أبدًا أن جدِّي نحرَ حلق جدَّتي أثناء تناوُلها الطعام».

جيميني

في حوالي سن الثالثة عشرة أو الرابِعة عشرة من عُمره، بدأ «داني رولينج» يسترِق النظر من النوافِذ، وهو الهوس الذي لازمه طوال حياته. وأمسَك به الجيران عدَّة مرَّات، وهو الأمر الذي كان مُهينًا لـ «جيمس»، الذي ضربه بلا رحمةٍ ولا هوادة. واكتسب «داني» سُمعة كمُختلِس للنظر من النوافِذ في الحي والمدرسة، وسخرت منه الفتيات. وكتب «رولينج» قائِلًا:

«بدأ استراق النظر بالنِّسبة لي كمُجرَّد فضول. فقد كان الشكل الأنثوي لُغزًا جميلًا يسُر الناظرين، في المرحلة الأولى من المُراهقة، قُمتُ بالاتصال من خلال النظر من النوافِذ، والاستمناء أثناء مُشاهدة السيِّدات الجميلات يتدبَّرنَ أمورهن. وفي نهاية المطاف، تحوَّل الشعور الجميل الذي شعرَت به أعضائي التناسُليَّة إلى وحشٍ جامحٍ من الشهوة. ومع بلوغي كرجُل، تطوَّر سلوكي السرِّي إلى شخصيَّةٍ تتمتَّع بهويتها الخاصَّة، والتي ارتدَت في النهاية قِناع القتل»[(CCLXIV)].

وأطلَق «رولينج» فيما بعدُ على هاتَين «الشخصيَّتَين» اسمَين خاصَّين بهما – فأطلَق على شخصيَّة اللص المُسلَّح، والمُجرم المُحترف، اسم «يناد»، (وهي كلمة داني معكوسة الحروف)، بينما أطلَق على شخصيَّة القاتِل الجامِح اسم «جيميني». وبينما كان «داني» هو الفتى الطيِّب اللطيف، تصارَع «يناد» و«جيميني» للسيطرة عليه. لكِنه لم يكُن مُصابًا بمُتلازِمة تعدُّد الشخصيَّات. فوفقًا لـ «رولينج»، كانت هذه كياناتٍ خارجيَّة استحوذَت عليه في مراحل مُختلفةٍ من حياته، ولم تُجبِره على القيام بالأشياء، ولكِنها كانت سببًا رئيسيًّا في ذلِك.

وأفاد الطبيب النفسي الذي قيَّم حالته:

«لقد تجزَّأ أو انفصل عنه. إنه هُناك، شخص آخر، لكِنه «جيميني»، لا «داني». لذلِك سيقول إن «داني» هو المُتلصِّص، وهو اللص، والمُغتصِب، لكِن «جيميني» هو القاتِل. لأن هذا ما لا يُمكِنه قبوله. ولا أقصِد أنه يقول إن الشيطان هو من أجبره على فعل ذلِك، أو أنه غير مسئول عن الأمر».

لكِن هذا بالضبط ما قاله «داني»؛ إن الشيطان هو من أجبره على فعل ذلِك، وكان يعني ذلِك حقًّا.

وهُناك دليل كامِن في انضباط «رولينج» المسيحي الأصولي الصارِم، ثُم حماسته الخمسينيَّة فيما بعد. إن شدَّة غضبه في سنِّ المُراهقة، والصدمات النفسية التي عانى منها في تلك الفترة، جنبًا إلى جنبٍ مع تربيته المسيحيَّة التي أدانَت ذلِك الغضب الذي شعر بالإكراه للتصرُّف بناءً عليه. وكان من السهل، في المُعتقدات التقليديَّة للمسيحيَّة الأصوليَّة، الاعتراف به على أنه «مس» من قوى الشر. فالله والشيطان كيانَين مُتعايشَين، ولكُلٍّ منهما جحافِل من الملائِكة والأنبياء والأتباع. وفي المسيحيَّة الأصوليَّة، عندما يتعلَّق الأمر بالله والشيطان، لا يُمكِن للمرء الإيمان بأحدِهما دون الآخر.

في سياق المسيحيَّة العقائِديَّة، لا يوجَد حقًّا أي شيء «نفسي» في إيمان «رولينج» بـ «جيميني» – ما هو التفسير الذي يُمكِن أن يمتلكه، بخلاف علاقته مع قوى الشر؟ رُبما أصبح لدَينا أخيرًا تعريف دقيق للشر – إنه الشيء الذي دفع «رولينج» إلى الاغتصاب والقتل. ويُمكِن للأطِبَّاء النفسيين أن يُطلِقوا عليه «مجموعة متنوِّعة من الاضطرابات الانفصاميَّة»؛ وما سيُطلِق عليه الكاهِن لقب «الشيطان»؛ سمَّاه «رولينج» بـ «جيميني». وأعتقِد أنه لا يزال من السابِق لأوانه بالنِّسبة لنا، حتى في عصر العلم الذي نعيش فيه، أن نحذِف بشكلٍ قاطعٍ الشرَّ الكِتابي القديم. فما زلنا نجهل المُستقبَل في رحلتنا على طريق التطوُّر.

ولكِن عندما يتعلَّق الأمر بـ «جيميني»، سنرى أنه كان هُناك مصدر علماني وراء رؤية «داني رولينج». وكما هو الحال في كثيرٍ من الأحيان، كان هذا المصدر هو «هوليوود».

«أي سلاح يشغل حيِّزًا من الفراغ إلى أن تجِد اليدُ البشريَّة عملًا له»

وبطبيعة الحال، فإن حقيقة أن «داني رولينج» قد عاقر كميات كبيرة من الخمور، ولاحقًا كميات كبيرة من عقار الهلوسة لم تُساعِده بكُل تأكيد. وفي سنِّ السادِسة عشرة، بدأ «رولينج» يُعاقِر الخمر. وازدادَت الخلافات مع والِده، و«اعتقله» والِده وحبسَه في سجن القِسم ذات ليلة. وعندما بلغ «رولينج» السابِعة عشرة من عُمره، غادَر المنزِل، والْتحق بالقوَّات الجويَّة الأمريكيَّة، حيث تدرَّب كشُرطيٍّ عسكري «مُتَّبِعًا نفس المسار الوظيفي العسكري الذي سلكه «ألبرت ديسالفو»، و«جيفري دامر» بدرجاتٍ مُختلِفةٍ من النجاح». كان هذا في عام 1971، في السنوات الأخيرة من حرب «فيتنام»، قصَّة أخرى لأبٍ وابنه. قصَّة حربَين، وسفَّاح واحِد.

وعشية إرساله إلى «فيتنام»، قُبِضَ عليه بتُهمة حيازة الماريجوانا، وانتهى به الأمر بتسريح غير مُشرِّف من الخدمة العسكرية، وعاد إلى الوطن لازدراء والِده. وعند عودته إلى «شريفبورت»، انخرط داني في الكنيسة

الخمسينيَّة، حيث اعتاد الذهاب إلى القُدَّاس أيام الأربعاء، والخميس، والجُمعة، والسبت، والأحد. وهُناك التقى بزوجته، وتزوَّجا في عام 1974. وبعد عام، أنجَب الزوجان طِفلةً أسمياها «كيلي دانييل».

وادَّعي «رولينج» أن زوجته كانَت باردة، وهذا ما جعله يتجوَّل في الشوارِع ليلًا، ويسترِق النظر من النوافِذ. ألقَت الشُّرطة القبض عليه ذات يوم، ولكِن لأنهم عَرَفوا أنه ابن «جيمس رولينج»، لم يُوجِّهوا له أي تُهَم. ولكِنهم أخبروا زوجته بما فعل. ويقول إن الأرواح الشريرة قد ظهرَت له لأول مرَّة في هذه الفترة. ويتذكَّر أنه اعتاد ترديد: «يا يسوع.. يا يسوع.. يا يسوع». ليُجبِرهم على المُغادرة. فقد اعتادوا الظهور أثناء نومِه في السرير مع زوجته.

وفي هذا الوقت تقريبًا، كان «داني» يقود شاحِنة، واصطدم بشاحنةٍ صغيرةٍ توقَّفَت عند زاوية عمياء. سقطَت امرأة من الباب الخلفي للشاحِنة بسبب الاصطدام، وارتطمَت بالرصيف، وانشقَّت جُمجُمتها، ولقيت حتفها. ورغم أن هذا الحادِث كان عرَضيًّا تمامًا، إلا أنه بالنِّسبة له، رُبما كان هذا الحدث بمثابة «أول جريمة قتل».

وبعد عدَّة سنوات من الزواج، تركته زوجته من أجل رجُل آخر، وأخذت ابنتهما معه. استشاط «داني» غضبًا، وخطَّط لقتل زوجته وعشيقها، لكِنه لم يُنفِّذ ذلِك قط. وفي اليوم التالي لتسَلُّمه أوراق طلاقه، اغتصب امرأةً رآها أثناء استراقه النظر من النافِذة. واستمرَّ في ارتكاب سلسِلة من جرائِم الاغتصاب المُماثِلة قبل أن يبدأ في القتل. لقد بدأ النمط التصاعُدي التقليدي.

وفي عام 1979، سرق «رولينج» مُسدَّس خدمة والِده، وارتكب سلسلةً من عمليات السطو المُسلَّح عبر الولايات الجنوبيَّة، حتى قُبِضَ عليه في «جورجيا»، وحُكِم عليه بالسجن لمُدَّة ستِّ سنوات. أُطلِق سراحه في عام 1984، ولكِن بحلول عام 1986، عاد إلى السجن مرَّة أخرى، وهذه المرَّة في ولاية «ميسيسيبي»، بعد إدانته مرَّةً أخرى بتُهمة السطو المُسلَّح. وحُكِم عليه بالسجن لمُدَّة أربع سنواتٍ هذه المرَّة. وادَّعى «رولينج» أن «جيميني» قد أصبَح يتمتَّع بهويةٍ مُكتمِلة بالنِسبة له أثناء وجوده في السِجن.

وفي يوليو 1988، أُطلِق سراحه بإفراجٍ مشروط، بشرط أن يعود للعيش في منزِله في «شريفبورت». وهكذا عاد إلى المنزِل مع والِدَيه، وهي وصفَة أكيدة للمتاعِب.

تمتَّع «داني» بحُسن المظهر، وبمظهرٍ صبيانيٍّ بريءٍ وضعيف، والذي وجدته الكثير من النساء جذَّابًا. ووصفته والِدته بأنه بدا في الحادية عشرة من عُمره طوال الوقت. وواعد «رولينج» امرأةً أكبر منه سنًّا، وهي كاتِبة أغاني ريفيَّة أحبَّته وشجَّعته على الغِناء والعزف على الجيتار.

عمل «رولينج» في وظائِف مُتقطِّعة. وادَّعى أنه كان عاملًا جيِّدًا، ولكِن عندما كان أرباب عمله يكتشِفون أن لدَيه سجلًّا إجراميًّا، كانوا يطردونه شرَّ طردة. وفي نهاية المطاف، حَصَل على وظيفةٍ في مطعم «بانشو» المكسيكي.

وبدأ يحمل سكينًا من نوع «كا – بار» في هذا الوقت تقريبًا، وكتب لاحقًا:

«أي سلاح يشغل حيِّزًا من الفراغ، إلى أن تجِد اليدُ البشرية عملًا له. ثُم يُصبِح مُميتًا مثل نِيَّة حامِله.. إن سكين «كا – بار» عبارة عن سكينِ قِتالٍ بطول قدَم، ولكِنه سهل الاخفاء تحت سُترةٍ خفيفة. لقد صنعتُ حافِظة كتفٍ مُرتجَلة من حزامٍ جلديٍّ أسود اللون، ربطته في حافظة سكين «كا – بار»، وحملتُه تحت إبطي الأيسر»[(CCLXV)].

وفي 4 نوفمبر 1989، طُرِد «رولينج» من مطعم «بانشو» بسبب تغيُّبه عن العمل لثلاثة أيام مُتتالية. فانفجر في نوبةٍ من الغضب، وهدَّد بقتل المُدير والطبَّاخ. وادَّعى أنه طُرِد من العمل لأن المُديرَ غار من الاهتمام الذي حظِيَ به من النادِلات.

جرائِم قتل عائِلة «جريسوم»: «لقد كان كالمُستذئِب»

بعد ذلِك بيومَين، أي في 6 نوفمبر، ارتكب «رولينج» جريمة قتل ثُلاثيَّة؛ راح ضحيتها «ويليام جريسوم»، البالِغ من العُمر خمسةً وخمسين عامًا، وابنته «جولي»، البالِغة من العُمر أربعة وعشرين عامًا، وحفيده «شون»، البالِغ من العُمر ثمانية أعوام. هوجِمَت العائِلة في منزلها، أثناء استعدادِهم لتناوُل طعام العشاء. ووُجِدَت جُثَّة «جولي جريسوم» مشوَّهة ومُسجَّاة على سريرها ووجهها للأعلى، بينما تباعدت ساقاها. قُيِّدَت الضحية بشريطٍ لاصِق، لكِن القاتِل أزاله وأخذَه معه. كما وُضِعَت ملابسها الداخليَّة في الغسَّالة، وبدأت دورة الغسيل، وكذلِك غسَل القاتِل أعضاءها التناسُليَّة بالخل؛ في مُحاولةٍ لتدمير الأدِلَّة البيولوجيَّة. وإن دلَّ هذا على شيء، فقد دلَّ على أن هذا الجاني كان «واعيًا جنائيًّا».

قال «رولينج»، وفقًا لمُخبِرٍ في السجن:

«لقد كان العجوز في الخارِج يقوم ببعض أعمال الشِّواء، أو يسقي الفِناء، أو شيء من هذا القبيل. وهكذا ذهب وهدَّده بسكين، وأدخله إلى المنزِل وقيَّده، وكذلِك قيَّد الفتاة والطفل، ثُم أخذ العجوز إلى غُرفة المرافِق، وقتلَه أولًا. قبل أن يعود إلى غُرفة المعيشة، ويأخُذ الطفل الصغير، ويقلبه على بطنه، ثُم يقتله بطعنةٍ غائِرةٍ في القلب في ظهره. ثُم أخذ الفتاة إلى غُرفة النوم، واغتصبها، وقتلَها، وفعل بها ما فعل.. لقد كان كالمُستذئب، يمتلك من السُّلطة ما يكفي لقتل الجميع، أو فِعل كُلِّ ما يشاء بهم»[(CCLXVI)].

قال راعي «رولينج» إنه قد جاء إلى الكنيسة ليلة وقوع الجريمة، وبدا مشوَّشًا للغاية: «لقد أراد البقاء حول الكنيسة قليلًا والصلاة. وراودَني انطباع بأنه كان مُنتشيًا للغاية».

في المنزِل، توتَّرت الأمور بشدَّة بين الابن الغاضِب، والأب الشُّرطي المهووس العنيف والمُتقاعِد الآن. قالت عمَّة «داني» في شهادتها: «لطالما استقبلَني «جيمس هارولد» بالصراخ قائِلًا: إنه ليس جيدًا، ولن يعيش هُنا، فأنا أكرهه. في يومٍ من الأيام، سيتجاوز حدوده معي، وسأؤذيه.. سأؤذيه بشدَّة، أريدُه أن يخرُج من هُنا!»

وفي مساء يوم الجُمعة، 18 مايو 1990، تجاوز كُلٌّ من الأب والابن حدودهما أخيرًا. عندما عاد «داني» إلى المنزِل بعد جلسة شُربٍ في إحدى الحانات. طلب منه والِده أن يُغلِق نوافِذ سيَّارته لأنها على وشْك أن تُمطِر.

لكِنَّ «داني» تجاهله، وبدأ «جيمس» يستشيط غضبًا. ثُم وَضَع «داني» قدمَه على مقعدٍ في الردهة لربْط رباط حذائه، وهو أمر أخبره والِده عدَّة مرَّات ألَّا يفعله أبدًا. بدأ الجدال على الفور، وفقد «جيمس» في النهاية أعصابه بشكلٍ خارجٍ عن السيطرة. فأخرج مُسدَّسه، وطارَد «داني» في الممر، مُطلِقًا عليه عدَّة طلقات كانت، حسب الرواية، إما في الهواء، أو صُوِّبَت على «داني» لكِنَّها لم تُصِبه. وهكذا عاد «جيمس» إلى المنزِل، وأغلق الباب على «داني»، الذي ذهب إلى مخزن الأدوات، حيث احتفظ بمُسدَّس عيار 38 مُخَبَّأ، وعاد به إلى المنزِل، وركل الباب الخلفي صارخًا: «لديَّ مُفاجأة لك هذه المرَّة يا أبتاه!»

كان «جيمس» في المطبخ عندما دخل «رولينج» من الباب وأطلَق النار. أصابَت إحدى الطلقات «جيمس» في بطنه، بينما أصابته الطلقة الثانية في وجهه. وقف «رولينج» فوق والِده، وركله صارخًا: «مُت أيها اللَّعين! مُت!»

ثُم قفز «داني» إلى سيَّارته، وانطلق بها مُبتعدًا.

نجا «جيمس هوارد رولينج» من جروحه الناجِمة عن الطلقات النارية، لكِنه فقد البصر في إحدى عينَيه، والسمع في إحدى أذنَيه.

وعلى مدار الأشهُر الثلاثة التالية، ظلَّ «داني رولينج» هاربًا يسرق المتاجِر الكُبرى. ويُقيم في الفنادِق مُستخدمًا بِطاقة هويَّة مسروقة. وانتقل بلا كللٍ ولا مَللٍ من مدينةٍ إلى أخرى، ومن ولايةٍ إلى أخرى، حتى وَصَل في النهاية إلى «فلوريدا». وفي طريقه إلى «ساراسوتا»، حيث خطَّط لقضاء عدَّة أسابيع، مرَّ بـ «جاينسفيل»، ولفتت نظره جميع الفتيات الجامعيات الجميلات اللاتي تجوَّلنَ في أرجاء المدينة.

حافظ «داني» على مظهره الصبياني الجميل. وأثناء فراره اعتاد تصفيف شعره وشراء المجوهرات. وكثيرًا ما اصطحب النساء، كما أقام علاقاتٍ قصيرة مع امرأتَين في «ساراسوتا»، حيث شَرِب النبيذ، وتناول العشاء، وغنَّى على جيتاره. حتى إنهما قالتا إنه تمتَّع بقدرٍ لا بأس به من الموهبة. وأخبر رفيقتَيه أنه كان صاحِب شركة شاحِنات، وإنه في إجازة. بينما أخبر أُخرَيات أنه كاتِب أغانٍ موسيقى ريفيَّة ناجِح. ومع ذلِك، وفي الوقت نفسه، عندما يُداهِمه الإكراه، كان يتسلَّل من فندقه ليلًا ويختلِس النظر من النوافِذ، ويرتكِب عمليات اغتصابٍ مُتفرِّقة كُلما سنحت له الفُرصة. كانت عمليات الاغتصاب مُنظَّمة للغاية: حيث ارتدى «داني» ملابِس سوداء، وحمل حقيبةً صغيرة على خصره، بها شريط لاصِق، وأصفاد، وقِناع، وقُفَّازات، وسكين من نوع «كا – بار».

كان من الصعب إلقاء القبض على «داني رولينج» الهارِب الذي يتنقَّل باستمرار، وكان من الصعب للغاية القبض عليه – دون أي مُطاردة مُكثَّفة تهدف للبحث عنه.

لم تجعله إصابة والِده أحد «أكثر المطلوبين» في أمريكا. ولم ترتبِط به عمليات السطو المُسلَّح التي ارتكبها، ولم يرتبط بعضها ببعض، ولا عمليات الاغتصاب، أو جرائِم القتل الثلاث التي ارتكبها في «شريفبورت» في العام السابِق. كان «رولينج» من ذلِك النوع من الهاربين الذين تنتظِر الشُّرطة ارتكابهم لأي خطأ، بدلًا من مُطاردته ومُلاحقته بنشاط.

«جاينسفيل»: «طارِد الأرواح الشريرة: الجَزء الثالِث»

يوم 18 أغسطس 1990، وَصَل «داني رولينج» إلى «جاينسفيل» – أو بكلماتٍ أخرى: وَصَل الموت على متن الحافِلة.

وقال عن ذلِك:

«لقد كان قدري – لقد اقتِدتُ إلى «جاينسفيل». إن الله هو قدري، ودُفِعت إلى هُناك دفعًا. يُمكِن للأرواح أن تتحكَّم بك، وتدُسَّ الأفكار في عقلك. كما يُمكِنها الاستحواذ عليك. يُناديك الدخيل، المُظلِم المُخيف. وإن أجبته، فستُقاد كالريح المُضطربة. ناداني الدخيل المُظلِم.. فأجبته.

كان بإمكاني الذهاب بسهولةٍ إلى أي مكانٍ آخر في «فلوريدا» بالمال الذي كان بحوزتي في ذلِك الوقت. وأراد «جيميني» أن يكون هذا المكان هو «جاينسفيل». لا يُمكِنني التفكير في سببٍ لذلِك سوى ذلِك السبب الواضِح كالشمس – وهو لأنها مدينة جامعيَّة مليئة بالفتيات الجميلات. أعتقِد أنه كان هُناك في عقلي الباطِن طوال الوقت. كانت الأرواح الثمانية عن كُلِّ سنَّةٍ تعرَّضتُ فيها لسوء المُعاملة على يد نظام السجن لها علاقة بالأمر، وكان «جيميني» هو المُحفِّز»[(CCLXVII)].

على مدار الأيام الخمسة التالية، أقام «رولينج» في فُندق «يونيفرسيتي إن»، وهو فُندق رديء مُتهالِك في «شارِع 13 الجنوبي الغربي». واستكشف الأحياء المُختلِفة بحثًا عن المُجمَّعات السكنيَّة التي يسكنها الطُّلَّاب. قبل أن ينجرِف إلى «بورترز»، وهو حي آفل يسكُنه الأمريكيون من أصولٍ أفريقيَّة، حيث اشترى «الكوكايين» واستأجَر بأربعين دولارًا بائِعة هوى تبلُغ من العُمر واحدًا وثلاثين عامًا تُدعى «دنيس تايلور»، وأخذها إلى غُرفته في الفُندق[(CCLXVIII)]. ووفقًا لشهادتها، فقد تعاطَيا المُخدِّرات، ثُم أجبرَها على خلع ملابسها، والاستلقاء على ظهرها فوق السرير. أمسكها من كاحلَيها، وسحبها إلى حافة السرير، وفتح ساقيها المُتدليتَين من الحافَّة. وأكَّد لها أنه لا يُضمِر لها أي شر، ثُم فتح صندوقًا صغيرًا يحتوي على مجموعةٍ متنوِّعةٍ من السكاكين والأدوات الطبيَّة، واختار منها مشرطًا مرَّره برفقٍ على ذراعَيها وساقَيها وجذعها. ثُم أمرها بالانقلاب، والوقوف على الأرض، ووضع يدَيها على السرير. وجلس على الأرض تحتها، ووضع مرآةً يُمكِنه أن يرى فيها انعكاس أعضائها التناسُليَّة، وهو يستمني بيده الأخرى.

وبدأت الأمور تسوء شيئًا فشيئًا، وبدا أنها لن تنتهيَ على خير أبدًا[(15)].

وفي 23 أغسطس، بدأ ينقصُه المال، وخرج من الفُندق. اتخذ لنفسه مكانًا في بُقعةٍ كبيرةٍ كثيفة من الغابات التي يرتادها المُشرَّدون في مُحيط «بتلر بلازا»، بالقُرب من زوايا طريق «آرتشر» و«شارِع 34 الجنوبي الغربي».

وفي وقتٍ لاحقٍ من ذلِك اليوم، دَفَع «رولينج» مبلغًا نقديًّا لشراء خيمةٍ من أحد متاجِر «وول مارت»، وسرق مفكًّا أسود اللون، وزوجًا من القُفَّازات الرياضيَّة الجلديَّة السوداء الضيِّقة. وفي الوقت نفسه، وفي ماكينة الدفع على بُعد بضعة صفوف، وضعَت «سونيا لارسون» و«كريستينا باول»، وهُما طالبتان جامعيتان

تخرَّجتا للتوِّ من المدرسة الثانويَّة، بعض المُشتريات لشقتهما الجديدة على بطاقة ائتمان. وتكهَّنَت الشَّرطة في وقتٍ لاحقٍ أنه قد رآهُما في المتجر واستهدفهُما، لكِنه أنكر ذلِك بشدَّة، وقال إنه لم يُلاحِظهما قط.

نَصَب «رولينج» خيمته في الغابة المُنعزِلة، وذهب إلى قاعة سينما «بتلر بلازا» لمُشاهدة فيلم «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث»[(CCLXIX)]. وعلى عكس الجُزء الثاني من الفيلم، الذي صدر عام 1977، والذي لا يُعتبَر أسوأ أفلام السلسلة فحسب، بل ومن بين أسوأ الأفلام على الإطلاق، فقد حقَّق فيلم «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث» نجاحًا نقديًّا وشعبيًّا. كان الفيلم من تأليف «ويليام بيتر بلاتي»، مؤلِّف الرواية الأصليَّة التي حمَلَت نفس الاسم، ويظهَر في الفيلم شخصيَّة مُلازِم الشُّرطة «ويليام إف. كيندرمان» من الفيلم الأصلي، والذي يُحقِّق الآن في سلسلةٍ من جرائِم القتل الشيطانيَّة المُتسلسِلة التي ارتكبتها شخصيَّة استند إليها بلاتي بشكلٍ فضفاضٍ على شخصيَّة «زودياك» القاتل الحقيقي المجهول الهوية. وأطلَق عليها «بلاتي» اسم «جيميني».

وفي سبتمبر 1990، وبينما يُبلَّغ عن جرائِم القتل في «جاينسفيل»، قبل وقتٍ طويل من تحديد هويَّة «رولينج»، وادِّعائه بأن «جيميني» قد استحوَذ عليه، ذكرَت صُحف «فلوريدا» أن هُناك شائِعات بأن جرائِم القتل كانَت مُرتبِطةً بفيلم «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث»[(CCLXX)]. وسنرى أن جرائِم القتل في «جاينسفيل» ليسَت القضية الوحيدة للقتل المُتسلسِل التي يظهَر فيها تأثير سلسلة أفلام «طارِد الأرواح الشريرة».

«سأعود إليكِ بعد أن تلقَي حتفكِ»

في 24 أغسطس، سجَّل «رولينج» شريطًا مُسجَّلًا في خيمته. حيَّا والِدته في الشريط الصوتي، وتمنَّى أن يكون والِده بخيرٍ بعد حادِث إطلاق النار، وغنى «كُل أغنيَة كتبتها على الإطلاق»، وكذلِك أمضى وقتًا طويلًا في إخبار شقيقه كيف يصطاد الغزلان بالقوس والسهم – وكيف يستهدِف رئتَيها وينتظِر حتى تنزِف حتى الموت، قبل أن يختتِم الشريط بقوله لوالِده: «أتعلَم يا أبي، لا أعتقِد أنك كُنت مُهتمًّا حقًّا بالطريقة التي شعرتُ بها على أي حال. لا، لم أفعل ذلِك حقًّا. لم تأخُذ وقتًا أبدًا للاستماع إليَّ. ولم تهتَمّ أبدًا بما فكَّرتُ أو شعرتُ به. لم يكُن لديَّ أبٌ يُمكِنني الذهاب إليه، للتحدُّث عن مشاكلي. لقد أبعدتني عنك في سنٍّ مُبكِّرةٍ يا أبي. أعتقِد أننا أنا وأنت قد فاتنا الكثير. أردتُ أن أجعلك فخورًا بي، لكِنني خذلتُك، وأنا آسِف على ذلِك! يا إلهي! سأذهب الآن، لديَّ شيء يجب أن أفعله. أُحبُّك.. إلى اللِقاء».

ومثل حيوان مُفترِسٍ ليليٍّ، اعتاد النوم في النهار، والخروج من الغابة في الليل. ووقعَت جميع جرائِم القتل التي ارتكبها ضمن نِطاق البحث عن الطعام في موقِع تخييمه. كما تجوَّل بصمتٍ على دراجةٍ هوائيَّةٍ مسروقة، مُستكشِفًا المُجمَّعات السكنيَّة الطُّلَّابية، مُرتديًا زي النينجا الأسود، وحاملًا أدوات غضبه في حقيبته: لفَّة من الشريط اللاصِق، ومُسدَّس يدوي حَصَل عليه مؤخَّرًا، ومفكُّ براغي، ومصباح قلم صغير من نوع «ميني ماج»، وقناع، وقُفَّازات، وسكين «كا – بار». وبمُجرَّد تحديد موقِع مجموعة واعِدة من المباني السكنيَّة، كان

يرتدي قناعه وقُفّازاته، ويُتابع سيرًا على الأقدام، باحثًا عن ضحايا مُحتَملين. وقد رُصِدَ وطُورِدَ عدَّة مرَّات وهو يتلصَّص على النساء من خلال النوافِذ.

ووفقًا لاعترافات «رولينج»، فقد عثر على شقَّة «سونيا لارسون» و«كريستينا باول» بشكلٍ عشوائيٍّ تمامًا في حوالي الساعة الثالِثة صباحًا، وعندما حاوَل اقتحام بابها بمفكٍّ البراغي، وجده مفتوحًا بالفعل بشكلٍ مُغرٍ. مزَّق عدَّة شرائِط من الشريط اللاصِق، وألصقها على ذراعه فوق المِرفَق مُباشرةً، جاهِزة للاستخدام. وجد «كريستينا باول» نائِمةً على أريكةٍ في غُرفة المعيشة، ولم يُزعِجها. وتسلَّل إلى الطابِق العلوي إلى غُرفة نوم «سونيا لارسون»، مُمسِكًا بمصباحه في فمِه لإبقاء يدَيه حُرَّتَين. وأثناء نومِها، وَضَع قطعةً من الشريط اللاصِق على فمِها، وفي نفس الوقت طعنها في أعلى صدرها. حاولت أن تُقاوِم، لكِنه أطلق سيلًا من طعنات السكِّين في الجُزء العلوي من جذعها. أصابتها إحدى عشرة طعنة في ذراعها وهي تُحاول درء الضربات. وبينما لفظَت أنفاسها الأخيرة، قال «رولينج» إنه هَمَس في أذنها: «سأعود إليكِ بعد أن تلقَي حتفكِ»[(CCLXXI)].

ثُم عاد إلى الطابِق السُّفلي، وأيقظ «كريستينا باول». وأثناء تقييده ليدَيها بشريطٍ لاصق، أخبرها بساديَّةٍ أنه ينوي اغتصابها وقتلها. طاف بها «رولينج» في أنحاء الشقَّة، واغتصبها مرارًا وتكرارًا لمُدَّة ساعتَين تقريبًا، وهو يقول لها: «تحمَّلي الألم أيتها العاهِرة، تحمَّلي الألم»[(CCLXXII)]. وأخيرًا، طرحها على بطنها، وطعنها بسكين الـ «كا – بار» في ظهرها خمس مرَّات.

ثُم عاد إلى الطابِق العلوي، ونزع الشريط اللاصِق عن فمِ «سونيا لارسون» الميِّتة. ويتذكَّر أنه خلع ملابسها الداخليَّة المطبوع عليها دُب، وفرد ساقَيها لتتدلَّيا من حافة السرير في وضعٍ فاحش. كان قد مكث في المنزِل لفترةٍ طويلةٍ حتى إن تيبُّس الموت كان قد بدأ يضرِب جُثتها بالفعل، وقال إنَّ ساقَيها «استسلَمَتا مثل الألواح الخشبيَّة القديمة». وقال إنها كانَت مُلطَّخة بالدِماء بحيث لا يُمكِن اغتصابها.

ثُم عاد إلى جُثَّة «كريستينا باول» واغتصبها مرَّةً أخرى، وعلى حدِّ قوله، فقد «مضغ حلمتيها مثلما يقضم الكلب المسعور عظمة». وبعد أن انتهى من ذلِك، أخذ بعض مُنظِّفات غسيل الأطباق والمناشِف الورقيَّة، ونظَّف أعضاءها التناسُليَّة ونضحَها. وكان لهذا الفعل فيما بعد دورٌ أساسيّ في الربط بين جرائِم القتل التي ارتكبها، ولكِن من غير الواضِح ما إن كان هذا نوعًا من «التوقيع» المرضي – أو «تطهير» لفعلته – أو ما إن كان هذا جُزءًا من أسلوبه في تدمير الأدِلَّة. وإن كان هذا أسلوبه، فإن قلبها على بطنِها لم يكُن دقيقًا. لأنه ترك ملابِس «باول» الداخليَّة المُبلَّلة بسائِله المنوي، مطويَّة بعنايةٍ بجوار جسدها.

بعد ذلِك، استأصل «رولينج» حلمتَيها بعناية، مرَّة أخرى لم يكُن واضحًا ما إن كان يُخفي علامات العضّ التي تركها حول حلمتَيها، أو أن هذا يُمثِّل «توقيعًا» مرضيًّا من نوعٍ ما. ووضعهما في كيس شطائِر بلاستيكي، ودسَّه في جيبه.

بعد ذلِك، ذهب إلى الثلاجة، وأكل بعض الفاكهة بهدوء.

وبحلول ذلِك الوقت، كان قد حلّ النهار، وجاء صباح يوم السبت. أخذ كُل الشريط اللاصِق معه كيلا يترُك أي دليل، ثُم تسلَّل من المنزِل، وعاد بالدرَّاجة إلى خيمته. وفي الطريق، مرَّ في طريقه بصبيٍّ جرائِد يركب درَّاجته، ليوصِّل الطلبات في الصباح الباكِر، وعلَّق في نفسه على المُفارقة بين راكبَي درَّاجتَين يسيران في طريقَين مُنفصِلين: «الصبي لتوصيل جرائِده، والرجُل إلى مصيره».

وقبل أن يصِل إلى خيمته، وَجَد الكيس الذي يحتوي على الحلمتَين المقطوعتَين. وذَكَر أنه لم يتذكَّر أخذَهما وشعر بالغثيان عندما رآهما. فألقى به عبر شبكة المجاري، وعاد إلى خيمته ليحظى بقسطٍ من النوم.

«جريمة القتل في الشقَّة»

في مساء يوم 25 أغسطس، عندما بدأت الشمس في الغروب، نهض من خيمته مُتعطِّشًا للمزيد. وعرَف بالضبط من التي يُريدها وأين يجِدها. كانَت تعيش على بُعد ثمانمائة ياردة فقط من موقِع تخييمه وسط الأشجار على الجانِب الآخر من الطريق. والتي كان قد رآها في الليلة السابِقة أثناء تجوُّله واختلاسه النظر من خلال النوافِذ. وشاهدها وهي تخلع ملابسها، تمامًا كما فعل أثناء مُراهقته. بل والأكثر من ذلِك، أنها كانت تُشبِه زوجته السابِقة كثيرًا. ولاحظ موقعها في المُجمَّع السكني – الشقَّة «إم». وقام برحلةٍ قصيرةٍ بدرَّاجته إلى «جريمة القتل في الشقَّة»، كما أطلق عليها، ليغتصِبها ويقتُلها.

كانَت «كريستا هويت»، البالِغة من العُمر ثمانية عشر عامًا، في الخارِج تلعب كُرة المضرب، عندما اقتحم «رولينج» شقَّتها عن طريق كسر قفل الباب الزُّجاجي المؤدِّي إلى الحديقة الخلفيَّة باستخدام مفكٍّ البراغي. وبمُجرَّد دخوله، نقل رف كُتبٍ من مكانه بالقُرب من الباب إلى غُرفة نومِها، حتى يتمكَّن من الاختباء في المكان، مُتربِّصًا بها عند دخولها. طفق مُنتظرًا بصبرٍ في الظلام لمُدَّة ساعةٍ تقريبًا، حتى تعود «كريستا» إلى المنزِل. وفي حوالي الساعة العاشِرة مساءً، شاهدها من خلال النافِذة وهي تسير عبر موقف السيَّارات باتجاه شقَّتها حامِلةً مضربها. تمركز في الظلام مُنتظرًا. حتى دخلت شقَّتها، وأغلقَت الباب بإحكامٍ خلفها، ووضعَت مفاتيحها ومضربها وكُراتها على الطاوِلة بجوار الباب. ووفقًا لـ «رولينج»، فقد شعرَت بوجود شخصٍ ما في الغُرفة، ولكِن قبل أن تتمكَّن من الفرار، خرج من مَخبئِه وتغلَّب عليها. قيَّد فمَها ويدَيها بشريطٍ لاصق، وأجبرها على الدخول إلى غُرفة النوم حيث اغتصبها. ثُم قلبها على بطنها، وطعنها بسكينه في ظهرها مرَّة واحِدة، فقتلها على الفور تقريبًا. ثُم قلبها مُجددًا، وبقر بطنها، واستأصل حلمتَيها. وقال إنه شعر بعد ذلِك بعيني الفتاة الميِّتة تُراقِبه، فأغلقهُما.

قاد «رولينج» درَّاجته باتجاه موقِع خيمته. وفي طريقه إلى هُناك، توقَّف وقضى حاجته مُستخدِمًا لفافةً من ورق المرحاض التي حملها معه في مثل هذه المُهِمَّات الليليَّة؛ ثُم توقَّف عند أحد المتاجِر لشراء مشروبٍ غازي، حيث اكتشف أنه فقد محفظته. وخوفًا من أن يكون قد تركها في مسرح الجريمة، عاد على درَّاجته إلى هُناك، واقتحم الشقَّة مرَّة أخرى. وبحث عن محفظته، باستخدام مصباحه الصغير. وسواء كان «داني رولينج» تحت سيطرة «جيميني» أم لا، إلا أنه تأكَّد من عدم وجود دليل يفضَح أمره كقاتل. لم يعثُر على المحفظة، لكِنه أثناء

وجوده هُناك ذهب لينظُر إلى جُثّة «كريستا»، وصُدِمَ عندما اكتشف أنها قد فتحت عينَيها. قطع رأسها بسكِّين «كا – بار»، ووضعه على الرفِّ الذي نقله إلى غُرفة النوم. وقال إنه أخذ جُثَّة «كريستا» مقطوعة الرأس، وأجلسها بشكلٍ مُستقيم على حافَة سريرها، في وضعيَّة تمثال المُفكِّر لـ «رودان». وكتب قائِلًا: «كان الأمر أشبه بتشكيل كُتلة من الصلصال – مُجرَّد كُتلة من الطين بلا حياة».

ثُم غادَر الشقَّة مُستنزَفًا، ومُنهكًا، ونام مُعظم اليوم في خيمته.

«أنت هو، أليس كذلِك؟»

في ليلتَي 26 أغسطس و27 أغسطس، خرج «رولينج» على درَّاجته مرَّة أخرى، متجوِّلًا عبر أرخبيل المُجمَّعات السكنيَّة الطُّلَّابيَّة. وراقب «تريسي بولز»، البالِغة من العُمر ثلاثة وعشرين عامًا، لساعاتٍ من خلال النافِذة أثناء تحدُّثها على الهاتِف، مُنتظرًا أن تخلد إلى النوم. وفي حوالي الساعة الثانية والنصف صباحًا، عاد رفيقها في السكن، «مانويل تابوادا»، الذي كان يعمل ليلًا كنادل، إلى المنزِل وخلد إلى النوم. عندها فقط شعرت «تريسي» بالأمان للذهاب إلى الفراش بدورها. وبعد الساعة الثالِثة صباحًا بقليل، اقتحم «رولينج» الباب بصمتٍ باستخدام مفكِّ البراغي، وتسلَّل إلى الشقَّة، وطعن «مانويل»، الذي صارعه، حتى قتله.

أيقظها الضجيج القادِم من غُرفة «تابوادا». شقَّت طريقها بحذرٍ إلى غُرفته، حاملةً مكواة حديديَّة بيأسٍ للدِفاع عن نفسها، ولمحَت شخصًا مُقنَّعًا مُتَّشحًا بالسواد يقِف مُمسِكًا بسكينٍ كبير فوق «تابوادا»، الذي رقد في بركةٍ مُتزايدةٍ من الدِّماء التي تنزِف من جروحه. عادَت «تريسي» مُسرعةً إلى غُرفتها وهي تصرُخ، وأغلقت بابها. ركل «رولينج» بابها دون عناء، حتى فتحه، وتغلَّب عليها.

ويذكُر «رولينج» أنها صرخَت: «أنت هو، أليس كذلِك؟»

بعد أن حذَّرها من الصُّراخ، قرَّر عدم وضع شريطٍ لاصِق على فمِها. وفعلت «تريسي» ما فعله الناجون من قبضة بعض القتلة المُتسلسِلين؛ فقد انخرطَت في مُحادثةٍ مع القاتِل، مُحاولةً إبعاد نفسها عن خيالاته. وعندما سألته عمَّا حدث لزميلها في السكن، «مانويل»، أجابها «رولينج» بأنه كان جُنديًّا سابقًا في القوَّات الخاصَّة الأمريكيَّة، وماهرًا في فنون الدِّفاع عن النفس، وأنه أفقده الوعي فحسب.

قالت: «كان أخي جُنديًّا أيضًا». ثُم أضافَت، وهي تبذل قصارى جُهدها لإقامة علاقةٍ مليئة بالتعاطُف: «لكِنه قُتِل في «فيتنام»».

ورُبما كان الأمر لينجح لو حارَب «رولينج» في «فيتنام» بالفعل، وهكذا قال لها وهو يشرع في اغتصابها: «حقًّا؟ لقد كانَت «فيتنام» كابوسًا لعينًا! أنا أميل إلى تركِكِ تذهبين. لكِن بإعادة النظر في الأمر، أعتقِد أنني لن أفعل».

وعندما انتهى، قلبها على بطنها، ووضع وجهها في وسادة، وطعنها ثلاث مرَّات في ظهرها، حيث شقَّ نصل السكين الذي يبلُغ طوله سبع بوصات رئتها، وأغرقها في الدِّماء.

ثُم جرَّ جُثتها إلى الردهة، وتوقّف عند باب الحمَّام. حيث أخذ منشفةً مُبلّلة، ومسح الدم عن وجهها، ومشَّط شعرها في مكانه. ليس كدليلٍ على الندم، كما اعتقد البعض، بل ليجعلها تليق به. ثُم اغتصبها مرَّة أخرى، بعد الوفاة، على أرضيَّة الردهة، قبل أن يُنظِّفها بصابون غسيل الأطباق. وبعد ذلِك، جرَّ جسدها من كاحليها إلى مدخل الشقَّة، حيث وضعها خلف الباب لتحيَّة أول شخصٍ يدخُل منه.

«تبدين بحاجةٍ إلى صديق».

في وقتٍ لاحقٍ من ذلِك اليوم، على بُعد حوالي كيلومتر واحِد من مسرح الجريمة، سطا «رولينج» على أحد البنوك، وشاهده أحد الشهود وهو يتسلَّل عائِدًا إلى الغابة حيث تنتظِره خيمته. اقتحمَت الشُّرطة الغابة، وعثرَت على الخيمة – إلى جانِب مُسدَّسه، وأمواله، وقِناعه، وقُفَّازاته، ومفكَّه – لكِنها لم تجِد له أثرًا. وُضِعَت الأدِلَّة في أكياس، وحُفِظَت في المخزن. دون أن تربطها أي صِلة بجرائِم القتل.

هَرب «رولينج» من «جاينسفيل»، وذهب إلى «تامبا»، حيث ارتكب سلسلةً من عمليات السطو والسرقة ليتمكَّن من إعالة نفسه. وهناك، خلال عُطلة نهاية الأسبوع في عيد العُمَّال، صادَف امرأةً شابَّة تُدعى «ديانا» جالسةً على مقعدٍ في الحديقة، ترسم لوحاتٍ بالباستيل. وقال لها: «تبدين بحاجةٍ إلى صديق».

أعطاها مائة دولار لترسمه. وكان لطيفًا وضعيفًا معها بشكلٍ صبياني. وبعد ذلِك، اصطحبها إلى مدينة ملاهٍ قريبة، حيث فاز لها بدُمية دُب. ثُم دعته إلى منزلها، حيث أمضيا الأُمسيَة يتحدَّثان بسرور. واستحمَّ وغسل ملابسه في غسَّالتها. وطلبا طعامًا صينيًّا، وشاهدا فيلم «صباح الخير يا فيتنام» على جهاز الفيديو الخاص بها. ونام طوال الليل على أريكتها، بينما نامَت هي في غُرفة نومِها. وعندما غادَر في صباح اليوم التالي، أعطته إرشادات حول كيفيَّة العودة إلى شقتها، لكِنه لم يعُد أبدًا.

وستكون «ديانا» واحِدة من عشرات النساء اللاتي لم يملكنَ سوى ذكرياتٍ جميلة عن لقائهنّ مع «داني» الملائكي اللطيف. ولحُسن حظِّها، كان «جيميني» خاملًا عندما اعترض «داني» اللطيف طريقها. أو رُبما كانت «ديانا» نفسها هي الملاك الأفضل بينهم جميعًا.

«لن تُعجِبكم إجابتي على هذا السؤال».

في 7 سبتمبر، قُبِضَ على «رولينج» أخيرًا في «أوكالا» أثناء مُحاولته سرقة سوبر ماركِت. ودعا كُل من مُحقِّقي «شريفبورت» و«جاينسفيل» على الفور تقريبًا مُحلِّلي مكتب التحقيقات الفيدرالي من وحدة تحليل السلوك في مكتب التحقيقات الفيدرالي للمُساعدة في التحقيقات. وطابَق التحليل الذي قدَّمه مكتب التحقيقات الفيدرالي بشكلٍ معقولٍ لعددٍ من المُشتبه بهم، بما في ذلِك «داني رولينج»، بالإضافة إلى المُشتبه به الجديد الذي اعتقلته شرطة «جاينسفيل».

وعَلِمَت شرطة «شريفبورت» بأوجُه التشابُه بين جرائِم قتل «جريسوم» التي لم تُحَلّ بعد، وجرائِم القتل في «جاينسفيل»، ولا سيَّما استخدام الصابون السائِل أو الخل لتنظيف الأدِلَّة من الأعضاء التناسُليَّة للضحايا،

ونزْع الجاني للشريط اللاصِق. وقد فُهرِست الجرائِم باستخدام برنامج «ViCAP»، الذي أُطلِق خصِّيصى للربط بين الجرائِم المُتعدِّدة الاختصاصات القضائيَّة، ولكِن عادةً، لم يُكلِّف أحد نفسه عناء الاستعلام عن أي روابِط مُحتملة مع قضايا أخرى. «اقرأ الفصل التالي لمعرِفة المزيد عن إخفاقات برنامج «ViCAP»».

وفي 5 نوفمبر، اتَّصلت شرطة «شريفبورت» بفريق عمل شرطة «جاينسفيل»، ونبَّهتهُم إلى أوجُه التشابُه بين جرائِم القتل في «جريسوم» و«جاينسفيل».

كما اتصل المُحقِّقون في «أوكالا» في هذه الأثناء بفريق العمل للإبلاغ عن وجود مُشتبهٍ به يُدعى «رولينج»، والذي اعتقلوه أثناء قيادته لسيارةٍ مسروقةٍ في «جاينسفيل» وقت وقوع الجريمتَين. وحاولوا حلَّ اللُّغز؛ كان «رولينج» من «شريفبورت»، موقِع جرائِم قتل «جريسوم».

و«أحبَّ» الجميع «رولينج» فجأة، على حدِّ كلام الشُّرطة. وبدأت عملية البحث عن الصيَّاد.

والآن، ولأول مرَّة في حديثي عن عصر البلاء، يحتل الحمض النووي الصدارة. لقد وَصَل عصر الحمض النووي، وأصبح على وشك القضاء على طفرة القتلة المُتسلسِلين. وكان أول قاتِل مُتسلسِلٍ يُدان باستخدام أدِلَّة الحمض النووي هو «تيموثي ويلسون سبنسر»، الشهير بـ «سفَّاح الجنوب»، الذي قتل خمس نِساء في ولاية «فيرجينيا» بين عامي 1984 – 1988. وسُرعان ما أصبح الحمض النووي عاملًا مُهِمًّا في تغيير قواعِد اللعبة في التحقيقات والمُلاحقات القضائيَّة في جرائِم القتل المُتسلسِلة، ولا يزال كذلِك حتى اليوم.

وفي 11 يناير، أجرت الشُّرطة اختبارًا أوَّليًّا للإنزيمات لمُقارنة عيِّنات دم «رولينج» مع الدم وسوائِل الجسد التي جُمِعَت من مسرح الجرائِم. لم يكُن الاختبار دقيقًا مثل اختبار الحمض النووي، لكِنه حَصَره في نسبةٍ صغيرةٍ تبلغ 0.3٪ من السُّكَّان الذين يمتلِكون نفس فصيلة الدم.

ورغم كُل مُحاولاته المُتضافِرة لإزالة الأدِلَّة البيولوجيَّة من مسرح الجريمة، إلا أن مُحاولاته في الغسل والتنظيف لم تنجَح تمامًا، وعندها.. بدأت قبضة القانون تُضيِّق النِطاق عليه.

وفي 21 يناير، حصلَت الشُّرطة خلسةً على عيِّنةٍ من دمائه، عندما خلع طبيب أسنان السجن إحدى أسنانه. وجاءت نتيجة مُطابَقة حمضه النووي إيجابيَّةً بشكلٍ لا لبس فيه لجميع مسارِح الجريمة الثلاثة في «جاينسفيل». ولضمان عدم رفض البحث السري في المحكمة، حصلَت الشُّرطة على مُذكِّرة تفتيش في «فبراير» لأخذ عيِّناتٍ من حمضه النووي ومن شعره، وغيرها من الأدِلَّة البيولوجيَّة والماديَّة، من شخص «رولينج» وزنزانته.

وأكَّدَت نتائِج الحمض النووي من ذلِك البحث وجود تطابُق إيجابي مع الحمض النووي الذي عُثِرَ عليه في جميع مسارِح جرائِم القتل الثلاث.

وبينما انهمكَت الشُّرطة في جمع الأدِلَّة ضدّه في جرائِم قتل «جاينسفيل»، خَضَع «رولينج» لمُحاكماتٍ مُنفصِلةٍ في سبتمبر وأكتوبر 1991 عن سلسلةٍ من عمليات السرقة والسطو المُسلَّح، التي ارتكبها في «تامبا» و«أوكالا». وباعتباره مُجرمًا مُعتادًا، فقد حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة أربع مرَّات. ولم يكُن سيذهب إلى مكانٍ الآن.

وفي 15 نوفمبر 1991، اتهمَته هيئة مُحلّفين كُبرى في مُقاطعة «ألاتشوا» بارتكاب خمس جرائِم قتلٍ من الدرجة الأولى، وبالاعتداء الجنسي، والسطو في جرائِم قتل «جاينسفيل».

وطوال عام 1992، عمل المُدَّعون العامُّون في مُقاطعة «ألاتشوا» على بناء قضيتهم. وكان «رولينج» قد ثرثر وتفاخَر بجرائِمه أمام العديد من زُملائه السُّجناء الذين جمع المُحقِّقون شهاداتهم الآن.

وفي 7 يونيو 1992، أثناء مُحاكمته، ادَّعى براءته من جميع التُّهم المنسوبة إليه.

وفي الوقت نفسه، كان «رولينج» قد بدأ يُراسِل كاتِبة الجرائِم الحقيقيَّة «ساندرا لندن»، التي خطبها في النهاية. وطوال عام 1993، نظَّمَت «لندن» حملةً من التغطيَة الإعلاميَّة لها ولـ «رولينج»، وكتبَت عن مُحاكمته المُعلَّقة في صحيفة «ناشيونال إنكويرر»، في سلسلةٍ من خمسة أجزاء لصحيفة «جلوب»، وشاركت معه مُقابلات في برنامج «قضية حاليّة».

واشترك كلاهما في كِتابة سيرته الذاتيَة تحت عنوان «صِناعة قاتِل مُتسلسِل»، وهي مُذكِّرات نفسيَّة ثاقِبة تكشِف عن أعماق عقل القاتِل المُتسلسِل، وذاكرته، وخياله.

وأثناء حدوث ذلِك، اعترف «رولينج» للمُحقِّقين من خلال مُخبر زميل في الزنزانة، الذي شاركهم الاعترافات التي نطق بها «رولينج» – مُتحدّثًا بالنيابة عنه، ومُدَّعيًا أنه لا يستطيع تحمُّل سماع نفسه وهو ينطق بالاعترافات المروّعة، واكتفى بتأكيد أو نفي ردود زميله في الزنزانة على الأسئِلة. كما ادَّعى «رولينج» أن مُعتقداته الأصوليَّة الخمسينيَّة قد دفعته للاعتراف لأن ضميره أزعجه كثيرًا.

وكانَت مُحاكمته في جريمة القتل في يومها الأول في 15 فبراير 1994، عندما فوجئ الجميع بتغيير «رولينج» فجأة لإقراره بالذنب في جميع التُّهم الخمس الموجَّهة إليه بالقتل. وبعد مُحاكمة إلزاميَّة أمام هيئة مُحلَّفين، حُكِم عليه رسميًّا بالإعدام في 20 أبريل.

رفضَت «لويزيانا» دفع تكلِفة تسليمه ومُحاكمته في جرائِم قتل «جريسوم»، رغم تطابُق حمضه النووي بشكلٍ إيجابي مع جرائِم القتل تلك. وعشية إعدامه في عام 2006، اعترف «رولينج» كتابةً بجرائِم قتل عائِلة «جريسوم» الثلاث في «شريفبورت».

وبخلاف «جيميني»، لم يُقدِّم «رولينج» أبدًا أي تفسيراتٍ واضِحة عن سبب ارتكابه لأيٍّ من جرائِمه الوحشيَّة. كيف يُمكِن أن يكون هُناك أي تفسير لذلِك؟

وفي النهاية، كتب «رولينج» قائِلًا:

«ندفن موتانا، ونرحل. وتكتمِل دائِرة الجنون.. لن تُعجِبكم إجابتي على هذا السؤال. إنها مأساة.. مأساة فظيعة للغاية. يؤسِفني ذلِك، وأتمنَّى لو لم تحدُث أبدًا»(CCLXXIII).

ولقد كان مُحِقًّا في شيءٍ واحد – أن إجابته لن تُعجِبنا.

أُعدِم «داني رولينج» بالحُقنة القاتِلة في 25 أكتوبر 2006.

«ملوك المُطاردة»: مُحلِّلو مكتب التحقيقات الفيدرالي وصمت الحِملان

بعد وقتٍ قصير من جرائِم القتل في «جاينسفيل»، وتحديدًا في فبراير 1991 صدر فيلم «صمت الحملان»، ليُصبِح خامِس أعلى الأفلام تحقيقًا للإيرادات في ذلِك العام. وإن حدَّد أي فيلم «حالة الاتحاد» الثقافيَّة في جرائِم القتل المُتسلسِلة الأمريكيَّة خلال «التسعينيَّات» وما بعدها، فهو فيلم «جوناثان ديمي» المأخوذ عن رواية «توماس هاريس». ولقد رفع الفيلم كُلًّا من القتلة المُتسلسِلين، ومُحلِّلي مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى مكانةٍ «عالية» في الثقافة الشعبيَّة والترفيه؛ لا تختلِف عن مكانة الديناصورات أو البيسبول أو الكائِنات الفضائيَّة. لم يكُن هذا الفيلم هو أول فيلمٍ تدور أحداثه حول القتلة المُتسلسِلين، ولا أول فيلم يظهَر فيه مُحلِّل: فقد صدرَت أفلام مثل «مان هانتر» عام 1986، المأخوذ أيضًا عن رواية «توماس هاريس» الشهيرة «التنين الأحمر»، ولكِن لأسبابٍ مُختلِفةٍ لم تلقَ هذه الأفلام أي رواجٍ يُذكَر.

أُنتِج فيلم «صمت الحملان» بالتعاوُن مع مكتب التحقيقات الفيدرالي، وقامَت ببطولته «جودي فوستر» في دور العميلة المُتدرِّبة في المكتب «كلاريس ستارلينج»؛ و«سكوت جلين» في دور مُحلِّل مُخضرَم مثل «روبرت ريسلر» أو «جون دوجلاس»؛ و«أنتوني هوبكنز» في دور «هانيبال (آكل لحوم البشر) ليكتر» الذي أُرسِلَت «كلاريس» لمُقابلته على أمل الحصول على بعض المعلومات عن قاتِلٍ مُتسلسِل مجهول الهوية مُلقَّب بـ «بافالو بيل»، وهو مُستوحًى بشكلٍ فضفاض من شخصيَّةٍ مُركَّبةٍ من «إد جين» و«جاري هايدنيك». واستضاف مكتب التحقيقات الفيدرالي «فوستر» و«جلين» في «كوانتيكو»، حيث التقَيا بأخصائيي السلوك، بل وسُمِح للإنتاج بتصوير بعض المشاهِد هُناك. لكِن هذا التعاوُن بين مكتب التحقيقات الفيدرالي وهوليوود لم يكُن شيئًا جديدًا. فمنذ عهد «جي. إدجار هوفر»، تعاوَن مكتب التحقيقات الفيدرالي مع أستوديوهات السينما والتليفزيون لإنتاج أفلام تُشِيدُ بالوكالة، وتُعزِّز قيمتَها لدى الجمهور الأمريكي.

ومع بدء إنتاج فيلم «صمت الحملان»، كان مُحلِّلو مكتب التحقيقات الفيدرالي يرزحون تحت وطأة حِصار الدِعاية السيِّئة. وفي 19 أبريل 1989، انفجر بُرج مدفَع في ظروفٍ غامِضة، مما أسفر عن مقتل سبعةٍ وأربعين من أفراد طاقِم السفينة الحربيَّة «يو إس إس آيوا». وقرَّر مُحقِّقو البحريَّة أن «كلايتون هارتويج»، أحد البحَّارة الذين لقوا حتفهم في الانفجار، قد تسبَّب فيه عمدًا. وزُعِم أن دافعه وراء ذلِك هو انجذاب جنسي مِثلي مليء بالإحباط لأحد زُملائه من أفراد الطاقِم. كمنَت المُشكِلة في إثبات ذلِك. وطلبَت دائِرة التحقيقات البحرية من مكتب التحقيقات الفيدرالي إجراء «تحليل الوفاة الغامِضة» – وهو تشريح نفسي من نوعٍ ما يهدف إلى تحديد سبب الوفاة؛ لمعرِفة ما إن كانَت الوفاة عرضيَّة أم انتحارًا أم جريمة قتل؟ – وقد خلَص مُحلِّلو المكتب إلى أن «هارتويج» قد انتحر في «مكانٍ وطريقةٍ صُمِّما خصِّيصى لمنحه التقدير والاحترام اللذين شعر أنه قد حُرِم منهُما»[(CCLXXIV)].

وعلى الرغم من أنه لم يكُن خطأ مكتب التحقيقات الفيدرالي إلا أن البحرية قد تعاملت مع تقييمهم على أنه دليل دامِغ، إلا أنه في حقيقة الأمر لم يكُن دليلًا قاطِعًا على أنه قد تسبَّب عمدًا في الانفجار. وعُقِدَت جلسة استماع للجنة الفرعيَّة للخدمات المُسلَّحة في الكونجرس، وعلى عكس جلسات الاستماع الخاصَّة بـ «بلاء القتلة المُتسلسِلين» في العقد السابِق، أسفرت هذه الجلسة عن تقييمٍ عدائي ورافِض للغاية لنظام

التنميط الذي يتَّبِعه مكتب التحقيقات الفيدرالي. وفي تقريرها، خلصت اللجنة الفرعيَّة للقوَّات المُسلّحة في الكونجرس إلى أن:

«وكما كان التحليل النفسي الذي أجراه مكتب التحقيقات الفيدرالي أساسيًّا في تحقيق البحريَّة، كان كذلِك أيضًا في تحقيقات اللجنة الفرعيَّة. ونتيجة لذلِك، استعانَت اللجنة الفرعيَّة، بالخدمات المهنيَّة للجمعية الأمريكيَّة لعلم النفس، وسعت اللجنة للحصول على آراء أحد عشر طبيبًا نفسيًّا سريريًّا مُستقِلًّا ومُرخَّصًا، وأخصائي نفسي واحِد. وبالإضافة إلى ذلِك، تشاوَرت اللجنة الفرعيَّة بشكلٍ مُستقل مع طبيبٍ نفسي وأخصائي نفسي امتلك بعض المعرِفة السابِقة بهذه القضية. واعتبر عشرة من الخُبراء الأربعة عشر الذين استُشيروا أن تحليل مكتب التحقيقات الفيدرالي غير صالِح. وحتى أولئِك الذين اعتقدوا أنه يتمتَّع بالمصداقيَّة إلى حدٍّ ما انتقدوا الإجراءات والمنهجيَّة وعدم وجود بيانٍ عن القيود التي تحدُّ من التحليل بأثرٍ رجعيٍّ من هذا النوع.

وتُعتبر إجراءات التحليل النفسي لمكتب التحقيقات الفيدرالي مشكوكًا في احترافِيَّتها المهنيَّة. ورُبما كان جو اليقين الزائِف الناتِج عن تحليل المكتب هو العامِل الرئيسي الوحيد الذي دفع البحرية إلى اختيار «كلايتون هارتويج» كطرفٍ مُذنبٍ مُحتمَل. كما كانت الإجراءات التي استخدمها المكتب في إعداد تحليل الوفاة الغامِضة غير كافية وغير مِهنيَّة»[(CCLXXV)].

وسارَع المُحلِّلون الذين يعمَلون في وكالاتٍ أخرى إلى النأي بأنفُسهم عن تخبُّط وحدة تحليل السلوك. وأشاروا إلى أن جرائِم القتل نادرًا ما تكون من اختصاص مكتب التحقيقات الفيدرالي، ونادرًا ما امتلك عُملاؤهم أي خبرةٍ فعليَّة في التحقيق في جرائِم القتل. وقد أشار الراحِل «روبرت كيبل»، الذي عمل في جرائِم قتل الأطفال في «أتلانتا»، و«تِد بندي»، وجرائِم قتل النهر الأخضر، والذي يُعتبَر أحد المُحلِّلين البارِزين خارِج المكتب، إلى تجرِبته هُناك في قضية «أتلانتا»:

«انتظرنا بفارِغ الصبر لسماع الحكمة التي ستأتي من عُملاء وحدة التحقيقات الفيدراليَّة الذين كان مُعظمهم مُجرَّد خُبراء نصَّبوا أنفُسهم في التحقيقات في جرائِم القتل، دون أن يسبق لهم التحقيق في خيطٍ واحِدٍ في قضيَّة قتلٍ حقيقيَّة. كان رجال المكتب هُم مُلوك المُطاردة، ولكِنهم لم يتمكَّنوا من حلِّ جريمة قتلٍ جارية. وكان مُعظم مُحقِّقي جرائِم القتل المحليين على درايةٍ بذلِك»[(CCLXXVI)].

ودفاعًا عن مُحقِّقي مكتب التحقيقات الفيدرالي، فإنهم لم يدَّعوا أبدًا أن بإمكانهم حلّ أي قضية بمُفردهم، أو حتى تحديد هويَّة الجاني بشكلٍ قاطع، فالطريقة التي استخدمَت بها البحرية الأمريكيَّة تحليل مكتب التحقيقات الفيدرالي ليسَت الطريقة التي قصد المكتب استخدامها. فالغرض من تحليل وحدة تحليل السلوك هو تضييق نِطاق التركيز من قائِمة المُتشبه بهم التي وضعها مُحقِّقو جرائِم القتل المحلِّيون، والمُساعدة في استدراج الجاني للظهور علنًا، والمُساعدة في التعامُل النفسي مع المُشتبه به أثناء المُقابلة بمُجرَّد تحديد هويَّته. وكان من المُفترَض أن يعمل بالطريقة التي عمل بها في المرَّة الأولى التي اختبرَت فيها وحدة تحليل السلوك

نظامَهم في الميدان، أثناء التحقيق في عام 1974، مع القاتِل المُتسلسِل «ديفيد ميرهوفر» في «مونتانا» كما هو موضَّح سابقًا في هذه الصفحات.

وعندما قرأ مسئولو الشئون العامَّة في مكتب التحقيقات الفيدرالي سيناريو فيلم «صمت الحملان» بمشاهِدِه السخيفة التي تُظهِر المكتب وهو يجوب البلاد بالطائِرات العسكرية للقبض على القتلة المُتسلسِلين المُشتبه بهم، وخروج «كلاريس ستارلينج» للإنقاذ، والتورُّط في معركةٍ بالأسلِحة النارية مع «بافالو بيل»، عَرَفوا أن هذه هي التبرئة الهوليوودية التي كان المكتب بحاجةٍ إليها في تلك اللحظة. وهكذا فتحوا أبواب «كوانتيكو» لإنتاج الفيلم.

صحوة القتلة المُتسلسِلين الأخيار

ما لم يحسب له أحد حسابًا هو ما نتج عن ذلك من استنهاض القتلة المُتسلسِلين إلى نوعٍ من التقدير الذي سيُحقِّقه «أنتوني هوبكنز» في دور «هانيبال ليكتر». وأصبَحَت عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي «كلاريس» مثالًا للرجُل/ المرأة الساذِج الذي يقِف عاجزًا أمام عبقرية وسحر «ليكتر» الطاغِيَين. وبحلول الوقت الذي يسلُخ فيه «ليكتر» جلدَ وجهِ أحد حُرَّاسه، ويرتدِيه كقناعٍ للهروب من السجن، يهتِف له الجمهور بدلًا من «كلاريس». في الواقِع، يفرُّ «ليكتر» هاربًا ليصنَع تكمِلة لِلفيلم، بينما تذهب «كلاريس» وراء «بافالو بيل»، وتختفي من الشاشة دون أي تكمِلة.

في تصوُّر الجمهور، أصبَح «ليكتر» الذي يحتسي نبيذ الكيانتي قاتِلًا مُتسلسِلًا «خيِّرًا»، بينما كان «بافالو بيل» المشوَّش جنسيًّا، والفقير الذي يسكُن في كوخٍ ريفي، ومُحِب الجنس الزائِف، والذي احتفظ بضحاياه في حُفرةٍ نتِنةٍ، وسلخهم هو القاتِل المُتسلسِل «السيئ». كان موت «بافالو بيل» نفسه «أقلَّ وطأة». واستطاع العديد من مُشاهدي الأفلام تخيُّل أنفُسهم مُستمتِعين بصُحبة الدكتور «ليكتر» في حفل عشاء، «طالما لا يحتل لحمُهم جزءًا من قائِمة الطعام»، ولكِن لا أحد منهم يرغب حتى في الظهور علنًا مع «بافالو بيل».

يرى «ستيفن إيجر» أن هذا التمييز في الثقافة الشعبيَّة في مرحلةٍ ما بعد فيلم «صمت الحملان» بين القتلة المُتسلسِلين «الأخيار» و«الأشرار» قد مهَّد الطريق، منذ أول تملُّق لـ «تِد بندي»، لرفع مكانتهم في الثقافة الشعبيَّة إلى مرتبةٍ أعلى من القتلة «العاديين»:

«بالنسبة للكثيرين، يُعتبَر القاتِل المُتسلسِل رمزًا للشجاعة والفرديَّة والذكاء الفريد. وسُرعان ما يتحوَّل القاتِل بالنِّسبة للكثيرين إلى شخصيةٍ تسمَح لهم بتخيُّل التمرُّد أو الانتقام من عِلل المُجتمع. وبالنِسبة للبعض، قد يُصبِح القاتِل المُتسلسِل رمزًا للعدالة السريعة والفعَّالة، ولتطهير المُجتمَع من آفاته الإجراميَّة. تتخطَّى مهارات القاتِل المُتسلسِل في الهروب من الشُّرطة لفتراتٍ طويلةٍ سبب مُطاردته. فهروب القاتِل يُلقي بظلاله على أثره الذي يبعث على الحُزن والرُّعب»(CCLXXVII).

كما يطرَح الناقِد الاجتماعي «مارك سيلتزر» وجهة نظر مُماثِلة. فوفقًا له، حلَّ القتل المُتسلسِل في الولايات المُتحِدة محلَّ مؤسَّسة ثقافيَّة أمريكيَّة فريدة سابِقة:

«لقد حلّ القتل المُتسلسِل وتمثيلاته الآن إلى حدٍّ كبيرٍ محلّ الغرب الأمريكي باعتباره النوع الأكثر شعبيَّة من روايات الجسد والعُنف الجسدي في ثقافتنا. ودار الغرب الأمريكي في الحقيقة حول القتل المُتسلسِل طوال الوقت»[(CCLXXVIII)].

بل وانتقد حتى القتلة المُتسلسِلون شخصيَّة «ليكتر». فقد اعتقد «دينيس نيلسُن»، المُدان بقتل اثني عشر رجلًا في «بريطانيا»، أنَّ «ليكتر» شخصيَّة احتياليَّة، وقال: «لقد ظهر كشخصيةٍ قويَّةٍ، لكِن هذا محض أسطورة. إن قوَّته وتلاعُبه هي التي تُرضي الجمهور، لكِن الأمر ليس كذلِك على الإطلاق. لقد نشأت جرائِمي من شعوري بالنقص، لا قوَّتي. لم أمتلِك أي قوَّةٍ في حياتي»[(CCLXXIX)].

ومن هُناك كان الطريق قصيرًا إلى تذكارات القتلة المُتسلسِلين القابِلة للتحصيل، وبطاقات التداوُل، والتقويمات، والفنون، وكُتب الطهي، وصناديق الغذاء، والمُجسَّمات، ناهيك عن دكستر، الفاحِش المُطلَق، والقاتِل المُتسلسِل الخيِّر الذي يقتُل القتلة المُتسلسِلين الأشرار.

لقد توقَّفتُ عن عدِّ المُقابلات الإذاعيَّة والبودكاست التي أجريتُها، حيث سُئِلت: «من هو قاتِلك المُتسلسِل المُفضَّل؟» أو: «لو كُنتَ قاتلًا مُتسلسِلًا، أي نوع ستكون؟» وعادةً ما أجيب بـ: «النوع الذي يلتهِم مُضيفي البودكاست الذين يطرَحون أسئِلة غبيَّة».

«جيفري دامر» الشهير بـ «آكل لحوم بشر ميلووكي» في «ميلووكي» بـ «ويسكونسن» في الفترة بين 1987 – 1991

في يوليو 1991، وأثناء انشغال الشُّرطة في جمع الأدِلَّة في قضايا «جاينسفيل» و«شريفبورت»، انهمك رجال شرطة «ميلووكي» بولاية «ويسكونسن» في إزالة أشلاء البقايا البشرية لإحدى عشرةَ ضحية عُثِرَ عليها في شقَّة «جيفري دامر».

أُحضِرَ «تريسي إدواردز» – الضحية الذي فرَّ هاربًا من شقَّة «دامر»، في 22 يوليو، وأبلغ سيَّارة شرطة بما حدث – إلى مركز الشُّرطة ليروي قصَّته. وصرَّح أنه كان يتسكَّع مع صديقَين آخرَين في الشارِع عندما اقترب منهم «دامر»، ودعاهم للذهاب إلى منزِله لشُرب البيرة ومُرافقته. وعَرَض دفع مائة دولار لمن يقبل بالتموضُع لالتقاط صورٍ عارية. وافَق «إدواردز» على الصور، ولكِن بشرط أن يُرافِقه صديقاه إلى منزِل «دامر». ووافَق الاثنان الآخران، ولكِن كان لديهما أمر ليقوما به أولًا، ولم ينتبِه إلى أن «دامر» قد أعطاهما عنوانًا خاطئًا.

لفتَت الرائِحة الكريهة نظر «إدواردز» بمُجرَّد دخوله شقَّة «دامر»، الذي تذرَّع بوجود بعض المشاكِل في أنابيب الصرف الصحي. لكِن بخلاف ذلِك، لم يُلاحِظ «إدواردز» أي شيءٍ غير عادي في الشقَّة أو ديكورها. وقرقر حوض أسماكٍ كبير بهدوءٍ أثناء ضخ مُرشِّحه الماء للأسماك التي تسبَح بداخله. كان الأمر مُريحًا للغاية. وعَرَض عليه «دامر» مشروبًا كحوليًّا؛ لم يكُن يعرِف أنه مُخدِّر. لكِنه لم يكُن من مُحبي شُرب الكحوليات، ولذلِك ارتشفه ببطءٍ. وأثناء جلوسهما لتبادُل أطراف الحديث، شعر «إدواردز» بالقلق من عدم وصول

أصدِقائه، بينما شعر «دامر» بالقلق من أنه لم يشرَب ما يكفي لتخديره. وعندما بدأ «إدواردز» يستعِدَّ للمُغادرة، أُصيبَ «دامر» بحالةٍ من الاضطراب. وصمَّم على أن يرى «إدواردز» السمك الموجود في حوضه، وعندما انتبه إلى السمك، سحب «دامر» زوجًا من الأصفاد من خلف ظهره، ووضعهما حول معصَم «إدواردز» الأيسَر. وقبل أن يتمكَّن من إغلاق القيد الآخر حول مِعصمه الأيمَن، لوى «إدواردز» ذراعَه الحُرَّة بعيدًا. أخرَج «دامر» سكينًا، وهدَّده به، وحذَّره من أنّ عليه فعل ما يأمُره به، وإلا سيقتله. ثُم قاده من معصمه الأيسَر المُكبَّل بالأصفاد إلى غُرفة النوم. غمرته على الفور رائِحة قويَّة من المواد الكيميائيَّة والتحلُّل المُنبعِثة من برميل بلاستيكي أزرق كبير في زاوية غُرفة نوم «دامر».

تلاعَب به «إدواردز» مُحاوِلًا بحذرٍ عدم استفزازه. وجَلَس «دامر» على السرير معه، وشغَّل التلفاز، وجهاز الفيديو بجهاز التحكُّم عن بُعد. وكان الفيلم الموجود بالفيديو جاهزًا للتشغيل. وأخبره «دامر» أنه يُريده أن يُشاهِد الفيلم معه بعنايةٍ فائِقة. حيث إنه أُعجِب به كثيرًا حتى إنه اشترى نُسخةً من شريط الفيديو بمائة دولار.

وكان الفيلم هو «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث[16]». نفس الفيلم الذي يبدو أنه قد حرَّك «داني رولينج».

وأثناء جلوسهما لمُشاهدة «جيميني» في الفيلم وهو يرتكِب جرائِم القتل المُتسلسِلة، بدا «دامر» وكأنه يُحدِّث نفسه بصوتٍ خافت. وبدا لـ «إدواردز» وكأنه يدخُل ويخرُج مما بدا وكأنه غيبوبة، خاصَّة في مشاهِد الاستحواذ الشيطاني في الفيلم. وبعد اعتقاله، سألته الشُّرطة عن سبب افتتانه بالفيلم.

فذكر أنه ليس مُتأكِّدًا من السبب، لكِنه يعلَم أنه يشعُر بقدرٍ هائِلٍ من الذنب، بسبب أفعاله. لقد شعر بالشر والفساد الكامِلَين، جسدًا وروحًا، بسبب الجرائِم الفظيعة التي ارتكبها ضد الناس. وفي كُل مرَّةٍ حاول فيها التغلُّب على مشاعِره بالرغبة في قتل الناس وتقطيع أوصالهم، طاردته تلك المشاعِر وتغلَّبَت عليه، مثل الإدمان. وشعر أنه لا يستطيع مُقاوَمة هذا الشعور، وتساءل عمَّا إذا كان للشيطان في الواقِع علاقة بأفكاره الشريرة. ولهذا السبب شاهد فيلم «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث» بشكلٍ أسبوعي، لمُدَّة ستة أشهُر تقريبًا، وأحيانًا مرَّتَين أو ثلاثَ مرَّات في الأسبوع. واستطاع القول بأن الشيطان في الفيلم كان غاضبًا، لأنه أُدين، وأنه استطاع التواصُل مع الشيطان، لأنه شعر أن حياته على الأرض مُدانة. ومضى يقول إن الشخصيَّة الرئيسيَّة في الفيلم بدت وكأنها مدفوعة بالشر، وأنه يُمكِن أن يرتبِط بهذه الشخصيَّة لأنه شعر أن حياته كانَت مدفوعة بالشر[CCLXXX]. «تم حذف كلمة «ذكر أن» التي تكرَّرَت في محضَر الشُّرطة».

وفي إحدى المرَّات، وَضَع «دامر» رأسه على صدْر «إدواردز» واستمع إلى نبضات قلبه. ثُم أخبره أنه سيأكُل قلبه. حافظ الأخير على هدوئه، وحاول باستمرارٍ إقناعه بالخروج من حالة الغيبوبة التي دخل فيها. ووَصَف في مُحاكمته كيف بدا وجه «دامر» وكأنه يتحوَّل جسديًّا إلى قناعٍ شيطانيٍّ أثناء انزلاقه داخل وخارج هذه الغيبوبة.

في نهاية المطاف، اكتسب «إدواردز» ما يكفي من ثقته للسماح له باستخدام الحَمَّام دون أن يُمسِك بالسكين على صدره. وعند خروجه من دورة المياه، لكمَه بقوَّةٍ حتى سقط أرضًا، واندفع خارجًا من باب الشقَّة إلى الشارِع حيث أبلغ سيَّارة الشُّرطة التي اقتربَت منه.

اعترافات «دامر»

بمُجرَّد أن اجتاحَت الشُّرطة شقَّة «دامر»، وأمسَكَت به، بدأت الاعترافات.. التي استمرَّت لأسابيعَ طويلة. نسي «دامر» أحيانًا بعض أسماء ضحاياه أو التسلسُل الزمني الدقيق لجرائِمه، لكِنه تذكَّر بوضوحٍ مُعظَم جرائِم القتل السبع عشرة التي ارتكبها بين أول جريمة قتلٍ له في عام 1978 لـ «ستيفن مارك هيكس» في «أوهايو»، وجرائِمه الستَّ عشرة في «ميلووكي» بين عامي 1987 – 1991.

وقد بدا «دامر» في اعترافاته مُدرِكًا تمامًا لدوافِع ارتكابها. وطبقًا لمُلاحظات مُحقِّقي شرطة «ميلووكي» في مُقابلاته:

«لقد تذكَّر أن حياته العائِليَّة المُبكِّرة اتَّسَمَت بالتوتُّر الشديد. وجاء هذا التوتُّر من العلاقة التي قامَت في ذلِك الوقت بين والِدته ووالِده. ورغم أنه لم يتعرَّض للإيذاء الجسدي أو الجنسي، ولم يشهَد أي إيذاءٍ جسدي من والِدَيه، إلا أنه ذكر أنهما اعتادا «التشاجُر والتجادُل باستمرار». وبدا أن والِدته قد عانَت من بعض المشاكِل النفسيَّة، وفي الواقِع، من انهيارٍ عصبي في وقتٍ ما خلال طفولته المُبكِّرة. وتعاطَت الأدوية، وزارَت طبيبًا في مُعظم الأوقات. وقد أخبره أقارِبه بأن والِدته قد عانَت من اكتئابٍ حادٍّ بعد ولادته، واعتبر ذلِك مؤشِّرًا على أنه كان، على الأقل جُزئيًّا، سببًا في سوء الحالة الزوجيَّة لوالِدَيه.

كما اعتقد أن والِدته قد أصيبَت بالاكتئاب بعد ولادته، ولم تتعافَ منه أبدًا، وبالتالي يذكُر أنه قد شعر بقدرٍ مُعيَّنٍ من الذنب فيما يتعلَّق بزواج والِدَيه السيئ.

وعندما بلغ من العُمر ثمانية عشر عامًا تقريبًا، تطلَّق والِداه، وفي هذا الوقت، انتقلَت والِدته إلى «شيبوا فولز» بولاية «ويسكونسن»، وصدر أمر من المحكمة ببقاء والِده خارِج المنزِل، فانتقل إلى فُندقٍ يبعُد عدَّة أميالٍ عن المنزِل. وفي هذا الوقت، اصطحبَت والِدته شقيقه الأصغر الذي كان يصغره بحوالي ستِّ سنواتٍ عندما غادرت المنزِل، وتركته بمُفرده في منزِل «ريتشفيلد» بولاية «أوهايو».

وفي هذا الوقت، انتابته بعض المشاعِر القويَّة بأنه قد تُرِك وحيدًا تمامًا، ويتذكَّر أنه قد شعر برغبةٍ قويةٍ في ألا يتركه الناس وحيدًا. وذكر كذلِك أنه قد بدأ يكره النوم وحيدًا ليلًا في نفس الوقت تقريبًا.

وبدأت تُراوِده خيالات بقتل الناس في سنٍّ مُبكِّرةٍ من سبعة عشر أو ثمانية عشر عامًا. كما يتذكَّر أنه برغم أن هذه الأوهام كانَت عابِرة، إلا أنه شعر بأنها راودته للتغلُّب على مشاعِر الإحباط والفراغ التي شعر بها في حياته.. فعندما كان مُراهقًا في الخامسة عشرة أو السادِسة عشرة من عُمره، أدرَك أنه كان مِثليًّا جنسيًّا. وذكر أنه لم يهتَم بالنساء يومًا، ولم يكُن لدَيه أي فكرة عن سبب كونه مِثلي الجنس، لكِنه يتذكَّر بوضوحٍ أنه في المدرسة الثانويَّة، وخلال سنوات مُراهقته، أصبَح مُدرِكًا تمامًا لحقيقة انجذابه للرجال فقط.

وفي هذا الوقت، بدأت تراوِده تخيُّلات قتل البشر. كما بدأ أيضًا في التقاط الحيوانات التي وجدها على الطريق، والتي يبدو أن المركبات قد دهستها وقتلتها، وجاء بها إلى منزِله، واستخدم سكينه لتقطيعها وتشريحها لرؤية ما بداخلها وكيف تبدو. كما قطَّع العديد من الحيوانات التي شرَّحها، ثُم يقطِّع اللحم بالكامِل، ويستخدِم مُبيِّضًا وبعض السوائِل الأخرى المُختلِفة التي وجدها في منزِله، ليختبِر أيّ منها سيُنظِّف العظام بشكلٍ أفضَل. وفي يوم، عثر على كلبٍ كبير صدمته سيَّارة، وجلبه إلى المنزِل، وقطَّعه ونظر إلى أحشائه، ونظَّفه بالكامِل، ثُم نقع عظامه في محلول مُبيِّض، وخطَّط في النهاية لإعادة بناء العِظام وتركيب الهيكل العظمي، مثلما يفعل المُحنِّطون. لكِنه أكَّد أنه لم يقُم بذلِك أبدًا. وخلال هذا الوقت الذي شرَّح فيه الحيوانات، بدأ يتخيَّل كيف سيكون تقطيع أوصال إنسان. وأدرَك في هذه السِنّ المُبكِّرة أن تخيُّلاته الجنسيَّة المِثليَّة، وأوهامه في قتل وتقطيع أوصال البشر مُتشابِكة، وأنه استمتع بهذه الأوهام، وأنها قد حدثت عدَّة مرَّات. وكُلما راودته تخيُّلات النشاط الجنسي المِثلي، راودته أيضًا أوهام القتل وتقطيع الأوصال. وشعر أن الْتقاط الحيوانات المقتولة من على الطُّرقات، وتقطيعها، يُشبِع رغباته وأوهامه في القتل وتقطيع الأوصال...

وبعد أن غادَر منزِله في «باث»، التحَق بالقُوَّات المُسلَّحة. وتمركز في «ألمانيا»، أثناء وجوده في الجيش. ويعتقِد أن السبب في أنه لم يقتُل أو يُقطع أوصال أي شخصٍ أثناء فترة خدمته في «ألمانيا»، هو استمتاعه بهيكل الجيش. وخلال فترة خدمته بأكمِلها، عاش في القاعدة، وسكن في مهجعٍ مع ثلاثة رجال آخرين. رغم أنه لم يتمتَّع بأي علاقاتٍ جنسيَّة مِثليَّة أو مُغايِرة أثناء وجوده في «ألمانيا» أو في الجيش، إلا أنه أشبَع رغبته في الإثارة الجنسيَّة عن طريق الاستمناء. وذكر أنه استمتَع بالجيش، وتمنَّى لو أنه كان بإمكانه إنهاء فترة خدمته بأكملها؛ ولكِن مُعاقرته للخمر جعلت ذلِك مُستحيلًا، حيث قرَّر الجيش تسريحه قبل ستَّة أشهُرٍ من انتهاء مُدَّة خدمته.

وبعد انتقاله إلى «ميلووكي» في عام 1981، بدأت خيالات قتل الناس تُثيره، وأصبَحَت أكثر تواتُرًا. وفيما يتعلَّق بضحاياه، ذكر أنه شعر بمُتعةٍ جسديَّةٍ بتواجُده مع الضحايا أثناء وجودهم على قيد الحياة، وفضَّل بقاءهم أحياء، ولكِنَّ موتهم معه خير من رحيلهم. ويذكُر كذلِك أنه عندما كان يشعُر بموعِد رحيلهم، كان ذلِك هو الوقت الذي يُقرِّر فيه قتلهم»[(CCLXXXI)].

القتل بحثًا عن الرفقة

رُبما استلهَم «دامر» هذا التفسير من جرائِم القتل المُتسلسِلة التي ارتكبها «دينيس نيلسُن» في «إنجلترا». فبين عامي 1978 – 1983، قتل «نيلسُن» اثني عشر «ورُبما خمسة عشر» ضحيَّة من الذكور في شقَّته، واحتفظ بجُثثهم ليُمارِس معها الجنس على سبيل «مُجامعة الموتى». وبعد أن بدأت في التحلُّل، قطَّعها إلى قطعٍ صغيرة، ورماها في المرحاض. وفي نهاية المطاف، سدَّت الأجزاء المُقطَّعة من الجُثث والشعر وكُتل الدهون البشرية الأنابيب، وبعد عثور السبَّاكين على البقايا البشرية، ظهر رِجال الشُّرطة على باب «نيلسُن». الذي عانى، مثل «دامر»، من مشاكلَ ضخمةٍ في مُعاقرة الكحول، وخدم في صفوف الجيش «رغم أنه كان أكثر

نجاحًا وأطوَل من دامر»، وعَمل فيما بعد شُرطيًّا في «لندن». وذكر «نيلسُن» أنه كان وحيدًا، وقتل ضحاياه الذكور لإبقائهم بالقُرب منه. وكَتَب «براين ماسترز» كتابًا عن قضية «نيلسُن» بعنوان «القتل بحثًا عن الرفقة» بشكلٍ مُناسب، ونُشِر في عام 1985. وربما وجد «دامر» نفسه بين صفحات الكِتاب، أو تعلَّم منه.

قال «دامر» إنه بعد تسريحه من الجيش، باءَت مُحاولته للانتقال إلى فلوريدا بالفشل. لم يتمكَّن من تغطيَة نفقاته، واضطرَّ في نهاية المطاف إلى الانتقال للعيش مع جدَّته لأبيه في شقَّةٍ في الطابِق السُّفلي من منزلها في «ويست أليس»، بالقُرب من «ميلووكي». لطالما كانت جدَّته نُقطة ضعفٍ بالنِسبة له. وأخبر «دامر» المُحقِّقين أنه أثناء إقامته معها:

«قرَّر بذل المزيد من الجُهد للعثور على معنًى لحياته. فلطالما شعر بالوحدة والفراغ، ولم يكُن هُناك أي معنًى لحياته. كانَت جدَّته امرأةً مُتديِّنة، وبروتستانتيَّة، ومُعتادة على ارتياد الكنيسة بانتظام، بالإضافة إلى أنها تحدَّثَت معه عدَّة مرَّات عن الدِّين، وكيف يُمكِنه أن يُغيِّر حياته. وراودته تخيُّلات مُستمِرَّة مرَّةً أخرى حول المِثليَّة الجنسيَّة، وأن الرغبة في الهيمنة والقتل وتقطيع أوصال الرجال الآخرين جاءته بالإضافة إلى التخيُّلات الجنسيَّة المثليَّة. وذكر أنه قد حارَب هذه الرغبة باستمرارٍ من خلال حضور الكنيسة مع جدَّته، وقراءة الكِتاب المُقدَّس، ومُحاولة عيش حياته بطريقةٍ مُنتظِمة. وعبَّر عن ذلِك مُستخدِمًا كلِمات: «السير في الطريق المُستقيم والضيِّق». كما راودته باستمرارٍ مشاعِر وأوهام مُتشابِكة عن السلوك الجنسي المِثلي والقتل والتقطيع، والتي تغلَّبَت عليه أخيرًا حيث وجد أنه من المُستحيل أكثر فأكثر الاستمرار في نمَط حياة «الذهاب إلى الكنيسة، والعيش باستقامة» على حدِّ تعبيره»[(CCLXXXII)].

مِن المُحبِط أننا لا نملك كلِمات «جيفري دامر» الحقيقيَّة في مُقابلاته الأوليَّة، بل فقط إعادة صياغة المُحقِّقين الذين قابلوه لها. وعندما كتبوا أن «تخيُّلاته الجنسيَّة المثليَّة، وأوهامه عن قتل وتقطيع أوصال البشر كانَت مُتشابِكة»، فهل كان هذا ما قاله «دامر»؟ أم أن هذه هي الطريقة التي فسَّر بها مُحقِّقو شرطة «ميلووكي» أقواله في ثقافة الشُّرطة في ذلِك الوقت؟ راجِع مرَّة أخرى إشاراتي السابِقة إلى «ديفيد شميد» و«ريتشارد تيثكوت»: «بالنسبة للثقافة الجنسيَّة المُغايِرة، مثَّلت قضية «دامر» فُرصة لتفسير أفعاله الوحشيَّة بالإشارة إلى مثليته الجنسيَّة المُفترضة، والخلط بين القتل والميول الجنسيَّة المثليَّة، والخلط بين «القتل الجنسي» والجنس المثلي»[(CCLXXXIII)].

وبالطبع، فإن القتلة المُتسلسِلين من جنسَين مُختلفَين «تتشابَك» أيضًا تخيُّلاتهم الجنسيَّة الغيريَّة مع تخيُّلات القتل والهيمنة والاغتصاب. لا أعتقِد أن رُهاب المثليَّة الجنسيَّة كان الشيء الجلِيَّ في قضية «دامر» بقدْر ما كانت ثقافة الشُّرطة التي ترفُض السلوك الجنسي الجامِح من أي نوع – وهذا لا ينطبِق فقط على الجُناة، بل على الضحايا أيضًا، الذين نُظِرَ إليهم على أنهم ساهموا في جرائِم قتلهم عن طريق اختلاطهم الجِنسي.

في منزل الجدَّة

عندما استقرَّ «دامر» في منزِل جدَّته، لعب دور الحفيد المُطيع، حيث اعتنى بفناء منزلها، وارتاد معها الكنيسة. وبفضل تدريبه الطبِّي العسكري، وجد عملًا كأخصائي سحْب دِماء في بنك الدم. وقال إنه أخذ قارورةً من الدم إلى المنزل، وشرِب منها بدافِع الفضول، ولكِن لم يُعجِبه مذاقها وبصقَه. كما جرَّب حظَّه أيضًا في عبادة الشيطان، حيث اشترى «الكِتاب المُقدَّس الشيطاني» لـ «أنطون لافي»، ولكِنه وَجَد أنه ليس مُناسِبًا له.

فقد «دامر» وظيفته في بنك الدم بعد تسعة أشهُر، ودعمته جدَّته؛ بينما تنقَّل بين الوظائِف العرضيَّة، إلى أن وَجَد عملًا ثابتًا في مصنَع «أمبروسيا» للشوكولاتة كخلَّاط.

تراكَمَت أعداد مُتزايِدة من مواجهاته مع الشُّرطة. ففي عام 1981، اتُّهِمَ بتكدير السلم، ومُقاوَمة الشُّرطة، وحيازة حاوية مفتوحة من الكحول في رَدهة فُندق «رمادا إن». وفي 1982، تجرَّد من ملابسه أمام حشدٍ من النساء والأطفال في معرض ولاية «ويسكونسن»، لكِنه اتُّهِمَ فقط بالسُّكر والسلوك غير المُنضبِط. كما قُبِضَ عليه بتُهمة السلوك البذيء والفاسِق بعد استمنائه أمام صبِيَّين في الثانية عشرة من عُمرهما في إحدى الحدائِق. قبل أن تُخفَّف التُّهمة إلى السلوك غير المُنضَبِط، ويُحكم عليه بسنةٍ واحدةٍ تحت المُراقبة. أما في عام 1985، فقد حُذِّرَ بسبب قيامه بإشاراتٍ بذيئةٍ تجاه ضُبَّاط الشُّرطة، وفي حادِثةٍ أخرى، أصبح عدوانيًّا عندما رَفَض نادِل تقديم المزيد من الخدمات له. لكِن لم يكُن في تلك التُّهم البسيطة التي تراكَمَت عليه ما يُشير إلى عُمق الفساد الذي سيغرق فيه.

يقول «دامر» إنه أثناء إقامته في «ميلووكي» في قبو جدَّته، اكتشف حانات وحمَّامات المِثليِّين، وبدأ في مُمارسة الجنس العرضي بشكلٍ مُتكرِّر. وأفادَت بعض الروايات بعد اعتقاله بأن والِده قد أفاد بأن صبيًّا من الحي قد اغتصب «جيفري» عندما كان مُراهِقًا. لكِن لا يوجَد أي دليلٍ على حدوث ذلِك، بالإضافة إلى أن والِده قد سحب فيما بعد ادِّعاء الاغتصاب. ولكِن هُناك هذا التدوين الذي كتبَه المُحقِّقون في مُلاحظات مُقابلته مع «دامر»:

«ثُم أبلغته بعد ذلِك أننا تحدَّثنا للتوّ مع والِده، وأننا قد تلقَّينا معلومات تُفيد بأنه رُبما يكون قد مرَّ بتجرِبةٍ جنسيَّةٍ عندما كان في الرابِعة عشرة أو الخامِسة عشرة من عُمره، مع شخصٍ كان يسكُن في الشارِع المُقابِل. وذكر السيِّد «دامر» أن هذا قد حدث بالفعل، وأن هذا الشخص قد جرَّده من ملابسه، وقاما ببعض الاحتكاك والتقبيل. وذكر أنه لم يعتبِر هذا الأمر تجرِبة جنسيَّة مثليَّة في ذلِك الوقت، لكِنه قال: «لكِنني أعتقِد أنها كانت كذلِك»».

لكِن بخلاف هذه الحادِثة واصطحاب «هيكس»، أول ضحيَّة قتلٍ له، لا يبدو أنه قد مارَس أي اتصالٍ جنسي فعلي حتى مُنتصف العشرينيات عندما استقرَّ في «ميلووكي». «رغم ظهور اتهامات لاحِقة بتخدير واغتصاب زُملائه الجنود أثناء خدمته في الجيش، إلا أنها لم تُثبَت قط».

في عام 1985، اختبأ «دامر» داخِل متجَر مُتعدِّد الأقسام بعد ساعات الإغلاق، وسرق مانيكان ذكر، وأحضره إلى المنزل. وأخبر طبيبًا نفسيًّا شرعيًّا: «لقد مررتُ بتخيُّلات جنسيَّة مُختلِفة معه، مُتظاهرًا بأنه

شخصٌ حقيقي، وبأنني أُمارس الجنس معه، وأستمنِي، وأخلع ملابسه»[(CCLXXXIV)]. انزعجَت جدَّة «دامر» عندما وجدَت المانيكان في غُرفة نوم «جيفري»، وأصرَّت على التخلُّص منه. فحطَّمه إلى قطعٍ صغيرةٍ بمطرقة، وألقاه في سلَّة المُهمَلات، كما فعل مع ضحاياه من البشر. وعلَّق «دامر» على ذلِك فيما بعدُ لاحقًا: «كان من الأفضَل لو أنني اكتفيتُ بالتماثيل، من الأفضَل بكثير».

«إنه مُخيف بكُلِّ تأكيد!»

لم يُترَك «دامر» وشأنه لينغمِس في نزواته وأوهامه المُلتويَة. فقد ظلَّت جدَّته على اتصالٍ دائِم بوالِده، «ليونيل»، الذي جاء إلى «ميلووكي» لرؤية ابنه. واقترح على «جيفري» خطَّة عملٍ لإضفاء معنًى على حياته. ووافق «دامر» بشكلٍ سلبيٍّ على كُلِّ ما اقترحه والِده. وهكذا سجَّله «ليونيل» في بعض الدورات الجامعيَّة، ودفع رسومها الدراسيَّة. وبعد بضعة أسابيع، عَلِم أن «جيفري» لم يحضر تلك الفصول. وعندما سأله، أخبره الأخير أنه لم يستطِع الحضور لأنه وَجَد عملًا مؤقتًا. وكتب «ليونيل» لاحقًا: «في هذا الصدد، أخبرني بالحقيقة، وهو أمر أدهشني بالفعل عندما عَلِمتُ به. فقد أصبَح أكثر المُخادِعين دهاءً، وهو الذي يمزج الباطِل بقليلٍ من الحقيقة. ومع ذلِك، فقد بدت أكاذيبُه غير ضارَّة نسبيًّا. وبدت حياته رغم كُل ما فيها من فوضى وافتقارٍ إلى هدف، لا تزال تبدو غير مؤذِية بشكلٍ أساسي. فبالنِسبة لكُل ما فعله «جيف»، على الأقل على حدٍّ علمي، لم يؤذِ أحدًا سوى نفسه، ولم يكُن لديّ أي سبب للاعتقاد بأنه سيفعل غير ذلِك»[(CCLXXXV)]. وفي يونيو 1987، خدَّر «دامر» واغتصَب ضحاياه في غُرفةٍ خاصَّةٍ في حمَّامات النادي. ولم يستطِع أحد إنعاش أحد ضحاياه، وكان لا بُد من نقله إلى المُستشفى، ومُنِعَ «دامر» من دخول الحمَّام.

ويدَّعي «دامر» أنه عانى طوال هذه السنوات من الشعور بالذنب والندَم على قتله العفوي لـ «ستيفن هيكس» عام 1978. وحاول إصلاح نفسه بتبنِّي حياة مُنضبِطة مثل الخدمة في الجيش أو حضور الكنيسة أيام الأحد مع جدَّته. وعلى مدار تسع سنوات، لم يقتُل «دامر» أي شخصٍ على حدٍّ علمِنا، وتمكَّن من السيطرة على شياطينه وأوهامه.

لكِن ضبط نفس «دامر» كان على وشك الاختفاء. فقد قُبِضَ عليه يوم 8 سبتمبر 1986، للتجرُّد من ملابسه أمام صبِيَّين في حديقة «ميلووكي».

وكان أحد شروط إطلاق سراحه بكفالةٍ هو خضوعه لاستشارةٍ نفسيَّةٍ بشأن الانحراف الجنسي والسيطرة على انفعالاته، وأحالته المحكمة إلى عُلماء النفس، الذين خلص أحدُهم إلى أن «دامر»: «يُمكِن أن يُصبِح مريضًا نفسيًّا مُنحرفًا «مُعتلًّا اجتماعيًّا» يُعاني من ميول فصاميَّة. وسيستمِر سلوكه المُنحرِف على الأقل بشكلٍ من الأشكال إن لم يتفاقَم. ودون نوع من التدخُّل الداعِم له، من المُحتمَل أن تكون دفاعاته غير كافية، وقد ينجذِب لتعاطي المزيد من المُخدِّرات، مع احتمالية زيادة المازوخيَّة، أو الميول والسلوكيات الساديَّة». وكتبَت أخرى في تقريرها: «لا شك في هذا الوقت أنه مُصاب باضطراب الشخصيَّة الفِصاميَّة، وقد تظهَر عليه ميول جنون العظمة بشكلٍ ملحوظ. إنه مُخيف بكُلِّ تأكيد!»[(CCLXXXVI)].

علمًا بأن اضطراب الشخصيَّة الفِصاميَّة هو تشخيص ظهر غالبًا في تقييمات القتلة المُتسلسِلين منذ «أربعينيَّات» القرن العشرين. ويُقال إن أعراضه هي عدَم الاهتمام بالعلاقات الاجتماعيَّة، والميل نحو نمَط حياةٍ انعزالي، والسريَّة، والبرودة العاطفيَّة، والانفصال، واللامُبالاة. وقد يكون المُصابون به غير قادرين على تكوين علاقاتٍ حميمية مع الآخرين، وفي نفس الوقت يمتلِكون عالمًا خياليًّا داخليًّا غنيًّا ومُتقنًا ولكِنه حصريّ[(CCLXXXVII)].

جريمة القتل الثانيَة

في 21 نوفمبر 1987، تغيَّر كُل شيءٍ بالنِسبة لـ «دامر»؛ مرَّة أخرى. ذهب «دامر» للتجوُّل في حانات المِثليين، بعد أن حجز غُرفةً في فُندق، كما فعل عدَّة مرَّات من قبل، ليجلِب رفيقًا يُمارِس معه الجنس طوال الليل. لم يُحالِفه الحظ في الحانات، ولكِن بعد وقت الإغلاق، التقى بـ «ستيفن تومي»، البالِغ من العُمر خمسةً وعشرين عامًا، أثناء انتظاره للحافِلة. ووافَق «تومي» على الذهاب مع «دامر» إلى غُرفته في فُندق «أمباسادور». ووفقًا لتقرير مُقابلة الشُّرطة:

«خلع كُلٌّ منهما ملابسه، واستلقَيا على السرير. ومارسا في ذلِك الوقت ما أسماه «دامر» بـ «الجنس المُخفَّف»، وهي كلمة استخدمها لوصف العِناق والتقبيل وتبادُل الاستمناء. وبعد حوالي ساعة أو ساعتَين، أعدَّ «دامر» مشروبًا لـ «تومي»، ودسَّ فيه بعض الحبوب المنوِّمة. شربه الأخير، وسقط غافيًا. استمرَّ «دامر» في الشُّرب، حتى غطَّ نائِمًا بدوره. وذكر «دامر» أنه استيقظ ليجِد نفسه مُستلقيًا فوق «تومي»، وساعداه مُصابان بكدماتٍ واضحة. ثُم انتبه لحقيقة أن «تومي» كان ميتًا بشكلٍ لا لبس فيه. فقد نزف من رأسه، وتهشَّم صدره، وكُسِّرَت بعض عظامه. حمله «دامر»، ووضعه في خزانة غُرفة الفُندق، وجلس لبضع ساعاتٍ مُحاوِلًا معرِفة ما يجِب عليه فعله.

وبحلول الظهيرة تقريبًا، ذهب إلى «جراند أفينيو مول»، واشترى حقيبة سفر كبيرة بعجلات، وعاد إلى الفُندق. وخلال ذلِك الوقت، رُبما يكون قد تناوَل بعض البيرة، وغادَر غُرفة الفُندق لتناوُل الطعام. وفي حوالي الساعة الخامِسة مساءً، عاد إلى غُرفة الفُندق، ووَضَع «تومي» في الحقيبة الكبيرة. وذكر أنها كانَت ضيِّقة للغاية، لكِنه تمكَّن من إدخاله فيها. كما ذكر أنه استأجر الغُرفة لليلةٍ أخرى، وبقِيَ في الغُرفة في تلك الليلة حتى الساعة الواحِدة صباحًا.

وفي ذلِك الوقت، غادَر الغُرفة بالحقيبة، واستقلَّ المصعَد إلى الطابِق الأرضي. أشار لسيارة أجرة، وعند اقترابه منها، طلب من سائِقها مُساعدته في وضع الحقيبة في المقعد الخلفي للسيَّارة. ثُم استقلَّ السيَّارة إلى منزِل جدَّته»[(CCLXXXVIII)].

وقعَت جريمته الثانية، مثل جريمته الأولى التي ارتكبها قبل تسعِ سنوات، بشكلٍ عفويٍّ دون تخطيطٍ مُسبَق. وعلاوةً على ذلِك، فقد ادَّعى أنه لا يتذكَّر جريمة القتل أو دافعه لارتكابها، وهو أمر غريب بالنظر إلى مقدار القوَّة والغضب الذي يتطلَّبه قتل ضحيَةٍ بهذه الطريقة بيدَيه العاريتَين. ومن ناحيةٍ أخرى، حافظ

«دامر» على لياقته البدنيَّة، ورفع الأثقال، وممارسة التمارين الرياضيَّة. لكِننا لن نعرِف القصَّة الكامِلة أبدًا؛ لأنهم لم يجِدوا جُثَّة «تومي» قط.

احتفظ «دامر» بالجُثَّة في قبو الفاكِهة البارِد الخاص بجدَّته لمُدَّة أسبوع. وجاءت عائِلته لتناوُل عشاء عيد الشُّكر، دون أن يعرِفوا أن الجُثَّة في الطابِق السُّفلي. وبعد أن غادر الجميع، وخلدَت جدَّته إلى النوم، تجرَّد من ملابسه، وقطع رأس «تومي» بسكِّين المطبخ، وبقر بطنه، واستخرَج الأمعاء، والأعضاء الداخليّة، وفرَّغ الدم من الجذع في مصرَف القبو. قبل أن يُقطِّع اللحم من الجُثَّة إلى قِطعٍ صغيرة، جمعها في أكياس قمامة بلاستيكيَّة. ولفَّ عظامه في ملاءةٍ قديمةٍ، قبل أن يسحقَها إلى شظايا صغيرة بمطرقةٍ ثقيلة، حيث منعت الملاءة شظايا العِظام من التناثُر في أرجاء القبو.

كان «دامر» في منطِقةٍ نادرًا ما يطؤها حتى مُحقِّقو جرائِم القتل المُخضرَمون. وأكَّد لهم أنه لم يكُن هُناك أي شيءٍ جنسي في كونه عاريًا أثناء تقطيع أوصال ضحاياه.

وذكر أنه لطالما تجرَّد من ملابسه قبل أن يُقطِّع أوصال ضحاياه، وأنه لم يكُن يرتدي حذاءً أو جوارِب أو أي ملابِس من أي نوع. وأنه لم يكُن يفعل ذلِك في الواقِع بحثًا عن الإشباع الجنسي، بل ببساطةٍ هذا ما اقتضته منه مُهِمة تقطيع وبتْر أوصال ضحاياه، لأنها كانت فوضويَّة للغاية، ولم يكُن يرغَب في أن تتلطَّخ ملابسه بالدِّماء وسوائِل الجسد(CCLXXXIX).

وَضَع «دامر» أكياس اللحم مع قمامة اليوم التالي، ولكِنه احتفظ برأس «تومي».

اتصل «دامر» بمتجر «إيس» للخردوات، طالبًا النصيحةَ حول كيفيَّة إزالة اللحم عن جُمجُمة أرنَب. وأوصاه المتجَر بغليها في «سويلاكس»، وهو مُنظِّف شهير لا يحتوي على أي مواد صلبة للجدران والأرضيَّات والبلاط والأخشاب، قُدِّم لأول مرَّة في عام 1934. «أخطأت الشُّرطة في تقاريرها، وكتبت «سويليكس»، وهو مُنتج مُختلِف، مُنظِّف يُنتَج في «كينيا»، وهو ما يُربِك كُتَّاب الجرائِم الحقيقيَّة حتى يومِنا هذا. لكِن صور مسرح الجريمة أكَّدَت وجود صناديق من الـ «سويلاكس»، علمًا بأنهم أوقفوا إنتاج هذا المُنظِّف في عام 2005».

ووفقًا لمُلاحظات مُقابلة الشُّرطة:

«لقد ذكر أن هذا المحلول ساعده على تحويل المُخ إلى مادةٍ طريةٍ، كما أنه بعد ساعة واحِدة تقريبًا من الغليان، تُصبِح الفقرة العلويَّة الموجودة في منطِقة العُنق رخوة، ويُمكِن إزاحتها. وفي هذا الوقت، كان يستخدِم ملعقةً أو أداة تقديم كبيرة للحفر في الجُزء الخلفي من الجُمجُمة، واستخراج المُخ الذي تحوَّل إلى مادةٍ رخوة. وبعد استخراج المُخ، والتخلُّص منه في المرحاض، كان يضع الجُمجمة مُجدّدًا في الماء المَغلي، ويَغليها جيِّدًا حتى تُصبِح خاليةً تمامًا من أي لحمٍ أو شعرٍ أو مُخاط أو مواد دِماغيَّة»(CCXC).

وبعد ذلِك، استمنى «دامر» بالجُمجُمة، التي أفرط في طهيها في محلول الـ «سويلاكس»، حتى أصبَحَت في النهاية هشَّة للغاية، فاضطرَّ إلى تدميرها. وفي ظلِّ غياب أي دليلٍ مادي، اختارَت الشُّرطة عدم اتهامه بقتل «تومي».

الإلغاء النفسي للخلاص

بعد شهرين، في يوم السبت الموافِق 16 يناير 1988، استدرَج «دامر» ضحيَّته الثالِثة، «جيمس إدوارد دوكستاتور»، البالِغ من العُمر أربعة عشر عامًا، إلى منزِل جدَّته بحجَّة الحصول على خمسين دولارًا مُقابِل التقاط صورٍ فوتوغرافيَّة ومُشاهدة بعض مقاطِع الفيديو. لكِن «دوكستاتور» أخبر «دامر»، بعد مُمارسة الجنس، أنه بحاجةٍ للعودة إلى المنزل. وهذا ما كتب كلمة النهاية في حياته. لأن «دامر» أعدَّ له فنجانًا من القهوة، مزجها بقليلٍ من ويسكي «بيليز آيريش كريم»، وسحق فيها بعض أقراص «هالسيون» المنوِّمة. شرب «دوكستاتور» الخليط، وسُرعان ما غطَّ في نومٍ عميقٍ بين أحضان «دامر» الذي غرق في سماع دقَّات قلبه. وفي وقتٍ لاحق، وضَّح دامر قائِلًا: «تملَّكتني رغبة مُستمِرَّة لا تخمد نيرانها في أن أحظى بشخصٍ ما مهما كان الثمن، شخص وسيم، وجميل المظهر حقًّا، وسيطر ذلِك على أفكاري طوال الوقت، وتأجَّجت نيرانه خلال السنوات التي عشتها مع جدَّتي. كانَت نيران رغبتي طاغية للغاية، لا تعرِف الرحمة، وعرَفت أن جدَّتي سُرعان ما ستستيقِظ من نومِها، وأنني ما زلتُ أريده أن يبقى معي؛ ولذلِك خنقته».

خزَّن بعدها جُثَّته في قبو الفاكهة. وفي اليوم التالي، أثناء تواجُد جدَّته في الكنيسة، حمل «دامر» الجُثَّة إلى غُرفة نومِه، وداعبها، وقبَّلها، ومارس معها الجنس. وفي كُل يومٍ بعد عودته من عمله، كان يحتضِن الجُثَّة ويُجامِعها. وبحلول نهاية الأسبوع، اشتكت جدَّته من انبعاث رائِحة كريهة من القبو، لكِنه أخبرَها أن السبب ما هو إلا صندوق فضلات القطط، وأنه سيهتم بالأمر. وفي يوم الأحد التالي، أثناء وجود جدَّته في الكنيسة، دمَّر جُثَّة «دوكستاتور» بنفس الطريقة التي دمَّر بها جُثَّة «تومي». وغلى رأسه في مُنظِّف «سويلاكس»، واحتفظ بالجُمجمة لبضعة أسابيع أخرى للاستمناء بها. ومُجدَّدًا، أفرط في طهي الجُمجمة حتى هشَّت، وهكذا اضطُرَّ للتخلُّص منها بعد بضعة أسابيع.

وبعد قتله لثلاثة ضحايا، أصبَح «دامر» الآن قاتِلًا مُتسلسِلًا وفقًا لتعريف أي شخصٍ كان.

وكتب القاتِل المُتسلسِل «إيان برادي»، الذي قتل مع شريكته «ميرا هيندلي»، والشهيرَين بلَقَب «قاتلي مورز»، خمسة أطفال وشباب في بريطانيا العُظمى في «الستينيَّات»، لاحقًا عن أهمية جرائِم القتل الثلاث الأولى لأي قاتِل مُتسلسِل:

«لن تحمِل تجرِبة القتل الأولى أقوى عنصُرٍ من عناصِر الجد والفضول الوجودي فحسب، بل ستحمِل بين طيَّاتها أعظم عنصُرٍ من عناصِر الخطر والخوف الذي يستحضِره المجهول. وعادةً ما ينغمِس القاتِل المُتسلسِل المُبتدئ من رأسه حتى أخمص قدمَيه في التحديات النفسيَّة والقانونيَّة لجريمة القتل الأولى، ناهيك عن اللوجستيَّات المُباشرة – أي العمل البدني الذي ينطوي عليه القتل وعملية التخلُّص من الجُثَّة. وبالتالي، فعادةً ما لا يكون في وضعٍ يسمَح له بتكوين تقديرٍ مُنفصِل للتعقيدات المؤلِمة التي تعصِف بحواسِّه.

ويُمكِنك، في كثيرٍ من الحالات، وصف التجرِبة بأنها حالة صدمة فعَّالة. لأنه، في نهاية المطاف، يقتحِم التكييف الاجتماعي الذي ساد طوال حياته، ويُعلِن الحرب على كُل قوى المُجتمَع المُنظَّمة والحاكِمة. وفي

إنهائه لحياة شخصٍ ما، فإنه يُنهي حياته بدوره، ولا يمتلِك الوقت للتوقّف والتحديق في ساحة المعركة النفسيَّة الخطِرَة.

وبمعنى آخر شديد الدلالة، فهو يقتل نفسه التي طالما قبِلها مثلما يقتُل ضحيته، وفي الوقت نفسه.. تُولَد شخصية جديدة، ويقطَع الصِّلة السريَّة بينه وبين البشر العاديين بشكلٍ حاسم.

وبعد قتاله لنفسه السابِقة، وانتصاره عليها، يستعرِض القاتِل المُتسلسِل الجديد قواه المُكتشفة حديثًا بثقةٍ أكبر. وستحتوي عملية القتل الثانية على نفس المساوئ والعناصِر المُشتِّتة للانتباه التي احتوَت عليها الأولى، ولكِن بدرجةٍ أقل. وهو ما يسمَح باستيعاب التجرِبة بشكلٍ أكثر موضوعيَّة. كما أنه يُعزِّز شعورًا موسَّعًا بالقُدرة المُطلَقة، وبرؤيةٍ واسِعة الزاوية لرُقعة الشطرنج الميتافيزيقيَّة.

في كثيرٍ من الحالات، فإن عُنصر الجمالية الرفيعة في الجريمة الثانية سيترُك انطباعًا تكوينيًّا أكثر من الأولى، ورُبما من أي انطباعٍ آخر في المُستقبل. حيث إنه لا يُمثِّل فقط طقوس التثبيت، بل يُمثِّل أيضًا قفزةً كاشِفة لانعدام الإيمان بالإنسانيَّة، وكذلِك بداية الإدمان على عدميَّة المُتعة.

وهذا هو الإلغاء النفسي للخلاص[(CCXCI)]».

في 24 مارس 1988، اصطحب «دامر» «ريتشارد جيريرو»، البالِغ من العُمر اثنين وعشرين عامًا إلى منزل جدَّته، حيث مارسا الجنس قبل أن يُخدِّره «دامر» ويخنقه ويتخلَّص من جُثَّته بسُرعةٍ قبل أن تشتكي جدَّته من الرائِحة. لكِنها اشتكَت على أي حال، بسبب رائِحة المواد الكيميائيَّة الحمضيَّة في المرآب والطابِق السُّفلي، والتي استخدمها «دامر» لتليين اللحم لتسهُل إزالته. لم يحتفِظ بأي جُزءٍ من أجزاء «جيريرو». وقام بمحاولةٍ أخيرةٍ لمُقاومة «إلغاءه النفسي للخلاص». وتمكَّن من الامتناع عن القتل لمُدَّة عامٍ بعد قتل «جيريرو». ورُبما كان ذلِك خيارًا فكريًّا وأخلاقيًّا لمُقاومة القتل، أو رُبما كان ذلِك ببساطةٍ بسبب وجود جدَّته في الجوار، وتذمُّرها المُستمِرّ من الرائِحة المُنبعِثة من القبو. وقد فاتحه والِده في الأمر، فأخبره «جيفري» أنه كان يُجرِّب إذابة الحيوانات في موادَّ كيميائيَّةٍ مُختلِفة. لم ينزعِج والِده الذي اعتاد على «تجارِبه الكيميائيَّة» منذ طفولته. لكِن جدَّته امتلكَت شكوى أخرى؛ فقد جلب «جيفري» أشخاصًا إلى منزلها في وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل، ولطالما أزعجها ذلِك. وفي 25 سبتمبر 1988، انتقل «جيفري» إلى شقَّةٍ خاصَّةٍ به في شُقق «فيلدجز» في 808 شمال شارِع 24، على بُعد مبنًى واحِدٍ من شُقق «أكسفورد»، مسرَح سلسِلة جرائِمه الأخيرة.

«لا بُد من اعتباره متهوِّرًا وخطيرًا»

بعد ظُهر اليوم التالي، التقى «دامر» بطالِب مدرسة «ميلووكي» الثانوية للفنون «سومساك سينثاسومفون»، البالِغ من العُمر ثلاثةَ عشر عامًا، في الشارِع، والذي ينحدِر من عائِلةٍ كبيرةٍ من اللاجئين اللاوسيين[(17)]. عرض عليه «دامر» خمسين دولارًا ليتموضَع عاريًا لالتقاط بعض الصور الفوتوغرافيَّة. عادا إلى شقَّته الجديدة، حيث قدَّم له «دامر» كوبًا من القهوة الممزوجة بقليلٍ من ويسكي «بيليز آيريش كريم» وأقراص «هالسيون» المنوِّمة المسحوقة. وبعد ذلِك، تموضَع «سومساك» عاري الصدر على سرير «دامر»

لالتقاط بعض الصور الفوتوغرافيَّة. وعندما حاول الأخير مُداعبته، قفز وارتدى قميصه مرَّة أخرى، وأخبر «دامر» أن الوقت قد حان لمُغادرته. لكِنه طلب منه أن يجلِس معه لبضع دقائِق أخرى حتى يتمكَّن من «الاستماع إلى قرقرة معدته». رُبما كان يُحاوِل مُماطلته لفترةٍ كافيةٍ حتى يبدأ مفعول المُخدِّر في التأثير. امتثل «سومساك» لطلبه، ولكِن عندما بدأ «دامر» في تقبيل ولعق بطنه من سُرَّته إلى أعلى فخذه، نهض وأخذ حقيبته المدرسيَّة وغادَر. ذكَّره دامر بتقاضي الخمسين دولارًا التي استحقَّها، كما طلب منه ألا يُخبِر أحدًا عن لِقائهما. وبحلول الوقت الذي وَصَل فيه «سومساك» إلى منزِله، شعر بالغثيان من آثار المُخدِّرات. وعندما بدأ يُواجِه صعوبة في الحفاظ على وعيه، نقلته عائِلته إلى المُستشفى، حيث كشف عن تفاصيل اللِّقاء الذي جمعه بـ «دامر».

اتُّهِمَ «دامر» بالاعتداء الجنسي من الدرجة الثانية، وبإغواء طفلٍ لأغراض غير أخلاقيَّة. وكانت هذه تُهمًا خطيرة، مُقارنةً بتُهمِه السابِقة. وخلص أحد الأطِبَّاء النفسيين الذين عيَّنتهم المحكمة إلى أن «دامر» كان «رجلًا يُعاني من مشاكِل نفسيَّة شديدة، ولا شك أنه بحاجةٍ إلى علاجٍ نفسيٍّ طويل المدى». ووكَّل والِده مُحاميًا، والذي استعان بطبيبٍ نفسيٍّ للحصول على رأيٍ ثانٍ. وكان رأي الطبيب النفسي للدِّفاع أكثر قسوةً من استنتاج الادِّعاء، حيث قال: «لن يظهر للآخرين عُمق أو شدَّة أو مدى مرَضِه، وقد لا يأخُذ الآخرون سلوكياته على محمَل الجد، كما ينبغي لشابٍّ مُضطربٍ بشدَّة، ويبدو أن الضغط الذي يشعُر به يتزايَد.. ولا بُد من اعتباره متهوِّرًا وخطيرًا».

وعلى ما يبدو، فقد كانت هذه هي المرَّة الأولى التي يعترِف فيها «جيفري» ووالِده بأنه مِثلي الجنس، فقد أصرَّ والِده على أنه لم يكُن لدَيه أي فكرة. وفي هذه الأثناء، عاد «دامر» إلى منزِل جدَّته.

وفي 30 يناير 1989، أقرَّ «دامر» بذنبه، وحُكِمَ عليه بالسجن لمُدَّة ثماني سنوات، ولكِن بما أن هذه كانَت أول إدانةٍ خطيرة له، وأنه أعرَب عن ندَمِه، فقد خُفِّفَ الحُكم إلى الاحتجاز لمُدَّة عامٍ واحِد مع وضعه تحت المُراقبة لمُدَّة خمس سنوات. وهو ما يعنِي أن بإمكانه الاحتفاظ بوظيفته في مصنع الشوكولاتة، والعودة إلى السجن ليلًا. وكان من المُقرَّر أيضًا أن يتلقى علاجًا نفسيًّا للتعامُل مع ارتباكه الجنسي، وإدمانه على الكحول.

«لقد أحبَبتُه بشكلٍ خاص»

بعد عام تقريبًا من اليوم الذي قتل فيه «جيريرو»، أي يوم 25 مارس 1989، التقى بـ «أنتوني لي سيرز»، الأمريكي من أصل أفريقي، البالِغ من العُمر أربعةً وعشرين عامًا. أخبر «دامر» المُحقِّقين الذين أجرَوا معه مُقابلة أنه لم يقتُل أحدًا منذ أكثر من عامٍ كامل. وقد خَرَج في تلك الليلة لتناوُل بعض المشروبات دون تخطيطٍ لمُقابلة أي شخصٍ أو إجراء لقاءات جنسيَّة. كما قال إن «سيرز» قد غازله بقوَّة أثناء مُغادرته للحانة. وأنهما قد انسجما معًا. وأن «سيرز» تمتَّع بشَعرٍ مُجعَّد جميل، مُصفَّف في ذيل حُصانٍ قصير مُثبَّت بشريطٍ مطَّاطي، وهو ما وجده جذَّابًا وفاتنًا للغاية. أخبره «دامر» أنه في زيارةٍ قادمًا من «شيكاغو»، وأنه يُقيم مع جدَّته. فاقترَح عليه «سيرز» الذهاب إلى منزِلها لقضاء ليلة جامحة.

أوصلهُما صديق لـ «سيرز»، الذي انهمك في تقديم الجنس الفموي لـ «دامر» في المقعد الخلفي للسيارة، إلى منزِل الجدَّة. حتى إن الأخير فوجئ بمدى شهوته الجنسيَّة تجاهه. وقال: «لقد كانت مُفاجأة، لم أكُن أعتقِد أنه كان مُتلهِّفًا لهذه الدرجة»[(CCXCII)].

تسلَّل «دامر» و«سيرز» إلى منزِل الجدَّة بهدوءٍ في تمام الساعة الثالِثة من صباح يوم الأحد، ولمسا بعضهما بعضًا في المطبخ، قبل أن يصحبه «دامر» إلى غُرفة نومِه، حيث مارسا الجنس الفموي، والذي كان رائِعًا. أُعجِب به «دامر» حقًّا، بل ويُمكِن القول إنه قد أُغرِم به. وكان بإمكانه فِعل ذلِك طوال الليل والنهار؛ إلى الأبد. وسأله هل سيبقى، أم سيعود لاحقًا؟ وأجابه «سيرز» بالنفي، فقد توجَّب عليه الذهاب، ولم يكُن يُخطِّط للعودة كذلِك.

قبَّله «دامر» بلُطفٍ، وأخبرَه أنه سيُعِد له مشروبًا دافئًا لطيفًا من أجل الطريق. وبهدوء، كيلا يوقِظ جدَّته، توجَّه إلى المطبخ، وأعدَّ لضيفه قهوته المُعتادة، الممزوجة بقليلٍ من ويسكي «بيليز آيريش كريم»، وسحق فيها سبعة أقراصٍ «هالسيون».

شرب «سيرز» بامتنانٍ كوب القهوة الدافئ المُنعِش، بينما عانقه «دامر» عِناق الوداع الطويل، واضعًا رأسه على صدر «سيرز»، مُستمِعًا إلى نبضات قلبه وهو يفقِد وعيَه بشكلٍ تدريجيّ. احتضنه «دامر»، وعانقه، وداعبَه، ثُم خنقه بينما غطَّت جدَّته في نومٍ عميقٍ وهي تحتضِن كتابها المُقدَّس. كان صباح أحد الفصح.

وعرَف «دامر» أنها ستغيب في الكنيسة لفترةٍ أطول من المُعتاد.

وعندما استيقظَت لإعداد وجبة الإفطار، انضمَّ «دامر» إلى جدَّته على المائِدة، وبعد رؤيتها تُغادِر إلى الكنيسة، عاد لمُمارسة الحُبِّ مرَّة أخرى مع الجُثَّة، التي كانت لا تزال دافِئة إلى حدٍّ ما. (بعد الوفاة، تفقِد الجُثَّة درجة ونصف فهرنهايت، أي ما يُعادِل 0.83 درجة مئويَّة كُلَّ ساعة تقريبًا)، لكِنها كانت تحت أغطية السرير. وعندما انتهى، حمَلَ الجُثَّة إلى الحمَّام، وذبحها في حوض الاستحمام، حيث صفَّى الدِّماء، وقطَّع الأطراف، ثُم قطَّعها إلى أجزاء، بعد سلخ اللحم عن العِظام، وتقطيعه إلى قطعٍ صغيرةٍ يُمكِن وضعها في أكياس القمامة، مُنفصِلةً عن العِظام، التي سيسحقها ويُهشِّمها لاحقًا بمطرقة جدَّته.

ثُم فصل الرأس، وقطع الأعضاء التناسُليّة، وألقاها في كيسٍ بلاستيكيٍّ مُنفصِل.

ورغم أن «سيرز» كان ضحيته الخامِسة منذ عام 1978، إلا أنه كان أول ضحيَّة يحصُد أجزاءً من جسده ويحتفِظ بها معه. ورُبما كان كذلِك أول حُبٍّ حقيقي يسقُط «دامر» في غرامه بعد موته. فقد قال لاحقًا: «لقد أحبَبته بشكلٍ خاص». وكان «سيرز» سيبقى معه إلى الأبد، أو على الأقل مع رأسه وأعضائه التناسُليَّة. لكِنَّ المُشكِلة تمثَّلت في كيفيَّة الحفاظ على اللحم من التعفُّن.

في صباح اليوم التالي، اتصل «دامر» بموظَّفي متجر «إيس» للخردوات المُتعاوِنين، للحصول على نصيحةٍ حول أفضَل سُبل الحِفاظ على اللحم مع العظم من أجل التحنيط. ونُصِحَ باستخدام الأسيتون، وهكذا اشترى «دامر» برميلًا بلاستيكيًّا سعة عشرة جالون بغطاء قابِل للغلق، ووَضَع الرأس والأعضاء التناسُليَّة بداخله، ثُم ملأه بالأسيتون، وَوَضعه في الجُزء الخلفي من خزانة غُرفة نومِه لمُدَّة أسبوع. وعندما فتحه

وفرَّغه، وَجَد الرأس والأعضاء التناسُليَّة محفوظة بلحمِها. ولإضفاء المزيد من الحيويَّة عليها، استخدم «دامر» مساحيق التجميل لطلاء بعض ألوان اللحم على أجزاء الجسم. ثُم جامع الرأس ولمسه وفركه أثناء استمنائه. ولكِن بعد بضعة أسابيع، بدأ الجلد حول الرأس بالانكماش والتراجُع. وكان من المُقرَّر أن يبدأ «دامر» في قضاء لياليه خلف قُضبان السجن، وشعر بالقلق من تركه للرأس في منزِل جدَّته. وهكذا وضعه هو والأعضاء التناسُليَّة في علبة مكياج، وخزَّنها في خزانته في مصنع الشوكولاتة. وبعد إطلاق سراحِه من الاحتجاز الليلي، استعاد «دامر» علبته من الخزانة، لكِنه اكتشف أن الرأس قد بدأ في التعفُّن. وقبل أن ينزع اللحم المُتحلِّل من الجُمجمة بمُنظِّف «سويلاكس»، سلخ فروة الرأس حول ذيل الحُصان الذي صفَّف به «سيرز» شعره، واحتفظ به كطوطمٍ مُقدَّس لحُبِّه الأبدي. لاحقًا، عثرت الشُّرطة على جُمجمة «سيرز» وأعضائه التناسُليَّة في خزانة ملفات «دامر» السوداء في غُرفة نومه. والذي قال عنه لاحقًا لطبيبٍ نفسي: «لو كان بإمكاني الاحتفاظ به لفترةٍ أطول، الجسد بأكمله، لفعلت». يبدو أن الحُب الحقيقي ليس له حدود.

«كان كُلُّ شيءٍ عبارة عن طين، طين أسود»

بعد انتهاء عقوبته، سئِمَت جدَّته من الروائِح الكيميائيَّة، وفي 14 مايو 1990، انتقل «دامر» إلى شُقق «أكسفورد»، مُصطحِبًا معه جُمجمة «سيرز» وأعضاءه التناسُليَّة المَطليَّة. وبعد قتله لخمسة رجال، أصبح الآن آمِنًا في مسلخه الخاص، وفي الأشهُر الأربعة عشر التالية، قتل «دامر» وشوَّه اثنتَي عشرة ضحيَّة أخرى في حمَّام دمٍ مُتصاعِد.

وفي يوم 20 مايو 1990، استدرج «دامر» بائِع الهوى «ريموند سميث»، البالِغ من العُمر اثنَين وثلاثين عامًا، والمُلقَّب بـ «كلاش – دي»، إلى شقَّته، وخدَّره وخنقه بالطريقة المُعتادة. كان «سميث» هو أول ضحاياه العديدة التي أكل لحمَها البشري. ونصَّت مُذكِّرة مُقابلة الشُّرطة معه بشكلٍ مُقتضبٍ على ما يلي: «استمرَّ «جيف دامر» في سرد أنه أخبرَنا في البداية إنه لم يأكُل سوى عضلة ذراع إحدى ضحاياه. وذكر أنه في أوقاتٍ أخرى أكل فيها جُزءًا من ضحيته. وأن المرَّة الأولى التي فعل فيها ذلِك كانَت مع ضحيته الذي عرَّفه باسم «كاش – دي»، (وهو «ريموند سميث»، الضحية الخامسة في «ميلووكي»). وذكر أنه أكل قلبه، وأن طعمه كان إسفنجيًّا نوعًا ما»[(CCXCIII)].

كان «دامر» قد اشترى مؤخرًا طاوِلة سوداء بقصد تحويلها إلى مذبحٍ لضحاياه، حيث خطَّط لتزيينها بأجزاءٍ من أجسادهم. (ولاحقًا، وَضَع عليها حوض أسماكه). واشترى كاميرا بولارويد، استخدمها لالتقاط صور ضحاياه في أوضاع وحالات تقطيع أوصالهم المُختلِفة. وكتب «براين ماسترز» في سرده لقضية «دامر»:

«لقد صنع، بطريقةٍ ما، صورَه الإباحيَّة الخاصَّة، كما لو كانت صورة الجمال أكثر إغراءً من الجمال ذاته. ويُعَد هذا بمثابة القول بأن الخيال – الراسِخ، والمنحوت، والقابِل للتحكُّم، وغير المُهدِّد – قد أصبح في النهاية أكثر أهميَّةً من الواقِع. كما أن ذلِك كان أكثر تحفيزًا؛ ففي حين استحال على «دامر» الوصول إلى النشوة

الجنسيَّة مع الشَّركاء الذين قابلَهم في حمَّام «يونيكورن» في «شيكاغو»، استطاع الوقوف فوق جُثّة «كاش – دي» والاستمناء. وترجَمت الكاميرا هذا الواقِع إلى خيال، واحتفل بوصوله إلى النشوة الجنسيَّة»[(CCXCIV)].

هذه المرَّة، فعل «دامر» شيئًا جديدًا بجُمجمة الضحيَّة بعد غليان اللَّحم. فقد اشترى من أحد متاجِر المُستلزمات الفنيَّة بعض طلاء الجرانيت المُقلَّد، من أجل إضفاء مظهرٍ صناعي على الجماجِم، فقط في حالةِ لو رآها أحد. وعثرت الشُّرطة على ثلاثٍ من هذه الجماجِم المطليَّة في شقَّته، واعتقدوا في البداية أنها مُجرَّد جماجِم بلاستيكيَّة مُزخرفة للزينة. وقال دامر لرجال الشُّرطة إنه أراد الاحتفاظ بجماجِم ضحاياه، لأنها مثَّلت له الجوهر الحقيقي لهم. وأنه شعر بضرورة الاحتفاظ بالرءوس؛ على الأقل لن يكون موتُ ضحاياه بمثابة خسارةٍ كامِلة، لأن رءوسهم معه[(CCXCV)].

أراد الاحتفاظ ببعض أجزاء جسد «سميث»، وفي اليوم التالي.. اشترى ثلاجة لحفظها. بتر رأسه، وقطَّع جُثَّته في حوض الاستحمام. وغلى الأجزاء التي لم يرغَب في الاحتفاظ بها لمُدَّة ساعةٍ في غلايةٍ فولاذيَّةٍ ضخمةٍ في الماء ومحلول «سويلاكس». وبعد ذلِك، كشط بقايا اللحم المَغلي الطري من العِظام في حوض المطبَخ. لم يتمكَّن من دقِّ العظام في شقَّته بالمِطرقة كما فعل في منزِل جدَّته. اشترى حاوية قمامة ذات غطاءٍ مُحكَم الغلق، ووَضَع العظام فيها مع محلولٍ حمضي. وقال دامر: «لقد انتظرتُ أسبوعًا أو أسبوعَين، حتى تحوَّلت جميعًا إلى طينٍ في ذلِك الوقت، فأخرجتُها باستخدام سلَّة قمامة أصغر حجمًا، وسكبتُها في المرحاض. كان كُل شيءٍ عبارةً عن طين، طين أسود».

ومرَّة أخرى، أتساءل ما إن كان «دامر» قد قرأ عن «نيلسُن»، وكيف سدَّت دهون أجزاء الجسد التي اعتاد التخلُّص منها في المرحاض الأنابيب، وأدَّت في النهاية إلى اعتقاله. لأن إذابتها في الحمض ستكون خيرَ حلٍّ لهذه المُشكِلة.

«طعمها مثل اللحم البقري أو الفيليه مينيون[(18)]»

شقَّ «دامر» طريقَه خلال جرائِمه الإحدى عشرة التالية في الفترة من مايو 1990 وحتى اعتقاله في يوليو 1991. وفي 14 يونيو 1990، قتل «إدوارد سميث»، البالِغ من العُمر سبعةً وعشرين عامًا، لكِنه أفرَط في تجفيف جُمجُمته في الفرن، واضطُرَّ لرمْيِها. ولم يُعثَر على أي آثارٍ لجُثَّة «إيدي سميث».

وفي يوم 2 سبتمبر، التقى «دامر» بضحيةٍ أخرى وَجَد نفسه مُعجبًا بها، وهو طالِب رقص في الثانية والعشرين من عُمره، يُدعى «إرنِست ماركيز ميلر». ووَقَع «دامر» في غرام الراقِص ذي العضلات المفتولة. الذي وافق على العودة إلى شقَّة «دامر» مُقابِل الحصول على خمسين دولارًا. خدَّره «دامر» حتى فقد وعيَه، ثُم اعتدى عليه جنسيًّا. لكِن «دامر» لم يمتلِك المال الكافي لشراء الحبوب المُنوِّمة، ولم يكُن لدَيه سوى حبَّتين فقط ليضعهما في مشروب «ميلر». (ولعدم قُدرته على تحمُّل تكلِفة إعادة ملء الأقراص المنوِّمة، حاول أن يُفقِده وعيه بضربةٍ من مطرقةٍ مطاطيَّة، لكِن الأمر لم ينجَح. واستيقظ الضحية غاضبًا، ولكِن على قيد الحياة). عبث «دامر» بجسد «ميلر» وكأنه دُميَة جنسيَّة، ولكِنه شعر بالقلق من عدم قُدرته على السيطرة على الشابِّ المفتول

العضلات إن استيقظ. وباستخدام تدريبه كمُسعفٍ في الجيش، حدَّد «دامر» موقِع شريان «ميلر» السباتي في عنقِه، وفتحه بسكِّين، مما أغرق سريره والجدار بالدِّماء. قال «دامر» إنه لم يتمكَّن من تنظيف الحائِط والفراش بشكلٍ صحيح. وبعد مرور عام، لاحظَت الشُّرطة بُقَع الدمِّ الجافِّ على الحائِط خلف سريره، الذي كانت مرتبتُه لا تزال مُشبعةً بالدِّماء الجافَّة.

ثُم وَضَع جُثَّته في أوضاعٍ مُختلِفة، مُلتقِطًا العديد من الصور أثناء تقطيعه للجُثَّة وبتر رأسها في حوض الاستحمام. وفقًا لمُذكِّرة المُقابلة التي أجرتها شرطة «ميلووكي»: «لقد ذكر أن هذا هو الشخص الذي أحبَّه حقًّا. وأشار إلى قيامه بتقطيع قلبه، والاحتفاظ به في الثلَّاجة، بالإضافة إلى عضلةٍ من ذراعه. كما أشار إلى أنه قد الْتهمَ عضلة فخذ هذا الشخص، ولكِنها كانَت قاسيَةً للغاية حتى إنه لم يستطِع مضغها. لذا اشترى مُطرِّي اللحم، واستخدمه لطهيها. وذكر أن طعمها مثل اللحم البقري أو الفيليه مينيون».

وفي 24 سبتمبر 1990، قتل «ديفيد كورتني توماس»، البالِغ من العُمر اثنَين وعشرين عامًا. وقال «دامر» لاحقًا إنه لم يكُن من «نوعه المُفضَّل»، ولكِن على الرغم من ذلِك، الْتقط صورًا للجُثَّة أثناء تقطيعها. لم يُعجبه «توماس»، لذا لم تعثُر الشُّرطة على أي أثرٍ لبقاياه في مجموعة ضحاياه الذين أحبَّهُم.

وفي 18 فبراير 1991، استدرَج «دامر» الشاب «كورتيس دوريل ستراوتر»، البالِغ من العُمر سبعةَ عشر عامًا إلى شقَّته. وعندها أضاف الأصفاد إلى لعبته الخياليَّة، رغم أن ضحاياه الذين فقدوا وعيَهم لم يكونوا بحاجةٍ إلى تقييدِهم. كما أنه غيَّر الطريقة التي اعتاد القتل بها. ففي السابِق، خنقَهم بيدَيه، لكِنه بدأ الآن يخنقهم باستخدام حزامٍ جلديٍّ حتى غرق الحزام في اللعاب والقيء والدم، فاضطرَّ للتخلُّص منه.

وحَصَد جُمجمة «ستراوتر» ويدَيه المقطوعتَين وأعضاءه التناسُليَّة التي عثرَت عليها الشُّرطة في شقَّته.

«تقنِيَة الحفر»

بعد وصول عدد ضحاياه إلى عشر ضحايا، رُبما عانى مرَّةً أخرى من هواجس أخلاقيَّة؛ أو رُبما كانت مُجرَّد مخاوِف عملية. وبدأ يبحث عن طريقةٍ للحفاظ على أحبَّائه دون قتلِهم. وفي 7 أبريل 1991، حاول «دامر» للمرَّة الأولى ما أسماه «تقنِيَة الحفر». واستدرَج «إيرول ليندسي»، البالِغ من العُمر تسعة عشر عامًا، إلى منزِله، وكالعادة خدَّره حتى فقد وعيه. ثُم حفر ثُقبًا صغيرًا في جُمجمته باستخدام مثقاب كهربائي مزوَّد بقطع مقاس 16 وثلاثة أثمان بوصة، وحقن حمض الهيدروكلوريك في دماغه باستخدام مِحقَنٍ عملاق يُستخدَم في طهي الديك الرومي، اشتراه من محل «ليكترز» لمُستلزمات المطبَخ. وكان غرضُه من القيام بذلِك هو تحويل «ليندسي» إلى زومبي جنسي. وأوضَح «دامر» قائِلًا: «لم أكُن أرغب في الاستمرار في قتل الناس، دون أن يتبقَّى لي شيء سوى جماجمهم».

لكِن الأمر لم ينجَح. وعندما استعاد «ليندسي» وعيَه، اشتكى من الصُّداع. فخدَّره «دامر» مُجدَّدًا وخنقه. وقرَّر «دامر» سلخ رأسه المقطوع، ووفقًا لمُلاحظات الشُّرطة:

«ذكر «دامر» أن جلد الإنسان انسلخ بسهولة، وأن ذلِك أشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الطريقة التي يسلُخ بها المرء الجلد عن الدجاجة التي ينوي طبخها. وبعد إجراء الشقِّ الأوَّلي، يُمكِنه سحب الجلد والنسيج العضلي للجسم بسهولة. وكانت المرَّة الوحيدة التي شعر فيها بصعوبة الأمر عند سحب الجلد حول المفاصِل، وعندها استخدم سكِّينًا صغيرًا لقطع الجلد حول الجُزء المفصلي من الجسم بعناية. وفيما يتعلَّق بحقيقة أن الجلد كان يُسلَخ بالكامِل من رأس الشخص المعني، ذكر «دامر» أنه بدأ بشقٍّ في الجُزء السُّفلي من الجُزء الخلفي من الرقبة، وقطعَه حتى أعلى الرأس، أو «تاج الرأس». وفي هذا الوقت يُمكِنه سحب جانبَي الجلد من الشق الجراحي، وسيُسحَب تمامًا من جُمجمة الشخص. والمرَّة الوحيدة التي يحتاج فيها إلى إجراء أي قطعٍ حقيقي ستكون حول ملامح الوجه، وهي العينان والأنف والشفتان والفم. انخلع جُزء الجمجمة بالكامِل من الجلد في قطعةٍ واحدةٍ كاملة، وأثناء خلعه بدا في الواقِع مثل قناعٍ يُمكِن للمرء شراؤه من متجر للحفلات. احتفظ بالجلد وملامح الوجه الشبيهة بالقِناع لهذا الموضوع، وخطَّط لمُعالجتها بمحلولٍ صنعه من الملح والبوراكس. ونقعهما في المحلول لعدَّة أسابيع، ثُم خطَّط لإخراجها وتجفيفها للحِفاظ عليها. أراد الاحتفاظ بالجلد والجُزء الذي يُشبِه القناع من رأس الفرد، إلا أنه استهان بالمزيج القوي من البوراكس والملح. بعد عدَّة أسابيع في المحلول، تحوَّل الجلد إلى مادةٍ طريةٍ تُشبِه الطين، ولم يكُن من المُمكِن الاحتفاظ به، وكان لا بُد من التخلُّص منه»[(CCXCVI)].

وعُثِرَ على جُمجمة «ليندسي» المطليَّة في شقَّة «دامر».

من الواضِح أن «دامر» كان قد خرج عن المسار المُظلِم، في مكانٍ ما بين العصر الحجري، وبين جنون «إد جين». وفي الشهرَين الأخيرَين، دخل «دامر» في حالةٍ من هيَجان القتل، حيث قتل ستَّ ضحايا، وقتل آخِر ثلاثٍ منهم على مدار أربعة عشر يومًا من شهر «يوليو». وفي 24 مايو، استدرج «أنتوني هيوز»، البالِغ من العُمر واحدًا وثلاثين عامًا، وهو أصمُّ أبكم. وتبادَل «دامر» و«هيوز» المُلاحظات المكتوبة بينهما بينما أقنعه «دامر» بالعودة معه إلى شقَّته مُقابِل الحصول على خمسين دولارًا. أوصَلهما أصدِقاء «هيوز» إلى شقَّة «دامر»، أثناء تبادُلهما للمُلاحظات في الجُزء الخلفي من السيَّارة. وبعد أن خدَّره وقتله، احتفظ بجُثَّته في غُرفة نومِه لأيامٍ دون تقطيعها.

وفقط عندما يظُن المرء أن هذه الرواية لا يُمكِن أن تُصبِح أكثر انحرافًا مما هي عليه بالفعل، فإنها تأخُذ مُنعطفًا مريضًا آخر. أحضر «دامر» ضحيته التالية إلى الشقَّة، وجُثَّة «هيوز» لا تزال في غُرفة نومه.

«لا يُمكِنني فعل أي شيءٍ حيال الميول الجنسيَّة لشخصٍ ما في الحياة»

في 27 مايو، أي بعد ثلاثة أيام من قتل «هيوز»، التقى «دامر» بالصُّدفة البحتة بـ «كونيراك سينثاسومفون»، البالِغ من العُمر أربعة عشر عامًا. وهو الشقيق الأصغر للَّاجئ اللاوسي «سومساك سينثاسومفون»، الذي نجا بصعوبةٍ من اعتداء «دامر». وافق «كونيراك» على التموضُع من أجل صورٍ

فوتوغرافيَّة في شقّة «دامر». وعادا إلى الشقّة، ووَقف «كونيراك» على الأريكة، غير مُدرِك لوجود جُثّة عُمرها ثلاثة أيام في غُرفة النوم. تناوَل الشاب الشراب المُخدِّر، وفقد وعيَه أثناء اعتداء «دامر» عليه جنسيًّا. ثُم حفر «دامر» ثُقبًا في جُمجمته على بُعد ثلاثة أرباع الطريق إلى الجُزء الخلفي من جُمجمته، مائِلًا إلى الأمام. بقصد الوصول إلى ما وراء الفص الجبهي، لكِنه لم يتمكَّن من الوصول إلى تشريح الدِّماغ. ثُم أدخل المِحقن بعُمق بوصتَين في الجُمجمة، وحقن رأسه بحمض الهيدروكلوريك. غطَّ «كونيراك» في النوم خلال تلك «العمليَّة» بأكملها.

ومع فقدانه لوعيِه، قبع «دامر» مُنتظِرًا حتى يستفيق، على أمَل أن يجده زومبي مُطيعًا. لكِنه اكتشف أن البيرة قد نفدَت منه، وقرَّر أنَّ ضحيتَه سيظل فاقدًا لوعيه لفترةٍ أطول، وهكذا غادر لتناوُل بعض البيرة في حانةٍ محليَّة. أفاق «كونيراك» في هذه الأثناء في حالة ذهول، ودماغه مليء بحمض الهيدروكلوريك، وخرج عاريًا إلى الشارِع، وهو يهذي بشكلٍ غير مُتماسِك.

رأته ثلاث شابَّات سوداوات، واتصلنَ بالشُّرطة. وتعرَّفت عليه إحداهُن؛ لأنهما كانا جمَعا الديدان معًا، وكانت مُتأكِّدة من أنه قاصِر. ولسوء الحظ، وصفَتْه بأنه «شابٌّ» في اتصالها بالطوارئ 911.

قبل وصول الشُّرطة، عاد «دامر» من الحانة، وشاهده جالسًا على الرصيف مع الشابَّات الثلاث، اللاتي وقفنَ بجواره بشكلٍ وقائي. حاول «دامر» إعادته إلى شقَّته، لكِنهنَّ منعنَه.

ما حدث بعد ذلِك بالضبط لا يزال موضِع خلاف. فقد زعمَت الشابَّات أن خطًّا من الدِّماء سال من مُستقيم «كونيراك» إلى أسفل ساقه. في حين ادَّعى «دامر» لاحقًا أنه لم يُمارِس معه في هذه المرحلة سوى الجنس الفموي فقط. ولم يُلاحِظ أحد الثُّقب المحفور في رأسه، بفضل شعرِه الطويل. وَصَلَت سيَّارة دورية شرطة، وسيَّارة إطفاء إلى مكان الحادِث، ولفُّوه في بطانيَّة.

أجرى ضابِطا الشُّرطة اللذان استجابا للنِّداء مُقابلةً مع «دامر»، الذي قدَّم لهم بطاقة هوية عمله الخاصَّة بمصنع شوكولاتة «أمبروسيا» الذي يعمَل به، وأكَّد لهم أن الرجُل كان صديقه البالِغ من العُمر عشرين عامًا، وأنه أفرط في الشُّرب وتشاجرا. وأعطاهُم اسمًا مُزيَّفًا لـ «كونيراك». ومع إصرار الشابَّات على أنه كان من الواضِح أنه طِفل، حذرهُن الضُبَّاط بفظاظةٍ بأن يذهبنَ إلى المنزِل، وألا يتدخلنَ في التحقيق.

لاحقًا، قال المُحقِّقون عن «دامر»:

«لقد كان متوتِّرًا للغاية أثناء استجوابه، وتصرَّف بهدوءٍ شديد، شاعرًا أن بإمكانه إقناع الشُّرطة بأن الأمر يتعلَّق بمُشكلةٍ بين حبيبَين مِثليَّين. وقال إنه بسبب حقيقة قُدرته على إقناع كُل هؤلاء الأشخاص، في مواقِع السُلطة، ووالِدَيه، وجيرانه الذين استجوَبوه بشأن أنشِطته، فقد منحه ذلِك شعورًا بأن بإمكانه الإفلات من العِقاب على جرائِمه. وشعر أنه يمتلِك القُدرة على جعل الناس يرَون منه الجانِب الذي يرغب في أن يرَوه، وهذا ما شجَّعه على الاستمرار في جرائِمه، شاعرًا بأنه لن يُقبَض عليه قط»[(CCXCVII)].

اصطحب الضابطان بعدها «دامر» و«كونيراك» غير المُتماسِك إلى شقَّة الأول، حيث رأيا ملابِس «كونيراك» مطويَّة بعنايةٍ على الأريكة. وأظهَر لهما «دامر» الصور الفوريَّة التي الْتقطها لـ «كونيراك»، والتي

ظهر فيها أنه يُصوِّره عن طِيب خاطِر، وأكّد لهما أنه بالِغ، وأنهما على علاقةٍ حميميَّة. جلس «كونيراك» بشكلٍ سلبيٍّ على أريكة «دامر» في ذهول. كل هذا وجُثَّة «هيوز» مُلقاة على أرضيّة غُرفة النوم، ورائِحة الأشلاء المُتحلِّلة تفوح من الشقَّة. استرق أحد الضابطَين النظر من خلال الباب إلى غُرفة النوم المُظلِمة، لكِنه لم يطأها، ولم يرَ أي شيء.

أخبره الضُبَّاط أن يعتني بـ «كونيراك» جيِّدًا، ثُم غادرا. وأثناء مُغادرتهما المكان، اتَّصلا لاسلكيًّا بموظَّف الاستقبال، وأخبراه بسُخرية: «لقد أعدْنا الرجُل الآسيوي العاري المخمور إلى صديقه الرَّصين، ونحن الآن 8 – 10[19]، وسيذهب شريكي إلى القِسم للتفلية»(CCXCVIII).

تابعت عمَّة إحدى الشابات الثلاث اللاتي اتصلنَ بالشُّرطة في وقتٍ لاحقٍ مع موظَّف الاستقبال، الذي وصَّلها مُباشرةً إلى ضابطَي الشُّرطة اللذين استجابا للمُكالمة. ونُشِر نص المُكالمة في وقتٍ لاحق:

المـرأة: ماذا حدث؟ أعني أن ابنتي وابنة أخي شهِدتا ما حدث. هل فعلتُم أي شيءٍ حيال الموقِف؟ هل تحتاجون إلى أسماء أو معلومات أو أي شيءٍ منهُن؟

الضابِط: لا، على الإطلاق.

المـرأة: لا تحتاجون إلى أي شيء؟

الضابِط: لا، لقد كان صديقًا مخمورًا لرجُلٍ آخر.

المـرأة: حسنًا، كم كان عُمر هذا الطفل؟

الضابِط: لم يكُن طفلًا، بل كان بالغًا.

المـرأة: هل أنت مُتأكِّد؟

الضابِط: أجل.

المرأة: هل أنت مُتأكِّد تمامًا من ذلِك؟ لأن هذا الطفل لا يتحدَّث الإنجليزيَّة. لأن ابنتي، كما تعلم، تعاملَت معه من قبل، ورأته في الشارِع، كما تعلَم، يصطاد ديدان الأرض.

الضابِط: نعم، لا، لا، لا، لقد اعتنَينا بالأمر يا سيِّدتي.

المرأة: هل أنت مُتأكِّد؟

الضابِط: لا يُمكِنني توضيح الأمر أكثر من ذلِك يا سيِّدتي. لقد اعتنَينا بكُل شيء، وهو الآن مع صديقه الحميم في شقَّته، حيث وجدنا مُتعلّقاته أيضًا. أعني، هذا هو المكان الذي غادره.

المرأة: لكِن، أعني، أليس.. أعني، ماذا لو كان طِفلًا، لا بالغًا. أعني هل أنت مُتأكِّد أنه بالِغ؟

الضابِط: لقد اهتممنا بكُل شيءٍ كما شرحتُ لكِ من قبل يا سيِّدتي. أنا مُتأكِّد للغاية من ذلِك، ولا يُمكِنني فعل أي شيءٍ حيال الميول الجنسيَّة لشخصٍ ما في الحياة.

المـرأة: حسنًا، لا، أنا لا أتحدَّث عن ذلِك، لكِنه يبدو طفلًا. وهذا أكثر ما يُثير قلقي.

الضابِط: لا، إنه ليس كذلِك.

المرأة: ليس طفلًا؟

الضابِط: لا، ليس كذلِك، حسنًا؟ إنهما صديق وصديقُه، ووجدنا مُتعلّقاته في المنزِل الذي فرَّ منه، ولدَيه صور له ولصديقه، وما إلى ذلِك.

المرأة: حسنًا، فهمت.

الضابِط: حسنًا؟

المرأة: حسنًا، أنا فقط، كما تعلم، لكِنه يبدو طفلًا. وهذا أكثر ما يُثير قلقي.

الضابِط: أتفهَّم ذلِك، لكِن لا، إنه ليس كذلِك[CCXCIX].

من الواضِح أن هذا اللِقاء لم يكُن مُمتِعًا بصريًّا بالنِسبة لرجُلَي شرطة «ميلووكي». ففي دفاعهما عن نفسيهما، ادَّعيا أنه لم يكُن هُناك «سبب مُحتمَل» في ذلِك الوقت لتفتيش غُرفة نوم «دامر» دون أمرٍ قضائي، وأنهما فعلا ذلِك احترامًا لمُجتمَع المِثليين، وتعاملت الشُّرطة مع الحادِث على أنه «نزاع منزلي»، تمامًا كما تتعامل مع أي زوجَين من جنسَين مُختلفين. ولم يزعما أي تمييزٍ عُنصري مُعيَّن ضِد الشابَّات السوداوات اللاتي أبلغنَ عن «دامر» وهو رجُل أبيض، ولا تمييزًا ضِد «كونيراك» اللاوسي، بخلاف الادِّعاء بأنه كان من الصعب عليهما تقدير عُمر شابٍّ آسيوي. وقيل إن تعليق «التفلية» هو أمر مُعتاد، حيث يضطر ضُبَّاط الشُّرطة في كثيرٍ من الأحيان للتفلية بعد الاحتكاك الجسدي مع الناس في الشوارِع. وفي حين أن ذلِك قد يكون صحيحًا، إلا أن الضابِط لم يذهب في الواقِع للتفلية. ويبدو أن الأمر برمَّته لم يكُن سوى مزحة. خُلاصة القول هي أن ضابطَي الشُّرطة لم يُخصِّصا الوقت الكافي للتأكُّد من هوية «كونيراك» أو عُمره، وسلَّما الصبي، البالِغ من العُمر أربعة عشر عامًا، إلى قاتِلٍ مُتسلسِل. كما أنهُما لم يُبلِّغا باسم «دامر» باللاسلكي للتحقُّق من سجلِّه الجنائي، وهو الأمر الذي كان من شأنه كشف إداناتٍ حديثة بالاعتداء الجنسي وغواية طفل – وأن الضحية لم يكُن سوى شقيق «كونيراك». ولم يكُن بإمكانهما إنقاذه فحسب، بل كان من المُمكِن أن يُنقِذا أربع ضحايا آخرين لو قبضوا على «دامر» في تلك الليلة.

وبمُجرَّد مُغادرة الشُّرطة لشقَّته، حقن «دامر» حُقنة حمضٍ أخرى في رأس «كونيراك»، ولكِنها قتلته، بدلًا من أن تجعله أكثر امتثالًا. وشرع «دامر» في تقطيع و«تجهيز» جُثتي «كونيراك» و«هيوز»، وأخذ يوم إجازة من العمل في مصنع الشوكولاتة. عثرَت الشُّرطة على رأس «كونيراك» محفوظًا في الثلاجة، بينما عُثِر على جُمجمة «هيوز» المسلوقة في خزانة الملفات.

بعد هذه المواجهة القريبة مع الشُّرطة، توقَّف «دامر» لمُدَّة شهر.

يوم 30 يونيو، حَضَر «دامر» موكِب فخر المِثليين في «شيكاغو»، حيث التقى بـ «مات كليفلاند تيرنر»، البالِغ من العُمر عشرين عامًا. وأقنَعه بالعودة معه إلى «ميلووكي»، حيث خدَّره، وخنقه، وقطَّع أوصاله، وبتر رأسه، واحتفظ ببعض بقاياه في الثلاجة.

وفي 5 يوليو، عاد «دامر» إلى «شيكاغو»، حيث التقى بـ «جيرمايا بي. وينبرجر»، وهو طالِب في مدرسة الفنون، نصف يهودي ونصف بورتوريكي، ويبلُغ من العُمر ثلاثة وعشرين عامًا، في حانةٍ للمِثليين. أُعجِب

به «وينبرجر»، ووافق بسهولةٍ على العودة معه إلى «ميلووكي».

تغازلا طوال رحلة الحافِلة التي استغرقت ساعةً ونصفًا من «شيكاغو». لكِن «دامر» غفل في ذلِك الوقت عمَّا إن أراد ضحاياه البقاء أو المُغادرة، فاحتفظ بهم جميعًا. بعد تخدير «وينبرجر»، حفر ثُقبًا في جُمجمته، ولكِن بدلًا من حقنِه بالحمض، حقنَه بالماء المغلي، في مُحاولةٍ «لإلغاء» إرادته الحُرَّة. في البداية، بدا الأمر ناجحًا. قال دامر: «استيقظ في نهاية اليوم، وفي صباح اليوم التالي، بدا مُترنِّحًا نوعًا ما وما إلى ذلِك. لكِنه تحدَّث، وبدا وكأنه غارق في حالةٍ من الذهول، واعتقدتُ أنني سأتمكَّن من إبقائه على هذا النحو. ولم يكُن هُناك أي نزيف أو تسرُّب من الثُّقب الذي حفرته في جُمجمته. لقد نهض وتجوَّل وذهب إلى الحَمَّام، وفي نهاية اليوم الثاني، كان لا يزال يتجوَّل في أرجاء المكان، فأعطيتُه جُرعة أخرى من الحبوب، وحُقنة أخرى من الماء المَغلي في نفس الثُقب».

وعندما عاد «دامر» إلى المنزِل من العمل، وَجَد «وينبرجر» ميِّتًا. التقط صورًا فوتوغرافيَّة أثناء قطع رأسه ووضعه في الثلاجة، ثُم ملأ حوض الاستحمام بالماء البارِد ومواد التبييض، ووَضَع جذعَه المقطوع الرأس في الماء، حيث تركَه منقوعًا لمُدَّة أسبوع. واستمرَّ في الاستحمام بجانِب الجذع العائِم تحت قدمَيه.

«لقد ذكر أنه أكل فقط الأشخاص الذين أحبَّهُم حقًّا»

في 12 يوليو، وبعد اكتظاظ ثلاجته بالرءوس والأشلاء، وفي ظلِّ وجود جذعٍ عائِم في حوض الاستحمام، اشترى «دامر» برميلًا كيميائيًّا بلاستيكيًّا بسعة سبعةٍ وخمسين جالونًا، ودحرجه إلى غُرفة نومه. وخمَّر وملَّح ثلاثة جذوع وعدَّة بقايا أخرى في خليطٍ كيميائي، وهي عمليَّة أتقنها منذ أن كان في العاشِرة من عُمره، وهو يجمع بقايا جُثَث الحيوانات من الطريق.

بدأت حياته تتداعى إلى ما يتجاوز قوَّة جاذبية قُدرته على الظهور بمظهرٍ غير مؤذٍ تمامًا.

ومع ذلِك، ماذا فعل؟ قتل اثنَين آخرَين!

في 15 يوليو، واجه «دامر» حُبًّا قويًّا آخر. كان «أوليفر جوزيف لاسي»، البالِغ من العُمر أربعة وعشرين عامًا، لاعِب كمال أجسام، وتمتَّع بجسدٍ مِثاليٍّ اشتهاه «دامر». الذي استدرجه إلى شقَّته بحجةِ التقاط الصوَر. ووعده بدفع المزيد من المال، إن سمح له بتدليك أو فرك جسده. وفي النهاية، خدَّره، وخنقه بالحِزام الجلدي. ثُم ذبَحَه وأكل أجزاءً منه، ولفَّ بقية الأجزاء في أكياسٍ بلاستيكيَّة، ووضعها في الثلاجة لوقتٍ لاحق.

ووفقًا لمُلاحظات مُقابلة الشُّرطة:

«لقد ذكر أن الضحية، الذي أكل عضلة ذراعِه اليُمنى، كان شخصًا يهتمُّ به حقًّا، وأنه تمتَّع بعضلة ذراع كبيرة. وذكر أنه أضاف مادة «كريسكو» عليها، قبل أن يَطهوها بمُطرّي اللحم، ويَقليها في المِقلاة. وذكر أنه احتفظ أيضًا بقلب هذا الشخص في الثلاجة، وجُزءٍ من ذراع رجُل أسود كان قد التقى به في مكتبةٍ منذ حوالي عام. وذكر أنه نوى استهلاك هذه الأجزاء.. وعندما سألناه إن كان قد أكل أجزاء الجُثة، بمُنتهى الوضوح. قال إنه استخدم الملح والفلفل وصوص الستيك عليها. كما ذكر أن السبب الذي جعله يأكُل

هؤلاء الأشخاص هو أنه كان فضوليًّا، ثُم أراد جعلهم جُزءًا منه. وأنه بهذه الطريقة سيتمكَّن من الاحتفاظ بهم معه. وأنه لم يكُن يأكُل سوى الأشخاص الذين أحبَّهُم حقًّا، وأراد أن يكونوا جُزءًا منه أو معه طوال الوقت..

وعندما سألناه لماذا لم يُخبِرنا عن أكلِه لأجزاء الجسم المُختلِفة، لأنه ذكر في البداية أنه أكل عضلات الذراعَين فقط. أجابنا أنه لم يكُن يرغب في التحدُّث عن ذلِك، لأنه ليس جذابًا للغاية، ولم يكُن يُريدنا أن نُقلِّل من شأنه»[(CCC)].

انهمك «دامر» للغاية في نحر «لاسي» وأكله، حتى إنه لم يذهب إلى العمل في ذلِك اليوم مرَّة أخرى.

أوقفه مصنع شوكولاتة «أمبروسيا» عن العمل بسبب الغياب، في انتظار قرارٍ نهائي.

في اليوم التالي، 18 يوليو، ذهب «دامر» لمُقابلة ضابِطة المُراقبة الخاصَّة به، ليشتكيَ من أن كُل شيءٍ في حياته يسير بشكلٍ خاطئ. أرسلته لرؤية الطبيب، الذي وَصَف له مُضادات الاكتئاب. فكَّر «دامر» جديًّا في الانتحار. تلقَّت إدارة المبنى عدَّة شكاوى بشأن الروائِح الكريهة المُنبعِثة من شقَّته، وحُذِّر من أنه سيُطرَد قبل نهاية شهر يوليو. أين كان سيذهب بمخزونه من الرءوس والجذوع والأعضاء الذكرية المقطوعة؟

كان «دامر» في الحادية والثلاثين من عُمره فقط، لكِنه كان قد قطع مسافةً طويلة على درب الجنون. أخيرًا أفلست حياته السرية التي تفكَّكت في النهاية بهاتَين الطريقتَين اللتَين وصف بهما «هيمنجواي» كيف يحدُث الإفلاس؛ بالتدريج، ثُم فجأة.

ولا يُمكِنني وصف النهاية أفضَل من الطريقة التي وصفها بها «براين ماسترز»:

«كان المشهد في الشقَّة 213 في ذلِك الأسبوع من 12 إلى 19 يوليو أكثر فظاعةً من رؤية «جيوتو» للجحيم على جدار كنيسة «سكروفيني» في «بادوفا»، والتي تُصوِّر الشياطين تنهَش أمعاء المُذنبين. فبينما يُدلَّك «أوليفر لاسي» في إحدى الغُرف، طفت جُثَّة «جيرمايا وينبرجر» مقطوعة الرأس في حمَّام من الماء البارِد والمُبيِّض في الغُرفة المُجاوِرة. اضطرَّ «دامر» للاستحمام في ظلِّ وجود جُثَّتين تُشارِكانه حوض الاستحمام. كما التقط صورة لـ «مات تيرنر» في وضع الوقوف بعد الوفاة، لأن تيبُّس الجُثَّة كان قد سيطر عليها، وتمكَّن من مَوضَعةِ الجُثَّة بشكلٍ صحيح. كما تُظهِر صورة أخرى جُثَّة «أوليفر لاسي» مقطوعة الرأس مُعلَّقة بحزام من قضيب ستارة الحمَّام، ونفس الجُثَّة المشوَّهة التي تآكَلَ جلدها كاشفًا عن قفصها الصدري، والمُلقاة فوق جُثَّة «وينبرجر» مقطوعة الرأس. قبع كِلا الرأسَين بشكلٍ مُنفصلٍ في الثلاجة والمُجمِّد، إلى جانب رأسَين آخرَين. وكان هُناك كيس يحتوي على أعضاءٍ داخلية مُلتصِق بقاع الثلاجة. بينما كانت القلوب في الثلاجة، وكانت هُناك عضلة ذراع كامِلة، كبيرة بما يكفي لملء طبق، قُلِيَت وأُكِلَت. في حين احتوى البرميل الموجود في غُرفة النوم على بقايا ثلاثة أشخاص»[(CCCI)].

في 19 يوليو، طردَ مصنع «أمبروسيا» للشوكولاتة «دامر» بشكلٍ رسمي. وكانت هذه هي أول حروف كلِمة النهاية. في وقتٍ لاحقٍ من نفس اليوم، اصطحب «جوزيف آرثر برادهوفت»، وهو أب لثلاثة أطفالٍ

في الخامسة والعشرين من عُمره، من «مينيسوتا» يُحاوِل كسب قوت يومِه في «ميلووكي». والذي وافَق على عرض دامر بالتموضُع لالتقاط بعض الصوَر الفوتوغرافية في شقَّته. خنقه دامر واحتفظ بجُثَّته في السرير معه، حيث نام وهو يحتضِنها لمُدَّة يومَين. كان الجو شديد الحرارة في شهر يوليو من ذلِك العام، ولم يكُن تكييف غُرفة نومِه يعمل جيِّدًا. استيقظ «دامر» في صباح يوم 21 يوليو، وسحب البطانيَّة ليجِد رأس «برادهوفت» مليئًا بالديدان. قطعه «دامر» في حوض الاستحمام، وألقى بالديدان في المرحاض. ثُم وضع الرأس المُتحلِّل في المُجمِّد، حيث عثرَت عليه الشُّرطة فيما بعد. ووَضَع جذعه المقطوع في البرميل الكيميائي الأزرق، مع الجذعَين الآخرَين والرءوس المقطوعة.

علَّق القاتِل المُتسلسِل «دينيس نيلسُن» لاحقًا على نوبة القتل الأخيرة التي ارتكبها «دامر» قائِلًا: «بدا أن كُل واحِدة منها كانت الأخيرة». ويُجادِل «نيلسُن» بأن مُصطلح «القاتِل المُتسلسِل» غير دقيق لأنه يُشير إلى نيَّة التّكرار. وكتب قائِلًا: «يُمكِنكم أيضًا أن تُطلِقوا على «إليزابيث تايلور» لقب العروس المُتسلسِلة»[(CCCII)].

وبعد ثلاثة أيام، أحضَر «تريسي إدواردز» إلى شقَّته، وبعد هروبه إلى الشارِع والأصفاد تتدلَّى من أحد معصمَيه، انتهى أمر «دامر» تمامًا – الذي أفلست حياته السرية في تلك الليلة تحديدًا – حيث جابت الشُّرطة شقَّته التي كانت عبارة عن قبورٍ مُرعبة.

آخر القتلة المُتسلسِلين

أقرَّ «دامر» بالذنب في خمس عشرة تُهمة قتل في «ويسكونسن» في يناير 1992. وسيطَر سؤال واحِد على قاعة المحكمة بأكملها: هل «دامر» عاقل أم لا؟ غطَّت شاشات التِّلفاز جلسات الاستماع «من الألِف إلى الياء»، فقد كانت هذه أكبر قضية في «ويسكونسن» منذ «إد جين»، بل ويُمكِن اعتبارها أكبر قضية في تاريخ الولايات المُتحِدة منذ.. حسنًا، منذ قديم الأزل، ومنذ «ألبرت ديسالفو»، و«إد كِمبر»، و«خوان كورونا»، و«تِد بندي»، و«ديفيد بيركويتز»، و«جون واين جاسي»، و«آرثر شاوكروس»، و«ريتشارد راميريز»، و«هنري لي لوكاس». لكِن ما لم نعرِفه آنذاك، هو أن «جيفري دامر» سيكون آخِر هذا الجيل من القتلة المُتسلسِلين المشاهير.

وأصبحنا عندها على درايةٍ كافيةٍ بجلسة استماع لجنون القاتِل المُتسلسِل؛ لنُدرِك أن حدود الرُّعب البشِع ليسَت مقياسًا للجنون. رُبما كان «دامر» مُختلًّا، ولكِنه ليس مجنونًا. فقد أدرَك فداحة ما اقترفته يداه طوال الوقت. وفي «فبراير»، حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة بتُهمة القتل في خمس عشرة جريمة قتل. وفي «مايو»، أقرَّ بذنبه في ولاية «أوهايو» في جريمة قتل «ستيف هيكس» عام 1978.

وبطريقةٍ غريبة، كان «دامر» مُثيرًا للشفقة. فلم يُظهِر غطرسة «بندي» أو وقاحة «جاسي» الذي لم يُؤرِّقه الندَم، ولم يختلِق الأعذار مثل «شاوكروس». بل بدا وكأنه يرزح تحت وطأة الأسف والندَم. ورغم أن عائِلات الضحايا قد دُمِّرَت بسبب ما اقترفته يداه، إلا أنه افتقر بطريقةٍ ما إلى هيئة الشرير، بنفس الطريقة

التي بدا بها «إد جين» العجوز وكأنه بعيد كُل البُعد عن الشر. كان هُناك شيء مأساوي وحزين فيما يتعلّق بـ «دامر»، وكأنه أحد هؤلاء المُستذئبين الذين فقدوا حُبَّ حياتهم في العصور الوُسطى. كما تمتَّع «دامر» بمزيجٍ غريبٍ من الرُّعب والشفقة؛ وقد صوَّر «ديرف باكديرف» رثاءه بشكلٍ مثاليٍّ في كتابه غير الروائي المصوَّر «صديقي دامر». لم يرغب «دامر» سوى في شخصٍ يبقى معه للأبد. وأيّ عروس لا تحلم بالمثل؟

في عالم جرائِم القتل المُتسلسِلة، كان من الصعب تخيُّل أي شيءٍ أسوأ من الشرِّ الخالِص في قضية «دامر». ماذا يُمكِن أن يحدُث أسوأ مما حدث؟ وبقدْر ما كان من الصعب على أي شخصٍ أن يتفوَّق على شر «دامر» في هذا النوع من الجرائِم، إلا أن أولئِك الذين اهتمُّوا بهذه الجرائِم استعدُّوا بترقُّبٍ للقاتِل المُتسلسِل القادِم.

في يناير 1992، وأثناء مثول «دامر» أمام المحكمة، قُبِضَ على «ويليام ليستر سوف»، البالِغ من العُمر واحدًا وأربعين عامًا، وهو موظَّف مخازِن دمِث الخُلُق في مُقاطعة «ريفرسايد» بـ «كاليفورنيا»، واتُّهِمَ باغتصاب وتعذيب وطعْن وخنق اثنتَين وعشرين امرأةً بين عامَي 1989، و1991. كانَت بعض ضحايا «سوف» من بائِعات الهوى المُدمِنات على المُخدِّرات، واعتاد وَضْع أجسادهنّ في أوضاعٍ فاحشةٍ بجوار حاويات القمامة في مواقِف سيَّارات الوجبات السريعة؛ ويُزعَم أنه قطع ثدي إحدى ضحاياه، وقدَّمه في مُسابقة طبخ موظَّفي مُقاطعة «ريفرسايد». كما أوصَل الأثاث إلى فرقة عمل الشُّرطة المُكلَّفة بالتحقيق في سلسلة جرائِم القتل التي ارتكبها، وغالبًا ما تظاهر بأنه ضابِط شرطة.

ثُم في «لونج آيلاند»، وتحديدًا في 28 يونيو 1993، رأى أحد رجال شرطة ولاية «نيويورك» شاحِنةً صغيرة من طِراز «مازدا» تفتقِد لوحة الترخيص الخلفيَّة، وحاول إيقافها. وأثناء المُطاردة السريعة، فقد السائِق السيطرة عليها؛ فاصطدمَت بعمود. وعندما اقترب رجال الشُّرطة من السيَّارة، تمكَّنوا من شمِّ رائِحة الموت الجليَّة المُنبعِثة من مؤخرة الشاحِنة المُغلقة. لم يُصَب السائِق، وهو مُنسِّق الحدائِق «جويل ريفِن» البالِغ من العُمر أربعةً وثلاثين عامًا، بأي أذًى. وعندما أخرجه رجال الشُّرطة من الشاحِنة، لاحظوا وجود طبقةٍ من مرهم «فِكس» تحت أنفه. وعندما رفعوا القماش المشمَّع البلاستيكي الأزرق في مؤخِّرة الشاحِنة، اكتشفوا جُثَّةً مُتحلِّلة لبائِعة الهوى «تيفاني بريسياني» البالِغة من العُمر اثنين وعشرين عامًا. واتضح أن طبقة مرهم «فِكس» لم تكُن سوى خدعةٍ شاهدها في فيلم «صمت الحملان»، الذي عرض عُملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي وهُم يدهنونه تحت أنوفِهم كُلّما حضروا تشريح جُثَّة مُتحلِّلة.

قال «ريفِن» للضابِط بمُنتهى الواقعيّة: «لقد كانت عاهِرة، التقطتها من شارِع «ألين» في «مانهاتِن»، ومارستُ الجنس معها، قبل أن تسوء الأمور وأُضطر لخنقِها. هل تعتقِد أنني بحاجةٍ إلى مُحام؟» وكشف هذا الإيقاف المروري الروتيني عن مقتل سبع عشرةَ امرأة على يدِّ «ريفِن».

استغرقت مُحاكمته بعض الوقت، ودخلت الصحافة وكُتَّاب الجرائِم الحقيقيّة في وضع الاستعداد لقصَّة القاتِل المُتسلسِل الكبيرة القادِمة. لكِنها كانت بطيئة واستغرقت وقتًا طويلًا في الوصول مع كُلِّ التحضيرات والمُناورات المُعتادة قبل المحكمة.

في قضية «جويل ريفِن»، استعدَّ المُدَّعون العامُّون في «نيويورك» لمُحاكمته في قضايا مُنفصِلة، ضحيةً تلوَ الأخرى، وهو ما خيَّب آمال وسائِل الإعلام. فقد افتقرَت مُحاكمات جرائِم القتل المُنفرِدة إلى دراما لوحة وجوه الضحايا التي رافقَت مُحاكمات جرائِم القتل المُتسلسِلة. وحدث ذلِك في الوقت الذي بدأ فيه فجر الإنترنِت في البزوغ، ووُضِعَت أقسام الأخبار التلفزيونيّة في الشبكات تحت إشراف مُديري الترفيه، وكان القتلة المُتسلسِلون بالتأكيد «مُسلِّين». وفي عام 1994، أعرب الكاتِب الصحفي «ديف روسي» عن نفسه عندما قال:

«ليس سرًّا أن الصُّحف والتلفزيون يخوضان صراعًا من أجل كسب قلوب وعقول الجمهور الأمريكي.. إن صحافة العصر الجديد كما تُمارسها صحيفة «ديلي نيوز»، تبدو وكأن أحدَهم قرَّر إطلاق صحيفة تنتمي لأحد البرامِج التلفزيونيَّة مثل «هارد كوبي» أو «كارِنت آفير».. ففي الآونة الأخيرة، نشرت الصُّحف مقالًا من جزءَين عن القاتِل المُتسلسِل المزعوم «جويل ريفِن»، الذي حوَّلته الأخبار إلى «السفَّاح جويل ريفِن». ويعلم الله وحده ماذا ستُطلِق عليه الصُّحف إذا أُدين»[(CCCIII)].

في مايو 1994، أُدين «ريفِن» في جريمة قتل «بريسياني»، آخر ضحاياه، فيما كان من المُفترَض أن تكون أول جرائِم القتل التي ستُقدَّم للمُحاكمة.

ثُم جاء يوم 17 يونيو 1994.

وفجأة.. شششششششش!

غيَّر أحدهم القناة!

تعلَّقت أعيُن خمسة وتسعين مليون شخص في ذلِك اليوم بنقلٍ حيٍّ على شاشات التلفاز لسيَّارة «فورد برونكو» بيضاء تسير ببطءٍ على طريق «سانتا آنا» السريع، تتقدَّمها كتيبة من سيَّارات الشُّرطة.

وتحوَّل كُل شيء، وأنظار الجميع، إلى قضية «أوه جي سيمبسون».

وبحلول الوقت الذي مثل فيه «جويل ريفِن» في مُحاكمته التالية، ومثل فيه «ليستر سوف» للمُحاكمة في «ريفرسايد»، كان القتلة المُتسلسِلون من أمثالهم من وحوش الأمس، قد تحوَّلوا إلى أخبارٍ قديمةٍ مُمِلَّة. لا يستحِقون أي اهتمام يُذكَر. وبالكاد أشارَت الصحافة إلى مُحاكماتهم. وفي عام 1995، حوَّلنا السيرك الإعلامي لمُحاكمة «أوه جي سيمبسون» إلى مصدرٍ جديدٍ لجريمة قتل الشهر المُثيرة: المُتَّهمون المشاهير. وتبع «أوه جي» كُلٌّ من «روبرت بليك»، و«سنوب دوج»، و«فيل سبكتور»، و«راي لويس»، و«مايكل سكاكل»، و«ليلو برانكاتو جونيور».

ومن بعد ظهور «أوه جي»، كان الشيء الوحيد الذي أعاد اسم «جيفري دامر» إلى الأخبار لفترةٍ وجيزةٍ هو مقتلُه في السجن في 28 نوفمبر 1994.

لقد انتهى عصر بلاء القتلة المُتسلسِلين المشاهير. انتهى العصر الذهبي لجرائِم القتل المُتسلسِلة، كما وصم «هارولد شيشتر» هذه الحقبة على سبيل الهزل، حمدًا لله.

وأصبح «جيفري دامر» آخِر جيل مشاهير البلاء من القتلة المُتسلسِلين، في الوقت المُناسِب، لأن الله وحدَه يعلَم ما كان يُمكِن أن يكون أسوأ منه.

وبعد «جيفري دامر»، كان لا يزال هُناك العديد من القتلة المُتسلسِلين الذين وصل عددهم إلى 669 في «التسعينيَّات»، وهو عدد كبير، رغم أنه لا يزال يُمثِّل انخفاضًا بنسبة 13٪ عن «الثمانينيَّات». قتلَة مثل «جون إريك أرمسترونج»، و«أنتوني بالام»، و«لوسيوس بويد»، و«روبرت يوجين براشرز»، و«روري إنريكي كوندي»، و«أندريه كروفورد»، و«ريتشارد إيفونيتز»، و«وين آدم فورد»، و«ألفريد جاينور»، و«هيوبرت جيرالدز»، و«أورفيل لين ماجرز»، و«جلين إدوارد روجرز»، و«بول رانج»، و«هيري بيرتو سيدا»، و«روبرت شولمان»، و«جاك أوين سبيلمان»، و«هنري لويس والاس»، و«ناثانيال وايت». وإن لم تسمع عنهم من قبل، فلستَ وحدك. حتى إن بعضهم لم يحظَ بأيِّ ألقاب. أما القِلة الذين بزغ نجمهم – مثل «كيث جيسبرسون» الشهير بـ «قاتِل الوجه السعيد»، و«ديفيد باركر راي» الشهير بـ «قاتِل صندوق الألعاب» – فقد كانوا قلَّةً مُتباعِدة، كما كانوا من الدرجة الثانية على حدٍّ سواء[20].

أما المُتَّهمون «الحقيقيَّون» من المشاهير مثل «سنوب دوج» و«روبرت بليك» فقد تفوَّقوا عليهم، حتى لو تمَّت تبرئتهما. وأدَّى ظهور الإنترنِت وعددٍ كبير من القنوات التلفزيونيَّة إلى تفتيت التجمُّع الجماعي السابِق للأمريكيين حول قصَّة رُعبٍ واحِدة. وجُمِّع الرُّعب الآن في فئاتٍ مُختلِفة لأذواقٍ مُختلفة على قنواتٍ ومنصَّاتٍ إعلاميَّة مُختلِفة، وبدأ القتلة المُتسلسِلون يفقِدون احتكارهم للوحشيَّة التي احتكروها في السابِق. وبمُجرَّد أن أصبَح بالإمكان بث الفيديو عبر الإنترنِت، اكتملَت عملية التجزِئة.

15 نفى «رولينج» ذلِك الأمر برمته في مُذكِّراته، مُشيرًا إلى أنه لم يمتلِك أي أدواتٍ طبيَّة، وكتب قائِلًا: «لم أمارس - أكرِّر - لم أُمارس الجنس أبدًا مع امرأة سوداء، وعلى الأقل ليس مع «دنيس تايلور»».

16 أفادَت تقارير الشُّرطة أنه كان فيلم «طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثاني» عن طريق الخطأ. [الكاتِب]

17 جمهورية لاوس الديمقراطيَّة الشعبيَّة، وهي بلد غير ساحلي في قلب شبه جزيرة الهند الصينيَّة من البر الرئيسي جنوب شرق آسيا، ويحدها كُل من ميانمار والصين في الشمال الغربي، وفيتنام في الشرق، وكمبوديا في الجنوب، وتايلاند في الغرب. وجدير بالذكر أن عاصمتها تُدعى فيينتيان، وعُملتها هي الكيب لاوي، ويبلغ عدد سكانها حوالي ثمانية ملايين نسمة. [المُترجِم]

18 الفيليه مينيون: نوع من أنواع فيليه اللحم البقري. [المُترجِم]

19 كود من أكواد الشُّرطة يعني أنهما انتهيا من المُهِمة السابِقة، وجاهزان لاستقبال أي مُهماتٍ جديدة. [المُترجِم]

20 قد يُجادِل البعض بأن «أندرو كونان» في عام 1997 كان آخر قاتِل مُتسلسِل بارز في هذا العقد، ولكِنه، مثل «جون آلن محمد» و«لي بويد مالفو»، اللذين عُرِفا لاحقًا بلقب قناصي بيلتواي في عام 2002، كان من فئةٍ فرعية نادِرة من القتلة المُتسلسِلين، والتي تُعرَف باسم «القاتِل المُتسلسِل المُهتاج»، الذي يعيث فسادًا على مدى أسابيع أو شهور، ولا يعود أبدًا إلى «الحياة الطبيعيَّة» التقليديَّة لحياته، إلى ما يُسمى بفترة «التهدئة»، كما يفعل القتلة المُتسلسِلون «التقليديون». ارتبطت شُهرة «كونان» بشُهرة ضحيته الأخيرة، مُصمِّم الأزياء «جياني فيرساتشي». رُبما كان «كونان» آخر «مِثلي» القتلة المُتسلسِلين في الولايات المُتحِدة، حيث ارتبطت جرائِمه ارتباطًا وثيقًا بميوله الجنسيَّة. [المؤلِّف]

الخاتمة

حقبة ما بعد البلاء

في الفترة بين 2000 - 2020

كان القاتِل المُتسلسِل التالي الذي حظي بتغطيةٍ إعلاميةٍ كبيرةٍ بعد «جيفري دامر» هو «جاري ريدجواي» الشهير بـ «قاتِل النهر الأخضر»، البالِغ من العُمر اثنين وخمسين عامًا، والذي قُبِضَ عليه في 30 نوفمبر 2001، بعد ربط حمضه النووي بنجاحٍ ببعض ضحاياه. لم يكُن «ريدجواي» قاتِلًا مُتسلسِلًا جديدًا في حدِّ ذاته.. فقد بدأ القتل في عام 1982، ولكِن يبدو أنه «تقاعد» في عام 1998. وعلى مدار ما يقرب من عقدَين من الزمان بصفته «قاتِل النهر الأخضر»، تمتَّع بمكانةٍ أسطوريةٍ مثل القتلة المُتسلسِلين المجهولين مثل «زودياك» و«قاتِل بي تي كيه»، ورُبما حتى «جاك السفَّاح».

وبعد اعتقاله بفترةٍ وجيزة، كتبتُ عنه في كِتابي «القتلة المُتسلسِلون»، ووَصَفته بأنه «نمطي»، ولكِن بالنظر إليه الآن، بعد عشرين عامًا من الإدراك المُتأخِّر، يُمكِنني وضعه في مكانةٍ أفضَل في المجموعة التاريخيَّة. شقَّ «ريدجواي» طريقَه ببطءٍ من مجموعةٍ من الحمض النووي التي جُمِعَت في الماضي المُتلاشي لسنوات بلاء الأعداد الكبيرة. فقد قتل تسعًا وأربعين امرأة «ورُبما أكثر» بشكلٍ استثنائي بين عامي 1982 و1998. ولا يزال حتى كِتابة هذه السطور القاتِل المُتسلسِل الجنسي الأمريكي صاحِب أكبر عدد من الإدانات بجرائِم القتل. «في عام 2019، كُشِف عن أنه يُشتبه في قتل صامويل ليتل ما بين خمسين إلى ثلاثٍ وتسعين ضحيَّة لكِنه لم يُقدَّم للمُحاكمة على مُعظمها، وقد لا يَمثُل أمام المُحكمة أبدًا». رغم العدد الضخم لضحايا «ريدجواي»، ورغم تمثيله لقضيةٍ باردةٍ من حقبة البلاء تلك وكُل ما تُمثِّله، إلا أنه بمُجرَّد القبض عليه وتحديد هويَّته، طواه النسيان. لم يكُن يمتلِك أيًّا من «حرارة الشُّهرة» والشخصيَّة الجذَّابة لنجوم «العصر الذهبي». لقد كان مُبتذلًا في شره – مثل «أدولف أيخمان» من القتلة المُتسلسِلين – فقتل كثيرًا من الضحايا، لكِنه امتلك قليلًا من الجاذبيَّة. كان «ريدجواي» معسول اللِّسان، وشديد الغباء، ومُجامِع موتى مُتديِّنًا. كما حَصَد جوائِز الحضور المثالي في العمل، حيث عمل في طلاء الشاحِنات لمُدَّة ثلاثين عامًا. واعتاد اصطحاب ابنه الصغير معه أثناء زيارته لمخبأ جُثَثه السرِّي في قلب الغابة، لكِنه كان يترُكه نائِمًا في مقصورة شاحِنته، بينما يذهب إلى الغابة لمُمارسة الجنس مع جُثَّةِ أحدثِ ضحاياه قبل تحلُّلها بالكامِل.

لكِن «ريدجواي» كان موهوبًا بغريزة القاتِل المُتسلسِل بالفِطرة والدهاء، وبارعًا في «الوعي الجنائي». فقد اعتاد قسريًّا شراء إطاراتٍ جديدة في كُل مرَّة اعتقد فيها أنه رُبما ترك آثارًا، كما ارتدى قُفَّازاتٍ عند القتل، وإن خدشَه أي من ضحاياه أثناء اغتصابه وخنقه، قصَّ أظافرهم بعد ذلِك. كما جمع بشكلٍ عشوائيٍّ العلكة المَمضوغة، وأعقاب السجائِر المُلقاة في الشارِع، ليضعها في بعض مسارِح جرائِمه لتضليل المُحقِّقين الذين أخذوا عيِّناتٍ من الحمض النووي.

على مدى ستَّة عشر عامًا، تمكَّن «جاري ريدجواي» بطريقةٍ ما من المُضي قدمًا دون أن يُقبَض عليه وارتكب على الأقل تسعًا وأربعين «يُزعَم أنها إحدى وسبعين» عملية خنق يدوي وخنق بالقيود التي راح ضحيَّتها الهارِبون المُهمَّشون وبائعو الهوى في الشوارع. وفي عام 1998، بدا أنه توقَّف عن القتل، كما يفعل بعض القتلة المُتسلسِلين بمُجرَّد إدراكهم أنهم لا يستطيعون أبدًا تحويل خيالاتهم إلى واقعٍ بشكلٍ مُرضٍ، مهما حاولوا. وكان بإمكانه أن يسلُك طريق «جاك السفَّاح» و«زودياك»، ويبقى لُغزًا بلا حلٍّ إلى الأبد، وكان من المُمكِن أن يُصبِح لغزًا أكبر بمرور الأعوام دون حلّ.

ولكِن بمُجرَّد التعرُّف عليه واعتقاله، أصبَح «قاتِل النهر الأخضر» مادةً إخباريَّة مُمِلَّة. ولم يعُد يُبهِرنا، في مناخ العِقد الأول من القرن الحادي والعشرين. فقد كان «ساحر أوز» بين القتلة المُتسلسِلين؛ ولم يكُن هُناك سوى وغدٍ أحمق عديم الموهبة يُدعى «جاري»، عندما أُزيح السِّتار عن الجريمة. وبعد إقراره بالذنب، حُكِم عليه بهدوءٍ بالسِّجن مدى الحياة في ديسمبر 2003، ولم يُسمَع عنه أو منه منذ ذلِك الحين. وشهد العِقدان التاليان انخفاضًا كبيرًا في عددِ القتلة المُتسلسِلين الذين قُبِضَ عليهم؛ بمُعدَّل 371 في الفترة من عام 2000 إلى عام 2009، بانخفاضٍ بنسبة 50٪ تقريبًا عن «التسعينيَّات»، وما يُقدَّر بـ 117 قاتلًا مُتسلسِلًا في الفترة من عام 2010 إلى عام 2019، وهو أيضًا انخفاض بنسبةٍ تزيد عن 50٪ عن العِقد السابِق.

لم يقتصِر الأمر على انخفاض ظهور القتلة المُتسلسِلين في نشرات الأخبار، بل كان هُناك في الواقِع عددٌ أقل منهُم، تمامًا مثلما انخفض عدد جرائِم القتل بشكلٍ عام.

وبشأن الجدل الدائِر حول ما إن كان القتلة المُتسلسِلون قد أصبَحوا أفضَل في التهرُّب من مُطبِّقي القانون أو أن مُطبِّقي القانون قد أصبحوا أكثر فاعليَّةً في الكشف عن القتلة المُتسلسِلين والقبض عليهم، فإن الإجماع العام هو أنه الافتراض الأخير، في ظلِّ تقدُّم تكنولوجيا الحمض النووي، وحَمل الجُناة والضحايا للهواتِف المحمولة في كُل مكان، وانتشار كاميرات المُراقبة في كُل مكان، والتي أصبَحَت من العوامِل الرئيسيَّة التي غيَّرَت قواعِد اللعبة في التحقيق في جرائِم القتل المُتسلسِل.

في الواقِع، فبَين عامي 2000 و2020، كان القتلة المُتسلسِلون الذين جذبوا اهتمام الصحافة الوطنيَّة في كثيرٍ من الأحيان قتلةً مُتسلسِلين تمَّ التعرُّف عليهم أو القبض عليهم حديثًا «من مُخلَّفات» سنوات البلاء من «السبعينيَّات» وحتى «التسعينيَّات»، مثل «دينيس ريدر» الشهير بـ «قاتِل بي تي كيه» في عام 2005؛ و«لوني فرانكلين جونيور» الشهير بـ «القاتِل النائِم المُتجهِّم» في عام 2010؛ و«رودني ألكالا» الشهير بـ «قاتِل لعبة المواعدة» الذي قُبِضَ عليه أخيرًا في عام 2010؛ و«جوزيف جيمس دي أنجلو» الشهير بـ «قاتِل الولاية الذهبيَّة» في عام 2018؛ و«صامويل ليتل» و«ريتشارد كوتينجهام» الشهير بـ «سفَّاح جذوع تايمز سكوير» اللذين أدلَيا باعترافاتٍ مُذهلةٍ في عام 2019.

وإن كان هُناك شيء واحِد يرمُز إلى نهاية حقبة البلاء، فهو على الأرجَح التعريف الجديد لمكتب التحقيقات الفيدرالي لِما يُشكِّل جريمة قتلٍ مُتسلسِل على أنه: «القتل غير المشروع لضحيَّتَين أو أكثر على نفس الجاني/ الجُناة في أحداثٍ مُنفصِلة، لأي سببٍ من الأسباب، ومن بين ذلِك الغضب، والإثارة، وكسب المال،

والسعي لجذْب الانتباه». وتندَّر الناس على أن مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يعُد يجِد قتلةً مُتسلسِلين، فاضطُرَّ لخفض الحد الأدنى من ثلاثة إلى اثنين (ليجدوا شيئًا يفعلونه). وهو ما يقودنا إلى دُرَّة تاجِ مكتب التحقيقات الفيدرالي من تلك الحقبة: برنامج القبض على المُجرمين العنيفين أو «ViCAP».

فشل برنامج القبض على المُجرمين العنيفين أو (ViCAP)

يُنتقَد أحيانًا تصنيف مكتب التحقيقات الفيدرالي، لا سيما ثالوثه التبسيطي المُنظَّمة/ غير المُنظَّمة/ المُختلطة، بشكلٍ غير عادلٍ دون الأخذ بعين الاعتبار كيفية استخدام وحدةِ تحليل السلوك له. وفي كُلِّ الأحوال، لم تتبنَّ الوحدة الوطنيّة لمُكافحة الجريمة العنيفة تقسيم «مُنظَّمة/ غير مُنظَّمة» منذ عام 2004، ولم تعُد تستخدِمها عند مُراجعة القضايا في العمليات اليوميَّة. في عام 2014، اعترف مكتب التحقيقات الفيدرالي بأن «تطبيق ثُنائيَّة المُنظَّمة/ غير المُنظَّمة على قضايا القتل المُتسلسِل النشِطة له فائِدة محدودة في التحقيقات المُتسلسِلة»[(CCCIV)]. كما خضع المُنتج الآخر لجلسات الاستماع في الكونجرس في عهد «بلاء القتلة المُتسلسِلين»، وهو قاعِدة بيانات برنامج القبض على المُجرِمين العنيفين أو (ViCAP)، للتدقيق بدَوره، واتضح أن الأمور ليسَت على ما يُرام فيه أبدًا.

عندما طُبِّق في عام 1985، بعد سنواتٍ من ضغط «بيرس بروكس»، كان الهدف من البرنامج هو إنشاء قاعِدة بياناتٍ وطنيَّة مركزيَّة في مكتب التحقيقات الفيدرالي تحتوي على تفاصيل جميع جرائِم القتل والاغتصاب وغيرها من جرائِم العُنف المُرتكبة في الولايات المُتحِدة. يُمكِن لوكالات الشُّرطة المُختلِفة تقديم أوصافٍ تفصيليَّة لجرائِم القتل التي لم تُحَل في ولايتها القضائيَّة، والتي يُؤمَل أن تؤدي إلى مُطابقةٍ حاسوبيَّة لجرائِمَ مُماثِلةٍ في ولاياتٍ قضائيَّةٍ أخرى. لكِن المُشكِلة كانت أن الأمر يتطلَّب قدرًا كبيرًا من الأعمال الورقية، و.. هل أحتاج لقول المزيد؟ حيث إن رجال الشُّرطة المُرهَقين والعمل الورقي لا يجتمِعان بشكلٍ جيِّد. وتألَّف نموذَج البرنامج من خمس عشرة صفحة، تحتوي على 189 سؤالًا مُفصَّلًا، الكثير منها مُتعدِّد الأجزاء[(CCCV)]. كان الأمر مُرهِقًا، تمامًا مثل نموذج ضريبة الدخل، إن لم يكُن أسوأ.. ناهيك عن ضرورة وضعه في البريد بعد ذلِك! كانت أجهزة الحاسوب لا تزال سلعةً نادِرة، لذا مثَّلَت الخدمة البريديَّة أو البريد السريع الطريقة الوحيدة لإرسال مُستند بطول نموذج البرنامج.

وللحصول على أي فائِدةٍ تُرجى من البرنامج، لم يتوجَّب على وكالة الشُّرطة ملء النموذج وتقديمه فحسب، بل أيضًا تقديم طلبٍ رسمي إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي لمُعالجته من خلال قاعِدة بياناتهم وإبلاغهم بالنتائِج، إن وُجِدَت.

وبحلول عام 1990، تحسَّنَت الأمور قليلًا؛ وأصبحت وكالات الشُّرطة قادِرةً على إرسال نماذِجها بالفاكس بدلًا من الاعتماد على خدمة البريد. وبحلول عام 1995، امتلك الجميع جهاز حاسوب، ووزَّع مكتب التحقيقات الفيدرالي النماذِج كبرنامج حاسوبي، حيث يُمكِن لضابِط الشُّرطة على الأقل ملء الاستمارة رقميًّا وإرسالها بالبريد الإليكتروني إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي كملفٍّ إليكترونيٍّ مُرفَق. كما

خُفِضَت الأسئِلة من 189 إلى 95 على أمل تشجيع أقسام الشُّرطة على تقديم البيانات. ولكِن مرَّة أخرى، لاستخلاص أي نتيجةٍ من البرنامج، توجَّب على وكالة الشُّرطة تقديم طلبٍ رسمي لمكتب التحقيقات الفيدرالي للبحث في قاعِدة بياناتهم، وإبلاغهم عن «النتائِج» المُحتمَلة في نظامهم. ولم يكُن هُناك أي طريقةٍ تُمكِّن وكالة الشُّرطة من الدخول مُباشرةً لإجراء بحثٍ خاص بها. ونتيجة لذلِك، تجاهلت وكالات الشُّرطة البرنامج تمامًا.

في عام 1997، ومن بين 18209 جريمة قتل، و96122 جريمة اغتصاب، لم يتلقَّ البرنامج سوى 1500 حالة فقط من بيانات الحالات المُقدَّمة. وكان هذا رقمًا قياسيًّا، لكِنه لا يزال جُزءًا ضئيلًا (يُمثِّل حوالي 0.013٪) من جرائِم القتل والاغتصاب المُبلَّغ عنها سنويًّا في الولايات المُتحِدة. في السنوات الاثنتي عشرة الأولى التي عمل فيها البرنامج، نجح في ربط 33 حالة فقط، لم تؤدِّ أيٌّ منها إلى القبض على أي قاتِلٍ مُتسلسِل[(CCCVI)].

وبحلول مُنتصف العقد الأول من القرن «الحادي والعشرين»، فقدَت الكثير من أقسام الشُّرطة الصِّلة بوجود البرنامج. حيث تقاعَد العديد من ضُبَّاط الشُّرطة الذين تعرَّفوا عليه لأول مرَّة في «الثمانينيَّات»، بينما غرقت الأقسام باستمرارٍ في التحديثات والنشرات وحُزَم المعلومات بطريقةٍ جعلت من السهل تجاهُل تذكير مكتب التحقيقات الفيدرالي لجيلٍ جديد من الضُّباط المُثقَلين بالعمل بالبرنامج.

بعد اثنَين وعشرين عامًا من العمل، نجح برنامج «ViCAP» في عام 2007 لأول مرَّة في الربط في قضية قتل مُتسلسِل، ولكِن فقط بعد أن قبض والِدا الضحية على القاتِل المُتسلسِل؛ عندما تسلَّل إلى غُرفة نوم ابنتِهما أثناء نومِها، وحاول قتلَها. ارتكب سائِق الشاحِنة «آدم ليروي لين» جريمتَي قتلٍ وعددًا من مُحاولات القتل على طول طريق شاحِنته عبر «بنسلفانيا»، و«نيو جيرسي»، و«كونيتيكيت»، و«ماساتشوستس». وكان اثنان من قوَّات ولاية «ماساتشوستس»، لم يُشارِكا مُباشرةً في التحقيق، قد حضرا مؤخَّرًا ندوةً لإعادة تقديم البرنامج إلى جيلٍ جديدٍ من ضُبَّاط الشُّرطة. واقترحا على قِسم شرطةٍ مُجاوِر تقديمَ تقريرٍ إلى البرنامج، وهو الأمر الذي نجح في ربط «لين» بعددٍ من الحوادِث التي حوكِم بسببها في نهاية المطاف[(CCCVII)].

وأخيرًا، في عام 2008، أعلَن مكتب التحقيقات الفيدرالي عن ترقيةٍ كبيرةٍ لبرنامج «ViCAP»، والتي جعلته مُتاحًا مُباشرةً لاستعلام وكالات الشُّرطة المُعتمَدة عبر الإنترنِت. وفي بيانه الصحفي، ادَّعي مكتب التحقيقات الفيدرالي امتلاكه قاعِدة بياناتٍ تضُم 150 ألف قضيةٍ مُغلقة ومفتوحة، قُدِّمَت على مرِّ السنين من قِبَل حوالي 3000 وكالة، بما في ذلِك جرائِم قتل لم تُحلّ تعود إلى «خمسينيَّات» القرن الماضي[(CCCVIII)].

ومع ذلِك، وجد تحقيق أجرته مؤسَّسة «بروبابليكا» في عام 2015 أن هذا غير صحيحٍ على الإطلاق، إذ تُشير التقارير إلى أن «حوالي 1400 وكالة شرطة فقط في الولايات المُتحِدة، من بين حوالي 18 ألفًا، تُشارِك في النِظام. وتتلقَّى قاعِدة البيانات تقارير عن أقلَّ بكثيرٍ من 1٪ من جرائِم العُنف المُرتكَبة سنويًّا. ولدى مكتب التحقيقات الفيدرالي حوالي 89 ألف قضية في الملف»[(CCCIX)].

في نفس البيان الصحفي الصادِر عام 2008، ادَّعى مكتب التحقيقات الفيدرالي أن التقارير «تُقارَن باستمرار» بحثًا عن أي تطابُقٍ مع الحالات الجديدة التي تُدخَل في البرنامج. ولكِن وفقًا لمؤسَّسة «بروبابليكا»: «في إحدى المُقابلات، قال مسئولو البرنامج إن هذا لا يحدُث. وعلى حدٍّ قول «ناثان جراهام»، مُحلل الجرائِم في البرنامج، فلدَيهم خُطط لذلِك في المُستقبل. كما قالت الوكالة أنها ستُحدِّث المعلومات على موقِعها الإلكتروني». لكِن حتى لحظة كِتابة هذه السطور، وبعد اثني عشر عامًا، لا تزال الصفحة الإلكترونيَّة غير مُحدَّثة.

إن برنامج «ViCAP» ما هو إلا محض أوهامٍ وخِداع. فعلى مدار تاريخه المُمتدّ لخمسةٍ وثلاثين عامًا، أفاد مكتب التحقيقات الفيدرالي أنه لم يؤدِّ إلى إلقاء القبض على أي سفَّاحين طُلقاء، ولم يكُن له أي دورٍ فعَّال سوى في أربع حالاتٍ فقط لقتلةٍ مُتسلسِلين، تم التعرُّف والقبض عليهم جميعًا بالفعل، ألا وهُم؛ «آدم ليروي لين» في عام 2007؛ و«بروس ميندينهال»، وهو سائِق شاحِنة اعتُقِل في عام 2007، ورُبِطَ بقتل أربع نِساء؛ و«إسرائيل كيز»، وهو قاتِل مُتسلسِل انتحر بعد اعتقاله في عام 2012، ورُبِطَ بإحدى عشرة جريمة قتل؛ و«صموئيل ليتل» في عام 2019، الذي أُدخِلَت اعترافاته المُفيدة في البرنامج لتأكيدها. ولا يكاد ذلِك يكون نجاحًا باهرًا.

يتضح مدى فراغ نِظام برنامج «ViCAP» عندما يُقارِنه المرء بنظامٍ مُماثِلٍ مُستخدَم في «كندا»، حيث يبلغ عدد السُّكَّان حوالي عُشر سُكَّان الولايات المُتحِدة، ومُعدَّل جرائِم العُنف فيها جُزء بسيط من ذلِك. يُدار النِّظام الكندي، المعروف بـ «ViCLAS» – أو نظام تحليل الروابِط الجنائيَّة العنيفة – بواسطة ما يُعادِل مكتب التحقيقات الفيدرالي الكندي، وهو شرطة الخيَّالة الملكيَّة الكنديَّة «RCMP». وبالمُقارنة مع الميزانيَّة السنويَّة الحالية لنِظام «ViCAP» البالِغة 800 ألف دولار أمريكي، والموظَّفين البالِغ عددهم اثنَي عشر موظَّفًا، فإن الميزانيَّة السنويَّة لنِظام «ViCLAS» تبلُغ حاليًّا حوالي عشرة ملايين دولار أمريكي، وموظَّفين يبلُغ عددهم مائة ضابِط ومُحلِّل[(CCCX)]. وعلاوةً على ذلِك، تمتلِك كُلٌّ من إدارات الشُّرطة البلديَّة والإقليميَّة ميزانيَّةً ضخمة خاصَّة بها لأغراض جمع البيانات وتصنيفها وتقديمها إلى قاعدة البيانات الوطنيَّة، بما في ذلِك أجور ضُبَّاط الشُّرطة عند الاتصال مع نِظام «ViCLAS». وبلغت ميزانيَّة «ViCLAS» في عام 2017 لدائِرة شرطة «تورنتو»، وهي مدينة واحِدة فقط، وإن كانت الأكبر بين حدود «كندا»، مبلغًا مُذهِلًا قدره 218 ألف دولار أمريكي[(CCCXI)]! وهذا فقط لمدينةٍ يبلُغ عدد سُكَّانها 2.9 ملايين نسمة، ولكِنه يُعادِل 25٪ من إجمالي ميزانيَّة «ViCAP» البالِغة 800 ألف دولار أمريكي، والتي تخدم 328 مليون أمريكي.

ونتيجةً لذلِك، يحتفِظ البرنامج الكندي بقاعدة بيانات تحتوي على أكثر من 500 ألف ملف قضية جنائيَّة، وقد ربط حوالي سبعة آلاف جريمة لم تُحلّ منذ عام 1995.

وبحلول عام 2013، انخفض التقديم إلى قاعدة بيانات «ViCAP» بشكلٍ كبيرٍ من أعلى مستوًى بلغ 1500 حالة في عام 1997. ولم تُقدِّم إدارات الشُّرطة المحليَّة والولائيَّة سوى 232 قضية قتل من أصل

14196 جريمة قتل، و240 قضية اعتداء جنسي من أصل 79770 حادِث اغتصابٍ قسري. وفي عام 2014، لم يُقدِّم برنامج «ViCAP» مُساعدة تحليليَّة للشرطة المحليَّة سوى 220 مرَّة فقط.

نادرًا ما تستخدِم أي وكالة لتطبيق القانون في الولايات المُتحِدة برنامج «ViCAP»، الذي لا يُعَدّ أكثر من مزحة.

الحنين إلى العصر الذهبي

إن بضع مئاتٍ من القتلة المُتسلسِلين «الجُدد» (على عكس قتلة «عصر البلاء» القادمين من العصر الذهبي) الذين قُبِضَ عليهم على مدار السنوات العشرين الماضيَة هُم مجهولون تمامًا مثل أولئِك الذين قُبِضَ عليهم في «التسعينيَّات» بعد «جيفري دامر». من منكُم سَمِع عن «تيري إيه. بلير»، أو «جوزيف إي. دنكان الثالِث»، أو «بول دوروسو»، أو «والتر إي. إليس»، أو «رونالد دومينيك»، أو «شون فنسنت جيليس»، أو «لورينزو جيروم جيليارد جونيور»، أو «مارك جودو»، أو «ويليام ديفين هاول»، أو «دارين ديون فان»؟

تؤكِّد الموجة الأخيرة من البرامِج التليفزيونيَّة مثل «صائِد الأفكار» والأفلام الوثائقيَّة والدراميّة التي تحظى بنِسَب مُشاهدة عالية عن القتلة المُتسلسِلين في سنوات البلاء مثل «تِد بندي» و«هنري لي لوكاس» و«تِد كاتشينسكي» أن القليل من الروايات الجديدة التي تحظى بأي اهتمامٍ يُذكَر قد بدأت في الظهور، وأن نوع الجرائِم الحقيقيّة للقتلة المُتسلسِلين يُرَد للحنين إلى «القتلة المُتسلسِلين المشاهير» القدامى الموثوق بهم، والمألوفين في عصر البلاء منذ عشرين وثلاثين عامًا، والذي يُعَد هذا الكِتاب نفسه شهادةً عليه. لقد قُدِّمَت مجموعة كامِلة من أفلام «تِد بندي» والأفلام الوثائقيَّة في السنوات الأخيرة إلى جيلٍ جديدٍ لم يكُن قد وُلِدَ بعدُ حتى عندما ذاع صيتُه للمرَّة الأولى.

لا يزال هُناك قتلة مُتسلسِلون في الولايات المُتحِدة. حيث تُشير التقديرات المُتحفِّظة إلى أنه قد يكون هُناك ما يصِل إلى خمسةٍ وثلاثين قاتلًا مُتسلسِلًا مجهول الهوية في المتوسِّط في أي عام. ورُبما تتصدَّر التغطيَة الإعلاميَّة لجرائِم القتل المُتسلسِلة التي لم تُحَلّ حتى كتابة هذه السطور قضية «قاتِل لونج آيلاند المُتسلسِل»، أو «LISK»، والمعروف أيضًا باسم «قاتِل شاطئ جيلجو» أو «سفَّاح كرايجليست»، والمُشتبه في ارتكابه ما يصِل إلى ستَّ عشرة جريمة قتلٍ بين عامي 1996 و2013. ومن بين القضايا الأخرى التي لم تُحَلّ قضية «جامِع العِظام»، المُرتبِط بإحدى عشرة ضحيَةً من الإناث اللاتي عُثِر عليهنّ مدفونات معًا في «ويست ميسا» بـ «نيو مكسيكو»؛ و«قاتِل طريق الجسور السبعة» في «كارولينا الشماليَّة» المُرتبِط بقتل إحدى عشرة بائِعة هوى أمريكيَّة من أصل أفريقي؛ وقاتِل جيف ديفيس 8 في «جينينجز» في «أبرشيَّة جيفرسون ديفيس» بـ «لويزيانا»، المُشتبه في ارتكابه ثماني جرائِم قتل؛ و«قاتِل دايتونا بيتش» في «فلوريدا» الذي ارتكب أربع جرائِم قتل؛ و«قاتِل التاسِع من فبراير»، الذي قتل امرأتَين على الأقل في مدينة «سولت ليك سيتي» في نفس التاريخ من عامَين مُختلفَين؛ و«خانِق إيستباوند» بالقُرب من «أتلانتيك سيتي»، الذي ترك ضحاياه الأربع المخنوقات خلف فُندقٍ مُتهالِك موضوعات بعنايةٍ باتجاه الشرق، مُرتدياتٍ ملابسهنّ بالكامِل، ولكِنهن مُجرَّدات من أحذيتهنّ وجواربهن، والذي يَشتبِه البعض في أنه «قاتِل لونج آيلاند المُتسلسِل».

تُعَد الخنادِق وجوانِب الطّرق في نِظام الطّرق السريعة بين الولايات الأمريكيَّة وحدَها مسرحًا للعديد من جرائِم القتل التي لم تُحَلّ – ما يقرب من خمسمائة جريمة قتل على مدى ثلاثين عامًا – حتى إنَّ مكتب التحقيقات الفيدرالي أطلق في الفترة من 2009 إلى 2011 مُبادرة خاصَّة بالقتل المُتسلسِل على الطرق السريعة، تُدعى «HSKI»، وتستهدِف القتلة المُتسلسِلين الذين يُشتبَه في عملهم كسائِقي شاحِنات. وقد أُدين ما لا يقِل عن خمسةٍ وعشرين سائِق شاحِنة في قضايا القتل المُتسلسِل، بينما تُحقِّق مُبادرة «HSKI» في قائِمة مُشتبهٍ بهم تضُم أكثر من 275 اسمًا، جميعهم من سائِقي الشاحِنات الذين يعمَلون في النقل لمسافاتٍ طويلة.

في حين قد يكون الانخفاض العام في عدد القتلة المُتسلسِلين الأمريكيين منذ «التسعينيَّات» خبرًا سيِّئًا لوسائِل الإعلام الباحِثة عن الإثارة ومؤلِّفي الجرائِم الحقيقيَّة، إلا أنه خبر سار لبقية البشر.

حتى الآن.

إذا كُنتُ على حقٍّ في أن «عصر بلاء» القتلة المُتسلسِلين كان نتيجة «عاصِفة شيطانيَّة كامِلة» في ثقافة الكساد الكبير والصدمات الأبويَّة في الحرب العالمية الثانيَة بالإضافة إلى ثقافة الاغتصاب ومجلَّات التحقيقات/ المُغامرات الرجاليَّة التي حوَّلت جيلًا من الأطفال الذكور في «الأربعينيَّات» إلى «الستينيَّات» إلى موجةٍ من القتلَة المُتسلسِلين في «السبعينيَّات» إلى «التسعينيَّات»، فنحن في وضعٍ سيئ.

إنني أخشى ما سينتُج عن الصدمات العائِليّة للأزمة المالية التي حدثَت في عام 2008، والأسرار المُخيفة للحرب على الإرهاب التي لم يخُضها الآباء المُحارِبون للجيل الحالي من الأطفال فحسب، بل وأُمهاتهم المُحارِبات أيضًا، وأخيرًا جائِحة «كوفيد – 19» الكارثيّة التي نحن في خضمِّها اليوم. في الحرب العالميّة الثانية التي جلبَت الشر الأمريكي للداخِل، قُتِلَ 405 آلاف جُندي أمريكي على مدى خمسةٍ وأربعين شهرًا من القِتال الوحشي؛ وفي عام 2020، حتى لحظة كِتابة هذه السطور في أوائِل «نوفمبر»، وفي تسعة أشهُر فقط، قُتِل 236 ألف أمريكي – أي أكثر من نصف قتلى الحرب العالميَّة الثانية. أجرِ أنت حساباتك إن استمرَّت جائِحة «كوفيد» لنفس مُدَّة الحرب العالميَّة الثانية.

وعلى عكس موتانا المُبعثَرين الذين رآهم «إرني بايل» على سفوح التِّلال الأجنبيّة البعيدة، فإننا نرى موتانا بشكلٍ جماعي هُنا في الوطن. نحن ننظُر إلى هاوية شرٍّ أمريكي جديدٍ مثل «الأربعينيَّات»، ولكِن أسوأ. هذه المرَّة لَن تكون هُناك قوافِل مهيبة من الموتى في توابيت مُغطَّاة بالأعلام قادِمة من أقاصي البحار؛ لأنهم هُنا معنا بالفعل في مقابر جماعيَّةٍ مثل جزيرة «هارت» في «نيويورك»، وفي شاحِنات التبريد في مواقِف سيَّارات المُستشفيات، ودور الجنازات.

أضِف إلى هذا المزيج الشيطاني في ثقافة التوفُّر الحالي غير المُقيَّد لأي شيءٍ على الإنترنِت على الإطلاق، بما في ذلِك تلك الصور القديمة من المُحقِّقين الحقيقيِّين، والمواد الأكثر تصويرًا وصراحةً بكثير، وانظُر ماذا سيحدُث بعد ذلِك مع جيل الأطفال الذين نُربِّيهم اليوم.

لو كان للكُتب موسيقى تصويريَّة لاختتمنا معًا هذا الكِتاب مع «جون سي فوجيرتي»[(CCCXII)].

أرى قمرًا سيئًا على وشك البزوغ..

أرى مُشكِلةً على وشك الحدوث..

النهاية

الهوامش

مُقدِّمة: العصر الذهبي للقتلة المُتسلسِلين

1. I http://www.slate.com/articles/news_and_politics/crime/2011/01/blood_loss.html
2. II إريك دبليو. هيكي، القتلة المُتسلسلون وضحاياهُم، الطبعة السابِعة «بوسطن سينجاج لِرننج، 2016، صفحة 241؛ مكتب التحقيقات الفيدرالي يطلُب المُساعدة في ربط الضحايا باعترافات صامويل ليتل، وزارة العدل الأمريكيَّة، مكتب التحقيقات الفيدراليَّة، 6 أكتوبر 2019، https://www.fbi.gov/news/stories/samuel-little-most-prolific-serial-killer-in-us-history-100619.
3. III كِتاب هيكي «القتلة المُتسلسِلين وضحاياهُم»، صفحة 239.
4. IV كِتاب إم. جي. آمودِت «إحصائيات القاتِل المُتسلسِل»، في 4 سبتمبِر 2016، والذي استُرجِع في 28 يوليو 2019، http://maamodt.asp.radford.edu/serial killer information center/project description.htm.
5. V وزارة العدل الأمريكيَّة، ومكتَب التحقيقات الفيدرالي، ووحدة التحليل السلوكي، والمركز الوطني لتحليل جرائِم العُنف، والقتل المُتسلسل: وجهات نظر مُتعدِّدة التخصُّصات للمُحقِّقين «واشنطن العاصِمة، 2008، صفحة 10؛ https://www.fbi.gov/stats-services/publica tions/serial-murder.
6. VI **الفصل الأول: أبناء قابيل: تاريخ لجرائِم القتل المُتسلسِلة من العصر الحجري وحتى ١٩٣٠:**
بيتر فرونسكي، أبناء قابيل: تاريخ القتلة المُتسلسِلين من العصر الحجري إلى الوقت الحاضِر «نيويورك: بِركلي بوكس، 2018.
7. VII على سبيل المثال: كتاب «أوين دي. جونز» الشهير «الجنس، والثقافة، وبيولوجيا الاغتصاب: نحو التفسير والمنع»، الصادِر عن «كاليفورنيا لاو ريفيو 87، في يوليو 1999: الصفحات من 827 وحتى 839؛ وكِتاب «جارِيد دايموند» «الشمبانزي الثالِث: تطوُّر ومُستقبل الحيوان البشري» الصادِر عن «نيويورك: هاربر كولينز، 1992 صفحة 45؛ وكِتاب «جواو ريكاردو فاريا» «ماذا حدث بإنسان النياندرتال؟ فخ البقاء» الصادِر عن «كيكلوز 53 في عام 2000 الصفحات من 161 وحتى 172؛ وأيضًا «كوانج هيون كو» «تهجين أشباه البشر وتطوُّر التنوُّع البشري» مجلة البحوث البيولوجيَّة «ثيسالونيكي» بتاريخ 17 ديسمبر 2016؛ وكذلِك «جرانت إس. ماكول» و«نانسي شيلدز» «دراسة الأدِلَّة من المُجتمعات الصغيرة وعصور ما قبل التاريخ المُبكِّرة، وآثارها على النظريات الحديثة للعدوان والعُنف» «العدوان والسلوك العنيف 13 العدد الأول 2008: الصفحات من 1 إلى 9.
8. VIII كتابات «كريستوف بي. إيه. زوليكوفر» و«مارسيا إس. بونس دي ليون»، و«برنارد فاندرميرش»، و«فرانسوا ليفيك»: «دليل على العُنف بين الأشخاص في إنسان نياندرتال سانت سيزار»، وقائِع الأكاديميَّة الوطنيَّة للعلوم في الولايات المُتحِدة الأمريكية 99، العدد 9 الصادِر في 2002: الصفحات من 6444 إلى 6448.
9. IX كتابات «ريتشارد ستيفن تشارنوك»، «أكل لحوم البشر في أوروبا»، مجلة الجمعيَّة الأنثروبولوجيَّة في لندن 4 1866: من «الثاني والعشرين» إلى «الحادي والثلاثين»؛ و«إليزابيث بِنيسي»، «رُبما كان أكل لحوم البشر ومرض البريون مُنتشرًا لدى البشر القُدماء» «العلوم إن. إس. 300، العدد 5617 بتاريخ 11 أبريل 2003، الصفحات من 227 إلى 228؛ و«إليزابيث كولوتا»، «النياندرتال أكلة لحوم البشر، هكذا أخبرتنا العظام» في نفس المجلّة، العدد 5437، بتاريخ 1 أكتوبر 1999، الصفحات من 18 إلى 19.
10. X كِتاب «روبِرت إيسلر» «من الرجل إلى الذِئب: تفسير أنثروبولوجي للسادية والمازوشية والليكانثروبي» الصادِر عن «لندن: روتليدج وكيجان بول، 1951، الصفحات من 36 إلى 42.
11. XI كتاب «إيسلر» «من الرجل إلى الذئب»، 78 إن 10.

12. XII كِتاب «فرونسكي» «أبناء قابيل»، الصفحات من 46 إلى 47.
13. XIII كتابات «آن دبليو. بيرجِس»، و«جون إيه. دوجلاس»، و«روبرت كيه. ريسلر» «القتل الجنسي» الصادِرة عن «نيويورك: فري برِس، 1992، الصفحات من 1281 إلى 1282، على كندل.
14. XIV كتابات «روبرت جي. مورتون»، و«جينيفر إم. تِلمان»، و«ستيفاني جيه. جاينز»، «وزارة العدل الأمريكيَّة، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وحدة التحليل السلوكي، المركز الوطني لتحليل الجرائِم العنيفة»، «القتل المُتسلسِل: مسارات للتحقيق»، الصادِرة عن «واشنطن دي سي» في عام 2014، الصفحات من 43 إلى 47.
15. XV كتاب «لي ميلور»، و«أنيل أجراوال»، و«إريك هيكي»، وغيرهم من المُحرِّرين، «فهم مُجامعة الموتى: نهج عالمي مُتعدِّد التخصُّصات»، «كوجنيلا للنشر الأكاديمي»، عام 2017.
16. XVI http://en.wiktionary.org/wiki/monstrum
17. XVII كِتاب «ويليَم دي بليكور» الشهير «المُستذئب، والساحِرة، والمشعوِذ: جوانِب النوع الاجتماعي في الفترة الحديثة المُبكِّرة»، في «السحرة والذكورة في أوروبا الحديثة» من تحرير «أليسون رولاندز» والصادِر عن «نيويورك: بالجريف ماكميلان»، عام 2009، الصفحة 207.
18. XVIII «جون فيليب جنكينز»، «القاتِل المُتسلسِل الأمريكي: هنري هوارد هولمز»، في «الموسوعة البريطانيَّة»، https://www.britannica.com/biography/h-h-holmes.
19. XIX انظر كتاب «بيتر فرونسكي» «القاتِلات المُتسلسِلات: كيف ولماذا تُصبِح النساء وحوشًا» الصادِر عن «نيويورك: بيركلي بوكس»، عام 2007.
20. XX كِتاب «آدم سيلزر»، «هنري هوارد هولمز: التاريخ الحقيقي لشيطان المدينة البيضاء» الصادِر عن «نيويورك: سكاي هورس»، عام 2017.
21. XXI «آمودِت»، «إحصائيات القاتِل المُتسلسِل».
22. XXII صحيفة «ذا تايمز أند ديموقراط» بتاريخ 28 يونيو 1906؛ وصحيفة «سانت جون ديلي صن» بتاريخ 1 مايو 1906؛ وصحيفة «هوم ديلي سنتينل» بتاريخ 16 يونيو 1906؛ وصحيفة «كوينبيان إيدج» بتاريخ 6 سبتمبر 1907.
23. XXIII «آمودِت»، قاعدة بيانات القاتِل المُتسلسِل بـ «رادفورد/ جامعة ساحل خليج فلوريدا».
24. XXIV كِتاب «فيليب جنكينز»، «استخدام القتل: البناء الاجتماعي لجرائِم القتل المُتسلسِل»، الصادِر عن «نيويورك: ألدين دي جرويتر»، عام 1994؛ و«جرائِم القتل المُتسلسِل في الولايات المُتحِدة في الفترة بين 1900 – 1940 من منظورٍ تاريخي»، في «مجلة العدالة الجنائيّة»، العدد «الخامِس»، الصادِر عام 1989، الصفحات من 377 إلى 392.
25. XXV كِتاب «إريك جودتلاند»، و«ديان هانسون» الشهير «مجلَّات المُحقِّقين لجرائِم القتل الحقيقيَّة بين 1924 – 1969. الصادِر عن «كولونيا: تاشِن»، «عام 2013، صفحة 65.
26. XXVI كِتاب «كينت إيه. كيهل» الشهير «السيكوباتي الهامِس: داخِل عقول معدومي الضمير»، الصادِر عن «نيويورك: كراون/ أرشتايب»، عام 2015، في الصفحات من 170، و171، على كِندل.
27. XXVII مقال «كينت إيه. كيهل»، الشهير «منظور علم الأعصاب الإدراكي حول الاعتلال النفسي: دليل على خللٍ في النِظام البارليمبي»، في مجلة «أبحاث الطب النفسي»، العددين 2، و3، الصادرَين بتاريخ 15 يونيو 2006، الصفحات من 107، إلى 128.
28. XXVIII كِتاب «هارولد شِشتر»، الشهير «الهمجيَّة: المسار الوحشي للمسخ الأمريكي الحقيقي»، الصادِر عن «نيويورك: جاليري بوكس»، عام 1999؛ وكِتاب «مايكل نيوتِن»، الشهير «الخانِق الخفي: القاتِل المُتسلسِل إيرل ليونارد نيلسون»، الصادِر عن «سانت جونز، الدوليَّة»، عام 2016.
29. XXIX كِتاب «هنري ليسر»، الشهير «أوراق بانزرام»، «المجموعات الخاصَّة وأرشيفات الجامِعة»، «أوراق كارل بانزرام»، الفترة بين 1928 – 1980، الصندوق الأول، المُجلَّد الثالِث: نُسخة مطبوعة من مخطوطة «بانزرام»: الجُزء الأول، القِسم الأول، سنوات 1928 – 1930، «جامعة ولاية سان دييجو».
30. XXX كِتاب «هارولد شِشتر» الشهير: «المُشوَّه: القصَّة الحقيقيَّة الصادِمة للقاتِل الأكثر وحشيَّةً في أمريكا»، الصادِر عن «نيويورك: سيمون وشوستر»، الصادِر عام 1990؛ وكِتاب «ميل هايمر» الشهير: «آكل لحوم البشر: قضية ألبرت فيش»، الصادِر عن

«نيويورك: لايل ستيوارت»، الصادِر عام 1971.

31. XXXI http://stuffnobodycaresabout.com/2014/05/24/notorious-crime-scene-property-is-for-sale/.

32. XXXII **الفصل الثاني: المسخ الأمريكي: نهضة القتلة ذوي التوقيعات الجنسيّة في الفترة بين 1930 – 1945**
مقال «مايكل هول» الشهير «نادِلتان، وخمسة تماسيح، وسفَّاح إلميندورف»، الذي نُشِرَ في مجلّة «تكساس» الشهرية، في «يوليو 2002، http://www.texasmonthly.com/articles/two-barmaids-five-alligators-and-the-butcher-of-elmendorf/.

33. XXXIII انظُر فصل «نهضة الجريمة الجنسيّة» في كِتاب «التاريخ الإجرامي للبشريّة» للكاتِب «كولِن ويلسون»، الصادِر عن «لندن: جرافتون بوكس»، عام 1985.

34. XXXIV كِتاب «إريك هيكي» الشهير «القتلة المُتسلسِلون وضحاياهم»، الطبعة السادِسة، الصادِرة عن «بلمونت، كاليفورنيا: وادوورث»، عام 213، صفحة 226.

35. XXXV كِتاب «جي. بول دي ريفر» الشهير «المُجرِم الجنسي: دراسة تحليليّة نفسيّة»، من تحرير «بريان كينج»، الصادِر عن «بوربانك، كاليفورنيا: بلوت بوكس»، عام 2000.

36. XXXVI كِتاب «دي ريفر» الشهير «المُجرِم الجنسي»، الصفحة 96.

37. XXXVII كِتاب «دي ريفر» الشهير «المُجرِم الجنسي»، الصفحة 164، و165.

38. XXXVIII صحيفة «دايتون ديلي نيوز»، «دايتون، أوهايو»، بتاريخ 26 يناير 1936، الصفحة 62.

39. XXXIX صحيفة «هيرالد بريس»، «سانت جوزيف، ميشيجان»، بتاريخ 3 يناير 1936، الصفحة 8.

40. XL صحيفة «ستار تريبيون»، «مينيابوليس، مينيسوتا»، بتاريخ 9 ديسمبر 1934، الصفحة 66.

41. XLI مقال «سيندي جيلي»، «طبعة الحرب العالميّة الثانيّة.. الجزء الأول: قاتِل مُتسلسِل حُر طليق»، على موقِع «واشنطن المُشينة»، http://scandalouswashington.com/2015/08/20/scandalous-washington-world-war-ii-edition-part-1/.

42. XLII صحيفة «ديلي نيوز»، «نيويورك»، بتاريخ 17 يونيو 1941، الصفحة 4.

43. XLIII كِتاب «ماري إليزابيث بي مورفي»، الشهير «جيم كرو كابيتال: النِّساء والنِّضال من أجل حُريّة السود في واشنطن العاصِمة بين عامي 1920 – 1945»، الصادِر عن «تشابل هيل: مطبعة جامعة كارولينا الشماليّة»، عام 2018، الصفحات 203، و204.

44. XLIV «ميرفي»، «جيم كرو كابيتال»، صفحة 203.

45. XLV صحيفة «ديلي نيوز»، «نيويورك»، بتاريخ 18 يونيو 1941، الصفحة 4.

46. XLVI صحيفة «تايمز»، «شريفبورت، لوس أنجلوس»، بتاريخ 13 يوليو 1941، الصفحة 2.

47. XLVII يُمكِنك الاطلاع على أرشيف صحيفة «أفرو أمريكان» على الإنترنِت على: https://www.afro.com/archives/.

48. XLVIII مجلّة «نوكسفيل»، «نوكسفيل، تينيسي»، بتاريخ 19 سبتمبر 1943، الصفحة 2.

49. XLIX مجلّة «تايم»، بتاريخ 8 سبتمبر 1941.

50. L «واشنطن بوست»، بتاريخ 30 أغسطس 1941، صفحة 14.

51. LI «واشنطن بوست»، بتاريخ 3 سبتمبر 1941، صفحة 17.

52. LII «واشنطن بوست»، بتاريخ 9 يناير 1943، صفحة «بي 1.

53. LIII «واشنطن بوست»، بتاريخ 30 أغسطس 1941، صفحة 3.

54. LIV كِتاب «لوسي فريمان»، «اقبضوا عليَّ قبل أن أقتل المزيد من الضحايا»، الصادِر عن «نيويورك: كراوِن بابلشرز»، عام 1955، صفحة 200.

55. LV مجلة «لايف»، بتاريخ 6 ديسمبر 1968.

56. LVI مقال «ويليام هيرينز، قاتِل «أحمر الشِّفاه» بـ «شيكاغو»، يموت في السجن»، بقلم «بول فريسوولد»، المنشور في صحيفة «ريفرفرونت تايمز»، بتاريخ 6 مارس 2012: https://www.riverfronttimes.com/newsblog/2012/03/06/william-heirens-chicagos-lipstick-killer-dies-in-prison.

57. LVII التماس مُعدَّل للحصول على الرأفة التنفيذيّة، إلى سعادة السيّد «جورج إتش. رايان»، حاكِم ولاية «إلينوي»، بتاريخ «أبريل 2002، جدول أعمال، الصفحة رقم 5.

58. LVIII التماس مُعدَّل للحصول على الرأفة التنفيذيّة، الصفحتان 5، و6.

59. LIX http://home.earthlink.net/~chicago1946/p21.html.

60. LX تقرير الطب النفسي الذي أصدرته المحكمة، في فريمان، بعنوان «اقبضوا عليَّ قبل أن أقتُل المزيد»، بقلم «فوستر كينيدي»، و«هاري بي. هوفمان»، و«ويليام إتش. هينز»، صفحة 337.

61. LXI الأطِبّاء «كينيدي»، و«هوفمان»، و«هاينز»، في تقرير الطِب النفسي الصادِر عن المحكَمة، الصفحة 339.

62. LXII «لويس ألكسندر ماركو»، و«بيير إيمانويل ميشون»، و«صوفي ليميلين»، و«جوليان آي. إيه. فوازين»، و«إتيان فاشون بريسو»، و«فيليب إل. جاكسون»، «المشاعِر لكِن دون عواطِف: التغيير التعاطُفي لدى الرِّجال النرجسيين ذوي السِّمات السيكوباتيّة العالية»، «أبحاث الطب النفسي: تصوير الأعصاب». الصادِر في «أكتوبر 2014.

63. LXIII «كاتي هيني»، «حياتي كمُختل عقليًّا»، «ذا كات»، بتاريخ 10 أغسطس 2018، https://www.thecut.com/2018/08/my-life-as-a-psychopath.html.

64. LXIV «كولِن ويلسون»، «المُطارِدون: المُحقِّقون الجنائيون وبحثهم عن أكثر القتلة المُتسلسِلين المَطلوبين في العالَم»، «نيويورك: سكاي هورس بابلشينج»، الصادِر في 2017، الصفحة 52.

65. LXV https://en.wikipedia.org/wiki/list-of-longest-prison-sentences-served.

66. LXVI **الفصل الثالث: الإجرام الأمريكي: صحوة الشر خلال سنوات الصدمة، في الفترة بين ١٩٣٠ – ١٩٥٠**

انظُر على سبيل المثال، كِتاب «التحقيق في جرائِم القتل والوفاة المُتعلِّقة بالجنس: وجهات نظر عمليّة وسريريّة» للكاتِب «فيرنون جي. جيبرث»، الصادِر عن «بوكا راتون، فلوريدا: سي آر سي بريس»، عام 2003؛ وكِتاب «الشر الجديد: فهم ظهور الجريمة العنيفة الحديثة» للكاتبَين «مايكل إتش ستون»، و«جاري بروكاتو»، الصادِر عن «نيو يورك، بروميثيوس بوكس»، عام 2019.

67. LXVII كِتاب «الغنائِم المُظلِمة: الصيد وجُثث الأعداء في الحرب الحديثة»، للكاتِب «سيمون هاريسون»، الصادِر عن «نيويورك، بيرجهان بوكس»، عام 2012، الصفحات من 4297 إلى 4298، على «كيندل».

68. LXVIII كِتاب «القتلة بيننا: فحص جرائِم القتل المُتسلسِلة وتحقيقاتها»، للكاتِب «ستيفن إيه. إيجر»، الصادِر عن «أبر سادِل ريفر، نيوجيرسي: برينتس هول»، عام 1998، الصفحات من 74 إلى 75.

69. LXIX كِتاب «روشتة للقتل: جرائِم القتل المُتسلسِلة على يد الدكتور توماس نيل كريم»، للكاتِب «أنجوس ماكلارين»، الصادِر عن «شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو»، عام 1993،

70. LXX كِتاب «القتلة المُتسلسِلون: الموت والحياة في ثقافة الجروح الأمريكيّة»، للكاتِب «مارك سيلتزر»، الصادِر عن «نيويورك: روتليدج»، عام 1998.

71. LXXI «روبرت كينيدي»، في بيان المُدعي العام «روبرت إف. كينيدي» أمام اللجنة الفرعيّة الدائِمة للتحقيقات التابِعة للجنة العمليات الحكوميّة بمجلس الشيوخ، في «واشنطن العاصِمة»، بتاريخ 25 سبتمبر 1963.

72. LXXII كِتاب «خائِن طبقته: الحياة المُميَّزة والرئاسة الراديكاليّة لفرانكلين ديلانو روزفِلت»، للكاتِب «إتش. دبليو. براندس»، الصادِر عن «نيويورك: دوبلداي»، عام 2008، صفحة 134.

73. LXXIII كِتاب «ساكو وفانزيتي: الخلفيَّة الفوضويّة»، للكاتِب «بول أفريش»، الصادِر عن «برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامِعة برينستون»، عام 1991، الصفحات من 140 إلى 143.

74. LXXIV كِتاب «عربة بوذا: تاريخ موجَز للسيَّارات المُفخَّخة»، للكاتِب «مايك ديفيس»، الصادِر عن «نيويورك: فيرسو»، عام 2007.

75. LXXV كِتاب «الصيف الأحمر: صيف عام 1919 وصحوة أمريكا السوداء»، للكاتِب «كاميرون ماكويرتر»، الصادِر عن «نيويورك: هنري هولت وشُركاه»، عام 2011، الصفحات من 31، إلى 32.

76. LXXVI جمعيَّة ولاية «أركنساس»، القرار المُتزامِن لمجلِس الشيوخ للاحتفال بالذكرى الرابِعة والتسعين لحُكم المحكمة العُليا في الولايات المُتحِدة في قضية «مور» ضد «ديمبسي»، ولاية «أركنساس»، الجمعيّة العامّة الحادية والتسعين، الجلسة العادية، لعام 2017.

77. LXXVII «القتل والسوق السوداء: تأثير الحظر على مُعدَّلات القتل في المُدن الأمريكيَّة»، للكاتِب «برندان ليفينجستون»، عن «جامِعة روان، مؤتمر الجمعيَّة الاقتصاديَّة الأمريكيَّة»، عام 2014، https://www.aeaweb.org/conference/2014/retrieve.php?pdfid=801.

78. LXXVIII «تقديرات الناتِج القومي والدخل لاقتصاد الولايات المُتحِدة في الفترة بين 1919 وحتى 1942، استكشافات في التاريخ الاقتصادي، رقم 10، للكاتِبَين «جوزيف سوانسون»، و«صامويل ويليامسون»، الصادِر عام 1972، الصفحات من 53 إلى 73.

79. LXXIX «خريف الحرب: ما تعلَّمته أمريكا من أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب على الإرهاب»، للكاتِب «فيكتور ديفيس هانسون»، الصادِر عن «نيويورك: كنوبف دوبلداي»، عام 2007، صفحة 44.

80. LXXX كِتاب «أبناء قابيل»، للكاتِب «فرونسكي»، الصفحات من 319 إلى 324، نقلًا على «جي روبرت ليلي» «اتُّخِذَت بالقوّة: الاغتصاب والجنود الأمريكيون في أوروبا خلال الحرب العالميَّة الثانية»، الصادِر عن «نيويورك: بالجريف ماكميلان»، في عام 2007. و«ميريام جيبهارت»، في كِتاب «عندما جاء الجنود»، الصادِر عن «ميونيخ دي في إيه/ راندوم هاوس»، عام 2015؛ «النُّسخة الإنجليزيَّة»، بعنوان «جرائِم غير مُعلنة: اغتصاب المرأة الألمانيّة في نهاية الحرب العالمية الثانية»، الصادِر عن «مالدِن، ماساتشوستس: الصحافة السياسيّة»، في 2017

81. LXXXI كِتاب «عن القتل: التكلفة النفسيَّة لتعلُّم القتل في الحرب والمُجتمع»، للكاتِب «ديف جروسمان»، الصادِر عن «نيويورك: أوبن رود ميديا»، نُسخة «كيندل»، الصفحات 135، و136.

82. LXXXII كِتاب «أبناء قابيل»، للكاتِب «فرونسكي»، الصفحات من 319 إلى 330.

83. LXXXIII «المعركة المحفوفة بالمخاطِر»، «الحصيلة العقلية»، برنامج تليفزيوني: http://www.pbs.org/perilousfight/psychology/the-mental-toll/.

84. LXXXIV «توفير تعويضات لضحايا الحرب: التجرِبة الأمريكيّة خلال الحرب العالميّة الثانيّة»، للكاتِب «برنارد روستكر»، الصادِر عن «سانتا مونيكا، كاليفورنيا: معهد أبحاث الدِّفاع الوطني التابع لمؤسَّسة راند»، عام 2013، صفحة 214.

85. LXXXV «تايم»، بتاريخ 24 مايو 1943.

86. LXXXVI كِتاب «الجيل الأعظم»، للكاتِب «توم بروكاو»، الصادِر عن «نيويورك: راندوم هاوس»، عام 2004.

87. LXXXVII «حرب واحِدة تكفي»، للكاتِب «إدجار إل. جونز»، بـ «مجلة أتلانتيك الشهرية»، بتاريخ «فبراير 1946، https://theatlantic.com/past/docs/unbound/bookauth/battle/joned.htm.

88. LXXXVIII «حول النصر في أوروبا»، للكاتِب «إيرني بايل»، مقال غير منشور، في «مؤسسة سكريبس هوارد»، https://sites.mediaschool.indiana.edu/erniepyle/wartime-columns/4/.

89. LXXXIX «التصويت لدعم مشروع قانون أجور العمل الإضافي»، السجل المُستقِل في «هيلينا» بـ «مونتريال»، بتاريخ 9 يوليو 1942.

90. XC «رسَّامة محليَّة تتحوَّل إلى الكِتابة»، «نورث هوليوود فالي تايمز»، بتاريخ 20 سبتمبر 1946.

91. XCI «تيد كيمب»، «تاريخ تذكاري: أول قوّة خدمة خاصّة»، الصادِر عن «دالاس: تايلور للنشر»، عام 1995، صفحة 21.

92. XCII «كوينتِن تارانتينو: وان هيل أوف باسترد»، «فانجوريا»، بتاريخ 22 أغسطُس 2009.

93. XCIII «السيّدة إيه. إيه. كِمبر جونيور، والأطفال، يقضون إجازة في منزل جونج»، السجل المُستقِل في «هيلينا» بـ «مونتريال»، بتاريخ 26 أغسطس 1951.

94. XCIV كِتاب «لماذا: القاتِل المُتسلسِل في أمريكا»، للكاتِبة «مارجريت تشيني»، الصادِر عن «لينكولن، نبراسكا: باك إمبرينت بوكس»، عام 2000، الصفحتان 7 أو 8.

95. XCV كِتاب «الابن المُسيء: القصّة الحقيقيّة لآرثر جي. شاوكروس»، للكاتِب «جاك أولسن»، الصادِر عن «نيويورك: آيلاند بوكس»، عام 1993، صفحة 179.

96. XCVI كِتاب «اعتراف قاتِل مُتسلسِل: القصة غير المرويّة لدينيس ريدر، قاتل بي تي كي»، للكاتِبة «كاثرين رامسلاند»، الصادِر عن «لبنان، نيو هامبشاير: مطبعة جامِعة نيو إنجلاند»، عام 2016، الصفحات 710، و711، نسخة «كيندل».

97. XCVII كِتاب «القتل الجنسي: الأنماط والدوافِع»، للكُتَّاب «آن دبليو بيرجيس»، و«جون إيه. دوجلاس»، و«روبرت كي. ريسلر»، الصادِر عن «ليكسينجتون، ماساتشوستس: ليكسينجتون بوكس»، عام 1988، صفحة رقم 547، نُسخة «كيندل».

98. XCVIII دراسة «الأربعينيّات السوداء: الشعب الأمريكي من النصر إلى الحرب الباردِة»، للكاتِب «ريتشارد لينجمان»، الصادِر عن «نيويورك: بولد تايب بوكس»، عام 2012، الصفحات من 132 إلى 133.

99. XCIX «روستكر»، «توفير ضحايا الحرب»، صفحة 202.

100. C دراسة «الأربعينيّات السوداء»، للكاتِب «لينجمان»، الصفحة 53.

101. CI مقال «الجريمة تؤتي ثمارها بالتأكيد على الشاشة: المحصول المُتزايِد من أفلام القتل»، للكاتِب «لويد شيرر»، في «نيويورك تايمز»، بتاريخ 5 أغسطُس 1945، صفحة 77.

102. CII مقال «المرأة الأمريكيّة؟ ليسَت من نصيب هذا الجُندي»، للكاتِب «فيكتور داليرِ»، في «نيويورك تايمز»، بتاريخ 10 مارس 1946.

103. CIII «مجلَّات مُغامرات الرجال في أمريكا ما بعد الحرب»، للكُتَّاب «ماكس آلان كولينز»، و«جورج هاجناور»، و«ستيفن هيلر»، الصادِر عن «كولونيا: تاشين»، عام 2004، الصفحات من 285 إلى 364.

104. CIV مجلَّات مُغامرات الرجال في أمريكا ما بعد الحرب»، للكُتَّاب «ماكس آلان كولينز»، و«جورج هاجناور»، و«ستيفن هيلر»، الصادِر عن «كولونيا: تاشين»، عام 2004، صفحة 470.

105. CV انظر على سبيل المثال «مجلَّات مُغامرات الرجال في أمريكا ما بعد الحرب»، للكُتَّاب «ماكس آلان كولينز»، و«جورج هاجناور»، و«ستيفن هيلر»، و«إنه عالم الرجل: مجلات مغامرات الرجال الرخيصة فيما بعد الحرب»، تحرير «آدم بارفري»، الصادِر عن «لوس أنجلوس: فيرال هاوس»، عام 2003؛ و«مجلات سيّئة»، للكاتِب «توم برينكمان»، الصادِر عن «لندن: هيد بريس»، عام 2009، «ديفيد سوندرز»، «نورمان سوندرز»، «سانت لويس، مو: إلستريتد بريس»، عام 2008، و«مجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقيّة في الفترة بين 1924، و1969، للكاتبَين «جودتلاند وهانسون»؛ صور جوجل: «مجلّات المُغامرات الرخيصة»:
https://www.google.ca/searchq=pulp+adventure+magazines&biw=1164&bih=569&source=lnms&tbm=isch&sa=X&ved=0ahUKEwi38-PCg8vLAhVFnoMKHYlgC88Q_AUIBigB أو صور جوجل: «مجلَّات التحقيقات الحقيقيَّة»:
https://www.google.ca/searchq=true+detective+magazines&biw=1164&bih=569&source=lnms&tbm=isch&sa=X&ved=0ahUKEwiXh9vXg8vLAhXrkYMKHV9JBx8Q_AUIBigB.

106. CVI مجلَّات مُغامرات الرجال في أمريكا ما بعد الحرب»، للكُتَّاب «ماكس آلان كولينز»، و«جورج هاجناور»، و«ستيفن هيلر»، الصادِر عن «كولونيا: تاشين»، الصادِر عام 2004، صفحة 470.

107. CVII مجلَّات مُغامرات الرجال في أمريكا ما بعد الحرب»، للكُتَّاب «ماكس آلان كولينز»، و«جورج هاجناور»، و«ستيفن هيلر»، صفحة 9؛ و«مجلَّات المُحقِّقين في الجرائِم الحقيقيَّة في الفترة بين 1924، و1969 للكاتبَين «جودتلاند وهانسون»، صفحة 234.

108. CVIII كِتاب «الحاجة إلى القتل»، للكاتِب «مارك بيتيت»، الصادِر عن «نيويورك: بالانتاين بوكس»، عام 1990؛ وكِتاب «من يُحارِب الوحوش: عشرين عامًا من تتبُّع القتلة المُتسلسِلين لصالِح مكتب التحقيقات الفيدرالي»، للكاتِبَين «روبرت كي. ريسلر»، و«توم شاختمان»، الصادِر عن «نيويورك: مطبعة سانت مارتِن»، عام 1992.

109. CIX كِتاب «اعترافات قاتِل مُتسلسِل»، للكاتِب «رامسلاند»، الصفحات من 1292 إلى 1293، ومن 1458 إلى 1459، ومن 3289 إلى 3291، نُسخة «كندل».

110. CX مقال «المجلَّات البوليسيّة: المواد الإباحيّة للسادي الجنسي»، مجلّة «العلوم الشرعيّة»، للكاتِب «بي إيه ديتز»، و«بي هاري»، و«آر آر هازلوود»، العدد 31، بتاريخ 1 يناير 1986، الصفحات من 197 إلى 211.

111. CXI كِتاب «المُجرِم الجنسي»، للكاتِب «دي ريفر»، صفحة 65.

112. CXII **الفصل الرابع: لُب الرُّعب الحقيقي: نهضة القتلة المُتسلسِلين الجُدد، في الفترة بين ١٩٥٠ – ١٩٦٩**
أوشكوش نورث وسترن «أوشكوش: ويسكونسن»، بتاريخ 21 نوفمبر 1957، صفحة 13.

113. CXIII «جورج دبليو أرندت»، في كِتاب «دعابات جين»، في «روبرت إتش جولما ر» عن «إدوارد جين»، الصادِر عن «نيويورك: بيناكل بوكس»، عام 1981، الصفحات من 203 إلى 205.

114. CXIV مجلة «لايف»، بتاريخ 22 مايو 1944: http://time.com/3880997/young-woman-with-jap-skull-portrait-of-a-grisly-wwii-memento/.

115. CXV http://www.gettyimages.com/detail/news-photo/filthy-cluttered-kitchen-of-alleged-mass-murderer-ed-gein-newsphoto/50425931.

116. CXVI الكِتاب الحاسم، رغم أنه معيب في بعض الأحيان، عن «هارفي جلاتمان»، هو كِتاب «الحبل: الحياة الملتوية وجرائِم هارفي جلاتمان»، للكاتِب «مايكل نيوتن»، الصادِر عن «نيويورك: كُتب الجيب»، عام 1998. ومن المُفيد أيضًا الاطِّلاع على الكِتاب الإليكتروني «الملعون: جرائِم الجنسيَّة الساديَّة لهارفي جلاتمان»، الصادِر عن «كتب إلكترون الإليكترونيَّة»، عام عام 2013.

117. CXVII كتاب «الشر الذي يرتكِبه الرِّجال»، للكاتبَين «ستيفن جي ميشود، وروي هازلوود»، الصادِر عن «نيويورك: سانت مارتِن»، عام 1998، صفحة 24.

118. CXVIII كِتاب «الحبل»، للكاتِب «مايكل نيوتن»، صفحة 45.

119. CXIX كِتاب «ابنة شخصٍ ما: البحث عن العدالة للمجهولات»، للكاتِبة «سيلفيا بيتيم»، الصادِر عن «لانهام، ماريلاند: تايلور تريد بابلشينج»، عام 2009، صفحة 2898، نُسخة «كندل».

120. CXX كِتاب «مَن يُحارِب الوحوش»، للكاتبَين «ريسلر وشاختمان»، الصفحات من 3526 إلى 3538، نُسخة «كندل».

121. CXXI كِتاب «الحبل: الحياة الملتوية وجرائِم هارفي جلاتمان»، للكاتِب «مايكل نيوتن»، الصفحات من 192 إلى 196.

122. CXXII كِتاب «الهدايا التي لا يُريدها أحد: أحدث ما توصَّلَت إليه التكنولوجيا في التعامُل مع التبرُّعات غير المرغوب فيها»، للكاتِبَين «شيلا أوهير، وأندرو سميث»، رابِطات مكتبات كانساس، قِسم مكتبات الكُليّة والجامِعة، رقم 1، الصادِر عام 2011، صفحة 10؛ وكِتاب «ابنة شخصٍ ما»، للكاتِبة «بيتيم»، صفحة 3131، نُسخة «كندل».

123. CXXIII كِتاب «ابنة شخصٍ ما»، للكاتِبة «بيتيم»، صفحة 4476، نسخة «كندل».

124. CXXIV كِتاب «قاتِل على الطريق: العُنف والطريق الأمريكي السريع»، للكاتِبة «جينجر ستراند»، الصادِر عن «أوستن: مطبعة جامعة تكساس»، عام 2012، نُسخة «كندل».

125. CXXV كِتاب «القاتِل على الطريق»، للكاتِبة «ستراند»، الصفحات من 892 إلى 894، نُسخة «كندل».

126. CXXVI كِتاب «القاتِل على الطريق»، للكاتِبة «ستراند»، الصفحة 939، نُسخة «كندل».

127. CXXVII كِتاب «القاتِل على الطريق»، للكاتِبة «ستراند»، الصفحات من 927 إلى 928، نُسخة «كندل».
128. CXXVIII كِتاب «الولع بالشهوة الجنسيَّة: التحقيق في جرائِم قتل الشهوة»، للكاتِبة «جانيت ماكليلان»، الصادِر عن «أمهرست، نيويورك: مطبعة كامبريا»، صفحة 2442، نُسخة «كندل».
129. CXXIX كِتاب «اعترافات قاتِل مُتسلسِل»، للكاتِب «رامسلاند»، الصفحات من 1084، إلى 1115، نُسخة «كندل».
130. https://www.pinterest.com/pin/567735096754029516/?lp=true CXXX.
131. CXXXI كِتاب «جرائِم القتل المُتسلسِل»، للكُتَّاب «مورتون، وتلمان، وجينز»، صفحة 47
132. CXXXII كِتاب «الوحش الجنسي»، للكاتِبة «كاثرين رامسلاند»، الصادِرة عن «كرايم سكيب، روزيتا بوكس»، عام 2013، نُسخة «كندل».
133. CXXXIII «شارلوت أوبزرفر»، «شارلوت، كارولاينا الشماليّة»، بتاريخ 17 يونيو 1956، صفحة 2.
134. CXXXIV «نيوز»، «فريدريك، ماريلاند»، بتاريخ 11 يونيو 1956، الصفحة الأولى.
135. CXXXV كِتاب «الوحش الجنسي»، للكاتِبة «كاثرين رامسلاند»، الصفحات من 225 إلى 230، نُسخة «كندل».
136. CXXXVI «سالزبوري تايمز»، «سالزبوري، ماريلاند»، بتاريخ 27 يونيو 1957، الصفحات 1 و8.
137. CXXXVII «إيفينينج صن»، «بالتيمور، ماريلاند»، بتاريخ 28 يونيو 1957، الصفحة الثانية.
138. CXXXVIII «جرينفيل نيوز»، «جرينفيل، كارولاينا الجنوبيّة»، بتاريخ 2 فبراير 1959، الصفحة 11.
139. CXXXIX «نيوز ليدر»، «ستاونتون، فيرجينيا»، بتاريخ 5 مارس 1959، الصفحة الأولى.
140. CXL «تايمز ديسباتش»، «ريتشموند، فيرجينيا»، بتاريخ 7 مارس 1959، الصفحة 4.
141. CXLI «تايمز ديسباتش»، «ريتشموند، فيرجينيا»، بتاريخ 5 مارس 1959، الصفحة الأولى.
142. CXLII قضية «الولايات المُتحِدة الأمريكيّة ضد ملفين ديفيس ريس جونيور»، 193 إف» ملحق 849، «ماريلاند 1961، رقم 5300، بتاريخ 22 مارس 1961.
143. CXLIII كِتاب «من يُحارِب الوحوش»، للكاتِبَين «ريسلر، وشاختمان»، صفحة 646، نُسخة «كندل»
144. CXLIV «ديلي نيوز»، «نيويورك»، بتاريخ 5 مارِس 1961، صفحة 74.
145. CXLV «هونولولو أدفيرتايسر»، «هونولولو، هاواي»، بتاريخ 3 يونيو 1962، الصفحة الثانية.
146. CXLVI «نيوز ليدر»، «ستاونتون، فيرجينيا»، بتاريخ 24 أبريل 1953، الصفحة 14.
147. CXLVII «ديلي برس»، «نيوبورت نيوز، فيرجينيا»، بتاريخ 22 يناير 1961، الصفحة 24.
148. http://www.stoppingpoints.com/north-carolina/sights.cgi?marker=pineland+college-+edwards+military+institute&cnty=sampson CXLVIII.
149. CXLIX «هونولولو أدفيرتايسر»، «هونولولو، هاواي»، بتاريخ 3 يونيو 1962، الصفحة الثانية.
150. CL «ديلي نيوز»، «نيويورك»، بتاريخ 20 مايو 1962، صفحة 371.
151. CLI «ديلي برس»، «نيوبورت نيوز، فيرجينيا»، بتاريخ 17 فبراير 1961، الصفحة 9.
152. http://en.wikipedia.org/wiki/pat-barrington CLII. «تم الاطلاع بتاريخ 19 يناير 2020.
153. CLIII «ديلي نيوز»، «نيويورك»، بتاريخ 8 أبريل 2001، الصفحة 46.
154. https://www.scotusblog.com/2013/01/opinion-recap-rees-clarified-after-forty-six-years/ CLIV.

155. CLV مقال «رجل على فراش الموت يتقدّم بحل لجرائِم القتل التي وقعت عام 1955، للصحفيين «كر يج ويتا وك» و«أبْ ريل ويت» ، في «واشنطن بوست»، بتاريخ 15 يونيو 2000. https://www.washingtonpost.com/wp-srv/WPcap/2000-06/15/08.9r-061500-idx.html.

156. CLVI «سان أنطونيو إكسبريس»، «سان أنطونيو، تكساس»، بتاريخ 29 أغسطُس 1964، الصفحة 7.

157. CLVII كِتاب «لماذا: القاتِل المُتسلسِل في أمريكا»، للكاتِب «تشيني»، الصفحة 30.

158. CLVIII كِتاب «الابن المُسيء»، للكاتِب «أولسن»، صفحة 189.

159. CLIX «اضطرابات إجهاد ما بعد الصدمة لدى المُحاربين القدامى في فيتنام»، بقلم «توم ويليامز»، «سينسيناتي، أوهايو: المُحاربون القدامى الأمريكيون المعوَّقون»، عام 1980.

160. CLX كِتاب «قصَّة أب»، للكاتِب «ليونيل دامر»، الصادِر عن «نيويورك: ويليام مورو»، عام 1994، الصفحات 33، و34.

161. CLXI كِتاب «علم النفس المرَضي للقتل المُتسلسِل: نظرية العُنف»، للكاتِب «ستيفن جي جيانانجيلو»، الصادِر عن «لندن: برايجر»، عام 1996، صفحة 68.

162. CLXII كِتاب «قصَّة أب»، للكاتِب «ليونيل دامر»، الصادِر عن «نيويورك: ويليام مورو»، عام 1994، الصفحة 212.

163. CLXIII كِتاب «هنري لي لوكاس»، للكاتِب «جويل نوريس»، الصادِر عن «نيويورك: زيبرا بوكس»، عام 1991، صفحة 42.

164. CLXIV كِتاب «الذبح المُتسلسِل: ما وراء بلاء القتل في أمريكا ؟»، للكاتِب «مايكل نيوتن»، الصادِر عن «بورت تاونسند، واشنطن: لومبانيكس»، عام 1992، صفحة 64.

165. CLXV مقال «جريمة قتل كيتي جينوفيس وعلم النفس الاجتماعي للمُساعدة: حكاية الشهود الـ 38، للكُتَّاب «راشيل مانينج، ومارك ليفين، وآلان كولينز»، «عالِم النفس الأمريكي»، العدد رقم 62، عام 2007، الصفحات من 555 إلى 562.

166. CLXVI «نداء للمُساعدة: ماذا تعني قصَّة كيتي جينوفيس حقًّا»، للكاتِب «نيكولاس ليمان»، مجلة «نيويوركر» ، بتاريخ 10 مارس 2014، https://www.newyorker.com/magazine/2014/03/10/a-call-for-help.

167. CLXVII «وفاة ونستون موسلي، الذي قتل كيتي جينوفيس، في السجن عن عُمر يُناهِز 81 عامًا»، للكاتِب «روبرت دي. ماكفادين»، في «نيويورك تايمز»، بتاريخ 4 أبريل 2016.

168. CLXVIII مقال 64 جريمة سيِّئة السُّمعة: تعيش في قلب صديق المرأة»، للكاتِب «جِف بيرلمان»، في «شيكاغو تريبيون»، بتاريخ 12 مارس 2004.

169. CLXIX كِتاب «في عيون القتلة المُتسلسِلين: مُقابلات مع سبعة قتلة»، للكاتِبة «نادية فزاني»، الصادِر عن «تورنتو: دوندورن بريس»، عام 2015، الصفحات 3598 و3599، نُسخة «كندل».

170. CLXX «إحصائيات القاتِل المُتسلسِل»، بقلم «آمودت».

171. CLXXI **الفصل الخامِس: الطفرة الكُبرى: بلوغ القتلة المُتسلسِلين من مواليد جيل الطفرة السُّكَّانية في الفترة بين 1970 ـ 1979**

«جون بي. ديكسون»، «خمس وعشرون جريمة قتل، وربُما أكثر: البحث عن سبب، محاكمة خوان كورونا واعترافاته»، «إكسليبريس»، عام 2012، الصفحة 19.

172. CLXXII كِتاب «عبء الإثبات: قضية خوان كورونا»، للكاتِب «إد كراي»، الصادِر عن «نيويورك: ماكميلان»، عام 1973، الصفحات من 196 إلى 202.

173. CLXXIII كِتاب «التحقيق العملي في جرائِم القتل: التكتيكات والإجراءات وتقنيات الطَّب الشرعي»، تِب «فيرنون جي. جيبرث»، الصادِر عن «بوكاراتون، فلوريدا: مطبعة سي آر سي»، عام عام 2006، الصفحة 501. نقلًا عن «بيل، ووينبر»، كِتاب «حياتنا الجنسيّة»، للكاتِبَين «آر. كروكس، وكي. بور»، الصادِر عن «ريدوود سيتي، كاليفورنيا: منشورات بنيامين/ كامينجز»، عام 1990، الصفحات 317، و324، و332، و333، و340.

174. CLXXIV كِتاب «التحقيق العملي في جرائِم القتل»، للكاتب «جيبرث»، الصفحة 501.

175. CLXXV كِتاب «الطريق إلى مدينة يوبا: رحلة إلى جرائِم قتل خوان كورونا»، للكاتِب «تريسي كيدر»، الصادِر عن «نيويورك: دوبلداي»، عام 1974.

176. CLXXVI مقال «الصبية المفقودون»، للكاتِب «سكيب هولاندسورث»، في «تكساس مونثلي»، بتاريخ «أبريل 2011 https://www.texasmonthly.com/articles/the-lost-boys/.

177. CLXXVII صحيفة «بامبا ديلي نيوز»، في «بامبا، تكساس»، بتاريخ 20 أغسطس 1973، الصفحة 8.

178. CLXXVIII كِتاب «الرجُل ذو الحلوى: قصَّة جرائِم القتل الجماعي في هيوستِن»، للكاتِب «جاك أولسون»، الصادِر عن «نيويورك: سيمون أند شوستر»، عام 1974، صفحة 32، نُسخة «كِندل».

179. CLXXIX كِتاب «الرجُل ذو الحلوى: قصَّة جرائِم القتل الجماعي في هيوستِن»، للكاتِب «جاك أولسون»، الصادِر عن «نيويورك: سيمون أند شوستر»، عام 1974، الصفحتان 51 ـ 52، نُسخة «كِندل».

180. CLXXX كِتاب «الصبية المفقودين»، للكاتِب «سكيب هولاندسورث».

181. CLXXXI كِتاب «الصبية المفقودين»، للكاتِب «سكيب هولاندسورث».

182. CLXXXII كِتاب «الرجل ذو الحلوى»، للكاتِب «جاك أولسون»، صفحة 59، نُسخة «كِندل».

183. CLXXXIII «الفتاة على لوح التعذيب»، للكاتِب «كريج ماليسو»، في «هيوستِن بريس»، بتاريخ 15 أكتوبر 2014، http://www.houstonpress.com/news/the-girl-on-the-torture-board-rhonda-williams-opens-up-about-being-attacked-by-dean-corll-6736780.

184. CLXXXIV «الفتاة على لوح التعذيب»، للكاتِب «كريج ماليسو».

185. CLXXXV «اكتشاف ضحية جديدة في قضية القاتِل المُتسلسِل رجُل الحلوى المُغلقة منذ عقود»، «أليسا نيوكومب»، في «إيه بي سي نيوز»، بتاريخ 8 فبراير 2012، http://abcnews.go.com/blogs/headlines/2012/02/new-victim-discovered-in-decades-old-serial-killing-case.

186. CLXXXVI https://beyondthedash.com/obituary/david-owen-brooks-1079355835.

187. CLXXXVII «القاتِل المُتسلسِل في فلوريدا يستعصي على الإدانة، لكِن ليس على فيروس كوفيد 10»، للكاتِب «فريد جريم»، بـ «ساوث فلوريدا صن سنتينل»، بتاريخ 12 يونيو 2020؛ و«رفض إطلاق سراح قاتِل النهر الأخضر جاري ريدجواي، وسط مخاوِف من فيروس كورونا»، للكاتِبة «جينا ترون»، في «oxygen.com»، بتاريخ 24 أبريل 2020.

188. CLXXXVIII كِتاب «الرجل ذو الحلوى»، للكاتِب «جاك أولسون»، صفحة 139، نُسخة «كِندل».

189. CLXXXIX كِتاب «ملاك الظلام»، للكاتِب «دينيس ماكدوجال»، الصادِر عن «نيويورك: وارنر بوكس»، عام 1991، صفحة 1405. نُسخة «كِندل».

190. CXC كِتاب «القتلة المُتسلسلون»، للكاتِب «فرونسكي»، صفحة 234.

191. CXCI كِتاب «مشاهير بالفطرة: القتلة المُتسلسِلون في الثقافة الأمريكيّة»، للكاتِب «ديفيد شميد»، الصادِر عن «شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو»، عام 2005، صفحة 221، نُسخة «كِندل»، نقلًا عن كِتاب « عن ا لرِّجال و الوحوش: جيفري د امر و بناء ا لقاتِل ا لمُتسلسِل»، للكاتِب «ريتشارد تيثكوت»، الصادِر عن «ماديسون: مطبعة جامعة ويسكونسن»، عام 1997، صفحة 73.

192. CXCII «للمشهد الفردي جانِب قذر»، للكاتِبة «ليزلي ميتلاند»، في «نيويورك تايمز»، بتاريخ 1 نوفمبر 1974، صفحة 41.

193. CXCIII «شرطة نيويورك تتباطأ في ربط جرائِم القتل في فُندق بارك بلازا»، للكاتِب «ديفيد جي. كرايسي لك»، في «دي لي نيوز، نيويور ك»، بتاريخ 1 مارس 2014، https://www.nydailynews.com/news/justice-story/doom-service-upper-west-side-flophouse-article-1.1707471.

194. CXCIV https://murderpedia.org/male.J/j/jackson-calvin.htm.

195. CXCV «المُحقِّقون يفشلون في رؤية أي نمَط في جرائِم القتل بالفُندق»، في «ديلي نيوز، نيويورك»، بتاريخ 24 سبتمبر 1974، صفحة 5.

196. CXCVI «هيئة المُحلَّفين تُعطي مِفتاح فندق بارك بلازا»، للكاتِب «دونالد فين»، في «ديلي نيوز، نيويورك»، بتاريخ 11 مارس 1975، صفحة 115.

197. https://www.apartmentrated.com/ny/manhattan/parc-77_10024 CXCVII. «تم الاطلاع في 5 فبراير 2020.

198. http://foursquare.com/v/scaletta-ristorante/4ad914d4f964a520ec1721e3/menu CXCVIII. و https://www.westsiderag.com/2018/03/23/scaletta-ristorante-to-close-after-30-years-landlord-pushed-them-out. و https://patch.com/new-york/upper-side-nyc-italian-restaurant-scaletta-close-after-30-years-report. «تم الاطلاع في 5 فبراير 2020.

199. CXCIX «مُفكِّرة لوس أنجلوس»، «نحن نروي لأنفُسنا قصصًا لكي نعيش: مجموعة قصصيّة»، للكاتِب «جوان ديديون»، الصادِرة عن «نيويورك: ألفريد إيه. كنوبف»، في عام 2006، صفحة 162. ونُشِرَت للمرة الأولى في كِتاب «الانحناء نحو بيت لحم»، عام 1968.

200. CC «القبض على القتلة المُتسلسِلين: التعلُّم في التحقيقات السابِقة في جرائِم القتل المُتسلسِل»، للكاتِب «يرل جيمس»، ا لصادِر عن « لانسينج، ميشيجان: خدمات ا لطب ا لشرعي ا لدوليّة»، في عام 1991، صفحة 297.

201. CCI «رينو جازيت جورنال»، بتاريخ 29 أكتوبر 1997، صفحة 13.

202. CCII كِتاب «أغنية ا لموت : رحلة إلى عقل قاتِل جماعي»، للكا تِبَين « دونالد تي لوند وجيفرسو ن مورجان»، الصادِر عن «نيويورك: دبليو دبليو نورتون»، في عام 1980، صفحة 165.

203. CCIII كِتاب «أغنية الموت»، للكاتبَين «لوند وموجان»، صفحة 207

204. CCIV كِتاب «من يُحارِب الوحوش»، للكاتبَين «ريسلر وشاختمان»، صفحة 148

205. CCV «الطُّلاب يصطادون الطالِبات ا لمفقودات »، لل كاتِب « دون ويست »، في «سان فرانسيسكو إكزامينر»، بتاريخ 14 فبراير 1973، الصفحة 3.

206. CCVI «مُقابلة مع الوكيل الخاص السابِق لمكتب التحقيقات الفيدرالي باتريك جي. مولاني 1966 ـ 1986، للكاتِب «مايكل إم. أوبراين»، في «مشروع التاريخ الشفهي لمكتب التحقيقات

الفيدرالي»، بتاريخ 29 أغسطس 2005، صفحة 29.

207. CCVII «التعرُّف على جُثة فتاة إس سي»، في «سانتا كروز سنتينل»، بتاريخ 24 يناير 1973، الصفحة الأولى.

208. CCVIII كِتاب «القتل والجنون»، للكاتِب «دونالد تي لوند» ، الصادِر عن «نيويورك: دبليو دبليو نورتون»، عام 1979، صفحة 199.

209. CCIX كِتاب «الابن المُسيء»، للكاتِب «أولسن»، الصفحة 3.

210. CCX صحيفة «ووترتاون ديلي تايمز»، بتاريخ 12 مايو 1972.

211. CCXI كِتاب «من خلال عيون القتلة المُتسلسِلين»، للكاتِبة «فزاني»، الصفحات من 866 إلى 883، نُسخة «كِندل».

212. CCXII «العقل الإجرامي»، للكاتِب «مالكولم جلادويل»، في «إندبندنت»، بتاريخ 3 مايو 1997، https://www.independent.co.uk/the-criminal-brain-1259436.html.

213. CCXIII كِتاب «من خلال عيون القتلة المُتسلسِلين»، للكاتِبة «فزاني»، الصفحات من 1041 إلى 1044، نُسخة «كِندل».

214. CCXIV كِتاب «الابن المُسيء»، للكاتِب «أولسُن»، صفحة 209.

215. CCXV كِتاب «مُذنِب بسبب الجنون: طبيب نفسي يستكشِف عقول القتلة» ، للكاتِبة «دوروثي أوتنا و لويس»، الصادِر عن «نيويورك: راندوم هاوس»، عام 2009، الصفحات من 288 إلى 289، نُسخة «كِندل».

216. CCXVI «العمل الشاق هو الإدانة الرئيسيّة لهذا القاضي»، للكاتِب «وِل أستور»، في «روتشستر بيزنس جورنال»، بتاريخ 25 أكتوبر 2002، https:///rbj.net/2002/10/25/hard-work-is-this-judges-chief/.

217. CCXVII اختبار المُخدِّرات على البشر على يد وكالة المُخابرات المركزيّة، 1977: جلسات استماع أمام اللجنة الفرعيّة المعنيّة بالصحَّة والبحث العلمي التابِعة للجنة الموارِد البشريّة، المؤتمر رقم 95، الصفحات 117 و118، عام 1977.

218. CCXVIII كِتاب «قاتِلات مُتسلسِلات»، للكاتِب «فرونسكي»، صفحة 277.

219. CCXIX «هذه هي صور مسرح الجريمة من جرائِم القتل الملتوية لقاتِل الـ «بي تي كي»»، للكاتِبَين «آلي فاندر هايدن» و «بنجامين إتش سميث»، المنشورة في «Oxygen.com»، في «أغُسطس 2018، https://www.oxygen.com/snapped/crime-time/crime-scene-photos-btk-killer-murders.

220. CCXX كِتاب «صديقي دامر»، للكاتِب «ديرف باكديرف»، الصادِر عن «نيويورك: أبرامز»، في 2012، الصفحات 96 و97.

221. CCXXI http://www.robertkressler.com/ex_lived.html. «أرشفة 20 نوفمبر 1997.

222. CCXXII كِتاب «لقد عشتُ في الوحش: تقرير من قلب جهنم»، للكاتبين «روبرت كي. ريسلر»، و«توم شاختمان»، الصادِر عن «نيويورك: سانت مارتِن»، في عام 1997، الصفحات 116 ـ 118.

223. CCXXIII «الجنود: الاعتداء الجنسي والقتل المُتسلسِل: الاعتداءات الجنسيّة السريّة للجيش الأمريكي»، للكاتِب «ديفيد أوزبورن»، المنشور في «إندبندنت»، بتاريخ 28 يونيو 2013، https://www.independent.co.uk/news/world/americas/soldiers-sexual-abuse-and-the-serial-killer-the-us-military-s-secret-sexual-assaults-8679271.html.

224. CCXXIV «الفتي الأمريكي الخاص يخضع للمُحاكمة»، للكاتِب «جون نوردهايمر»، المنشور في «مجلة نيويورك تايمز»، بتاريخ 10 ديسمبر 1978.

225. CCXXV كِتاب «القتلة بيننا»، للكاتِب «إيجر»، صفحة 75.

226. CCXXVI **الفصل السادِس: صائِدو الأفكار: بلاء القتلة المُتسلسِلين في الفترة بين1980 ـ 1990**
«قيادة المُطاردة في جرائِم القتل في أتلانتا»، بقلم «إم. إيه. فاربر»، المنشور في «نيويورك تايمز»، بتاريخ 3 مايو 1981، «بروكويست».

227. CCXXVII «مُقابلة مع العميل الخاص السابِق لمكتب التحقيقات الفيدرالي باتريك جي. مولاني في الفترة بين 1966 ـ 1986، بقلم «أوبراين»، الصفحات 29 ـ 31.

228. CCXXVIII «مُقابلة مع العميل الخاص السابِق لمكتب التحقيقات الفيدرالي هوارد دي. تيتِن في الفترة بين 1962 ـ 1986، بقلم «ستانلي بيمنتل»، في «مشروع التاريخ الشفهي لمكتب التحقيقات الفيدرالي، جمعية العُملاء الخاصِّين السابِقين للمكتب»، بتاريخ 19 نوفمبر 2004.

229. CCXXIX كِتاب «ماتادور القتل: رحلة عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي في فهم العقل الإجرامي»، بقلم «باتريك مولاني»، «نشر ذاتي»، في عام 2015، الصفحات 63 ـ 64، نُسخة «كِندل».

230. CCXXX «العثور على أغراضٍ مملوكةٍ لضحية جريمة قتل عام 74، بقلم «بيكي شاي»، المنشور في «بيلينجز جازيت»، بتاريخ 12 أكتوبر 2005، https://bilingsgazette.com/news/state-and-regionalal/montana/items-owned-by-murder-victim-found/article_bc5dae98-5e27-5094-be3d-5b8769d84122.html.

231. CCXXXI كِتاب «ماتادور القتل»، بقلم «مولاني»، صفحة 68، نُسخة «كِندل».

232. CCXXXII كِتاب «لا تقتلوا بأسمائنا: عائِلات ضحايا جرائِم القتل تتحدَّث علنًا ضد عقوبة الإعدام»، للكاتِبة «رايتشل كينج»، الصادِر عن «نيو برونزويك، نيوجيرسي: مطبعة جامعة روتجرز»، الصادِر عام 2003، صفحة 17.

233. CCXXXIII كِتاب «لا تقتلوا بأسمائنا»، للكاتِبة «كينج»، الصفحات 21 ـ 22.

234. CCXXXIV كِتاب «ماتادور القتل»، بقلم «مولاني»، صفحة 73، نُسخة «كِندل».

235. CCXXXV مُقابلة مع «ديفيد ميرهوفر»، في مكتب المُدعي العام لمُقاطعة جالاتين، بتاريخ 29 سبتمبر 1974.

236. CCXXXVI جريدة «جريت فولز تريبيون»، «جريت فولز، مونتريال»، بتاريخ »4 أكتوبر 1974، صفحة 4.

237. CCXXXVII «مُقابلة مع العميل الخاص السابِق لمكتب التحقيقات الفيدرالي باتريك جي. مولاني في الفترة بين 1966 ـ 1986، بقلم «أوبراين»، صفحة 28.

238. CCXXXVIII «وزارة العدل الأمريكيّة»، «مورتون»، عام 2014، صفحة 5.

239. CCXXXIX اقتبسه «ريسلر» من «فيليب جنكيز»، من «استخدام القتل»، صفحة 67.

240. CCXL «نيويورك تايمز»، بتاريخ 2 فبراير 2017، https://www.nytimes.com/2017/02/14/nyregion/etan-patz-pedro-hernandez-guilty.html.

241. CCXLI جلسة استماع أمام اللجنة الفرعية المعنيّة بعدالة الأحداث التابِعة للجنة القضائيّة بمجلس الشيوخ الأمريكي بشأن أنماط جرائِم القتل التي يرتكِبها شخص واحِد بأعدادٍ كبيرة دون سبب أو دافِع واضح، عام 1983، الصفحات 14 ـ 16.

242. CCXLII كِتاب «علم الأوبئة لجرائِم قتل الأطفال في كاليفورنيا في الفترة بين 1981 ـ 1990، بقلم «كينيث تشيو» ، «وريتشارد ماكليري»، و«ماريكريس ليو»، و«جونسون وانج» ، ضمن سلسلة «دراسات جرائِم القتل»، الصادِر في مايو 1999، الصفحات 151 ـ 169.

243. CCXLIII «اختطاف الأطفال على أيدي الغُرباء وأفراد من خارِج الأسرة: تقدير مُعدَّل الإصابة باستخدام طُرق مُتعدِّدة»، بقلم «ديفيد فينكلهور»، و«جيرالد هَوتالِنج» و«أندريا سيد لاك»، في مجلة «العُنف بين الأشخاص»، العدد الثاني، بتاريخ «يونيو 1992، الصفحات 226 ـ 243.

244. CCXLIV «الأطفال المفقودون: إحصائيات مُضللة»، بقلم «جويل بِست»، المصلحة العامة، الصادِر عام 1988، صفحة 92.

245. CCXLV «من يُحارِب الوحوش»، بقلم «ريسلر» و«شاختمان»، الصفحات 229 ـ 230.

246. CCXLVI «المسئولون يُشيرون إلى ارتفاع عدد القتلة الذين يجوبون الولايات المُتحِدة بحثًا عن الضحايا»، بقلم «روبرت ليندسي»، في «نيويورك تيم إس»، بتاريخ 21 يناير 1984.

247. CCXLVII «جيم ماتوكس»، «المُدعي العام لولاية تكساس»، في تقريره عن «هنري لي لوكاس»، بتاريخ أبريل 1986.

248. CCXLVIII «جي. جاك أورسو»، http://www.aeolus13umbra.com/2012/04/arthur-john-shawcross-monster-on.html.

249. CCXLIX كِتاب «الابن الخاطئ»، للكاتِب «أولسُن»، صفحة 274، نُسخة «كِندل».

250. CCL كِتاب «الابن الخاطئ»، للكاتِب «أولسُن»، صفحة 360، نُسخة «كِندل».

251. CCLI كِتاب «مُذنِب بسبب الجنون»، للكاتِب «لويس»، صفحة 272، نُسخة «كِندل».

252. CCLII «مايك آمودِت»، http://maamodt.asp.radford.edu/Psyc%20405/Shawcross%20Presentation.pdf.

253. CCLIII «النظريات الفسيولوجية للجريمة»، لعالم النفس الجنائي «إيدان سامونز»، psychlotron.org.uk.

254. CCLIV «وصفات أكلة لحوم البشر للذوَّاقة المُميَّزين»، بقلم «جيمي شرام»، المنشور في «ويكلي وورلد نيوز»، بتاريخ 3 فبراير 2004، صفحة 34.

255. CCLV «من خلال عيون القتلة المُتسلسِلين»، للكاتِبة «فزاني»، الصفحات 581 ـ 591، نُسخة «كِندل».

256. CCLVI «من خلال عيون القتلة المُتسلسِلين»، للكاتبة «فزاني»، الصفحات 895 ـ 903، نُسخة «كِندل».

257. CCLVII «الموت المأسوي لفيليسيا ستيفنز»، بقلم «كاتي كارب»، https://urresearch.rochester.edu/fileDownloadForInstitutionalItem.action?itemId=28271&itemFileId=143265.

258. CCLVIII «بعد 41 عامًا: ضحية شاوكروس تتلقى شاهد قبر»، بقلم «كريج فوكس»، المنشور في «ووترتاون ديلي تايمز» ، بتاريخ 27 نوفمبر 2013، https://web.archive.org/web/20180704033422/ و http://www.watertowndailytimes.com/article/20131127/NEWS07/711279992.

259. CCLIX **الفصل السابع: آخر القتلة المُتسلسِلين: شفق عصر البلاء في الفترة بين 1990 ـ 2000**
كِتاب «وحش في كُل العصور: القصة الحقيقية لداني رولينج، سفَّاح جاينسفيل»، للكاتِب «جي. تي. هانتر»، الصادِر عن «آر. جي. باركر للنشر»، عام 2018، نُسخة «كِندل».
260. CCLX https://www.geni.com/people/James-Rolling/6000000034217057430.
261. CCLXI «روبي كافيس رولينج «فيلبس»»: https://www.geni.com/people/Robbie-Rolling/6000000034217259306.
262. CCLXII نُسخة من إفادة «كلوديا رولينج» المُسجَّلة بالفيديو، بتاريخ 8 مايو 1992.
263. CCLXIII مجلة «فينيكس ـ جيرارد»، بـ «جيرارد، ألاباما»، بتاريخ 4 سبتمبر 1936، الصفحة الأولى. وانظر أيضًا: http://files.us.gwarchives.net/al/pike/newspapers/gnw233robertel.txt.
264. CCLXIV كِتاب «صناعة قاتِل مُتسلسِل»، بقلم «داني رولينج وساندرا لندن»، الصادِر عن «بورتلاند، أوه أر: فيرال هاوس»، عام 1996، صفحة 34.
265. CCLXV كِتاب «صناعة قاتِل مُتسلسِل»، بقلم «داني رولينج وساندرا لندن»، صفحة 102.
266. CCLXVI «تالاهاسي ديموكراسي»، بتاريخ 26 فبراير 1994، صفحة 33.
267. CCLXVII كِتاب «صناعة قاتِل مُتسلسِل»، بقلم «داني رولينج، وساندرا لندن»، صفحة 137.
268. CCLXVIII «تامبا تريبيون»، بتاريخ 15 سبتمبر 1993، صفحة 6.
269. CCLXIX «خبير: رُبما ترك فيلم طارِد الأرواح الشريرة: الجُزء الثالِث على رولينج»، في «فلوريدا توداي»، بتاريخ 18 مارس 1994، صفحة 24.
270. CCLXX «بالنسبة للبعض .. لن يختفي الخوف أبدًا»، في «بالم بيتش بوست»، بتاريخ 2 سبتمبر 1990، صفحة 11.
271. CCLXXI كِتاب «صناعة قاتِل مُتسلسِل»، بقلم «داني رولينج وساندرا لندن»، صفحة 17.
272. CCLXXII كِتاب «قاتِل في الحرم الجامعي: القصة الحقيقيَّة المُرعبة لسفَّاح جاينسفيل»، بقلم «جيمس فوكس وجاك ليفين»، الصادِر عن «نيويورك: أفون بوكس»، بتاريخ 1996، صفحة 171.
273. CCLXXIII كِتاب «صناعة قاتِل مُتسلسِل»، بقلم «داني رولينج وساندرا لندن»، الصفحات 153 ـ 154.
274. CCLXXIV مُقتبَس من «انفجار على متن السفينة آيوا»، بقلم «ريتشارد إل. شويبل»، الصادِر عن «أنابوليس: مطبعة المعهد البحري»، عام 1999، صفحة 254.
275. CCLXXV «مجلِس النوَّاب، الولايات المُتحِدة الأمريكيَّة»، «مأساة آيوا: فشل التحقيق، تقرير لجنة التحقيقات الفرعيَّة وفريق سياسات الدِّفاع التابِع للجنة القوَّات المُسلَّحة»، بتاريخ 5 مارس 1990.
276. CCLXXVI كِتاب «رجل النهر: أنا وتِد بندي نُطارِد قاتل النهر الأخضر»، للكاتِب «روبرت كيبل»، الصادِر عن «نيويورك: سيمون وشوستر»، عام 1995، صفحة 102.
277. CCLXXVII كِتاب «القتلة بيننا»، للكاتِب «إيجر»، صفحة 75.
278. CCLXXVIII كِتاب «القتلة المُتسلسِلون»، للكاتِب «سيلتزر»، صفحة 1.
279. CCLXXIX «جحيم دامر»، بقلم «بريان ماسترز»، في «فانيتي فير»، بتاريخ نوفمبر 1991، https://www.vanityfair.com/style/1991/11/jeffrey-dahmer-dennis-nilsen-serial-killer.
280. CCLXXX قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 8/ 1991، صفحة 131.

281. CCLXXXI قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 24/ 7/ 1991، الصفحات 20 ـ 21، وبتاريخ 23/ 7/ 1991، الصفحات 34 ـ 35.
282. CCLXXXII قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 25/ 7/ 1991، صفحة 37.
283. CCLXXXIII كِتاب «مشاهير بالفطرة: القتلة المُتسلسِلون في الثقافة الأمريكيّة»، للكاتِب «ديفيد شميد» ، صفحة 221، نُسخة «كِندل» ، نقلًا عن كِتاب « عن الرِّجال والوحوش: جيفري دامر وبناء القاتِل المُتسلسِل»، للكاتِب «ريتشارد تيثكوت»، صفحة 73.
284. CCLXXXIV كِتاب «ضريح جيفري دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز»، الصادِر عن «لندن: كورونيت بوكس»، عام 1993، صفحة 85، نُسخة «بي دي إف».
285. CCLXXXV كِتاب «قصّة أب»، بقلم «دامر»، صفحة 122.
286. CCLXXXVI كِتاب «ضريح جيفري دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز»، صفحة 107، نُسخة «بي دي إف».
287. CCLXXXVII قاموس «بنجوين» لعلم النفس، للكاتِب «آرثر س. ريبر»، الطبعة الرابِعة، الصادِر عن «لندن: بنجوين بوكس»، عام 2009، صفحة 706.
288. CCLXXXVIII قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 5/ 8/ 1991، صفحة 126 ـ 127.
289. CCLXXXIX قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 30/ 7/ 1991، صفحة 68.
290. CCXC قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 8/ 8/ 1991، صفحة 132.
291. CCXCI كِتاب « أبواب يانوس: القتل المُتسلسِل وتحليله»، بقلم «إيان برادلي»، الصادِر عن «لوس أنجلوس: فيرال هاوس»، عام 2001، الصفحتين 87 ـ 88.
292. CCXCII كِتاب «ضريح جيفري دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز»، صفحة 123.
293. CCXCIII قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 22/ 8/ 1991، صفحة 132.
294. CCXCIV كِتاب «ضريح جيفري دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز»، صفحة 128.
295. CCXCV قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 8/ 8/ 1991، صفحة 132.
296. CCXCVI قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 22/ 8/ 1991، صفحة 157ـ158.
297. CCXCVII قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 22/ 8/ 1991، صفحة 157.
298. CCXCVIII مقال «الشريط: ظنَّ رجال الشُّرطة أن الفتى كان عشيق دامر البالِغ»، بقلم «توبين بيك»، المنشور في «يو بي آي»، بتاريخ 1 أغسطس 1991، https://www.upi.com/Archives/1991/08/01/Tape-Police-thought-boy-was-Dahmers-adult-lover/4451681019200/ تم الاطلاع على المقال يوم 6 مارس 2020.
299. CCXCIX مقال «الشريط: ظنَّ رجال الشُّرطة أن الفتى كان عشيق دامر البالِغ»، بقلم «توبين بيك».
300. CCC قِسم شرطة ميلووكي، التقارير المُلحقة، بتاريخ 24/ 7/ 1991، صفحة 24.
301. CCCI كِتاب «ضريح جيفري دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز»، صفحة 165.
302. CCCII كِتاب «جحيم دامر»، للكاتِب «بريان ماسترز».
303. CCCIII «حكاية مُمزَّقة: أسلوب العصر الجديد»، للكاتِب «ديف روسي»، المنشور في «ستار جازيت: إلميرا نيويورك»، بتاريخ 5 أبريل 1994، صفحة 4.
304. CCCIV **الخاتمة: حقبة ما بعد البلاء في الفترة بين 2000 ـ 2020**
«مورتون»، وزارة العدل الأمريكيَّة، عام 2014، صفحة 5.

305. CCCV وزارة العدل الأمريكيَّة، مكتب التحقيقات الفيدرالي، تقرير تحليل الجريمة «FD-ViCAP»، «Rev. 3-11-86 676»، رقم 1110 ـ 0011، في «كوانتيكو» بـ «فيرجينيا»، عام 1986.

306. CCCVI «بناء مكتب التحقيقات الفيدرالي لقاعدة بيانات يُمكِنها القبض على المُغتصِبين، لكِن أحدًا لا يستخدمها»، بقلم «تي. كريستيان ميلر»، «بروبابليكا»، بتاريخ 30 يوليو 2015، https://www.propublica.org/article/the-fbi-built-a-database-that-can-catch-rapists-almost-nobody-uses-it.

307. CCCVII «القبض على سائِق شاحِنة مُتسلِّل»، بقلم «بيتر فرونسكي»، في «مُختارات الجرائِم الحقيقية للقتلة المُتسلسِلين»، صادِر عن «منشورات آر جيه باركر»، عام 2015، الصفحات 288 ـ 289.

308. CCCVIII http://www.fbi.gov/news/stories/2008/august/vicap_080408.

309. CCCIX «بناء مكتب التحقيقات الفيدرالي لقاعدة بيانات يُمكِنها القبض على المُغتصِبين، لكِن أحدًا لا يستخدمها»، بقلم «تي. كريستيان ميلر»، «بروبابليكا»، بتاريخ 30 يوليو 2015.

310. CCCX ميزانية ونفقات الحكومة الكندية: https://www.canada.ca/en/treasury-board-secretariat/services/planned-government-spending/budgets-expenditures/actual-expenditure-program-organization-2016-17.html.

311. CCCXI خدمة شرطة تورنتو، تفاصيل برنامج ميزانية التشغيل الأولية لعام 2017، http://www.tpsb.ca/images/TPS_2017_Budget_Information_Public_rev.pdf.

312. CCCXII «جون سي فوجيرتي»، كلمات أغنية «Bad Moon Rising»، من إنتاج «The Bicycle Music Company».